

الجزء الاول من كتاب

امالى الشيخ الرئيس

الشرىف أبى القاسم على بن الطاهر أبى أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضى الله عنه

فى التفسير والحديث والادب

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٥ هـ سنة ١٩٠٧ م)

(على نفقة احمد ناجى الجمالى ومحمد أمين الخانجى وأخيه)

« حقوق الطبع محفوظة »

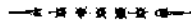
صححه وضبطه الفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلى)



(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين)
قال السيد المرتضى علم الهدى ذو المنبرين أبو القاسم علي بن الطاهر ذي المنقب
أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق
ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم
وقدس الله أرواحهم



الحل الأول ١

[تأويل آية] .. قال الله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترقيها
ففسقوا فيها) الآية .. في هذه الآية وجوه عدة من التأويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة
على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه وصرّفوه عن بابه .. أولها أن
الاهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً فإذا كان مستحقاً أو على سبيل الامتناع
كان حسناً وإنما يكون قبيحاً إذا كان ظاهراً فمما في الإرادة به لا يقتضي تماقها به على
الوجه القبيح ولا ظاهر الآية يقتضي ذلك وإذا علمنا بالأدلة تنزيه القديم تعالى عن
القبايح علمنا أن إرادته لم تتماق إلا بالاهلاك الحسن .. وقوله تعالى (أمرنا مترقيها)
المأمور به محذوف وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وإن وقع بعده ويجري
هذا مجرى قول القائل أمرته ففسي ودعوته فاني والمراد إني أمرته بالطاعة ودعوته
إلى الإجابة والقبول .. ويمكن أن يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم
عليه وإنما موضعها أن يقال أي معنى لتقدم الإرادة فإن كانت متعلقة بالهلاك مستحق

بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى اذا أردنا أمراً لأن أمره بما يأمر به لا يحسن ارادته العقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاحلاك بخالفة الأمر المذكور في الآية فهذا هو الذي يأيونه لأنه يقتضى انه تعالى يريد لاهلاك من لم يستحق ذلك العقاب . . . والجواب عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة الا بالاحلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذي حسن قوله تعالى واذا أردنا أمراً هو ان يكون الامر بالطاعة والايان اعتذاراً الى العصاة والذاري لهم وايجاباً واثباتاً للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوه وأقاموا على العصيان والطفيان بعد تكرار الوعظ والوعيد والانتذار ممن يحق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية (وما كنتم متميزين حتى نبعث رسولاً) . . . والوجه الثاني في تأويل هذه الآية ان يكون قوله تعالى أمراً مترفها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جواباً لقوله تعالى واذا أردنا ويكون تقدير الكلام واذا أردنا أن نهلك قرية من صفها انا أمراً مترفها ففسقوا فيها وتكون اذا على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهراً في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه . . . ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة (حتى اذا جازوها وفُتِحَتْ أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طيبتم فادخلوها خالدين) وقتلوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبؤاً من الجنة حيث نشاء قم أجر العاملين) ولم يأت لإذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد أيضاً لصحة هذا الجواب قول المنذلي

حتى اذا سلكوهم في فتائده شلاً كما تطرد الجمالة الشرذاً^(١)

خلف جواب اذا ولم يأت به لأن هذا البيت هو آخر القصيدة . . . والوجه الثالث ان يكون ذكر الارادة في الآية مجازاً وانساقاً وتنبهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وانهم متى أمروا فسقوا وخالفوا ويجري ذكر الارادة ههنا مجرى قولهم اذا

(١) - فتائدة - نية أو عقبة أو كل نية فتائدة - وشلاً - طرداً - وشرذاً - جمع

شرود وشارد وهو الشافر

أراد التاجر ان يقتصر أنه الثواب من كل وجهة وجاءه الخسران من كل جانب . . وقولهم اذا أراد العايل ان يموت خلط في مأكله وتسرع الى كل ماشوق اليه نفسه ومعلوم ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئاً ولا العليل أيضاً لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه وكلام العرب وحي وإشارات واستعارات ومجازات ولهذا الحال كان كلامهم في الرئيسية العليا من الفصاحة فان الكلام متى خلا من الاستعارات وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة برأي من البلاغة وكلام الله تعالى أفصح الكلام . . والوجه الرابع ان تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تأخيرها اذا أمرنا مرفى قرية بالطاعة فعمدوا واستحقوا العقاب أردنا اهلاكم والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير وبما يمكن ان يكون شاهداً لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) والطمارة انما تجب قبل القيام الى الصلاة وقوله تعالى (وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهَا فَاعْبُدُوا لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ) وقيام الطائفة معه يجب ان يكون قبل اقامة الصلاة لان إقامتها هي الايمان بجميعها على الكمال انما قراءة من قرأ الآية بالتشديد فقال أمرنا وقرأ من قرأها بالمد والتخفيف فقال أمرنا قلن بخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لا يلبق الا بان يكون ما تضمنته الآية هو الأمر الذي يستدعي به الى الفعل

[تأويل خبر . . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه : قال من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم : قال أبو عبيد القاسم بن سلام مفسراً لهذا الحديث في كتابه غريب الحديث الاجذم المقطوع اليد واستشهد بقول المتن

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِيعِ كَفْهَ بِكَفِّ لَهُ الْخُرْيُ فَأَصْبَحَ أَجْذَمًا^(١)

وقد خلطاً عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبا عبيد في تأويله هذا الخبر . . وقال الاجذم

(١) المتنس هو عدى بن عبد المسيح وهو صاحب الصحيفة المشهورة التي يضرب بها اللؤلؤ ورقني طرفه الى عامل البحرين وقسم ما مشهورة وهذا البيت من قصيدة له تصد في

وان كان مقطوع اليد فان هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع قال لأن العقوبات من الله لا تكون الا وفقاً للذنوب ومحسبها واليد لا تدخل لها في نسيان القرآن فكيف يعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) وزعم ان تأويل الآية ان الربا اذا أكلوه ثقل في بطونهم وربما في أجوافهم فجعل قيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان تمثراً وتخيلاً واستشهد أيضاً بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله رأيت ليلة أُسرى بي قوما تقرض شفاههم وكلما قرضت وقَّيت فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال لي جبريل هؤلاء خطباء أمتك تقرض شفاههم لانهم يقولون مالا يفعلون .. قال والاجذم في الخبر انما هو المجذوم وانما جازان يسمى المجذوم أجذم لأن الجذام يقطع أعضائه ويشذبها والجذم القطع .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وقد أخطأ الرجلان جميعاً وذُهباً عن الصواب ذهاباً بعيداً وان كان غلط ابن قتيبة أغش وأقبح لأنه علل غلطه فأخرجه الى أغليط كثيرة ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما أورده .. أما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها وانما أراد عليه الصلاة والسلام بقوله يحتر أجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لأن اليد من الأعضاء الشريفة التي لا ينم كثير من التصرف ولا يوصل الى كثير من المنافع الا بها ففادها يفقد ما كان عليه من الكمال وقوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى تناولها وهذه حال ناسي القرآن ومضيعة بعد حفظه لأنه يفقد ما كان لا بأساً له من الجمال ومستحقاً له

جيد شعر العرب وبعده

يداه أصابت هذه حتف هذه	فلم تحب الأخرى عليها مقدما
فلما استقاذ الكف بالكف لم يجد	له ذر كافى أن تبيناً فأحجما
فأطرق أطراق الشجاع ولورأى	مساغاً لناباه الشجاع لصدما
لدى الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا	وما علم الانسان الا ليعلم

وقوله لبابه جعله بالالف وتلك طريقة لهم في الزام المتن الالف في حاله الثلاث

من الثواب وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه
فلان بعد فلان أجدع وقد بقي بعده أجدم وقال الفرزدق يرثي مالك بن مسعم

تَضْمَعُ طَوْذَا وَائِلٍ بَعْدَ مَالِكٍ وَأَصْبَحَ مِنْهَا مَعْطِيسُ الْعَزِ أَجْدَعَا

وانما أراد المعسى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن في كلامها واشارات الى الأغراض
وتلويحات بالمعاني متى لم يفهمها ويتسرع الى الفطنة لها من تعاطي تفسير كلامهم وتأويل
خطابهم كان ظاناً نفسه متعبداً طوره ونعود الى الكلام على ما ذكره الرجلان . . أما
أبو عبيد فان خطأه من حيث لم يفتن للاغرض من الخبر فضل عن وجهه والافلا اجدم
هو الاقطع لا محالة كما قال الا انه لا يليق بهذا الموضع فاذ حمل عليه لم يدر شيئاً فان كانت
شبهة التي أوقعته في ذلك ظنه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة على نسيان القرآن
فليس كما ظن لأن الجذم أولاً ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجزم أولياءه والصالحين من
عباده ويقطع أعضاهم بالامراض وقد يتبدأ خلق من هو ناقص الاعضاء فليس يلزم
في الجذم ان يكون عقوبة ثم لو كان يستحق نسي القرآن عقوبة على نسيانه لكان حفظ
القرآن بأسره فرضاً واجباً وحتماً لازماً لان العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب
وليس حفظ جميع القرآن كذلك . . وأما ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفعل لوجه
في الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ظن ان العقوبة لا تكون الا في محل الذنب وهذا
القول يوجب عليه أن لا يجلد ظهر الزاني وتخص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف كان
يجب أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لانا نعلم
ان اللسان أقوى حفظاً في باب الكلام من الشفة فلم يخصص بالعقوبة وحلت بالشفاة دون
. . ثم غامض في تأويل الآية التي أوردها أفصح من كل ما تقدم لانه توهم انما تضمنت
الآية من تحبط آكل الربا ونعثره في القيام انما هو في الدنيا من حيث يتناول ما أكله في
معدته فيمنعه من النعوض ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك ونجد كثيراً من آكل الربا
أخف نعوذاً وأسرع قياماً وتصرفاً من غيرهم ممن لم يأكل الربا قط والمعنى في الآية هو
ما ذكره المفسرون من ان ما وصفهم الله به يكون عند قيامهم من قبورهم فيأخذهم العثار

والزال والتخشب على سبيل العقوبة لهم ويكون ذلك أيضاً أمانة لمن يعاقبهم من الملائكة والحزنة على الفرق بين الولي والعدو ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف ولا ظاهر ان الأجنم هو المجنوم .. ورد ان قتيبة معناه واشتقاقه الى الجذم الذي هو القطع بوجوب عليه أن يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق الأوصال كالجدري والأكلة وغيرهما يسمى جذماً ويسمى من كان عليه أجنم وهذا باطل .. وأما قول الشاعر حيث يقول

وَحَرَقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَادِ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْنَمًا

فليس هو من هذا الباب بل هو من الاجنم الذي هو الاسراع فكأنه قال لما اضطربت أسرع عني وتباعدتني ^(١) والاجنم بالذال المعجمة والدال غير المعجمة هما الاسراع .. وأما قول عنبرة في وصف الذباب

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعُهُ بِذِرَاعِهِ قَذَحَ الْمَكَبِ عَلَى الزَّيَادِ الْأَجْنَمِ

فهو من هذا الباب لأن الأجنم من صفة المكب لا من صفة الزناد فكأنه قال قذح المكب الأجنم وهو من أحسن التشبيه وأوقعه

[مسألة (٢)] كان بعض المشايخ المنقذين يقول ليس بممتنع أن يكون الله تعالى من الظلم من يعلم من حابه أنه يريد القيامة غير مستحق لشي من الأتعاض أو لما يوازي القدر المستحق عليه منها فإذا أراد الانصاف منه تفضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض ويقول ليس هذا بعيد ولا مستحيل لأن العوض ليس بخص بصفة تمنع من التفضل بمثله ولا يجري في ذلك مجرى الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على ما تفضل به لأن الانصاف واجب على الله تعالى من حيث خلى بين (١) ويروي البيت (حتى اذا اضطربت أحجما) أي نكس وتأخر وحاصل المعنى

على الرويتين واحد

(٢) ما ذكر في هذه المسألة مبني على القول بالعدل ووجوب الأصاح على الله تعالى وهي مقالة للمعتزلة ومنهم المؤلف وأهل السنة يخالفونهم فيها فلا تغتر بما تراه هنا وكفى منه على حذر

عباده وبين الظلم فلا يجوز أن يتعاق إلا بأمر واجب والتفضل لفاعله أن لا يفعله فتزول الحال الى تعذر الانتصاف .. وقالوا من يعلم الله انه يرد القيامة ولا أعوض له ينعم من الظلم ولا يمكنه منه هذه العلة ويجوزون أن يمكن من الظلم من يكون في الحال غير مستحق للعوض أو غير مستحق للقدر الذي يوازى الظلم من العوض بعد أن يكون المعلوم من حاله انه يرد القيامة وقد يستحق من الأعواض ما يوازى ما عليه منها .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وهذا القول يعنى تجوز تمكين الظالم من الظلم وهو في الحال غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التي أبطلنا بها قول من أجاز الانتصاف بالتفضل لأننا نعلم ان تبقى المكلف لا تجب وللقدم تعالى أن لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب كما علقه من قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب وليس لهم أن يقولوا ذلك يحسن لأن الله تعالى يعلم انه يبقى فيستحق أعواضاً لأن عليهم مثل ذلك اذا قيل لهم فأجزوا أيضاً أن يرد القيامة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله انه يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف فاذا قالوا علم الله بانه يتفضل لا يخرج التفضل من أن يكون غير واجب قبل لهم وعلم الله بانه يبقى من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج التبقية عن أن تكون غير واجبة فاستوى الأمران والصحيح أن يقال انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ليستقيم الكلام ويطرده



مجلس آخر ٢

[تأويل آية] .. قال الله تعالى (يا أولئك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيت من العلم إلا قليلاً) .. وقد ظن قوم من غفلة للمعدة وجها لهم أن الجواب مما سئل عنه في هذه الآية لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم به وان قوله تعالى (وما أوتيت من العلم إلا قليلاً) تنبئ وتقرع لم يقعا موقفهما وانما هو على سبيل المجازة والمدافعة عن الجواب .. وفي هذه الآية وجوه من التأويل تبطل ما ظنوه وتدل

على ما جملوه . . أولها أنه تعالى إنما عدل عن جوابهم لعلهم أدعى لهم إلى الصلاح في الدين وإن الجواب لو صدر منه اليهم لازدادوا فساداً وعناداً إذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفدين وليس هذا بمنكر لأننا قد نعلم في كثير من الأحوال فيمن يسألنا عن الشيء أن الصدول عن جوابه أولى وأصح في تدبيره . . وقد قيل إن اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمداً عن الروح فإن أجابكم فليس بذي وإن لم يجيبكم فهو نبي فأنابجد في كتبنا ذلك فأمره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون علماً ودلالة على صدقه وتكذيباً لليهود الرادين عليه وهذا جواب أبي علي عن محمد بن عبد الوهاب الحلي . . وثانيها أن القوم إنما سألوه عن الروح وهل هي محدثة مخلوقة أو ليست كذلك فأجابهم بأنها من أمر ربي وهو جوابهم عما سألوه بعينه لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب أنها محدثة مخلوقة وبين قوله أنها من أمر ربي لأنه إنما أراد أنها من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب أن تكون الروح التي سألوها عنها هي التي بها قوام الجسد أو عيسى أو جبرائيل عليهما السلام وقد سمى الله جبرائيل روحاً وعيسى أيضاً بذلك مسمى في القرآن . . وثالثها أنهم سألوه عن الروح الذي هو القرآن وقد سمى الله القرآن روحاً في مواضع من الكتاب فإذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه لأنه قال لهم الروح الذي هو القرآن من أمر ربي وبما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليجمعه دلالة له وعلماً على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا ما يدخل في إمكانهم وهذا الجواب للحسن البصري ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية (وَلَمَّا شَتَا لَنذَكِّرْهُ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا ذِكْراً) فكانت تعالى قال إن القرآن من أمري وفعلنا وبمنا أنزلته علماً على نبوة رسولي صلى الله عليه وسلم ولو شئت لرفضته وأنزلته وتصرفت فيه كما تصرف الفاعل فيما يفعله

[فصل] . . قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصمباني في قوله تعالى (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال إنما خص الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين . . أحدهما أن غاية المكيل تنهي إلى الوزن لأن سائر المكيلات إذا صارت طعماً أدخلت في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الوزن أعم من الكيل . . والوجه الآخر أن في الوزن معنى الكيل لأن الوزن هو طلب

مساواة الشيء بالشيء ومقايسته إليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت في الكيل وخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا قول أبي مسلم . . ووجه الآية وما شهد له نظام لفظها غير ما سلكه أبو مسلم وإنما أراد الله تعالى بالوزن المقدّر الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصاً عنها ولا زائداً عليها زيادة مضرّة أو داخله في باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان موزون وأفعاله موزونة مقدرة وإنما أراد ما أشرنا إليه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على أحد التأويلين وإنما التعديل والموازاة بين الثواب والعقاب . . قل الشاعر هو ذو الرمة

لَهَا بِشَرُّ مِثْلِ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقُ رَحِيمِ الْحَوَاشِي لَا هِرَاءَ وَلَا تَزُرُّ
 - الهراء - الكثير - والنزر - القليل وكأنه قال إن حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد
 عليها وهذا يجري مجرى أن يقول هو موزون . . وقال مالك ^(١) بن أسامة بن خارجة الفزاري
 وَحَدِيثُ الذُّهُ هُوَ مِمَّا يَنْتَعُ النَّاعِتُونَ يُوْزَنُ وَزْنًا
 مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلْحُنُ أَحْيَا نَاوِغِيَرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

(١) قال ابن قتيبة بعد أن ذكر نسبه وكان مالك شاعراً غزلاً ظريفاً وهو
 القائل فذكر البيتين وذكر بعدهما قوله

جِذَا يَوْمًا بَتَلْتُ بَوْنًا حَيْثُ لُدُنِي شَرَابِيَا وَنَعْنِي
 مِنْ شَرَابٍ كَأَنَّهُ دُمُ جَوْفِي يَتْرَكُ الْكَيْلُ كَالْفَنَى مُرْجَعَنَا
 أَيْمًا دَارَتِ الزَّجَاجَةُ دُرْنَا بِحَسْبِ الْجَمَاعِلُونَ أَنَا مُجَنَّا
 وَمَرَرْنَا بِسُدَّةِ عَطْرَاتٍ وَسَمَاعٍ وَقَرْقَفٍ فَتَرْنَا

- وَبَوْنًا - من قرى الكوفة . . ويقال إن عمر بن أبي ربيعة مرّ بمالك هذا
 فاستنشد شيدا من شعره فأنشده فقال عمر ما أحسن شعرك لولا أمماء القرى التي
 تذكرها فيه قال مثل ماذا قال مثل قولك

أَشْهَدُنِي أُمُّ كَنْتَرٍ ظَالِمَةً عَنْ لَيْلِي بِحَدِيثَةِ الْقَسَبِ

. . ومثل قولك

وهذا الوجه الذي ذكرناه أشبه بمراد الله تعالى في الآية وأبقى بفصاحة القرآن وبلاغته
الموفيتين على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم . . . فأما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره
وتلحن أحياناً فلم يرد اللحن في الأعراب الذي هو ضد الصواب وإنما أراد به الكناية
عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الإفصاح عنه على معنى قوله تعالى (ولتعرّفهم
في لحن القول) . . . وقول الشاعر

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لَكَيْمًا تَفْطَنُوا وَلَحْنْتُ لَحْنًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

وقد قيل إن اللحن الذي عني به في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ما روى عن
الذي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعل أحدكم أن يكون لحن بحجته أي أفطن لها وأغوص
عليها . . . وبما يشهد لما ذكرناه ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المزياني
قال حدثنا أحمد بن عبيد الله العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا علي بن السامعيل
اليزيدي قال أخبرنا اسحاق بن إبراهيم قال تكلمت هند بنت أمية بن خارجة فلهجت
وهي عند الحجاج فقال لها أتألمين وأنت شريفة وفي بيت قبس قالت أما سمعت قول
أخي مالك لامرأته الانصارية قال وما هو قالت قال

مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَاوْخِيَرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

فقال لها الحجاج انما عني أخوك اللحن في القول إذا كنتي المحدث عما يريد ولم يعن
اللحن في العربية فأصلح لي لسانك . . . [قال المرتضى] رضى الله عنه قد ظن عمرو بن بحر
الجاحظ مثل هذا بعينه وقال إن اللحن مستحسن من النساء الفرائز وليس بمستحسن
منهم كل الصواب والتشبيه بضعول الرجال واستشهد بأبيات مالك بعينها وظن أنه

حبذا يومنا يتل بوناً حيث ندى شرابنا وتغنى

فقال مالك هي قرى البلد التي أنا فيه وهي مثل ما تذكره أنت في شعرك من أرض بلادك
قال مثل ماذا قال مثل قولك

ما على الربع بالبين لو بسين رجع السلام أولو أجابا

فأمسك ابن أبي ربيعة ولم يجب بشيء

أراد باللعن ما يخالف الصواب وتبعه على هذا القلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الأخبار أبيات الفزاري واعتذر بها من لحن أصيب في كتابه . وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني يحيى بن علي النجم قال حدثني أبي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك بالأدب ينشد قول الفزاري ويفسره علي أنه أراد اللعن في الاعراب وإنما أراد وصفها بالظرف واللفظة وإنما تورتي عما قصدت له ولتسكب التصريح فقال له قد فطنت لذلك بعداً قلت فغيره من كتابك فقال كيف لي بما سادت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه على خطئه [قال المرتضي] رضى الله عنه ومن حسن اللعن الذي هو التعريض والكناية ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أن رجلاً من بني المنذر حصل أسيراً في بكر بن وائل فسألهم رسولاً إلى قومه فقالوا لا نرسل إلا بمحضرتنا لأنهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا أن يذروهم في أيديهم بعد أسود فقال له أتمقل فقال نعم أني لما قل فقال ما أراك عاقلاً وأشار بيده إلى الليل فقال ما هذا قال الليل قال أراك عاقلاً ثم ملأ كفيه من الرمل فقال كم هذا فقال لا أدري ولكنه كثير فقال أيما أكثر الجحوم أم الشراب فقال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلاناً يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر فإن قومه لي يكرمونه وقل لهم إن العرفج قد أدب^(١) وشكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقة الحراء فقد طاك ركوبها وإن يركبوا جنى الأصهب بآية ما أكلت معكم حباً وأسألوا أخي الحارث عن خبري فلما أدبى العبد الرسالة إليهم قلوا لقد سجن^(٢) الأعور وافته مانعهم له ناقة حراء ولا جلا أصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد أدبى العرفج يريد أن الرجال قد استأثروا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء أي اتخذن الشكاء للسفر^(٣) وقوله الناقة الحراء أي ارتحلوا عن الدهناء وركبوا الصمان^(٤) وهو الجمل

(١) - العرفج - ضرب من النبات - وأدبى - خرج منه مثل الدين وهو أسفر الجراد

(٢) - الشكاء - جمع شكوة وهو وعاء من جلد يحمل للقاء واللين

(٣) - الصمان - والصمان كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل والصمان موضع يعالج

الأصهب وقوله أكلت معكم حبياً يريد اخلاطاً من الناس قد فزركم لأن الحبيس يجمع التمر والذمن والأقط فامشوا ما قال وعرفوا لمن كلامه

[تأويل خبر] ٠٠ روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلاباً أو نجفاً ٠٠ قال أبو عبيد وقد تأول بعض الناس هذا الخبر على أنه أراد به الفقر في الدنيا وليس ذلك كذلك لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى في سائر الناس من الغنى والفقر ولا تميز بينهما قال والصحيح أنه أراد به الفقر في يوم القيامة وأخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكأنه أراد من أحبنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجيره من الثواب والقرب الى الله تعالى والزلفى عنده ٠٠ قال أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث خلاف ما قاله أبو عبيد ولم يرد إلا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر أن من أحبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتتبع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن أحوال الدنيا وأعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف أو الجلاب لأنه يستر الفقر كما يستر الجلاب أو التجفاف البدن قال ويشهد بصحة هذا التأويل ما روى عنه عليه والسلام أنه رأى قوماً على بابهم فقال يا قنبر من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعةك فقال مالي لأرى فيهم سيما الشيعة قال وما سيما الشيعة قال خمس البطون من الطوى وبيس الشفاء من الظلما وعمش الميرون من البكا هذا كله قول ابن قتيبة والوجهان في الخبر جميعاً أحسنان وإن كان الوجه الذي قاله ابن قتيبة أحسن وأنصح ٠٠ ويمكن أن يكون في الخبر وجه ثالث تشهد لصحته اللغة وهوان أحد وجوه معنى لفظة الفقر أن يحز أنف البعير حتى يخلص الى العظم أو قريب منه ثم يلوى عليه حبل يذل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقراً إذا فعل به ذلك وبعبارة مفقور وبه فقرة وكل شيء حزرته وأثرت فيه فقد فقرته تقفيراً ومنه سميت الفاقرة وقيل سيف يهقر فيحمل القول على أن يكون عليه السلام أراد من أحبنا فليزِم نفسه وليخطبها وليقدمها الى الطاعات وليصرفها عما تيل طباعها اليه من الشهوات وليذلها على الصبر عما كره منها ومشقة ما أريد بها كما يفعل ذلك بالخير الصعب وهذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر ولا يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان

له شاهد في اللغة وكلام العرب لأن الواجب على من يتعاطى تفسير ضرب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منهما منفرداً وليس عليه العلم بمراده بعينه فإن مراده مغيب عنه وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام

[فصل] • قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ومن كان من مشهورى الشعراء ومتقدميهم على مذهب أهل العدل^(١) ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنت أبو الحارث وذو الرمة لقبه لقب به لبيت قاله وهو في صفة الوثد

• أَشَعْتُ بِأَقْي رُمَّةٍ التَّقْلِيدِ •^(٢)

— والرمم القطعة البالية من الحبل يقال حبل أرمم إذا كان ضعيفاً بالياً وقيل إنه إنما لقب بذى الرمة لأنه كان وهو غلام يتفرع^(٣) لحجامة أمه بمن كتب له كتاباً وعلقت عليه برمة من حبل فسمى ذا الرمة ويشهد بمذهبه في العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال أخبرنا أبو عثمان الأشناداني عن

(١) — أهل العدل لقب المعتزلة لقبوا به أنفسهم لقولهم بوجوب الإصلاح والأصاح عليه تعالى وأنه يعاقب المسيء على إساءته ويثيب المحسن على إحسانه ولا بد وإنما سوا المعتزلة لأن رئيسهم وأصل بن عطاء كان يحضر حلقة الحسن البصري فسأله يوماً عن مرتكب الكبيرة هل يكون مؤمناً أو لا فقال إنه مؤمن وأمره في كبريته موقوف إلى ربه إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه فلم يعجب ذلك وأصل فقعه إلى سارية من سوارى المسجد يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وأنه مخلد في النار فقال الناس قد اعتزل وأصل فليل لمن وافقه على رأيه معتزلة

(٢) الذي في غيره من كتب الأدب وإنما قيل له ذا الرمة لقوله

لم يبق منها أيد الأبيد غير ثلاث مائلات سود

وغير مشجوج الفقا مود فيه بقايا رمة التقليد

(٣) أي يفرع في نومه

التورى عن أبي عبيدة قال اختصم رؤية وذو الرمة عند بلال بن أبي بردة فقال رؤية والله ما نقص طائرًا أخفوصاً ولا نقرم من سبيع قرموصاً إلا بقضاء من الله وقدّر فقال له ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيال ضرائك قال رؤية أفقدته أكلها هذا كذب على الذئب ثانٍ فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل^(١) واحتجاجة عليه وبصيرته فيه فأما -العيال- فجمع عيّل وهو ذو العيال -والضرائك- جمع ضريك وهو الفقير . وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي عن أبي العيلاء عن الأصمعي عن اسحاق بن سويد قال أنشدني ذو الرمة

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كُونَا فَكَانَتَا فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبحت ربحت وإنما قلت وعينان فعولان فوصفهما بذلك وإنما تبرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا الوجه . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن خالد النحاس قال حدثني محمد بن القاسم أبو العيلاء قال حدثني الأصمعي قال لما أنشد ذو الرمة قوله

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كُونَا فَكَانَتَا فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

وهو يريد كونا فكنا فعولين حيث كانا قال له عمرو بن عبيد وبجك قلت عظيماً^(٢) فقل

(١) لأن المعتزلة يقولون إن الله لا يريد الشر وإن ما يقع في الكون من الشرور فأنما يقع على خلاف إرادته وليس لقول ذي الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيال ضرائك معنى إلا أن هذا شر والشر لا يكون مراد الله تعالى

(٢) - قلت عظيماً - إنما قال له ذلك لأنه لما نسب فعولين جعله معمولاً لكنا فافترض أن كون العينين فعولان بالألْبَابِ كما تفعل الخمر بأمر الله تعالى وهو شر لا يصلح أن نتعلق به إرادة الله تعالى على مذهب عمرو بن عبيد وكان عمرو بن عبيد هذا شيخ المعتزلة في عصره ولناهم وكان آية في الذكاء والحفظ وكان متقشفاً زاهداً

فمولان بالالباب فقال ذوالرمة ما أبالي قلت هذا أم سبحت فلما علم ما ذهب إليه عمرو قال سبحان الله أو عيت ما ظننت كنت جاهلاً ٥٥ وعن روى أنه كان على مذهب أهل العدل من شعراء الطبقة الأولى أعنى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله

إِسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْعَدْلِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَ

وعن قيل أنه على مذهب الجبر^(١) من المشهورين أيضاً بيد بن ربيعة العامري واستدل بقوله

إِنَّ تَقْوَى رَبِّكَ خَيْرٌ نَفْلٍ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْبِي وَالْعَجَلِ

مَنْ هَدَاهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعَمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ

وان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان فليس فيما دلاله على ذلك ٥٥ أما قوله وبإذن الله ربي والمعجل فيحتمل ان يكون بعلمه كما يتأول عليه قوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله) أي بعلمه وان قيل في هذه الآية أنه أراد بتخايفه وتمكينه وان كان لا شاهد لذلك في اللغة أمكن مثله في قول لبيد ٥٥ وأما قوله من هدهم اهتدى ومن شاء أضل فيحتمل ان يكون مدعواً الى بعض الوجوه التي يتأول عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن بما ياتي بالعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب لبيد في الاجبار معروفاً بغير هذه الايات فلا يتأول له هذا التأويل بل يحل مراده على موافقة المعروف من مذهبه

[مسئلة] ٥٥ اعلم ان أصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله بقوله (لا تدركه الأبصار) وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (وينبأ انه تعالى تمدح بنفي الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون

يضرب به القياس في ذلك فيقال أزهدهم عمرو بن عبيد وفيه يقول القائل

كلكم طالبٌ صيد غير عمرو بن محمد

(١) يريد بالجبر مذهب أهل السنة وانما سموه بجبراً لأنهم لما جعلوا أفعال العبد مخلوقة

لله تعالى وليس لقدرة العبد دخل في إيجاد أفعاله فقد جعلوا العبد مجبوراً على ما يصدر عنه من الأفعال وأما المنزلة فقالوا ان أفعال العبد من قدرته فكان مختاراً عندهم

ثبوت الرؤية له في وقت من الاوقات نقص وذنم .. قال لهم مخالفوهم كيف يمدح بانه لا يرى وقد شاركه في اني الرؤية ما ليس بمدح كالمدومات والارادات والاعتقادات فقالوا لهم لم يمدح تعالى بنى الرؤية فقط وانما يمدح بنى الرؤية عند انبائها له فمدحه بمجموع الاسمين وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات أصناف .. منها ما لا يرى ولا يرى كالارادات والاعتقادات .. ومنها ما يرى ولا يرى كالألوان .. ومنها ما يرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس فيها ما يرى ولا يرى فثبت المدح لله تعالى بمتضمن الآية .. فقال لهم المخاللون وكيف يجوز ان تكون صفة لا تقتضي المدح بانفرادها ثم تعبر بقتضيا مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوز أن يمدح ممدح بأنه شيء عالم أو موجود قادر فاذا كان لامدحة في وصف اندات بأنها شيء موجود وان انضمت الي صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فكذلك لامدحة في نفي الرؤية عما ثبت له من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا. فأجاب أصحابنا عن هذا الكلام بان قولنا ليس يمتنع في الصفة ان تكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تأخذ سنة ولا نوم فان نفي السنة والنوم ههنا انما يكون مدحا اذا التقي عن هو بصفة الاحياء وان كان بانفراده لا يقتضي مدحا لمشاركته ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالنفي والوجود وبين ما ذكروا بالنفي من حيث لا تأثير لهاتين الصفتين في المدح .. واعلم ان صفات المدح المتضمنة للانبيايات ما تكاد تنفقر الى شرط في كونها ممدحة .. وصفات النفي اذا كانت مدحا فلا بد فيها من شرط وانما افرق الاسران من حيث كان النفي أعم من الانبيايات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والانبيايات أشد اختصاصا ألا ترى ان ما ليس بعالم من الذوات وليس بوجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها لان الأول لا يكون الا غير متناه والثاني لا بد أن يكون متناهياً فلما اشتملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط يخصها وأنت اذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يمدح بها وجدتها مفتقرة الى الشروط ألا ترى ان من ليس بمجاهل انما يكون ممدوحا بهذا النفي اذا كان حياً ذا كراً لانه قد يكون الحى لاعلاما ولا جاهلا لسهو يلحقه وذهوله

يعتبه ومن ليس بماجز انما يكون ممدوحاً اذا كان أيضاً موجوداً حياً ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحاً اذا كان قادراً على الظلم وله دواع الى ولا بد في الشرط الذي يحتاج اليه في صفات النفي حتى يكون مدحاً من ان يكون أيضاً إثباتاً أو جارياً مجري الاثبات ولا يكون نفياً لانه ان كان نفياً لم يتخصص وسأوى فيه الممدوح وليس بممدوح . مثال ذلك انما اذا مدحنا غيرنا بأنه لا يظلم وشرطنا في هذه المدحة انه لم يبدعه داع الي الظلم لم نحصل المدحة لانه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ما ليس بممدوح فلا بد من شرط يجري مجرى الاثبات وهو ان نقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب دواعيه فاذا صحت هذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدحة في الآية انما تتعلق بنفي الادراك عن القديم تعالى لكن بشرط ان يكون مدركاً ونحو كل واحد من الصفتين تقتضي المدح مجتمعة مع أن كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفرد وليس بمكران يقتضي الشئ غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى فاذا لم يوجد لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم والغلم عن الله تعالى انما كان مدحاً بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص في هذا الموضع أولى وأحسم للشبه مما تقدم ذكره

—•••••—

(مجلس آخر ٢)

[تأويل آية] •• ان سأل سائل فقال ما تقولون في قوله تبارك وتعالى حكاية عن موسى (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) •• وقال تعالى في موضع آخر (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَاجِرُ كَانَتْهَا جَانٌّ وَلِي مُدَبَّرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) والتعبان الحية العظيمة الخلق والجنان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا في حال واحدة بصفة ما عظم خافته من الحيات وبصفة ما سفر منها وبأي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام (الجواب) أول ما نقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبراً عن قصة واحدة بطل بل الحالتان مختلفتان فالحال التي أخبر ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى الي فرعون وال حال التي صار

العصا عليها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وأبلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك وإذا اختلفت القصتان فلا مشكلة على أن قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب على هذا السؤال إما لظنهم أن القصة واحدة أو لاعتقادهم أن العصا الواحدة لا يجوز أن تنقلب في حالين تارة إلى صفة الجبان وتارة إلى صفة الثعبان أو على سبيل الاستظهار في الحجة وأن الحال لو كانت واحدة على ما نحن لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه أحسن ما تكلف به الجواب لاجله لأن الأولين لا يكونان إلا عن غلط أو عن غفلة وذكرنا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة من تأويلها .. أحدهما أنه تعالى إنما شبهها بالثعبان في إحدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الآية الأخرى بالجبان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع أنها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجبان وسرعة حركته وهذا أبهر في باب الإعجاز وأبلغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتين .. وليس يجب إذا شبهها بالثعبان أن يكون لها جميع صفات الثعبان وإذا شبهها بالجبان أن يكون لها جميع صفاته وقد قال الله تعالى ﴿بُطَافٌ عَلَيْهِمْ بِأَنِّيَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ فَوَارِيرَ فَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ﴾ ولم يرد تعالى أن الفضة فوارير على الحقيقة وإنما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء الفوارير وشفوفها ورقتها مع أنها من فضة وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض وجوهه فيشبهون المرأة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم أن في الغنم والبقر من الصفات ما لا يستحسن أن يكون في النساء وإنما وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون آخر .. والجواب الثاني أنه تعالى لم يرد بذكر الجبان في الآية الأخرى الحية وإنما أراد أحد الجن فكأنه تعالى أخبر بان العصا صارت ثعبانا في الخلقفة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كأحد الجن في هول المنظر واقتزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَيَّأُوا كَأَنَّهُمَا جَانٌّ وَلِي مُذِبرٌ أَوْ لَمْ يُنْقَبْ﴾ ويمكن أن يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه أن لم يرد على الوجهين الأولين لم ينقص عنها والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة وأن التناقض الذي نؤيدهم زائل على كل وجه وهو أن العصا لما انقلبت حية صارت أولا بصفة الجبان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان ولم تصدر كذلك ضربة واحدة

فتتفق الآيتان على هذا التأويل ولا يختلف حكمهما وتكون الآية الأولى تتضمن ذكر الثعبان اخباراً عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولى موسى فيها هارباً وهي حال انقلاب العصا الى خلفة الجان وان كانت تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان .. فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان بين وهذا يقتضى أنها صارت ثعباناً بعد الالتقاء بلا فصل .. قلنا ليس تقييد الآية ما ظن وانما فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بذلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجرى هذا مجرى قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ مع نباحه ما بين كونه نطفة وكونه خصيماً مبيناً وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من أعلا الحائط فاذا هو في الأرض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمناً وانه لم يصل اليها الا على تدرج وكذلك الحابط من الحائط وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد

[آية أخرى] .. قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ .. وقد ظن^(١) بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ان

(١) اعلم ان للمفسرين في هذه الآية قولين أحدهما ان ذلك الاخراج والشهاد حقيقة واليه ذهب كثير من قدماء المفسرين كعبد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والنكبي وابن عباس قالوا ان الله استخرج ولد آدم من أصلاب آباءهم ففرهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك واقرارهم به واحتجوا لذلك بأحاديث كثيرة وردت من طرق متعددة يقوى بعضها بعضاً منها ما روى مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذبته الحديث وروى على ابن عباس في قوله تعالى واذا أخذ ربك الآية قال

تأويل هذه الآية ان الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم في خلق الذر قهرهم بحرفته وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع ان العقل بطله وبحيله مما يشهد بنظام القرآن بخلافه لأن الله تعالى قال واخذ ربك من بني آدم من ظهورهم

ان الله تعالى خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم من ربكم قالوا الله ربنا ثم أعادهم في صلبه حتى يولد كل من أخذ من صلبه لايزاد فيهم ولا ينقص منهم الى يوم القيامة أما المعتزلة وأصحاب المعقولات من المفسرين فاتهم جعلوا ذلك على سبيل التمثيل وقالوا انه تعالى أخرج الاولاد وهم الذرية من أصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى الى أرحام الامهات وجعلها علقه ثم مضى ثم جعلهم بشرأ سوياء وخلقاً كاملاً ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب في عقولهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته فكأنه قررههم وقال ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا واعترفنا بوحديتك قالوا وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وكلام العرب وفي القرآن الكريم (فقال لها والأرض اتبعا طوعاً أو كرهاً قلنا أيتها طائعتين .. وقال الشاعر

امتلاً الخوض وقال قطبي مهلاً رويداً قد ملأت بعلى

ومنعوا فيها ذهب اليه الفريق الأول بما بطله المؤلف هنا وكل ما طعنوا به يمكن الجواب عنه .. أما قولهم ان المذكور في القرآن ان الله أخذ من بني آدم من ظهورهم لا من آدم ولا من ظهره وما روى أصحاب القول الأول يدل على انه أخذ من آدم كما في الرواية التي سبق نقلها .. فالجواب عنه ان الله انما أخرج من صلب كل رجل ذريته الا انهم لما كانوا جميعاً من صلب آدم سمح أن يقال انه أخذهم من صلب آدم ومثل هذا الاستعمال شائع لا مجال للعلم فيه .. وأما قولهم انهم حين أخرجوا فان كانوا عقلاء مستوفين لشرائط التكليف لزم أن يذكروا ذلك حين وجودهم وان لم يكونوا عقلاء لم يكن للائذ منهم معنى .. فالجواب عنه أن نختار انهم كانوا عقلاء ولا يلزم أن يذكروا ذلك حين وجودهم الآن فان النفس انما تذكر حين ملابسها للبدن ما كان وقع لها حين ملابستها

ولم يقل من ظنهم وقال ذريتهم ولم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا أنهم كانوا عن هذا غافلين أو يمتدروا بشرك آبائهم وأنهم نشؤا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضي أن الآية لم تتناول ولد آدم أصليه وإنما تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويله فأما شهادة العقل فن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من أن تكون من ظهر آدم فخطبت وقررت أن تكون كاملة العقول شافية لشروط التكليف أو لا تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لأن العاقل لا ينسى ما يجري هذا الجرى وأن بعد العمل و طوال الزمان ولهذا لا يجوز أن ينصرف أحد في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر أحواله وليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالين تأثير لأنه لو كان تخلل الموت بزيل الذكر لكان تخلل اليوم والسكر والجنون

فأما ما وقع لما عند تحردا عن البدن والانقطاع عنه أقلنا تذكر موه مثل هذا يقع لأصحاب الرياضات فقد يتفق لبعضهم وقت تحرد فيه نفوسهم عن أبدانهم ويصدر عنهم حينئذ من الأقوال والأفعال شيء كثير فإذا عادت نفوسهم إليهم لم يذكروا شيئاً مما كان منهم ولهذا أسباب ليس هذا محل بسطها إنما الغرض أن نبين أن النفس إنما تذكر عند ملازمة البدن ما يقع لها في مثل ذلك الحال وإذا جاز أن تفارق النفس البدن زمناً طفيفاً ثم لا تذكر عند العود إلى البدن ما كان منها عند المفارقة فكيف لها أن تذكر ما كان لها قبل أن يخافق البدن بآلاف من السنين .. هذا أقوى ما احتجوا به على إبطال قول الفريق الأول .. ثم اعلم بعد هذا أن ما ذهب إليه الفريق الثاني لا يبطل قول الفريق الأول ولا هو مستنكر في ذاته والتشثيل غير منكر في كلام أي كلام كان من كلام الخالق أو البشر وكما أمكن حمل الآية على التشثيل يمكن حمل الأحاديث فإنها غير صريحة في أن الإخراج حقيقة وإنما دعواهم أن المعنى الحقيقي غير ممكن إرادته ودعوى أن ذلك باطل شرعاً وعقلاً ما نسكمه وناً بما وليس فيه إلا تعاقب الرأي والوهم على ظاهر الكتاب والسنة كما هي عادة المتكلمين

والاغناء من أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم لأن سائر ما عودناه مما ينفي العلوم ويجري مجرى الموت في هذا وليس لهم أن يقولوا إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك إنما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقول ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه على أن تجوز النسيان عليهم بنقص الغرض في الآية وذلك أن الله تعالى أخبرنا بأنه إنما قرره وأشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة وسقوط الحجة عنهم فيه فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجة وزوالها وإن كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطاياهم وقرره وأشهدهم وصار ذلك عبثاً قبيحاً فإن قيل قد أبطلتم قول مخالفكم فتأويلها الصحيح عندهم قلنا في الآية وجهان أحدهما أن يكون تعالى إنما عني بها جماعة من ذرية نبي آدم خلفهم وبلغهم وأكل عقولهم وقرره على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته فأقروا بذلك وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة إنما كنا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وإنما أتى من أشبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع إلا على من لم يكن عاقلاً كاملاً وليس الأمر كما ظن لأنه سمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال تعالى (رَبَّنَا أَدْخِلْنَاهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) ولفظ الصالح لا يطلق إلا على من كان كاملاً عاقلاً فإن استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم . والجواب الثاني أنه تعالى لما خلقهم وركبهم تركباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في أنفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أراد الله تعالى وتعمد امتناعهم منه وانسكابهم من دلالة بمنزلة المقر المعترف وإن لم يكن هناك اشماد ولا اعتراف على الحقيقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعَتِينَ) وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى

(شاهدين على أنفسهم بالكفر) ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم وانما ذلك لما ظهر منهم ظهوراً لا يتكفون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين بمثل هذا قولهم جوارحي تشهد بعنيتك وحالي معترف بأحسنك .. وما روى عن بعض الحكماء من قوله سل الارض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجى غارك فان لم تحبك جواراً أحببتك اعتباراً وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر يعنى عن ذكر جميعها القصر الذى ذكرناه منها (تأويل خبر) .. قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال أراد يستغن به واحتج بقولهم تغنيت تغنياً وتغليت تغلياً وأنشد بيت الأعمى

وَكَنتُ امْرَأً ذَمّاً بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمَنَاحِ طَوِيلَ التَّنَنِ

.. وقول الآخر

كَلَانَا غَنَى عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَنَانِيَا

واحتج أيضاً بقول ابن مسعود من قرأ سورة آل عمران فهو غنى أى مستغن وبالحدِيث الآخر هم كثر الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها فى آخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث آخر روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن ان أحداً أعطي أفضل مما أعطى لانه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل من ملكه . واحتج أيضاً بخبر رفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد بنته فاذا مثال رث ومثاع رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن .. قال أبو عبيد فذكره المتاع الرث والمثال الرث يدل على ان التغنى بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال - والمثال - هو القراش قال الشاعر

يَكُلُّ طَوَالِ السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا يَرَى بِسُرَى اللَّيْلِ الْمِثَالِ الْمُمَهَّدَا

يعنى القراش .. قال أبو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحبة علينا بذلك اذ كان من لم يرجع بالقرآن ليس منه عليه الصلاة والسلام .. وذكر عن غير أبى عبيد جواب آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام أراد من لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرجع فيه واحتج

صاحب هذا الجواب بمحدث عبد الرحمن بن السائب قال آتيت سعداً وقد كف بصره فقلت عليه فقال من أنت فأخبرته فقال مرحباً بيا أخى ياغنى لك حسن الصوت بالقرآن وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتابكوا فمن لم يتغن بالقرآن فليس منافقه فابكوا اوتبوا كوا دليل على ان التغنى هو الترجيع والتعنين .. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يأذن الله لشيء من أهل الارض الا لأصوات المؤذنين والصوت الحسن في القرآن ومعنى قوله يأذن يستمع له يقال أذنت لشيء أذن اذا استمعت له .. قال الشاعر

صَمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِّرَتْ بِهِ وَإِنْ ذُكِّرَتْ بِسَوْءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا
 .. وقال عدي بن زيد العبادي

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدْنِ إِنَّ هَمِّي فِي سَعَاءٍ وَأَدْنِ

والأذن هو السماع وإنما حسن تكرير المعنى اختلاف اللفظ والعرب في هذا مذهب معروف ومثله

• وَهَذَا آتَى مِنْ دُونِهَا النَّاسُ وَالْبَعْدُ •

فَأَمَّا الدُّدْنَ فَوُو اللّهُو واللَّهَبُ وَفِيهِ لُغَاتٌ ثَلَاثٌ دَدٌ عَلَى مِثَالِ دَمٍ وَدَدٌ عَلَى مِثَالِ فَنَى وَدَدَنْ
عَلَى مِثَالِ حَزَنْ ۝ وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَنَا مِنْ دَرٍ وَلَا الدَّمْنِيَّةِ ۝ قَانَ
قِيلَ كَيْفَ يَحْمَلُ لَا يَأْذُنُ اللَّهُ لَشَيْءٍ كَاذِبُهُ لَكَاذًا وَكَذَا عَلَى مَعْنَى الْإِسْتِمَاعِ وَهُوَ تَعَالَى
سَامِعٌ لِكُلِّ شَيْءٍ مَسْمُوعٌ فَأَيُّ مَعْنَى لِلِاخْتِصَاصِ ۝ قَلْنَا لَيْسَ الْمُرَادُ هَهُنَا بِالِاسْتِمَاعِ مُجَرَّدِ
الِادْرَاكِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الْقَبُولُ فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ إِنْ اللَّهُ لَا يَسْتَقْبِلُ أَوْ يَنْتِيبُ
عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ كَسَقْبَلَهُ وَثَوَابَهُ عَلَى كَذَا وَكَذَا وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ هَذَا كَلَامٌ لَا
أَسْمَعُهُ وَخَاطِبُتِ فَلَانَا بِكَلَامٍ فَلَمْ يَسْمَعْهُ وَإِنَّمَا يَرِيدُ نَفْيَ الْقَبُولِ لَا الْادْرَاكِ وَالْبَيْتَ الَّذِي
أَنْشَدْنَاهُ بِشَمْسٍ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ ۝ وَإِنْ ذَكَرْتَ بِسُوءِ عُنْدِهِمْ أَنْزَوَاهُ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَسْتَمْعُونَ
الذِّكْرَ بِالْخَبَرِ وَالتَّنْمِيعِ مَعًا مِنْ حَيْثُ الْادْرَاكِ فَوُجَّهَ الْإِخْتِصَاصُ مَا ذَكَرْنَاهُ وَقَدْ ذَكَرْنَا بُو
بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ وَجْهًا ثَلَاثًا فِي الْخَبَرِ قَالَ أَرَادَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ لَمْ
يَتَلَذَّ بِالْقُرْآنِ وَيَسْتَحْلِهِ وَيَسْتَعْبُدْ تَلَاوُتَهُ كَمَا تَسْتَحْلَهُ أَهْوََابُ الطَّرِبِ لِلْغَنَاءِ وَالتَّذَاذِهِ بِهِ

وسمى ذلك تنبيهاً من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التفتي بالغناء وذكر أن ذلك نظير قولهم الصائم نيجان العرب والنجباء حيطان العرب والشمس حمامات العرب .. وأشد بيت النابغة

بُسْكَاءَ حَمَامَةٍ تَذَعُو هَدِيلاً مَفْجَمَةً عَلَى فَنٍّ تَفْنَى^(١)

ففيه صوتها لما أطرب أطراب الغناء بالغناء وجعلوا المعاصم لما قامت مقام التيجان نيجاناً وكذلك القول في الخيام والشمس .. وجواب أبي عبيد أحسن الأجوبة وأسلمها وجواب أبي بكر أبعدا لأن التلذذ لا يكون إلا في المشتبهات .. وكذلك الاستحمام والاستعذاب وتلاوة القرآن وفهم معانيه من الأعمال الشاقة فكيف يكون ملذاً مشهى .. فان عاد إلى أن يقول قد تستحل التلاوة من الصوت الحزين .. قلنا هذا رجوع إلى الجواب الثاني الذي رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما يخالفه ويمكن أن يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام من لم يتغن من غنى الرجل بالمكان إذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى كأن لم تغن بالأمس وكان لم يغنوا فيها أي لم يقيموا بها وقال الأسود بن يعفر الأيادي

وَلَقَدْ غَنَّا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتٍ الْأَوْتَادِ^(٢)

(١) - الهديل - ذكر الحمام وقبل أنه طائر كان على مهند نوح عليه السلام سادته جارج من الطير فإما من حمامة الأوهى تبكي عليه إلى اليوم وهذا من خرافات العرب في الزمن الأول وقد صنف بعض شعراء الإسلام أشعارهم هذه الحكاية كقول أبي العلام يرفي رجلاً يابنات الهديل أسعدن أوعدن قليل العزاء بالأسعاد
إبراهيم لله دركن فأنشئ اللواتي نحن حفظ الوداد
مانسيتن هالكاً في الأوان السعد خال أودي من قبل هلك إباد

والمقصود حكاية المشهور لا أنهم يعتقدون ذلك - والمفجعة - المؤلة بفقد ما يعز عليها - والفن - القصد وجهه أفتان

(٢) - هو له من أبيات يشكو بها من موت لدهاته وتأخر وفاته أولها

وبيت الاعشى الذى ألتد أبو عبيد

وَكَنتُ أَمْرًا زَمَنًا بِالْفِرَاقِ عَفِيفَ الْمُبَاخِ طَوِيلَ التَّنْ

بطول المقام أشبهه بالاستغناء لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك فكان الاعشى أراد اني كنت ملازماً لوطى مقياً بين أهلي لا أسافر للاتجاع والطلب ويجرى قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت الانصاري

أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْجَوَادِ الْمُفْضِلِ

أراد بقوله حول قبر أبيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محاطهم وأوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يزم على القرآن فلا يتجاوز به الى غيره ولا يتمناه الى سواء ويتخذ معنى ومنزلاً ومقاماً فليس منا فان قيل أليس يتعدى القرآن الى السنة والاجماع وسائر أدلة الشرع فكيف يحظر علينا تعدينا عليه قلنا ليس في ذلك تعد للقرآن لان القرآن دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من أدلة الشرع فمن اعتمد بعضها في شيء من الاحكام لا يكون منجاوزاً للقرآن وأما قوله عليه الصلاة والسلام ليس منا فقد قيل فيه انه لا يكون على أخلاقنا واستشهد بيت النابغة

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي

ومن الحوادث لأبالك اتى

لا أحتسدي فيها لموضع تلمعة

كان كف في آخر عمره فهو يقول ذلك

ماذا أو مل بعد آل محرق

أهل الخورنق والديرو بارق

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم

أرض تخيرها لطيب مقياسها

جرت الرياح على محل ديارهم

فأرى النعم وكل ما يلهي به

ضربت على الأرض بالاسداد

بين العذيب وبين أرض مراد

تركوا منازلهم وبعد ايام

والقصر ذي الشرقات من سنداد

ماء الفرات يجيهم من أطواد

كعب بن مامة وابن أم دؤاد

فكأنما كانوا على ميعاد

يوماً يصبر الى بل ونفساد

•• وقيل انه أراد ليس منا أى على ديننا وهذا الوجه لا يلحق الا ببوابنا وهو بصدده
بجواب أبي عبيد أليق لانه محال ان يخرج عن دين النبي وملة من لم يحسن صوته
بالقرآن ويرجع فيه أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستحبها

[مسئلة] •• اعلم ان أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ماظهه أصحاب الرؤية في قوله تعالى
(وَجُودُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) على وجوه معروفة لأشهم بينوا ان النظر
ليس بغيد الرؤية ولا الرؤية من أحد محتملاته ودلوا على ان النظر ينقسم الى أقسام
كثيرة •• منها تغليب الحدة الصحيحة في جهة المرقى طلباً لرؤيته •• ومنها النظر
الذى هو الانتظار •• ومنها النظر الذى هو التعمق والمرح •• ومنها النظر الذى هو
الفكر والتأمل وقالوا اذا لم يكن فى أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلق
واحتجنا جميعا الى طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية وتأويلها بعضهم على الانتظار
للثواب وان كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة
وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لتمامه تعالى
عليهم على سبيل حذف المرقى في الحقيقة وهذا كلام مشروح في مواضعه وقد بينا ما يرد
عليه وما يجاب به عن الشبهة المعترضة في مواضع كثيرة •• وهنا وجه غريب فى الآية
حكى عن بعض المتأخرين لا يفتر معتمده الى العدول عن الظاهر أو الى تقدير محذوف
ولا يحتاج الى منازعهم فى أن النظر يحتمل الرؤية أولاً بحتمها بل يصح الاعتماد عليه سواء
كان النظر المذكور فى الآية هو الانتظار بالقلب أم الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى
الى ربها الى انه أراد نعمة ربها لان الآلاء النعم وفي واحدتها أربع لغات ألا مثل قفاً
وألى مثل رمي وإلى مثل ممي وإلى مثل حتى قال أعشى بكر بن وائل

أَيُّضُ لَا يَرْهَبُ الْهَزَالَ وَلَا يَقْطَعُ رُحْمًا وَلَا يَحُونُ إِلَىٰ

أراد أنه لا يحنون نعمة وأراد تعالى الى ربها فأسقط التنوين للإضافة •• فان قيل فأي
فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على انه أراد به الى ثواب ربها ناظرة
بمعنى رائية لنعمة وثوابه •• قلنا ذلك الوجه يفتر الى محذوف لانه اذا جعل الى حرفاً

ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفي الجواب الذي ذكرناه لا يقتصر الى تقدير محذوف لان فيه اسم يتعلق به الرؤية ولا يحتاج الى تقدير غيره ^(١) والله أعلم بالصواب

اعلم أن مما وقع فيه الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة رؤية الباري جل شأنه في الآخرة فأثبت الأولون جواز ذلك ووقعه ولحق المعتزلة الأمرين واعتلوا لما ذهبوا اليه من عدم جواز رؤيته تعالى بأن الرؤية تعتمد كون المرئي في جهة وكونه مقابلاً للرأى وكونه غير مفرط البعد عنه ولا مفرط القرب منه فان اختلف شرط من ذلك لم يمكن وقوع الرؤية . قالوا وكل هذه الشروط لا يمكن اعتبارها في حقه سبحانه وتعالى فلا تكون رؤيته جائزة لأن ما يتوقف على محال فوجوده محال . وبناء على القاعدة المعروفة بين المتكلمين من ان النقل اذا عارضه العقل وجب تأويله حتى يوافق العقل عمدوا الى تأويل النصوص القرآنية المصرحة بوقوع رؤيته تعالى للجماعة من المؤمنين في الآخرة لكلا تصادم العقل فتأولوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بما ذكره المصنف وتأولوا قوله تعالى لموسى (ان تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) بأنه علق الرؤية على استقرار الجبل حين تحركه واستقرار الجبل حين تحركه محال فاعلق عليه كذلك والحق الذي يجب المصير اليه أن رؤية الباري جل شأنه جائزة والآيات القرآنية التي وردت بوقوعها في الآخرة ان كان فيها بعض اجمال يسوغ التأويل فقد ورد في الأحاديث الصحيحة الصريحة مالا يمكن الطعن فيه ولا صرفه عن ظاهره ومن ذلك الحديث الذي رواه أحد وعشرون صحابياً ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فكان هذا بياناً لجمال الآيات ثم ان كون الرؤية مشروطة بما تقدم من الشروط فانما ذاك في رؤية الخوادم وكون ذلك مشروطاً في رؤيته تعالى غير معلوم وقياس الغائب على الشاهد مع اختلاف ما بينهما غير جائز والوقوف عند ظواهر الشريعة واجب ما أمكن والتسرع في التأويل لمجرد التوهم غير حيد والله الهادي

﴿مجلس آخر ٤﴾

[تأويل آية] .. ان قال قائل ما تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُولِيَنَّ إِلَّا يَأْذُرُ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ﴾ فظاهر هذا الكلام يدل على ان الايمان كان لهم فعله باذنه وأمره وليس هذا مذهبكم وان حمل الاذن هنا على الارادة انه أن من لم يقع منه الايمان لم يرد الله منه وهذا أيضاً بخلاف قولكم ثم جعل الرب الذي هو العذاب على الذين لا يمتثلون ومن كان فاعداً عقله لا يكون مكلفاً فكيف يستحق العذاب وهو بالصدق من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أكثر أهل الجنة بله .. الجواب يقال له في قوله تعالى الا باذن الله وجوه .. من يكون الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان الايمان لا يقع إلا بعد ان يأذن الله فيه وبه ولا يكون معناه ما ظنه السائل من أنه لا يكون للفاعل فعله الا باذنه ويجري هذا مجرى قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ومعلوم ان معنى قوله ليس لها في الآية هو ما ذكرناه وان كان الاشبه في هذه الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون اما بالاذن العلم .. ومنها أن يكون الاذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة في الله يوفق لفعل الايمان ويلتفت فيه ويسهل السبيل اليه .. ومنها أن يكون الاذن من قولهم أذنت لكذا وكذا اذا سمعته وعلمته وأذنت فلانا بكذا اذا أعلمته فكما فائدة الآية الاخبار عن علمه تعالى باثر الكائنات فانه من لا يخفى عليه الخفيات .. وأنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الذال عبارة عن وزعم ان الذي هو العلم الاذن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر

« إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذْنٌ »

وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن هو المصدر والاذن هو اسم الفاعل فيجري مجرى الحذر والحذر في انه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يسموعا الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل مَثَلٍ ومَثَلٍ وشَبَّ وشَبَّ ونظائر ذلك كثيرة .. ومنها أن يكون الاذن العلم ومعناه إعلام الله المبكفين بفضله والايمان وما يد

الى فعله ويكون معنى الآية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله لها بما يعينها على الايمان وما يدعوها الى فعله . . فلما ظن السائل دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل لان الاذن لا يحتمل الارادة في الثلاثة ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهمه لانه اذا قال ان الايمان لا يقع إلا وأنا سر يد له لم ينتف أن يكون سر يد لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا دلائل شيء من ذلك . . وأما قوله تعالى ويحمل الرجس على الذين لا يعقلون فلم يعم بذلك الناقص العقول وانما أراد الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ماوجب عليهم علمه من معرفة الله خالفهم والاعتراف بنبوة رسوله والانقياد الى طاعتهم ووصفهم تعالى بأنهم لا يعقلون تشبيها كما قال تعالى صم بكم عمي وكما يصف أحداً من لم يفتن لبعض الامور أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل . . فلما الحديث الذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل انه عليه السلام لم يرد بالبله ذوى الفطنة والنقص والجنون وانما أراد البله عن الشر والتبجح وسبهم بها عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يستادونه لامن حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيهه من هذه حاله بالابله ظاهر فان الابله عن الشيء هو الذي لا يمرض له ولا يقصد اليه فاذا كان المنتزعه عن الشر معرضاً عنه هاجراً لفعله جاز ان يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التذويل قول الشاعر

وَلَقَدْ لَهَوْتُ بِطِفْلَةٍ مِثَالِهَا بِلَهَاءِ تُطْعَمُنِي عَلَى أَسْرَارِهَا

أراد انها بلهاء عن الشر والريبة وان كانت طفلة لغيرها . . وقال أبو النجم العجلي

مِنْ كُلِّ عَجْزَاءٍ سَقُوطِ الْبَرْقِعِ بِلَهَاءِ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعْ

أراد بالبلهاء ما ذكرناه . . فلما قوله سقوط البرقع فإراد انها تبرز وجهها ولا تستره فنة بحسنه وادلالاً بجماله وقوله لم تحفظ أراد ان استقامة طرائقها تفنى عن حفظها وانها اضاعها ونزاعها غير محتاجة الى استد وموقف وقوله لم تضيع أراد انها لم تهمل في أغذيتها وتغيمها وترفعها فتشقى ومثل قوله سقوط البرقع . . قول الشاعر

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلَتْ وَجُوهَ زَهَّاءَ الْحُسْنِ أَنْ تَتَقَنَّمَا

. . ومثله أيضاً

بَهَا شَرَقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ أَطَارَتْ مِنَ الْحُسْنِ الرِّدَاءُ الْمُحِبَّرَا

أى رمت بها عنها ثفة بالجمال والكمال .. ومثله وهو ملبح

لَهَوْنَا بِمَنْجُولِ الْبَرَاقِعِ حُقْبَةً فَمَا بَالُ دَهْرِ لَزْنَا بِالْوَصَاوِصِ

أراد بمنجول البراقع اللاتي يوسعن عيون براقعن ثفة بمحسنتين ومنه الطغنة التجلاء والعين التجلاء ثم قال ما بال دهر أحوجنا واضطرنا الى القباح اللواتي يضيقن عيون براقعن لقبهمن والوصاوص هي الثقب الصغار للبراقع .. وما يشهد للمعنى الاول الذى هو الوصف بالبله لايمنى الغفلة قول ابن الدمينه

بِمَالِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهْ يَمُضُ الْأَذَى لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ

ويروى بفسى وأهلي

وَلَمْ يَتَذَرِ عُدْرَ الْبَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ سَكَنَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبٌ

.. ومثله

أَحِبُّ اللَّوَاتِي فِي صِبَاهُنَّ غِرَّةٌ وَفِيهِنَّ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ طِمَاحٌ

مِيرَاتُ حُبِّ مُظْهِرَاتُ عِدَاوَةٍ تَرَاهُنَّ كَالْمَرْضَى وَهُنَّ صَحَاحٌ

.. ومثله

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِي كَبَدِ الْمَشَى نَحْيٌ وَبَلَّةٌ أَحْلَامُهُنَّ وَسَامٌ

.. أما قوله - يكتبين - فأخوذ من لفظ الكبا وهو العود أراد يتخزن به والينجوج هو العود وفيه ست لغات • ينجوج • وأنجوج • وبلنجوج • وألنجوج • وبلنجج • وألنجج • فاما كبد المشى فهو ضيقه وشدة .. ومنه قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) وقد روى في كبة المشى والمعنى متقارب لان الكبة هي الصدمة مأخوذ من كبة الحبل وأما الوسام فهي الحسان من الوسامه وهي الحسن .. ويمكن ان يكون في البله جواب آخر وهو ان يحمل على معنى البله الذى هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ويكون معنى

الخير ان أكثر أهل الجنة الذين كانوا بها في الدنيا فسدنا ان الله ينعم الاطفال في الجنة
والجنانين والبهائم وانما لم نجعلهم بها في الجنة وان كان ما يصل اليهم من التميم على سبيل
الموض أو التفضل لا يقتصر الى كمال العقل لان الخير ورد بان الاطفال والبهائم اذا دخلوا
الجنة لم يدخلوها الا وهم على أفضل الحالات وأكلها ولهذا صرفنا البله عنهم في الجنة
ورددناه الى أحوال الدنيا والا فالعقل لا يمنع من ذلك كنهه إياه في باب الثواب والعقاب
[تأويل آية أخرى] . قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة (ذلك يوم يجمع الله الناس
وذلك يوم مشهود وما تؤخروه الا لأجل مهلود يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بأذنه)
• وقال في موضع آخر (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) • وفي موضع آخر
(وأقبل بعضهم على بعض يتسألون) وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف لان بعضها ينهي
عن أن النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينهي عن خلافه • وقد قال
قوم من المفسرين في تأويل هذه الآيات إن يوم القيامة يوم طويل تمتد فقد يجوز ان
يمنع النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض آخر وهذا الجواب يضعف لان الإشارة الى
يوم القيامة بطوله فكيف نجعل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التأويل يجب ان يكون
قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك ^(١) • والجواب السيد
عن هذا أن يقال انما أراد الله تعالى نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون
(١) اعلم ان اليوم في لغة العرب قد يستعمل مراداً به بياض النهار من حين طلوع
الشمس الى غروبها وذلك اذا أضيف الى فعل له امتداد كقولك صمت يوماً فان الصوم
وهو الامساك تمتد فيراد باليوم بياض النهار وقد يراد به مطلق الوقت أي ساعة كان من
ليل أو نهار كما تحول جثثك يوم السبت وزرثك يوم قدم زيد فها هنا المراد باليوم مطلق الوقت
ولا يصح ارادة المعنى الأول وفي الآية المضاف الى اليوم النطق منفياً وهو فعل غير
ممتد فيكون المراد باليوم مطلق الوقت قل أو أكثر فلا تكون هذه الآية منافية لما حكى
الله عنهم من قولهم (ربنا أمثنا اثنين وأحييتنا اثنين) وقولهم (ربنا أخرجنا منها)
الى غير ذلك مما أخبر الله عنهم من قولهم وهذا الجواب لا يحتاج الى تكلف تقدير
لا ينطقون في بعضه حتى يكون خلاف الظاهر كما توهم المصنف

لهم في مثله عذر أو حجة ولم ينف التعلق الذي لبست هذه حاله ويجرى هذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجة وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئاً وإن كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي نفى عنه القول قد تكلم بكلام كثير خفي إلا أنه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذي حكىناه عليه ومثل هذا قول الشاعر

أُصْبِي إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجْتُ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِذْرُ
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقُرْ

.. وقال الآخر

لَقَدْ طَالَ كَيْثَمَانِيكَ حَتَّى كَأَنِّي بَرَدَ جَوَابِ السَّائِلِ عَنْكَ أَغْنِمُ

وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف لان التساؤل والتلاؤم لاحجة فيه .. وأما قوله تعالى ولا يؤذَنُ لهم فيعتذرون فقد قيل ^(١) أنهم غير مأورين بالاعتذار فكيف يعتذرون ويحجب بحمل الاذن على الامر وانما لم يؤسروا به من حيث كانت تلك الحال لان تكليف فيها والعباد ملجئون عند مشاهدة أحوالهم الى الاعتراف والاقرار .. وأحسن من هذا التأويل ان يحمل يؤذن على معنى انه لا يستمع لهم ولا يقبل عذرهم والعلة في امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها

[تأويل خبر] .. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا الدهر فان الدهر هو

(١) هذا الاستشكال ساقط لا محل له ومنشأ توهم المتوهم انه ظن لرفع يعتذرون المقرون بالفاء مع كونه بعد النفي انه منقطع عما قبله وان المعنى وهم يعتذرون ولم يؤذن لهم بالاعتذار وليس كما توهم وانما هو مرتبط بما قبله والمعنى ولا يؤذن لهم بالاعتذار مما كان منهم حتى يعتذروا وهو عطف على يؤذن وانما رفع لأنه رأس آية فرق بينه وبين ما قبله من رؤس الآي والرفع والنصب جائزان في مثل هذا كما في قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) قرئ بالرفع والنصب جميعاً

الله .. وقد ذكر قوم في تأويل هذا الخبر ان المراد به لا تسبوا الدهر فانه لا فعل له وان الله مصروفه ومديره خذف من الكلام ذكر المصروف والمدير وقال هو الدهر .. وفي هذا الخبر وجه آخر هو أحسن من ذلك الذي ذكرناه وهو ان المصحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من أفعال الله كالمرض والماقية والجذب والخصب والبقاء والفناء الى الدهر جهلا منهم بالصانع جلّت عظمته ويذمون الدهر ويسبونه في كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم هذه الأفعال فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون أنه الدهر فان الله تعالى هو الفاعل لها .. وانما قال ان الله هو الدهر من حيث نسبوا الى الدهر أفعال الله وقد حكي الله سبحانه عنهم قولهم ما هي الاحياء الدنيا تموت ونهيا وما يهلكنا الا الدهر .. وقال لبيد

فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَأَبْتَمَلَ
أَيُّ دَعَا عَلَيْهِمْ .. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ قُرَيْشٍ

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تَسْمِينَ حَبَّةً خَلَمْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ لَجَامِي
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْمَصَا أَوَّهْ ثَلَاثًا بِمَدَّهِنٍ قِيَامِي
رَمْتَنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ بَيْنَ يَزْمِي وَلَيْسَ بِرَأْمِي
فَلَوْ أَنَّهَا نَبِلَتْ إِذَا لَا تَقِيَّتُهَا وَلَكِنِّي أَرْمِي بِغَيْرِ سِهَامِ
إِذَا مَا رَأَى النَّاسُ قَالُوا لَمْ تَكُنْ جَلِيدًا حَدِيدَ الطَّرْفِ غَيْرِ كِهَامِ
وَأَفْنَى وَمَا أَفْنَى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً وَلَمْ يُغْنِ مَا أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظَامِ
وَيَهْلِكُنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامِ

.. وقال الأسيدي ذم أعرابي رجلا فقال هو أكثر ذنوبا من الدهر وأشدّ فراه
حَتَّنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَذْنُو لَيْصِيدِ

قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقِيْدًا أَنِي بِقِيْدٍ

•• وقال كثير

وَكَنتُ كَغَدِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيْحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ

•• وقال آخر

فَاسْتَأْمَرَ الدَّهْرُ النَّدَاةَ بِهِمْ وَالدَّهْرُ يَرْمِيْنِي وَمَا أَرْمِي
يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَمْتَنَا بِسَرَاتِنَا وَوَقَرْتَ فِي الْعَظَمِ

قوله -وقرت في العظم- أراد به اتخذت فيه وقراً أو وقيرة والوقرة الحفيرة العظيمة تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب أيضاً كذلك والوقيرة أيضاً الحفيرة إلا أنها دون الأولىين في الكبر وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم نسبوا أفعال الله التي لا يشاركه فيها غيره إلى الدهر لحسن وجه التأويل الذي ذكرناه

[مثله] •• أعلم أن المنافع التي عرض الله تعالى الأحياء لها ثلاث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب •• فاما المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولما عليها أن يفعلها وله أن لا يفعلها •• وأما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها •• وأما منفعة الثواب فهي المدح -تحقق على وجه التعظيم والتبجيل •• فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكأن التفضل أصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ماعداً لانه لا سبيل للمنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حياً له شهوة والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل فقد صح أنه لا سبيل إلى النفع بمنفعة العوض والثواب إلا بعد تقدم التفضل •• فاما المنفعة بالثواب فهي الأصل للمنفعة بالعوض لان الآلام وما جرى مجرى الآلام مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضي إلى الثواب ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى عندنا مجرى العيب ولهذا نقول ان الله تبارك وتعالى لو لم يكلف أحداً من المكلفين ما كان يحسن منه أن يتديء بالآلام وان عوض عليها والأحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع الثلاث •• ومنهم

من عرض لاثنتين ومنهم من عرض لواحدة والمكلف المعرض للثواب لابد أن يكون منقوعاً
 بالفضل من الوجه الذي قلناه لأنه إذا خلق حياً وجعل له القدرة والشهوة والعقل
 وضروب التحسين فقد نفع بالفضل وليس يجب فيمن هذه حاله أن يكون منقوعاً بالمعوض
 لأنه لا يتبع أن يخلو المكلف منا من ألم يتدوّه الله به فلا يكون معرضاً للمعوض حتى
 عرض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعاً على تعريضه لاثنتين من
 المنافع وبحوزة تكامل الثلاث له . فاما من ليس بمكلف فمقطوع في تعريضه على إحدى
 المنافع وهي الفضل من حيث خلق حياً ومكن من كثير من المنافع ومشكوك في تعريضه
 للمعوض من الوجه الذي بينا وكما قطعنا على أحد المنافع فيه فمن قاطعون أيضاً على
 نفي التعريض للثواب عنه لفقد ما يوصل إليه وهو التكليف ولا بد في كل حيّ حدث
 أن يكون معرضاً لإحدى هذه المنافع أو جميعها وإنما أوجبنا ذلك من جهة حكمة
 التقديم تعالى لامن جهة أنه يستحيل في نفسه وإنما قلنا ليس بمستحيل لأن كونه حياً
 وعاقلاً وذات شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وإنما يكون منفعة ونعمة إذا فعل تعريضاً
 للنفع فاما إذا فعل تعريضاً للضرر أو لوجه من الوجوه فإنه لا يكون منفعة ولا نعمة
 وأوجبناه من جهة حكمة التقديم لأنه إذا جعل الحميّ بهذه الصفات فلا يخلو من أن يكون
 أراد بها نفعه أو ضرره أو لم يرد بها شيئاً فإن كان الأول فهو الذي أوجبناه وإن كان الثاني
 أو الثالث فالقديم تعالى منزّه عنهما لأن الثاني يجري مجرى الظلم والثالث هو العبث بعينه
 وقد بشارك التقديم تعالى في النفع بالفضل والمعرض الفاعلون المحدثون ولا يصح أن
 يشاركوه في النفع بالثواب لأن الصفة التي يستحق المكلف لكونه عليها الثواب وهي
 كون الفعل شاقاً عليه لا يكون إلا من قبله تعالى وليس لأحد أن يظن فيمن يهدي
 إلى الدين والزهد إلى الإيمان وما يستحق به الثواب أنه معرض للثواب وذلك أن
 المكلف قد يكون معرضاً للثواب ويصح أن يستحقه من دون كل بداية وإرشاد يقع
 منا ولولا الصفة التي جعله الله عليها لم يصح أن يستحقه فإن الفضل بين الأمرين على
 أن أحدهما وإن نفع غيره بالفضل والتعريض للمعوض فهذه المنافع منسوبة إلى الله
 تعالى ومضافة إليه من قبل أنه لولا لعمه ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نصاً ألا ترى

الشَّمْسُ طَالِمَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ

.. وقال يزيد بن مفرغ الحميري

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي النِّعَامَةِ

.. وهذا صنيعهم في وصف كل امرئ جل خطبه وعظم موقعه فيصفون النهار

بالظلام وان الكواكب طلعت نهاراً لفقد الشمس وضوئها .. قال النابغة

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِمَةٌ لَا الثُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ

.. وقال طرفة

إِنْ تُسَوِّلُهُ فَقَدْ تَمَنَّمَهُ وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ

.. ومن هذا قولهم لأربيتك الكواكب بالنهار ومعناه أورد عليك ما يظلم لفي عينك النهار

فتظنه ليلاً ذاكواكب .. وأما بيت جرير فقد قيل في انتصاب القمر والنجوم وجوه ثلاثة

.. أحدها أنه أراد الشمس طالمة وليست مع طلوعها كاسفاً نجوم الليل والقمر لأن عظم الرزة

قد سلها ضوءها فلم ينافي طلوعها ظهور الكواكب .. والوجه الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما

ينتصب في قولهم لا أكلك الأبد والدهر وطوال المد .. وما جرى مجرى ذلك فكانه أخبر

بأن الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر .. والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم

الليل باكين الشمس على هذا المرقى فكشهن أي غلبهن بالبكاء كما يقال باكاني عبد الله

فبكيت وكثرتي فكشته أي غلبته وفضلت عليه .. وثالثها أن يكون معنى الآية الاخبار عن أنه

لا أحد أخذ بنارهم ولا انتصر لهم لأن العرب كانت لا تبكي على قتل إلا بعد الأخذ

بشاره وقتل من كان بواء به من عشيرة القاتل فكشني تعالي بهذا اللفظ عن فقد الانتصار

والأخذ بالنار على مذهب القوم الذين خوطبوا بالفرآن .. ورابعها أن يكون ذلك كناية

عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء ويطلق هذا التأويل ماروي

عن ابن عباس في قوله تعالى ما بكت عليهم السماء والأرض قيل له أويكيان على أحد

قال نعم مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء .. وروى أنس بن مالك عن النبي صلى

الله عليه وسلم أنه قال قال مامن مؤمن الا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا

مات بكيا عليه ومعنى البكاء هنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بصد
 .. قال ابن مقبل

لعمري أيلك لقد شافني مكان حزنك له أو حزن

.. وقال مزاحم الغنيلي

بكت دارهم من أجلهم فتهللت دموعي فأي الجازعين اليوم
 أمستبرأ يسكي من الهون واليلا وآخر يسكي شجوه ويستم

فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقام صالح في الأرض ولا عمل
 كريم يرفع إلى السماء جاز أن يقال فابكت عليهم السماء والأرض .. ويمكن في الآية وجه
 خامس وهو أن يكون البكا فيها كناية عن المطر والقيالان العرب تشبه المطر بالبكاء
 ويكون معنى الآية أن السماء لم تسق قبورهم ولم تجذ عليهم بالتطر على مذهب العرب
 المشهور في ذلك لأنهم كانوا يستسقون السحاب لفور من قدودهم من أمهاتهم ويستنبئون
 لمواضع حفرهم الزهر والرياض .. قال النابغة

فمما زال قبر بين تبني وجاسم عليه من الوسمي ظل وأابل
 فثبت حوذانا وعوفا منورا ساء تبعه من خير ما قال قائل

وكانوا يمجرون هذا الدعاء مجرى الاستحرام ومثله اللهم الرضوان والفعل الذي أضيف
 إلى السماء وإن كان لا يجوز إضافته إلى الأرض فقد يصح عطف الأرض على السماء بأن
 (١) - بني - بضم أوله وسكون ثانيه مقصور بلدة بمحوران من أعمال دمشق وقال ابن
 حبيب بنى قرية من أرض النية لقسان قال ذلك في تفسير قول كثير

أكاريس حلت منهم مرج راهط فأكناف بني مرجها فتلاها

كان القبان العر وسط بيوتهم لعاج مجو من رماح حلالها

- وجاسم - موضع آخر بالشام دفن بين هذين الموضعين أحد آل جفنة فراء النابغة
 - وطل - برى ببلدة جود - والوسمي - مطر الربيع الاول ويقال للمطر الثاني الولي لأنه يلي

يَقْدِرُ لَهَا لَعْلَ يَصِحَّ نَسَبُهُ إِلَيْهَا وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا ٠٠ قَالَ الشَّامِيُّ

يَأْتِيَتْ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّبًا سَيْفًا وَرُمْحًا

فصطف الرمح على السيف وإن كان الثقل لا يجوز فيه لكنه أراد حامله رمحاً ومثله هذا يقدر في الآية فيقال إنه تعالى أراد أن السماء لم تسق قبورهم وإن الأرض لم تشب عليها وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله ورضوانه

[تأويل خبر] ٠٠ روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل أدومها وإن قل فعليكم من الأعمال بما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تموتوا وفي وصفه تعالى بالثلل وجوه أربعة أولها أنه أراد نفي الملل عنه وأنه لا يمل أبداً فعملته بما لا يقع على سبيل التبديد كما قال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) ٠٠ وقال الشامي

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تَنَاهِي إِذَا مَا شِئْتَ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ

أراد أنك لأنحك أبداً ٠٠ فإن قيل ومن أين قلتم أن ما علته به لا يقع حتى حكتم بأنه أراد نفي الملل على سبيل التأييد ٠٠ قلنا معلوم أن الملل لا يشتمل البشر في جميع آراهم وأوطارهم وأنهم لا يعرفون من حرم ورجية وأمل وطمع فلهذا جاز أن يعلق ما علم تعالى أنه لا يكون بملهم ٠٠ والوجه الثاني أن يكون المعنى أنه لا يفضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرجية في حاجاتكم إلى جوده فسمى الفعلين مللاً وإن لم يكونا في الحقيقة كذلك على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم غيره إذا وافق معناه من بعض الوجوه ٠٠ قال عدي بن زيد العبادي

ثُمَّ أَضْحَوْا لَيْبَ الدَّهْرِ بِهَمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يُؤْدِي بِالرِّجَالِ

٠٠ وقال عبيد بن الأبرص الأسدي

سَأْتِلُ بِنَا حَجْرَ أَيْنِ أُمِّ قَطَامٍ إِذَا ظَلَّتْ بِهِ السَّمَرُ الذَّوَابِلُ تَلْبُ

(١) - حجر بن أم قطام هو حجر بن عمرو الكندي أبو امرئ القيس الشامي وكان حجر هذا ملك على بني أسد فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً فاشتروا منه فارساً (٦ - أمالي)

فلسب اللب الى الدم، والقنا تشبهاً .. وقال ذو الرمة

وَأَبْيَضُ مُوشَى الْقَمِيصِ نَصْبَتُهُ عَلَى خَصْرِ مِقْلَةٍ سَفِيهِ جَدِيلُهَا

فسمى اضطراب زمامها وشدة تحركه سفهاً لأن الفه في الأصل هو الطيش وسرعة الاضطراب والحركة وانما وصف ناقه بالذكاء والنشاط .. وأما قوله - وأبيض موشي القميص - فانما عني سيفه وقبضه جفنه والمقلاة الناقه التي لا يعيثر لها ولد * والوجه الثالث أن يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم فضله واحسانه حتى تمثلوا من سؤاله فقطعهم مال على الحقيقة وسمى فعله مللاً وليس بمل على الحقيقة للازدواج ومشكلة اللفظتين في الصورة وان اختلفتا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى (فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) .. وجزاء سيئتكم سيئةً مثلها) .. ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم التغلبي

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلْ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

وانما أراد المجازاة على الجهول لان العاقل لا يضجر بالجهل ولا يتدح به .. واتوجه الرابع أن يكون الراوي وهم غلط من الفتح الى الضم وان يكون قوله يُمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان أحدهما انه لا يعاقبكم بالار حتى تمثلوا من عبادته وتعرضوا

اليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى فدوا عبيد العصي وأسر منهم جماعة فيهم كعب بن الأشرف والأسدي فقام بين يدي الملك .. فقال

يَا عَيْنَ قَابِكِي مَا بَنِي أَسَدُهُمْ أَهْلُ الدَّمَامَةِ

أَهْلُ الْقَبَابِ الْحُرِّ وَالسِّنْعِ الْمَوْبِلِ وَالْمَدَامَةِ

فِي كُلِّ وَادٍ بَيْنَ يَدَيْهِ رَبِّهِ وَالْقَصُورِ إِلَى الْبِيَامَةِ

تَعْرِيبَ هَانَ أَوْ صِيَا حِمْيَرٍ وَزَقَاءَ هَامَةِ

أَنْتَ الْمَلِيكُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْعَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ

فرحمهم الملك وعفا عنهم وسرحهم الى بلادهم ثم أنهم أغاروا عليه في غرة منه فقتلوه واستولوا على أمواله فقال عبيد عدة قصائد يفتخر بذلك

عن طاعته لان الملة هي مشتوي الخبز يقال مل الرجل الخبزة وغيرها يملها اذا اشتواها في الملة وقيل ان الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماده والمعنى الثاني أن يكون أراد انه لا يسرع الي عقابكم بل يحلم عنكم رفقاً وحتى تملوا حلمه وتستعملوا عذابه بركوبكم المحارم وتنايكم في المآثم .. وروي انه قيل للفرزدق هل حدث أحداً على شيء من الشعر فقال لا لم أحد على شيء منه إلا ليلي الأخيلية في قولها

وَمُغْرَقِي عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَاثُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمَا
حَتَّى إِذَا رُفِعَ الْأَوِيُّ رَأَيْتُهُ تَحْتَ اللَّوِيِّ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمَا^(١)
لَا تَقْرَبَنَّ الذَّهْرَ آلَ مُطَرَفٍ لَا ظَالِمًا أَبَدًا وَلَا مَظْلُومًا

.. قال على أنني قد قلت

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَاتَرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالصَّابِ
سَرَّوْا يَحْطُطُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تَلْفُهُمْ إِلَى شُجْبِ الْأَكْوَادِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
إِذَا ابْصَرُوا نَارًا يَقْوَاوْنَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارَ غَالِبٍ^(٢)

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلي بل هي أجزل الفاظاً وأشد أسراً إلا أن أبيات ليلي أطبع وأنصع .. وقد كان الفرزدق مشهوراً بالحسد على الشعر والاستكثار لقلبه والافراط في استعجان مستحسنة .. وروي ان الكميت بن زيد الأسدي رحمه الله لما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته التي أولها

(١) - اللوى - اللواء سمي بذلك لأنه يلوى به يقال ألوى الرجل بشيء اذا أشاح به - والخميس - الجيش لأن له خسة أركان مقدمة وذخرة وقلب وجناحان - والزعيم - الكفيل بالأمر القائم به

(٢) - خصرت - أصابها الخصر وهو شدة البرد - وغالب - أبو الفرزدق .. يقول انهم يمتنون اذا أبصروا ناراً أن تكون نار غالب لانهم يرون عندها من القرى مالا يرون عند نار أخرى

أَتَصْرِمُ الْجَبَلَ جَبَلَ الْبَيْنِ لَمْ أَمْ تَصْلُ فَكَيْفَ وَالشَّيْبُ فِي فَوْدَيْكَ مُشْتَمِلٌ
والآيات

لَمَّا عَبَاتَ لَقَوْسَ الْمَجْدِ أَسْهُمَهَا حَيْثُ الْجَدُّ دَعَى الْأَحْسَابِ تَتَصْلُ
أَحْرَزْتَ مِنْ عَشْرَهَا تَسَاوُ وَاحِدَةً فَلَا الْمَعَى لَكَ مِنْ رَامٍ وَلَا الشَّلُّ
الشمسُ إِيَّاكَ إِلَّا أَنَّهَا امْرَأَةٌ وَالْبَذْرُ إِيَّاكَ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ

حده الفرزدق فقال له أنت خطيب وإنما سلم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر ولما بهره من حسن الايات وأفرط بها اعجاباه ولم يتمكن من دفع فضاها جملة عدل في وصفها الي معنى الخطابة •• ووجد الفرزدق على الشعر واعجاباه به من أدل دليل على حسن تقدمه وقوة بصيرته فيه وإن كان يطرب للعجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل أيضاً على انصافه فيه وأنه مستقل للكثير الصادر من جهته فإن كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى والاعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر وفضل الى أن يعدوا عن محاسن غيرهم ويستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير •• ولايات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول •• أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال لسليمان للفرزدق أنشدني فأنشده الايات التي تقدم ذكرها فأسود وجه سليمان وغاضه فقله وكان يظن أنه ينشده مديحاً له فلما رأى نصيب ذلك قال ألا أنشدك فأنشده

أَقُولُ لَرَكِبٍ قَافِلِينَ لَقَيْتُهُمْ قَفَاذَاتٍ أَوْشَالَ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ
فَقُوا خَبَرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لَمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانٍ طَالِبُ
فَعَا جُؤَافًا ثَنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَنُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

فقال له سليمان أنت أشعر أهل جلدتك •• وفي بعض الاخبار ان الفرزدق قال ذلك في نصيب لما سأله عنه سليمان •• وروي أيضاً أنه لما أنشد نصيب أبياته قال له سليمان

أُخْبِلْتُ وَوَصَلَهُ وَلَمْ يَصِلِ الْفَرَزْدَقُ فَخَرَجَ الْفَرَزْدَقُ وَهُوَ يَقُولُ

وَحَبِزُ الشَّعْرَاءِ كَرَمُهُ رَجَالًا وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالِ الْعَبِيدُ

ولا شبهة في أن أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرسالة على أبيات نصيب وإن كان نصيب قد أغرب وأبدع في قوله * ولو سكتوا أنبت عليك الحقائق * إلا أن أبيات نصيب وقعت موقعها ووردت في حال تليق بها وأبيات الفرزدق جاءت في غير وقتها على غير وجهها فلهذا قدمت أبيات نصيب والفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الذروة العلية والغاية القصوى شريف الآباء كريم البيت له ولآبائه ما أثر لا تدفع ولا تتجحد والفرزدق لقباً لقب به وليس باسمه وإنما لقب به للجهامة وجهه وغلظه لأن الفرزدقة هي القطعة الضخمة من العجين وقيل أنها الخبز الغليظة التي تستخدمها النساء الفتوت * * واسمه هام بن غالب وكنيته أبو قراس وقيل إنه كان يكنى في شبابه بأبي مكية^(١) وهي أغرب كناه * * وكان شيعياً مائلاً إلى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين عن أنه لم يكن في خلال فسقه منسلخاً من الدين جملة ولا مهملاً أمره أصلاً * * ومما يشهد بذلك ما أخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي عن أبي حفص الغلاس عن عبد الله ابن سوار عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت أحادثه فسمعت صوت حديد يتقطع فتأملت الأمر فإذا هو مقيد الرجلين فسألت عن السبب

(١) كنى بذلك يئذ له اسمها مكبة . وكانت كأبها حاضرة الجواب خيشة اللسان
فيقال ان رجلا قرع باب الفرزدق يسأل عنه وكان مقطوع اليد فخرجت اليه مكبة
فسألتها عن أبيها فقالت انه خرج في بعض حاجه ثم قالت مالي ارى يدك مقطوعة فقال
قطعها الحروية فقالت بل قطعت في الاصوصية فانصرف الرجل خجلا ثم جاء الفرزدق
فأخبر بذلك فقال أشهد انها بنتي حقاً ثم أنشأ يقول

سام اذا ما كنت ذا حبه بدارمي بشه صديه صمصح یکنی اباکبه
وكانت تکیه هذه من زنجیه

في ذلك فقال اني آليت على نفسي اني لا أنزع القيد من رجل حتى أحفظ القرآن
 .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال أخبرنا ابن أبي
 الدنيا قال أخبرنا الزياتي عن الأصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام
 تغذف المحصنات فقال والله الله أحب الي من عيسى هاتين أفترأ يعذبي بسدها
 .. وروى أنه تعلق باستار الكعبة فعاهد الله علي ترك الهجاء والقذف اللذين كان
 ارتكبهما .. وقال

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي لَبَيْنَ رِتَاجٍ فَأَتَمًّا وَمَقَامٍ
 عَلَى حَلْقَةٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا أَخَارِجُ أَمِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ
 أَطْعَمْتُكَ يَا إِبْلِيسَ تَسْعِينَ حَبَّةً فَلَمَّا قَضَى عَمْرِي وَتَمَّ تَمَامِي
 فَرَعْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيَقَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ لَأَيَّامِ الْحَتُوفِ حِمَامِي

.. وروى السولي عن الحسين بن الفياض عن إدريس بن عمران قال جاءني الفرزدق
 فتذاكرنا رحمة الله ومعها فكان أولفقنا بالله فقال له رجل ألاك هذا الرجاء والمذهب
 وأنت تغذف المحصنات وتفعل ما تفعل فقال أروني لو أذنبت ذنباً إلى أبوي أكانا يغذفاني
 في نور وتطيب أنفسهما بذلك فقالنا لا بل كانا يرحمانك قال فأنا والله برحمة ربي أوثق
 مني برحتهما .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا
 عبد الله بن أبي سعيد الوراق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان العفلاوي قال حدثني
 أبي عن جدي قال شهدت الحسن البصري في جنازة النوار امرأة الفرزدق وكان
 الفرزدق حاضراً فقال له الحسن وهو عند القبر يا أبا فراس ما أعددت لهذا المضجع قال
 شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن هذا العمود فإني الطنب .. وفي
 رواية أخرى أنه قال نعم ما أعددت ثم قال الفرزدق في الحال

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي أَشَدَّ مِنَ الْمَوْتِ التَّهَابُورَ ضَيْقًا
 إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنِيْفٌ وَسَوَاقٍ بِسُوقِ الْفَرَزْدَقَا

لَقَدْ خَابَ مَنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَقُولَ الْقِلَادَةِ أَزْرَقًا
يُقَادُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسْرَبَلًا سَرَايِلَ قَطْرَانٍ لِبَاسًا مُحَرَقًا

• قال فرأيت الحسن يدخل بهن في إمام ثم قال حبيبك • • ويقال إن رجلا رأى
الفرزدق بعد موته في منامه فقال ما فعل الله بك فقال عفا عني بتلك الابيات • • وأما
ما بدل علي تشيعه وميله الى بنى هاشم فما أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمرو
ابن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال
حدثنا أبو ليلى قال جاء الكميث الى الفرزدق فقال يا عمم اني قد قلت قصيدة أريد أمرضا
عليك فقال له قل • • فأنشد •

* طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ *

فقال له الفرزدق قالي من طربت تكلتك أمك فقال

* وَلَا لَعِبًا مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ *

وَلَمْ تَلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَزَلٍ وَلَمْ يَتَطَرَّنِي بَنَانٌ مُخَضَّبٌ

فقال له إلام طربت فقال

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرُ هَمُّهُ أَصَاحَ غُرَابٍ أَمْ تَمَرَّضَ ثَعَابٌ

[قال المرتضى رضى الله عنه] • • تقف على الطير ثم تبندى بهمه ليعلم الغرض

وَلَا السَّاعَاتِ الْبَارِحَاتِ عَشِيَّةٌ أَمْرَسَايِمُ الْقُرْنِ أَمْ مَرَّ أَعْظَبُ (١)

وَلَكِنْ لِي أَهْلُ الْقَضَائِلِ وَالنَّهْيُ وَخَيْرُ بَنِي حَوَاءَ وَالْخَيْرُ يُطَلَّبُ

• • قال الفرزدق هو لاء بنو دارم • • فقال الكميث

(١) - الساعات - جمع ساعة - والبارحات - جمع بارحة والساع من الطير ما

مر من مباركه الى مباركه والبارح بكه والعرب كانوا يقيمون بالساع ويشاءون
بالبارح • • ومن أمثالهم من لى بالساع بعد البارح أى بالمبارك بعد المشؤم

إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ يَجْتَبُهُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ هُوَ لَا بَنُو هَاشِمٍ فَقَالَ الْكُمَيْتُ

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ فَأَنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَارًا وَأُغْضِبُ

فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ وَاقِعُ لَوْ جَزَتْهُمْ إِلَى سِوَاهِمُ لَذَهَبَ قَوْلُكَ بَاطِلًا ۝ وَمَا يَشْهَدُ أَيْضًا ذَلِكَ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ ۝ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا جَدِّي يَحْيَى ابْنُ الْحُسَيْنِ الْعُلُوِّيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ طَالِبٍ قَالَ حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَجَّ فَاسْتَجْمَعَ النَّاسُ جِالَهُ وَتَشَوَّفُوا لَهُ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ مِنْ هَذَا فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ

هَذَا أَبْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ هَذَا النَّبِيُّ النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْعَالَمُ

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ وَالْيَتُّ يَتَرَفُّهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ

إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ

يَكَادُ يَمُكُّهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ رَكْنُ الْحَظِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

يُنْفَضِي حَيَاءً وَيُنْفَضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُسْكَتُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ

أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوَّلِيَّةِ هَذَا أَوَّلُهُ نَسَمُ

مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرُ أَوَّلِيَّةَ ذَا قَالَتَيْنِ مَنْ يَنْتَسِمُ هَذَا نَالَ الْأُمَمُ

۝ وَفِي رِوَايَةِ الثَّلَاثِ أَنَّ هَاشِمَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ حَجَّ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ الْوَلِيدِ وَهُوَ حَدَّثَ السَّنَّ فَرَادَ أَنْ يَسْتَلِمَ الْحَجَرَ فَلَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ ذَلِكَ لِتَزَاحُمِ النَّاسِ عَلَيْهِ فَجَلَسَ يَنْظُرُ خُلُوةً قَاقِلَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَرِدَاءٌ وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَأَطْيَبِهِمْ رِيحًا بَيْنَ عَيْلِيَّتِهِ سَجَادَةً كَانَتْهَا رُكْبَةٌ عَزِيزَةٌ لَمْ يَطُوفْ بِالْبَيْتِ فَإِذَا بَالِغُ الْحَجَرِ تَشَبَّهَ النَّاسُ لَهُ عَنْهُ حَتَّى يَسْتَلِمَهُ هَيْبَةً لَهُ وَاجْتِلَالًا فَقَاطَ ذَلِكَ هَاشِمًا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مَنْ هَذَا الَّذِي قَدْ هَابَهُ النَّاسُ هَذِهِ الْهَيْبَةُ فَقَالَ هَاشِمٌ لَا أَعْرِفُهُ لَكُنَّا يَرْغَبُ فِيهِ أَهْلُ

البيان فقال الفرزدق وكان هناك جاضراً لكنني أعيهفه وذكر الأبيات وهي أكثر مما
رويناه لكننا تركناها لأنها معروفة . . قال فغضب هشام وأمر بجس الفرزدق بسيفين
بين مكة والمدينة فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث إلى الفرزدق بأنني عندهم
ألف درهم وقال اعذرنا يا أبا قراس فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر منها لوصلناك
به فردّها الفرزدق وقال يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت الا غضباً لله ولرسوله وما
كنت لارزأ عليه شيئاً وردّها اليه فردّها عليه وأقيم عليه في قبولها وقال له قد
رأى الله مكاتك وعلم نيتك وشكر لك ونحن أهل بيت إذا أخذنا شيئاً لم نرجع فيه
قبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في المجلس . . وما حياء به

أَتَحْبِسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي إِلَيْهَا رِقَابُ النَّاسِ يَهْوِي مَنِيْبُهَا
يُقَابِرُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادٍ عِيُوبُهَا



جلس آخر ٦

[ان سأل سائل] . . فقال ما عندكم في تأويل قوله تعالى ﴿وَكُنْ شَاعِرٌ بَيْنَ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ وظاهر هذه الآية يقتضي أنه تعالى ما شاء أن يكونوا أمة واحدة وأن يجتمعوا على الإيمان والهدى وهذا بخلاف ما يذهبون اليه . . ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو من أن يكون عني إله للاختلاف خلقهم أو للرحمة ولا يجوز أن يعنى الرحمة لأن الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظة ذلك ولو أرادها لقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك خلقهم كان رجوعه إلى الاختلاف أولى وليس يبطل حل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكوراً فيها لأن الرحمة أيضاً غير مذكورة فيها وإذا جعلتم قوله تعالى الامن رحم دالا على الرحمة فكذلك قوله مختلفين دالا على الاختلاف على أن الرحمة هي رقة القلب والشفقة وذلك لا يجوز على الله تعالى ومتى ما تممّرت بها ما ذكرناه لم يكن بها الا العفو وإسقاط الضرر وما جرد

(٧ - أمالي)

بجرأها من مستحقه وهذا عما لا يجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لأنه لو خلقهم
للعقوب لما حسن منه عقاب المذنبين ومواخذة المستحقين .. الجواب يقال له أما قوله تعالى
ولو شاء ربك فأمّا عصى بها الميثقة التي ينضم إليها الاجزاء ولم يعن الميثقة على سبيل
الاختيار وإنما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته وأنه لا يغالب ولا يعصى مقهوراً من حيث
كان قادراً على العباد واكرامهم على ما أراد منهم .. فاما لفظة ذلك في الآية لحملها على
الرحمة أولى من حملها على الاختلاف^(١) بدليل العقل وشهادة اللفظ .. فاما دلائل العقل
فنحن حيث علمنا أنه تعالى كرم الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه
فكيف يجوز أن يكون شائئاً له وعجزاً بخلق العباد عليه .. وأما شهادة اللفظ فلأن
الرحمة أقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها
أولى في لسان العرب .. فاما ما طعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وإن
الكناية عن الرحمة لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تأنيث الرحمة غير حقيق وإذا كفى
عنها بلفظة التذكير كانت الكناية على المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا
سرّني كلنك يريدون سرّني كلامك وقال تعالى (هذا رحمة من ربي) ولم يقل هذه وإنما
أراد هذا فضل من ربي .. وقالت الخنساء

فَذَلِكَ يَاهِنْدُ الرِّزْيَةُ فَاعْلَمِي وَيَرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُوْذُهَا

أرادت الرزء .. وقال امرؤ القيس

(١) - قالت - بل الصواب أن يعود على الاختلاف لا لأن رجوع اسم الإشارة
على الرحمة غير ممكن بل لأن السياق يدل على خلافة فان الله جل شأنه ذكر صنفين من
خلقه أحدهما أهل اختلاف وباطل والآخرا أهل حق ثم عقب ذلك بقوله ولذلك خلقهم
فعمّ بقوله ذلك صفة الصنفين فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسر لما خلق له ومعنى
قوله ولذلك خلقهم على هذا أنه على علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن
والكافر والشيقي والسعيد خلقهم فاللام في قوله ولذلك بمعنى على وبهذا يندفع كل
اشكال يرد هنا

بِرَهْرَهَةٍ رَوْدَةٍ رَخْصَةٍ كَخْرُوعِيَّةِ الْبَائَةِ الْمَنْفِطِرِ^(١)

فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن .. وقال الآخر

هَيْثَا لَسَعْدٍ مَا أَقْتَضَى بَعْدَ وَقْعَتِي بِنَاقَةٍ سَعْدٍ وَالْعَشِيَّةُ بَارِدٌ

فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي .. وقال الآخر

قَامَتْ بُكْيِهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ

تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه أراد شخصاً ذا غربة .. وقال زياد الاعم

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَّاحَةَ ضُمْنَا قَبْرًا يَمْرُؤَ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِعِ

.. فقال ضمنا ولم يقل ضمنا .. قال الفراء لانه ذهب الى ان السباحة والشجاعة

مصدران والعرب يقولون قصارة الثوب بمعجمي لان تأنيث المصادر يرجع الى الفعل وهو

مذكر .. وقال الفرزدق

فَجُوبُ بَنَى الْفَلَاةَ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا الشَّاةُ فِي الْأَرْطَاةِ قَالَا

فذكر الوصف لانه أراد التيس .. فأما الارطاة واحدة الارطى وهو شجر يثبت

في الرمل تستظل بظلاله الظباء من الحر وتأوى اليه .. قال الشماخ

إِذَا الْأَرْطَاةُ تَوَسَّدَ أَبْرَدِيهِ خَدُّوْذُ جَوَازِيءٍ بِالرَّمْلِ عَيْنِ

.. وقوله - قال - من القيلولة لامن القول على ان قوله تعالى الام من رحم ربك كما يدل على

الرحمة يدل أيضاً على ان يرحم فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن يرحم كان التذكير

في موضعه لأن الفعل مذكر ويجوز أيضاً أن يكون قوله ولذلك خلقهم كناية عن

(١) - الرهرة - الناعمة البيضاء من النعمة - والرودة - البينة من قولهم رجع

رود أي لبنة - والرخصة - الفضة الناعمة - والخرعوبة - والخرعوب الغصن لسنه

أو الغصن السامي الناعم الحديث البنان

اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه أمة واحدة^(١) ولا محالة ان لهذا خلفهم وبطابق هذه الآية قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) .. وقال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ان معناه انه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم أمة واحدة وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) في انه أراد هداها الى طريق الجنة فعمل هذا التأويل أيضاً يمكن ان ترجع لفظة ذلك الى ادخالهم أجمعين الجنة لانه تعالى اتما خلفهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها .. فاما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشهوات .. وذكر أبو مسلم محمد بن عمر في قوله مختلفين وجهاً غربياً وهو أن يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين بخلف سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضاً وقولك اختلفوا وسواء قولك قتل بعضهم بعضاً واقتلوا .. ومنه قولهم لأفعل كذا ما اختلف العصران والجديدان أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنه فعل النعم والاحسان يدل على ذلك ان من أحسن الى غيره وأنعم عليه بوصف بأنه رحيم به وان لم تعلم منه رقة قلب عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يعمدون منه رقة القلب أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لان مشقة النعمة والفضل والاحسان على من لارقة عنده أكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا أن من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا أنعم وصف بذلك فوجب أن يكون معناها ما ذكرناه على أنه لا يمتنع أن يكون معنى الرحمة في الاصل ما ذكرتم ثم انتقل بالعارف الى ما ذكرناه كمنظاره وقد وصف الله القرآن بأنه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتأني في القرآن ما ظنوه وانما وصف رقة القلب بأنها رحمة لانها مما

(١) - قلت - هذا الجواب لا يخفى الا على مذهب المعتزلة الذين يجوزون على الكافر حمل شأنه أن يقع في ملكه ما لا يريد .. أما على مذهب أهل السنة فلا يصح اشكال يردتهم للاجتماع على الايمان لم يفتروا فيه

مجاوره الرحمة التي هي النعمة في الأكثر وتوجد عنده خلق على وصف الشهوة بأنها
 حجة لما كانت توجد عندها الحجة في الأكثر وليست الرحمة مختصة بالعبودية بل تستعمل
 في هروب النعم وضرب الاحسان ألا ترى أنا نصف المنعم على غيره الحسن اليه بالرحمة
 وإن لم يسقط عنه ضرراً ولم يتجاوز له عن زلة وإنما سمي العفو عن الضرر وما يجري
 مجراه رحمة من حيث كان نعمة لأن النعمة باسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بإيصال
 النعم فقد بان بهذه الجملة معنى الآية وبطلان ما ضمنه السائل سؤاله .. فان قيل اذا
 كانت الرحمة هي النعمة وعندكم أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين فاي معنى لاستثناء من
 رحم من جملة المختلفين ان كانت النعمة هي الرحمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون
 قوم وهي عندكم شاملة عامة .. قلنا لاشبهة في أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين غير ان
 في نعمه أيضاً ما يختص بها بعض العباد إما لاستحقاق أو لسبب يقتضي الاختصاص فاذا
 حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لان النعمة
 به لا تكون الا مستحقة فمن استحق الثواب بأعماله وصل الى هذه النعمة ومن لم
 يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للايمان والالتفات
 الذي وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة لانه تعالى إنما لم ينعم على
 سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه تعالى أن لهم توفيقاً وان في الافعال
 ما يختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم آخر كما
 أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه

[تأويل خبر] .. روى أبو مسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما
 أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وفي هذا الخبر وجوه
 من التأويل ثلاثة .. أحدها أن يكون معناه اذا علمت أن العمل لله وأنت لا تستحي
 من الناظرين اليك ولا تنخوفهم أن ينسبك فيهم الى الرياء صنعت ما شئت لان فكرك فيهم
 ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بمحدود حقوقه
 واذا اطرحت الفكر توقرت على استيفاء عملك .. والوجه الثاني ان من لم يستحي من
 المعاصي والمخازي والفضائح صنع ما شاء والظاهر ظاهر أمر والمعنى معنى تغليظ وانكار مثل

قوله تعالى (اعملوا ما تهم) وقوله عز وجل (فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وهذا نهاية التخليط والزجر ولاخبار عن كبر الذنب واطراح الحياء وبجرى مجرى قولهم بعد أن فعل فلان كذا فليفعل ما يشاء وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ما شاء والمعنى المبالغة في التعظيم لما ارتكبه وقبح ما اقترفه .. والوجه الثالث أن يكون معنى اظهر إذا لم تفعل ما تستحي منه فافعل ما شئت فكان المعنى إذا لم تفعل قبيحاً فافعل ما شئت لأنه لا ضرب من ضروب القذائح الا والحياء يصاحبه ومن شأن فاعله اذا قرع به أن يستحي منه ففى جانب الانسان ما يستحي منه من أفعاله فقد جانب سائر القبايح وما عدا القبيح من الافعال فهو حسن وبجرى هذا مجرى خبر عن نيتنا عليه الصلاة والسلام فيما أظنه أن رجلاً جاء فاسترشد الى خصلة يكون فيها جاع الحير فقال عليه الصلاة والسلام اشتراط عليك أن لا تكذبني ولن أسألك ما وراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبايح وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كل ما همم بقبيح يفكر ويقول أرأيت لو سألتني عنه النبي ما كنت قائل له لاني ان صدقته انقضت وان كذبتني نقضت العهد بيني وبينه فكان ذلك سبباً لاجتنابه لسائر القبايح وهكذا معنى الخبر الذي ناؤا له لان في اجتناب ما يستحي منه اجتناباً لسائر القبايح [تأويل خبر آخر] .. روى محمد بن الحنفية عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال^(١) كان قد كثرت على منابة التبتلية ثم إبراهيم في ابن عم لها قبطني كان يزورها ويختلف اليها فكان لي النبي عليه الصلاة والسلام خذ هذا السيف وانطلق به فان وجدته عندها فاقته فات يا رسول الله أكون في أمر كالسكة المحمدا أمضي لما أمرتني أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال النبي عليه الصلاة والسلام بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فأقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما أقبلت نحوه علم الى أريده فأني نخلة فرق اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشعر برجائه فإذا انه أجب أسح

(١) - قلت - في النفس من هذا الحديث أشياء وفي عبارته ركة وفي سياقه اضطراب ولم يتيسر لنا حين النظر فيه الكشف عنه والوقوف على حقيقته وأعاب الظن انه موضوع لا أصل له

ماله مما للرجال قليل ولا كثير فقدمتُ السيف ورجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم
 فأخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا الرجس أهل البيت • • [قال المرتضى] رضى الله
 عنه في هذا الخبر أحكام وضرب ونحن نبدأ بأحكامه ثم نتلوه بغيره • • فأول ما فيه
 أن لقائل ان يقول كيف يجوز أن يأمر الرسول بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا
 ما يجري مجراها • • والجواب عن ذلك ان القبطي جاز أن يكون من أهل العهد الذين
 أخذ عليهم أن يجري عليهم أحكام المسلمين وأن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام
 تخدم اليه بالانشاء عن الدخول الى مارية نخالف وأقام على ذلك وهذا نقض للعهد وناقض
 العهد من أهل الكفر مؤذن بالحاربة والمؤذن بها يستحق للقتل • • فأما قوله - بل الشاهد
 يرى ما لا يرى الغائب - فإما عني به رؤية العلم لا رؤية البصر لأنه لا معنى في هذا الموضع
 لرؤية البصر فكأنه عليه الصلاة والسلام قال بل الشاهد يعلم ويصح له من وجه الرأي
 والتدبير ما لا يصح للغائب ولولم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وإنما جاز
 منه عليه الصلاة والسلام أن يخبر بين قتله والكف عنه ويفوض الى أمير المؤمنين عليه
 السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق التي لا يجوز العفو عنها ولا يسع الا
 اقامتها لأن ناقض العهد ممن الى الامام القائم بأمر المسلمين اذا قدر عليه قبل التوبة أن
 يقتله وان عمن عليه • • ومما فيه أيضاً من الاحكام اقتضاؤه ان مجرد أمر الرسول عليه
 الصلاة والسلام لا يقتضي الوجوب لأنه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه
 وفي حسنها ووقعها وقعها دلالة على أنه لا يقتضى ذلك • • ومما فيه أيضاً من الاحكام دلالة
 على أنه لا بأس بالنظر الى عورة الرجل عند الامر ينزل ولا يوجد من النظر اليه ابداً إنما
 لحد يقام أو لعقوبة تسقط لان العلم بأنه أمسح أوجب لم يكن الا عن تأمل ونظر وإنما
 جاز النظر والتأمل لتبيين هل هو ممن يكون منه ما قرف به أم لا والواجب على الامام
 فيمن شهد عليه بالزنا وادعى انه محبوب أن يأمر بالنظر اليه وتبين أمره ويثبته أمر النبي
 عليه الصلاة والسلام في قتل مقاتلة بني قريظة لأنه أمر أن ينظروا الى مؤثر كل من
 أشكل عليهم أمره فمن وجدوه قد أثبت قتلوه ولو لا جواز النظر الى العورة عند الضرورة
 لما قامت شهادة الزنا لأن من رأى رجلاً مع امرأة واقعاً عليها ولم يتأمل أمرها حتى

التأمل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة وقد بهأه عن
 وجد مع امرأته رجلاً أبقتله فقال لا حتى يأتي بأربعة شهداء ولو لم يكن للشهادة
 إذا حضروا تعدد النظر الى عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كفيئتهم ولم يتم
 شهادة الزنا لأن من شرطها شاهدة العضوفى العضو كالميل فى المكحلة . . فان قيل كيف
 جاز لأثير المؤمنين الكف من القتل ومن أى جهة آثره لما وجده أجبت وأى تأثير
 لكونه أجبت فيها استحق به القتل وهو تقضى العهد . . قلنا انه عليه الصلاة والسلام لما فوض
 اليه الامر فى القتل والكف كان له أن يقتله على كل حال وان وجده أجبت لان كونه
 بهذه الصفة لا يخرجه عن تقضى العهد وانما آثر الكف الذى كان اليه ومفوضاً الى رأيه
 لازالة التهمة والشك الواقعين فى أمر مارية ولأنه أشفق من أن يقتله فيحقق الظن
 ويلحق بذلك العار فرأى عليه السلام ان الكف أولى لما ذكرناه . . وأما غريب الحديث
 فقول شمر برجله يريد رفعها وأصله فى الوصف اذا رفع رجله للبول فأما نكاح الشغار
 فبالكسر وقد قيل الشغار بالفتح وهو أن يزوج الرجل من هو وليها من بنت أو أخت
 غيره على أن يزوجه بنه أو أخته بغير مهر وكان أحد العرب فى الجاهلية يقول للآخر
 شاعرنى أى زوجنى حتى أزوجهك وأظنه مأخوذاً من الشعر الذى هو رفع الرجل
 لان النكاح فيه معنى الشعر فسمي هذا العقد شغاراً ومشاعرة لافضائه فى كل واحد
 من المتزوجين الى . . منى الشعر وسار اسمها لهذا النكاح كما قيل فى الزنا سفاح لان الزانيين
 يتساقطان الماء أى يسكبانه والماء هو النطفة . . ويمكن أن يكون أيضاً الماء الذى يغتسلان
 به فكفى بذلك عن الزنا ثم سار اسمها له وعلماً عليه . . ومن الشعر الذى هو رفع الرجل
 قول زياد لابنة معاوية وكانت عند ابنه واقترعت بما عليه وتطاولت فشكاها الى أبيه
 زياد فدخل عليها بالدره يضربها ويقول لها أشعراً وغراً . . وأما قول الفرزدق

شَعَارَةٌ تَقْدُ الْفَصِيلَ بِرِجْلَيْهَا فَطَّارَةٌ لِقَوَادِمِ الْأَبْكَارِ

. . فانه من غريب شعره وفسره قال - شاعرة - انها ترفع رجلها بالبول وقوله - تقد الفصيل
 برجلها - أى تركله وتدفعه عن الدنو الى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب أو أراد بتفنده
 أى تباليه فى إيلامه وضربه ومنه الموقودة فاما قوله - فطاراة لقوادم الابكار - فالفطر

هو الحلب بثلاث أصابع والقوامم هي الاخلاف وانما خص الابرار بذلك لان سفر
أخلافها يمنع من حلبها ضياء - والضب - هو الحلب بالاصابع الاربع فكأنه لا يمكن
فيها لقصر أخلافها الا القطار ومعنى البيت تعبيره نساء جرير بأنهن راعيات وذلك مما
تعبر به العرب النساء ألا ترى الى قوله قبل هذا البيت

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٌ فِدْعَاءُ قَدْ حَلَبْتُ عَلَى عِشَارِي
كُنَّا نَحَازِرُ أَنْ تَضِيَعَ لِقَاحُنَا وَلَهَا إِذَا سَمِعْتَ دُعَاءَ بَسَارِ

ثم تلا ذلك بقوله شغارة .. [قال المرتضى رحمه الله عليه] وعندى أن قوله شغارة كناية
عن رفع رجلها للزنا وهو أشبه أن يكون مراده في هذا الموضع ألا ترى انه قد وصفها
بالولة وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يار - وبسار - اسم راع فكأنه قد وصفها
بالولة الى الزنا والاسراع اليه وترك حفظ ما استعفظته من اللقاح فالأشبه أن يكون
قوله شغارة مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه محمولا على ما أشرنا اليه .. فاما قولهم
ذهبوا شغرى بئر فليس من هذا في شيء وانما يراد به انهم ذهبوا مفرقين مشتتين ومثله
ذهبوا عباديد وشعاليب وشعارير وأبادى سبأ كل ذلك بمعنى واحد .. وأما قوله - فاذا
انه أجب - فبمعنى به المقطوع الذكر لأن الحب هو القطع ومنه تعبير أجب اذا كان مقطوع
النام وقد ظن بعض من تأول هذا الخبر أن الامسح هنا هو قليل لحم الآلية كالارصح
والأرسح والأزلى وهذا غلط لان الوصف بذلك لا معنى له في هذا الخبر وانما أراد
تأكيد الوصف له بأنه أجب والمبالغة فيه لان قوله أمسح يفيد انه مصطلم الذكر ويزيد
على معنى أجب زيادة ظامرة .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى القاسم بن
الحسن الرزازى قال حدثنا سليمان بن داود الطوسى قال حدثنا سوار بن عبد الله القاضى
عن الأصمعى قال دخلت على الرشيد في الليل فتذاكرنا أحوال القصر فقلت العرب
تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ما أنت ابن ليلة قال رضاع سُخَيْلَةٍ حل أهلها برُمَيْكَةٍ .. قيل
له فما أنت ابن ليلتين قال حديث أمتين بكذب ومين .. قيل له ما أنت ابن ثلاث قال
قليل اللَّبَّاتِ .. وقيل أيضاً حديث فتيات غير جدٍ مؤتلفات .. قيل له فما أنت ابن أربع
قال عتمة أم رُبَيْعٍ وقيل عتمة أم الرُبَيْع غير جامع ولا مرضع .. قيل له فما أنت ابن
(٨ - أمالى)

خمس قال عشاء خلفات فُقُس ويقال حديث وأنس ويقال سر ومن ٠٠ قيل له فا أنت
 ابن ست قال سر وبت ويقال تحدث وبت ٠٠ قيل فا أنت ابن سبع قال دلجة ضبع
 وقيل هدى لأنس ذى الجمع وقيل حديث جمع وقيل يضفر فى النسع وقيل يلتقط فى
 الجزع ٠٠ قيل فا أنت ابن ثمان قال قرّة أضحيان ٠٠ قيل فا أنت ابن تسع قال منقطع
 التسع وقيل يضفر فى الجزع وقيل يلتقط فى الجزع وقيل الودع وقيل عشبة أهل جمع
 ٠٠ قيل فا أنت ابن عشر قال ثلث الشهر وقيل مخنق الفجر وقيل أؤذيك الى الفجر
 وقيل أبادر الفجر ٠٠ قيل فا أنت ابن احدى عشرة قال اطلع عشاء وأرى بكرة وقيل
 وأغيب بحرة ٠٠ قيل فا أنت ابن اثني عشرة قال مؤنق للبشر للبدو والحضر ٠٠ قيل
 فا أنت ابن ثلاث عشرة قال قر باهر بمعنى له الناظر ٠٠ قيل له فا أنت ابن أربع
 عشرة قال مقبيل الشباب أضى ٠٠ مدجئات السحاب وقيل مضى للسحاب ٠٠ قيل فا
 أنت ابن خمس عشرة قال ثم الشباب وانتصف الحساب ٠٠ قيل فا أنت ابن ست عشرة
 قال نافص الخلق بالعرب والشرق ٠٠ قيل فا أنت ابن سبع عشرة قال أمكنت المقنفر
 القفرة ٠٠ قيل فا أنت ابن ثمانى عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء ٠٠ قيل فا أنت
 ابن تسع عشرة قال بطى الطلوع بين الخشوع ٠٠ قيل فا أنت ابن عشرين قال أطلع
 بحرة وأضى بالهرة وقيل أمجر بالهرة ٠٠ قيل فا أنت ابن احدى وعشرين قال
 كالقبس يرى بالعلس ٠٠ قيل فا أنت ابن السنين وعشرين قال لأطلع الاريت ما أرى
 ٠٠ قيل فا أنت ابن ثلاث وعشرين قال أطلع فى قذمة ولا أجلو الظلمة ٠٠ قيل
 فا أنت ابن أربع وعشرين قال لا قر ولا هلال ٠٠ قيل فا أنت ابن خمس وعشرين
 قال دنا الأجل واتقطع الأمل ٠٠ قيل فا أنت ابن ست وعشرين قال دنا مادنا فلا
 يرى منى الا شفا ٠٠ قيل فا أنت ابن سبع وعشرين قال أطلع بكراً ولا أرى ظهراً
 ٠٠ قيل فا أنت ابن ثمان وعشرين قال أسبق شعاع الشمس ٠٠ قيل فا أنت ابن تسع
 وعشرين قال ضئيل صغير فلا يرى الا البصير ٠٠ قيل فا أنت ابن ثلاثين قال هلال
 مستبين ٠٠ قال الأصمى ثم قلت للرشيد يقال انه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال
 الا عاقل وقال خذه علي قلت هات فاعاده حتى بلغ الى قيل له ما أنت ابن ثمان قال قر

أضحيان .. قوله أما رضاع سخيله أراد تصغير سخله والمعنى أن القمر يبتى بقدر ما ينزل قوم فتضع شاتم سخلة ثم ترضعها ويترحلون فبقاؤه في الأفق بمقدار هذا الزمان .. وقوله حل أهلها برميله فأظن أن المعنى فيه الأخبار عن قلة اللبث وسرعة الانتقال لأن الرمل ليس بمنزل مقام للقوم لأنهم كانوا يختارون في منازلهم جلد الأرض وهضبا والأماكن التي لا تستولى السيول عليها فخص الرميّة لهذا المعنى .. وقوله حديث أمتين يكذب ومين يريد أن بقاؤه قليل بمقدار ما تاتي الأمة فكذب لها حديثاً ثم يفترقان .. وقوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات يريد أنه يبتى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد فتحدثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات .. وقوله عتمة أم الربع يقال عتمت ليلته إذا تأخرت عن العشاء .. وقوله أم ربع يعني الناقة وهو تأخير حلبها يريد أن يبقاه بمقدار ما تحلب ناقة لها ولد ولدته في أول الربيع وهو أول الناج والولد في هذا الوقت يسمى ربعةً إذا كان ذكراً فإن كان أنثى قيل ربعةً فإن كان في آخر الناج قيل هبع للذكر ولأنني هبعة .. وقوله عشاء خلفات قصص فالخلفات اللواتي قد استبان حمان واحداه خلفه وهي واحدة الخماش ولا واحد للمخاض من لفظها وإنما قال عشاء خلفات لأنها لا تسمى إلى أن يغيب القمر في هذه الليلة والقسماء الداخلة الظهر الخارجة البطن .. وقوله سروريت يريد أنه لا يبتى إلا بقدر ما يبتى الإنسان ثم يسير .. وقوله قرأضحيان أي ضاح ويلرز ويقال قرأضحيان بالثوبين فهما جميعاً وقرأضحيان بالإضافة ومنه قبل ليلة أضحيان إذا كانت نقيّة البياض .. وقوله منقطع الشبع أراد أنه يبتى بقدر ما يبتى شبع من قدر يمتشى به حتى ينقطع .. وقوله يلقط في الجرع أي أنه مضي أبلج لو انقطعت عتمة فناء فيها شذور مفصلة بجمع ماضع منها شيء أضيائه وبقائه .. وقوله أضي بالهرة يعني لصفائه وسط الليل لأن بهرة النوى وسطه .. وقوله أمكنت المقتدر الفقيرة فالمقتدر الذي يتبع الآثار وقدرته موضعه الذي يقصده

— ❦ — ❦ — ❦ — ❦ — ❦ —
— ❦ — ❦ — ❦ — ❦ — ❦ —
— ❦ — ❦ — ❦ — ❦ — ❦ —

[إن سأل سائل] عن قوله تعالى (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أُنْجَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أُنْجَى)

وَأَضَلُّ سَبِيلًا) فقال كيف يجوز أن يكونوا في الآخرة عمياً وقد تظاهر الخبر عن الرسول بأن الخلق يحشرون كما بدوا سألين من الآفات والعايات قال الله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) وقال الله تعالى (وكما بدأكم تعودون) وقال جل وعز (فبصرك اليوم بحديد) .. الجواب يقال في هذه الآية أربعة أوجه .. أحدها أن يكون العمى الأول انما هو عن تأمل الآيات والنظر في الدلالات والعبر التي أراها الله تعالى المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمى الثاني هو عن الايمان بالآخرة والاقرار بما يجازي به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب .. وقد قال قوم ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبينوا من فضله) الي قوله تعالى (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) ثم قال بعد ذلك (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً) يعني في هذه النعم وعن هذه العبر فهو في الآخرة أعمى أي هو عما غيب عنه من أسر الآخرة أعمى ويكون قوله في هذه كناية عن النعم لاعتن الدنيا .. ويقال ان ابن عباس سأله سائل عن هذه الآية فقال له انزل ما قبلها فنهى على التأويل الذي ذكرناه .. والجواب الثاني من كان في هذه يعني الدنيا أعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما أوجب الله عليه المعرفة به فهو في الآخرة أعمى عن الجنة والثواب بمعنى أنه لا يبتدى الى طريقهما ولا يوصل اليهما أو عن الحجّة اذا سئل وأوقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون يوم القيامة منقطع الحجّة مفقود المعاذير .. والجواب الثالث أن يكون العمى الاول عن المعرفة والايمان والثاني بمعنى المبالغة في الاخبار عن عظم ما يناله هؤلاء الكفار الجهال بالله من الخوف والنم والحزن الذي أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومن عادة العرب ان تسمى من اشتد همه وقوى حزنه أعمى سخين العين ويصفون المسرور بأنه قريبر العين قال الله تعالى (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرْوٍ أُعِيْنُ جَزَاءَ مَا كَانُوا يَسْئَلُونَ) .. والجواب الرابع أن يكون العمى الأول عن الايمان والثاني هو الآفة في العين على سبيل العقوبة كما قال الله تعالى (ونعشره يوم القيامة أعمى) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كتبت

بصيراً قال كذلك أُنسِك آياتنا فتبينتها وكذلك اليوم تُنسى) ومن يجب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) على أن المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما أنها معدومة في الابتداء ويجعل ذلك نظيراً لقوله تعالى (وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ويتأول قوله (فبصرك اليوم حديد) على أن معناه الاخبار عن قوة المعرفة وأن الجاهل بالله في الدنيا يكون عارفاً به في الآخرة والعرب تقول فلان بصير بهذا الأمر وزيد أبصر بكذا من عمرو ولا يريدون ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أي كنت غافلاً عما أنت الآن عارف به فلما كشفنا عنك الغطاء بأن أعانك وجعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فأما الخبر الذي يدعي رؤيته فهو خبر واحد ولا حجة في مثله وإذا عرف لفظه ربما أمكن تأوله على ما يطابق هذا الجواب ومن ذهب الى الأجوبة الأول يجعل العمى الأول والثاني معاً غير الآفة في العين فإن عورض بقوله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى) نؤله بالعمى عن الثواب أو عن الحجة وقال في قوله لم نحشره أعمى وقد كنت بصيراً أن معناه أنني كنت بصيراً في اعتقادي وظني من حيث كنت أروجو الهداية الى الثواب وطريق الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز أن يراد بالعمى الأول والثاني جيمعاً الآفة في العين لانه يؤدي الى أن كل من كان مكفوف البصر في الدنيا من مؤمن وكافر وطائع وعاص يكون كذلك في الآخرة وهذا باطل ومثله يبطل أن يراد بالفظلة أعمى الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان ويبطله أيضاً أن العمى الذي هو الحلقة لا يُتعجب منه بلفظة افعل وإنما يقال ما أشد عماء ولا يجوز أن يراد بالعمى الأول عمى العين والثاني العمى عن الثواب أو الجنة أو الحجة لانا نعلم ان فيمن عمت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ويوصل اليه ولا يجوز أن يراد بالأول والثاني العمى عن المعرفة والایمان لا على طريق المبالغة والتعجب ولا على غير ذلك لانا نعلم ان الجهل بالله تعالى المرصين في الدنيا عن معرفته لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك فضلاً أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس فلم يبق

بعد الذي أبطنناه إلا ما دخل في الأجوبة وعلى الأجوبة الثلاثة الأول إذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه لأن عمى القلب وضلاله يتمتع منه بلفظة أفعل وإن لم يجر ذلك في عمى الجارحة .. ولئن أجاب بالجواب الرابع أن لا يجعل قوله تعالى فهو في الآخرة أعمى لفظه تعجب بل يجعله إخباراً عن عماء من غير تعجب وإن عطف عليه بقوله وأضل سيلاً ويكون تقدير الكلام ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وهو أضل سيلاً .. فإن قيل ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة أفعل .. قلنا قد قال النحويون في ذلك إن الألوان والعيوب لا يتمتع منها بلفظة التعجب وإنما يعدل فيها إلى أشد وأظهر وما جرى مجراها .. قالوا لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء وصارت خلفه كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما أسوده ولا أعوره كما يقال ما أيداه وما أرجله بل يقال ما أشد سواده كما يقال ما أشد يده ورجله .. واعتلوا بعبارة أخرى قالوا إن الفعل من الألوان والعيوب على أفعال وأفعال نحو احمر وأعور وأحول وأحوال والتعجب لا يدخل فيها زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ألا ترى أنه لا يدخل في انطلق واستخرج ودحرج زيادته على ثلاثة أحرف .. فإن قيل لهم فقد قالوا عورت عينه وحولت قالوا هذا منقول من أفعال وهو في الحسب زائد على ثلاثة أحرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت في اسود واحمر ولولا أنه منقول لاعتلت الواو فقلت عارت وحالت كما قيل خاف وهاب .. وحكى عن الفراء في ذلك جوابان .. أحدهما أن أفعل في التعجب فيه زيادة على وصف قبله إذا قال القائل أفضل وأجمل فهو أزيد في الوصف من جميل وفاضل ولم يقولوا ما أبيض زيداً لثلاث يسقط الزيد ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه بخالف لفظه لفظه كما خالف أفضل وأجمل فاضلاً وجميلاً فلما قام في أبيض وأحمر علم الزيد أدخلوا عليه ما يبين الزيادة فيه وقالوا ما أظهر حمرة زيد وما أشد سواد عمرو لأن أظهر يزيد على ظاهر وأشد زيد على شديد .. والجواب الآخر أن التعجب مبنى على زيادة يصلح أن يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التمام فقالوا ما أعلم زيداً ليدلوا على زيادة علمه لأنهم في قولهم عالم وعلم لم يبلغوا في التمام مبلغ أعلم ولم يقولوا ما أبيض زيداً لأن البياض لا تأتي

منه زيادة بعد نقص فعلوا الى التعجب بأشد وما جرى مجراها وهذا الجواب ليس بسديد لأن الألوان قد تأتي فيها الزيادة بعد نقص وقد تدخل فيها المفاضلة الأخرى ان ما حله قبل من أجزاء البياض يكون أنقص حالاً في البياض مما حله لكثير من الأجزاء .. والجواب الأول الذي حكيناه عن القراء أصوب وان كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد .. وقد أنشد بعضهم معترضاً على ما ذكرناه قول الشاعر

يَا لَيْتَنِي مِثْلُكَ فِي الْبَيَاضِ أَيْبُضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي أَبَاضٍ^(١)

.. وأنشدوا أيضاً قول الشاعر

أَمَّا الْمُلُوكُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ الْأَمُّهُمُ لَوْمًا وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالٌ طَبَاحٍ

فأما البيت الأول قالت أبا العباس المبرد حله على الشذوذ وقال ان الشاذ النادر لا يطعن في المعمول عليه والمتفق على صحته ويجوز أيضاً أن يقال في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل في البيت الثاني ان أبيض فيه ليس هو للمفاضلة وإنما هو افعال الذي مؤنثه فعلاء كقولهم أبيض وبيضاء ويجري ذلك مجرى قولهم هو حسن والقوم وجهاً وشريظهم خلقاً فكان الشاعر قال ومبيضهم فلما أضافه انتصب ما بعده تمام الاسم وهذا أحسن من حله على الشذوذ .. ويمكن فيه وجه آخر وهو ان أبيض في البيت وان كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللؤم والبخل فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولوانه أراد بأبيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز أن يسميهم بلقطة افعال والذي يجوز تعجبه بهذه اللفظة ما ذكرناه .. فأما قول المتأني

أَبْعِدْ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ

فقد قيل فيه ان قوله لَأَنْتَ أَسْوَدُ في عيني كلام تام ثم قال من الظلم أي من جملة الظلم

(١) - أنشد - اللغويون البيت بانفط

جارية في دوعها الفضفاض أبيض من أخت بني أباض

- ودوع فضفاض - واسعة وجارية فضفاض متائلة

كما يقال حزم من أحرار ولؤم من لئام أي من جلتهم .. قال الشاعر

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ شَهَابٌ بَدَأَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَاكَرُهُ

كأنه قال وأبيض كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصف لأبيض وليس يتصل به كاتصال من بأفضل في قولك هو أفضل من زيد ولقطة من في بيت المتنبي مرفوعة الموضع فانها وصف للأسود وإذا أريد المناضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع بأسود كما يقال زيد خير منك فنك في موضع نصب بخير كأنه قال قد خارك بخيرك أي فضلك في الخير وهذا التأويل يمكن أن يقال في قول الشاعر .. * أبيض من أخت بني أباض *

ويحمل على أنه أراد من جلتها ومن قومه ولم يرد التعجب وتأويله على هذا الوجه أولى من حمله على الشذوذ فاما قول المتنبي .. * أبعد بعدت بياضاً لا بياض له *

فالمتنبي الظاهر للناس فيه أنه أراد لاضياء له ولا نور ولا اشراق من حيث كان حلوله محزناً مؤذناً بتقصي الأجل وهذا المعنى ظاهراً إلا أنه يمكن فيه معنى آخر وهو أن يريد أنك بياض لالون بعده لأن البياض آخر الألوان في الشمر فجعل قوله لا بياض له بمنزلة لالون بعده وإنما سوغ ذلك له أن البياض هو الآتي بعد السواد فلما نرى أنك يكون للشيب بياض كان نفيًا لأن يكون بعده لون .. وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرهما من قوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الميمين وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحزرة والكسائي بكسر الميم فيهما جميعاً وفي رواية حفص لا يكسرهما وكسر أبو عمرو الأولى وفتح الأخيرة ولكل وجه .. أما من ترك امالة الجميع فان قوله حسن لأن كثيراً من العرب لا يميلون هذه الفتحة .. وأما من أمال الجميع فوجه قوله أنه نحو بالالف نحو الياء ليصلم أنها تنقلب الى الياء .. وأما قراءة أبي عمرو بامالة الأولى وفتح الثانية فوجه قوله أنه جعل الثانية أفعل من كذا مثل أفضل من فلان فاذا جعلها كذلك لم تقع الألف في آخر الكلمة لأن آخرها إنما هو من كذا وإنما تحسن الامالة في الاواخر وقد حذف من أفعل الذي هو لتفضيل الجار والمجرور جميعاً

وما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى (فانه يعلم السر وأخفى) المعنى وأخفى من السر فكذلك قوله تعالى (وأسل سبيلاً) فكأن هذا لا يكون الاعلى أفضل من كذا فكذلك المعطوف عليه

[تأويل خبر] •• روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تنفى في الارض أفلاذ كبدها مثل الأصطوان من الذهب والفضة فيجىء القائل فيقول في مثل هذا قتلت وبجىء القاطع الرحم فيقول في مثل هذا قطعت رَحِمِي وبجىء السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئاً •• معني - تنفى - أي تخرج ما فيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة •• وقوله تنفى تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجا وانظاراً وكذلك تسمية ما في الارض من الكنوز كبداً تشبيهاً بالكبد التي في بطن البعير وغيره وللعرب في هذا مذهب معروف •• قال مرة بن محكان^(١)

السعدي في قدّر نصها الاضياف

لها أَرِزْ يُزِيلُ اللَّحْمَ إِزْمِلُهُ عَنِ الْعِظَامِ إِذَا مَا اسْتَحْمَشْتَ غَضَبًا
تَرْمِي الصَّلَاةَ بِبَدْلِ غَيْرِ طَائِثَةٍ وَقَفًا إِذَا آتَسْتَ مِنْ تَحْتِهَا لَهَبًا

فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة •• فأما - الاريز - فهو الغليان والعرب تقول لجوفه أَرِزْ مثل أَرِزَ الرجل - والازمل - الصوت - واستحمت - أي غضبت يقال حمته

(١) - محكان - يفتح أوله واسكان ثانيه من المماحكة وهي الملاحاة ورجل محكان

عسر الخلق لجوج فان كان محكان اسمه فهو من قبيل تسميتهم بشارق وظالم وان كان لقباً له فاعلمه انما لقب به لسوء كان في أخلاقه : وكان يقل مرة أبو الاضياف لمحبه لمهم وأكرامه اياهم وفي هذه القصيدة يقول لزوجه

وقلت لما غدوا أوصى قعيدتنا غذي بنيك فلن تلقهم مُحَقًّا
ادعي أباهم ولم أقرف بأهمهم وقد مجمت ولم أعرف لهم نبا
أما ابن محكان أخو مالي بنو مطر أنمي اليهم وكانوا معشراً نحيا

وقتله صاحب شرطة مصعب بن الزبير ولا عقب له - وصلاة - في بيتي الأصل جمع صال وهو المستدفئ بالنار - ونبلها - كناية عما يتطاير من القدر من الماء لشدة الغليان

أي أغضب .. وقال النابتة الجمعدى فى معنى الاستعارة

سَأَتَشْغِي بِأَنْتَاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلَنَ

فوصف الدهر بالآ .. بها واستعارة .. وقال قوم معنى البيت شرب أهل

الدهر بدمهم وأكلوا .. واختاب أهل الله فى الإفلاذ .. فقال يعقوب بن الكبيته
الفلذ لا يكون الا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال
أعطى فلذا من الكبدة وفلذه من الكبدة .. قال أعشى باهلة

تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فَإِذَا إِنَّمَا بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيَرْوِي شُرْبَةُ النَّعْمِ

النعم - القدح الصغير .. قال يعقوب ولا يقال أعطى حزة من السنام ولا من اللحم وإنما
الحزة فى الكبدة خاصة فإذا أرادوا ذلك من السنام واللحم قالوا أعطى حذبة من لحم
وهى القطعة الصغيرة وفلقه من سنام .. وقال الطوسى عن أبى عبيد عن الأصمى
قال يقال أعطى حذبة من لحم وحزة من لحم إذا كانت مقطوعة طولا فإذا كانت
مجمعة قلت أعطى بضعة من لحم وهبة من لحم وذرة من لحم .. ومثل هذا
الحديث قوله (وأخرجت الأرض أثقالها) .. معناه أخرجت ما فيها من الكدوز .. وقال قوم
عنى به الموتى وأنها أخرجت موتها فسمى الله تعالى الموتى أثقالا تشبها بالحمل الذى يكون
فى البطن لأن الحمل يسمى أثقالا قال تعالى (فلما أثقلت) .. والعرب تقول إن للسيد الشجاع
ثقالا على الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل .. قالت الخبابة ترى أخاها سخرأ

أَبْعَدُ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيرِ سَدَحَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

معناه أنه لما مات حلَّ عنها بموته ثقل لسودده وشرفه .. وقال قوم معنى حلت زينت
موتاتها به وهو مأخوذ من الحلية .. وقال الشاعر دل الربوعى يرى أخاه

وَحَلَّتْ بِهِ أَثْقَالُهَا الْأَرْضُ وَأَنْتَ لَيْشَوَاهُ مِنْهَا وَهُوَ عِفٌّ شَمَائِلُهُ

.. وروى أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال قال زهير بن أبى سلمى المزنى بيتا
ثم أكسدى ومر به النابتة الذبيبان فقال له يا أبا أمامة أجز قال ماذا قال

تَرَالُ الْأَرْضُ إِمَامَتٌ خِفَاءٌ وَتَحْيَا مَا حَيَّتْ بِهَا ثِقِيلاً

نَزَلَتْ بِمُسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا

فَإِذَا قَالَ قَدْ كَدَى وَاللَّهِ النَّابِغَةُ أَيْضًا وَأَقْبَلَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ أَجْزَيْتَ بِنِي
فَقَالَ مَاذَا فَانْتَدَهُ الْبَيْتَ الْأَوَّلُ وَمِنَ الْبَيْتِ الثَّانِي قَوْلُهُ بِمُسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا . . . فَقَالَ كَعْبُ
* فَتَمَنَّعُ جَانِبَيْهَا أَنْ يَزُولَا *

فَقَالَ زُهَيْرُ أَنْتَ وَاللَّهِ ابْنِي وَأَنَا خَصُّ الْكَبِدِ مِنْ بَيْنِ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْبَطْنُ لِأَنَّهُ مِنْ أَطْيَابِ
الْجَزْوَ . . . وَالْعَرَبُ تَقُولُ أَطْيَابُ الْجَزْوَ الرِّثَامُ وَالْمُلْحَاةُ وَالْكَبِدُ . . . [قَالَ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ وَإِنِّي لَأَسْتَحْسِنُ قَوْلَ الْخَنَسَاءِ وَقَدْ قِيلَ لَهَا مَا مَدَحْتَ أَخَاكَ حَتَّى مَجَّوَتْ أَبَاكَ . . . فَقَالَتْ

جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهَمَّا	يَتَاوَرَّانِ مَلَأَةً الْحَضِرُ
حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ	لُزَّتْ هُنَاكَ الْمَذْرُؤُ بِالْمَذْرُؤِ ^(١)
وَعَلَا هِتَافُ النَّاسِ إِلَيْهِمَا	قَالَ الْمُجِيبُ هُنَاكَ لَا أَذْرِي
بَرَزَتْ صَحِيفَةً وَجْهِ وَالِدِهِ	وَمَضَى عَلَى غُصْلَوَائِهِ يَجْرِي
أُولَى فَأُولَى أَنْ يُسَاوِيَهُ	لَوْلَا جَلَالُ السِّنِّ وَالْكِبَرِ
وَهُمَا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا	صَقْرَانِ قَدْ حَطَّأَ إِلَى وَكْرِ

وَيُقَالُ أَنَّهُ قِيلَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ لَيْسَ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي مَجْمُوعِ شَعْرِ الْخَنَسَاءِ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ
الْعَامَّةُ أَسْقَطَ مِنْ أَنْ يَجَادَ عَلَيْهَا بِمَثَلِ ذَلِكَ . . . وَلَمْ يَرَى أَنَّهَا قَدْ بَلَغَتْ فِي مَدْحِ أَخِيهَا
مِنْ غَيْرِ لُزْزَاعٍ عَلَى أَبِيهَا النَّهْيَةِ لِأَنَّهَا جَعَلَتْ تَقْدِّمُ أَبِيهَا لَهُ عَنْ قُدْرَةِ مَنْعِهِ عَلَى الْمَسَاوَةِ وَعَنْ
غَيْرِ تَقْصِيرٍ مِنْهُ وَأَنَّهُ أَفْرَجَ لَهُ عَنِ السَّبْقِ مَعْرِفَةً بِحَقِّهِ وَتَسْلِيماً لِكِبَرِهِ وَسَنَةِ . . . وَكَانَ الْخَنَسَاءُ
نَظَرَتْ فِي هَذَا الْمَعْنَى إِلَى قَوْلِ زُهَيْرٍ

فَشَجَّ بِهَا الْأَمَاعِرَ فَهِيَ تَنْوِي هُوِيَ الدَّلُو أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ

(١) — قَوْلُهَا — نَزَّتِ الْقُلُوبُ أَيْ طُمَحَتْ وَتَأَقَّتْ إِلَى مَعْرِفَةِ السَّابِقِ مِنْ نَزَا يَنْزُو إِذَا

وَبَ . . . وَقَوْلُهَا — لُزَّتِ الْمَذْرُؤُ بِالْمَذْرُؤِ — أَيْ قُرِنَتْ الْعِزُّ بِالْعِزِّ .

فَلَيْسَ لِحَافَتِهِ كَلْحَاقِ الْإِفِّ وَلَا كَنَجَائِمِهَا مِنْهُ نَجَاءُ
يُهْدِمُهُ إِذَا اخْتَفَتُ عَلَيْهِ تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذَّكَاءُ

ويشبهه أن يكون الكميّة أخذ من الخفاء قوله في مغلد بن يزيد بن المهلب
مَا إِنْ أَرَى كَأَيْكَ أَدْرَكَ شَأْؤُهُ أَحَدٌ وَمِثْلَكَ طَالِبًا لَمْ يَلْحَقِ
يَتَحَاذِيَانِ لَهُ فَضِيلَةُ سَنَةٍ وَتَلَوْتُ بَعْدَ مُصْلِيًا لَمْ تَسْبِقِ
إِنْ تَنَزَّعَا وَلَهُ فَضِيلَةُ سَنَةٍ فَمِثْلُ شَأْوَ أَيْكَ لَمْ يَتَعَلَّقِ
وَلَنْ لَحَقَّتْ بِهِ عَلَى مَا قَدَمَضَى مِنْ بَعْدِ غَايَتِهِ فَاحْجِجْ وَأَخْلِقِ

ويشبهه هذا المعنى • قول المؤمل بن أميل الكوفي الحاربي يمدح المهدي في حياة المنصور

لَنْ فَتَ الْمُلُوكَ وَقَدْ تَوَافَوْا أَيْكَ مِنَ السُّهُولَةِ وَالْوَعُورِ
لَقَدْ فَاتَ الْمُلُوكَ أَبُوكَ حَتَّى بَقُوا مِنْ بَيْنِ كَابٍ أَوْ حَسِيرِ
وَجِئْتَ وَرَأَاهُ تَجْرِي حَبِثًا وَمَا بِكَ حَيْثُ تُجْرِي مِنْ قُتُورِ
وَقَالَ النَّاسُ مَا مِنْ ذِيْنٍ إِلَّا عَمْرَلَةُ الْخَلِيقِ مِنَ الْجَدِيرِ
فَإِنْ سَبَقَ الْكَبِيرُ فَأَهْلُ سَبْقِ لَهُ فَضْلُ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ
وَإِنْ بَلَغَ الصَّغِيرُ مَدَا كَبِيرِ قَدْ خَلَقَ الصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ

• ومن هذا المعنى قول الشاعر

جِيَادٌ جَرَّتْ فِي حَلْبَةٍ فَتَفَاضَلَتْ عَلَى قَدَرِ الْأَسْنَانِ وَالْعِرْقِ وَوَاحِدُ

ومعناه بهذا المعنى بعض الشبه وإن لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبير • قول زهير
هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقُ شَأْؤُهُمَا عَلَى تَكَالُيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحَقَا
أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ فَمِثْلُ مَا قَدَمَا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

•• وروى أنه عرضت على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي جارية شاعرة فأراد أن يبلوها فقال لها قولي في معنى بيتي زهير اللذين ذكرناهما فقالت

بَلَمْتُ أَوْ كَذْتُ يَحْيَا أَوْلَحَتْ بِهِ فَنَلْتُمَا خَالِدًا فِي شَأْوٍ مُسْتَبَقِ
لَكِنْ مَضَى وَتَلَى يَحْيَى فَأَنْتَ لَهُ تَالِي تَمَلَّتْ دُونَ الرُّكُضِ بِالْعَنَقِ

ومن أحسن ما قيل في المساراة والمقاربة وهو داخل في هذا المعنى مناسب له •• قول عباد بن شبل

إِذَا اخْتَرْتُ مِنْ قَوْمٍ خِيَارَ خِيَارِهِمْ فَكُلُّ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ خِيَارُ
جَرَوْا بَيْنَانٍ وَاحِدٍ فَضَّلَ بَيْنَهُمْ بَأَنْ قِيلَ قَدْ فَاتَ الْمِدَارَ عِدَارُ
•• وقول الكتي

مُصَلِّ أَبَاهُ لَهُ سَابِقُ بَأَنْ قِيلَ فَاتَ الْمِدَارَ الْمِدَارَا

ومثله قول العتابي وهو ملبح جداً

كَمَا تَقَادَفَ جُرْدٌ فِي أَعْتَبِهَا سَبَقًا بِأَذَانِهَا مَرًّا وَبِالْعُدَرِ

•• وأول من سبق إلى هذا زهير في قوله يصف مطايرة البازي للقطاة ومقاربتة لها
دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدَرُهُمَا عِنْدَ الذَّنَابِي فَلَا فَوْتُ وَلَا دَرَكُ
•• وقد لفظ أبو نواس هنا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربتة لأبيه
في الجرد والسود

ثُمَّ جَرَى الْفَضْلُ فَانْتَنَى قَدَمًا دُونَ مَدَاهُ مِنْ غَيْرِ تَرْهِيْقِ

فقيل راساً سهماً يَزَادُ بِهِ السَّهْمَاةُ وَالنَّصْلُ سَابِقُ الْفَوْقِ^(١)

وبشا كل ذلك قول البحرى في ابن أبي سعيد الثغرى

(١) - راس - السهم ألزق عليه الريش - والنصل - حديدة السهم - والفوق -

موضع الوتر من السهم •• يقول ابن أبيه سابق عليه من غير قصور منه

جَدُّ كَجَدِّ أَبِي سَمِيدٍ إِنَّهُ تَرَكَ السِّمَّاكَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرِفِ
قَاسَمَتَهُ أَخْلَاقُهُ وَهِيَ الرِّدَا لِلْمُعْتَدِي وَهِيَ النَّدَا لِلْمُعْتَفِ
وَإِذَا جَرَى مِنْ غَايَةِ وَجَرِيَتْ مِنْ أُخْرَى التَّقَى شَأْوَكَ كَمَا فِي الْمَنْصَفِ
وَيَسْبِيهِ أَيْضًا قَوْلُهُ

وَإِذَا رَأَيْتَ شَمَائِلَ ابْنِي صَاعِدٍ أَذْتُ إِلَيْكَ شَمَائِلَ ابْنِي مُخَلَّدٍ
كَالْفَرْقَدَيْنِ إِذَا تَأَمَّلَ نَاضِرٌ لَمْ يَلْعَلْ مُوَضَّعُ فَرْقَدٍ عَنْ فَرْقَدٍ

فَمَا قَوْلُ الْخَنَاءِ بِتَعَاوُرِ مَلَأَةِ الْخَضِرِ - فِي تَعْنِي بِالْمَلَأَةِ الْغُبَارُ فَإِنَّ عَدِيَّ بْنَ الرَّقَاعِ
كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَيْهَا فِي قَوْلِهِ بِصَفِّ حَارًّا وَأَنَا

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مَلَأَةٌ يَبْضَاءُ مُحْدَثَةٌ هُمَا نَسَجَاهَا
تَطْوِي إِذَا وَطَنًا مَكَانًا جَاسِيًا وَإِذَا السَّنَائِكَ أَسْهَلَتْ نَشْرَاهَا

وَهَذَا الْمَعْنَى وَإِنْ كَانَ هُوَ مَعْنَى الْخَنَاءِ بَعِيْنَهُ فَقَدْ زَادَ فِي اسْتِيفَانِهِ عَلَيْهَا زِيَادَةُ ظَاهِرَةٍ
سَارَ مِنْ أَجْلِهَا بِالْمَعْنَى أَحَقَّ مِنْهَا •• وَقَدْ ابْتَدَأَ بِهَذَا الْمَعْنَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ فَقَالَ
مِنْ قَصِيدَةٍ

يُثِيرَانِ مِنْ نَسَجِ الثَّرَابِ عَلَيْهِمَا قَمِيصَيْنِ أَسْمَالًا وَيَزْنِيَانِ



مَجْلِسُ آخِرِ ٨

[إِنْ سَأَلْتَنِي] •• عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَجَاؤَا عَلَى قَمِيصِهِ يَدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَبِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) فَقَالَ كَيْفَ وَصَفَ الدَّمُ
بِأَنَّهُ كَذِبٌ وَالْكَذِبُ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْوَالِ لَا مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ وَأَيُّ مَعْنَى لَوْصَفَهُ الصَّبْرُ
بِأَنَّهُ جَبِيلٌ وَمَعْلُومٌ أَنَّ صَبْرَ يَمْقُوبَ عَلَى فَقْدِ ابْنِهِ يُوَسِّفُ لَا يَكُونُ إِلَّا جَبِيلًا وَلَمْ يَرْفَعْ

الصبر وما المنتضى لرفعه .. الجواب يقال له أما كذب فعناء مكذوب فيه وعليه قتل
قولهم هذا ماله سكب وشراب صب يريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله أيضاً قولهم ماله غور
ورجل صوم وامرأة نوح .. قال الشاعر

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ قُلْدَةً أَعْتَبَهَا صُفُونَا

أراد بقوله نوحاً أي نائمة عليهم .. ومثله ما للفلان معة قول يريدون عقلاً وماله على هذا الأمر
مجلود يريدون جلدأ .. قال الشاعر

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْرُكُوا لِإِعْظَامِهِ لَحْمًا وَلَا لِقَوَادِهِ مَعْقُولَا

وأنشد أبو العباس لثعلب

قَدْ وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءُ بِقَذَرِهِ بَلَغَ الْعَزَاءُ وَأَذْرَكَ الْمَجْلُودُ

.. وقال الفراء وغيره يجوز في النحو بدم كذباً بالنصب على المصدر لأن جاؤا
فيه معنى كذبوا كذباً كما قال تعالى (والعاديات ضيعاً) فنصب ضيعاً على المصدر لأن
العاديات بمعنى الضايحات وإنما كان دماً مكذباً فيه لأن أخوة يوسف عليه السلام ذبحوا
سخلة ولطمخوا قيص بدمها وجاؤا أباهم بالقمص وادعوا أكل الذئب له فقال
لهم يعقوب عليه السلام يا بني لقد كان هذا الذئب رفيقاً حين أكل ابني ولم يخرق قبضه
قالوا بل قتله اللصوص قال فكيف قد قتلوه وتركوا قبضه وهم إلى قبضه أحوج منهم
إلى قتله .. وقد قيل أنه كان في قيص يوسف ثلاث آيات حين قتل قبضه من دبر وحين
ألقى على وجه أبيه فارتد بصيراً وحين جاؤا عليه بدم كذب فتنبه أبوه على أن الذئب
لو أكله لخرق قبضه .. وأما وصف الصبر بأنه جميل فلأن الصبر قد يكون جميلاً وغير
جميل وإنما يكون جميلاً إذا قصد به وجه الله وفعل للوجه الذي وجب فلهما كان في هذا
الموضع واقعاً على الوجه الحمود صبح وصفه بذلك وقد قيل أنه أراد صبراً لا شكوى فيه
ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى والجزع له وأما ارتفاع قوله فصبر
جميل فقد قيل إن المعنى صبر جميل أو الذي أعنفه صبر جميل .. وقال قطرب
معناه لصبري صبر جميل .. وأنشدوا

شَكَا إِلَيَّ جَعَلِي طَوَّلَ الشَّرَى يَا جَعْلِي لَيْسَ إِلَيَّ الشُّكَا
صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكَلَّانَا مَبْتَلَى

معناه فليكن منك صبر جميل .. وقد روي ان في قرارة أبي فصبراً جميلاً بالنصب
وذلك يكون على الانغماء والمعنى فاصبري يا نفس صبراً جميلاً .. قال ذو الرمة
أَلَا إِنَّمَا مَيَّ فَصَبْرًا بَلِيَّةٌ وَقَدْ يَنْتَلِي الْحَرْمُ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ
.. وقال الآخر

أَبَى اللَّهُ أَنْ يُبْقِيَ لِحَيِّ بَشَاشَةً فَصَبْرًا عَلَى مَا شَاءَهُ اللَّهُ لِي صَبْرًا

[تأويل خبر] في الحديث ان قيس بن عاصم .. قال آتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد أعمل الوبر فقلت يا رسول الله ما المال الذي ليست علي فيه تبعة من طالب ولا ضيف فقال عليه الصلاة والسلام نعم المال أربعون والكثرة ستون وويل لأصحاب المثمن الا من أعطى الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة فأكل وأطعم القانع والمغر .. وفي رواية أخرى الا من أعطى من ريسها وأطرق خلفها وأفقر ظهرها ومنح غنيرتها وأطعم القانع والمغتر فقلت يا رسول الله ما أكرم هذه الاخلاق وأحسنها انه لا يحل بتواذي الذي فيه إباي من كثرتها فقال كيف تصنع في العظيمة قلت أعطى البكر وأعطي الناب قال فكيف تصنع في المذبة قلت اني لأمنح المائة قال كيف أعطى الطروقة قلت بغدوا الناس باباهم فلا يورع رجل عن رجل بخلفاه فيمسكه ما بداله حتى يكون هو الذي يرده وفي الرواية الأخرى قال فكيف تصنع في الاطراق قال بغدوا الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير فيذهب به قال فكيف تصنع في الإفقر قلت اني لأفقر الناقة المدرمة والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع في المنبحة قلت اني لأمنح في السنة المائة قال فمالك أحب اليك أم مال مواليك قلت لا بل .. الى قال فان مالاك ما أكلت فأفقت وأعطينت فأمضيت .. وفي الرواية الأخرى ولبست فأبليت وسأرت لمواليك قلت لا جرم والله لئن رجعت لأقن عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بني خذوا عني فانكم ان تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني لا تسوحووا علي فان رسول

الله صلى الله عليه وسلم لم يُعْجَبْ عليه أحد وقد سمعته ينهى عن النياحة وكففتونى فى ثيابى
التي كنت أسلى فيها وسودوا أكابركم فانكم اذا سودتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم
خليفةً واذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس وزهدوا فيكم وأسلعوا عيشكم
فان فيه غنى عن طاب الى الناس وإياكم والمسئلة فانها آخر كسب المرء واذا دفنتونى
فاخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خاشات في الجاهلية فلا آمن سفهاً منهم
أن يأتي أمراً يدخل عليكم عيباً في أبيكم •• فاما قوله صلى الله عليه وسلم - الكثرستون -
فضناه الكثير تقول العرب نسأل الله الكثير ونعوذ به من القل أى ناله الكثير ونعوذ
به من القليل •• قال الشاعر

فإن الكثر أعياني قديماً ولم أفتِّر لدن أنى غلام

•• وقال آخر

وقد يقصر القل الذي دون همي وقد كان لولا القل طلاع أنجد

-والكريمة- يعني بها كرائم ماله -وأمنج الغزيرة- أي أعطيها من يحملها ويردتها من ذلك
الحديث والعافية -ودقة- والمنحة مردودة والدين مقضي -والزعيم غريم- فالمنحة النافعة أو
الشاة يدفعها الرجل الى من يحملها وينفع بابنها ثم يرددها عليه -والزعيم- الكفيل ويقال
له أيضاً القليل والصبر والجميل ومنه قوله تعالى (وأنا به زعيم) •• قال الشاعر

فلست بأمر فيها يسلم ولكنني على نفسي زعيم

•• وقال آخر

قلت كفى لك زهن بالرضا فازعمني ياهند قالت قد وجب

معناه اكفني وروى فاقلي من القليل الذي هو الكفيل أيضاً •• وقال الفراء القانع
هو الذي ياتيك فيسألك فان أعطيتك قبل - والمعتز الذي يجلس عند الذبيحة ويمسك
عن السؤال فكانه يمرض في المسئلة ولا يصرح بها يقال قنع الرجل قناعة اذا رضي
وقنع قنوعاً اذا سأل •• فاما قوله - لاجرم - فقال قوم معنى جرم كسب وقالوا في قوله
تعالى (لاجرم أن لهم النار) أن لا رد على الكفار ثم ابتدأ فقال جرم ان لهم النار

بمعنى كسب قولهم إن لهم النار .. وقال الشاعر

نَصَبْنَا رَأْسَهُ فِي رَأْسِ جِذْعٍ بِمَا جَرَمَتْ يَدَاهُ وَمَا اعْتَدَيْنَا

أي بما كسبت .. وقال آخرون معنى جرم حقاً وتناول الآية بمعنى حقق قولهم أن لهم النار .. وأنشدوا

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمْتُ فَرَارَةً بَعْدَهَا نَ تَغْضِبَا

أراد حقق فتارة .. وروى الفراء فزارة بالنصب على معنى أكسبت الطعنة فزارة الغضب .. وقال الفراء لا جرم في الأصل مثل لا يد ولا محالة ثم استعملته العرب في معنى حقاً وجاءت فيه بجواب الأيمان فقالوا لا جرم لأقوام كما قالوا والله لأقوين وقها لغات يقال لا جرته ولا جرّم بضم الجيم وتسكين الراء ولا جرّ بمحذف الميم ولا ذا جرم^(١) .. قال الشاعر

إِنَّ كِلَابًا وَالَّذِي لَا ذَا جَرَمٍ لَا أَهْذُرَنَّ الْيَوْمَ هَذَا فِي النَّعَمِ

(١) قلت وفي أن بعد لا جرم وجهان .. الفتح وهو الغالب نحو لا جرم أن الله يعلم فالتفتح عند سيبويه على أن جرم فعل ماضٍ معناه وجب وأن وسلّمها فاعل أي وجب أن الله يعلم ولا صلة زائدة للتوكيد وردد الفراء بأن لا لازاء في أول الكلام وعمله في المعنى بأن زيادة الشيء تفيد أطرافه وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به وجوابه ما أحباب به الفارسي عن القول بزيادة لا في لا أقم من أن القرآن كالسورة الواحدة .. وقال المرادي وجرم عند سيبويه بمعنى حق ولا ردّها قبلها وانوقف على لا وأن وما بعدها في موضع الفاعل والفتح عند الفراء على أن لا جرم مركبة من حرف واءم بمنزلة لا رجل في التركيب ومعناها بعد التركيب لا يد أو لا محالة ومن أو في بعدها مقدرة أي لا يد من أن الله يعلم أو لا محالة في أن الله يعلم ونقل عن الفراء أن لا جرم بمنزلة حقاً وأصل جرم من الجرم بمعنى الكسب .. والكسر على ما حكاه الفراء عن العرب من أن بعضهم يزلها بمنزلة الجبين فيقول لا جرم لآتيك ولا جرم لقد أحدثت ولا جرم إنك ذاهب بكسر إن

هَذَرُ الْمَغْنَى ذِي الشَّقَاقِ الْيَمِّ

والتاب - الناقه الهرمة وجهها نيب ومثابها الشارف .. قال الشاعر

لَا أَقْتَأُ الدَّهْرَ أَبْكِيهِمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا اجْتَرَّتِ النَّيْبُ أَوْ حَسَّتْ إِلَى بَلَدٍ

ويقال للبعير أيضاً إذا كبر عودُه وللأنثى عودُه .. قال الشاعر

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ الْقَدَمِ الْأَوَّلِ يَمُوتُ بِالْتَرَكِ وَيَحْيَى بِالْعَمَلِ

وهذا من أبيات المعاني ومعناه بعيرٌ عود على طريق متقدم وسمى الطريق بأنه عود

لثقدمه تشبهاً بالبعير .. وقوله - يموت بالترك ويحيى بالعمل - أراد أنه إذا تُرك وطُرق

ظهرت أعلامه وظهرت طرقه واحمدى سالكه لسلوكه ولم يضل عن قصده فكان هذا

كالحياة له وإذا لم يسلك طمست آثاره وانمحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لتصد وكان ذلك

كالموت له فأما - الخماشات - فهي الجنائيات والجراحات .. قال ذو الرمة يذكر الحمار والأتين

رَبَاعٍ لَهَا مَذْ أَوْ رَقٍ الْعَوْدُ عِنْدَهُ خَمَاشَاتُ دَحَلٍ مَا يَرَاؤُ أَمْتِهَا

يريد بقوله ما يراد امتناط أي ما يراد اقتصاصها يقال امتناط من هذا الرجل واقضى

واقضى بمعنى واحد .. فأما قوله - لا يورع - أي لا يحبس ولا يتنع ويقال ورعت

الرجل توريعاً إذا منعته وكففته والورع هو الرجل المتخرج المنافع نفسه عما تدعو اليه

يقال ورع ورعاً ورعة .. قال لبيد

أَكُلُّ يَوْمٍ هَامَتِي مَقْرَعَةً لَا يَتَنَعُّ الْفَتَيَانِ مِنْ حُسْنِ الرَّعَةِ

ويقال ما ورع أن فعل كذا وكذا أي ما كذب فأما الورع فالفتح فهو الجبان وأما

- الطروقة - فهي التي قد حان لها أن تطرق وهي الحديقة وقوله في الرواية الأخرى - الامن

أعطى من رسلها - فالرسل اللين - والافقار - هو أن يركبها الناس ويحملهم على ظمورها -

مأخوذ من قفار الظلم - والاطراق - للضمحون هو أن يبذلها لمن يُنزلها على أمثاله

وذكر الاطرارق في هذه الرواية أحب الى من الطروقة لأنه قد تقدم من قوله انه يعطي

التاب والبكر والضرع والمائة فلما معنى لاعاد ذكر الطروقة وقوله في الجواب - تغدو الناس

فلابورع رجل عن رجل يحطه فيمسكه ما بدا له ثم يردمه لا يحتمل غير الاطراق ولا يابىق بمعنى العروقة .. وكان قيس بن عاصم شريفاً في قومه حليماً وبكشياً أبا على وكان الأحنف بن قيس يقول لما تملت الحلم^(١) من قيس بن عاصم أوتى بقاتل ابنه فقال رغبتم الفتي وأقبل عليه وقال يا بني نفست عددك وأوهنت ركنك وقتت في عضدك وأشمت عدوك وأسأت بقومك خلوا سبيله وما حلّ حُجُوتُه ولا تغير وجهه .. وقال ابن الاصرابي قيل لقيس بماذا ست قومك فقال بثلاث بذل الندي وكف الأذى ولصر الولي .. وذكر المدائني قال كان قيس بن عاصم يقول لابنه اياكم والبغي فما بشى قوم قط إلا قتلوا وذلوا .. وكان الرجل من بني يظلمه بعض قومه فينسي اخوته أن ينصروه وقيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني بطلعة في يوم جنود^(٢)

(١) - قلت وبالأحنف هذا يضرب المثل فيقال أحلم من الأحنف وسئل هل رأيت أحلام منك قال نعم وتملت منه الحلم قيل ومن هو قال قيس بن عاصم المدقري حضرته يوماً وهو محبٍ يحدثنا إذ جاءوا ابن له قتل وابن عم له كتيّف فقالوا ان هذا قتل ابنك هذا فلم يقطع حديثه ولا نقض حجُوتِه حتى إذا فرغ من الحديث التفت اليهم فقال أين ابني فلان فجاءه فقال يا بني قم الي ابن عمك فاطلقه والي أخيك فادفه والي أم القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلمها تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وأنشأ يقول

إني امرؤ لا يعترى خاني	دنس يفسده ولا أفن
من ينقر من بيت مكرمة	والفصن ينبت حوله العفن
خطابه حين يقوم قائلهم	بيض الوجه مصاقع لسن
لا يقطعون لهيب جارهم	وهم لحسن جوارهم فطن

وهو شاعر فارس شجاع حليم كثير الفارات مظهر في غزواته أدرك الجاهلية والاسلام فساد فيها وله وفادة على النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) قوله يوم جدود جدود بالفتح موضع في أرض بني تميم وكان من حديث ذلك اليوم ان الحارث بن شريك كانت بينه وبين بني ربوع مواعدة ثم هم بالغدر بهم لجمع

فسمى الحارث الحوفزان •• وقال سوار بن حيان المقرئ في ذلك

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الْحَوْفَازَانَ بَطْمَنَةً سَقَتَهُ نَحْيَمَانُ دَمَ الْجَوْفِ أَشْكَلًا
وَحُمْرَانِ قَرَأَ أَنْزَلَتْهُ رِمَاحُنَا يُعَالِجُ غُلًّا فِي ذِرَاعِيهِ مُتَقَلًّا

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم

جَزَا اللَّهُ يَرْبُوعًا بِأَسْوَأِ سَعِيهَا إِذَا ذُكِرَتْ فِي النَّاتِبَاتِ أُمُورُهَا
وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ ذِمَارَكُمْ وَسَلَّيْتُمْ وَالْخَيْلُ تَذِي لُحُورُهَا
سَتَحْطُمُ سَعْدُ الرَّابِأُتُوفِكُمْ كَمَا حَزَّ فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا

— القضيبي — الذاقة المقتضبة الصعبة •• وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب ^(١)

في شيان وبني ذهل والهازام وقيس بن ثعلبة وبنو الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني يربوع فندب به عتيبة بن الحارث بن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس وأخوتهم بني ربيع فلم ينجيهم فانسرحوا وبني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قاتلون في يوم شديد الحر فاشمر الحوفزان إلا بالأهثم بن سمي بن سنان بن خالد ابن منقر واسم الأهثم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهثم من أنت فأنشأ يركب وقال هذه منقر فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمت بكر بن وائل وخلا ما كان في أيديهم وتسعهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهثم محرراً وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرس له قارح يدعي الزيد وقيس على مهر نخاف قيس أن يسبقه الحارث فخفزه بالرح في أسفه فخفزه به الفرس فجاء فسمى الحوفزان وأطلق قيس أموالي بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر ابن وائل وأساراهم وانقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فأت

[١] قوله يقول عبدة بن الطبيب •• قلت سبب هذه الأبيات أن عبدة وقيساً كان بينهما لجاء فهجره قيس بن عاصم ثم حمل عبدة دماً في قومه ثم خرج يسأل فيما تحمله لجمع

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
 سَلَامٌ أَمْرِيءَ جَلَّتْهُ مِنْكَ نِعْمَةٌ إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَمًا
 فَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلْكَهُ هَلْكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بَنِيَانُ قَوْمٍ تَهْتَمَا
 [قال المرتضى رضي الله عنه] ٥٥٠ ذا كرني بعد الأصدقاء بقول أبي دهل الجمعي وهو
 يعني نافقه

وَأَبْرَزْتَهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ عِنْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمَا^(١)
 وَسَأَلَنِي إِجَازَةً هَذَا الْبَيْتَ بِأَيِّاتٍ تُنْصِفُ إِلَيْهِ وَأُجْمَلُ الْكُتَابَةِ فِيهَ كَأَنَّهَا كِتَابَةٌ عَنْ
 امْرَأَةٍ لَا عَنْ نَافِقَةٍ فَقَاتَ فِي الْحَالِ
 فَطِيبَ رِيَاهَا الْمَقَامُ وَضَوَّاتُ بَإِشْرَاقِهَا بَيْنَ الْحَظِيمِ وَزَمَرَمَا

أبلا ومرت به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدية وقال فيم يسأل عبدة فأخبر فسأل
 إليه الدية كاملة من ماله وقال قولوا له ليستفنع بما صار إليه ولبقى هذه إلى القوم فقال
 عبدة أما والله لولا أن يكون صاحبي إياه بعقب هذا الفعل عاراً علي لصالحته ولكنني
 أنصرف إلى قومي ثم أعود فأصلحه ومضى بالابل ثم عاد فوجد قيساً قد مات فوقف
 على قبره وأنشد الأبيات

(١) قوله وَأَبْرَزْتَهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ الخ هو من أبيات حسان أولها

أَلَا عَرِاقُ النَّقَابِ انْتَبِهْ كُلَّمَا لَجَجَا جَا وَلَمْ يَلْزَمْ مِنَ الْحُبِّ لَزَمَا
 خَرَحَتْهُمَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ وَأَعْتَمَا
 فَانَامَ مِنْ رَاحٍ وَلَا ارْتَدَّ سَامِرُهُ مِنْ الْحَمِي حَتَّى جَاوَزَتْ بِي يَلْمَلُمَا
 وَرَمَتْ بِيْعْطَنَ الْبَيْتِ تَهْوِي كَأَنَّهَا تَبَادَرُ بِالْإِدْلَاجِ نَهْبًا مَقْتَمَا
 أَجَازَتْ عَلَى الْبِزْوَاءِ وَاللَّيْلِ كَاسِرُهُ جَنَاحَيْنِ بِالْبِزْوَاءِ وَرَدَا وَأَدَهَا

الخ الأبيات فقال له موسى بن يعقوب ما كنت إلا على الريح فقال يا ابن أخي إن عمك
 كان إذا هم فعل وهي الحاجة

فِيَارَبِّ إِنْ لَقِيتَ وَجْهًا نَجِيَّةً
تَجَافَيْنِ عَنْ مَسِّ الدَّهَانِ وَطَالَ مَا
وَكَمْ مِنْ جَلِيدٍ لَا يُخَامِرُهُ الْهَوَى
أَهَانَ لَهْنُ النَّفْسِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ
تَسْفَهَتْ لِمَا أَنْ وَقَفْتَ بِدَارِهَا
فَمُجِبَتْ تَقْرَى دَارِسًا مُتَنَكِّرًا
وَبُيُومَ وَقَفْنَا لِلْأَوْدَاعِ وَكُلْنَا
نُصِرْتُ بِقَابٍ لَا يُعْنَفُ فِي الْهَوَى

وكان أبو دهل من شعراء قریش وعني جمع إلى الطبع النجويد واسمه وهب بن
زمنة بن أسيد بن أحبيحة بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي بن غالب وكان اسم
جمع نجا واسم أخيه زيداً وهما ابنا عمرو بن هُصَيْص واستبقا إلى غاية ففضي تيم عن الغاية
فقبل جمع تيم فسمى بجمع ووقف عابها زيد فقبل بهم زيد فسمى سهماً ٠٠ فأما كنيته
فهي مشتقة من الدهيلة وهي المني الثقيل يقال دهل الرجل دهيلة إذا مشى ثقيلاً ٠٠
أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال
حدثنا أحمد بن يحيى النعموي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قبل لأبي عمرو بن العلاء
ما يعجبك من شعر أبي دهل الجمعي فقال قوله

يَا عَمْرُ حُمِّ فِرَاقِكُمْ عُمُرَا
يَا عَمْرُ شَيْخُكَ وَهُوَ ذُو شَرَفٍ
وَاللَّهِ مَا أَحْيَيْتُ حَبْلَكُمْ
إِنْ كَانَ هَذَا السِّحْرُ مِنْكَ فَلَا
وَعَزَمْتُ مِنَ النَّأْيِ وَالْهَجْرَا
يَرْعَى الزَّيْمَامَ وَيُكْرِمُ الصَّهْرَا
لَا تَدْبِهَا خَلِيقَتٌ وَلَا يَكْرَا
تَرْعِي عَلِيَّ وَجَدَدِي السِّحْرَا

إِحْدَى بَنِي أَوْدٍ كَانَتْ بِهَا حَمَلَتْ بِلَا تَرَةٍ لَنَا وَتَرَا
 وَتَرَى لَهَا دَلَالًا إِذَا نَقَطَتْ تَرَكْتَ بَنَاتِ فَوَادِهِ صُغُرَا
 كَتَسَافُطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنْ أَلَا أَقْنَاءَ لَا نَشْرَا وَلَا تَزْرَا
 وَمَقَالَةٍ فَيَكُمُ عَرَكْتُ لَهَا جَنِّي أُرِيدُ بِهَا لَكَ الْعَذْرَا
 وَمُرِيدُ سِرِّكُمْ عَدَاتُ بِهِ عَمَّا يُحَاوِلُ مُعْدِلًا وَعَمْرَا
 قَالَتْ يُقْسِمُ لَنَا لِنَجْزِيَهُ يَوْمًا فَخَصِيمٌ عِنْدَهَا شَهْرَا
 مَا إِنْ أَقِيمُ لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ إِلَّا لِأَبِي فَيَكُمُ عَذْرَا
 وَإِذَا هَمَمْتُ بِرَحَلَةٍ جَزَعْتُ وَإِذَا أَقْنَا لَمْ تُقَدْ تَقْرَا^(١)
 إِنِّي لَأَرْضِي مَا رَضَيْتُ بِهِ

وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دهميل

يَا لَيْتَ مَنْ يَتَّبِعُ الْمَعْرُوفَ يُنْتَفِعُ حَتَّى تَذُوقَ رِجَالُ غَيْبٍ مَا صَنَعُوا
 وَلَيْتَ رِزْقُ رِجَالٍ مِثْلُ نَائِلِهِمْ قَوْتُ كَقَوْتُ رَوْسَعٍ كَالَّذِي وَسِمُوا

وروى ٠٠ ضيق كنفيق ووسع كالذي انسموا

وَلَيْتَ لِلنَّاسِ خَطَا فِي وُجُوهِهِمْ تَبَيَّنَ أَخْلَاقُهُمْ فِيهِ إِذَا اجْتَمَعُوا
 وَلَيْتَ ذَا الْفَحْشِ لَا فَا فَا حِشًّا أَبَدًا وَوَأَفَقِ الْحِلْمِ أَهْلَ الْحِلْمِ فَاتَدَعُوا

ولأبي دهميل في قول الحارث بن علي عليه السلام

تَبَيَّنَ النَّشَاوَى مِنْ أُمِيَّةٍ نَوْمًا وَبِالطَّفِّ قَتْلَى مَا يَنَامُ حَمِيمُهَا
 وَمَا ضَيَّعَ الْإِسْلَامُ إِلَّا عَصَابَةً تَأَمَّرَ نَوْكَاهَا وَدَامَ تَعِيمُهَا

(١) النقر بالكسر مافقر ونقبت من الخشب والحجر ونحوهما كالنواة ٠٠ والمعنى لم تقدر شيئا

وَصَارَتْ قَتْلَةُ الَّذِينَ فِي كَفِّ ظَالِمٍ إِذَا مَالَ مِنْهَا جَانِبٌ لَا يُقِيمُهَا

وَأَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ رَوَى أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ لِأَبِي دَهْبِلٍ قَالَ وَيَقَالُ إِنَّهَا لِلْمُجَنِّونِ

أَتَرَكْتُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورٌ

هَبُونِي إِمْرَأَةً مِنْكُمْ أَضِلُّ بِعَمِيرَةٍ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الدِّمَامَ كَبِيرٌ

وَالصَّاحِبُ الْمُنْتَرُوكُ عَظِيمُ حُرْمَةٍ عَلَى صَاحِبٍ مَنْ أَنْ يَضِلُّ بِعَمِيرٍ

عَنَى اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلَيْتَ حَكَمًا عَلَى تَجْوَرُ

وَرَوَى أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ لِأَبِي دَهْبِلٍ وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو تَالِمٍ فِي الْحَمَاسَةِ لَهُ

أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَاتَ عَمَائِهِمْ وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّشْوَةِ السَّهْرِ

يَا لَيْتَ أَنِّي بِأَثْوَابِي وَرَاحِلَتِي عَبْدٌ لَأَهْلِكَ طَوَّلَ الدَّهْرُ مُوْتَجَرٌ

إِنْ كَانَ ذَا قَدَرٍ يُعْطِيكَ نَافِلَةً مِنَّا وَيَحْرِمُنَا مَا أَنْصَفَ الْقَدَرُ

وَأَخْبَرَنَا الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَدَوِيُّ قَالَ مَثَلُ قَوْلِ أَبِي دَهْبِلٍ

وَلَوْ تَرَ كُنَّا لَأَهْدَى اللَّهُ أَمْرَهُمْ فَلَمْ يَلْحَمُوا قَوْلًا مِنَ الشَّرِّ يَنْسَحُ (٩)

(١) قَوْلُهُ وَلَوْ تَرَ كُنَّا لَأَهْدَى اللَّهُ أَمْرَهُمْ الْحُ هُوَ مِنْ أَيْبَاتِ حَسَّانٍ قَالَهُ أَبُو دَهْبِلٍ

فِي امْرَأَةٍ مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهَا عَمْرَةٌ كَانَتْ امْرَأَةٌ جَزَلَةٌ يَجْتَمِعُ الرِّجَالُ عِنْدَهَا لِانْقِشَادِ الشَّعْرِ

وَالْحَادِثَةِ وَكَانَ أَبُو دَهْبِلٍ لَا يَخَارِقُ مَجْلِسَهَا مَعَ كُلِّ مَنْ يَجْتَمِعُ إِلَيْهَا وَكَانَتْ هِيَ أَيْضًا حَبِيبَةً لَهُ

وَكَانَ أَبُو دَهْبِلٍ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي جَمْعٍ وَزَعَمَتْ بَنُو جَمْعٍ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ وَزَعَمَ غَيْرُهُمْ

أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا وَلَمْ يَجِرْ بَيْنَهُمَا حِلَالٌ وَلَا حَرَامٌ وَكَانَتْ عَمْرَةٌ تَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ فِي حِفْظِ مَا بَيْنَهُمَا

وَكُنَّاهُ فَضَّلْنَا ذَلِكَ لَهَا فَجَاءَ نِسْوَةٌ كُنَّ يَتَخَذْنَ إِلَيْهَا فَذَكَرْنَا لَهَا شَيْئًا مِنْ أَمْرَائِي دَهْبِلٍ وَقُلْنَا

قَدْ عَلِقَ امْرَأَةٌ قَالَتْ وَمَا ذَلِكَ قُلْنَا ذَكَرْنَا أَنَّهُ عَاشِقٌ لَكَ وَإِنَّكَ تَاسِقَةٌ لَهُ فَرَفَعَتْ مَجْلِسَهَا

وَبِجَالَةِ الرِّجَالِ ظَاهِرَةٌ وَضَرَبَتْ حِجَابًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا وَكُنْتُ إِلَى أَبِي دَهْبِلٍ تَعْدِلُهُ وَتَحْبِرُهُ

لَا وَشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ تَفْرِيقَ بَيْنِنَا وَهَلْ يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ وَالْدَّهْرُ أَعْوَجُ

قول الصباج لرؤية ابنه بشكوه لما استطال عمره وتمنى موته

لَمَّا رَأَيْتُ أَرْعَشْتَ أَطْرَافِي اسْتَعْجَلَ الدَّهْرُ وَفِيهِ كَافِي

يَحْتَزِمُ الْإِلْفَ عَنِ الْإِلْفِ

•• قال ومثله

بما بلغها من سوء صنيعة فعند ذلك يقول

تَطَاوَلَ هَذَا الْإِلْفُ مَا يَبْلُغُ

وَبِتُّ كَثِيئًا مَا أَنَامُ كَأَنَّمَا

فَطَوَّرَ أَمْنِي النَّفْسَ مِنْ عَمْرَةٍ أَلْفِي

لَقَدْ قَطَعَ الْوَاشُونَ مَا كَانَ بَيْنَنَا

رَأَوْا غُرَّةً فَلَا يَسْتَقْبِلُوهَا بِالْهَمِّ

وَكَانُوا أَنَا أَسَا كُنْتُ آمِنٌ غِيْهِمْ

هَمْ مِنْهُمْ نَا مَا نَحْبُ وَأَوْقَدُوا

وَلَوْ تَرَكُونَا لَا هَدَى اللَّهُ سَعِيْهِمْ

لَا وَشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ يَفْرِقُ بَيْنَنَا

عَسَى كَرِيَّةٌ أَمْسَيْتُ فِيهَا مَقْبِيَّةٌ

فِيَكْبِتُ أَعْدَاةً وَيُخْذِلُ آلْفَةً

وَقُلْتُ لِقَبَادٍ وَجَاءَ كِتَابُهَا

وَعَطَّطْتُ فِي ظَهْرِ الْحَصِيرِ كَأَنِّي

فَلَمَّا التَقَيْنَا لَجَلَجْتُ فِي حَدِيثِهَا

وَأَنِّي لِمُحِبُّوبَةٍ عَشِيَّةُ زَرْئِهَا

وَأَعْنِي عَلَى الْقَوْلِ وَالْقَوْلُ وَاسِعٌ

وَأَعْيَتْ عَوَانِي عَمْرِي مَا تَفْرَجُ

يَخْلُلُ ضُلُوعِي جِرَّةُ تَنُوهِجُ

وَطَوَّرَ إِذَا مَا لَجْتُ فِي الْحَزَنِ أَنْشَجُ

وَنَحَى إِلَى أَنْ يُوْصَلَ الْجِلْدُ أَحْوَجُ

فَرَا حَوَا عَنِي مَا لَا نَحْبُ وَأَدْلَجُوا

فَلَمْ يَنْهَسْهُمْ حَامٌ وَلَمْ يَخْرُجُوا

عَابِنَا وَشَبَّوْا نَارَ مَصْرَمٍ تَأْجِجُ

وَلَمْ يُلْعَدُوا قَوْلَانِ التَّسْرِيسِجُ

وَهَلْ يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ وَالْدَّهْرُ أَعْوَجُ

يَكُونُ لَنَا مِنْهَا نَجَاةٌ وَمُخْرَجُ

لَهُ كَبِدٌ مِنْ لَوْعَةِ الْحَبِّ تَنْضِجُ

لِهَذَا وَرَبِّي كَانَتْ الْعَيْنُ تَخْلُجُ

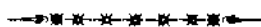
أَسِيرٌ يَخَافُ الْقَتْلَ وَلَهَا نُلْفَجُ

وَمِنْ آيَةِ الْعَصْرِ الْحَدِيثُ لِلْمُحَاجِجِ

وَكُنْتُ إِذَا مَا زَرْتَهَا لَا أَعْرِجُ

وَفِي الْقَوْلِ مَسْنَى كَثِيرٌ وَمُخْرَجُ

عَدِمْتُ ابْنَ عَمٍّ لَا يَزَالُ كَاثِرُهُ وَإِنْ لَمْ تَرَاهُ مُنْطَوِيًّا عَلَى وَتَرٍ^(١)
يُعِينُ عَلَى الدَّهْرِ وَالْدَّهْرُ مُكْتَفٍ وَإِنْ أَسْتَعْنَهُ لَا يُعْنِي عَلَى الدَّهْرِ
[قال المرتضى رضى الله عنه] .. ومثل الجميع قول أبي أحمد عبد الله بن عبد الله بن طاهر
إِلَى كَمْ يَكُونُ الْعَتَبُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَكَمْ لَا تَمَّائِنُ الْقَطِيعَةُ وَالْهَجْرُ
رُؤْيَاكَ إِنَّ الدَّهْرَ فِيهِ كِفَايَةٌ تَفْرِيقُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَانْتَظِرِي الدَّهْرَ



﴿ مجالس آخر ٩ ﴾

[إن سأل سائل] ما وجه التكرار في سورة الكافرين وما الذى حسن إعادة التثنية
لكونه عابداً ما يعبدون وكونهم عابدين ما يعبدون وذكر ذلك مرة واحدة يعنى .. وما وجه
التكرار في سورة الرحمن لقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان .. الجواب يقال له قد
ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرون وجهاً وهو أن قال القرآن لم ينزل دفعة
واحدة وإنما كان نزوله شيئاً بعد شيء والأمر في ذلك ظاهر فكان المشركين أتوا النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا له اسلم بعض أصنامنا حتى تؤمن بك ونصدق بنبوتك فأمره الله
تعالى بأن يقول لهم (لا أعبد ما تعبدون ولا أنا عابد ما عبدتم) ثم غيروا مدة من الزمان
وجاؤه فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واسلم بعض أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولاً لنفعل مثل
ذلك بالهلك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم (ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد)
(١) قوله وإن لم تراه إلخ إن قال قائل لِمَ لَمْ يَحْذَفِ الْآلِفُ مِنْ تَرَاهُ لِلْجَازِمِ
.. جوابه أنها ثبتت ضرورة وهي اشباع والحرف الأصلي حذف للجازم وقيل هي أصلية
بناء على قول من يجزم المعتل بحذف الحركة المقدرة ويقر حرف العلة على حاله ومثل
البيت قوله

هَجَرْتُ زَيْنًا ثُمَّ جِئْتُ مُعْتَذِرًا مِنْ هَجَرِ زَيْنٍ لَمْ تَهْجُرْ وَلَمْ تَدْعِ

أي أن كنتم لا تعبدون إلهي إلا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه أبداً .. وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال أنه يقتضي شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد قال وإذا كان ما نفاء عن نفسه من عبادة ما يعبدون مطلقاً غير مشروط فكذلك ما عطفه عليه وهذا الطعن غير صحيح لأنه لا يتنع اثبات شرط بدليل وإن لم يكن في ظاهر الكلام ولا يتنع عطف الشرط على المطلق بحسب قيام الدلالة .. وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة كل واحد منها أوضح مما ذكره ابن قتيبة .. أولاً ما حكى عن أبي العباس أنه قال إنما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى وتلخيص الكلام قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضاً واختص الفعلان منه ومنهم بالحال .. وقال من بعد ولا أنا عابد ما عبدتم في المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون فاختلف المعاني وحسن التكرار في اختلافها ويجب أن تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم أنه لا يؤمن .. وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في أبي جهل والمستزئرين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد والمستهزؤون هم العاصي بن وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يفرث وعدي بن قيس .. والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد كقول الجيب مؤكداً بلى على والمتنع مؤكداً لا لا .. ومثله قول الله تعالى (كلا سوف تعملون ثم كلا سوف تعملون) .. وأنشد الفراء

وكائن وكم عندى لهم من صنعة
أيادى ثنوها على وأوجبوا .. وأنشد أيضاً

كم نعمة كانت لكم كم كم وكم

.. وأنشد أيضاً

نَعَقَ الْفَرَابُ بَيْنَ بُنَى غُدْوَةٍ كَم كَم وَكَم لِفِرَاقِ بُنَى يَنْعِقُ

.. وقال آخر

أَرَدْتُ لِنَفْسِي بَعْضَ الْأُمُورِ فَأُولِي لِنَفْسِي أُولِي لَهَا

.. والجواب الثالث وهو أغربها التي لا أعبد الأصنام التي تعبدونها ولا أنتم عابدون ما أعبد أي أنتم غير عابدين الله الذي أنا عابده اذ أشركتم به واتخذتم الأصنام وغيرها معبودة من دونه أو معه وإنما يكون عابداً له من أخلاص له العبادة دون غيره وأقرده بها وقوله ولا أنا عابد ما عبدتم أي لست أعبد عبادتكم وما في قوله ما عبدتم في موضع المصدر كما قال تعالى (والأرض وما طحاها ونفس وما سواها) أراد طحية إياها وتوبيته لها وقوله تعالى (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون) يريد بفرحكم ومرحكم .. قال الشاعر

يَا رَيْحَ سَلَامَةٍ بِالْمُنْحَى يَجْزِفُ سَلْعَ جَادِكَ الْوَابِلِ

إِنْ نَفْسٍ وَخَشْفٍ مَقْدُورِي وَأَنْتَ مَعْمُورٌ بِهِ أَهْلِي

أراد فبرؤيتك معموراً أهلاً .. ومعنى قوله ولا أنتم عابدون أي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه فلم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعاني .. وتلخيص ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للكفار لا أعبد آلهتكم ومن تدعون من دون الله ولا أنتم عابدون الهى وان زعمتم انكم عابدون الهى فأنتم كاذبون إذ كنتم من غير الجهة التي أمركم بها تعبدونه فأننا لا أعبد مثل عبادتكم ولا أنتم مادتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتي .. فان قيل أما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه في اختلاف العبادة .. قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعبد من يخاص له العبادة ولا يشرك به شيئاً وهم يشركون فاختلعت عباداتهم ولأنه أيضاً كان يتقرب الى معبوده بالأفعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الأفعال ويتقربون بأفعال غيرها يعتقدون جهلاً أنها عبادة وقرية .. فان قيل ما معنى قوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) وظاهر هذا الكلام يقتضى إباحتهم المقام على أديانهم .. قلنا في هذا ثلاثة أجوبة .. أولها ان ظاهر الكلام وان كان ظاهراً إباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال تعالى (اعملوا ما شئتم) .. وثانيها انه أراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني لحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ..

ومثلها أنه أراد لكم جزاؤكم ولي جزائي لأن نفس الدين هو الجزاء .. قال الشاعر

إِذَا مَا لَقُونَا لَقِينَاهُمْ وَدِنَاهُمْ مِثْلَ مَا يَقْرِضُونَا

.. فأما التكرار في سورة الرحمن فإتاما حسن للتقرير بالنظم المختلفة المعددة فكلاما ذكر نعمة أنعم بها قرر عليها وويج على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره ألم أحسن إليك بأن خولتك الأموال ألم أحسن إليك بأن خلعتك من المكروه ألم أحسن إليك بأن فعلت بك كذا وكذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم .. قال مهمل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً

وَهَمَامُ بْنُ مَرْثَةَ قَدْ تَرَكْنَا	عَلَيْهِ الْقَشْعَمَانِ مِنَ الشُّعُورِ ^(١)
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا طُرِدَ الْيَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا مَا ضَمَّ جِيزَانُ الْمَجِيرِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا خَرَجَتْ مَخْبَأَةُ الْخُدُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا رَجَفَتِ الْمِضَادُ مِنَ الدُّبُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا مَا أُعْلِنَتْ نَجْوَى الْأُمُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا خِيفَ الْمَخُوفُ مِنَ الشُّعُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	غَدَاةَ بِلَالٍ الْأَمْرِ الْكَبِيرِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا مَا خَامَ جَارُ الْمُشْتَجِرِ

.. وقالت ليل الأخيالية ترثي توبة بن النخعي

(١) - قلت القشعمان مرفوع بالابتداء وخبره قوله عليه مقدماً والجملة في موضع نصب على الحال وتقديره وإليه حذف الواو لأن الهاء في عليه تربط الكلام بأوله ويروي عليه القشعمين بالنصب ووجهه أن يكون منصوباً بقوله تركنا

ونعم التي يا توب كنت ولم تكن
 ونعم التي يا توب كنت إذا التقت
 ونعم التي يا توب كنت لخاص
 ونعم التي يا توب جارا وصاحباً
 لعمري لأنت المرء أبكي لفقدِهِ
 لعمري لأنت المرء أبكي لفقدِهِ
 لعمري لأنت المرء أبكي لفقدِهِ
 لعمري لأنت المرء أبكي لفقدِهِ
 أباً لك ذمّ الناس يا توب كلما
 فلا يُبعدنك الله يا توب إنما
 ولا يُبعدنك الله يا توب إنما
 ولا يُبعدنك الله يا توب والتقت

فخرجت في هذه الايات من تكرار الى تكرار لاختلاف المعاني التي عددها على نحو ما ذكرناه .. وقال الحارث بن عباد وكان قاضي العرب

قَرَبًا مَرَبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِيتُ حَرْبَ وَاثِلٍ عَنِ حَيَالِ

ثم كرر قوله قَرَبًا مَرَبُطَ النِّعَامَةِ في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه .. وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترى زوجها

وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا أَقَامَ وَنَادَى صَحْبَهُ بِرَحِيلَ

وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا ضَرُوبُ بَنَصْلِ السِّيفِ غَيْرُ نَكُولٍ

وحدثني أصحابه أن ما ليكا خفيف على الحداث غير ثقيل

وحدثني أصحابه أن ما ليكا جواد بما في الرجل غير تجل

وحدثني أصحابه أن ما ليكا صرّوم كما مضى الثفرين صقيل

وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات بقوله عز وجل (ويل يومئذ للمكذبين) .. فان قيل اذا كان الذي حسن التكرار في سورة الرحمن ما عدده من الآيات ومن نعمة فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله (يرسل عليكما شوط من نار ونحاس فلا تنصران) وقوله (هذه جهنم التي يكذب بها المرءون يطوفون فيها سبعة أيام) فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وليس هذا من الآلاء والنعمة .. قلنا الوجه في ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به من أكبر النعم لأن في ذلك زجراً عن ما يستحق به العقاب وبعثاً على ما يستحق به الثواب فانما أشار تعالى بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها الى نعمة يوصفها والانذار بعقابها وهذا مما لا شبهة في كونه نعمة

[قال المرتضى رضى الله عنه] .. وكما أنه في الجاهلية وقبل الاسلام وفي ابتدائه قومه يقولون بالدهر وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويستزلون انزق من غير رازقهم أخبر الله عنهم في كتابه وضرب لهم الأمثال وكرر عليهم اليبينات والاعلام فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن ينسب باظهار الاسلام ويحقق باظهار شاعره والدخول في جملة أهله دمه وماله زادقة ملحدون وكفار مشركون فتنهم عن الاسلام عن المظاهرة والجأهم خوف القتل الى المسائرة وباية هؤلاء على الاسلام وأهله أعظم وأغلظ لأنهم يدعون في الدين ويموهون على المستضعفين بحش رابط ورأي جامع فعل من قد آمن الوحشة ووثق بالأنسة بما يظهره من لباس الدين الذي هو منه على الحقيقة عار وبأنوابه غير متوار .. كما حكى ابن عبد الكريم بن أبي العوجا قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور وأحضره لقتل وأبقن

بفارقة الحياة لئن قلتونى لقد وضعت فى أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة . . والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك . والحدادون حماد الراوية . وحماد بن الزبرقان . وحماد بن عجرد . وعبد الله بن المقفع . وعبد الكريم بن أبي العوجا . وبشار بن برد . ومطيع بن إياس . ويحيى بن زياد الحارثي . وصالح بن عبد القدوس الأزدي . وعلي بن خليل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم تذكره وهم وإن كان عددهم كثيراً فقد أقلهم الله وأذلهم وأرذلهم بما شهدت به دلائله الواضحة وحججه اللامعة على عقولهم من الضعف وآرائهم من السخف ونحن نذكر من أخبار كل واحد من ذكرناه وتمتته فى دينه نبذة ونومئ فيها إلى جملة كافية والذي دعانا إلى التماسك بذلك وإن كانت عنايتنا بغيره أقوى مسألة من نرى إجابته وتوثر موافقته فتكفناه له من أجله مع أنه غير خالٍ من فائدة ينفع عليها ويتأدب بروايتها وحفظها . . أما الوليد فكان مشهوراً بالاحكام متظاهراً بالعناد غير محتشم فى أطراح الدين أحداً ولا مراقب فيه بشراً وفى الحديث أنه ولِدَ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامٌ فَسَمَّاهُ الْوَلِيدَ فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَمِيئُكُمْ بِأَسْمَاءٍ فَرَضْتُمْ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يَقُولُ لَهُ الْوَلِيدُ لَهُوْ شَرٌّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ عَلَى قَوْمِهِ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ عَنْهُ فَقَالَ إِنْ اسْتَخْلَفَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ وَإِلَّا هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبنى فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمر ويشرف على العواف فقال بعض الحجة لقد رأيت المجوسي البناء فوق الكعبة وهو يقدّر مواضع أركان القبة فلم تفس تلك الليلة حتى وافى الخبر بقتل الوليد . . وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني عبد الله بن يحيى العسكري عن أبي اسحاق الطلحي قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل عن أبي العالقة قال أخبرني بعض أهل العلم قال قال يزيد بن الوليد وهو الملقب بالناقص لما ولى نشدت الله رجلاً سمع شيئاً من الوليد إلا أخبر به فقام ثور بن يزيد فقال أشهد لسمعته وهو يقول

إِسْقِيَانِي وَأَبْنِ حَرْبٍ وَأَسْتَرَانَا بِالزَّوْ

وَأَنْتُمْ كَامِنٌ طَلَبَ الْجَنَّةَ يَسْتَمِي فِي خَسَارٍ
سَامُوسُ النَّاسِ حَتَّى يَرْكَبُوا دِينَ الْحِمَارِ

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني ابن خالد النخاس قال حدثنا محمد بن مكحول قال
نشر الوليد بن يزيد يوماً المصحف وكان خطه كأنه أصابع وجعل يرميه بالسهم ويقول
يُذْكَرُنِي الْحِسَابُ وَلَسْتُ أَذْرى أَحَقًّا مَا يَقُولُ مِنَ الْحِسَابِ
فَقُلْ لِلَّهِ يَتَمَنَّى طَعَامِي وَقُلْ لِلَّهِ يَتَمَنَّى شَرَابِي

[قال الشريف المرتضى رضى الله عنه] .. ويله من هذه الجراءة على الله وبالله
طويلاً وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرايه وحياته وما أولاد المؤمنين أليم العقاب
وشديد العقاب لولا ما تم به الحجة وينظم به التكليف من تأخير المستحق من الثواب
والعقاب وتبعدهما من أحوال الطاعات والعمامى .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال
حدثني أحمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد زنديقاً وأنه أفتتح المصحف يوماً فقرأ
فيه (واستفتحوا وخاب كل جبار عبيد) فاتخذ المصحف غرضاً ورماه حتى مزقه
بالبلبل وهو يقول

أَتَوَعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فَمَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ
فَإِنْ لَا قِيَتَ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرِ فَقُلْ يَا رَبِّ خَرَفَنِي الْوَلِيدُ

وأما حماد الراوية فكان منساقاً من الدين وزارياً على أهله مدناً لشرب الخمر
وارتكاب الفجور .. وقال أبو عمرو الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن
إياس ويحيى بن زيا وحفص بن أبي وقدة وقاسم بن زقطة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة
وحامد بن محمد بن وهب بن الحليل وحامد بن أبي إيل الراوية وحامد بن الزرقان ووالبة بن
الحباب وعمارة بن حمزة بن يميون ويزيد بن النضر وجليل بن محفوظ المهازي وبشار بن
برد المرعي وأبان اللاحقي يجتمعون على الشرب وقول الشعر ويهجو بعضهم بعضاً وكل
منهم بهم في دينه .. وعمل يونس بن أبي فروة كتاباً في مثالب العرب وعيوب الأعلام

بزعمه وصار به الى ملك الروم فأخذ منه ملاً ٥٥ وقال أحمد بن يحيى النحوى قال رجل يهجو حماد الراوية

نَيْمُ الْقَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيُقِيمُ وَفَتْ صَلَاتِهِ حَمَادُ
بَسَطَتْ مَشَافِرُهُ الشَّمْلُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسْنُهَا الْحَدَادُ
وَأَيْضٌ مِنْ شُرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهُهُ فَيَبَاضُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سَوَادُ
لَا يُعْجِنُكَ بَزْمُ وَلِسَانِهِ إِنْ الْمَجُوسَ بَرَى لَهَا أَسْبَادُ

وكان حماد مشهوراً بالكذب فى الرواية وعمل الشعر وضافته الى الشعراء المتقدمين ودمه فى أشعارهم حتى ان كثيراً من الرواة قالوا قد أفسد الشعر لأنه كان رجلاً يقدر على صنعة فيدس فى شعر كل رجل ما يشاكل طريقته ^(١) فاختلف لذلك الصحيح بالقيم

(١) قوله بدخل فى شعر كل رجل ما يشاكل طريقته الخ فمن ذلك ان المهدي سأل المفضل الضبي عن سبب افتتاح زهير قصيدته

دع ذا وعدة القول فى هرم خير البداة وسيد الخضر
ولم يتقدم له قبل ذلك قول ما الذى أمر نفسه بتركه فقال له المفضل إنى توهمته كانت منكراً فى شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا أى دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول فى هرم فاسلك عنه ودعى حماداً فسأله فقال ليس هكذا قال زهير وأنشد

لَمَنِ الدِّيارُ بَنَتْهُ الْحِجْرُ أَقْوِينَ مَذْجِجٍ وَمَذْذَرُ

فَقَرَّ بِمَنْدَقِ النَّحَاثِ مِنْ ضَفْوَى أَلَاتِ الضَّالِّ وَالسَّارِ

دع ذا الخ فاستحلفه المهدي فأقر أنه هو الذى أدخلها فى شعر زهير فأمر المهدي ان من اراد شعراً محرراً فليأخذ من حماد ومن اراد رواية صحيحة فليأخذها من المفضل ٥٥ وقال له الوليد بن اسحق هذا القلب فقيل لك الراوية فقال بأنى اروي لكل شاعر تعرفه او سمعت به ثم اروي لا أكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولم تسمع به ثم لا أنشد شعراً أقدم ولا أحدث إلا ميزت القديم منه من الحديث فقال ان هذا العلم

وهذا الفعل منه وإن لم يكن الأعلى الاتحاد فهو فقي وتهاون بالكذب في الرواية
 .. وأما حماد بن الزرقان فهذه طريقته في التخريم والتهنك .. أخبرنا أبو الحسن علي
 ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا الأشناداني قال دعا حماد بن الزرقان
 أبا العول الهشلي إلى منزله وكانا يتفارضان فأنهره أبو العول فلم يزل المفضل به حتى أجابه
 وانطاق معه فلما رجع إلى المفضل قال ما صنعت أنت وحماد قال اصطالحنا على أن
 لا أمره بالصلاة ولا يدعوني إلى شرب الخمر .. ثم أنشد المفضل قوله

نعم الفقي لو كان يعرف ربه

وذكر الأبيات التي تقدمت في الرواية الأخرى منسوبة إلى حماد الرواية .. فأما
 حماد مجرد فشهرته في الضلالة كشهرة الحمادين وكان يرمي مع ذلك بالثنية .. أخبرنا
 أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله النخعي قال أخبرني أبي قال حدثني
 ابن مهران قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني السري عن الصباح الكوفي
 قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لي يابا عني أما إني قد أوجعت صاحبكم ووافقت منه
 يعني حماد مجرد فقلت بماذا يابا معاذ فقال يقول في

يا ابن نهبيا رأس على ثقبيل واحتمال الرأسين خطب جليل

فادع غيظي إلى عبادة رئيس فاني بواحد مشغول

فقلت إن أدعه في عماء ثم قلت له قد بلغ حماد هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا
 قال ماذا يقول قلت يقول

فادع غيظي إلى عبادة رئيس فاني عن واحد مشغول

وأنت كبير فكيف مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثيراً ولكنني أنشدك على كل حرف
 من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر
 الإسلام فامتحنه فأنشده حتى ضجر فوكل به من سمع منه ألفين وأسمائة قصيدة
 للجاهليين فأمر له بمائة ألف درهم واسم أبيه مبصرة

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة ثم قال اني لأحشمك فلا تشدأ حدأ
هذين البيتين وكان اذا سئل عنها بعد ذلك قال ما هالي .. وأخبرنا المزياني قال
أخبرني علي بن هارون عن غم يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد
الأرقط قال بشار بلغني ان رجلاً كان يقرأ القرآن وحده يشد الشعر فاجتمع الناس
على القارئ فقال حماد علام نجتمعون فوالله لما أقول أحسن مما يقول فقت الناس على
هذا .. وروى ابن شبة عن أبي عبيدة قال كان حماد مجرد يعبر بشاراً بالقبح لأنه كان
عظيم الجسد مجذوراً طويلاً جاحظ العينين قد نفضاها لم أحمر فلما قال حماد فيه

والله ما الخزيير في تنه	برئعه في التني أو خمسه
بل ريحه أظيب من ريحه	ومسه ألين من مسه
ووجهه أحسن من وجهه	وتنسه أفضل من تنسه
وعوده أكرم من عوده	وجنسه أكرم من جنسه

فقال بشار وبلي على الزنديق لقد نكت بما في صدره قيل وكيف ذلك قل ما أراد
الزنديق الا قول الله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) فأخرج الجعور
بها مخرج عجائي وهذا خبيث من بشار وتغلغل شديد .. وأول من جعل في الاحداث كيداً
لارصف به وأخرج ذلك مخرج المبالغة مساور الوراق في حماد مجرد فقال

لو أن ماني وذيصا نأوعصبتهم	جاؤا إليك لما قلنا لزنديق
أنت المبادق والتوحيد مذخلنا	وذا التزنديق نبرج محاريق

.. فأما ابن المقفع^(١) فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي انه قال ما وجدت كتاب

(١) اسم ابن المقفع روضة قبل الاسلام وعبد الله بعده والمقفع اسمه المبارك ولقب بالمقفع لان
الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فشققت يده ورجل منقفع اليدين أي تشنجهما وقيل هو المقفع
بكسر الفاء لعمدة المقفعه بفتح القاف وسكون الفاء والمقفعه شيء يشبه الزيل بلا عروة وتعمل من
خوص ليست بالكبيرة .. وقال البيت المقفعه تخدمن خوص من تدبره يفتني فيم الزط ونحوه

زندقة قط إلا وأصله ابن المقفع . . . روى ابن شبة قال حدثني من سمع ابن المقفع وقد
مر بيت نار للمجوس بعد أن أسلم فلمحه وتمثل

يا بنت عاتكة الذي أتمزل
حذر المدي وبك الفؤاد موكل
إني لأمنحك الصدود وإتني
قسماً اليك مع الصدود لأميل

وروى أحمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفع يرثي يحيى بن زياد وقال الاخفش
والصحيح انه يرثي بها ابن أبي العوجا

رؤيتنا أبا عمرو ولاحي مثله
فله ريب العادات بمن وقع
فإن تك قد فارقتنا وركبتنا
ذوى خلة . . . إني أنسد أديها طمع
لقد جرت نفعاً فقد نالنا أننا
أمناع على كل الرزايا من الجزع

قال ثعلب البيت الأخير يدل على مذهبه في أن الخبير مزوج بالشر والشر مزوج
بالخير . . . وأخبرني علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني
المغيرة بن محمد المهلب من حفظه قال حدثنا خالد بن خديش قال كان الخليل بن أحمد يحب
أن يرى عبيد الله بن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعهم عباد بن عباد المهلب
فحدثنا ثلاثة أيام وإليان فقبل لل خليل كيف رأيت عبيد الله قال ما رأيت مثله وعلمه
أكثر من عقله وقبل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال ما رأيت مثله وعقله أكثر
من علمه قال المغيرة فصدقا أدى عقل الخليل الخليل الى ان مات أزهت الناس وجهه
ابن المقفع أذاه الى ان كتب أماناً لعبد الله بن علي فقال فيه ومضى فغدر أمير المؤمنين
بعمة عبد الله فمساؤه ما والقي ودوابه حبيس وعبيده أحرار والمسلمون في رحل من
بيته فاشتد ذلك على المنصور جداً وخاصة أمر البيعة . . . وكتب الى سفيان بن معاوية
المهلب وهو أمير البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيد الكلام
فصبح البصرة له حكم وأمثال مستفادة . . . من ذلك ما روي من ان يحيى بن زياد الحارثي

كتب اليه يلتمس معاقبة الإخاء والاجتماع على المودة والصفا فأخرج جوابه فكتب
اليه كتاباً آخر يسترثيه فكتب اليه عبد الله أن الإخاء رقى فكرهت أن أملكك رقي
قبل أن أعرف حسن كنهك .. وكان يقول ذلك نفسك البصير على الجار سوء والعشير
السوء والجائس السوء .. فان ذلك لا يكاد يخطئك .. وكان يقول إذا نزل بك أمر مهم
فانظر فان كان له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع .. ودعاه عيسى
ابن علي للغداء فقال أعز الله الأمير لست يومي للكرام أكيلا قال ولم قال لاني مكرم
والزكاة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار .. وكتب الي بعض اخوانه أما بعد
فتعلم العلم من هو أعلم به منك وعلمه من أنت أعلم به منه فأنك إذا فعلت ذلك علمت
ما جهلت وحفظت ما علمت .. وقال لبعض الكتاب إياك والتبصير لوحشي الكلام طمعا في
نيل البلاغة فان ذلك هو الهي الأكبر .. وقال لا خير عليك بما سهل من الألفاظ مع
التعجب لألفاظ السفة .. وقيل له ما البلاغة فقال اني اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن
مثلا .. وقال لأحدث من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف منه ولا تعبد ما لا تريد
إنجازا ولا تضن ما لا تنق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعجب برجائه ولا تقدم على ما تخاف
العجز عنه .. وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا فاعلم انهم ينسبونك الي قوة الوفاء
فلا تشمرن قلبك استبطاء فانه لم يشمر أحد قابه إلا ظهر عن لسانه ان كان سخيلاً
وعلى وجهه ان كان حليماً .. وكان يقول ان مما سخا بنفس العالم عن الدنيا علمه بان
الأرزاق لم يقدم فيها على قدر الأخطار .. وأما ابن أبي العوفا فقد ذكر ما روى من
اعتزافه بدسه في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام أحاديث مكذوبة وروى انه رأى عدلاً
قد كتب عليه آية الكرسي فقال لصاحبه لم كتبت هذا عليه فقال لكلا يسرق فقال قد
رأيتا مصحفاً سرق .. ولينشار فيه

قُلْ لِمَبْدِ الْكَرِيمِ يَا ابْنَ أَبِي الْعَوْفِ جَاءَ بَعَثَ الْإِسْلَامَ بِالْكَفَرِ مَوْفَا
لَا تُصَلِّي وَلَا تَصُومُ فَإِنْ صُمْتَ فَبُغِضَ النَّهَارُ صَوْمًا ذَقِيقًا
لَا تُبَالِي إِذَا أَصَبْتَ مِنَ الْخُمْسِ عَقِيقًا إِلَّا تَكُونُ عَقِيقًا

لَيْتَ شِعْرِي غَدَاةَ حُلَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى حُلَيْتُ أَمْ زُنْدِيْقَا
 فَأَمَّا بشار بن برد فروى المازني قال قال رجل لبشار أنا كل اللحم وهو مبين
 لديانتك يذهب الى انه شوى فقال بشار ان هذا اللحم يدفع عنى شر هذه الظلدة . . قال
 المبرد و يروى ان بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض ويصوب رأى ابليس في الامتناع
 عن السجود وروى له

النَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالْأَرْضُ مُنْظَمَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مَذَّةُ النَّارِ

وروى بعض أصحابه قال كنا اذا حضرت الصلاة نقوم اليها ويقعد بشار فنجعل
 حول توبه تراباً فننظر هل يصلى فعود والتراب بحاله ولم يقم الى الصلاة . . أخبرنا
 أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال أخبرني أبي قال حدثني
 ابن مهران عن أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال كنت أكلهم بشاراً وأرد عليه سوء
 مذهبه بيته الى الاتحاد فكان يقول لا أعرف الا ما غابت أو غابته معاني فكان التكلام
 يطول بينما فقال ما ظن الأمر يا أبا محمد الا كما يقال انه خذلان ولذلك أقول

طُبِعْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ غَيْرٍ هَوَايَ وَأَخْيَرْتُ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا
 أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أُرَدْ وَغَيْبٌ عَنِّي أَنْ أُنَالَ الْمَغْيَا
 وَأَصْرَفُ عَنْ قُصْدِي وَعِلْمِي مَبْصُرٌ وَأُمْسِي وَمَا عَقِبْتُ إِلَّا التَّعْجِبَا

قال الجاحظ كان بشار صديقاً لواصل بن عطاء الغزالي قبل أن يظهر مذهبه
 المكروعة وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت
 على البديهة فقال

تَكَلَّفَ الْقَوْمُ وَالْأَقْوَامُ فَذَحَلُوا وَحَبَرُوا وَخَطَبَا نَاهِيكَ مِنْ خُطَبِ
 قَصَامٍ رُتَجِلًا تَغْلِي بَدَاهَتُهُ كَمَنْ جَلَّ الْقَيْنُ لَمَّا حَفَّ بِاللَّهَبِ
 وَجَانِبُ الرِّاءِ لَمْ يَشْمَرْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَ النَّصْفِ وَالْإِغْرَاقِ فِي الطَّلَبِ

•• ومثل ذلك قول بعضهم في واصل

وَيَجْمَلُ الْبُرْقُ قَمَحًا فِي تَكْلِيمِهِ وَجَانِبُ الرَّأْيِ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّمْرِ
وَلَمْ يَقُلْ مَطَرًا وَالْقَوْلُ يُعْجَلُهُ فَعَاذَ بِالْفَيْثِ إِشْفَا قَامِنِ الْمَطَرِ

فلما أظهر بشار مذهبه هتف به واصل فقام بذكره وتكفيره وقعد فقال بشار فيه

مَا لِي أَشَابِعُ غَزَّالًا لَهُ عُتُقٌ كَنَقَتِ الدَّوَانُ وَلِي وَإِنْ مَثَلًا
عُنُقُ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وَبِالْكُمُ تُكْفِرُونَ رِجَالًا أَكْفَرُوا رِجَالًا

فلما نتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال عنه ذلك أما لهذا الأعمى الملحد أما لهذا المشنف المكفى بأبي معاذٍ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجاليا الغالية لدست إليه من بيعج بطنه في جوف منزله على مضجعه أو في يوم حفلة ثم كان لا يتولى ذلك إلا عقيل أو سدوس^(١) فعبد^(٢) واصل بن عطاء من الضرير الى الأعمى ومن الكافر الى الملحد ومن المرعث الى المشنف ومن بشار الى أبي معاذٍ ومن الفرائش الى المضجع •• وزاد قوم فقالوا ومن أرسلت الى دست ومن يبقر الى بيعج ومن داره الى منزله ومن المغيرة الى الغالية والاول أشبه بان يكون مقصوداً وما ذكر ثانياً فقد يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الرأى •• فأما قوله لا يتولى ذلك الا عقيل فلأن بشاراً كان مولى لهم وذكره يحيى سدوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم فأما لقب بشار بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة أقوال • أحدها انه لقب بذلك ليت قاله وهو

قَالَ رِيحٌ مُسْرَعَةٌ فَاتِرُ الطَّرْفِ وَالنَّظَرِ

(١) وسئل عثمان البري كيف كان يصنع واصل في العدد وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين وكيف كان يصنع بالتمر والبدر ويوم الاربعاء وشهر رمضان وكيف كان يصنع بالحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجادى الآخرة ورجب فقال مالي فيه قول الاما قال صفوان

ملقنٌ ملهمٌ فبما يحاوله جم خواطره جواب آفاق

(١٣ - أمالي)

أَسْتِ وَاللَّهِ نَائِلِي قُلْتُ أَوْ يَلْبَسَ الْقَدَرُ

• والقول الثاني انه كان لبشار نوب له جيبان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فكان إذا أراد لبسه يضعه عليه ضمناً من غير أن يدخل رأسه فيه فشبّه استرسال الجيبين وتدلّهما بالرحا وهي القرطة فقبل المرعثة • وقال أبو عبيدة انما سمي المرعثة لانه كان يلبس في سباء رحاها وهذا هو القول الثالث • وكان بشار مقدما في الشعر جداً حتى ان كثيراً من الرواة يلحقه بمن تقدم عصره عليه من المجودين • وأخبرنا المرزباني عن محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن الليشكري قال قيل لأبي حاتم من أشعر الناس قال الذي يقول

ولها مَبْسَمٌ كَفَرُ الْأَقَاحِي وَحَدِيثُ كَالْوَشِيِّ وَشِي الْبُرُودِ
تَزَلَّتْ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ الْقَلَسِيبِ وَنَالَتْ زِيَادَةَ الْمُسْتَزِيدِ
عِنْدَهَا الصَّبْرُ عَنْ لِقَايَ وَعِنْدِي زَفَرَاتُ بَأْ كُلَّنْ صَبْرُ الْجَلِيدِ

يعني بشاراً قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار
بَنَى أَمِيَّةٌ هَبُوا طَالَ نَوْمُكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمُ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ النَّأْيِ وَالْعُودِ
فبلغ المهدي ذلك فوجد عليه وكان سبب قتله

مَجْلِسُ آخِر ١٠

فأما مطيع بن إلياس الكنتاني فأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني عن علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن أبي أيوب المدني عن أحمد بن إبراهيم الكاتب قال أخبرني أبي قال رأيت بنأ لمطيع بن إلياس قد أتى بها في أول أيام الرشيد فأقرت بالزندقة وقرأتها ونابت وقالت هذا شيء علمني أبي فقبل الرشيد نوبتها وردها إلى أهلها • وقال محمد بن داود الجراح في أخبار مطيع بن إلياس انه كان يرمى بالزندقة • روى انه

لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته فأقبلوا يقولون له قل يا مطيع لإله إلا الله فلا يقول
حق صارت نفسه في ثمرة نحره تنفس ثم أهوى إلى الكلام فقالوا له قل لإله إلا الله
فتركهم كلاماً ضعيفاً فتهوا له فإذا هو يقول

لَهْفَ نَفْسٍ عَلَى الزَّمَانِ وَفِي أَيْ زَمَانٍ دَمَتِي الْأَزْمَانُ
حِينَ جَاءَ الرَّبِيعُ وَاسْتَقْبَلَ الصَّيْفُ وَطَابَ الطَّلَاءُ وَالرَّيْحَانُ

قال المرزباني وهذا الحديث يرويه الهيثم بن عدي ليحيى بن زياد ٥٥ فلما يحيى بن زياد
فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي الكوفي
وزياد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح ويكنى يحيى أبا الفضل وكان يعرف
بالزندق وكانوا إذا وصفوا إنسانا بالظرف قالوا هو أطرف من الزنديق بمنون يحيى لأنه
كان ظرفاً وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله

تِيهِ مُنَّ وَظُرْفُ زَنْدِيقِ

قال الصولي وإنما قال ذلك لان الزنديق لا يدع شيئاً ولا يتمتع عما يدمي اليه نفسه الى الظرف لمساعدته على كل شيء وقلة خلافه ٠٠ وروى انه قيل ليعحي بن زياد وهو محمود بن نفسه قل لاله إلا الله فقال

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقِرْطُ وَالْخَلَاحِلُ

ثم أغشى عليه فلما أفاق أعيد عليه القول فقال

وبازل تَفْلِي بِهِ الْمَرَّاجِلُ

ووردی محمد بن یزید قال قال مطیع بن یاس برنی یحیی بن زیاد وکانا جیمعاً مریمین
بالتخروج عن الملة

وَلِلدَّمُوعِ الْهَوَاكِ السُّفْحِ
فِي الْقَبْرِ بَيْنَ التُّرَابِ وَالصُّفْحِ
أَقْدَارُ لَمْ يَنْتَكِرْ وَلَمْ يَرْحُ

يَاخِيزَ مَنْ يَحْسُنُ الْبُكَاءَ لَهُ السَّيُومَ وَمَنْ كَانَ أَمْسٍ لِلْمِدْحِ

قَدْ ظَفَرَ الْحُزْنَ بِالسُّرُورِ وَقَدْ أُدِيلَ مَكْرُوهُنَا مِنَ الْفَرَحِ

والمطيع يربيه

أَنْظُرْ إِلَى الْمَوْتِ كَيْفَ بَادَهُهُ وَالْمَوْتُ مِقْدَامَةٌ عَلَى الْبَهْمِ

لَوْ قَدْ تَدَبَّرْتَ مَا صَنَعْتَ بِهِ قَرَعْتَ سِنًّا عَلَيْهِ مِنْ تَدَمٍّ

فَاذْهَبْ عَنْ شَيْءٍ إِذْ ذَهَبَتْ بِهِ مَا بَعْدَ يَخْيِي لِلرُّزْءِ مِنَ أَلَمِ

وأما صالح بن عيسى القدوس فكان متظاهراً بمذاهب الثنوية ويقال إن أبا الهذيل

العلّاف ناظره فقطعه ثم قال له على أي شيء تعزم يا صالح فقال استغفر الله وأقول

بالأثنين فقال أبو الهذيل فأيهما استغفرت لأهم لك .. وروى إن أبا الهذيل ناظره في مسألة

مشهورة في الامتراج الذي ادعوه بين النور والظلمة فأقام عليه الحجة فانقطع وأنشأ يقول

أَبَا الْهَذِيلَ هَذَاكَ اللَّهُ يَا رَجُلُ فَأَنْتَ حَقًّا لَعَمْرِي مُعْضِلٌ جَدِلُ

وروى أنه رُؤي يصلي صلاة نامة الركوع والسجود فقليل له ما هذا ومنهيك معروف

قال سنة البلد وعادة الجسد وسلامة الأهل والولد .. ويقال أنه لما أراد المهدي

قتله على الزندقة رمي إليه بكتاب قال له اقرأ هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال

صالح أو تعرفه أنت يا أمير المؤمنين إذا قرأته قال لا قال أفقتلني على ما لا تعرف قال فاني

أعرفه قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق وكذلك أقرؤه ولست بزنديق .. وذكر

محمد بن يزيد المبرّد قال ذكر بعض الرواة إن صالحاً لما نظر فيها فدفق به من الزندقة

بمحضرة المهدي قال له المهدي ألسنت القائل في حفظك ما أنت عليه

رَبُّ سِرٍّ كَتَمْتُهُ فَكَأَنِّي أَخْرَسٌ أَوْ ثَمِي لِسَانِي خَبَلُ

وَلَوْ أَنِّي أَبَدَيْتُ لِلنَّاسِ عَلَمِي لَمْ يَكُنْ لِي فِي غَيْرِ حَبْسِي أَكَلُ

قال صالح فاني أتوب وأرجع فقال له هيات ألسنت القائل

والشيخُ لا يتركُ عاداتهِ حتى يُوَارَى في تَرَى رَمْسِهِ
إذا أَرَعَوَى عَاوَدَهُ جَهْلُهُ كَذَى الضَّنَا عَادَ إِلَى نُكْسِهِ

ثم قدّم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره وهو في الحبس
خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا الْمَوْتَى
إِذَا دَخَلَ السَّجَّانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ وَتَفَرَّحَ بِالرُّوْبَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا
وَإِنْ قَبَحْتَ لَمْ تَحْبِسْ وَأَنْتَ عَجَلَى وَإِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنِ الرُّوْبَا
طَوَى دُونَنَا الْأَخْبَارَ سَجَنٌ مُنْعَقٌ لَهُ حَارِسٌ يَهْدِي الْعُيُونُ وَلَا يَهْدِي
قَبْرُنَا وَلَمْ نُدْفَنْ وَنَحْنُ بِمَرْلٍ عَنِ النَّاسِ لَا نَحْشَى فَنَحْشَى وَلَا نَمْشَى
إِلَّا أَحَدًا يَا وَيْ لَأَهْلِ مَخَلَّةٍ مُقِيمِينَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فَارَقُوا الدُّنْيَا

[قال المرتضى رضى الله عنه] .. وأتلف ان ابن الجهم لحظ قول صالح فذغنى ولا
نغشى في قوله يصف الحبس

بَيْتٌ يَجِدُّ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً وَيَزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحَمَّدُ

وأما على بن الخليل فقد ذكر محمد بن داود قال كان على بن الخليل وهو مولى
يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى أبا الحسن وهو كوفيٌّ منهم بالزندقة فطلبه الرشيد
عند قتله الزنادقة فاستتر طويلاً ثم قصد الرقة وبها الرشيد فدهجه ومدح الفضل بن
الربيع .. روى انه لما قدم الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة والخطاب
معه قصيدة فأشار بها فأمر الرشيد بأخذها منه فقال يأمر المؤمنين أنا أحسن قراءة
لها من غيري فأذن لي في قراءتها ففعل فقال اتى شيخ كبير ولا آمن الاضطراب اذا
قت فان رأيت أن تأذن لي في الجلوس ففعل فقال له اجلس فجلس ثم أنشأ يقول

يا خَيْرَ مَنْ وَخَدْتُ بِأَرْحَلِهِ
 تَطْوِي السَّابِيبَ فِي أَرْمَتِهَا
 لَمَّا رَأَيْتُكَ الشَّمْسُ طَالِمَةً
 خَيْرُ الْخَلَائِقِ أَنْتَ كُلُّهُمْ
 وَكَذَاكَ لَا تَنْفُكُ خَيْرَهُمْ
 مِنْ عَصْبَةٍ طَابَتْ أَرْوَمَتُهَا
 فَوْقَ النُّجُومِ فُرُوعُ نَبَاتِهِمْ
 إِنِّي رَحَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ فَرْعٍ^(١)
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنِّي رَجُلٌ
 بَقَرٌ أَوْ أُنْثَى لَا فُرُوعَ لَهَا
 وَأَجَاذِبُ الْفَتَيَانِ يَنْتَهُمُ
 لِلْمَاءِ فِي حَافَتَيْهَا حَبَبٌ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ فِي بَرِيَّتِهِ
 نَجَبُ الرِّكَابِ بِمَهْمَةٍ جَلَسِ
 طَى التِّجَارِ عَمَامَ الْبَرَسِ
 سَجَدَتْ لَوْجُحِكَ طَلْعَةُ الشَّمْسِ
 فِي يَوْمِكَ الْمَاضِي وَفِي أَمْسِ
 نَسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا نَسِي
 أَهْلُ الْعَفَافِ وَمُنْتَهَى الْقُدْسِ
 وَمَعَ الْحَضِيضِ مَنَابِتُ الْفَرَسِ
 كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تَرْسِي
 أَصْبُو إِلَى بَقَرٍ مِنَ الْإِنْسِ
 يَقْتُلَانِ بِالتَّطْوِيلِ وَالْحَبْسِ
 صَبَاءٌ مِثْلُ مُجَاجَةِ الْوَرَسِ
 نَظْمٌ كَقَتَى صَحَافِ الْفَرَسِ
 مَا إِنْ أَضْمَتِ إِقَامَةَ الْخَمْسِ

(١) قوله انى رحلت اليك الخ في غير الاصل

انى اليك لجأت من هرب
 واخترت حكمتك لا أجوزه
 لما استخرت الله في مهل
 كم قد قطعت اليك مدركا
 ان حاجتى من هاجس جزع
 وفي سائر الرواية اختلاف يسير
 قد كان شردني ومن لبس
 حتى أوسد في ترى رمي
 يمت نحوك رحلة العنس
 لئلا يهيم الاوف كالنفس
 كان التوكل عنده ترسي

فقال له هارون من أنت قال علي بن الخليل الذي يقال انه زنديق قال أنت آمن
وكتب الى حمويه ألا يمرض له .. ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر مما ذكرنا
وانما اعتمدنا من كان بهذه التلبة أشهر وأمره فيها أظهر وأوردنا مع ذلك قليلا من
كثير وجلة من تفصيل .. واذا كنا قد ذكرنا جملة من أخبار أهل العدل والعدل
والمقادير بالجحالة حسب سؤلنا فمن تتبعها بشئ من أخبار أهل التوحيد والعدل
وملح حكاياتهم ومنحسرين ألفاظهم ليعلم الفرق بين من ربحت بيعته وبين من خسرت
صفته فقد سئنا أيضاً ذلك .. أعلم ان أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير
المؤمنين علي عليه السلام وخطبه وانها تتضمن من ذلك مالا يزيد عليه ولا غاية وراءه
ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه
وجعله انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول .. وروى عن الأئمة من آبائنا
عليهم السلام من ذلك مالا يكاد يحاط به كثرة ومن أحب الوقوف عليه وطلبه من مظان أصاب
منه الكثير الفزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ونجاح للعقول العميقة ونحن
نقدم على ما نريد ذكره شيئا مما روي عنهم في هذا الباب .. فمن ذلك ما روى عن
أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يصف الله تعالى .. بضادته بين الاشياء علم ان لاضدله
وبقارنته بين الامور علم ان لاقربين له ضاد النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة
بالبلل والصدور بالحرور مؤلف بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها .. وروى عنه عليه
السلام انه سئل بم عرفت ربك فقال بما عرفتني به قيل وكيف عرفتك قال لا تشبهه
صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس .. وقيل له عليه السلام كيف يحاسب
الله الخلق قال كابرزقهم فقيل كيف يحاسبهم ولا يروونه فقال كابرزقهم ولا يروونه .. وسأله
رجل فقال أين كان ربك قبل أن يخلق السماء والارض فقال أين سؤال عن مكان وكان
الله ولا مكان .. وروى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انه سأله محمد الحلي فقال
له هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم رآه بقلبه فاما ربهنا جل جلاله
فلا تدركه أبصار الناظرين ولا تحيط به أسماع السامعين .. وروى صفوان بن يحيى
قال دخل أبو قرّة الحديث على أبي الحسن الرضا عليه السلام فسأله عن أشياء من

الحلال والحرام والاحكام والفرائض حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال أبو قرّة إنارونا
أن الله قسم الكلام والرؤية قسم لموسى عليه السلام الكلام ولحمد صلى الله عليه وسلم
الرؤية فقال الرضا عليه السلام فمن المبلغ عن الله الى الثقلين الجن والانس انه لا تدركه
الابصار ولا يحيطون به علماً وليس ككلمة شيء أليس محمد نبياً صادقاً قال بلى قال وكيف
يحىء رجل الى الخلق جميعاً فيخبرهم انه جاء من عند الله يدعوهم اليه بأمره ويقول
لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علماً وليس ككلمة شيء ثم يقول سأراه بعيني وأحيط به
علماً ألا تستحبون ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا أن يكون باقى عن الله بشيء ثم
يأتى بخلافه من وجه آخر .. قال أبو قرّة فانه يقول ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة
المنتهى .. قال عليه السلام ما بعد هذه الآية يدل على ما رأى حيث يقول ما كذب
النفوذ ما رأى يقول ما كذب نفوذ محمد ما رأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال لقد رأى
من آيات ربه الكبرى وآيات الله غير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علماً فإذا
رأته الابصار فقد أحاط به العلم فقال أبو قرّة فأكذب بالرؤية فقال الرضا عليه السلام
إن القرآن كذبها وما أجمع عليه المسلمون انه لا يحاط به علماً ولا تدركه الابصار وليس
ككلمة شيء .. وأنى أعرابي أباجعفر محمد بن على عليه السلام فقال أرايت ذلك حين
عبدته فقال لم أكن لأعبد شيئاً لم أره فقال كيف رأيته فقال لم تره الابصار بالمشاهدة
والعيان بل رأته القلوب بمقتضى الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات
منعوت بالعلامات لا يجوز فى أقضيته هو الله الذى لا اله الا هو فقال الاعرابي الله أعلم
حيث يجعل رسالته .. وروى أن شيخاً حضر صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام
فقال أخبرنا يا أمير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام أكان قضاء من الله تعالى وقدّر قال
له نعم بأننا أهل الشام والذى فاقى الحبة وبرأ الذئبة ما وطننا وطناً ولا هبطنا وادياً
ولا علونا نعمة الا بقضاء من الله وقدّر فقال الشامي عند الله أحسن عناية يا أمير المؤمنين
وما أظن ان لى أجراً فى سعي اذا كان الله قضاء على وقدّمه فقال له عليه السلام ان
الله قد أعظم لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ولم
تكونوا فى شيء من حالكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي

كيف ذاك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال له عليه السلام ويحك يا أخا أهل الشام لملك ظننت قضاء لازماً وقدرأ حاكماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والأمر من الله والهي ولما كان المحسن أولى بنواب الاحسان من المسيء والمسيء أولى بمعقوبة الذنب من الحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله أمر عباده تحييراً ونهاهم تحذيراً وكلف بيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوباً ولم يكلف عسيراً ولم يرسل الانبياء لعباً ولم ينزل الكتب لعباده عبثاً ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . . . قل الشامي فما القضاء والقدر الذي كان مسيرنا بهما وعنهما قال الأمر من الله بذلك والحكم ثم تلا (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) فقام الشامي فرحاً مسروراً لما سمع هذا المقال وقال فرجت عني فرج الله عنك يا أمير المؤمنين وجعل يقول

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانَا
أَوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنَا مَا كَانَ مَتَبَسَّأً جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانَا

وروى ان أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فأنيت أبا عبد الله فسلمت علي وقت من عنده ورأيت ابنه موسى في دهليزه قاعداً في مكتبه وهو صغير السن فقلت له أين يجتهد الرجل عندهم اذا أراد ذلك فنظر الي ثم قال يتجنب شطوط الانهار ومسقط الخمار وأثناء الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء قال فلما سمعت هذا القول نبيل في عيني وعظم في قاي فقلت له جعلت فداك من المعصية فنظر الي ثم قال اجلس حتى أخبرك فجلست فقال ان المعصية لا بد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعاً فان كانت من الله فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده . يأخذه بما لم يفعله . وان كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بالانصاف عبده الضعيف . وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه التماس

وله حق العقاب والثواب ووجبت الجنة والنار قال فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم .. وقد نظم هذا المعنى شعراً فقول

لَمْ تَحُلْ أَفْعَالُنَا اللَّائِي نُنْذِمُ بِهَا ۖ أَحْذَى ثَلَاثَ خَلَائِلٍ حِينَ نَأْتِيهَا
إِمَّا تَفَرَّدَ بَارِينَا بِصُنْعِهَا فَيَسْقُطُ اللَّوْمُ عَنْ أَحْيَيْنَ نُنْشِئُهَا
أَوْ كَانَ يَشْرِكُنَا فِيهَا فَيُلْحِقُهُ مَا سَوْفَ يُلْحِقُنَا مِنْ لَأْنِهَا فِيهَا
أَوْ لَمْ يَكُنْ لِإِلَهِ فِي جِنَائِيهَا ذَنْبٌ فَمَا الذَّنْبُ إِلَّا ذَنْبُ جَانِبِهَا

وأحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار من أهل ميسان مولى لبعض الأنصار وكان اسم أمه خيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويقال إن أم سلمة كانت تأخذ الحسن إذا بكى فتكتهه يذهبها فكان يدرّ عليه فيقال إن الحكمة التي أوتيتها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعاً وثلاثين سنة فن تصريحه بالعدل ما روى عن أبي الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم أن المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهه ثم تلا (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) .. وقال داود بن أبي هند سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء^(١) الله وقدر^(٢) إلا المعاصي .. وكان الحسن رباع الفصاحة بايع المواعظ

(١) - قوله سمعت الحسن يقول من زعم أن المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهه إلى قوله سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء الله وقدر إلا المعاصي .. أقول هذا مذهب المعتزلة وطوائف آخر من المتكلمين والواجب في هذا الباب الرجوع إلى ما في كتاب الله وسنة رسوله وتبني ما سواها وعندم الخوض في هذا الباب قال تعالى (أنا كل شيء خلائقاه بقدر) وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال تعالى آدم وموسى لحج آدم موسى قال له موسى أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجهم من الجنة هذا لفظ الموطأ وفي الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً أنت آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيشتنا وأخرجتنا من الجنة وفي رواية أنت

كثير العلم وجميع كلامه من الوعظ وظم الدنيا أوجله مأخوذ لفظاً ومعنى أو معنى دون لفظ من كلام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام فهو في ذلك القدوة والغاية .. فن ذلك قوله عليه السلام شيان أحدهما مأخوذ من الآخر أحدهما أكثر شئ في الدنيا والآخر أقل شئ في الدنيا العبر والاعتبار .. وقوله عليه السلام مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متى ازدادت من أحدهما قرباً ازدادت من الآخر بعداً .. وقوله شيان بين عمليين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره .. وقوله في وصف الدنيا ما أصعب من دار أولها غناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن قرط فيها ندم ومن استغنى فتن ومن افتقر حزن .. ومن قول له في كلام يأبى الزمام للدنيا والمغتر بفرورها متى استندمت اليك بل متى غرتك أبغضت آياتك من الثرى أم بتناول أمهاتك من البلاء كم مرضت بكفيك وكم عالج بيدك قبحي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء .. ثبت لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعهم مفسر عك [قال المرتضى رضى الله عنه] .. وهذا باب إن آدم الذي خافك الله بيده وأغنى فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبط الناس بخلقيتك الى الارض فقال له آدم أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شئ واصطفاه على الناس رسالته وفي رواية لاصحبهين اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده وفي أخرى اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الالواح فيها تبيان كل شئ قال نعم قال افنلومنى على أمر قدر قبل ان أخلق وفي الحديث الذى في آخره هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .. قال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وفي رواية كله وفي أخرى حلوله ومصره وقال ابن القيم والمحاصون في القدر نوعان أحدهما من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا والثاني من ينكر قضاءه وقدره السابق والطائفتان خصماء الله قال عوف من كذب بالقضاء فقد كذب بالاسلام ان الله تبارك وتعالى قدر أقداراً وخلق الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر وقسم الارزاق بقدر وقسم البلاء بقدر وقسم العافية بقدر وأمر ونهى

ولجناه اغترفنا من شبع بحر آخر أو شؤبوب غمام مطر وكل قول في هذا الباب لقائل
 إذا أضيف إليه أو قرئ به كان كإضافة القطرة إلى الغمرة أو الحصاة إلى الحرة فأنما
 أشرنا إليه إشارة وأوماناً إليه أي... ثم نعود إلى ما كنا فيه... روى أن أعرابياً سمع
 كلام الحسن البصري فقال المؤمن فصيح إذا لفظ نصيح إذا وعظ... وروى أن
 الحسن تلي يوماً (أنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) ثم قال ان قومنا غنوا
 في المعارف العتاق والعمائم الرقاق يطلبون الامارات وبضيعهم الامانات يتعرضون
 للبلاء وهم منه في عافية حتى إذا أخافوا من فوقهم من أهل العفة وظاهروا من تحتهم من
 أهل الذمة أهزلوا دينهم واسمنوا براذلهم ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم ألم نرهم قد
 جددوا الثياب وأخلقوا الذين تبكى بين أحدهم على مثاله ويا كل من غير ماله طعمه غصب
 وخدشته سخرة يدعو بخلو بعد حاض وبحار بعد بارد ورطب بعد يابس حتى إذا أخذته
 الكظة تحبشاً من البشم ثم قال يا جارية هاتي حاطوما يعني هاضوما يهضم الطعام يا أحمق
 لا والله لن تهضم إلا دينك أين جارك أين بيتك أين مسكنك أين ما أوصاك الله به
 ... وذكر يوماً الحجاج فقال أنا أعيض أخيفس له حمية يرجلها وأخرج الينا بنانا
 قصاراً والله ماعرق فيها عدان في سبيل الله فقال يا معوني فبايعناه ثم رقى هذه الاعواد
 ينظر الينا بالتصغير وننظر إليه بالتعظيم بأمرنا بالمعروف ونجتنبه ونهانا عن المنكر ويرتكبه
 ... وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلمعة فاقدعوها فانكم ان
 تطبعوها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فانها سريرة الدثور قال عيسى بن
 عمر حدثت بذلك أبا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته... وكان يقول في بعض كلامه
 ما يشاء ان ترى أحدهم أبيض بضاً يلمخ في الباطل ملخاً ينفذ مذرويه يقول ها أنا ذا
 فاعرفوني قال - والبض - هو الرخص اللحم وليس هو من البياض على ما يظنه قوم
 لأنه قد تكون الرخاسة مع الأدمة وأما قوله - يلمخ - فان الملمخ هو اللثني والتكسر
 يقال ملمخ الفرس اذا لعب... قال رؤبة يصف

مُعْتَرِمِ التَّجْلِيحِ مَلَاخِ الْمَلَقِ

— والمذروان — فرعا الاليتين ٠٠ قال عنزة

أَحْوَلِي تَنْفُضُ أَسْنُكَ مِذْرَوِيهَا لَتَقْتَلِي فَمَا أَنَا ذَا عُمَارَا

٠٠ هذا قول أبو عبيد وقال ابن قتيبة^(١) راداً عليه ليس المذروان فرعا الاليتين حسب بل هما الجانيان من كل شيء تقول العرب جاء فلان يضرب أضدريه ويضرب عطفيه وينفض مذكرويه وهما منكبا ٠٠ وذكر أنه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول قَتَعَ الشَّيْبَ مذكرويه يريد جاني رأسه وهما فرواءه وإنما سما بذلك لأنهما يذريان أي يشيدان والذري الشيب قال وهذا أصل الحرف ثم استعير للمتكبين والاليتين والطرفين من كل شيء ٠٠ قال أمية بن أبي عائذ الهذلي يذكر قوما

على عَجَسٍ هَتَّافَةِ الْمَذْرَوَيْنِ زَوَّارَ مَضْجَعَةٍ فِي الشَّمَالِ

أراد قوسا يبيض طرفها ٠٠ قال فلا معنى لوصف الرجل الذي ذكر الحسن بأنه يحرك أليته ولا من شأنه أن يبدخ وينبه على نفسه ويقول هاتنا ذاقع فوني أن يحرك أليته وإنما أراد أنه يضرب عطفيه وهذا مما يوصف به المرح المختال وربما قالوا جاءنا ينفض مذكرويه إذا تهدد وتوعده لأنه إذا تكلم وحرك رأسه نفص قرون فؤدة وهما مذكرواه ٠٠ قال رضي الله عنه ليس الذي ذكره أبو عبيد بعيد لأن من شأن المختال الذي يزهى بنفسه أن يهتز ويتننى فتتحرك أعضاؤه وأعضاء مذكرواه من جملة ما يهتز ويتحرك لأنهما بارزان

(١) — قالت قال ابن سيده عن الجرمازي رافعة كل شيء ناحيته والمذري طرف الألية وهما المذروان وقيل المذروان أطراف الاليتين وليس لهما واحد وقال أبو عبيدة وهو أجود القولين لأنه لو كان لهما واحد فقل مذكري لقل في التثنية مذكريان وأنشد

أَحْوَلِي تَنْفُضُ أَسْنُكَ مِذْرَوِيهَا لَتَقْتَلِي فَمَا أَنَا ذَا عُمَارَا

مَتَى مَا نَلْتَمِي فَرْدَيْنِ تَرْجُمْتَ رَوَاتِفُ أَيْلِكَ وَأُسْتَطَارَا

فان قوله لقل مذكريان علة ذلك أن المصور إذا كان على أربعة أحرف ينني بالياء على كل حال نحو مقل ومقلان وشذ في تشبة ألية أليان ومثلها خصية وخميان وقيل هاتنية ألي وخصي المذكورين وذكرت خصية استطرادا فليتنبه لذلك

من جسمه فيظهر فيه ما الاهتزاز وانما خص المذكور مع ان غيرهما يتحرك
أيضاً على طريق التجميع لهذا الختان والتهجين لعله وقول ابن قتيبة ليس من شأن من
يبدن ان يحرك انثى ليس بشيء لان الأغلب من شأن الختان البدخ الاهتزاز وتحريك
الاعطاف على ان هذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شأن كل متوعد ان يحرك رأسه
ويغض مذروبه فاذا قال ان ذلك في الاغلب والاكثر فهذا مثله . . . وكان الحسن يقول
يا ابن آدم جمعاً جمعاً سرطاً سرطاً جمعاً في وعاء وشدة في وكاء وركوب الذلول وابس اللين
حتى قيل . . . فافضى الله الى الآخرة فطال حسابه . . . وكان يقول مسكين ابن آدم مكتوم
الاجل مكبون المال أسير جوع صريع شبع ان من تؤنه البقة وتقتله الشرقة لبادي
الضعف فريسة المحتف . . . وكان يقول ما أطال أحد الأمل الا أساء العمل ومأساء العدل
الاذل . . . وكتب الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان طول البقا الى فناء نفخ من فناءك
الذي لا يبقى لبدنك الذي لا يبقى والسلام . . . وكان يقول اذا رأيت رجلاً يتنافس في الدنيا
فدافسه في الآخرة . . . وسأله رجل ما حالك فقال له أشد حال ما حال من أمسى وأصبح
يتنظر الموت ولا يدري ما يفعل الله به . . . وكان يقول يا ابن آدم بسطت لك صحيفة وكن بك
ملكاً كريماً يكتسب عليك قلمك ما تشاء كثيراً أو قليلاً . . . وفي خبر آخر وكل بك ملكاً
كريمين يثبت مدادهما رسالتك قلمهما . . . روى أبو بكر الهذلي قال لما قدم عمر بن هبيرة
واليا على العراق نزل واسطاً وبعث الى الشعبي والى الحسن البصري فقال لهما ان يزيد بن
عبد الملك عبد أخذ الله ميثاقه والتجبه لخلافته وقد أخذ بنوا سينا وأعطيناه عهدنا
ومواثيقنا وصفقة أبدينا فوجب علينا السمع والطاعة له انه بعثني الى عراقكم غير
سائل إياه الا انه لا يزال يبعث اليها في الذوم تقتلهم وفي الضياع تقبضها أو في الدور نهدها
فدوليه من ذلك ما ولله فأتريان قتأمل الشعبي فقال قولا فيه بعض اللين وأما الحسن
فانه قال له يا عمر اني أتمك عن الله ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد وما يمنحك
يزيد من الله إنه يوشك أن ينزل اليك ملك من السماء فيستزلك من سريرك ويخرجك
من سعة قصرك الي ضيق قبرك ثم لا يوسعك عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل
ناصر الدين الله فلا تركوا دين الله وعباد الله بساطانه تذلوهم به فانه لاطاعة المخلوق في

موصية الخالق من وجل .. وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن أكرمنا عليه .. وروى أبو بكر بن عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظمي فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به فقال عظمي فقال أوليت قط فقال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك فإنه الى من رأيت .. وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن آخذ عطاي أم أدعه حتى آخذ من حسناتهم يوم القيامة فقال له قم ويحك خذ عطائك فان القوم مغاليس من الحسنات يوم القيامة .. وولد للحسن غلام فنهاه بعض أصحابه فقال الحسن لمحمد الله على هبته ونسبته من نعمه ولا مرحبا من ان كنت غيباً أذملني وان كنت فتمبراً أنعمني لأرضى بسبي له سعياً ولا بكري له في الحياة كذا أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وأنا في حال لا يصل الي من همه حزن ولا من فرجه سرور .. وكان الحسن يقول لو لم يكن من شؤم الشراب الا انه جاء الى أحب خلق الله الى الله فأفسده فكان يذبح للعاقل ان يتركه يعني العقل .. وعزى جارك له يهوديا فقال جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ما جازى به أحداً من أهل ملتك وهذا تخلص منه مديح لأنه لم يدع له بالتواب الذي لا يستحقه الكفار وأراد بالجزاء العوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب .. وكان يقول ليس لافاقى المعلن بالفسق غيبة ولا لاهل الاهواء والبدع غيبة ولا لساكن الجائر غيبة .. وقل في قوله تعالى (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) قل العلم (وفي الآخرة حسنة) قال الجنة .. وخرج الحسن في جنازة معها نوائح فقال له رجل ماترى يا أبا سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك في دينك .. وذكر عند الدنيا فقال

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظَلِّ زَائِلٍ إِنَّ الْأَلَيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُغْدَعُ

وكان يشتمل

الْيَوْمَ عِنْدَكَ دَلُّهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدَا لَغَايِكَ كَفُّهَا وَالْمَعَصِمُ

وعن أبي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من قصر واسط نادى في الناس أن يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف أهل الشام

على نفسه أن يقتلوه فرجع وهو يقول قد نظرنا بأخيت الاخشين وأفسق الافسين أما
أهل السماء ففتوك وأما أهل الأرض فمروك ثم قال أبى الله تعالى للمبتاق الذى أخذه
على أهل العلم ليبينه للناس ولا يكتمونه ثم انصرف فباع الحاجاج ذلك فقال يا أهل الشام
وهم حوله الله أيقومون عبيد من عبيد أهل البصرة ويشكلم فى بما يشكلم ولا يكون
عند أحد منكم تفسير ولا تكبر قالوا ومن ذلك أصاحك الله أسبقنا دمه فقال على به
وأمر بالنطح والسيف فأحضر ووجه إليه فلما دنى الحسن من الباب حرك شفتيه
والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحاجاج هنا وأجلسه قريباً من فرشه وقال له
ما تقول فى على وعثمان قال أقول قول من هو خير منى عند من هو شر منك قال
فرعون موسى ما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى
علم على وعثمان عند الله فقال له الحاجاج أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ثم دعا بغالية فخلع
بها لحية فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب فقال يا أبا سعيد لقد دعاك لخير هذا الذى فعل
بك ولقد أحضر السيف والنطح فلما أقبلت رأيتك قد حركت شفتيك بشئ فما قلت
قال قلت يا عدنى عند كرتي ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي ويا إلهي وإله آبائي
إبراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب أرزقني وودته واصرف عني أذاه ومعرفته ففعل ربى
ههنا وجل ذلك .. وكان الحسن يقول ما زال النفاق مفعاً وعأ حتى نعمت هذا عمامة وقلد
سيفاً .. ورأى أبو بكر الهذلي ان رجلاً قال للحسن يا أبا سعيد ان الشيعة تزعم انك
تبعض علينا فأكتب يميني طويلاً ثم رفع رأسه فقال لقد فارقكم بالأمر رجل كان سهماً
من سرايم الله عز وجل على عدوه وباني هذه الأمة ذو شرفها وفضلها وذو قرابة من
النبي صلى الله عليه وسلم قريبة لم يكن بالثؤمة عن أمر الله ولا بالغافل عن حق الله ولا
بالسروقة من مال الله أعطى القرآن عزائمهم فماله وعليه فأشرف منها على رياض مؤفة
واعلام بينة ذلك على بن أبي طالب ولكم .. وكان الحسن اذا أراد أن يحدث فى زمن بنى
أمية عن أمير المؤمنين قال أبو زينب .. وشهد الحسن جنازة فقال ان أمراً هذا
أوله لينبئ أن يحذر منه وان أمراً هذا آخره لينبئ أن يزهد فيه .. وعن حميد العلويل
قال خطب رجل الى الحسن ابنته وكنت السفير بينهما فرضىته وأراد أن يزوجه فأنبتت

عليه ذات يوم وقالت وأزيدك يا أبا سعيد فإن له خمسين ألفاً قال أقلت له خذون ألفاً ما اجتمعت من حلال قلت يا أبا سعيد انه والله ما علمته إلا ورعاً مسلماً فقال اذا كان جمعها من حلال فقد ضن بها على حق لا يجرى بيني وبينه صور أبداً ٥٥ وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام قال الحسن البصري ليس العجب عن هلك كيف هلك وانما العجب من نحى كيف نحى فقال عليه السلام أنا أقول ليس العجب عن نحى كيف نحى انما العجب من هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله ٥٥ وأتى عليه السلام يوماً الحسن البصري وهو يقص عند الحُجَّج فقال أترضى يا حسن نفسك لدوت قال لا قال فعذلك للحساب قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فله في أرضه معاذ غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل الداس عن الطواف

محاسن آخر ١١

وعن نظاهر بالقول بالعدل واشتهر به واصل بن عطاء الغزالي ويكنى أبا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل مولى بني مغزوم وقيل مولى بني هاشم وروى انه لم يكن غزياً الا وانما لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس في الغزاليين وقيل انه كان يكثر الجلوس في الغزاليين عند رضيع له يعرف بأبي عبد الله الغزالي^(١) وذكر المبرد ان واصل كان يلزم الغزاليين ليعرف المتعنفات من النساء ليصرف صدقته اليهن ولقب بذلك كما لقب أبو مسلمة حفص بن سليمان بالخلال وهو وزير أبي العباس السفاح ولم يكن خلالاً وانما كان منزله بالكوفة بقرب الخلالين وكان يجلس عندهم فسمي خلالاً ومثله أبو علي الحرمازي مولى لبني هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل في بني الحرماز وابراهيم بن يزيد الخوزي وايس بنخوزي ولكنه كان ينزل بمكة بشعب الخوز وأبو سعيد المقبري لانه نزل المقابر ٥٥ وكان واصل أشع في الراي قبيح الشعة فكان يخلص من كلامه الراي

(١) قلت وأبو عبد الله هذا مولى اقطن الهلالي ومثل ذلك أبو مالك السدي اشهر بالسدي لأنه كان يبيع الغنم في سدة المسجد

يسئل عنها في سائر محاوراته وقد ذكرنا طرقاً من ذلك في أخبار بشار بن برد ..
وذكر أبو الحسن البردعي المتكلم أن انساناً سأل عمرو بن عبيد أو غيره عن شيء في
التقدر بمحضرة واصل بن عطاء فتكلم السائل بشيء أغضب عمرأ فأجابه عمرو بجواب لم
يرضه واصل فقال له واصل إياك وأجوبة الغضب فانها مندبة والشیطان يكون معها وله
في تضاعفها همزة وقد أوجب الله جل وعز على نبيه أن يستمذ من همزات الشیطان
وأن يكونوا معه بقوله أعوذ بك من همزات الشیاطین الى خاتم الآية وقلنا شاهدت
أحدأ ثبت في جوابه وما ينطق به لسانه فيلحظه اللوم .. قل البردعي أنظر الى واصل
كيف كلم عمرأ فأخرج الرأء من كلامه فقل موضع والشیطان يحضرها يكون معها
وقد أوجب الله تعالى على نبيه ولم يقل أمره وقال وأن يكونوا معه بدلا من أن يحضروه ثم
قال الى خاتم الآية ولم يقل الى آخر الآية .. [قال المرتضى رضى الله عنه] ومما لم يذكره
البردعي انه عدل عن افتتاح الآية من أجل الرأء أيضاً لأن أولها وقل رب أعوذ بك
من همزات الشیاطین ولولا قصده الى العدول لكان ذكرها واجبا من ابتدائها لاسيما
وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به .. وقيل إن رجلا قال له
كيف تقول أسرج الفرس قال ألبد الجواد .. وقاله آخر كيف تقول ركب فرسه وجر
رمحه قال استوى على جواده وسحب عامله .. وذكر أبو الحسين الخياط أن واصل
كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ومولده سنة ثمانين ومات سنة
احدى وثلاثين ومائة .. وكان واصل ممن لقي أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
وصحبه وأخذ عنه وقال قوم انه لقي أبا محمداً عليه السلام وذلك غلط لأن محمداً توفي
سنة ثمانين أو احدى وثمانين وواصل ولد في سنة ثمانين .. وواصل هو أول من أظهر
المنزلة بين المنزلتين لأن الناس كانوا في أسماء أهل الكبر من أهل الصلاة على أفول
كانت الخوارج تسمهم بالكفر والشرك .. والمرجئة تسمهم بالایمان وكان الحسن
وأصحابه يسمونهم بالنفاق فانظر واصل القول بأنهم فساق غدير .. وثمين ولا كفار ولا
مناقضين .. وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه لجمع بينه وبين واصل
بناظره فيما أظهر من الذول بالمنزلة بين المنزلتين فلما اتفقوا على الاجتماع ذكر أن واصل

أقبل ومعه جماعة من أصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى واصل وكان في عنقه طول واعوجاج قال أرى تحملاً لا يفلح صاحبها فسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له يابن أخي ان من عاب الصنعة عاب الصانع للعنق الذي بين الصنعة والصانع فقال له عمرو بن عبيد يا أبا حذيفة قد وعظت فأحسنت ولن أعود الي مثل الذي كان مني وجلس واصل في الحلقة وسئل أن يكلم عمرأ فقال واصل لعمرو لم قلت من أني كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم الفائق فقل عمرو لقول الله تعالى (والذين يرمون المحسنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) فكان كل فاسق منافقاً اذ كانت ألف المعرفة ولاهما موجودتين في الفاسق فقال له واصل أليس قد وجدت الله تعالى يقول (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة استحق اسم ظالم كما استحق اسم فاسق فألا كفرت صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى (والكافرون هم الظالمون) فعرف بألف ولام التعريف اللتين في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) كما قال في القاذف (وأولئك هم الفاسقون) فسميته منافقاً لقوله تعالى (ان المنافقون هم الفاسقون) فأتمك عمرو ثم قال له واصل يا أبا عثمان أي تامل أن تستعمل في أسماء الحديثين من أمنا ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة أو ما اختلفوا فيه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليه أولى فقال له واصل أنت تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقاً ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه لأن الخوارج تسميه مشركاً فاسقاً والشيعية تسميه كافر نعمة فاسقاً . [قال المرتضي رضى الله عنه] يعني بالشيعية الزيدية . والحسن يسميه منافقاً فاسقاً والمرجئة تسميه مؤنباً فاسقاً فاجتمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه فالواجب أن يسمى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقاً ولا يقال فيه انه مؤمن ولا منافق ولا مشرك ولا كافر فهذا أشبه بأهل الدين فقال له عمرو ابن عبيد ما بين وبين الحق عداوة والقول قولك فليشهد على من حضر أني نارك

لامذهب الذي كنت أذهب إليه من نقاب صاحب الكبيرة من أهل الصلاة قائم بقول
أبي حنيفة في ذلك وأني قد اعترلت مذهب الحسن في هذا الباب فاستحسن الناس
هذا من عمرو .. وقيل إن اسم الاعتزال إنما اختص بهذه الفرقة لاعتزالهم مذهب
الحسن بن أبي الحسن في تسمية مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق وحكي غير
ذلك .. وقيل إن قتادة بعد موت الحسن البصري كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو
ابن عبيد جميعاً رئيسين متقدمين في أصحاب الحسن فبثرت بينهما فقرة فاعتزل عمرو
مجلس قتادة واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن فكان قتادة إذا جلس مجلسه
سأل عن عمرو وأصحابه فيقول مافعل المعتزلة فعمروا بذلك .. [قول المرتضي رضي الله
عنه] أما ما ألزمه وأصل بن عطاء لعمر بن عبيد أولاً فسدبذاً لازم وأما ما كلفه به ثانياً
فغير واجب ولا لازم لأن الاجماع وإن لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق وغير
ذلك من الأسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممسح أن يسمى بذلك لدليل غير
الاجماع ووجود الاجماع في الشيء وإن كان دليلاً على صحته فليس فقد دليلاً على
فساده .. وواصل إنما ألزم عمرأ أن يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقنصر على
التسمية بالفسق للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لم يتركه لزمه أن يقل قد اتفق أهل
الصلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من أهل القبلة الذم والعقاب ولم يتفقوا على
استحقاقه التخليد في العقاب أو نقول أنهم اجتمعوا على استحقاقه العقاب ولم يجتمعوا
على فعل المستحق به فيجب القول بما اتفقوا عليه وأني ما اختلفوا فيه فإذا قيل
استحقاقه الخلود أو فعل المستحق به من العقاب وإن لم يجتمعوا عليه فقد علم بدليل
غير الاجماع .. قبل له مثل ذلك فيما عول عليه وبطل على كل حال أن يكون الاختلاف
في القول دليلاً على وجوب الامتناع منه وهذا ينقض مسائل كثيرة ذكرها بطول
على أن المقدمة التي قدمها لا تشبه ما ألزم عليها لأن الاجماع أولى من الاختلاف فيها
يتعارض ويتقابل والاجماع والاختلاف في الموضع الذي كلف عليه واصل عمرأ في
مكانين لأن الاجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو في تسميته بما عده من
الأسماء فلا تعارض بينهما .. وله أن يأخذ بالاجماع في موضعه ويعول فيها الاختلاف

فيه على دلالة غير الاجماع لأن فقد الاجماع من القول لا يوجب بطلانه .. وحكى أن
واصل كان يقول أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلموا قال الله تعالى
(يا موسى إني أنا الله) فعرف نفسه ثم قال (اخلع نعليك) فبعد أن عرفه نفسه أمره
بالعمل قال والدليل على ذلك قوله تعالى (والعصر إن الإنسان لني خسر إلا الذين
آمنوا) يعني صدقوا (وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالعبر) عملوا وعملوا
وعلموا .. وروى المبرد قال حدثت أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة فاحسوا
بالخوارج وكانوا قد أشرفوا على العطب فقال واصل لأهل الرفقة إن هذا ليس من
شأنكم فاستزلوا ودعوني وإياهم فقالوا شأنك قال الخوارج له ما أنت وأصحابك قال
مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله وقيموا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعملونا
أحكامه فعملوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معي قوا فامضوا
. صاحبين فانكم آخرنا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين
استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) فأبلغونا مأمننا فاروا بأجمعهم
حتى بلغوا الأمان .. وحكى أن عمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاها
واصل إلى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج واصل ودعا الناس بمكة والمدينة ..
وحكى أبو القاسم البلخي أن عبداً لله قال لابنه محمد كل خصالك محمودة إلا قولك
بالقدر قال يابئ فهو شيء أقدر على تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا عاتبك
عليه أبداً .. [قال المرتضى رضي الله عنه] قال أبو القاسم يقول إن كنت أقدر على تركه فهو
قولي وإن كنت لا أقدر عليه فلم تعاتبني على شيء لا أقدر عليه .. فأما عمرو بن عبيد
فبكى أبا عثمان مولى لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب
نفسه من بني كابل من بني عبد الرحمن بن سمرة وكان باب مولى لبني العدوية قال وكان
عبيد شرطياً وكان عمرو مزهداً فكانا إذا اجتازا معاً على الناس قاروا هذا شر الناس أبو
خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا إبراهيم وأنا نازح .. قال علي بن الجعد هو عبيد بن
باب وكان يواباً للحكم بن أيوب قال وكان باب مكافياً له دكان معروف يقال له دكان باب
وكان فارسياً ولا فرزدق معه خير مشهور تركنا ذكره لشهرته وخش فيه .. وذكر أبو الحسين

الخطاط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعاً سنة ثمانين قال ومات عمرو بن عبيد في سنة مائة وأربع وأربعين وهو ابن أربع وستين سنة ٠٠ روى أن عمراً استأذن على المنصور فدخل عليه الربيع فقال له بالباب رجلاً قال إني عمرو بن عبيد وكانت على المنصور جبة يمانية مخمفة فقال وبلك يا ربيع عمرو بالباب قال نعم قال هات لي قميصاً أبيض فأتاه به فأنفاه عليه ثم قال رد من خافي فقط الجبة وذرع علي قال الربيع ولم أكن أرى أحداً يوقره المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد فدخل عليه رجل آدم مربع الكفة بين عينيه أثر السجود حسن الأدب حسن اللسان كأنه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة وإعظامه إياه قال فسلم عليه فاجتنبه المنصور ليجلس معه فأبى وطرح نفسه بين يديه فأنفاه وأخفى به فلما أراد عمرو القيام قل له عظم ياباً عثمان وأوجز قل له إن ما في يدك لست بوارثه عن أحد وإنما هو شيء صار إليك وقد كان في يد غيرك قبلك ولو دام لك لبقى في يد الأول والسلام ٠٠ وروى الأصمعي قال قال مطر الوراق لعمر بن عبيد إني لأرحمك مما تقول الناس فيك فقال عمرو أنمعني أقول فيهم شيئاً قال لا قال فأيهم فارحهم ٠٠ وقال خالد بن صفوان لعمر بن عبيد لم لاتأخذ مني فتقضي ديناً إن كان واصل رحمك فقال له عمرو أما دين فليس علي وأما صلة رحمي فلا يحب علي وليس عندي قال فما يمنعك أن تأخذ مني قال يمنعني أنه لم يأخذ أحد من أحد شيئاً إلا ذلك له وأنا والله أكره أن أذل لك ٠٠ ويقال إن ابن هزيمة أتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فلم عليه وجلس إليه وقال له ياباً عثمان ماتقول في قوله تعالى (ولأن تطيعوا أن تعبدوا بين النساء ولو حرستم) فقال ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها فأما العدل بين في القسمة من النفس والكسوة والمنفعة فهو معلق لذلك وقد كانه بقوله تعالى (فلا تملوا كل الميل) فيما تطيعون (فتأروها كأنهم قلة) بمنزلة من ليست أيماناً ولا ذات زوج وقال ابن هزيمة هذا والله هو الحق ٠٠ ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يمزيه عن ابن له فقال له إن أباك كان أملاك وإن أبك كان فرعتك وإن امرأ ذهب أصله وفرعه لحري أن لا يظول بقوله ٠٠ وقيل إن عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال

صَحَبْتُكَ قَبْلَ الرُّوحِ إِذَا نَأُظْفَقُ تُصَانُ فَمَا يَلِدُو لَعِينٍ مَصُونُهَا
أَرَى الْمَرْءَ دَيْنًا لِلْمَنِيَا وَمَا لَهَا مَطَالٌ إِذَا حَلَّتْ بِنَفْسٍ دُيُونُهَا
فَمَا ذَا بَقَاءِ الْفَرْعِ مِنْ بَعْدِ أَصْلِهِ سَتَلْقَى الَّذِي لَا قِيَ الْأُصُولُ غُصُونُهَا

وأول من سبق إلى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله

فَبَعْضَ اللَّسُومِ عَازِيَتِي فَإِنِّي سَتَلْقَانِي التَّجَارِبُ وَأُنْتِسَابِي
إِلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَتِ عُرُوقِي وَهَذَا الْمَوْتُ يَسَابِي شَبَابِي

وأخذ ذلك ليد في قوله

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْدُقْكَ تَفْسُكَ فَاتَّسِبْ لَمَلِكٍ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانٍ وَالِدًا وَدُونَ مَمَدٍ فَاتَزِدْكَ الدَّوَائِلُ
وَأَخَذَهُ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ

تَوَدُّ أَبْنَتَايَ أَنْ يَمِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ

ولنظر إليه محمود الوارق وإبراهيم بن العباس الصولي . . فاما محمود ففي قوله

إِذَا مَا اتَّسَبَتْ إِلَى آدَمِ فَلَمْ يَكُ يَنْتَكُمَا مِنْ أَبِي
وَجَارَتْ سِنُوكُ بَكَ الْأَرْبَعِينَ وَصِرْتَ إِلَى الْجَانِبِ الْأَجْنِبِ
وَدَبَّ الْبَيَاضُ خِلَالَ السَّوَادِ فَأَصْبَحْتَ فِي شَبَةِ الْأَشْهَبِ
وَكَيْفَ تَوُمِّلُ طَوْلَ الْحَيَاةِ إِذَا كَانَ حِلْمُكَ لَمْ يَمُزِبِ

وأما إبراهيم ففي قوله

نَعَى نَفْسِي إِلَيَّ أَبِي وَخَبَّرَ ابْنَ مُتَقَلَّبِي
بِعُظْمَةِ رَأْيَا فِي أَبِيهِ كَمَا رَأَيْتُ أَبِي

وكان أبانواس لحظ هذا المعنى في قوله

وما الناس إلا هالكوا وإن هالك إذا امتحن الدنيا ليب تكشف له عن عدو في ثياب صديق وذو نسب في الهالكين عريق

وتخفى به ثم سأله عن نفسه وعن عياله بدمهم رجلاً رجلاً وامرأة امرأة ثم قال يا أبا عثمان عظماء فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (والفجر وليالٍ عشر والشفق والنور والليل إذا يسر) ومر فيها إلى آخرها وقال إن ربك يا أبا جعفر لبالمرصاد قال فبكاء المنصور بكاء شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات الا تلك الساعة ثم قال زدني فقال إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتري نفسك منه ببعضها واعلم أن هذا الأمر الذي صار اليك إنما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى اليك وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك وأنا أحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال فبكاء أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه .. وفي رواية أخرى أنه لما انتهى إلى آخر السورة قال يا أمير المؤمنين إن ربك لبالمرصاد إن عمل مثل عملهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم فاتق الله فإن من وراء بكاءك نيراناً تأجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله فقال يا أبا عثمان إنا لنكتب اليهم في الطوامير تأمرهم بالعمل بالكتاب فإن لم يفعلوا فما عسى أن نصنع فقال له مثل أذن الفأرة يجربك من الطوامير الله أنكتب اليهم في حاجة نفسك فينفذونها وتكتب اليهم في حاجة الله فلا ينفذونها والله لو لم ترض من عمالك إلا رضى الله إذا لتقرب اليك من لاية له فيه .. [قال الرازي] رضى الله عنه وجعلنا إلى نسق الحديث فقال له سليمان ابن مجاهد وفقاً يا أمير المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم فقال له بذلك ضاع الأمر وانتشر لا أبالك وما ذا كنت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله .. وفي رواية أخرى أن سليمان بن مجاهد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له من أنت فقال أبو جعفر أو لا تعرفه يا أبا عثمان قال لا ولا أبالي أن لا أعرفه فقال له هذا أخوك سليمان بن مجاهد فقال هذا أخو الشيطان ويحك يا بن مجاهد خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحتة يا أمير المؤمنين إن هؤلاء اتخذوك سلعاً لشهواتهم فأنت كالأخذ بالقرنين وغيرك يحلب فاتق الله فأنك ميتٌ وحدك ومحاسبٌ وحدك ومبعوثٌ وحدك ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئاً فقال له المنصور يا أبا عثمان أعنى بأصحابك أئمة من بهم فقال له أظهر الحق يتبعك أهله قال بلغني أن محمد بن عبد الله بن الحسن كتب اليك كتاباً قال قد جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه قال فيها ذا أجبته

قال أولست قد صرفت رأيي في السيف أيام كنت تختلف البنا وإني لا أراه قال أجل
ولكن تخلف لبطائن قلبي قال لئن كذبتك تقيّة لأحلفن لك تقيّة قال له أنت الصادق
البار وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك فقال لا حاجة لي فيها فقال
المصور والله لتأخذنها قال والله لا أخذتها فقال له المهدي يحلف أمير المؤمنين ونحلف
فترك المهدي وأقبل على المنصور فقال من هذا الفقي فقال هذا ابني محمد وهو المهدي
وهو ولي العهد فقال والله لقد سميتك اسماً ما استحققه بعمل وألبسته لبوساً ما هو من
لبوس الأبرار ولقد مهدت له أسراً امتنع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ثم انفتحت إلى
المهدي فقال نعم يا بن أختي إذا حلف أبوك حلف عمك لان أباك أقدر على الكفارة
من عمك قال المنصور يا أبا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ما هي قال ألا تبعث إلى حتى
آتيك^(١) قال إذا لا نلتقي قال عن حاجتي سألتني ثم ودعه ونهض فلما ولي اتبعه
بصره وأنشأ يقول

كَلِّكُمْ حَالِبُ صَيْدٍ كَلِّكُمْ تَمِثِي رُوَيْدٍ

غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ

وروي أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها
وعمره لا يعرفه فقال لعمره أليس قد جعل الله لك عيين قال بلى قال ولم قال لا نظر
بهما في ملكوت السموات والأرض فاعتبر قال وجعل لك فأ قال نعم قال ولم قال
لا ذوق الطعوم وأجيب الداعي ثم عدد عليه الخواص كلها ثم قال وجعل لك قلباً قال
نعم قال ولم قال لتؤدي إليه الخواص ما أدركته فبدر بينها قال فأتت لم يرض لك ربك

(١) وروي من غير هذا الوجه فقال له ترفع هذا الطيلسان عني فرفع وكان أمر
المنصور أن يطرح عليه عند دخوله فقال له لا تدع إيماناً قال نعم لا يضمتي وإياك بلد
الا أتيتك وإن بدت لي حاجة إليك سألتك ولا تدعني حتى آتيك قال إذا لا تأتي أبداً
فلما ولوا للخروج اتبعهم المنصور بصره ثم قال

كَلِّكُمْ عَمِثِي رُوَيْدٍ كَلِّكُمْ حَالِبُ صَيْدٍ غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ

تعالى ان خلق لك خمس حواس حتى جعل لها اماماً ترجع اليه يرضى لهذا الخلق
الذين حتى بهم العالم أن لا يجعل لهم اماماً يرجعون اليه فقال له عمرو ارتفع حتى ننظر
في مسائلك وعرفه ثم دار هشام في خلق البصرة فما أسمى حتى اختلفوا .. وروى
أبو عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة
فقال له سليمان أخبرني عن صاحبك يعني الحسن يعني أن علياً عليه السلام قال إني
وددت أني كنت آكل الحنظل بالمدينة ولم أشهد مشهدى هذا يعني يوم صفين فقال له
عمرو بن عبيد لم يقل هذا لانه ظن أن أمير المؤمنين شك ولكنه يقول ود أنه كان
يأكل الحنظل بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة قال فقوله في عبد الله بن العباس يفتينا في
القعدة والقعدة وطار بأموالنا في ليلة فقال له فكيف تقول هذا وابن عباس لم يفارق
علياً حتى قتل وشهد صلح الحسن عليه السلام وأي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع
حاجة علي إلى الأموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خمس ورشه وقالوا انه كان
يقبل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة هذا باطل .. قال الجاحظ نازع رجل
عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك عن
قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال تعالى (فدربك لنسألهم عما كانوا يعملون)
ولم يقل لنسألهم عما قضيت عليهم أو قدرته فيهم أو أردته منهم أو شئته لهم أو ليس
بعد هذا الأمر إلا الاقرار بالعدل والسكوت عن الجور الذي لا يجوز على الله تعالى
.. قال خلاد الأرقط حدثني زميل عمرو بن عبيد قال سمعته في الليلة التي مات فيها
يقول اللهم ان كنت تعلم انه لم يعرض لي أمران قط أحدهما لك فيه رضا والآخر لي
فيه هوى إلا قدمت رضاك على هواي فاغفر لي ^(١) .. ومر أبو جعفر المنصور على

(١) وقال اسماعيل بن مسلمة أخو القعنبى رأيت الحسين بن أبي جعفر بعبادان
في المنام فقال لي يعقوب ويونس بن أبي عبيد في الجنة فقلت فعمرو بن عبيد فقال في
النار ثم رأيته في الليلة الثانية والثالثة كذلك فقلت له في الثالثة فعمرو بن عبيد فقال
في النار كم أقول لك

قبره بمرّان وهو موضع على ليل من مكة على طريق البصرة ^(١) وأنشأ يقول
 صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْكَ مِنْ مَّتَوَسِّدٍ قَبْرًا مَرَّزْتُ بِهِ عَلَى مَرَّانِ
 قَبْرًا أَتَّصِنَ مُؤَمِّنًا مُتَخَشِّعًا عَبْدَ إِلَهِهِ وَدَانَ بِالْفُرْقَانِ
 وَإِذَا الرِّجَالُ تَنَازَعُوا فِي شَبْهَةٍ فَصَلَ النِّخَابَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانِ
 فَلَوْلَا نَ هَذَا الذَّهْرَ أَبْقَى صَالِحًا أَبْقَا لَنَا عَمْرًا أَبَا عُثْمَانَ

فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول العبدي
 .. وقال أبو القاسم البلخي هو من موالي عبد القيس وولد في سنة أربع وثلاثين ومائة
 .. وقال أبو الحسن الخياط ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة وقيل أنه توفي في أول أيام
 المذكول سنة خمس وثلاثين ومائتين وكان سنة مائة سنة .. قال البرذعي لحق أبا الهذيل
 في آخر عمره خرف^١ إلا أنه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وكف
 بصره قبل وفاته .. وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب وأسد بن
 عطاء .. وقيل إن أبا الهذيل في حديثه بلغه أن رجلاً يهودياً قدم البصرة وقطع
 جماعة من متكلميها فقال لعمري يا مريض إلى هذا اليهودي حتى أكله فقال له عمه
 يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره وأنه قطع مشايخ المنتكس^٢ين فقال لا بد من أن تمضي
 بي إليه فمضى به قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام فإذا اعترفوا له
 بها قال نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نجتمع على ما تدعونه فتقدمت إليه فقلت أسألك أم
 تسألني فقال بل أسألك فقلت ذاك إليك فقال لي أتعترف بأن موسى نبي صادق أم تنكر
 ذلك فتخالف صاحبك فقلت له إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشر بنبي
 وشهد بنبوته وصدقه فهو نبي صادق وإن كان غير من وصفه فذاك شيطان لا أعترف
 بنبوته فورد عليه ما لم يكن في حسابه ثم قال لي أقول إن التوراة حق فقلت هذه
 المسألة تجري مجرى الأولى إن كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن

(١) قوله على طريق البصرة وقبل بين مكة والمدينة وهو بفتح الميم

البشارة بنبي عليه الصلاة والسلام فتلك حق وإن لم تكن كذلك فليست بحق ولا أقربها
فبُهِتُوا وأصعق ولم يدروا يقول ثم قال لي أريد أن أقول لك شيئاً بيني وبينك فظننت أنه يقول
شيئاً من الخير فتقدمت إليه فسارني وقال أمك كذا وكذا وأم من علمك ولا يمكن
وقد رآني أنبأ به فيقول وشبوا بي وشغبوا علي فأقبلت على من كان في المجلس فقلت
أعزكم الله أستم قد وقفتم على مسألة إياي وعلى جوابي له فقالوا نعم قلت أفليس عابه
أن يرد جوابي أيضاً قالوا بلى قلت لهم فانه لما سارني شتمني بالشم الذي يوجب الحد
وشتم من علمي وإنما ظن أني أنب عليه فيدعي أننا واثبناه وشغبنا عليه وقد
عرفتكم شأنه بعد الانقطاع فأنصروني فأخذته الأيدي من كل جهة فخرج هارباً من
البصرة ٥٥ وعن أبي العلاء قال قال أبو الهذيل ما معنى الخلف فقلت أن تغلب الأرض
أعلاها أسفلها فقال إن لا يكن هذا اليوم بالأرض فانه لها لباس ٥٥ وقال أبو الهذيل
قال لي المعتدل بن غيلان العبدى وكان من سادات عبد القيس وكان يجتمع إليه أهل
النظر يأبأ الهذيل أن في نفسي شيئاً من قول القوم في الاستطاعة فيبين لي ما يذهب
بالريب عنى فقال خبرني عن قول الله عز وجل (وسيعطون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون) هل يخلو من أن يكون أ كذبهم لأنهم
مستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لستنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا معكم
فأ كذبهم الله تعالى على هذا الوجه أو يكون على وجه آخر يقول أنهم لكاذبون أى
أن أعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فتكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون
ولا يكون الخروج وعلى كل حال قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج
ولا نقول للآية معنى ثالثاً غير الوجهين الذين ذكرناهما ٥٥ حكى سليمان الرقي أن أبا
الهذيل لما ورد سُرَّ من رأى نزل في غرفة إلى أن يطلب له داراً تصلح له قال فررت
به فقلت له يا أبا الهذيل أنزل في مثل هذا المنزل فأشبهني

يَقُولُونَ زَيْنُ الْمَرْءِ يَأْتِي رَحْلُهُ أَلَا إِنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يَأْتِي رَاكِبُهُ

وعن أبي مجالد قال رأيت رجلاً وقد سأل أبا الهذيل وهو في الوراقين بقصر وضاح

فقال له من جميع بين الزانبيين فقال له يابن أخي أما بالبصرة فاتهم يقولون القوادون ولا أحسب أهل بغداد يخالفونهم على هذا القول فأتقول أنت قال فجعل الرجل وسكت .. وقال أبو الهذيل قلت لرجل عن ينفي الحركة ولم يسمه وزعم قوم أنه الأعم خبّرني عن قول الله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وذكر القاذف فقال فاجلدوه ثمانين جلدة فأيهما أكثر فقال حد الزاني قات بكم قال بعشرين قلت فحدني عن الجلد أهو يد الجلود قال لا قلت أفهو السوط قال لا قلت فهو ظهر المجلود قال لا قلت أفهو الانفراج الذي بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت أفهم شيء غير هذا يقال هو الجلد قل لاقلت قائما تقول أن لاشئ أكثر من لاشئ بعشرين فانقطع .. وقال أبو الهذيل قلت لجوسي ماتقول في النار قال بئ الله قلت قالير قال ملائكة الله قمن أجنحتها وحطها الى الأرض يحرث عليها فقلت قائما قال نور الله قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقتة قلت فمن يعمل الأرض قال يهمن الملك قلت فما في الدنيا شر من الجوس أخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شوهها بئ الله ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقتة ثم ساحوها على رأس يهمن أعز ملائكة الله فانقطع الجوسي وخجل بما لزمه .. ودخل أبو الهذيل يوماً على الحسن بن سهل بفم الصلح وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال أبو الهذيل من هذا الفتى الذي قد رفعه الأمير لوقيه بمعرفته حقه قال رجل من أهل النجوم قال من أهل صناعة الحساب أم الأحكام قال الأحكام قال ذلك عمل يهمل أنفساً له قال سل فأخذ أبو الهذيل تفاحة من بين يديه وقال آكل هذه التفاحة أم لا قال تأكلها فوضعها أبو الهذيل وقال لست آكلها قل فعيدها الى يدك وأبعد النظر فوضعها وأخذ غيرها فقال له الحسن لم أخذت غيرها قال لكلا تقول لى لا تأكلها فأكلها خلافاً عليه فيقول قد أصبت في المسألة الأولى ^(١) .. وقال النعمان الثاني يوماً لأبي الهذيل دُلّ على

(١) وحكى أنه لقي صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجوع عابه فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجوعك عابه وجهاً إذا كان الإنسان عندك كالزعر

حدوث العالم بغير الحركة والسكون فقال له أبو الهذيل كذلك مثل رجل قال لخصمه
احضر معي الى القاضي ولا تحضر بينك .. وذكر محمد بن الحليم صاحب الفراء قال
رأيت أبا الهذيل وقد جاء الى الديوان في أيام المأمون فسال سهل بن مروان بن راهب
أن يكتب له كتاباً في حاجة الى حفصويه صاحب الجيش ونهض أبو الهذيل فأمل
على سهل بن مروان

إِن الضَّمِيرَ إِذَا سَأَلْتُكَ حَاجَةً	لَأَبِي الْهَذِيلَ خِلَافُ مَا أَبْدَى
فَإِذَا أَمَّاكَ لِحَاجَةٍ فَاْمُدْ لَهُ	حَبْلَ الرَّجَاءِ بِمُخْلَفِ الْوَعْدِ
وَأَلِنْ لَهُ كُنْفًا لِيَحْسُنَ ظَنُّهُ	فِي غَيْرِ مَنَفَعَةٍ وَلَا رِفْدِ
حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةُ جَدِّهِ	وَرَجَا النِّعَى فَأَجِبْهُ بِالرَّدِّ
وَأِنْ اسْتَطَعْتَ لَهُ الْمَضَرَّةَ فَاجْتَنِدْ	فِيمَا يَنْصُرُ بِأَبْلَغِ الْجَهْدِ
وَانْظُرْ كَلَامِي فِيهِ فَأَرْزَمْ بِهِ	خَلْفَ الثَّرِيَّا مِنْكَ فِي الْبُعْدِ
وَكَذَلِكَ فَأَفْعَلْتُ غَيْرَ مُعْتَمِدِ	إِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ فِي أَبِي الْهِنْدِ

[قال المرتضى رضى الله عنه] ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني
قال حدثني محمد بن أبي الأزهري قال حدثنا أبو العيثاء قال كان لي صديق فجاءني يوماً
فقال لي أريد الخروج الى فلان العامل وأحببت أن تكون معي اليه وسيلة وقد سألت
من صديقه فقبل لي أبو عثمان الجاحظ وهو صديقك فأحب أن تأخذ لي كتابه اليه
بالناية قال فصرت الى الجاحظ فقال لي في أي شيء جاء أبو عبيد الله فقلت مسلماً

قال صالح يا أبا الهذيل انما أجزع عاينه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال له كتاب
الشكوك ماهو يا صالح قال هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه
لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان فقال له أبو الهذيل فشك أنت في موت
ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات وشك أيضاً في قرأته كتاب الشكوك
وان كان لم يقرأه

وقاضياً لحق وفي حاجة لبعض أسدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن
الحادثة فاني في غد أوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجهه اليّ بالكتاب فقلت
لابني وجه هذا الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لي ان أبا عثمان بعيد الغور فينبغي
أن تقضه وتنظر ما فيه ففعلت فإذا في الكتاب كتابي اليك مع من لا أعرفه وقد كاتبي
فيه من لا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمدك وان ردّته لم أذمك فلما قرأت
الكتاب مضيت من فوري الى الجاحظ فقال يا أبا عبد الله قد علمت أنك أنكرت ما في
الكتاب فقلت أو ليس وضع نُكْرَة فقال لا هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتنى
به فقلت لا والله ما رأيت رجلاً أعلم بطبعك وما حلت عليه من هذا الرجل أعنى صاحب
الحاجة أعلمت أنه لما قرأ الكتاب قال اعطأّم الجاحظ عشرة آلاف وأم من يسأله فقلت
ما هذا أتشتم صديقنا فقال هذه علامتي فيمن أنكره .. وفي رواية أخرى ان أبا العيثاء
سلم الكتاب الى صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب فقال انه محتوم فقال طينه فهو
من ظنه .. [قال المراتبي] رضى الله عنه وأظن ان أبا العيثاء تابه على فض الكتاب
وقراءته بخبر طرفة بن العبد والمثلث الضبي وذلك انه لما وفد على عمرو بن هند
ونادماه واحتظيا به ثم أفضى الأمر الى ان هجاء كل واحد منهما ^(١) وعرض به بالشعر
(١) قوله أفضى الأمر الى ان هجاء كل واحد منهما أما طرفة فهجاء بأبياته المشهورة
فايت لنا مكان الملك عمرو وغونا حول قبتنا نخور
.. ومنها أيضاً

قد سمت الدمر في زمن رخي كذلك الحكم يقصد أو يجوز
وسبب علمه بهجو طرفة بن العبد إياه انه نظر يوماً الى كشح عبد عمرو بن مرثد فقال
لقد أبصر طرفة حسن كشحك وتمثل
ولا خير فيه غير أن له غني وان له كشحاً اذا قام أعضا
وهو من أبيات هجا بها طرفة عبد عمرو فضرب وقال لقد قال للملك أقبح من هذا قال
عمرو وما الذي قال فقدم عبيد عمرو لأن طرفة كان ابن عمه وأبي أن يسمعه فقال
أسمعه به وطرفة آمن فأنشده القصيدة

المشهور لحق عليهما وهم يقتلها ثم أشفق من ذلك وأراد قتلها بيد غيره وكان على
طرفة أحنق فلم انه ان قتله هجاء المتلمس فكتب لهما كتاباً الى البحرين وقال لهما
إني قد كتبت لكما بصلة فاشخصا لقبضها فخرجا من عنده وانكنابان في أيديهما قرأ
بشيخ جالس على ظهر العارقي، منكشفاً يبرز ومعه كسرة خبز يأكل منها ويتناول القمل
من ثيابه فيقصعه فقل أحدهما لصاحبه ما رأيت أعجب من هذا الشيخ فدفع الشيخ
مقاتله فقال وما ترى من عجب ادخل طيباً واخرج خبيثاً واقتل عدواً وإن أعجب مني
لمن يحمل حنقه بيده وهو لا يدري فأوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه
فأثبه غلام من أهل الحيرة فقال له اقرأ يا غلام قال نعم ففرض خاتم كتابه ودفعه الى
الغلام فقرأه فإذا فيه إذا أنك للمتلمس فاطلع يديه ورجليه وأصابه حياء فأقبل على طرفة
فقال له تاملن والله لقد كتب فيك مثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرأ عليك
فقال كلاً ما كان ليحسر على قومي بمثل هذا ولم يانفت الى قول المتلمس فألقى المتلمس
كتابه في نهر الحيرة وقال

قَذَفْتُ بِهَا بِالْتَنِّي مِنْ جَنَبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قُطٍّ مُضَلَّلٍ
رَضِيتُ لَهَا بِالْمَاءِ أَمَّا رَأَيْتُهَا يَحُولُ بِهَا الْيَّارُ فِي كُلِّ جَذْوَلٍ

وأما المتلمس فذكر ابن السكيت في شرح ديوان طرفة انه هجاء بقصيدة منها
ألك السدير وبأ رق ولك الخورنق

وروى أبو الفرج الأصبهاني من طريقه عن ابن السكيت انه هجاء بأبيات منها
قولاً للمروين هند غير متذب يأخس الأنف والأضراس كالعدس
ملك النهار وأنت الليل مومنة ماء الرجال على نخذك كالقرس
لو كنت كلب قنيس كنت ذا جدد تكون إربته في آخر المرس
أراد بالقرس القريس وهو الجائد والقنيس القانص والقنيس أيضاً الصيد والاربة العقدة
والمرس الحبل أي هو أخس الكلاب فقلادته أخس الفلائد ٥٥ وقال ابن الكلبي هذا
الشعر لعبد عمرو بن عمار بهجو به الأبيد الغساني وبسببه قتل عبد عمرو
(١٧ - أمالي)

كافر - نهر بالحيرة - وأفاد - انتهى - والفظ - الكتاب - واختار - معظم الماء
وكثرة .. وقال المتألمس أيضاً

مَنْ مَلَأَ الشُّعْرَاءُ عَنْ أَخَوَيْنِمْ	نَبَأً فَمَصْدُوقُهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسُ
أَوْ ذِي الَّذِي عَلَى الصَّحِيفَةِ مِنْهُمَا	وَشَا حَذَارَ رِحَابِهِ الْمُنْتَلَسُ
الَّتِي صَحِيفَتُهُ وَفُتَّتْ كَوْرُهُ	وَجَنَاهُ شُجْرَةُ الْمُنَاسِمِ عِزْمِ
عَبْدَانَةٍ طَبَخَ الْبَوَاجِرُ لَحْمَهَا	فَكَأَنَّ نَفْسَهَا أَدِيمُ أَمَاسُ
أَطْرُفُهُ بِنَ الْعَبْدِ إِلَيْكَ حَائِنُ	أَسَاسُهُ الْمَلِكِ الْهَامِ تَمَرُّسُ
أَتَى الصَّحِيفَةَ لَا أَبَاكَ إِنَّهُ	يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْجِيَاءِ النَّقَرَسُ

- النقرس - هنا الداهية لدمعه ومضى طرفه بكتابه الى البحرين فأمر به الملقى
ابن حنش العبدى فقتل .. فقال المتألمس

عَصَا مَا فَمَا لَأَقَى رَشَادًا وَإِنَّمَا	تَبَيَّنَ فِي أَمْرِ النَّوَى عَوَاقِبُهُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُولًا عَلَى ظَهْرِ آتَةٍ	تَمُجُّ نَجِيعِ الْجَوْفِ مِنْهُ تَرَابُهُ
فَالْأَلَا تَجَلَّلَهَا يُعَالِوُكَ فَوْقَهَا	وَكَيْفَ تَوْقَى ظَهْرَ مَا نَتَّ رَاكِبُهُ

ولحق المتألمس ببلاد الشام وهجا عمرًا وبلغه أن عمرًا يقول لأن وجده بالعراق
أبقتله .. فقال

أَلَيْتَ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطَحَمَهُ وَالْحَبَّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرَبَةِ السُّوسُ^(١)

(١) قال البغدادي والبيت من شواهد يسويه على أن نصب حب على نزع الحفص
أي على حب العراق والبيت بالخطاب لعمر بن عبد يقول له حافت لا تتركني
بالعراق ولا تلعني من حبه والحال أن الحب لا يبقى إن أبقته بل يسرع اليه الفساد
ويأكله السوس فالبخل به قبيح وهذا على طريق الاستهزاء والسخرية وبعده
لم تدري بغير بما بالبيت من قسم ولا دمشق إذا ديس الكراديس

وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أورتوه أشعارهم
 وَهَبَ الْفَصَائِدُ لِلنَّوَابِغِ إِذْ مَضَوْا وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَزْزُولُ
 وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهَنْ قَتْلُهُ وَمُهَلِّبُ الشُّعْرَاءِ ذَلِكَ الْأَوَّلُ
 يعنى بالنوابغ النباغة الذباني والطعدي ونباعة بن شيبان ويعنى بأبي يزيد الخليل
 السعدي وجزول هو الحطيئة وذو القروح امرؤ القيس وأخو بني قيس طرفة ومعنى
 قوله - وهن قتلته - يعنى القصاص الذى هجاها عمرو بن هند . . . ويقال إن صاحب
 هذه القصة هو النعمان بن النضر وذلك أشبه بقول طرفة

أَبَا مُنْذِرٍ كَأَنْتَ غُرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أَعْطِكُمْ بِالطَّيْعِ مَالِي وَلَا عَرْضِي
 أَبَا مُنْذِرٍ أَقْنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا حَتَّى تَبْلُغَ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ هَوْنٌ مِنْ بَعْضِ
 وأبو المنذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد مدح طرفة
 المتلمس فى النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله فبشبه أن تكون القصة مع النعمان

مجلس آخر ١٣

وكان أبو سهل بن بشر بن النضر من وجوه أهل الكلام ويقول إن جميع معتزلة
 بغداد كانوا من مستحبييه . . . وقال أبو القاسم الباقعي أنه من أهل بغداد وقيل من
 أهل الكوفة وذكر الجاحظ أنه كان أيرس . . . حكى أنه كان يوماً فى مجلسه وعنده
 أصحابه ومعه مجرى يسطم ويقول أنتم تحمدون الله على إيمانكم وهم يقولون نعم فيقول لهم
 فكأنه يجب أن يحمد على ما لم يفعل وقد ذم ذلك فى كتابه فيقولون له إنما ذم من أحب
 أن يحمد على ما لم يفعل ممن لم يعن عليه ولم يدع إليه وهو يشغب عليهم إذ أقبل ثامة بن
 أشرس فقال لبشر لا مجبر قد سألت القوم وأجابوك وهذا أبو معن فأسأله عن المسألة
 وبصرى مدينة بالشام يقول لا تدرى كثرة الطعام الذى ببصرى وبدمشق والكراديس
 أكدراس الشام ومن هنا يعلم أن الخياط لعمر ولا النعمان كما يأتي

فقال له هل يجب عليك أن تحمد الله على الإيمان قال بل هو يحمدني عابه لانه أسرنى به ففعلته وأنا أحمده على الأمر به والتقوية عليه والدعاء اليه فاقطع الجبر فقال بشر شبت فسهلت .. قال الجاحظ وكان بشر يقع في أبي الهذيل وينسبه الى التفات فقال وهو يصف أبا الهذيل لأن يكون لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب اليه من أن يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولأن يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية أحب اليه من أن يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولأن يكون نبيل المنظر سخييف الخبر أحب اليه من أن يكون نبيل الخبر سخييف المنظر وهو بالذناق أشد عجباً منه بالاخلاص والباطل مقبول أحب اليه من حق مدفوع .. ولبشر أشعر كثيرة يحنج فيها على أصحاب المقالات وذكر الجاحظ انه لم ير أحداً أقوى على الخدس والمزدوج بمافوى عليه بشر وانه كان في ذلك أكثر وأقدر من ابن الناحق وهو الناس

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقْوَلُ وَمَا تَقُولُ فَانْتَ عَالِمٌ
أَوْ كُنْتَ تَجْهَلُ ذَا وَذَا لَكَ فِكْنٌ لَأَهْلِ الْعِلْمِ لَا زِمَ
أَهْلُ الرِّيَاسَةِ مَنْ يَنْسَازِعُهُمْ رِيَاسَتَهُمْ فَظَالِمٌ
سَهَرَتْ عَيْنُونَهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي قَاسَوْهُ حَالِمٌ
لَا تَطْلُبُ بَنَ رِيَاسَةً بِالْجَهْلِ أَنْتَ لَهَا مُخَاصِمٌ
لَوْلَا مَقَامُهُمْ رَأَيْسَتَ الَّذِينَ يُخْطَرِبُ الدِّعَامُ

فأما أبو اسحق ابراهيم بن سيار النظام فانه كان مقدماً في العلم بالكلام حسن الخطار شديد التدقيق والغوص على المعاني وإنما أدناه الى المذاهب الباطلة التي تفرد بها واستنعت منه تدقيقه وتغلغله .. وقيل انه ولى الزيديين من ولد العبيد وان الرق جرى على أحد آباءه .. وقيل للنظام ما الاختصار فقال الذي اختصاره فسأله .. وقال لرجل أتعرف فلاناً المجوسي فقال نعم ذلك الذي حاق وسط رأسه كما يفعل اليهودي فقل النظام لا مجوسياً عرفت ولا يهودياً وصفت .. قال الجاحظ وذكر النظام عبداً

الوهاب التقى فقال هو أحمل من أمن بعد خوف ورره بعد سقم وخصب بعد جدد
وغنى بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم
وللنظام شعر كثير صالح فيه

يَا تَارِكِي جَسَدًا يَغْيِرُ فُؤَادِي أَسْرَفْتُ فِي الْمُجْرَانِ وَالْإِبْمَادِ
إِنْ كَانَ يَمْلِكُ الزَّيَّارَةُ أَعْيُنُ فَأَدْخُلْ عَلَيَّ بِعَلَّةِ الْعَوَادِ
كَيْمَا أُرَاكَ وَلَيْتَكَ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ مَلَكَتْ يَدَاكَ شَبَابُ نَيْعِ قِيَادِي
إِنَّ الْمَيُونَ عَلَى الْقُلُوبِ إِذَا جَنَّتْ كَانَتْ بَلِيَّتُهَا عَلَى الْأَجْسَادِ

.. وله

تَوَهَّمُهُ طَرْفِي فَأَلَمَ خَدَّهُ فُصَارَ مَكَانَ الْوَهْمِ مِنْ نَظَرِي أَثَرُ
وَصَافَحُهُ نَابِي فَأَلَمَ كَفَّهُ فَمِنْ صَفَحَ قَلْبِي فِي أَنَامِلِهِ عُرُ
وَرَّ بِقَابِي خَاطِرًا فَجَرَحَتْهُ وَأَمَّ أَرْجَسًا فَطُيِّرَ حُجَّةَ الْفِكْرِ
يَمُرُّ فَمِنْ لَيْلٍ وَحُسْنٍ تَعَطَّبُ يُقَالُ بِهِ سُكْرٌ وَلَيْسَ بِهِ سُكْرُ

ويقال ان أبا العنابية قال أشدت النظام شعراً

إِذَا هُمْ النَّدِيمُ لَهُ بِالْحُظِّ تَشَتَّتْ فِي غَاخِهِ السَّكَاوُمُ

فقال يليني أن يتادم هذا أعمى .. [قال المراتضى رضى الله عنه] وأبيات النظام تشتمل
معنى يت آدم أبي العنابية ولينا ندرى أي ما أخذ من صاحبه والنظام يكرر هذا المعنى كثيراً
في شعره فمن ذلك قوله

رَقِّ فَأَوْ بَزَّتْ سَرَائِيهَ عَلَّقَهُ الْجَوْ مِنْ الْأَطْفِ
يَجْرَحُهُ الْأَحْظُ بِتَشْكُرِ أَرِهِ وَيَشْتَكِي الْإِيَاءَ بِالطَّرْفِ

وحكى ان أبا النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل
يوماً ليمتنعه وفي يده قنح زجاج يابني صف لي هذه الزجاجه فقال أجدح أم يهزم فقال

يُدح قال نعم ترك القذى وتقيك الأذى ولا تستر ماورى قال فذمها قال سريع كسرهما
 بطي جبرها قال فصف هذه النخلة وأوماً الى نخلة في داره فقال أبعدح أم بدم قال
 بدم قال حلو مجتاتها باسقى منها ماء فاضر أملاها قال فذمها قال هي صعبة المراتى بعيدة
 الجنى مخوفة بالأذى فقال الخليل يابني نحن الى انكلم منك أحوج . [قال المرتضى]
 رضى الله عنه وهذه بلاغة من النظام حسنة لان البلاغة هي وصف الشيء ذماً أو مدحاً
 بأقصى ما يقال فيه . . وشبه هذا المعنى خبر ليلى المشهور في هجته البقرة التي امتنع
 بهجتها واختبر بدمها فقتل فيها أبلغ ما يقال في ثلثها وذلك أن عمارة وأنساً وقيساً وأربع
 بنى زياد العبديين ^(١) وفندوا على النعمان بن المنذر ووفد عليه العامريون بنحو
 البدين وتلهم أبو عاصم بن مالك جعفر بن كلاب وهو ملاعب الأمانة وكان العامريون
 ثلاثين رجلاً وفيهم أريد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له
 ذؤابة وكان الربيع بن زياد العبدي يتألم النعمان ويكثر الجلوس عنده ويتقدم على من
 سواه وكان يدعى الكامل لسطاطه ويأشبهه وكانه فضرب النعمان قبة على أبي براء وأجرى
 عليه وعلى من كان معه النزل فكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فانتخروا يوماً بحضرته
 فكان العبديون يغابون العامريين وكان الربيع اذا خلى بالنعمان طعن فيهم وذكر
 معيهم فعمل ذلك سراواً لعداوتة ابني جعفر لانهم كانوا أسروه فسد النعمان عنهم حتى
 (١) قوله العبديين هم أشيرة وأبدهم زياد العبدي وكل واحد منهم قد رأس في
 الجاهلية وقد جرحوا وأتهم قاطعة بنت الحارث بن النعمان إحدى المتجنيات وهي التي
 سبأت أبي بليك أنفصل فضلت الربيع بل عمارة بل قيس بل أنس ثم قالت تكنهم أن
 كنت أعلم أنهم أفضل هم كالمائة الفرة لا يدري أين طرفاه . وسبأت عنهم أيضاً قتلات
 في عمارة لا ينال لينة يخاف ولا يشبع لينة يشاف وقالت في الربيع لا نعد ما نره ولا
 يخفى في الجهل بواذره وقالت في أنس اذا عزم أمضى واذا سئل أرمى واذا قدر
 أغشى وكان لكل واحد منهم لقب فكان عمارة يقال له الوهاب وكان الربيع يقال له
 الكامل وقيس يقال له الجواد وأنس يقال له أنس الحفاظ وكان عمارة آلى على نفسه
 أن لا يسمع صوت أسير يتادي في الليل إلا أفنكه

نزع القبة عن أبي براء وقطع النزل ودخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاء وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غشياً وممواً بالانصراف ولبيد في رحلهم يحفظ أمتعتهم ويفقدوهم فبرعوا فافذا أسمى انصرف بها فأنعم تلك الليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع فقال لهم ما كنتم تتاجون فكتموه ودلوا له اليك عنّا فقال خبروني ففعل لكم عندي فرجاً فزجروه فقل رايته لا أحفظ لكم منعاً ولا أسرح لكم بغيراً أو تخبروني وكانت أم لبيد تنسبة في حجر الربيع فقالوا له خالك غلبنا على الملك وأصدعنا^(١) وجهه فقال هل تغدرون أن تجميعوا بيني وبينه فذا حين يقدم الملك فأزجر به زجراً مخمناً مؤكداً لا ينفك اليه النعمان بعده أبداً فقالوا له وهل عندك ذلك قال نعم قالوا فأننا نأبوك بشتم هذه البقية وقدامهم بقية دقيقة القديان فأيها الورق لاصقة فرومها بالأرض تدعى الزبية فقلنا من الأرض وأخذها بيده وقال ههنا البقية الزبية المذلة الرذلة التي لا تدرك ناراً ولا توعى داراً ولا تستر جواراً عودها ذئيل وفرعها ذليل وخبرها قاييل بلدها شامخ ونبتها شامخ وآكلها جثيع والماتم عليها قانع أقصر البقول فرعاً وأخبرها صرعاً وأشدّها قاعاً خرباً بلجارها وجدعاً فلذوا بي أخا بني عبس أرجعه عنكم بتعس ونكس وأنزكه من أمره في لبس فقالوا له نصبح ونرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان رأيتوه ناعماً فليس أمره بشئ انما تكلم بما جرى على لسانه وان رأيتوه ساهماً فهو صاحبكم فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رجلاً يكدم واسطته حتى أصبح فلما أصبحوا قتلوا أنت والله صاحبه خفقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين واللبسوه حلة وغدوا بهمهم فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع الى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن أحد شقي رأسه وأرخا إزاره واشعل نعل واحد وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية اذا أرادوا المجداء فثل بين يديه ثم قال

(١) قوله وأصدعنا .. قال الزجاج في كتاب فعات وأفدت في باب الصاد صدى الرجل عن الأمر واصدني والمعنى واحد

يَارُبِّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَنَةِ إِذْ لَا تَزَالُ هَامَتِي مُقَرَّعَةً
 تَحْنُ بَنَى أُمِّ الْبَيْتِ الْأَرْبَعَةَ وَتَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ
 الْمُطْعَمُونَ الْجَفْنَةُ الْمُدْمَعَةُ وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ
 مَهْلًا يَبْتَ الْأَمْنُ لَا تَأْكُلُ مَعَهُ إِنَّ أَسْنَتَهُ مِنْ بَرَصٍ مَلْمَعَهُ
 وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إَصْبَعَهُ يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَهُ
 كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئًا ضَمِيمَهُ

فلما فرغ ليبدد التفت النعمان الى الربيع برمقه شزراً وقال كذلك أنت فقال كذب والله ابن الحلق الثميم فقال النعمان أف لهذا الطعام لقد خبثت على طعامي فقال الربيع آيت الامن اما انى قد فعلت بأمة لا يكتفي وكانت في حجره فقال ليبد أنت لهذا الكلام أهل أما انما من لدوة غير فعل وأنت المرءة قل هذا في يديته . . [قل المرتضى] رضى الله عنه وجدت في رواية أخرى أما انما من لدوة فدل وانما قال ذلك لانه كانت من قوم الربيع فلبسها الى القبيح وصدقه عليها تهجيناً له ولزومه فأمر الملك بهم جميعاً فأخرجوا وأعاد على أبي براء القبصة وانصرف الربيع الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وأمره بالانصراف الى أهله فكتب اليه انى قد تخوفت أن يكون قد وقع في صدرك ما قال ليبد ولست برأىم حتى تبعت الى من يعرذن ليعل من حضرك من الناس انى لست كما قال فأرسل اليه انك لست صانعاً باغثاًك مما قال ليبد شيئاً ولا قادراً على رد ما زلت به الألسن فالحق بأهلك ثم كتب اليه النعمان في جملة أبيات جواباً عن أبيات كتبها اليه الربيع ^(١) مشهورة

(١) قوله ثم كتب اليه النعمان في جملة أبيات جواباً عن أبيات كتبها اليه الربيع مشهورة أبيات الربيع هي

لئن رحلت جالي إن لي سعة ما مثلها سعة عرساً ولا طولا
 بحيث لو وزنت ظم بأجمعها لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلا

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك من شيء إذا قبلا

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دايد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة وأخبرنا به أيضاً المرزباني قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال أخبرنا محمد بن زياد بن زيان عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكائي وكان قد أدرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ولم تأت بجميع الخبر على وجهه بل ألقطنا منه ما لم نخرج اليه وأوردنا ما أوردنا منه بالفاظه .. [قال المرتضى رضي الله عنه] أما قوله نحن بنو أم البنين الأربعة فإنه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً .. وأم البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ولدت منه عامر بن مالك ملاعب الأسرة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو أبو عامر بن الطفيل وقرزل فرس كانت له .. وربيعة بن مالك أبا لييد وهو ربيع المقترين .. ومعاوية بن مالك معبود الحكام وإنما سمي معبود الحكام بقوله

أَعُوذُ مِنْهَا الْحُكَّامُ بَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاءِ نَابَا

وولدت عبيدة الوضاح فهو لاء خمسة وقال لييد أربعة لأن الشعر لم يكنه من ذلك^(١)

ترعى الروائم أحرار البقول بها لا مثل رعيكم ملجأ وغاسولا

فأبرق بأرصادك يا نعمان متكثراً مع النطاسي يوماً وابن نوفلا

وأبيات النعمان هي

شرد برحلك عني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الأقاويل

فقد ذكرت به والركب حامله ورداً يعلل أهل الشام والنبلا

فما انتفاؤك عنه بعد ما جزعت هوج المطي به أبراق شمللا

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك من شيء إذا قبلا

فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة وانتشرها الطرف إن عرّضاً وإن طولاً

(١) قوله إن لييد إنما قال أربعة وهم خمسة لضرورة الشعر هذا قول الفراء وهو

• • وأما الخليفة المستعدة - فهي المملوأة • • وأما الخبيضة - فإن الأصمى يذكر أن ليبدأ قال تحت الخبيضة يعني الجلبة فدوته الرواة • • وقيل أن الخبيضة أصوات وقع السيوف والخبيضة أيضاً البيضة التي تلبس على الرأس والخبيضة الفبار والقول يحتمل كل ذلك • • وأما أبيت اللعن - فإن أبا حاتم قال سألت الأصمى عنه فقال معناه أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه • • وأما الأشاجع - فهي العروق والعصب الذي على ظهر الكنف وقد روى أكل يوم هاتين مقزعه - وانقزع - تساقط بعض الشعر والصوف وبقا بعضه يقال كبش أقزع ونعجة قزعاء

فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لأبي القاسم عمرو بن قلع الكنتاني ثم الفقيمي وذكر المبرد أنه ما رأى أحرص على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسماعيل بن اسحاق القاضي • • فأما الجاحظ فانه كان إذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله الى آخره أي كتاب كان • • وأما الفتح بن خاقان فانه كان يحمل الكتاب في خفة فاذا قام بين يدي المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب للنظر فيه وهو يمشی حتى يبلغ الموضع الذي يريد ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه الى أن يأخذ بجاهه • • وأما اسمعيل بن اسحاق فإني ما دخلت عليه قط إلا وفي يده كتاب ينظر فيه أو يقب الكتاب لطاب كتاب ينظر فيه • • قال الباخي تفرد

قول فارغ والصواب كما قال ابن عصفور في الضرائر لم يقل إلا أربعة وهم خمسة على جهة الغلط وإنما قال ذلك لأن أباه كان مات وبقى أعمامه وهم أربعة وهو مسبوق بالسبيل فانه قال وإنما قال الأربعة لأن أباه كان قد مات قبل ذلك لا كما قال بعض الناس وهو قول يعزى الى الفراء أنه قال إنما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافي فيقال له لا يجوز للشاعر أن يلحن لاقامة وزن الشعر فكيف بان يكذب لاقامة الوزن وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوله في قوله سبحانه (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقال أراد جنة واحدة وجاء بالفظ التثنية لتنفق رؤس الآي أو كلاماً هذا معناه فسمى صمام ما أشتنع هذا الكلام وأبعده عن العلم وفهم القرآن وأقل هيبة فقله مني أن يتبوء مقدمه من البار

الجاحظ بالقول بأن المعرفة طباع وهي مع ذلك فعل العبد على الحقيقة وكان يقول في سائر الأفعال أنها تنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً وانما وجبت بارادتهم وليس بجائر أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين طارف وقد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه به وإلقه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه (١) . . . وكان الجاحظ ملازماً لـ محمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد للعداوة التي كانت بين أحمد ومحمد فلما قبض على محمد الزيات هرب الجاحظ فقبيل له لم هربت فقال خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التور يريد ما صنع بمحمد بن عبد الملك من إدخاله ثوراً فيه مسابير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات . . . وروى أنه أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قيص سمل فلما نظر إليه ابن أبي دؤاد قل والله ماعليك إلا متناً للنعمة كفوراً للخدمة معدناً للمساوي وما قصرت باستصلاحك ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة دخانك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك أيك الله فوالله لأن يكون لك الأمر على خير من أن يكون لي عليك ولأن أسيء وتحسن أحسن في الأحداث لك من أن أحسن وتسيء ولأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل بك من الانتقام في فقال ابن أبي دؤاد قبلك الله فوالله ماعليك إلا كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيبالك أمام قلبك ثم اضطغنت فيه الفسق والكفر بإغلام صر به إلى الحمام وأمط عنه الأذى فاخذت عنه السلسلة والقيد وأدخل الحمام ومحل إليه تحت من ثياب وطويلة وخف فلبس ذلك ثم أتاه فصدره في مجلسه ثم أجبل عليه وقال مات الآن حديثك يا أبا عثمان . . . وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احفر من تأمن فالك حذر من تخاف . . . وقل الجاحظ قات لأبي يعقوب

(١) وروى عن أبي عمرو أنه جرى ذكر الجاحظ في مجلس أبي العباس أحمد بن يحيى فقال أمسكوا عن ذكر الجاحظ فإنه غير نفع . . . قال الأزهري وكان الجاحظ روى عن الثقات ما ليس من كلامهم وكان قد أوثق بسطة في لانه وبياناً في خطابه ومجالاً واسعاً في فنونه غير أن أهل العلم والمعرفة ذموا وعن الصدوق دفعوه . . .

الخرمي الشاهر من خلق المعاصي قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله قلت فلم قال
لا أدري والله... وكان الجاحظ يقول يذني للكاتب أن يكون رقيق حواشي الكلام عذب
يتابعه إذا حاور سدد سهم الصواب إلى غرض المعنى... وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة
ولا الخاصة بكلام العامة... وقال سوار بن أبي شراة كنت عند الجاحظ فرآني
أكتب خطأ ردياً في ورقي ردني متقارب الساور فقال لي ما أحبك نحب ورثك
فقلت وكيف ذلك قال لاني أراك أئسى بهم فيما تخلفه... وذكر أبو العباس المبرد قال سمعت
الجاحظ يقول لرجل آذاه أنت والله أحوج إلى هوان من كريم إلى إكرام ومن علم
إلى عمل ومن قدرة إلى عفو ومن نعمة إلى شكر... وقال المبرد قال لي الجاحظ يوماً
أعترف مثل قول اسمعيل بن القاسم

ولا خير فيمن لا يؤطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

فقلت نعم قول كثير ومنه أخذ

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وضعت يدها النفس ذات

وروي يموت بن المزرع طلاه عمرو بن بحر الجاحظ في الجواز بهجوه

نسب الجواز مقصود إليه منتباه

تنتهي الأحساب بالناس ولا يمدو قفاه

يتحاجي من أبو الجواز فيه كاتبا

ليس يذري من أبو الجواز إلا من يراه

أخبرنا المرزباني قال أخبرنا علي بن مروان قال أنشدني وكيع قال أنشدني أبو العينية

قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخطاب

زرت فتاة من بني هلال فاستعجلت إلي بالسؤال

مالي أراك قاني السبال كأنما كرعنت في جزال

مَا يَبْتَنِي مِثْلُكَ مِنْ أُمَثَالِي تَنْحُ قُدَامِي وَمِنْ حِيَالِي

•• [قال المراضى رضى الله عنه] قوله كأنما كرت في جريال - مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ لئنه وضعف كلامه •• وذكر أبو العيناء قال حدثني إبراهيم بن رياح قال أنشدني الجاحظ يمدحني

بَدَا بِي حِينَ أَتَرَى بِإِخْوَانِهِ فَقَلَّلَ عَنْهُمْ شَبَابَةَ الْعَدَمِ
وَذَكَرَهُ الْحَزْمُ رَبِّبَ الزَّمَا نِ قِبَادَرٍ بِالْعُرْفِ قَبْلَ النَّدَمِ

قال إبراهيم فذا كرت بها أحمد بن أبي دؤاد فقال قد أنشدنيها يمدحني بهما ثم أنبت محمد بن الجهم فقال قد أنشدنيها يمدحني بهما وقال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا أعرف شعراً بفضل قول أبي نواس

وَدَارَ نَدَامِي عَطَّلُوهَا وَأَذْجَوْا بِهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ
مَسَاحِبٍ مِنْ جَرِّ الزَّفَاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْفَاتُ رِيحَانٍ جَنِيٍّ وَيَابِسُ
حَبَسَتْ بِهَا صَخَبِي فَجَدَّدَتْ عَيْدَهُمْ وَإِنِّي عَلَى أُمَثَالِ تِلْكَ لَحَادِسُ
وَلَمْ أَذْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ بِشَرْقِي سَابَاطُ الدِّيَارِ الْبَسَاسُ
أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَلَاثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ
تُدَارُ عَلَيْنَا الرِّاحُ فِي عَسَجْدِيَّةٍ حَبَشَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
قَرَارَتِهَا كَسْرِي وَفِي جَنْبَانِهَا مَهَى تَدْوِيهَا بِالْقَسِيِّ الْفَوَارِسُ
فَلِلْخَمْرِ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

قال الجاحظ فأنشدتها أبا شعيب القلال فقال يا أبا عثمان لو تفر هذا الشعر لعن قلت ويلاك ما تفارق الجرار والحزف حيث كنت •• أخذ أبو نواس قوله وَلَمْ أَذْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ بِشَرْقِي سَابَاطُ الدِّيَارِ الْبَسَاسُ من أبي خراش الهذلي

ولم أذر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل عن ماجد محض
ويقال إن أبا خراش أول من مدح من لا يعرفه وذلك إن خراش بن أبي خراش
أسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم
بقتل عروة بن مرة ونجّاه فلما تفرغوا له قال أفلت متي ويقال بل رآه في الأسر رجل
من بني عمه فألقى عليه رداءه ليخبره به وقال له النجاء وبلك فقال أبو خراش في ذلك
حمّدتُ إليّ بعد عروّة إذ نجّاه خراش وبعض الشرّ أهون من بعض
فأقسم لا ألقى قتيلاً رزائمه بجانب قوسي ما مشيت على الأرض
على أنها تغفو الكلوم وإنما نوكل بالأذى وإن جلّ ما يخفي
ولم أذر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل عن ماجد محض
وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المَرْزَبَانِي قال حدثني محمد بن إبراهيم بن
شهاب قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمر البرذعي المتكلم قال صرت إلى منزل الجاحظ
في أول ما قدمت من بلدي وقد اعتدل عانه التي فاجع فيها فاستأذنت عليه فخرج إلى
خارج من منزله فقال لي يقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل فانصرفت عنه
•• وذكر يموت بن المزدحم قال وجّه المتوكل في السنة التي قُتل فيها أن يحمل إليه
الجاحظ من البصرة وقد سأله الفتح ذلك فوجده لا فضل فيه فقال إن أراد حمله ما يصنع
بامرء ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائِل وعقل زائل ولون حائل ••
وذكر المبرد قال سمعت الجاحظ يقول أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاربض
ماعلت ومن جانبي الأيمن مُنْقَرَسٌ فلو مر بي الذباب لأملت وبني حصاة لا ينسرح لي
البول معها وأشد ما على ست وتسعون •• وقال يوماً لمتطلب يشكو إليه علة قد اصطلحت
الاضداد على جسمي أن أكلت بارداً أخذ برجلي وإن أكلت حاراً أخذ برأمي وتوفى
في سنة خمس وخمسين ومائتين



﴿ مجلس آخر ١٤ ﴾

[تأويل آية] (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله هم المنتقون ؛ سأله سائل فقال كيف ينبغي كون تولية الوجوه إلى الجهات من البر وإنما يفعل ذلك في الصلاة وهي بر لا محالة وكيف خبر عن البر من البر كالمصدر ومن اسم محض وعن أي شيء كثر ما له في قوله تعالى (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) وما الخصوص بأنها كناية عنه وقد تقدمت أشباه كثيرة وعلى أي شيء ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرون وهم معطوفون على الموفين وكيف وحد الكناية في موضع وجهها في آخر فقال من آمن وآتى المال وأقام الصلاة ثم قل والموفون والصابرين يقال له فيها . . ذكرته أولاً جواباً . أحدهما أنه أراد تعالى ليس الصلاة هي البر كله ولكنه عدد ما في الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا أنكم إذا توجهتم إلى الجهات إسلامتكم فقد أحرزتم البر بأسره وحزتموه بكائه بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه وأكثره . والجواب الثاني أن النصارى لما توجهوا إلى المشرق واليهود إلى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلتين واعتقدوا في الصلاة إليهما أنهما بر وطاعة خلافاً على الرسول عليه الصلاة والسلام أ كذبهم الله في ذلك وبيّن أن ذلك ليس من البر إذ كان منسوخاً بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم التي تلزم الأسود والأبيض والعربي والعجمي وأن البر هو ما تضمنته الآية . . فأما إخباره بمن فنيه وجوه ثلاثة . أولها أن يكون البر عبداً البار أو ذا البر وجعل أحدهما في مكان الآخر والتقدير ولكن البار من آمن بالله ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) يريد ظراً ومثله قول الشاعر

تَرْتَعُ مَا رَتَعْتَ حَتَّى إِذَا أَذْكَرْتَ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَاهُ

أراد أنها مقبلة مدبرة . . ومثله

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مُقَلَّدَةً أَعْتَبَهَا صُفُونَا

أراد نائحة عليهم . . ومثله قول الشاعر

هَرَبْتَنِي مِنْ ذُمِّهِمْ سَجَامًا ضِياعُ وجاؤني نوحاً قياماً

• والوجه الثاني أن العرب قد تخرج عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فأما إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى (ولكن ألبس من آمن بالله) وقول العرب إنما البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل فنقل قول الشاعر

لَعَمْرُكَ مَا الْفَتَيَانُ أَنْ تَنْبُتَ اللَّحْيَ وَلَكِنَّمَا الْفَتَيَانُ كُلُّ فَتَى نَدَى

فجعل أن تنبت وهو مصدر خبراً عن الفتیان • والوجه الثالث أن يكون المعنى ولكن البر ير من آمن بخلاف البر الثاني وأقام الأول مقامه كقوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) أراد حب العجل • قال الشاعر

وكيف توأصلي من أصبحت خِلَاتُهُ كَأَنِّي مَرْحَبٌ

أراد كإزالة أبي مرحب • وقول النابغة

وقد خُفْتُ حَتَّى مَاتَ زَيْدٌ خِفَاتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَائِلٍ

أراد على مخافة وعلى وتقول العرب بنو فلان يطؤهم الطريق أي أهل الطريق • وحكى عن بعضهم أطيب الناس الزيد أي أطيب ما يأكل الناس الزيد وكذلك قولهم حببت صياحي زيداً أي صياحي زيد • وروى عن ابن عباس في قوله تعالى (ليس على الأعمى حرج) أي ليس على من أكل مع الأعمى حرج وفي قوله تعالى (رابعهم كلهم) وذكروا أنه كان راعياً تبعهم • فأما ما كتفى بإلهاء في قوله تعالى (وآتى المال على حبه ذوى القربى) ففيه وجوه أربعة • أولها أن تكون الإلهاء راجعة على المال الذى تقدم ذكره ويكون المعنى وآتى المال على حب المال وأضيف الحب الى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القائل اشتريت طعامي كاشترأ طعامك والمعنى كاشترائك طعامك • والوجه الثاني أن تكون الإلهاء راجعة الى من آمن بالله فيكون المصدر مضافاً الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه • والوجه الثالث أن ترجع الإلهاء الى الإيتاء الذى دل عليه آتى والمعنى وأعطى المال على حب الاعطاء ويمرئ ذلك مجرى قول القعطامي

هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولَى

فَكَفَى بِالْهَاءِ عَنْ الْمَلِكِ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ عَلَيْهِ .. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّامِرِ

إِذَا نَهَى السَّفِيهَ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيهَ إِلَى خِلَافٍ

أَرَادَ جَرَى إِلَى السَّفِيهِ الَّذِي دَلَّ ذِكْرَ السَّفِيهِ عَلَيْهِ . وَالْوَجْهَ الرَّابِعُ أَنَّ تَكُونَ الْهَاءَ رَاجِعَةً إِلَى اللَّهِ لِأَنَّ ذِكْرَهُ تَعَالَى قَدْ تَقَدَّمَ فَيَكُونُ وَآيَ الْمَالِ عَلَى حُبِّ اللَّهِ ذَوِي الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى .. فَإِنْ قِيلَ وَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي ذَلِكَ وَقَدْ عَلِمْنَا الْفَائِدَةَ فِي لِيَاءِ الْمَالِ مَعَ حُبِّهِ وَالضَّنِّ بِهِ وَإِنَّ الْعَطِيَّةَ تَكُونُ أَشْرَفَ وَأَمْدَحَ فَمَا الْفَائِدَةُ فِيهَا ذِكْرُهُ وَمَا مَعْنَى حُبِّهِ اللَّهُ وَالْحُبَّةَ عِنْدَكُمْ هِيَ الْإِرَادَةُ وَالْقَدِيمُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَرَادَ .. قُلْنَا أَمَّا الْحُبَّةُ عِنْدَنَا فَهِيَ الْإِرَادَةُ إِلَّا أَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَهَا كَثِيرًا مَعَ حَذْفِ مُتَعَلِّقِهَا بِحِزَازٍ وَتَوْسِعَةً فَيَقُولُونَ فَلَانِ يَحِبُّ زَيْدًا إِذَا أَرَادَ مُتَعَلِّقَهُ وَلَا يَقُولُونَ زَيْدٌ يَرِيدُ عَمْرًا بِمَعْنَى أَنَّهُ يَرِيدُ مُنَافَعَهُ لِأَنَّ التَّعَارُفَ جَرَى فِي اسْتِعْمَالِ الْحَذْفِ وَالِاخْتِصَارِ فِي الْحُبَّةِ دُونَ الْإِرَادَةِ وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى وَاحِدًا .. وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ لِقَوْلِهِمْ زَيْدٌ يَحِبُّ عَمْرًا مَزِيدَةً عَلَى قَوْلِهِمْ يَرِيدُ مُنَافَعَهُ لِأَنَّ اللَّافِظَ الْأَوَّلَ يُنْبِئُ عَنْ أَنَّهُ لَا يَرِيدُ إِلَّا مُنَافَعَهُ وَأَنَّهُ لَا يَرِيدُ شَيْئًا مِنْ مُضَارِهِ وَالثَّانِي لَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فَجَعَلَتْ لَهُ مَزِيدَةً وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى نَصَفَ اللَّهُ بِأَنَّهُ يَحِبُّ أَوْلِيَاءَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ وَالْمَعْنَى فِيهِ أَنَّهُ يَرِيدُ لَهُمْ ضُرُوبَ الْخَيْرِ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَالنِّعَمِ فَأَمَّا وَصَفَ أَحَدَنَا بِأَنَّهُ يَحِبُّ اللَّهُ فَالْمَعْنَى فِيهِ أَنَّهُ يَرِيدُ تَعْظِيمَهُ وَعِبَادَتَهُ وَالْيَتَامَى بِطَاعَتِهِ وَلَا يَصِحُّ الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي حُبِّهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِاسْتِعْمَالِ الْمُنَافَعِ عَلَيْهِ تَعَالَى وَمَنْ جَوَّزَ عَلَيْهِ تَعَالَى الْإِشْتِنَاعَ لَا يَصِحُّ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ حُبًّا لَهُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى لِأَنَّهُ بِاعْتِقَادِهِ ذَلِكَ فِيهِ قَدْ خَرَجَ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِهِ فَحُبُّهُ فِي الْحَقِيقَةِ لَاشْتِمَالٍ وَلَا تَوَجُّهَ إِلَيْهِ كَمَا قَوْلُ فِي أَصْحَابِ التَّنْذِيرِ لَانَّهُمْ إِذَا عَبَدُوا مِنْ اعْتِقَادِهِمْ إِلَهًُا فَقَدْ عَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى .. فَأَمَّا الْفَائِدَةُ فِي اعْطَاءِ الْمَالِ مَعَ حُبِّهِ اللَّهِ فَهِيَ ظَاهِرَةٌ لِأَنَّ اعْطَاءَ الْمَالِ مَتَى قَارَنَهُ إِرَادَةُ وَجْهِ اللَّهِ وَعِبَادَتُهُ وَطَاعَتُهُ اسْتَحَقَّ بِهِ الثَّوَابَ وَمَتَى لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَحَقَّ الْفَاعِلُ بِهِ ثَوَابًا وَكَانَ ضَائِعًا وَتَأْثِيرُ مَا ذَكَرْنَاهُ أَبْلَغُ مِنْ تَأْثِيرِ حُبِّ الْمَالِ وَالضَّنِّ بِهِ لِأَنَّ الْحُبَّ لِلَّهِ وَالضَّنِّ بِهِ مَتَى بَذَلَهُ وَأَعْطَاهُ وَلَمْ يَقْصِدْ بِهِ الطَّاعَةَ وَالْعِبَادَةَ

والقربة لم يستحق به شيئاً من الثواب وإنما يثمر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالمطعة وهو غير ضيق للمال ولا يحب له لا يستحق الثواب وهذا الوجه لم يبق إليه في هذه الآية وهو أحد ما قيل فيها . . وقد ذكر وجه آخر وهو أن يكون الهاء رابعة إلى من آمن أيضاً وينصب ذوي القربى بالحلب ولا يحمل لآتي منه وبأ لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام وأعطى المال في حال حبه ذوي القربى واليتامى على محبته إليهم وهذا الوجه ليس فيه مزية في باب رجوع الهاء التي وقع عليها السؤال وإنما يقتضي مما تقدم بتقدير انصباب ذوي القربى بالحلب وذلك غير ما وقع الدال عنه والأجوبة الأول أقوى وأولى . . فلما قوله (والموفون بهمهم) في رفعه وجهان . أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح لأن الهم إذا طل وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بهمهم قال الزجاج وهذا أجود الوجهين . والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على من آمن ويكون المعنى ولكن ذا البر وذوي البر لأنؤمنون والموفون بهمهم . . فلما نصب الصابرين فيه وجهان . أحدهما المدح لأن مدحهم في الصفات والتمت إذا طالت أن يترضوا بينهما بل مدح وانهم ليزجوا للمدح أو المذموم ويفردوه فيكون غير متبع لأول الكلام من ذلك قول الخرائق بنت بدر بن هفان

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْمَدَامَةِ وَآفَةُ الْجَزْرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُتَرَكِّ وَالطَّيِّبِينَ مَعَانَةِ الْأَزْرِ

فصبحت ذلك على المدح وربما رفعوها جميعاً على أن يتبع آخر الكلام أوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه في نصب والرفع ما ذكرناه . . ومن ذلك قول الشاعر أنشد الفراء

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَأَبْنِ الْهَمَامِ وَلَيْثِ الْكَتَيْبَةِ فِي الزُّدَحَمِ
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تَقْمُ الْأُمُو دُبْدَاتِ الصَّالِيلِ وَذَاتِ اللَّجَمِ

فنصب لئس التكتيبة وذا الرأي على المدح . . وأنشد الفراء أيضاً

فَلَيْتَ الَّتِي فِيهَا النُّجُومُ تَوَاضَعَتْ
عُيُوثُ الْحَيَا فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَزَبَّةٍ
عَلَى كُلِّ غَشٍّ مِنْهُمْ وَسَمِينٍ
أَسْوَدُ الشَّرَا يَجْمَعِينَ كُلَّ عَرَبِينَ

ومما نصب على الذم قوله

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي
عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ^(١)

(١) قوله سَقَوْنِي الْخَمْرَ هو من جملة أبيات لعروة بن الورد أولها

أَرَقْتُ وَصَحْبِي بِمَضِيقٍ عَمَقٍ لَبِقٌ مِنْ تَهَامَةٍ مُسْتَعِيرٍ

سَقَى سَلْمَى وَأَيْنَ دِيَارِ سَلْمَى إِذَا كَانَتْ بِحَاوِرَةِ السَّيْدِ

إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضِ بَنِي عَلِيٍّ وَأَهْلِي بَيْنِ زَامِرَةٍ وَصَكِيرِ

ذَكَرْتُ مَنَازِلًا مِنْ أُمِّ وَهْبٍ مَحَلَّ الْحَيِّ أَسْفَلَ مِنْ تَقِيرِ

وَأُحْدِثُ مَعْدَأَمِنْ أُمِّ وَهْبٍ مَعْرَسَتَنَا بِوَادِ بَنِي النَّضِيرِ

وَقَالُوا مَا تَشَاءُ فَقُلْتُ أَهْوِ إِلَى الْإِسْبَاحِ آثَرُ ذِي أُمَيْرِ

بِأَنَسَةِ الْحَدِيثِ رَضَابٍ فِيهَا بَعِيدُ الدَّوْمِ كَالْعَنْبِ الْعَصِيرِ

وَمِنْهَا أَطْعَمْتُ الْأَعْرَبِينَ بِصَرَمِ سَلْمَى وَطَارُوا فِي بِلَادِ الْيَسْتَعُورِ

أَي تَفَرَّقُوا حَيْثُ لَا يَعْلَمُ وَلَا يَهْتَدِي لِأَوَاضِعِهِمْ .. وَقَالَ ابْنُ بَرِيٍّ عَنْ الْبَيْتِ أَنَّ عُرْوَةَ كَانَ

سَبَى امْرَأَةً مِنْ بَنِي عَامِرٍ يُقَالُ لَهَا سَلْمَى ثُمَّ تَزَوَّجَهَا فَبَكَتْ عَنْدهُ زَمَانًا وَهُوَ لَهَا شَدِيدُ

الْحُبِّ ثُمَّ إِذَا اسْتَبْرَأَتْهُ أَهْلُهَا فَعَمَلَهَا حَتَّى انْتَهَى بِهَا إِلَيْهِمْ فَلَمَّا أَرَادَ الرَّجُوعَ أَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ

مَعَهُ وَأَرَادَ قَوْمُهَا قَتْلَهُ فَخَنَفَهُمْ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِهِ أَخُوهَا وَإِنْ عَمَهَا وَجَاعَةٌ فَتَشَرَّبُوا

خَمْرًا وَسَقَوْهُ وَسَأَلُوهُ طَلَاقَهَا فَلَعَنَهَا فَلَمَّا سَمِعَهَا تَدْمُ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ وَلِهَذَا يَقُولُ بَعْدَ الْبَيْتِ

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ

أَلَا يَا لَيْتَنِي عَاصَيْتُ طَلَقًا وَجِبَارًا وَمَنْ لِي مِنْ أَمِيرٍ

طَلَّقَ أَخُوهَا وَجِبَارُ ابْنِ عَمَهَا وَقِيلَ لَهَا أَخُوهُ هُوَ وَابْنُ عَمِّهِ وَالْأَمِيرُ هُوَ الْمُسْتَشَارُ وَقِيلَ

إِنَّ أَهْلَهَا طَلَبُوا مِنْهُ فِدَانَهَا فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ طَلِّقْ وَابْنُ عَمِّهِ جِبَارٌ وَاللَّهُ لَئِنْ قُبِلَتْ مَا عَطَاكَ

لَا تَهْتَمِرْ أَبَدًا وَأَنْتِ عَلَى النِّسَاءِ قَادِرٌ مَتَى شِئْتَ وَكَانَ قَدْ سَكَرَ فَأَجَابَ إِلَى فِدَانِهَا فَلَمَّا سَمِعَهَا

تَدْمُ فَشَبَّهُوا غَايَةَ الْفَقْدَاءِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ وَالْيَسْتَعُورِ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ عَلَى وَزْنِ

• والوجه الآخر في نصب الصابرين أن يكون معطوفاً على ذوي القربى ويكون المعنى
 وآتى المسأل على حبه ذوي القربى والصابرين • قال الزجاج وهذا لا يصلح إلا أن
 يكون الموقوفون رفقا على المسح للمضمرين لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بمد العطف
 على الموصول وكان يقوي الوجه الأول • وأما توحيد الذكر في موضع وجعه في آخر
 فلأن من آمن لفظه لفظ الوحدة وإن كان في المعنى للجمع فالذكر الذي أتى بعده
 موحداً يجرى على اللفظ وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله
 تعالى والموقوفون والصابرين فعلى المعنى • وقد اختلفت قراءة القراء السبعة في رفع الراء
 ونصبها من قوله تعالى (ليس البر) فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب
 الراء • • وروى هبيرة عن حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقر
 البر بالرفع وأوجهان حسنان لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فإذا
 اجتماعا في التعريف تكافأ في جواز كون أحدهما اسماً والآخر خبراً كما تكافأ
 السكرات وحجة من رفع البر أنه لا يكون البر الاسم لشبهه الفاعل أولى لأن ليس يشبه
 الفعل وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده ألا ترى أنك إذا قلت قام
 زيد فإن الاسم يلى الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير في الغلام التأخير
 فلولا أن الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجر هذا كما لم يجر في الفاعل ضرب غلامه زيدا
 حيث لم يجر في الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص
 به وحجة من نصب البر أن يقول كون الاسم أن وصافها أولى تشبيهاً بالمضمر في أنها
 لا توصف كما لا يوصف المضمر فكانه اجتمع مضمر ومظهر والأولى إذا اجتماعاً أن
 يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظاهر

بضمعول ولم يأت على هذا البناء غيره وهو موضع قبل حرة المدينة كثير العضاء • وحش
 لا يكاد يدخله أحد والرواية المشهورة في البيت الشاعر

سقوني النسأ ثم تكنفوني عداة اللهمن كذب وزور

والنساء بالفتح الشراب المزيل للعقل وبه فسر ابن الاعراب البيت هنا ورواية سيويه
 الخمر كما مر

[قال المرتضى] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيم الكاتب قراءة عليه قال أُملي علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثمال قال أخبرنا ابن الأعرابي قال قال ابن الكلبي لما كان بعد يوم الهبادة جاور قيس بن زهير العبسي الفريز فاقط فقال لهم إني قد جاورتكم واخترتكم فزوّجوني امرأة قد أدبها الغنى وأدبها الفقر في حسب وجمال فزوّجوه ظبيّة بنت النكّس الفريز وقال لهم إن في خلافاً ثلاثاً إني غيورٌ وإني غفورٌ وإني آتف ولست أغر حتى أبدأ ولا أغر حتى أرى ولا آتف حتى أظلم فأقام فيهم حتى ولد له فلما أراد الرحيل عنهم قال إني وصيكم بخصال وناهيك عن خصل عليكم بالأناة فإن بها تنال الفرصة وتسويد من لا تعاون بسويدكم وعليكم بالوفاء فإن به يعيش الناس وباعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسألة ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح وإجارة الجار على إدمه ونفيس المنازل عن بيوت الأيامي وخاط الضيف بالعيال وأنهاكم عن الرهان فإن به تكثرت مالكاً أنى والبقي فانه قتل زهيراً أنى وعن الإعطاء في الفضول فتمعزوا عن الخلق وعن الإسراف في الدماء فإن يوم الهبادة أُرغمي العار ومنع الحصرم إلا من الأ كفاء فإن لم تصيدوا لها الأ كفاء فإن خير مناسكها القبور أو خسير منازلها وانزلوا إني كنت ظالماً مظلوماً ظلمني بنو بدر يقتلهم مالكاً أخي وظلمتهم بأن قتلت من لا ذنب له .. [قال المرتضى] رضى الله عنه أما قوله - أنهاكم عن الرهان - فأراد المراهنة في سباق الخيل وذلك أن قيس بن زهير راعن حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار والحفاء .. وقال بعض بني فزارة بل قرزل والحفاء وكان قيس كارهاً لذلك وإنما حاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل رجل من بني عبس والغدير في شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا الغاية من ^(١) وأردت الى ذات الإصا د وجعلوا القسبة في يد رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له حصين وبدر رجل

(١) - الواردات .. هضبات صغار قريبة من جبلة .. وذات الاساد بكسر أوله

وبالدال المهملة على وزن فعال .. وضع ببلاد بني فزارة حكاة البكري في معجمه

من بني العشره من بني فزارة وماؤا البركة ماء وجعلوا السابق أول الخيل يكرع لها
ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أرسلت الخيل فيه ينظران اليها
والى خروجها فلما أرسلت عارضها فقال حذيفة خدعتك يا قيس فقال قيس ترك الخداع
من أجري من مائة يعني من مائة غلوة فأرسلها مثلاً ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة
تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقت يا قيس جري المذكيات غلاب فأرسلها مثلاً ٠٠
المذكيات المسان من الخيل ٠٠ وروى غلام كما يتعالى بالليل ثم ركضا ساعة فقال حذيفة
انك لا تركض مركضاً سبقت خيلك فقال قيس رويد يعلون الجلود فأرسلها مثلاً ٠٠
وروي يمدون الجلود أي يمدون الجلود الى الوعث وقد كان بنو فزارة أكنوا بالذنية كثيراً
لينظروا فان جاء داحس سابقاً مسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس سابقاً فأمسكوه
ولم يمرقوا الغبراء وهي خلفه مصلياً حتى مضت الخيل وأسهمت من الذنية ثم أرسلوه
فتمطر في آثارها فجعل يبدرها فرساً فرساً حتى انتهوا الى الغاية مصطلياً وقد طرح
الخيل غير الغبراء ولو تبعاعدت الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزارة فاعلموها ثم صدوها عن
الركبة ثم طموا داحساً وقد جاء من الرابدين ثم جاء حذيفة وقيس في آخر الناس وقد
دفعهم بنو فزارة عن سبقهم وطموا فرسهم وجري من الخلف في أخذ السبق ما قد
شرحته الرواة ٠٠ وقد قيل في بعض الروايات ان الرهان والسبق كان بين حمل بن بدر
وبين قيس وفي ذلك يقول قيس شعراً

كَمَا لَا قَيْتَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ
وَهُمْ فَخَرُوا عَلَى بَغِيرِ فَخْرِ وَرَدُّوا دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي
وَقَدْ دَلَّفُوا إِلَيَّ بَعْضَ سَوَاءٍ فَأَلَدُونِي لَهُمْ صَعْبَ الْقِيَادِ
وَكُنْتُ إِذَا مَنَيْتُ بِخَصْمٍ سَوَاءٍ دَلَّفْتُ لَهُ بَدَاهِيَةَ نَادِ

ثم ان قيساً أغار على عوف بن بدر فقتله وأخذ إليه قبائح بنو فزارة فهاوا بالقتال فجعل
الربيع بن زياد العبسي دية عوف بن بدر مائة عشر أكمة متلبة ٠٠ ويقال ان قيساً قتل ابن حذيفة
يقال له ماتك كان حذيفة أرسله يطالب منه السبق فلعنه فذوق صلبه وان الربيع بن

زياد حمل ديتيه مائة عشراء فمكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعا يقال له اللقطة قريبا من الحاجر ونكح امرأة يقال لها مليكة بنت حارثة من بني غراب من فزارة فباغ ذلك حذيفة بن بدر فدنس اليه فرسانا فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبدي مجاورا لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر قال

نَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ أُغْمَضْ حَارِ	مِنْ سَيِّئِ النَّبَأِ الْجَبِيلِ السَّارِي
مِنْ مِثْلِهِ تَعْشِي النِّسَاءَ حَوَاسِرًا	وَتَقُومُ مَعُولَةً مَعَ الْأَسْحَارِ
مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ	فَلَيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ ^(١)
يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبُهُ	يَضْرِبْنَ أَوْجُهُنَّ بِالْأَسْحَارِ
قَدْ كُنَّ يَحْبَانِ الْوُجُوهَ تَسْتُرًا	فَالْيَوْمَ حِينَ يَدُونُ لِلنَّظَارِ
أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زَهِيرٍ ^(٢)	تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
مَا لِي أَرَى فِي قَتْلِهِ إِذْ دَوَى الْحِجَى	إِلَّا الْمَطِيَّ تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ

(١) قوله * فليأت نسوتنا بوجه نهاري * قال المرزوقي إنى لا تعجب من أبي تمام مع تكلفه رم جواب ما اختاره من الأبيات كيف ترك قوله فليأت نسوتنا وهي لفظة شائعة جداً وأصلحه المرزوقي بقوله وليأت ساحتنا قال المتنازلي وأنا أتعجب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه وحافظ على لفظ الشاعر دراية مع زعمه ان القراء يقرؤن القرآن برأيسهم وأنا أتعجب من انشاد صاحب المعنى هذا البيت يعنى قول الربيع بن ضبع

ودعنا قبل أن نودعه لما قضى من جاسنا وطرا

أورده هنا مع انه أشنع من بيت الحامسة والخش ولقد كان في غيبة بما أورده من الكتاب والسنة

(٢) - هكذا رواية البيت وفيه إقواء كما حكاه ابن قتيبة في الشعر والشعراء وأورده شاعداً * * وقال ولو كان ابن زهير لا ستوي البيت

وَمُحَبَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذْوَنَ
وَمَسَاعِرَ أَصْدَاءِ الْحَبِيدِ عَلَيْهِمْ
يَقْدِفْنَ بِالْمِهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ
فَكَأَنَّمَا طَلِي الْوُجُوهُ بِقَارِ

فأما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبدي أبي قيس فاختلف الرواة في سببه فيقال إن هوازنا بن منصور كانت توثق الأثام زهير بن جذيمة ولم تكن عامر بن صعصعة بعد فهم أذل من يد في رحمة فأتى مجوز من هوازن إلى زهير بن جذيمة يسمن في نهي فاعتذرت إليه وشكت السنين المأواقي تشابت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدمعها أي دفعها بقوس في يده عطل في صدرها ففعلت فبذت عورتها ففضبت من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان في صدرها من الغيظ وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر ابن صعصعة أي كثرت فألى جعفر بن كلاب قتال والله لأجمعان ذراعى وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل . . وفي ذلك يقول خالد بن جعفر

أَرِينُونِي إِذَا غَشَّكُمْ فَأِنِّي
وَحَدَفَةٌ كَالشَّجَى تَحْتَ الْوَرِيدِ
— حَدَفَةٌ — اسم فرس خالد

مُحَرَّبَةٌ أَوْاسِيهَا بِنَفْسِي
لَعَلَّ اللَّهَ يُمَكِّنُنِي عَلَيْهَا
وَالْحَبِيبُ رِدَائِي فِي الْجَلِيدِ
فَأَمَّا تَقْفُسُونِي فَأَقْتُلُونِي
جِهَارًا مِنْ زُهَيْرٍ أَوْ أُسَيْدِ
فَدَنْ أَتَقَفَّ فَلَيْسَ إِلَيَّ خُلُودِ

. . . ويقول بل كان السبب في ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتل في غني من قتل بابه شاس وافي عكاظ فلقبه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حدثا فقال يا زهير أما آن لك أن تشتفي وتكف يدى مما قتل بشاس فأغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم أمكن يدى هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعنى عليه فقال زهير اللهم أمكن يدى هذه البغضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا فقال قریش ملكك والله يا زهير قال أنتم والله الذي لا علم لهم ثم أجمع خالد بن جعفر على قصده زهير فقتله وانفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر وكانت ثماضر بنت عمرو بن الشريد امرأة زهير بن

جذبة وأم ولدته فربه أخوها الحارث بن عمرو بن التمر يد فقال زهير لبيه ان هذا الحارث طليعة عليكم فأوثقوه فقالت أخته لبنيها أيزوركم خالكم فتوثقوه وقالت له انه ليربني أ كينانك وقرويك والا كينان الغم والقروب السكوت فلا يأخذن فيك ما قال زهير فانه رجل يذارة غيذاره سنوئة ٥٠ قال الأثرم البذاره - الكثير الكلام - والغيذاره - السيء الخلق ثم حلوا له وطبأ وأخذوا عليه يميناً ألا يخبر عليهم ولا ينذر بهم أحداً فخرج الحارث حتى أتى بني عامر فقدم الى شجرة يجتمع اليها بنو عامر فأتى الوطى تحتها والقوم ينظرون ثم قال أبوها الشجرة الدليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه فقال قوم هذا رجل مأخوذ عليه وهو يخبركم خيراً فذاقوا اللبن فوجدوه حلواً لم يقرص بمد فقالوا انه يخبرنا ان مطلبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة وكان راكباً فرسه حذفة فلحقوا زهيراً فاعتنق خالد زهيراً وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يابني عامر اقتلوني والرجل واستغاث زهير ببنيه فأقبل اليه ورفاه ابن زهير يشتد بسيفه فضرب خالداً ثلاث ضربات فلم تفن شيئاً وكان على خالد درعان قد ظاهرا بينهما ثم ضرب جندج رأس زهير فقتله ففى ذلك يقول ورقاه بن زهير

رَأَيْتُ زُهَيْرًا نَحَتْ كُلَّ كَلِّ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْمَى كَالْمَجُولِ ابَادِرُ
فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا وَيَمْنِي مِنْهُ الْحَدِيدُ الْمُظَاهِرُ
فَيَا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ صَرَبَةِ خَالِدٍ وَيَوْمَ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِي تُمَاضِرُ

فأما خبر الهباءة فان بني عيسى بن فزارقة التقيوا الى جنب جفر الهباءة في يوم قانظ فاقبلوا ولجبرهم شرح طويل معروف استجار حذيفة ومن معه بحجر الهباءة ليشرد فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يابني عيسى فأين المود وأين الأحلام فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق ما تور القول بمد اليوم فأرسلها مثلاً وقتل قرواش بن حقي حذيفة ابن بدر وقتل الحارث بن زهير حملاً وأخذ منه ذا الذون سيف مالك بن زهير أخيه وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس في ذلك

تَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءَةِ لَا يَوْمِي

وَلَوْلَا ظَلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ
وَلَكِنَّ النَّتَى حَمَلٌ بَنَ بَذَرٍ بَنَى وَالْبَنَى مَرْتَعُهُ وَخَيْمُ
أَطْنُ الْجَلَمِ ذَلِكَ عَلَيَّ قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
وَمَارَسْتُ الرِّجَالَ وَمَارَسُونِي فَمَعُوجٌ عَلَيَّ وَهُسْتَقِيمُ

وقال قيس أيضاً

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلٍ بَنَ بَذَرٍ وَسِيفِي مِنْ حُدَيْفَةٍ قَدْ شَفَانِي
فَإِنْ أَكْتُ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي

مجلس آخر ١٥

[تأويل آية] ان سأل سائل عن قوله تعالى (مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً سمَّ بِهِمُ عُقى فهم لا يعقلون) فقال أي وجه لتشبيه الذين كفروا بالناعق الناعق بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزاً متأملاً محصلاً . يقال له في هذه الآية خمسة أجوبة . أولها أن يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم إلى الإيمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وعي لا تعقل معنى دعائه وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة لأنهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وسلم وإنذاره فينصرفون عن قبول ذلك ويعرضون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما في عدم الانتفاع به وجاز أن يقوم قوله تعالى (والذين كفروا) مقام الواعظ والداعي لهم كما تقول العرب فلان خافك خوف الأسد والمعنى تكوفه من الأسد فأضاف الخوف إلى الأسد وهو في المعنى مضاف إلى الرجل قال الشاعر

فَلَسْتُ مُسْلِمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ

أراد بتسليمي على الأمير ونظائر ذلك كثيرة • والجواب الثاني أن يكون المعنى ومثل
الذين كفروا أكمل النعم التي لا تقهرهم نداء الناعق فأضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق
وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعري وانتصب
العود على الحرباء والمعنى فانتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتأخير لوضوح
المعنى • • وأنشد الفراء

إِنَّ سِرَاجًا لَكَرِيمٍ مَفْخَرُهُ تَجَلَّى بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَبَّرُهُ

مضاه تَجَلَّى بالعين ففتنهم وأختر • • وأنشد الفراء

كَانَتْ قَرِيضَةٌ مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّانَاءُ قَرِيضَةَ الرَّجْمِ

المعنى كما كان الرجم قريضة الزنا • • وأنشد أيضا

وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ خَفَاتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ

أراد ما تزيد مخافة وعلى على مخافتي ومثله

كَأَنَّ أَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاوُهُ

أراد كأن لون سماءه أرضه ومثله

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مَدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعِ^(١)

أراد مدخل رأسه الظل • • وقال الراعي

(١) قال سيدييه فوجه الكلام في هذا انه على سعة الكلام قل كراهية الانفصال

واذا لم يكن في الجرح فمد الكلام المناسب مبدوء به • • قال الشنمري الشاهد فيه اضافة

مدخل الى الظل ونصب الرأس به على الاتساع والقلب وكان الوجه أن يقول مدخل

رأسه الظل لأن الرأس هو الداخل في الظل والظل المدخل فيه ولذلك سماه سيديويه

النائب في تفسير البيت فقال الوجه أن يكون النائب مبدوء به • • والمعنى وصف هاجرة

قد ألبأت الثيران الى كنفها فزى الثور مدخل رأسه في ظل كناسه لما يجرد من دمة

الحر وسائر بارز للشمس

فَصَبَّحَتْهُ كَلَامَ الْغَوَاثِ يُوسِدُهَا يَسْتَوْضِحُونَ يَرَوْنَ الْمَيِّنَ كَالْأَثَرِ

يريد أنهم يرون الأثر كالعين .. وقل أبو النجم

قَبْلَ دُنُوِّ الْأَفْقِ مِنْ جَوَازِئِهِ

فقلب .. وقال العباس بن مرداس

فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي وَلَا آلُوهُ إِلَّا مَا يُطِيقُ

أراد فدبت بنفسي نفسه .. وقال ابن مقبل

وَلَا تَتَّبِعْنِي الْمَوَامَّةُ أَرْكَبُهَا إِذَا تَجَاوَبَتِ الْأَصْدَاءُ بِالسَّحَرِ

أراد لا أتتبع المومة وهذا كثير جداً . والجواب الثالث أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا أو مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذي ينمق أي مثلهم في الإعراض ومثلك في الدعاء والتنبية والارشاد كمثل الناعق بالغم فحذف المثل الثاني اكتفاء بالأول . ومثله قوله تعالى (جعل لكم سراويل تقيكم الحر) أراد الحر والبرد فاكثف بذكر الحر من البرد .. وقال أبو ذؤيب

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا مُطِيعٌ فَمَا أَذْرِي أَرْشُدُ طَلَابِهَا

أراد أُرشد أم غي فاكثف بذكر الرشد لوضوح الأمر . والجواب الرابع أن يكون المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم للأصنام التي يعبدونها من دون الله وهي لا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينمق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة والدعاء والنداء ينتهيان على هذا الجواب ينمق وإلا توكيد للكلام ومعناها الالتقاء . قل الفرزدق

هُمْ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سُلُوْا مَيُوقُمْ وَضَحَوْا بِالْحَمِّ مِنْ حَيْلٍ وَمُحْرِمٍ

والمعنى هم القوم حيث سلوا - أي وفهم . والجواب الخامس أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا في دعائهم للأصنام وعبادتهم لها واستزاقهم إياها كمثل الداعي الذي ينمق بالغم ويناديا فهي تسمع دعاء ونداء ولا تفهم معنى كلامه فشبه من يدعوه الكفار من المعبودات دون الله بالغم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ولا نفع عندها فيه ولا

مضرة وهذا الجواب يقارب الذي قبله وإن كانت بينهما مزية ظاهرة لأن الأول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الداء ولا النداء جملة ويجب أن يكون مصروفاً إلى غير الغنم وما أشبهها مما يسمع وإن لم يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الداء والنداء وإن لم يفهمهما والأصنام من حيث كانت لا تسمع الداء جملة يجب أن يكون داعياً ومنادياً أسوأ حالاً من منادي الغنم ويصح أن يصرف إلى الغنم وما أشبهها مما يشارك في السماع ويختلف في الفهم والتمييز .. وقد اختلف الناس في ينق فقال أكثرهم لا يقال لنق ينق إلا في الصياح بالغنم وحدها . وقال بعضهم لنق ينق بالغنم والابل والبقر والأول أظهر في كلام العرب .. قال الأخطل يهجو جريراً

فَأَنقَ بِضَا نِكَ يَا جَرِيرُ فَأِنَّمَا مَنَّتِكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا

ويقال أيضاً نق الغراب ونفق بالغين المعجمة ^(١) إذا صاح من غير أن يمد عنقه ويحركها فإذا مدها وحركها ثم صاح قيل لعب ويقال أيضاً لعب الفرس ينعب وينعب لعباً ونعباً ونعباناً وهو صوته ويقال فرس منعب أي جواد وثاقه لعبة إذا كانت سريعة [تأويل خبر] روى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه إلى طعام دعوا له فإذا بالحنين عليه السلام وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم فطفق الصبي يفر مرة ههنا ومرة ههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت فأس رأسه وأقمعه فقبله وقال أنا من حنين وحنين مق أحب الله من أحب حبيباً حنيناً حنين سبط من الأسباط .. ومعنى - استنزل - تقدم يقال استنزل الرجل استنزالاً وبرزناً وبرنذعاً

(١) قوله نق الغراب ونفق بالغين المعجمة يعني أن نق ونفق بالمهمل والمعجمة سواء وعلى هذا بعض أهل اللغة .. قال الزمخشري والفين أعلى .. وقال الأزهري لنق الغراب ونفاقه ونفيقه ونفاقه مثل نهيق الحمار ونهاقه ولكن النفاة من الأئمة يقولون كلام العرب نفق الغراب بالغين المعجمة ونفق الراعي بالشاة بالغين المهملة ولا يقال في الغراب نق ويجوز لعب وهذا هو الصحيح

أبرئداً إذا تقدم هكذا ذكره ابن الأنباري . . . ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب له قال يقول استثنات الأمر استثنالا إذا استعددت له واستثنل الرجل تفرد من القوم ويقال استثنل أشرف والمعاني متقاربة والخبر يليق بكل واحد منها . . . وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه أبرئاً وأبرئذع أيضاً أنه من الاستعداد فأما السكة فهي المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنى سطق - مازال . . . قال الشاعر طَفِقَتْ تَبْكِي وَاسْعِدْهَا وَكَلَّانَا ظَاهِرُ السَّكَمِ

وقاس الرأس طرف القمح حذوة المشرف على القفا ومعنى - أقعمه - رفعه هكذا ذكر ابن الأنباري . . . وقال غيره يقال أقع ظهرك اقناعاً إذا طامأ ثم رفعه يرفق فأما الأسباط - فأصلها في ولد اسحاق عليه السلام كالفياض في بني إسرائيل . . . وقال ابن الأنباري هم الصبية والصبوة بالياء والواو معاً . . . حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيم قراءة عليه قال أبل علينا أبو العباس أحمد ابن يحيى نعلب قال أخبرنا ابن الأعرابي أنه قيل لابنة الحسن مائة من المعز قالت مؤنل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل لها فما مائة من الضأن قالت قرية لاحي بها قيل فما مائة من الابل قالت مخ جمال ومال ومنى الرجال قيل لها فما مائة من الخيل قالت ماني عند من كانت ولا توجد قيل فما مائة من الحمير قالت عازبة الليل وخزى المجلس لالبن فيحب ولا صوف فيجز إن ربط غيرها أدلى وإن أرسل ولي . . . وبهذا الاستناد عن ابن الأعرابي قال قيل لابنة الحسن والحسين والخمس كل ذلك يقال ما أحسن شيء قالت غادية في أثر سارية في فضاء قاوية قال - بخاتم أرض مرتفعة لأن النبات في موضع مشرف أحسن وقالوا أيضاً فضاء أي رابية ليس بها رمل ولا حجارة قال والجمع التفاحي ونبت الرابية أحسن من نبت الأودية لأن السيل يصرع الشجر فيقذفه في الأودية ثم ياتي عليه الدمن [قال المرتضى] رضى الله عنه وما يدل أن نبت الرابية أحسن قول الأعشى

مارَوْضَةُ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَظْلٌ^(١)

.. وقال كثير

فَمَا رَوْضَةُ بِالْحَزَنِ مَلِيَّةٌ الثَّرَى يَمِجُّ النَّدَا جَمْعَانِهَا وَعَرَارُهَا^(٢)

(١) قوله مارَوْضَةُ الخ بعده

يضاحك الشمس منها كوكب شرق معذر بعجم البيت مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

وهي قصيدة مشهورة وأوردنا هذين البيتين لارتباطهما بالبيت قوله - الحزن - بالفتح وزاي اسم موضع وهو في الأصل ضد السهل - ومسبل - سائل - وههل - متتابع - ويضاحك - يميل معها حيث مات - وكوكب - معظم الزهر وكوكب كل شيء معظمه - وشرق - ريان - وعجم - طويل - ومكتهل - ظاهر الدور - والأصل - جمع أصيل وهو العشي

(٢) قوله فارَوْضَةُ الخ بعده وهو جواب ما

بأطيب من أردان عزة موهناً إذا أوقدت بالمدل الرطب نارها

حكى أنه دخل كثير على سكينه بنت الحسين رضى الله عنها فقالت له اخبرني يابن أبي جمعة عن قولك في عزة وأنشدته البيتين ثم قالت له وههل على الأرض زنجية منتبة الابطين توقد بالمدل الرطب نارها إلا طاب ويحبها ألا قلت كما قال علك امرؤ القيس

ألم ترواني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وروى من غير هذا الوجه أنه خرج يوماً من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار في روثه فقالت من أنت قال صاحب عزة فقالت أنت القائل فارَوْضَةُ الى آخر البيتين قال نعم قالت ويحك إذا أوقد بالمدل الرطب على هذه الروثة وبخزت به أملك المعجوز الشعناء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس ألم ترواني الى آخر البيت فناولها مطرف خزكان معه وقال استري على ذلك وهذه الحكاية نقلها شمس الدين ابن خلكان في تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الأدب قال ليس على كثير شيء فان قوله

نفساً الحزن للمعنى الذى ذكرناه .. وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابى قال العرب تقول جاءنا بطعام لا ينادى وليده .. اذا جاء بطعام كثير لا يراد فيه زيادة ووقع فى امر لا ينادى وليده يقول لا تدعى اليه الصبيان ولا يستعان إلا بكبار الرجال فيه .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وفى ذلك قولان آخران أحدهما عن الأصمى قال أصله من الشدة نصيب القوم حتى تذهل المرأة عن ولدها فلا تشاد به لما هي فيه ثم صار مثلاً لكل شدة ولكل أمر عظيم والقول الآخر عن الكلابى قال أصله من الكثرة والسعة فإذا أهوى الوليد الى أمه لم يزجر عنه حذر الافساد لسعة ما هم فيه ثم صار مثلاً لكل كثرة قال الفراء وهذا القول يستعان به فى كل موضع يراد به الغاية وأشد

لقد شرعت كفاً يزيد بن يزيد شرائع جود لا ينادى وأيدها

.. وبالاسناد الذى تقدم عن ابن الاعرابى قال دخل ودقة الأسد على ميم بن زائدة الشيبانى فقال إن رأيت أكرمك الله أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجلك فالتك قد بلغت حالا لو أعتقني الله فيها بكرمك من نصف الرجال بعدك لم يكن كثيراً وإن قد قدمت الرجاء وأحسن اثناء ولزمت الحفاظ ثم أنشأ يقول

يا ميم إنك لم تنعم على أحد	فشاب نعمتك تنقيص ولا كدر
فأنظر إلي بطرف غير ذي مرض	فربما صح لي من طرفك النظر
أيام وجهك لي طاقى يجبرني	إذا سكت بما تخفي ويضمير
ومن هوالك شفيع لي يغفلي	وإن نأيت وإن قلت في الذكر
لقد كنت أثرت عندي مرة أثرا	فقد تقارب يعمو ذلك الأثر
فاجبر بفضلك عظماً كنت تحبزه	وأجمع بفضلك ما قد كاد ينشر

• اذا أوقدت بالنار الرطب نارها • نمت لاروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لو لم يطلب كثير من المعجوز السرفاته صرفاً بذلك انه ما أراد إلا المعنى المعترض فيكون هذا تصحيحاً لا بيان قصد

مَا نَزَعَ الْمَرْقُ الْيُسْرَ مَذْعَلَتْ كَفَى بِعَيْتِكَ إِلَّا ظَفَرَ الْيُسْرُ
وَقَدْ خَشِيتُ وَهَذَا الدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ بَأْنٍ يُدَالِ لَطُولِ الْجَفْوَةِ الْعُسْرُ
وَإِنْ مَا كَانَ مِنْ عُسْرٍ وَمِيسَرَةٍ فَإِنَّ حَظَّكَ فِيهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

فقال ممن أو ما كنا اعطيناك شيئاً قال لا قال أما الذهب والفضة فليسا عندنا ولكن
هات تختاً من ثيابي يا غلام فدفعه إليه وقد كان نحمدك إليه يا بن عياش وحبيب بن بديل
فاعطاهما معه تخمين وقال غرمتني بأودقة نحتي ثياب * * [قال المرتضى] رضى الله عنه وكان
ممن بن زائدة جواداً شجاعاً شاعراً وبكى أبا الوليد وهو ممن بن زائدة بن عبد الله
ابن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن مطر وهو أخو الحويزان بن شريك وكان
ممن من أصحاب ابن هبيرة فلما قتل رئاء ممن فقال

أَلَا إِنْ مَيَّنَّا لَمْ نَجِدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بَجَارِي دَمِهَا لَجَمُودُ
عَشِيَّةَ لَمَامِ النَّائِمَاتِ وَشَقِيقَتِ جُيُوبٍ بِأَيْدِي مَا تَمَّ وَخُدُودُ
فَإِنْ تُنْسِي مَهْجُورَ الْجَنَابِ فَطَالَمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَوُفُودُ
فَإِنَّكَ لَمْ تَعُدْ عَلَى مُتَعَمِّدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني يوسف بن يحيى المذبح عن أبيه قال حدثني
محمد بن القاسم بن مبروه قال حدثني أبو زيد بن الحكم بن موسى قال حدثني أبي قال
كان ممن بن زائدة من أصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة وكان مستتراً حتى كان يوم
الهاشمية فانه حضر وهو معتمئ مثائم فلما نظر الى القوم وقد وثبوا على المنصور قسهم
وأخذ بلجام بقلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما أفرجوا له وخرقوا عنه قال
له من أنت ويعلمك قال أنا طلبتك ممن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه وكماه ورتبه
ثم قبله العين فلما قدم عليه من العين قال له هيه يامن تعطي مروان بن أبي حفصة
مائة ألف درهم على أن قال لك

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الدَّيْهِ زِيدَتْ بِهِ شَرَفًا عَلَى شَرَفِ بَنُو شَيْبَانَ

إِنَّ عَذَابَ أَيَّامِ الْفَعَالِ فَإِنَّمَا يَوْمُهُ نَدَى وَيَوْمُ طِعَانٍ

فَقَالَ كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنْ أَشْعَلِيهِ عَلَى قَوْلِهِ

مَا زِلْتَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مَعْلَنًا بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ

فَمَنْعَتْ حَوَازَتَهُ وَكَانَتْ وَفَاءَهُ مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَنْدٍ وَسِنَانٍ

فَقَالَ لَهُ أَحْسَنْتَ يَا مَعْ . . . وَفِي خَيْرٍ آخِرُهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَالَ لَهُ وَيْلَكَ مَا أَطْلَنْ مَا يُقَالُ فِيكَ مِنْ ظَنَمِكَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَأَعْنَسَاكَ بِإِيَّاهُمْ إِلَّا حَقًّا قَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ الْبَغْيُ إِنَّكَ أَعْطَيْتَ شَاعِرًا كَانَ يُلْزِمُكَ أَلْفِي دِينَارٍ وَهَذَا مِنَ السَّرَفِ الَّذِي لَا شَيْءَ مِثْلُهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا أَعْطَيْتَهُ مِنْ فَضُولٍ مَالِي وَغَلَّاتِ ضِيَاعِي وَفَضْلَاتِ رِزْقِي وَكَفَفْتَهُ عَنْ عَرَضِي وَقَضَيْتَ الْوَاجِبَ مِنْ حَقِّهِ عَلَيَّ وَقَعَدْتُهُ عَلَيَّ . . . وَمَا لَزِمْتَهُ لِي قَالَ لِحَمَلِ أَبُو جَعْفَرٍ يَسْكُتُ بِتَضْيِيبٍ فِي يَدِهِ الْأَرْضَ وَلَمْ يَعَاوِدِ الْقَوْلَ . . . وَأَخْبَرَنَا الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ الْوُرُوقِيُّ عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ وَهْبٍ ابْنِ جَرِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِمَنْقَارٍ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَكَانَ مِنْ وَلَاءَةِ الرَّشِيدِ قَالَ حَدَّثَنِي مَعْنُ بْنُ زَيْدَةَ قَالَ كُنَّا فِي الْعَصَايَةِ سَبْعِمِائَةً رَجُلًا فَكُنَّا نَدْخُلُ عَلَى الْمَنْصُورِ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَتَمَّ لِلرَّبِيعِ أَجْمَعِي مِنْ آخِرِهِمْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ فَقَالَ لِي لَسْتُ بِأَشْرَفِهِمْ فَتَكُونُ مِنْ أَوْلَاهُمْ وَلَا بِأَخْسَرِهِمْ لَسْتُ بِأَخْسَرِهِمْ وَأَنْ مَرَّ بِكَ لَتَشَبَّهَ نَسَبُكَ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى الْمَنْصُورِ ذَاتَ يَوْمٍ وَعَلَى دَرَّاعَةٍ لِفُطَاةٍ وَسَيْفٍ حَنْفِيٍّ أَفْرَعٍ يَطْلَعُ الْأَرْضَ وَمَحَامَةٍ قَدْ أَسْدَلَهَا مِنْ قَدَامِي وَخَافِي فَلَمَسْتُ عَلَيْهِ وَخَرَجْتُ فَلَمَّا صَرْتُ عِنْدَ السَّيْرِ صَاحَ بِي يَامَعْ مِنْ سَبِيحَةِ أُنْكَرْتَهَا فَلَبِيتُهُ فَقَالَ ادْنُ إِلَيَّ فَلَدَنُوتُ مِنْهُ فَذَا بَهْ قَدْ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَجِئْتُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَاسْتَلْتُ عُمُودًا مِنْ بَيْنِ فَرَاشِيَيْنِ وَاسْتَحَالَ لَوْنُهُ وَابْتَدَتْ أَوْدَاجُهُ وَقَالَ إِنَّكَ لَصَاحِبِي يَوْمَ رَاسِطٍ لَأَنْجُوْتَ أَنْ نَجُوتَ مَعِيَ قَالَ قُلْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تِلْكَ نَصْرَتِي لِأَبِاطِلِهِمْ فَكَيْفَ نَصْرَتِي لِحَفْلِكَ قَالَ فَقَالَ لِي كَيْفَ قُلْتَ فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ الْقَوْلَ فَمَا زَالَ يَسْتَبِيدُنِي حَتَّى رَدَّ الْعُمُودَ إِلَى مَسْتَقَرِّهِ وَاسْتَوَى مَتَرَبَّعًا وَاسْفَرَّ لَوْنُهُ وَقَالَ يَامَعْ إِنَّ بِالْبَيْتِ كَهَنَاءَ لَقَاتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِبَسَ لِمَكْنُوتِهِمْ رَأْيِي وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أُرْسَلَهَا مِثْلًا فَقَالَ

أنت صاحب فاجاس قال فجلدت وأمر الربيع كل من كان في الدار فخرج وخرج الربيع
فقال إن صاحب اليمن قدمم بالعمية وإني أريد أن أخذه أسيراً ولا يفوتني شيء من ماله
فأتى اليمن وأظهر إنك قد ضمنتني إليه وأمر الربيع أن يزع عتق في كل ما احتاج
إليه ويخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قل فاستل عهداً من بين فراشين فوق
فيه اسمي وناديت به ثم دعا الربيع فقال يا ربيع إنا ضممنا معاً إلى صاحب اليمن فأزح
عتقه فلما يحتاج إليه من السلاح والكراع ولا يمسه إلا وهو راحل قل ثم ودعني
فودعته وخرجت إلى الدهليز فلقيتني أبو الوالي فقال يا معن أعز علي أن تضم إلى
ابن أخيك قال فقات له أن لا غشاة على الرجل يضمه سلطانة إلى ابن أخيه وخرجت
إلى اليمن فأتيت الرجل فأخذته أسيراً وقرأت عليه العهد وقعدت في مجلسه .. روى
عمر بن شبة قال اجتمع معن بن زائدة مع ابن أبي عامية وابن أبي حفصة والضمري
فقال لينشدني كل واحد منكم أمدح بيت قاله في فأنشده ابن أبي حفصة

مسحت ربيعة وجه معن سابقاً لما جرى وجرى ذووالأحساب

فقاله معن الجواد بعز فيه مع وجهه من الغبار والعار وغيرهما .. وأنشده الضمري

أنت أمرؤ شائنك المعالي وذكر معروفك الربيع

ويروى ودون معروفك الربيع

بشائنك الحمد تشتريه يشيعه عنك ما يشيع

فقال له ما أحسن ما قلت إلا إنك لم تسمني ولم تذكرني فن شاء انتحله .. فأنشده ابن
أبي عامية شعراً

إن زال من بني شريك لم يزل لندي إلى بلد بغير مسافر

ففضله عليهم .. وروى أنه أتى معن بن زائدة بثلاثمائة أسير فأمر بضرب أعناقهم فقال له
شاب منهم يا أخا شيبان نشأ بك الله أن تقتلنا عطاشاً قال اسقوهم ماء فلما شربوا قالوا
يا أخا شيبان نشأ بك الله أن تقتل أضيافك فقال اطلقوهم .. وذكر أحمد بن كامل
أن الخوارج قتل معن بن زائدة بسجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة .. وروى

أن عبد الله بن طاهر كان يوماً عند المأمون فقال له يا أبا العباس من أشعر من قال في خلافة بني هاشم قال أمير المؤمنين أصراف بهذا منى قال قل على كل حال قال عبد الله أشعرهم الذي يقول في معنى بن زائدة

أَيَا قَبْرِ مَعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّاحَةِ مَضْجَعُهَا
أَيَا قَبْرِ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مَتْرَعَا
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودُ وَالْجُودُ مَيْتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضُفَّتْ حَتَّى تَصْدَعَا

والأبيات للمعين بن مطير الأسيدي وهي تزيد على هذا المقدار وأولها

أَلِمَا عَلِيٌّ مَعْنٍ فَقُولَا لِقَبْرِهِ سَقَّتْكَ الْغَوَادِي رُبْعًا ثُمَّ مَرَّتَمَا

.. ومنها

فَتَى عَاشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ عَجْرَاهُ مَرَّتَمَا
فَلَمَّا مَضَى مَعْنٍ مَضَى الْجُودُ وَانْقَضَى وَاصْبَحَ عَرْنَيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا

— مجلس آخر ١٦ —

[تأويل آية] ان سأل سائل فقال ما الوجه في قوله تعالى (إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) وفي وضع آخر (وقتلهم الأنبياء بغير حق) وظاهر هذا القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق .. وقوله تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) .. وقوله (ان الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) .. وقوله (ولا تكونوا أول كافر به ولا تشركوا بآياتي ثمناً قليلاً) .. وقوله (لا يسألون الناس إلحافاً) . والسؤال عن هذه الآيات كلها من وجه واحد وهو الذي تقدم . الجواب اعلم أن العرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهبة مشهوراً عند من تصحح كلامهم وفهم عنهم مرادهم بذلك المبالغة في الدني وتناكيدهم .. فن ذلك

قولهم فلان لا يرجي خيره ليس يريدون أن فيه خيراً لا يرجي وإنما غرضهم أنه لا خير عنده على وجه من الوجوه... ومثله قلما رأيت مثل هذا الرجل وإنما يريدون أن مثله لم يرقبلاً ولا كثيراً... وقال امرؤ القيس

عَلِي لَا حَبَّ لَا يَهْتَدِي بِنَارِهِ إِذَا سَافَةَ الْعَوْدُ الدِّيَافِيَّ^(١) جَرَجَرَا

يصف طريقاً... وأراد بقوله لا يهتدى بِنَارِهِ أنه لا منار له فيهدى به - والعود - المسن من الابل - والديافي - منسوب إلى دياف وهي قرية بالشام معروفة - وسافه - شمه وعرفه... والجرجرة - مثل الهدير... وإنما أراد أن العود إذا شمه عرفه فاستبهمه... وذكر ما يلحظه فيه من المشقة فجرجر لذلك... وقال ابن أحرر

لَا يَفْزَعُ الْأَرْبَ أَهْوَالُهَا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحُرُ

أراد ليست بها أهوال فيفزع الأرب... وقال النابغة
يَحْفُهُ جَانِبَا نَيْقٍ وَتَتْبَعُهُ مِثْلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ
أراد ليس بها رمد فتكحتل له... وقال امرؤ القيس أيضاً

وَصِمُّ حَوَامٍ مَا يَقِينُ مِنَ الْوَجَى كَأَنَّ مَكَانَ الرِّدْفِ مَبْنَى عَلَى رَالٍ

يصف حوافر فرسه... وقوله ما يقين من الوجى - يريد الحفا ويقين أي يتوقن يقال وقى الفرس ناب المشي فأراد أنه لا وجى بحوافره فيتبين الأرض من أجله - والرال - فرخ النعام وشبه إشراف عجزه بعجز الرال... وقال الآخر

لَا يَفْزِعُ السَّاقُ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصْبٍ وَلَا يَعْصُ عَلَى شَرْسُوفِهِ الصَّفَرُ^(٢)

(١) - قوله الديافي... الرواية المشهورة التباطي

(٢) - قوله لا يفزع الساق من أين النخ شرط هذا البيت الأول محذوف المعجز وعجزه

محذوف الصدر والرواية الصحيحة

لا يتأري لما في القدر يرقبه ولا بعض على شرسوفه الصفر

لا يفزع الساق من أين ولا وصب ولا يزال أمام القوم يقتفر

أراد ليس يساقبه أين ولا وصب فيغمرهما من أجلهما .. وقول سويد بن أبي كاهل
 مِنْ أُنَاسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعِ
 لم يرد إن في أخلاقهم فحشا عاجلا ولا آجلا ولا جزعا غير سيئا وإنما أراد أني الفحش
 والجزع غن أخلاقهم .. ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع إلى الفحشا وهم يريدون أنه
 لا يقرب الفحشا إلى الإسراع حسب .. وقال الفرزدق وهو يهجو جعفر بن كلاب
 ويعيرهم بقتل منهم أصيبوا في حروبهم خملت النساء هؤلاء القتل حتى أنبن بهم الحمي
 ولم تأت عير أهلها كالتى أتت به جعفرأ يوم الهضيبيات عيرها
 أتنهم يعير لهم تنكث هجربة ولا حنطة الشام المازيت خميرها

قوله لا يثأرى أى لا يتحسس ويتلبث يقال ثأرى بالمكان إذا قم فيه أى لا يلبث لأدراك
 طعام القدر وجملة يرقبه حال من المستتر في يثأرى يدحى بأن همة ليست في المظن
 والشرب وإنما همة في طلب المعالي ليس يرقب نضج مافي القدر إذا هم بأمر له شرف
 بل يتركها ويضيء والشرف طرف الضائع والغفر يدوية مثل الحية تكون في البطن
 تعترى من به شدة الجوع .. قال في النهاية في حديث لا عدوى ولا هامة ولا صفر إن
 العرب كانت تزعم أن في البطن حية يقال لها الصفر تسبب الإنسان إذا جاع وتؤذيه
 فأبطل الإسلام ذلك وقيل أراد به الذى صلى الله عليه وسلم النسي الذى كانوا يضعونه
 في الجاهلية وهو ناخير الحرم إلى صفر ويحلمون صفر هو الشهر الحرام فأبطله انتهى
 .. ولم يرد الشاعر أن في جوفه صفرا لا يعرض على شرايقه وإنما أراد أنه لا صفر في
 جوفه فيعرض بسفاهه بشدة الخلق وحمية البنية .. وقوله لا يغمر الساق لا يغمرها يصف
 جملته ونحوه لا مشاق .. والأين الأعياء والوصب الوجع والافتقار بتقديم القاف
 على الغاء اتباع الآثار .. وفي الصحاح وقفرت آثاره أفقره بالضم أى فقوته واقفرت
 مثله وأشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقفتر بالبناء للمجهول
 ومعناه أنه يقفوت الناس فيتبس ولا بالحق

يعنى أن العير إنما تحمل الثمر والطعام الى الحى فحملت غير هؤلاء القتل وقوله - لم تكن
 حبرية - أى لم تحمل الثمر وذلك لكثرة الثمر بهجر ثم قال ولا حنطة الشام المزيت خبيرا
 ولم يرد ان هناك حنطة ليس فى خبيرا زيت لكنه أراد انها لم تحمل ثمرأ ولا حنطة
 ثم وصف الحنطة بما يحمل فى خبيرا من الزيت وعلى هذا تأويل الآيات التى وقع
 السؤال عنها لانه تعالى لما قال ! يقتلون الذين بغير حق) دل على أن قتالهم لا يكون
 إلا بغير حق ثم وصف القتل بما لا بد أن يكون عليه من السفة وهى وقوعه على خلاف
 الحق وكذلك (من يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به) وقوله تعالى (الذى رفع
 السموات بغير عمد ترونها) وجهه أيضاً انه لو كان هناك عمداً لرأيتموه فإذا نفي رؤية
 العمدا نفي وجود العمدا كما قال لا يندى لماره أى لا منار له من حيث علم انه لو كان
 له منار لاهتدى به فصار نفي الاهتداء بالنار نفيأ لوجود المنار .. وقوله تعالى (ولا
 تكونوا أول كافر به) تغليب وتأكيذ فى تحذيرهم الكفر وهو أبلغ من أن يقول ولا
 تكفروا به ويجرى مجرى قولهم فلان لا يسرع الى الخنا وقلما رأيت مثله اذا أرادوا
 به تأكيذ نفي الخنا ونفي رؤية مثل المذكور وكذلك قوله تعالى (لا يسألون الناس
 إلحافاً) أى لا مسألة تقع منهم ومثل الأول (ولا تشزوا بأني إنما أقيلاً) والغائفة ان كل
 ممن لها لا يكون إلا قايلاً فصار نفي الثمن القليل نفيأ لكل ممن وهذا واضح بحمد الله ومنه

—•••—

﴿ باب ذكر شئ من أخبار المعمرين وأشمارهم ومستحسن كلامهم ﴾

أحد المعمرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن جلد بن مالك بن أدد المذحجي
 ومذحج من أم مالك بن أدد نسب ولد مالك إليها وانما سميت مذحج لانها ولدت على
 أكمة تسمى مذحجاً واسمها مدلة بنت ذي هيمجشان .. قال أبو حاتم السجستاني
 جمع الحارث بن كعب بنه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد أتى على سنون ومائة سنة ما صالحت
 بيمنى يمين غادر ولا قدمت نفسي بخلة فاجر ولا سبوت بينة عم ولا كنة ولا طرحت
 عندي مومة قناعها ولا بحث لصديقي بسر وإني لعلى دين شعيب النبي عليه السلام وما

عليه أحد من العرب غيري وغير أحمد بن خزيمة ونعيم بن مرة فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي . . . الحكم فاقهوه بكفيتكم المهم من أموركم ويصلح لكم أعمالكم وإياكم ومعصيتي لا يحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار . . . يا بني كونوا جميعاً ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً وإن موتوا في عنتر خير من حياة في ذل وعجز وكلاهما كأنه كأن وكلرجيع إلى ثباين . . . الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبره ويوم عبره والناس رجلان فرجل معك ورجل عليك . . . وزوجوا الأكماء وليستعلمان في طيهن الماء وتجنبوا الحقاء فإن ولدها إلى أفن يكون . . . ألا أنه لاراحة لتقاطع القرابة وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم وآفة العدا اختلاف الكلمة التفضيل بالحنن بقي البيت والمكافأة بالبيشة الدخول فيها والعدل السوء يزيل النعماء وقطعية الرحم تورث الهلم وانتهاك الحرمه يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب السكد ويعحق العدد ويغرب البلد والذبيحة تجبر الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة والضلما تدعوا إلى الثباين ثم أنشأ يقول

أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَقْنَيْتُهُ وَأَقْنَيْتُ مِنْ بَدَدِ دَهْرِي دُهوراً
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ صَاحِبَتَهُمْ فَبَادُوا وَأَصْبَحَتْ شَيْخاً كَبِيراً
قَلِيلَ الطَّعَامِ حَسِيرَ الْقِيَامِ فَذَرَكْتُ الدَّهْرَ خَطْوِي قَصِيراً
أَيُّتُ أَرَامِي نُجُومَ السَّمَاءِ أَقْلَبُ أَمْرِي يُطْلُونَ ظُهُوراً

قوله - ولا صبت بابتة هم ولا كنة - المبوبة هي رقة القلب والكنة امرأة أخ الرجل وامرأة ابن أخيه - وأما الموصة - فهي الفاجرة البنية وأراد بقوله أنها لم تطرح عنده قناعها أي لم تبذل عنده وتبسط كأنه فعل مع من يريد النجور بها وقوله - ليوم حبره ويوم عبره - فالخبرة الفرح والسرور والعبرة تكون من ضد ذلك لأن العبرة لا تكون إلا من أمر محزن مؤلم - وأما الأفن - فهو الحق قال رجل أفين إذا كان أحمق ومن أمثاله وجد أن

الرقين ^(١) يعطى على أفن الأيمن أي وجدان المال ينطى حتى الأحمق وواحد الرقين رقة وهي الفضة . . وأما قوله - أن الصيحة نجر الفضيحة - في شبه أن يكون معناه أن التصحيح إذا نصح لمن لا يقبل نصيحته ولا يصحى إلى موعظته فقد افترض عنده لأنه أقضى إليه بسره وبإحسان بكمفون صدره - فأما سوء الرقة - فإنه يقال فلان حسن الرقة والتورع أي حسن الطريقة

ومن المعمرين المشهورين المستور وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد ناة بن نعيم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر وإنما سمي المستور ببيت قاه وهو ينش الماء في الر - بلات منها نسيش الر - ضف في اللين الوغير

- الر بلات - واحدهاربله بفتح ووربله بنكيتها وهي كل حلة غليظة هكذا ذكره ابن دريد - والرضف - الحجارة المحمأة . . وفي الحديث كأنه على الرضف - والابن الوغير - لبن يلقى فيه حجارة محمأة ثم يشرب أخذ من وغيره الظهيرة وهي أشد ما يكون من الحر ومنه وغير

(١) قوله وجد أن الرقين إلى قوله رقة هذا غير كاف في إيضاحه وأصل رقة ورق لحذف الفاء . وعوض عنها هاء التأنيث وجمعت جمع المذكر السالم على طريق الحل لأن جمع السلامة خاص بالعقلاء وحل عليه أربعة أنواع . أحدها أسماء جوع لم تستوفى الشروط وهي أولو وعانون وعشرون وبابه إلى التسعين . والنوع الثاني جوع تكسير وهي بنون وآخرون وأرضون - ونون وبابه وهو كل اسم ثلاثي حذف لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر ومن هذا النوع رقة ورقين أصله ورق كما قدما آخراً ثم حذف لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولكل منطوق من هذه الشروط مفهوم يخرج فلا يجمع هذا الجمع والنوعان الآخران المالحقان وهما جوع شروط لم تستوفى الشروط كأهلون ووابلون وما سمي به من الجمع السالم نحو الزيدون علماً وكذلك ما ألحق به كهلين . . وقوله الأفيق هو فاعل بمعنى مفعول أي مأفون والأفنى بالتحريك ضعف الرأى وقد أفنى الرجل وأفنه أفقه يافئه أفهاً وأصله النقص يقال أفنى الفصيل ما في ضرع أمه إذا أفنقه

صدر فلان بوغراً وغراً اذا التهب من غيظ أو حقد .. وقال أصحاب الأنساب طاش
المنوغر ثلاثمائة سنة وعشرين وأدرك الاسلام أو كاد يدرك أوله .. وقال ابن سلام كان
المنوغر قديماً وبقى منه طويلاً حتى قال

واقض سَمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَوَّلَهَا وَعَمِرْتُ مِنْ عَدَدِ السَّخِينِ مِثْلَيْنَا
مِائَةٌ أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا مِائَتَانِ لِي وَأَزْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنَيْنَا
هَلْ قَدْ بَقِيَ إِلَّا كَمَا قَدْ قَاتَنَا يَوْمَ يَكْفُرُ وَلِيْلَةٌ تَحْدُونَا

وهو القائل

إِذَا مَا الْمَرْءُ صَمَّ فَلَمْ يَكَلِّمْ وَأَوْدَى سَمْعُهُ إِلَّا نَدَايَا
وَلَاعَبَ بِالْعَشِيِّ بَنِي بَنِيهِ كَفَعَلِ الْهَرِّ يَحْتَرِشُ الْعِظَايَا
يَلَاعِبُهُمْ وَوَدَّوَالُو سَقَوُهُ مِنَ الذِّفَانِ مَتْرَعَةً مَلَايَا
فَلَا ذَاقَ التَّمِيمَ وَلَا شَرَابَا وَلَا بَقِيَ مِنَ الْمَرَضِ الشِّفَايَا

أراد بقوله - فلم يكلم - أي لم يسمع ما يكلم به فاختصر ويجوز أن يريد أنه لم يكلم الناس من
استماعه وأعرض عن خطابه لذلك .. وقوله - وأودى سمعه إلا ندايا - أراد أن سمعه
هلك إلا أنه يسمع الصوت العالى الذى ينادى به .. وقوله - ولاعب بالعشي بني بني -
لأنه - اللغة في وصفه بالهرم والحرف وأنه قد تنافا الى ملاعبة الصبيان وأنهم به وبشبه
أن يكون خص العشي بذلك لأنه وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها
.. وقوله - يحترش العظايا - أي يصدها ولا يحترش أن يقصد الرجل الى جحر الضب فيضربه
بكفة ليحديه الضب أفعى فيخرج اليه فيأخذه يقول حرشت الضب واحترشته ومن
أمثالهم هذا أجل من الحرش يضرب عند الأمر يستعظم ويشكلم بذلك على اسان
الضب .. قال ابن دريد قال الضب لا يته انق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت
حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع يوماً وقع الحفار فقل يا أبت هذا الحرش فقال
هذا أجل من الحرش فجعل مثلاً للرجل اذا سمع الشيء الذى هو أشد مما كان يتوقعه

— والذئبان — السم — والمظايا — جمع عظاية وهي دويبة ^(١) صغيرة

وأحد المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن لبث بن أسود بن أسلم بن الخفاف بن قضاة بن مالك بن مرة بن مالك بن حير .. قال أبو حاتم عاش دويد بن زيد أربعاً وستة وخمسين سنة .. قال ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قل ولا يد العرب معمرأ إلا من عاش مائة وعشرين سنة فساعدوا قل لبنيه أوصيكم بالناس شراً لا زحوا لهم عبرة ولا تقبلوهم عزرة قصروا لأعنة وطولوا الأسنه وأطعنوا شزرا واضربوا هرباً وإذا أردتم المهاجرة فقبل المهاجرة والمرء يمجز لأعالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد والمية ولا العنية ولا تأسوا على فاقته وإن عرفت فقهه ولا تخنوا على ظاعن وإن ألف قربه ولا نطمعوا فنطمعوا ولا تنهوا فنخرعوا ولا يكن لكم المثل الدوه إن الموسين بنو سهوان إذا مت فارجبوا خط مضجعي ولا تضنوا على برحب الأرض وما ذاك بمؤد إلى روحاً ولكن حاجة نفس خامرها الاشتاق ثم مات .. قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر أنه قال

أَلْيَوْمُ بَيْنِي لِلدَّوْدِ بَيْتُهُ	يَا رَبِّ نَهَبِ صَالِحِ حَوَاتِهِ
وَرُبُّ قَرْنٍ بَطَلٌ أَرْدَتُهُ	وَرُبُّ غِيلٍ حَسَنٌ لَوَاتُهُ
وَمِعْصَمٍ خَفِيبٌ ثَنِيَتُهُ	لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلِيَتُهُ

(١) قوله والعظاية دويبة صغيرة الخ أهل العالية يقولون عطاءة وتميم يقولون عظاية والجمع عندهم جميعاً العطاء .. قال سيويه الذين قالوا عطاءة بنوه على العطاء وإلا فقد كان حكمه أن يعتل لأن بعدها الهاء والهاء لازمة .. قال أبو علي فأما قوله • ولاعب بالعشي فني بينه • الخ فعل الضرورة ألا ترى أن بعد هذا البيت

يلاعبهم ولو ظفروا سقوه ككؤس السم مرة بلاياً

.. وقال أبو حاتم العظاية مثل الأصبع محراء غبراء تكون فتراً وشبراً وثلاثاً وهي سم عامتها ومنها ذوات لا تضر شيئاً وهي التي في الحشوش تبرى ولا تقتل ولكن الأوزاع تقتل يطلب بقتلها الأجر

أَوْ كَانَ قَرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

وَمِنْ قَوْلِهِ

أَتَقَى إِلَى الذَّهْرِ رَجُلًا وَيَدًا وَالذَّهْرُ مَا أَصْلَحَ يَوْمًا أَفْسَدًا

يُصْلِحُ مَا أَفْسَدَهُ الْيَوْمَ غَدًا

قَوْلُهُ - اطعنوا شزرًا واضربوا هبرًا - معنى الشزر أن يطعنه من إحدى ناحيتيه يقال قتل الحبل شزرًا إذا قتله على الشمال والنظر الشزر نظر بمؤخر العين .. وقال الأصمى نظر إلى شزرًا إذا نظر إليه من عن يمينه وشماله وطعنه شزرًا كذلك .. وقوله هبرًا قال ابن دريد يقال هبرت اللحم أهدبه هبرًا إذا قطعتَه قطعًا كبيرًا والاسم الهبرة والهبرة سيف هبار وهابرٌ واللحم هبيرٌ ومهبور - والحالة - الحيلة .. وقوله - بالجد لا بالكد - أي يدرك الرجل حاجته وطابته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل يحدوُّ وإذا كسرت الجهم فهو أن لا تنكش في الأمر .. وقوله - النجلد ولا التبد - أي تجلدوا ولا تبدوا .. وقوله - فتلعبوا أي تدنسوا والتلعبُ الدنس ويقال طبع السيف يطبع طبعًا إذا ركبهُ الصدى .. قال ثابت قطنة العنكي

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْثِي إِلَى طَمَعٍ وَعِقَّةٌ مِنْ قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي

.. وقوله - ولأنهوا فتخرجوا - قالوهن الضعف والخرع والحراة الذين ومنه سميت الشجرة الخروع لأنها .. وقوله - ان الموصين بنو سهوان - قالو صون جمع وصى وبنو سهوان ضربه مثلاً أي لا تكونوا ممن تقدم إليهم فسهاوا وأعرضوا عن الوصية وقالوا أنه يضرب هذا المثل للرجل الموتر دمه ومعناه ان الذين يحتاجون أن يوصوا بمخايج اخوانهم هم الذين يسهون عنها لفلة عنايتهم بها وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتي .. وقوله - فارحبوا - أي أوسعوا والرحب السعة - والروح - الراحة .. وقوله في الشعر - ورب غبل - قالليل الساعد الممتلئ - والمعجم - موضع السوار من اليد

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلاب بن وبرة بن تغلب حلوان بن عمران بن

الحلاف بن قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حبر .. قال أبو حاتم
 عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة وواقع مائتي وقعة وكان سيداً مطاعاً عاش
 شريفاً في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه كان
 سيد قومه وشريعهم وخطيبهم وشاعرهم ووالدهم إلى الملوك وطيبهم والطب كان في
 ذلك الزمان شرفاً وجازى قومه والجزاة الكهان وكان فارس قومه وله البيت فيهم
 والعدد منهم .. وأوصى به فقال يا بني قد كبرت - تي وبلغت حرّاً آمن دهرى فأحكمتني
 التجارب والأمور فنجربة واختبار فاحتفظوا عني ما أقول وعو ياكم والحوار عند
 المعائب والتواكل عند النوائب فإن ذلك داعية للفهم وشمانة للعدو وسوء ظن بالرب
 وإياكم أن تكونوا للاحداث مقترين ولها آمنين ومنها ساخرين فإنه ما سخر قوم قط
 إلا ابتلوا ولكن توقعوها فأنما الإنسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فقصر دونه
 وجاوز لموضع وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد أن يصيبه .. قوله - حرّاً آمن دهرى -
 يريد طويلاً من الدهر والحرس من الدهر العاويل .. قال الرازي في سنية عشتارباك حرّاً آمن
 السنية المدة من الدهر - والتواكل - أن بكل القوم أسرهم إلى غيرهم من قولهم رجل
 وكل إذا كان لا يكفي نفسه وبكل أمره إلى غيره ويقال رجل وكله تكلفه - والغرض -
 كما نصبت للرعي - وتعاوره - أي تداوله .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وقد ضمن ابن
 الرومي في معنى قول زهير بن جناب الإنسان في الدهر غرض تعاوره الرماة فقصر دونه
 وجاوز له وواقع عن يمينه وعن شماله ولا بد أن يصيبه ألياناً فأحسن كل الاحسان وهي
 كفى سراج الشيب في الرأس هادياً
 لمن قد أضلته المنايا ليالياً
 أمن بعد إبداء الشيب مقاتلي
 لراي المنايا تحسبني ناجياً
 غدا الدهر يزمني فتدنو سهامه
 لشخصي وأخلق أن يصيب سوادياً
 وكان كرامي الليل يزني ولا يرى
 فلما أضاء الشيب شخصي رمانياً
 أما البيت الأخير فإنه أبدع فيه وأغرب وما علمت أنه سبق إلى معناه لأنه جعل الشباب
 كالليل السار على الإنسان الحاجز بينه وبين من أراد رميه لظلمته والشيب مبدئاً لمقاتله

هادياً الى اصابته لضوءه وبياضه وهذا في نهاية حسن المعنى . . وأراد بقوله رماني أصابني
ومثله قول الشاعر

فَلَمَّا رَمَى شَخْصِي رَمَيْتُ سَوَادَهُ وَلَا بُدَّ أَنْ يُرْمَى سَوَادُ الَّذِي يَرْمِي
وكان زهير بن جناب على عهد كليب وائل ولم يكن في العرب أن تطلق من زهير ولا أوجه
منه عند الملوك وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً ولم يجتمع قضاة إلا تحابه وعلى رزاح بن
ربيعة فسمع زهير بعض نساءه تشكك بما لا يجوز للمرأة أن تشكك به عند زوجها فلهاها
فقدت له اسكت وإلا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا تعقله
فقال عند ذلك

أَلَا يَالِ قَوْمِي لَا أَرَى النَّجْمَ طَائِعاً وَلَا الشَّمْسَ إِلَّا حَاجَتِي يَمِينِي
مَمْرَبَتِي عِنْدَ الْقَنَا بَعْمُودِهَا تَكُونُ نَكِيرِي أَنْ أَقُولَ ذَرِينِي
أَمِيناً عَلَى سِرِّ النِّسَاءِ وَرَبِّمَا أَكُونُ عَلَى الْأَسْرَارِ غَيْرَ أَمِينِ
فَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حِدَاجٍ مُوَطَّأٍ مَعَ الظَّنِّ لَا يَأْتِي الْمَحَلَّ لِحِينِي
وهو الدنان

أَبِيَّ إِنْ أَهْلَكَ فَقَدْ أَوْرَثَكُمُ مَجْدًا بَنِيهِ
وَتَرَكْتُكُمْ أَرْبَابَ سَا ذَاتِ زِنَادُكُمْ وَرِيهِ
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَنَى فَذَنَلَهُ إِلَّا التَّجَنُّهِ
فَلَقَدْ رَحَاتُ الْبَازِلِ الدَّ كُومَاءِ لَيْسَ لَهَا وَلِيهِ
وَعَطَبَتْ خُطْبَةً حَازِمٍ غَيْرِ الضَّمِيفِ وَلَا الْعِيهِ
فَالَمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَنَى فَلْيَهْلِكَنَّ وَبِهِ بَقِيهِ
مِنْ أَنْ يَرَى الشَّيْخَ الْجَبَا لَ إِذَا يَهَادَى بِالْعَشِيهِ

وهو القاذ

لَيْتَ شِعْرِي وَالذُّهْرُ دُوْحَدَثَانِ أَيُّ حَبِينٍ مَتَيْتِي تَأْتَانِي
أَسْبَابٌ عَلَى الْفِرَاشِ خُفَاتٌ أَمْ بِكَدْنِي مُفْجِعَ حَرَانِ

وقال حين مضت له مائتان من عمره

لَقَدْ عَمِرْتُ حَتَّى مَا أُبَالِي أَحْتَفِي فِي صَبَاحِي أَمْ مَسَاءِ
وَحَقٌّ لِمَنْ أَتَتْ مِائَتَانِ عَامًا عَلَيْهِ أَنْ يَمِلَّ مِنَ الثَّوَاءِ

قوله - ممزجي - يعني امرأته يقال ممزبة الرجل وحليلته وزوجته كل ذلك امرأته .. وقوله

- أمينا على سر النساء - السر خلاف العلانية والسر أيضاً النكاح قال الخطيب

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ^(١)

وقال امرؤ القيس

أَلَا زَعَمْتُ بِسَبَاحَةِ الْيَوْمِ أَنِّي كَبُرْتُ وَأَلَا يَحْسِنُ السِّرُّ أَمْثَالِي

وكلام زهير يحمّل الوجهين جميعاً لانه اذا كبر وهرم تنبيه النساء أن تحدث بمحضرة

بأسرارهن نهاونا به أو تمويلاً على نقل سممه وكذلك هرمه وكبره بوجبان كونه أميناً

على نكاح النساء لمجره عنه .. وقوله - حداج - وطان - الحداج مركب من مراكب

النساء والجمع احداج وحدوج - والظن - والأظمان الموادج والظمينة المرأة في الهودج

ولا تكون ظمينة حتى تكون في هودج والجمع طعائن وإنما خبر عن هرمه وأن موته خير

من كونه مع الظن في جملة النساء .. وقوله - زنادكم ورتبه - الزناد جمع زند وزنده وهما

عودان يقدح بهما النار ففي أحدهما فروض وهي تمت فالتى فيها القروض هي الأنثى

والذى يقدح بطرفه هو الذكر ويسمى الزنده الأب والزنده الأم وكفى بزنادكم ورتبه

عن بلوغهم بأربهم يقول العرب وريت بكم زنادى أى بلغت بكم ما أحب من النجس

(١) قوله أنف الأنف من كل شيء أوله يقول يوترون جارهم بالطعام على أنفسهم

ليأكل صفة طعامهم قبلهم

والنجاة ويقال للرجل الكريم وارى الزناد - وأما التحية - فهي الملك فكانه قال من كل ما نال الفتى قد نلته إلا الملك . . وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء - والبازل - الناقة التي بلغت تسع سنين فهي أشد ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجمل - سواه - والكوماء - العظيمة السنام - والولية - برذعة تطرح على ظهر البعير تلي جلده - والبجاء - الذي يجله قومه ويعظمونه . . وقوله - يهادى بالعشيف - أى يماشي به الرجال فيسندونه لضعفه والتهادى المتى الضميف . . وقوله - أثبات - فأنشأت سكون الحركة ورجل مسبوت - والخفان - الضعف أيضاً يقال خفت الرجل إذا أصابه ضعف من مرض أو جوع - والمتمجع - الذي لجع بوله له أو قرابة - والحران - العطشان المتهب وهو ههنا المحزون على قتلاه . . وما يروى لزهير بن جناب

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسْلُوَ حَبِيبًا فَكَثُرَ دُونَهُ عِدَدَ اللَّيَالِي
فَمَا سَلَى حَبِيبَكَ مِثْلَ نَاءٍ وَلَا أَبْلَى جَدِيدَكَ كَأَبْدَالِ

مجلس آخر ١٧

ومن المعمرين ذو الأصبع العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة ابن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عتاب بن يشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر . . وإنما سمي الحارث عدوان لأنه عدى على أخيه فهم فقتله وقيل بل قُتِلَ عنه وقيل إن اسم ذو الأصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثة ويكنى أبا عدوان وبسبب لقبه بذي الأصبع إن حية نهشت أصبعه فثقت فسمي بذلك ويقال أنه عاش مائة وسبعين سنة . . وقال أبو حاتم إنه عاش ثلاثمائة سنة وهو أحد حكام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ أنه كان أكرم وروى عنه

لَا يَمُتُّنْ عَهْدُ الشَّبَابِ وَلَا لَذَائِهِ وَنَبَاتُهُ النَّضْرُ

لَوْلَا أَوْلُكَ مَا حَفَلَتْ مُنَى عُولَيْتُ فِي حَرَجٍ إِلَى قُبْرَى
هَزَيْتُ أَثِمَةً أَنْ رَأَتْ هَرَمِي وَأَنْ ائْتَنَى لِتَقَادُمِ ظَهْرِي

وكان الذي الأصبع بنات أربع فعرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقلن خدمتك وقربك أحب اليانهم أشرف عليهن يوماً من حيث لا يربنه فقلن لنقل كل واحدة منّا مافي نفسها فقات الكبرى

أَلَا هَلْ أَرَاهَا مَرَّةً وَضَجِيعُهَا أَشْمُ كَنَصْلِ السِّيفِ عَيْنُ مُهْنِدٍ
عَلِمْتُ بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ وَأَصْلُهُ إِذَا مَا اتَّعَى مِنْ أَهْلِ سِرِّي وَمَعْتَدِي
ويروى من سر أهل ومن أصل سري ومعتدي فقلن لها أنت تريدن ذا قرابة قد عرفته ثم قالت الثانية

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنْاسٍ أُولَى عَدَى حَدِيثُ شَبَابٍ طَيِّبُ الثُّوبِ وَالْعِطْرِ
ويروى أولى غنى

لَصُوقُ بَأْ كِبَادِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيقَةُ جَانٍ لَا يَنَامُ عَلَيَّ وَتَرٍ
ويروى لا ينام على حمري فقلن لها أنت تريدن فني لبس من أهلك ثم قالت الثالثة
أَلَا لَيْتَهُ يَكْسِي الْجَمَالَ نَدِيَّةً لَهُ جَفْنَةٌ تَشْقِي بِهَا الْمَعْرُ وَالْجَزُرُ
له حِكَمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كِبَرَةٍ تَشِينُ فَلَا وَانٍ وَلَا ضَرِيعُ غُمُرٍ

فقلن لها أنت تريدن سيداً شريفاً وقلن للرابعة قلني فقات لا أقول فقلن لها يا عدوة الله عدت مافي أنفسنا ولا نعدينا مافي نفسك فقات زوج من عود خبر من قومود فضت مثلاً فزوجهن أربعين وتركهن حولاً ثم أتى الكبرى فقال يا بنية كيف ترين زوجك قالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الأبل تنسرب ألبانها بجرعاً ويروى جزعاً بالزاي المعجمة ونأكل لحمانها مزعاً وتحملنا وضعفتنا معاً فقال يا بنية زوج كريم ومال عظيم ثم أتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك قالت خير

زوج يكرم أهله وينسى فضله قال وما مالكم قات البقر تألف الفناء وتعلم الأناة وتودك
الفناء ولنا مع نساء فقال حظيت ورضيت ثم أتى الثالثة فقال يا بنية كيف زوجك قالت
لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعز قال وما هي قلت لو أنا نولدها قطعاً
ونسلمها أدماً وروى أدماً بالفتح لم نبلغ بها نساء فقال لها جذوة مغنية وروى جذوة
ثم أتى الصغرى فقالت كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما
مالكم قالت شر مال قال وما هو قالت الضأن مجوف لا يشبع وهم لا يشبعن وصم لا تسمع
وأسر مغفون لا يبين فقال أبوها أشبه أسراً بعض بزم قضت مثلاً . أما قول إحدى بناته
في الشعر - أنتم - فلنتم ارتضاع أرنبة الأنف وورودها ويقال رجل أشم وامرأة
شماء وقوم شم . . قال حسان بن ثابت

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم شُمُّ الأنوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأوَّلِ

الشمم الارتفاع في كل شيء ويحتمل أن يكون حسان أراد بنم الأنوف ما ذكرناه من
ورود الأرنبة لأن ذلك عندهم دليل العنق والعبادة ويجوز أن يريد بذلك الكتابة
عن نواهم وتباعدهم عن دنيا الأمور وذرائلها وخص الأنوف بذلك لأن الحمية
والغضب والألف يكون فيها ولم يرد طول أنفهم وهذا أشبه بأن يكون مراده لأنه قال
بيض الوجوه ولم يرد اللون في الحقيقة وإنما كنى بذلك عن نفاء أعراضهم وجيل
أخلاقهم وأفعالهم وما يقول القائل جاءني فلان بوجه أبيض وقد بيض فلان وجهي
بكذا وكذا وإنما يعني ما ذكرناه . . وقول المرأة أشم كنعن السيف يمشي الوجهين أيضاً
وقول حسان من الطراز الأول أي أفعالهم آباءهم وسلفهم وأنهم لم يحدثوا أخلاقاً
مذمومة لا تشبه تجارهم وأصولهم . . وقولها - عين مهتر - أي هو المهتر بعينه كما يقال
هذا بعينه وعين الشيء نفسه وعلى الرواية الأخرى غير مهتر أي ليس هو السيف المنسوب
إلى الهند في الحقيقة وإنما هو يشبهه في مضاءه . . وقولها - من سر أهلي - أي من أكرمهم
وأخلصهم يقال فلان في سر قومه أي في صميمهم وشرطهم وسر الوادي أطيبه تراباً
- والهند - الأصل . . . وقول الثانية - أولى عدى - فإن معناه أن يكون لهم أعداء
لأن من لا عدوله هو القسل الرذل الذي لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس وهو

المحمد المعادي .. وقولها - لصوق بأكباد النساء - يعني في المضاجعة ويحتمل أن يكون
 ارادة في المحبة وكنت بذلك عن شدة محبتن له وميلن اليه وهو أشبه .. وقولها -
 كأنه خليقة جان - أي كأنه حية للصوق والجان جنس من الحيات نفقت لضرورة
 الشعر .. وقول الثالثة - يكتى الجمال نديه - فالندي هو المجلس .. وقولها - له
 حكيمات الدهر - تقول قد أحكمت التجارب وجعلته حكماً - والضرع - الضعيف -
 والقمر - الذي لم يجرب الأمور .. وقول - الكبرى - يكرم الحليمة ويعطى الويلة -
 فالحليمة هي امرأة الرجل والوسيلة الحاجة .. وقولها - تشرب ألبانها جرعاً - فالجرع
 جمع جرعة وهو الماء القليل يبقى في الأناة .. وقولها - مزعاً - المزعة البقية من دسم
 ويقال ماله جرعة ولا مزعة هكذا ذكره ابن دريد الضم في جرعة ووجدت غيره يكسرها
 فيقول جرعة وإذا كسرت فينبغي أن يكون تشرب ألبانها جرعاً وتكسر المزعة أيضاً
 ليزدوج الكلام فتقول ونأكل لحائها مزعاً قال المزعة من الشحم بالكسر هي القطعة من
 الشحم والمزعة أيضاً من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق والتزيع التقطيع
 والتشقيق ويقال أنه يكاد يمزع من الغبط ويزع الصبي في عدوه يمزع مزعاً إذا أسرع
 .. وقوله - مال عميم - أي كثير .. وقول الثانية - تودك السقاء - من الودك الذي
 هو الدسم - وقول الثالثة - تولدها فطماً - الفطم جمع فطيم وهو المقطوع من الرضاع
 .. وقولها - نساخها أدماً - الأدم جمع إدام وهو الذي يؤكل تقول لو أنا فطمتها
 عند الولادة لساخناها للأدم من الحاجة لم نبع بها نعاء وفي الرواية الأخرى أدماً من
 الأديم .. وقوله - جذرة مغنية - فالجذرة القطعة .. وقول الصغرى - جوف
 لا يتبعن - الجوف جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف - والميم - المعطاش ولا يتبعن
 أي لا يروين .. ومعنى قولها - وأمر مغوين يتبعن - لأن القطائع من الضأن يمز على
 قنطرة فتزل واحدة فتقع في الماء فيقعن كاهن إنباعاً لها والضأن يوصف بالبلادة ..
 أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن
 أبي عبيدة عن يونس قال ابن دريد وأخبرنا المكلبي عن أبي خالد عن الهيثم بن عدي
 عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان

الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير دعا الناس على أخذ فرائضهم فأتيته فقال من القوم فقلنا
من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فقتل عبد الملك

عَذِيرَ الْحَيِّ مَنْ عَذَّوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ^(١)

بَنَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يَزْعُوا عَلَى بَعْضٍ

وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْمُؤَفَّوْنَ بِالْقَرْصِ

وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يَنْقُضُ مَا يَقْضِي

وَمِنْهُمْ مَنْ يُبِيرُ النَّاسَ فِي السَّنَةِ وَالْقَرْصِ

ثم أقبل على رجل كما قدمناه أمانا جسيم وسيم فقال أياكم يقول هذا الشعر فقال
لا أدري فقلت أنا من خلفه بقوله ذو الأصبع فتركتني وأقبل على ذاك الجسيم فقال وما
كان اسم ذو الأصبع فقال لا أدري فقلت أنا من خلفه حرثان فأقبل عليه وتركني
فقال لم سمى ذو الأصبع فقل لا أدري فقلت أنا من خلفه نهشته حبة في أصبحه فأقبل
عليه وتركني فقال من أياكم كان فقال لا أدري فقلت أنا من خلفه من بني ناج فأقبل
على الجسيم فقل كم عطاؤك قال سبعمائة ثم أقبل على فقال كم عطاؤك قلت أربعمائة فقال

(١) اختلف في العذير فهم من جملة معدراً بمعنى العذر وهو مذهب سيبويه
ومنه من جملة بمعنى عاذر كعلم وعالم والمعنى عنده هات عذرك واحضر عاذرك واستمع
أن يجعله بمعنى العذر لأن فديلاً لا يبنى على المصدر إلا في الأصوات نحو الصهيل والنبق
والنبيح والأولى مذهب سيبويه لأن المصدر يطرده وضعه موضع الفعل بدلاً منه لأنه
اسمه ولا يطرده ذلك في اسم الفاعل وقد جاء فعيل في غير الصوت كقولهم وجب القلب
وجباً إذا اضطرب والمعنى يصف ما كان من تفرق عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس عيلان
وتشتتهم في البلاد مع كثرتهم وعزتهم في البلاد لكثرة ساداتهم وبني بعضهم على بعض
فيقول من يعذرهم في فقامهم أو من يعذرك منهم • وقوله كانوا حبة الأرض أي كانوا
يتقوا منهم لكثرتهم وعزتهم كما يتقوا من الحية المذكرة

يا بن الزعيزة حط من عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا فرحت وعطائي سبعمائة
وعطاؤه أربعمائة وفي رواية أخرى انه لما قل من أياكم كان لقال لا أدري فقلت أنا من
بني نايح الذي يقول فيهم الشاعر

فَأَمَّا بَنُو نَاجٍ فَلَا تَذْكُرُونَهُمْ وَلَا تَتَّبِعَنَّ عَيْنِكَ مَنْ كَانَ هَالِكًا
إِذَا قُلْتَ مَعْرُوفًا اتَّصَلِحْ بَيْنَهُمْ يَقُولُ رَهَيْبٌ لَا أَسْلَمُ ذَلِكَ

ويروى ما أحاول

فَأَضْحَى كَظْهَرِ الْمَوْجِبِ سَنَامُهُ تَحُومُ عَلَيْهِ الطَّيْرُ أَحَدَبَ بَارِكَا
وقد رويت هذه الأبيات لدى الأصبغ أيضاً ومن أبيات ذي الأصبغ السائرة قوله
أَكَاثِرُ ذَا الضَّغْنِ الْمُبِينِ مِنْهُمْ وَأَضْحَكَ حَتَّى يَدُ الْنَّابِ أَجْمَعُ
وَأَهْدَنُهُ بِالْقَوْلِ هَدًى وَلَوْ بَرَى سَرِيرَةً مَا اخْفَى لَبَاتٍ يُفْرَعُ
ومعنى أهده أسكنه ومن قوله أيضاً

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بَاخِرِينَا

ويروى شراشره

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بَنَّا أَفَقُوا سَيَلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا
ومعنى - الشراشر - هنا النقل يقال أتى عليه شراشره وجراميزه أى نقله ومن قوله
ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا هَشُوا إِلَيَّ وَرَحَبُوا بِالْمُقْبِلِ
وَهُمُ الَّذِينَ إِذَا حَمَلْتُ حِمْلًا وَاقِفَتُهُمْ فَكَأَنِّي لَمْ أَحْمِلِ
ومن قوله وهي المشهورة

لِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ تَخْتَلِفَانِ فَأَقْلِبِي وَيَقْلِبِي
أَزْرَى بَنَّا أَنَّا شَالَتْ نَعَامَتُنَا فَعَالِي دُونَهُ وَخَلَّتْهُ دُونِي^(١)

(١) يقال أزرى به إذا قصر وزرى عليه إذا عابه .. وقوله شالت نعامتنا أي تفرق

لَا إِبْنَ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ
عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَحْزُونِي^(١)
إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقِ
عَنِ الضُّيُوفِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونِ
وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَذْنِ بِغُطْلِقِ
بِالْفَاحِشَاتِ وَلَا أَغْضِي عَلَى الْهُونِ
مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحِمٍ
أَلَا أَحِبَّكُمْ إِنْ لَمْ تَحْبُونِي

أمرنا واختلف يقال عند اختلاف القوم شئت نعمتهم وزف رالهم والرا ل فرخ الزمام
وقيل يقال شئت نعمتهم إذا جلوا عن الموضع والمضى تنافروا فصرمت لا أطعن إليه ولا
يطعن إلى^١ ويقال ألقوا عصاهم إذا سكنوا وأطاعوا^٢ وقال الزحشرى شئت نعمتهم أي
تفرقوا وذهبوا لأن النعمة موصوفة بالخفة وسرعة الذهاب والهرب ويقال أيضاً خفت
نعمتهم وزف رالهم وقيل النعمة جماعة القوم

(١) قوله أفضلت ضمن فضلت معنى تجاوزت في الفضل فلهذا تعدى بمن ولولا
التضمن لقال أفضت على^١ لأنه من قولهم أفضلت على الرجل إذا أوليته فضلاً وأفضل
هذه تعدى بمن لأنها بمعنى الانعام أو أنه من قولهم أعطى وأفضل إذا زاد على الواجب
وأفضل هذه أيضاً تعدى بمن يقال أفضل على كذا أي زاد عليه فضله ومراده من ذكر
التضمن أن عن أيسر بمعنى على خلافاً لابن السكيت وابن قتيبة ومن تبعهما فأنهم قالوا
عن نائبة عن على والأولى أن يكون أفضل من قولهم أفضل الرجل إذا سار ذا فضل في
نفسه فيكون معناه ليس لك فضل تفرد به عنى وتجاوزه دوني فيكون لضمته معنى
الانفراد تعدى بمن فتأمل - والديان - القيم بالأمر المجازي به وتحزوني نسوئ سياسة
وتحزوني بالظلم والزأى المعجبتين مضارع خزوا بالفتح ساسة وقهره ولكم وأما
الجزى بالكسر وهو الهوان والذل فالنعل منه كرضى ويحتمل تحزوني الرفع ويكون التقدير
ولا أنت ملكي فتسوئى ويحتمل الضرب والفتحة حينئذ مقدرة كما في قوله

• أبى الله أن أسو بأه ولا أب • وليس بضرورة يقول هذان عمك الذى ساواك فى
الحب ومائلك فى الشرف فليس لك فضل تفرد به عنه ولا أنت مالك أمره فتصرف
به على حكمك ومراده بأن ألم نفسه فلذلك رد الاخبار بلفظ المتكلم

يَا عَمْرُو الْإِنْدَغُ شَتْنِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبْكَ حَتَّى يَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي
فَأَنْتُمْ مَعْشَرُ زَيْدٍ عَلَيَّ مَائَةٍ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ طَرًّا وَكَيْدُونِي
لَا يَخْرُجُ الْقَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَأْيَةٍ وَلَا أَلَيْنُ لِمَنْ لَا يَبْتَعْنِي لَيْنِي

قوله - شالت نعامنا - معناه شافرنا فصرت لا أطمئن اليه ولا يطمئن اليّ يقال شالة نعامه
القوم اذا أجلوا عن الموضع . . . وقوله - لاه ابن عمك - قال قوم أراد لله ابن عمك . . . وقال
ابن دريد أقسم بالله ابن عمك . . . وقوله - عني - أي عليّ - والديان - الذي يلى أمره
ومعنى - فتخزوني - أي تسوسوني - والهون - الهوان . . . وقوله - أضربك حتى تقول الهامة
اسقوني - قال الأسمعي الععلش في الهامة فأراد أضربك في ذلك الموضع أي على الهامة
حتى تعطش وقال آخرون ان العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من رأسه هامة
تدور حول قبره وتقول اسقوني اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بشأه وهذا باطل
ويجوز أن يعنيه ذر الأسبع على مذاهب العرب . . . وقوله - لا يخرج القسر - أي غير
مأْيَةٍ - والقسر القهر أي ان أخذت قسراً لم أزد إلا إياه
ومن المعمرين معد بكرب الحيري من آل ذى رعين . . . قال ابن سلام وقال معد بكرب
الحيري وقد طال عمره

أُرَانِي كُلَّمَا أَفْنَيْتُ يَوْمًا أَتَانِي بَعْدَهُ يَوْمٌ جَدِيدٌ
يَمُودُ بِيَاضُهُ فِي كُلِّ فَجْرِ وَيَأْتِي لِي شَبَابِي مَا يَعُودُ

ومن المعمرين الربيع بن ضبع الزراري ويقال انه بقى الى أيام بني أمية وروى انه
دخل على عبد الملك بن مروان فقال له ياربيع أخبرني ما أدركت من العمر والمدي
ورأيت من الخطوب الماضية فقال أنا الذي أقول

هَذَا أَنَا ذَا أَمَلِ الْخُلُودِ أَذْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلِدِي حُجْرًا

فقال عبد الملك قد رويت هذا من شعرك وأنا سبي قال وأنا أتمثل
إِذَا عَاشَ الْفَتَى مَا تَبْنِي عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَازَةُ وَالْفَتَاةُ

قال قد رويت هذا من شعرك وأنا سلام وأليك يا ربيع لقد طلبك جد غير عارف فصل
لي هرك قال عشت مائتي سنة في فترة عيسى وعشرين ومائة في الجاهلية وستين سنة في
الاسلام . . قال اخبرني عن فتية من قريش متواطي الأسماء فل بل عن أبيهم شئت
قال اخبرني عن عبد الله بن العباس قال فهم وعلم وإعطاء جذم ومقرى ضخم قال
اخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وطول كظم وبعد من الظالم قال فاخبرني عن عبد
الله بن جعفر قال ريمانة طيب ريموا ابن مسها قليل على المسلمين ضرها قال فاخبرني
عن عبد الله بن الزبير قال جبل وهر يحد منه الصخر قال لله دك يا ربيع ما هرك
بهم قال قرب جواردي وكثر استخباري . . [قال المرتضى] رضى الله عنه ان كان هذا
الخير فيسه أن يكون سؤال عبد الملك له انما كان في أيام غفته لا في أيام ولايته لأن
الربيع يقول في الخبر عشت في الاسلام ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين
من الهجرة فان كان صحيحاً فلا بد مما ذكرناه فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية
ويقال ان الربيع لما بلغ مائتي سنة قال

أَلَا أبلغُ بَنِي دَبيعِ	فَأشْرارُ البَنينَ لَكُمْ فِداءً
بَأني قَدْ كَبُرَتْ وَدَقَّ عَظْمي	فَلَا تَشْغَلْكُمْ عَنِّي النِّساءُ
فَإِنْ كُنْتُمْ لِنِساءِ صِدْقٍ	وَمَا آلا بَنِي وَلَا أَساؤُا
إِذا كانَ الشِّتاءُ فَأَذِنُوني	فَإِنَّ الشَّيخَ يَرُدُّهُ الشِّتاءُ
وَأما حينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرٍ	فَسِرْبائُ خَفِيفُ أَوْ رِداءُ
إِذا عاشَ الفَتى مائتينَ ^(١) عاماً	فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذائِذُ وَالنِّقاءُ

(١) قوله مائتين طاماً كان الوجه حذف النون وخفض عام إلا أنها شبهت للضرورة
بالعشرين ونحوها مما ثبت لونه وينصب ما بعده . . وصف في البيت هـ . . وذهب مسروته
ولذته وروى أودى بدل ذهب بمعنى أقطع وحلك والفتاء مصدر النقي وروى نعين طاماً
ولا ضرورة فيه على هذا وهي رواية لأصل لما يعلم من الآيات ومن ترجمة صاحبها

وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة

أَصْبَحَ مِنِّي الشَّبَابُ قَدْ حَسَرَا إِنَّ نَدَى عَيْنِي فَقَدْ تَوَى عَصْرَا
وَدَّعَانَا قَبْلَ أَنْ نُودَّعَهُ لَمَّا قَضَى مِنْ جَمَاعِنَا وَطَرَا
هَآ أَنَا ذَا أَمَلُ الْخُلُودِ وَقَدْ أَذْرَكَ عَصْرِي وَمَوْلَدِي حُجْرَا
أَبَا أَمْرِي الْقَيْسَ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرَا^(١)
أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ تَفَرَّأَا
وَالذُّبَّ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَزْتُ بِهِ وَحَدِيدِي وَأَخْشَى الرِّيحَ وَالْمَطَرَا
مِنْ بَعْدِ مَا قُوَّةُ أَسْرُهَا أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَعَالِجُ الْكِبَرَا

قوله - عطاء جندهم - أي سريع وكل شيء تسرعت فيه فقد جذمته وفي الحديث إذا أذنت فانزل وإذا أقت فاجزم أي أسرع - والمقري - الاتاه الذي يهري فيه - ٥٥٠ وقوله - فما آلا آتني ولا أسأوا - أي لم يتصوروا والآتي المنصر

محلى مجلس آخر ١٨

ومن المعمرين أبو العلاء، كان القيني واسمه حنظلة بن الشرق من بني كذاعة بن القين قال أبو حاتم عاش مائتي سنة فقال في ذلك

حَنَنْتَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَائِلٌ يَذْنُو لِصَيْدِ
قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقَيِّدًا أَنِّي بِقَيْدِ

وروى التخليل بدل اللذاذة والتخليل التكبر ومحجب المرء بنفسه وروى بدله المسرة والمروءة أيضاً والفقى الشاب وقد فنى بالكسر يعني بالفتح فنى فهو فنى السن بيتن القفاء (١) قوله طل ذا عُمْرًا هو تعجب أي ما أطول هذا العمر

ويروي قريب الخطو . قال أبو حاتم حدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب يشهد هذين البيتين ويشهد أيضاً

تَقَارَبَ خَطْوُ رَجُلِكَ يَا سَوِيدُ وَقَيْدَكَ الزَّمَانُ بِشَرِّ قَيْدِ

وهو الغائل

وَلَمَّا مَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجُومُ سَمَاءٍ كَلَّمَا غَابَ كَوَاكِبُ بَدَى كَوَكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ نَادِيَهُ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانَ مُوَدًّا تَسِيرُ الْمَنَآيَا حَيْثُ سَارَتْ رَكَابُهُ

ومعنى البيتين الأولين يشبه قول أوس بن حجر^(١)

إِذَا قَمَرٌ مِنَّا ذَرَى حَدَّنَابِو فَخَطَطَ فِينَا نَابُ آخِرِ قَمَرٍ

ولطفيل الغنوي مثل هذا وهو

كَوَاكِبُ دَجَنٍ كَلَّمَا قَطَضَ كَوَكِبُ بَدَى وَأَنْجَلَتْ مِنْهُ الدُّجَنَةُ كَوَاكِبُ
وَقَدْ أَخَذَ الْخَرْبِيُّ هَذَا الْمَقَامَ فَقَالَ إِذَا قَمَرٌ مِنَّا تَفَوَّرَ أَوْ خَبَا
بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ

ومثل ذلك

خَلَّافُهُ أَهْلُ الْأَرْضِ فِينَا وَرِاثَةُ إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ

ومثله

إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ أَقَامَ عُمُودَ الَّذِينَ آخَرُ سَيِّدُ

وكان مزاحماً القليل نظر الي قول أبي الطمعمان

(١) - أوس بن حجر بفتحين وليس في أسماء الأشخاص هل هذا البناء غير هذا

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَجْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ

في قوله

وُجُوهُ لَوْ أَنَّ الْمُذَلِّجِينَ أَعْتَشَوْا بِهَا صَدَّ عَنْ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي

ويقارب ذلك قول حجة بن المضرب الكندي

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَجْسَابُهُمْ فَتَضَاءَلَتْ لِنُورِهِمُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَالْبَدْرُ

وأشد محمد بن يحيى الصولي في معنى بيت أبي الطمعمان

مَنْ الْبَيْضِ الْوُجُوهُ بَنَى سِنَانٍ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِي بِهِمْ أَضَاءُوا

هُمْ حَلُّوا مِنْ الشَّرَفِ الْمَعْلَى وَبَنَى كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاوُوا

فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ

وأبو الطمعمان القائل

إِذَا كَانَ فِي صَدْرِي ابْنِ عَمَلِكٍ إِحْنَةٌ فَلَا تَنْتَرِهَا سَوْفَ يَدُودُ فِينَهَا

وهو القائل

إِذَا شَاءَ رَأَيْتُهَا اسْتَقَى مِنْ وَهْمَةٍ كَمِنْ الْغُرَابِ صَفْوُهَا لَمْ يُكْدَرِ

— والواقعة — المستقيم في الصخرة للماء ويقال للماء إذا زل من صخرة فوقع في بطن أخرى

ماء الوقائع وأشد لذي الرمة

وَلَنَا سِقَاطًا مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ جَنَّا النَّحْلِ مَعْرُوجًا بَاءَ الْوَقَائِعِ

ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحنجر والماء الذي يجري بين الحمى والرمل

ماء المغازل وأشدوا لأبي ذؤيب

مَطَافِيلُ أَبْكَارٍ حَدِيثٌ تَنَاجَاهَا أَشَابُ بَاءَ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ

وأشد أبو عجم السعدي لأبي الطمعمان

بُحَى إِذَا مَا سَامَكَ الذَّلُّ قَاهِرٌ عَزِيزٌ قَبَعَضُ الذَّلِّ أَبْقَى وَأَحْرَزُ

وَلَا تَحْمِ مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ تَعَزُّزًا فَقَدْ يُورِدُ الذَّلِيلُ الطَّوِيلَ التَّعَزُّزُ
وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معاوية الجعفي . . وروى لأبي الطحان أيضاً في
مثل هذا المعنى

يَا رَبِّ مَظْلَمَةٌ بَوْمًا لَطَيْتُ بِهَا تَمْضِي عَلَى إِذَا مَا غَابَ نُصَارِي
حَتَّى إِذَا مَا نَجَلْتُ عَنِّي غَيَابُهَا وَثَبْتُ فِيهَا وَثُوبَ الْمُخْدِرِ الضَّارِي

ومن المعمرين عبد المسيح بن بُقيلة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس
ابن حبان بن بُقيلة وبقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحارث والثمامسي بُقيلة لأنه خرج في بردن
أخضرين على قومه فقاتلوا له ما أنت إلا بُقيلة فسمي لذلك . . وذكر الكلبي وأبو مخنف
وغيرهما أنه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وأدرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانياً
وروى أن خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة ونحمن منه أهلها أرسل إليهم ادعوا إلى
رجلاً من عقلائكم وذوي أنسابكم فبعثوا إليه بعبد المسيح بن بُقيلة فأقبل يعني حتى
دنا من خالد فقال أنهم صباحاً أيها الملك قل قد أغناك الله عن نجاتك فمن أين أنصى
أترك أيها الشبيخ قال من ظهر أبي قال من أين خرجت قال من بطن أمي قال فلام
أنت قال على الأرض قال فم من أنت قال في ثيابي قال أنتقل لا عقول قال أي والله وأقيد
قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم قط إلى أسأله عن الشيء
ويخوف غيره قال ما أجبتك إلا عما سألت فاسأل عما بدا لك قال أحرب أنتم أم نبط
قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال حرب أنتم أم سام قال بل سام قال فاهذي
الحصون قال بنيهاها للبيه نخدر منه حتى يجي الحليم فيهما قال كم أنى لك قال حصون
وثلاثمائة سنة قال فما أدركت قال أدركت سفن البحر في السهارة في هذا الجرف ورأيت
المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكنتها على رأسها لا تزود إلا دغيفاً حتى تنفي الشام ثم
قد أصبحت خراباً يباباً وذلك دأب الله في العباد والبلاد قال ومعه سم ساعة يخله في
كفه فقال له خالد ما هذا في كفتك قال هذا الدم قال ما تصنع به قال إن كان عندك
ما يوافق قومي وأهل بلدي حدثت الله وقبلته وإن كانت الأخرى لم أكن أول من

ساق اليهم ذلاً وبلاءً أشربه فاسترجع من الدنيا قائماً بقي من عمرى اليسير قال خالد هاته
 فأخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الأرض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء فشره فتجملته
 غشبية ثم ضرب بذقه في صدره طويلاً ثم هرق فأفاق كأنما نشط من عقال فرجع
 ابن بُقيلة الى قومه فقال جيشكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره ساءلوا القوم
 وأخرجوهم عنكم فان هذا أمر ممنوع لهم فسالحوهم على مائة ألف درهم وأنشأ يقول

أَبْعَدَ الْمُنْذِرِينَ أَرَى سَوَامًا بِرُوحٍ بِالْخَوَارِقِ وَالسَّيِّدِ

أَبْعَدَ فَوَارِسِ النُّعْمَانِ أَرَى مَرَايَ نَهْرٍ مُرَّةً فَالْحَضِيرِ

تَحَامَاهُ فَوَارِسُ كُلِّ قَوْمٍ خِثَافَةً ضَيْغَمٍ عَالِي الزَّيْتِيرِ

فَصِرْنَا بَعْدَ هَٰذَا أُنَى قُبَيْسٍ كَمَثَلِ الشَّاءِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

يريد أبا قابوس فصر وبرى كند المعز

تَقَسَّمْنَا الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ عَلَانِيَةً كَأَنبَارِ الْجَزُورِ

نُودِيَ الْخَرَجُ بَعْدَ خَرَجِ كَسْرَى وَخَرَجَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ

كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سَجَالٌ فَيَوْمٌ مِنْ مَسَاةٍ أَوْ سُرُورِ

وبروى ان عبد المسيح لما نى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بُقيلة قال

لَقَدْ بَنَيْتُ لِلْحَدَثَانِ قَصْرًا لَوَ أَنَّ الْمَرْءَ تَذَنَّمَهُ الْحُصُونُ

طَوَّلَ الرَّأْسِ أَقْمَسَ شُمُخْرًا لِأَنْوَاعِ الرِّيحِ بِهَ أُنِينُ

ومما يروى لعبد المسيح بن بُقيلة

وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ عَلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أَنَّ قَدْ أَقْلَ فَمَجْفُورٌ وَمَحْقُورُ

وَهُمْ بَنُونَ لَأَمْ إِنْ رَأَوْا شَبَابًا فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَحْقُورُ

وهذا يشبه قول أوس بن حجر

بَنِي أُمِّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرُونَهُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّئَ الْأَمِّ جَحْفَلًا

وَهُمْ لِمَنْعِ الْمَالِ أَوْلَادُ طَلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مَحْضًا فِي الْمَوْتِ مَحْضًا
 وذكر أن بعض المشايخ من أهل الحيرة خرج إلى ظهرها بخط دبراً فلما احتقر موضع
 الأساس وأمن في الاحتقار أصاب كهيئة البيت فدخله فإذا رجل على سرير من رخام
 وعند رأسه كتابة أنا عبد المسيح بن بعلبة

حَلَبْتُ الذَّهْرَ أَشْطَرُهُ حَيَاتِي وَنَلْتُ مِنَ الْمُنَى فَوْقَ الْمَزِيدِ
 وَكَافَحْتُ الْأُمُورَ وَكَافَحْتَنِي وَلَمْ أَحْفَلْ بِمَعْضِلَةٍ كَسُودِ
 وَكَدْتُ أَنْالَ فِي الشَّرَفِ الثَّرِيًّا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ

ومن المعمرين النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد^(١) الله بن عدس بن ربيعة
 ابن جمعة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبكني أبا ليل .. وروى أبو حاتم
 السجستاني قال كان النابغة الجعدي أسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله
 تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى تَهِيحُ عَلَى الْجَوَى وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
 نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بْنِ مَحْرَقٍ أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ أَقْفَرَا
 كَمْوَلٌ وَفَتَيَانٌ كَانَ وَجُوهُهُمْ دَنَايَرُ مَعَا شَيْفَ فِي أَرْضٍ قَيْصَرَا
 فهذا يدل على أنه كان عند المنذر بن عرق والنابغة الذبياني كان مع الهمان بن المنذر
 ابن محرق .. قوله - شيف - يعني جلي والمشوف المجلو .. وقال ابن النابغة غير ثلاثين سنة
 لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة بأسمه - هان - وكان ديوانه بها
 وهو الذي يقول

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَأِنِّي مِنَ الْفَتَيَانِ أَيَّامِ الْخُنَانِ

(١) قوله اسم قيس اختلف في اسمه قبل قيس كما هنا وقيل عبد الله بن قيس
 وقيل حبان بن قيس بن عمرو بن عدس بن ربيعة وإنما سمي النابغة لأنه قال الشعر في
 الجاهلية ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نسيه فيه فسمي النابغة

— أيام الخنّان — أيام كانت للعرب قديمة حاج بها فيهم ^(١) مرض في أنوفهم وحلقهم
مَضَتْ مِائَةٌ لِيَامٍ وَلِذَتْ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَحِجَّتَانِ
فَأَبْنَى الذَّهْرُ وَالْأَيَّامُ مِثْنِي كَمَا أَبْقَى مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي
تَقَلُّلٌ وَهُوَ مَأْثُورٌ جُرَّازٌ إِذَا اجْتَمَعَتْ بِقَائِمِهِ الْيَدَانِ

وقال أيضاً في طول عمره

لَبِستُ أَنَا نَسَاءً فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنَا نَسَاءً
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُتَنَاسَا

— المتناس — المتعاض ٠٠ وروى عن هشام بن محمد الكلبي أنه عاش مائة وثمانين سنة
٠٠ وروى ابن دريد عن أبي حاتم في موضع آخر أن الثابتة الجمدي عاش مائتي سنة
وأدرك الإسلام وروى له

قَالَتْ أُمَامَةُ كَمْ عَمِرْتَ زَمَانَةً وَذَهَبَتْ مِنْ عَتَرٍ عَلَى الْأَوْثَانِ

— العتيرة — شاة تذبح لأسمائهم في رجب في الجامعة

وَلَقَدْ شَهِدْتُ عُمُكَاطَ قَبْلَ مَحَلِّهَا فِيهَا وَكُنْتُ أَعْدُوْهُ لَفَتِيَانِ
وَالْمُنْذِرَ بْنَ مُحَرَّرٍ فِي مَلِكِهِ وَشَهِدْتُ يَوْمَ هَجَاثِنِ النُّعْمَانِ
وَعَمِرْتُ حَتَّى جَاءَ أَحْمَدُ بِالْهُدَى وَقَوَارِعُ تَتْلَى مِنَ الْقُرْآنِ
وَلَبِستُ مِنْ إِسْلَامِ ثَوْبًا وَاسِعًا مِنْ سَيْبٍ لَا حَرَمٍ وَلَا مَتَانِ

وله أيضاً في طول عمره

الْمَرْءُ يَبْهَوِي أَنْ يَمِيشَ وَطُولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهُ

(١) قوله حاج بها فيهم ٠٠ الخ المعروف أن الخنّان على وزن غراب زكام يأخذ
الابل في مناخرها وتموت منه ٠٠ وقال الأصبغي كان الخنّان داء يأخذ الابل في
مناخرها وتموت منه وكانت أيام الخنّان على عهد المنذر بن ماء السماء وكانوا يؤرخون بها

تَفَنَّى بِشَاشَتُهُ وَيَسْتَقَى بَعْدَ حُلُولِ الْعَيْشِ مَرْءُهُ
وَتَتَابِعُ الْأَيَّامَ حَتَّى لَا يَرَى شَيْئًا يَسْرُهُ
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتُ وَلَقَائِي اللَّهِ دَرُهُ

ويروي ان النابغة الجعدي يفتخر ويقول أثبت النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته
بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَدُّوْنَا وَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا
فقال عليه الصلاة والسلام أين المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة يا رسول الله فقال أجل ان
شاء الله ثم أنشدته

فَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَكِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ رَأْسَدَا

فقال عليه الصلاة والسلام لا بغضض الله فاك ٠٠ وفي رواية أخرى لا بغضض فوك
فيقال ان الدابغة عاش عشرين ومائة سنة لم يسقط له سن ولا خرس وفي رواية أخرى
قال فرأينته وقد بلغ الثمانين نرف غروبه وكان كما سقطت له نايبة ثبت له أخرى مكانها
وهو أحسن الناس نفراً - نرف - معنى تبرق وكان الماء يقطر منها ٠٠ [قال المرتضى]
رضي الله عنه وما يشاكل قول الجنة في جواب قول النبي صلى الله عليه وسلم أين المظهر
يا أبا ليلى وان كان يغمض العكس من معناه ماروي من دخول الأخطل على جسد
الملك بن مروان مستقبلاً من فعل الجحاف السلمي وأنه أنشدته

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبُشْرِ وَفَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُشْتَكِي وَالْمُعُولُ
فَإِنْ لَمْ تُغَيِّرْهَا قُرَيْشٌ بِمِثْلِهَا يَكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَمَارُ زَحْلٍ (١)

(١) قوله يكن عن قريش النخ سبب هذين البيتين ان بني تغلب رطم الأخطل
قتلوا عمر بن الحباب السلمي فاتفق ان قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف
ابن حكيم السلمي جالس عنده فأنشده

أَلَا سَائِلَ الْجَحَافِ هَلْ هُوَ نَارٌ بِمِثْلِ أُسَيْبٍ مِنْ سَائِمٍ وَعَامِرٍ

فخرج الجحاف مغضباً يجر مطرقة فقال لعبد الملك للأخطل ويحك أغضبت وأخلق

فقال له عبد الملك الى أين يا ابن البغاء فقال الى النار فقال لو قلت غيرهما قطعت
لسانك . . . فقله الى النار فخاص حسن على البديهة كما فخاص الجعدي بقوله الى الجنة وأول
قصيدة الجعدي الذي ذكرنا منها الأبيات

خليتي غصاً ساعةً وتَجَرَّأَ ولوما على ما أحدثَ الدهرُ أو ذَرَا
ولَا تَسْأَلُ إِنَّ الحَيَاةَ قَصِيرَةٌ فطيراً لِرَوَاعَاتِ الحَوَادِثِ أَوْ قِرَا
وإن كَانَ أَمْرٌ لَا تُطِيقَانِ دَفْعُهُ فَلَا تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَاصْبِرَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ المَلَأَمَةَ نَفَعُهَا قَلِيلٌ إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَّى وَأَذْبِرَا
لَوْى اللَّهُ عِلْمَ الغَيْبِ عَن مَّاسِوَاهُ وَيَعْلَمُ مِنْهُ مَا مَضَى وَتَأَخَّرَا

وفيها يقول

وجاءت حتى ما أحسن ومن معي سهيلاً إذا ما لاح ثم تغورا

أن يجلب عليك وعلى قومك شراً فكتب الجعاف عهداً لنفسه من عبد الملك ودعا
قومه للخروج معه فلما حصل بالبشر قال لقومه قسوا كذا فقاتلوا عن أحسابكم أو
موتوا فأغاروا على بني تغلب بالبشر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم قال الجعاف يجب الأخطل
أبا مالك هل لمتني إذ حضنتني على النار أم هل لامي فيك لأمي
من تدعني أخرى أجيك بثلمها وأنت امرؤ بالحق لست بقائم

فيقدم الأخطل على عبد الملك فأنشده لقد أوقع الجعاف البيتين . . . وروي من غير هذا
الوجه أن عبد الملك دخل عليه الجعاف بن حكيم السلمي فقال عبد الملك أترى هذا
يا أخطل قال ومن هو قال الجعاف فقال الأخطل ألا سائل الجعاف البيتين حتى فرغ
من القصيدة وكان الجعاف يا كل رطباً فجعل النوى يتساقط من يده غيضاً فأجابه فقال
بن سوف نبكيكم بكل مهند ونبكي عميراً بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ما غفلت عن تجري على هذا ولو كذت مأسوراً لك لحم
الأخطل خوفاً فقال عبد الملك أنا جارك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرته

يريد إني كنت بالشام وسهل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت معين وفيها يقول
 ونحن أناس لا نَمُودُ خيلنا إذا ما التقينا أن تَحِيدَ وتنفرا
 ونشكر يوم الرُّوع ألوان خيلنا من الطَّمن حتى نحسب الجوناً حمراً
 وليس بمعروف لنا أن نَرُدَّها صحاحاً ولا مُستنكر أن نُعَمَّرَا

أخبرنا المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال
 أنشدنا محمد بن سلام وغيره للنايفة الجمدي

تلوم علي هلك البعير ظميفتي وكنت على لوم المواذل زاريا
 ألم تلمي أني رزئت عارياً فما لك منه اليوم شيئاً ولأيا
 ومن قبله ما قدوزت بوخوح وكان ابن أُمي والخليل المصافيا
 فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما ينفي من المال باقيا

منه في البقعة فن يجرني منه في اليوم ثم قام الجحاف ونسي بجر ثوبه وهو لا يعقل حق
 دخل بيتاً من بيوت الديوان فقال للكتاب اعطني طوماراً من طوامير اليهود فأناه
 بطومار وليس فيه كتاب فخرج إلى أهله من القيسية فقال إن أمير المؤمنين ولأني
 صدقات بكر وتغلب فلحقه زهاء ألف فارس فسار حتى أتى الرصافة ثم قال لمن معه
 إن الأخطل قد أسعق ما علمتم ولست بوال فمن أحب أن يغسل عنه العار فليصحبني
 فاني قد آليت أن لا أغسل رأسي حتى أوقع بيني تغلب فرجعوا غير الثلاثة فسار ليلته
 فصبح الرحوب وهو ماء لبني جشم بن بكر رط الأخطل فصادف عليه جماعة كثيرة
 من تغلب فقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ الأخطل وعليه عباءة وسفحة فظنوه عبداً
 وسئل فقال أنا عبد فضلوا سيظه فخنس أن يراه من يعرفه فرمى بنفسه في جب فلم
 يزل فيه حتى انصرفت القيسية فدجا وقتل أبوه غوث وأسرف الجحاف في القتل
 وشق البطون عن الأجنة وفعل أسراً عظيماً فقدم الأخطل على عبد الملك وأنشده
 لقد أوقع الجحاف النح

فَتَيَّ كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلِيٌّ أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا
وبروى فتى تم فيه ما يسر

أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدِينَ مَمْدُوحُ إِذَا الْمَرْيُوحُ لِلْجَدِّ صَبَحَ غَادِيَا
- السبيدع - السبيدع . وما يروى له أيضاً

عَمِيلَةٌ أَوْ مِنْ هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ بَدِي الرَّمَثِ مِنْ وَادِي الْمَيَاوِيَا
إِذَا أَبْتَسَمَتْ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ دُونَهَا أَضَاءَ دُجَى اللَّيْلِ الْبَهْمِ أَبْتَسَامُهَا

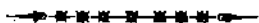
وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال - عند الفرزدق بن غالب عن الجعدي فقال
صاحب خلعان يكون عنده حمار فواف بألف دينار ومطرف بدينار . قال الأصمعي
وصدق الفرزدق بينا النابغة في كلام أهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب
ثم أشد له

سَمَّاكَ هَمْ وَلَمْ تَطْرَبِ وَبَتَّ يَتَّ وَلَمْ تَنْصِبِ
وَفَاتِ سُلَيْمِي أَرَى رَأْسَهُ كَنَاصِيَةِ الْفَرَسِ الْأَشْهَبِ
وَدَلَّكَ مِنْ دَفْعَاتِ الْمَنُونِ فَفِيهِ إِلَيْكَ وَلَا تَعْجَبِ
أَتَيْنَ عَلَى إِخْوَةٍ سَبْعَةٍ وَعَدَنَ عَلَى رُبْعِ الْأَقْرَبِ

ثم يقول بعدها

فَأَدْخَلَكَ اللَّهُ بَرْدَ الْجَنَانِ نِجْدَلَانَ فِي مَدْخَلِ طَيْبِ

فلان كلامه حتى لو أن أبا الشعمق قال هذا كان ردّاً ضعيفاً . قال الأصمعي وطريق
الشعر إذا أدخلته في باب الخير لأن الأثرى إلى حسان بن ثابت كان عليه في الجاهلية
والإسلام فلما أدخل شعره في باب الخير من مرثي النبي عليه الصلاة والسلام وحزة
وجعفر وغيره لأن شعره



مجلس آخر ١٩

مسألة تتعلق بما ذكرناه ان سأل سائل فقال كيف يصح ما أوردتموه من تطاول الأعمار وامتدادها وقد علمتم ان كثيراً من الناس يشكر ذلك ويحبه ويقول انه لا قدرة عليه ولا سبيل اليه وفيهم من ينزل من انكاره درجة فيقول انه وان كان جازاً من طريق القدرة والامكان فانه بما يقطع على انتفائه لكونه خارقاً للعادات وان العادات اذا وثق الدليل بانها لا تنحرق إلا على سبيل الابانة والدلالة على صدق بي من الانبياء علم ان جميع ما روي من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت الى مثله . الجواب قيل له أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة وأخرجها من باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقضي لدوامه اذا دام وانقطاعه اذا انقطع علم من جواز امتداده ما علمنا والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حياً وغيره حياً وان شئت أن تقول هو استمرار الحلي الذي لكونه على هذه الصفات ابتداء حياً وانما شرطنا الاستمرار لانه يتعذر أن يوصف من كان حاله واحدة حياً بان له عمراً بل لا بد من أن يراعوا في ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار وان قل وشرطنا أن يكون ممن يجوز أن يكون غير حياً أو يكون لكونه حياً ابتداءً ثلاثاً يلزم عليه القديم تعالى لانه تعالى جات عظمتة ممن لا يؤلفه بالعمر وان استمر كونه حياً وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وفيما تحتاج اليه الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عز وجل ولا يدخل إلا تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها ففي فعل القديم تعالى الحياة وما يحتاج اليه من البنية وهي بما يجوز عليه البقاء وكذلك ما يحتاج اليه فليست تنق إلا بضد يطرأ عليها أو بضد ينق ما يحتاج اليه والأقوى انه لا ضد لها في الحقيقة وانما ادعى قوم بانه لا يحتاج اليه ولو كان للحياة على الحقيقة لم تحل بما قصدناه في هذا الباب فيها لم يفعل القديم تعالى ضدها أو ضد ما يحتاج اليه ولا نقض متنافض بنية الحلي استمرار كون الحلي حياً ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ما قصدناه صحيحاً لانه تعالى قادر على أن يضمها حالاً غلاً ويوالي

بين فعلها وفعل ما تحتاج اليه فيستمر كون الحكي حياً فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بذية اللسان فليس مما لا بد منه وإنما أجرى الله تعالى العادة بأن يشمل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك ولا تأثير لازمان على وجهه من الوجود وهو تعالى قادرٌ على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله إذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر ممكن غير مستحيل وإنما أتى من أحال ذلك من حيث اعتقد أن استمرار كون الحكي حياً موجب على طبيعة وقوة لها مبلغ من المادة متى انتهت اليه انقطعنا واستحال أن تدوم ولو أضافوا ذلك الي قاعلي مختار متصرف لخرج عندهم من باب الإحالة . . فأما الكلام في دخول ذلك في العادة وخروجه عنها فلا شك فإن العادة قد جرت في الأعمار بأقدار متفاوتة تعد الزيادة عليها خارقاً للعادة إلا أنه قد ثبت أن العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً ويجب أن يراعى في العادة اضافتها الي من هي عادة له في المكان والوقت وليس يتمتع أن يقل ما كانت العادة جارية به على تدرج حتى يصير حسونه خارقاً للعادة بغير خلاف وأن يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه وإذا صح ذلك لم يتمتع أن تكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك على تدرج ثم صارت عادتنا الآن جارية بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الأعمار خارقاً للعادة وهذه جملة فيما أردناه كافية



❦ باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي تسميها قوم المسكنة ❦

اعلم أن أجوبة المحاور والمناظرة التي تستحسن وتؤثر إذا جمعت مع الصواب بسرعة الحضور فكم من جواب أتى بعد لأيٍ وبعد تعاس لم يكن له في النفوس موقع ولا حلٌّ من القلوب محل الحاضر السريع وإن كان المتناقل أعرق في نسب الإصابة وآخذ بأطراف الحقيقة ولهذا قيل أحسن الناس جواباً وأحضرهم قرين ثم العرب وأنموالي تأتي أجوبتها بعد فكرة وروية . . وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال سحر الصدي معاوية بن أبي سفيان وقد سأله عن البلاغة فقال أن يصيب فلا يخطئ. ويسرع

فلا يبطل، ثم اختصر ذلك فقال لا يحطى ولا يبلى... ولطول الفكرة والاهراق في الرواية مذهب وأوان لا يحد فيها التسرع والتعجل كما لا يحد في أوان السرعة التناقل والتأيد وأما محمد السرعة في أجوبة المغاور والمناظرة ويزاد الفكرة والرواية للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة التي على الانسان فيها مهلة وله في تأملها فحة ولا عيب عليه معها في اطالة التأمل واعادة التصفح ولهذا قال الأحنف بصفين أغبوا الرأي فان ذلك يكشف لكم عن محضه... وقال عبد الله بن وهب الرازي لما أراد الطوارج على الكلام حين عقدوا له لاخير في الرأي الفطير والكلام القصب... وشوور ابن التوام الرقاني فأمسك عن الجواب وقال ما أحب الخبز إلا بائنا... فأما قولهم ثلاث يعرفن في الأشقي سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل أحد فعمول على اسراعه بالجواب عند الرأي والمشاورة والأحوال التي يستحب فيها التأيد والتثبت أو على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا إشكال فيه ثم يعود الى ما قصدناه... روى ان بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سأله متى يعرف الانسان ربه فقال اذا صرف نفسه... وقال له عليه الصلاة والسلام رجل إلى كره الموت فقال أنك ما قال ثم قال قدّم ذلك فان قلب كل امرء عند ماله... وقال يهودى لأُمير المؤمنين عليه السلام ما دُفتم لبيكم حتى اخذتم فيه فقال عليه السلام انما اخذنا عنه لافيه ولكنكم ماجفت أقدامكم من البحر حتى قائم لبيكم اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون... وروى له عليه السلام ما فرغ من دفن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عن خبر السيدة فقبل له ان الأنصار قالت منّا أمير ومستمك أمير فقال عليه السلام فهل لا ذكرت الأنصار قول النبي صلى الله عليه وسلم تقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الأمر فيهم والنوصاء بهم... وقال له عليه السلام ابن الكواء يا أمير المؤمنين كم بين السماء والأرض قال دعوة مستجابة... وقبل له ما طعم الماء فقال طعم الحياة... وقبل له كم بين المشرق والمغرب قال مسير يوم للشمس... وأثنى عليه رجل وكان متهماً فقال أما دون ما تقول وفوق ما في نفسك... وكان عليه السلام اذا طراه رجل قال اللهم انك أعلم بي منه وأنا أعلم منه بنفسى فانظر لي ما لا أعلم... أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثني

عبد الواحد بن محمد الحميني قال حدثني أبو علي أحمد بن اسماعيل قال حدثني أيوب ابن الحسين الهاشمي قال قدم على الرشيد رجل من الأنصار يقال له نفيص وكان عريضاً قال فحضر باب الرشيد يوماً ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليه السلام على حمار له فتلقاء الحاجب بالبشر والاكرام وأعظمه من كان هناك ومجمل له الاذن فقال نفيص لعبد العزيز من هذا الشيخ فقال أو ما تعرفه قال لا قال هذا شيخ آل أبي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير إنما لن يخرج لأسوأه فقال له عبد العزيز لا تفعل فان هؤلاء أهل بيت قل ما تعرض لهم أحد في خطاب إلا وسموه بالجواب سمعاً يبتقى عارها عليه مدى الدهر قال فخرج موسى بن جعفر عليه السلام فقام اليه نفيص الأنصاري فأخذ بلجام حماره ثم قال له من أنت قال يا هذا ان كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله بن اسمعيل ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضى مشركوا قومي مسلمي قومك أكفأ لهم حتى قالوا يا محمد اخرج الينا أكفأنا من قريش وان كنت تريد الصيت والاسم فمحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا في الصلوات الفرائض بقول اللهم صل على محمد وآل محمد ونحن آل محمد دخل عن الحمار قال غلبي عنه ويده ترتعد وانصرف يبخزي فقال له عبد العزيز ألم أقل لك .. وقال ان معاوية استشار الأحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد فقال له أنت أعلم بابله ونهاره .. وقال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الخزيمي مدحك محمد بن منصور أجود من مرثييك فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم لاوفاء وبينهما برن .. ودخل مطيع بن عيسى على الهادي في حياة المهدي فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقيل له مه فقال بعد أمير المؤمنين .. وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب وكان جيد الجواب حاضره فقال أنا خير لك من أخيك فقال عقيل أن أخي أثر دينه على دنياه وأنت آثرت دنياك على دينك فأخبر نفسه منك وأنت خير لي منه .. وقال له يوماً إن فيكم لشيقاً يابني عاتم فقال هو منّا في الرجال ومنكم في النساء .. وقال له

يوماً وقد دخل عليه هذا عقيل معه أبو لب فقال عقيل هذا معاوية عنه حالة الجلب
ومعاوية أم ^ك ن أمية وكانت امرأة أبي لب . . وقال له يوماً يا أبا
يزيد أين ترى محك أبا لب فقال له عقيل إذا دخلت النار فانظر عن يارك تجده مفترساً
عنك فانظر أيهما أسوأ حالاً التاكح أم المنكوح . . وقال له ليلة الحرير بصفين يا أبا
يزيد أنت معنا الليلة قال ويوم بدر كنت معكم . . وقيل لسعيد بن المسيب وقد كُفِّ
ألا تفتح عينك قال حتى أقتحمها على من . . ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال
له كبرت يا معن قال في طاعتك قال وانتك لتجهد قال على أعدائك قال وإن فيك لبقية
قال هي لك . . وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عتيل والله لأقتلنك قتلة يحدث بهما
بمعدك فقال مسل أشهد أنك لادمع سوء القتلة ولوهم المقدرة لأولى بهما منك . . وقال
رجل لمعرو بن العاص لأتفرغن لك قال إذا وقعت في الشغل . . وقال معاوية لمعرو
ابن سعيد بن العاص الملقب بالأنشدق إلى من أوصى بك أبوك فقال إن أبي أوصى إلى
ولم يوص لي . . وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة قد أوصيت
بك فلاناً قالته بعدى فقال يا أبت إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت فالحى هو الميت . .
وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاصي أنشدني بعض قولك في الحر فأنشدني
كُفِّتَ إِذَا شِجَتْ فِي الكَأْسِ وَرَذَّةٌ لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ ذَيْبٌ

فقال له شربتها ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان نعتي لها بذلك وأبك لقد راجني
معرفتك بها . . ولما أتى معاوية نهي الحسن بن عليّ عليهما السلام بعث إلى ابن عباس
وهو لا يعلم الخبر فقال ما جاءك خبر من المدينة قال لا قال أنا نهي الحسن وأظهر سروراً
فقال ابن عباس إذا لانسأ ولا يسد حفرتك قال أحسبه قد ترك صبية صفراء قال كلنا
كان صغيراً وكبر قال وأحسبه قد بلغ سنأ قال مثل مولد لا يجمل قال معاوية وقال
قائل أنك أصبحت سيد قومك قال أما وأبو عبد الله الحسين بن عليّ حي فلا فلما كان
من غير أبي يزيد بن معاوية ابن عباس وهو في السجد يعزى مجلس بين يديه جللة
المعزى وأظهر حزناً وغماً فلما انصرف أتبعه ابن عباس بصره وقال إذا فزع آل حرب

ذهب حلم قريش .. وروى ان ولوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز فأراد فتي منهم الكلام فقال عمر لينتكم أكرمكم فقال الفتي ان قريشاً ل ترى فيها من هو أبن ملك فقال له تكلم يا فتي .. روى محمد بن سلام الجمحي قال أنشد كثير عبد الملك بن مروان شعراً

على ابن أبي العاصي دِلاصٌ حصينةٌ أجاد المدي نسجها فأذالها
فقال له هلاً قلت كما قال الأعشى

وإذا تكونُ كتيبةٌ ملومةٌ شهباء يخشي الذائدون نهالها
كنت المقدّم غير لابسِ جنةٍ بالسيفِ تضربُ ملماً أبطالها

فقال له انه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم .. ويشبه ذلك ما روى عن أبي عمرو بن العلاء انه لقي ذا الرمة فقال أنشدني قصيدتك

ما بال هينيك منها الدمع ينسكبُ كأنه من كلى مربةٍ سربُ
فأنشده لإياها فلما بلغ الى قوله

نصني إذا شدها بالكور جائحةً حتى إذا ما استوى في غرزها تبُّ

فقال له عمرو بن العلاء قول الراعي أحسن مما قلت

نراها إذا قام في غرزها كمثل السفينة أواؤفرُ
ولا تمجِّلُ المرءَ عند الذُّو لي وهن برُكبتِه أبصرُ

فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقه ملك وأنا وصفت ناقه سوقة .. وحكي الصولي انه سمع ذا الرمة يمشي به الذي حكيناها فقال سقط والله الرجل فأما الفرز فهو للناقه مثل الركاب للدابة وهو لسع مضمور .. وقوله - نصني - يريد تميل رأسها كأنها تسمع ليست بمنزور بل مؤدبة مقومة - والكور - الرجل .. وقد أخذ هذا المعنى أبو نواس فأحسن نهاية الاحسان فقال يصف الناقه في مدحه للخصيب بن عبد الحميد

فَكَأَنَّمَا مُصْنَعٌ لِلْسُّمْعَةِ بِمَضَى الْحَدِيثِ بِإِذْنِهِ وَقُرْ

فلم يرض بأن وصفها بالاصغاء حتى وصفها بالرقر وهو النذل في الأذن لأن الثقل السمع يكون اصغاره وميله إلى جهة الحديث أشد وأكثر ٠٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه وإنى لأستحسن القصيدة التى من جعلها البيت الذى أوردها لأبي نواس لأنها دون العشرين بيتاً وقد نسب في أولها ثم وصف النافذة بأحسن وصف ثم مدح الرجل الذى قصد مدحها واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع يتدفق ورواق يتفرق وسهولة مع جزالة والقصيدة

يَا مَنَّةَ أَمْسَتْهَا السُّكْرُ مَا يَنْقُضِي مَنِيَّهَا الشُّكْرُ

أَعْطَيْتُكَ فَوْقَ مَذَكٍ مِنْ قَبْلِ قَدْ كُنَّ قَبْلَ مَرَامِهَا وَعَزْ

يَمْنِي إِلَيْكَ بِهَا سَوَالِفُهُ زُشَا صِنَاعَةً عَيْنِ السَّحَرِ

ظَلَّتْ حَمِيًّا الْكَأْسُ تُدْشِطُنَا حَتَّى تَهْتِكَ بَيْنَنَا السُّكْرُ

فِي مَجْلِسِ ضَحِكَ السُّرُورِ بِهِ عَنْ تَاجِدِيهِ وَحَلَّتِ الْحُرُ

٠٠ أما قوله - حلت الحر - فيحتمل أن يريد به أن ما وصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور المناول فيه صار مقتضياً لشرب الخمر وملجئاً إلى تناولها ورافعاً للحرص فيها على مذهب الشعراء في المبالغة ويكون فائدة وصفها بأنها حلت المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب ٠٠ ويحتمل أن يكون عقد على نفسه وآلى ألا يتناول الخمر إلا بعد الاجتماع مع محبوبه وكان الاجتماع معه مخرجاً عن يمينه على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم إلى أن يأخذوا بشأهم فيجوز ذلك مجرى قول الشنفرى حَدَّثَ الْحُمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا وَإِلَّاهِي مَا أَلَمَّتْ تُحِيلُ^(١)

(١) نسبة القصيدة التى منها هذا البيت إلى الشنفرى وأنه روى بها خاله تأبط شرأ غير صحيحة لأن الشنفرى مات قبل تأبط شرأ ورواه تأبط شرأ بأبيات مشهورة ومن رواها أبو الفرج الأصهبانى وابن الأنبارى وأولها

.. ويحتمل ان يريد بملت ثزلت وأقامت من الحلول الذي هو المقام لا من الحلول فكأنه وصف بلوغ جميع آرايه وحضور فنون لذاته وانها تكاملت بحلول الحمر التي فيها جميع الالذات وهذا الوجه وان لم يشر اليه أحده من تقدم في تفسير هذا البيت قلنا قول يحتمله ولا مانع من أن يكون مراداً وقد قيل انه أراد استحللنا الحمر لسكرنا وفقدنا العقول التي كنا نمتنع لها من الحرام والوجوه المقدمة أشبه وأقرب الى الصواب والله أعلم

ولقد تجوبُ بيَّ الفلاة إذا صامَ النهارُ وقالتِ العُفْرُ

أراد بصام - وقف وذلك وصفه بالامتداد والعلو - والعفر - الغطاء الارابي في ألوانها حمرة يحاطها كدرة - وقالت - من الفلاة وهي وقت نصف النهار لا من القول شدنية رعت الحما فأنت ملء الجبال كأنها قصر

- الشدية - من الابل منسوبة الى شدن موضع بلعبن يقال لشدة ذو شدن تأتي على الحاذين ذا خصل تماله الشذوان والخطر

- الحاذ - مؤخر الفخذ - والشذوان - رفع الناقة ذنبها من المرح - والخطر ان - معروف من الخطر يحذر - وتماله - أي عمله

أما إذا رفعت شامدة فتقول رلق فوقها نسر

يعنى - بشامدة - أي مبالغة في رفع ذنبها ويقال - رلق - الطائر اذا نشر جناحيه طائراً من غير تحريك

أما إذا وضعت خافضة فتقول أرخى ذونها ستر

وتسبأ أحياناً فتحسبها مترسماً يقتاده أثر

معنى - تسبأ - أي تدني رأسها من الأرض - والمترسم - متبع الرسم ومتأمله ومعنى يقتاده - أي هو معنى يطلب الأثر - وكل يتبعه .. ويقال أثر وأثر وإثر ثلاث لغات

على الشنفرى صوب القمام ورائح غدير الكلى وصيب الماء باكر
ولأن تأبط شرأ ليس بخال للشنفرى

وقد وهم الصولي في تفسير هذا البيت لأنه قال ان أيا نواس جمع لأن آثاراً ثم جمع الآثار أثرهم خفف فقال إثر وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما أوردناه وانما ذهب عليه أنه يقال في الأثر إثر

فإِذَا عَصَرْتَ لَهَا الزَّيْمَ سَمَا	فَوْقَ الْمَقَادِمِ مُطْلَمٌ حُرٌّ
فَكَأَنَّهَا مُصْنَعٌ لِنَسِيعَةٍ	بِمَعْصِ الْحَدِيثِ بِأُذُنِهِ وَقُرٌّ
تَبْرِي لَأَنْقَاضٍ أَضَرَّ بِهَا	جَذَبَ الْبُرَى فَخُدُودُهَا صَفَرٌ

معنى - تبرى - تبرى أى امرض لهذه الاغاض - والانقاض - جمع نقض وهو البعير الذى قد أهرله السفر والكدة - والبرى - جمع برة وهي الحلقة التى تكون فى أنف البعير يذل فيها

يَرْمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ	فَتَبَوُّوْا فَاغْتَبِهِمْ بِكَ الدَّهْرُ
أَنْتَ الْحَصْبُ وَهَذِهِ عَصْرُ	فَتَذُقْنَا فَكَلَا كَمَا يَجْزُ
لَا تَقْعُدَانِي عَنْ مَدَى أَمَلِي	شَيْئًا فَمَا لَكُمَا بِهِ عُدْرُ
وَبِحَقِّي لِي إِذْ صِرْتُ يَتْسَكُمَا	أَنْ لَا يَحْمِلَ بِسَاحَتِي قَصْرُ



مجلس آخر ٢٠

ثم نمود الى ما كنا آخذين فيه من ذكر مستحسن الجوابات .. روى أن رجلا نظر الى كثير الشاعر وهو راكب وأبو جعفر محمد بن علي عليه السلام يمشي فقيل له أركب وأبو جعفر يمشي فدل هو أمرني بذلك وأنا بطاعته في الركوب أفضل مني في عصياني إياه بالمشي .. وروى ان دعاء خراسان صاروا الى أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقالوا له أردنا ولد محمد بن علي فقال أولئك بالسراة ولست بصاحبكم فقالوا لو

أراد الله بنا خيراً كنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله أردت الخروج علينا فقال نحن نذل عابكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دوائكم .. وقال عبد الملك بن مروان لتصيب هل لك في الشراب فقال له نصيب الشراب مغفل واللون سمرّد وإنما قريخي إليك عني فبه لي .. وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولي منزماً كر عليهم بالسيف فقال لاطافة لي بذلك فقال والله لئن لم تفعل لأسوءك فقال وددت أنك تفسد على ذلك .. وقال يحيى بن خالد لشريك علنا بما عدك الله يا أبا عبد الله فقال له شريك إذا علمت بما تعلمون علناكم ما تمهلون .. وقال المأمون لمحمد بن عمران بلغني أنك بخيل فقال ما أجود في حق ولا أدوب في باطل .. وقيل لأبي دؤاد الأديدي ونظر إلى بنته تسوس فرسه أهنها يا أبا دؤاد فقال أهنها بكراً في كما أكرمها بهواني .. ومثل ذلك قول امرئ القيس لحقه ذل على باب السلطان

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ولن تكريم النفس التي لا تمينها

ودخل حمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه فقام رجل فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك فقال حمارة غضبني ضيعتي فقال المنصور قم يا حمارة فاقعد مع خصمك فقال حمارة ما هو لي بخضم فقال له كيف قال ان كانت الضيعة له فليست أنازعه فيها وان كانت لي فمى له ولا أقوم من مجلس شرفي به أمير المؤمنين لا أقعد في أدنى منه بسبب ضيعة .. وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة سلفي حاجتك فقال لا أسأل في بيت الله غير الله .. وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له ان الله تعالى يقول (قل ان ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تتمعون إلا قليلاً) فقال ذلك القليل تطلب .. وقيل ان الجعد بن درهم جعل في قارورة تراباً وماء فاستحال دوداً وهو ماء وقال لأصحابه إني خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه فباع ذلك جعفر بن محمد عليه السلام فقال ليقبل له كم هو وكم الذكران منه والأناث ان كان خاقه وكم وزن كل واحدة منهن وليأمر التي تسمى إلى هذا الوجه أن ترجع إلى غيره فانطلق وهرب .. وقال المأمون للفضل بن سهل إني أخاف عليك أقواماً يعادونك فلا تركب إلي إلا في جيش فقال الفضل ما أخاف غيرك فان أمنتني

من نفسك لم يضرني انسان .. وقيل لأبي ثور ما تقول في حماد بن زيد بن درهم وحامد
ابن سلفة بن دينار فقال بينهما في العلم كقيمة ما بين أبيهما من الصرف .. وأراد
المؤمن تعجيل السواد وجلس يناظر العمال على ذلك فقام اليه رجل من الدهاقين
فقال يا أمير المؤمنين ان الله ولاك علينا بالأمانة فلا تقبلنا فأضرب عن ذلك .. وقال
رجل لابن عباس زوجي فلانة وكانت بتيمة في حجره فقال لا أرضاعا لك لانها تتشرف
فقال الرجل قد رخصت أنا فقال ابن عباس الآن لا أرضاك لها .. وشبه هذا الخبر
من وجه ما رواه المدائني قال أرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام وأمره
أن يجمع بين إياس بن معاوية المروسي وبين القاسم بن ربيعة الجوشني من بني عبد الله
ابن عطفان فيولي القضاء أخذها فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما فقال إياس للشامي
أيها الرجل سل عني وعن القاسم ففيه المصير الحسن وابن سيرين فن أشارا عليك
بتوليته فوله وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ولم يكن إياس يأتيهما فعلم القاسم انه
ان سألها أشارا به فقال للشامي لا تسأل عني ولا عنه فوالذي لا إله إلا هو ان إياساً
أفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء فل كفت عندك عن يديك انه ليديني لك أن تقبل مني
وان كنت كاذباً فما يحل لك أن تواليني وأنا كاذب فقال إياس للشامي انك جئت برجل
فأفقت على شفير جهنم فافندي نفسه من النار أن تغلفه فيها بين حلفها كذب فيها يستغفر
الله منها ويخوفاً يخاف فقال الشامي أما إذ فطنت لهذا فاني أوليك فاستقضاء (١) ..
ولما أمضى معاويةبيعة ولده يزيد جعل الناس يقرظونه فقال يزيد لأبيه ما ندرى

(١) قوله فاستقضاء وفي غير الأصل بعدان استقضاء فلم يزل على القضاء مدة ثم مرب
ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن البصري فبكي إياس وقال بأبا سعيد بلغني ان القضاء
ثلاثة رجل مال به الموى فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل اجتهد
فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن ان فيما قضى الله تعالى في النبي داود ما يرد قول
مولاي ثم قرأ قوله تعالى (فمنهاها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً) فحمد سليمان ولم
يذكر داود

ألتجدهم الناس أم يتجدعوننا فقال يابني من خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته
 .. وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه وقد سمع صوت قصار يقول
 باليتي كنت غالياً أعيش بما أكسب يوماً بيوم فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي
 جعلهم عند الموت يترون ما نحن فيه .. وقال الواقفي للجاحظ يامانوي فقال لو كان
 الذي أسفنتني اليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عبوبه فكيف أكون على دينه ..
 وقال ابن عباس للخوارج وقد أرسله أمير المؤمنين إليهم استدركهم الله أيما أعلم بالتأويل
 والتزييل على أم أنتم فقالوا على فقال أليس تدرون لعل الذي حكم به فيكم بفضل علمه
 على ما لا تعلمون فرجع أكثرهم .. وقال عتبية بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس
 ما منع علي بن أبي طالب أن يجعلك أحد الحكيم فقال أما والله لو بعثني لأعترض
 مدارج أنفاسه أطير إذا أسف^(١) وأسف إذا طار ولعقدت له عقداً لا تنتقض مبررته
 ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدر^٢ ومضى أجل والآخرة خير لأمر المؤمنين من
 الدنيا .. وقال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام لكثير امتدحت عبد الملك بن
 مروان فقال له لم أقل له يا امام الهدى إنما قلت يا شجاع وشجاع حية ويا أسد والأسد
 كلب وباعث والغيث موات فتبسم أبو جعفر عليه السلام .. وقالت بنت عبد الله بن
 مطيع لأوجها يحيى بن طلحة ما رأيت ألام من أمهاتك إذا أيسرت لزموك وإذا أعسرت
 تركوك فقال هذا من كرمهم بأنولنا في حال القوة منا عليهم ويفارقوننا في حال الضعف
 منا عنهم .. وقيل لأبراهيم النخعي متى جئت قال حيث احتيج الي .. وروى رجل
 يصلي صلاة خفيفة فقال له ما هذه الصلاة فقال صلاة ليس فيها رياء .. وأخبرنا أبو
 عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأثر قال حدثنا محمد بن يزيد النخعي
 قال تزعج الرواة أن قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم ير مثله والآت لم
 يسمع بمثله فأراد أن يرى الناس عظم ما فتح ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم
 فأمر بداري ففرشت وفي بعضها قدور يرتقى إليها بسلايم وإذا الحصين بن المنذر بن الحارث

(١) قوله أطير إذا أسف يقال أسف الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه وقيل طار

على الأرض دانياً منها حتى كادت رجلاه يصلانها

ابن وعله الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحسين شيخ كبير فلما رآه
عبد الله بن مسلم أخو قتبية قال لقتبية أتأذن لي في معانته قال لا ترده فإنه خبيث الجواب
فأبى عبد الله إلا أن يأذن له وكان عبد الله بضعف وكان قد تدور حائطاً إلى امرأة
قبل ذلك فأقبل على الحسين وقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان فقال أجل أسن عمك
عن تدور الحيطان قال رأيت هذه التدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ما أحسب
بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو رآها سمي شعبان ولم يسم عيلان
فقال له يا أبا ساسان أنعرف الذي يقول

عَزَلْنَا وَأَمَرْنَا وَبَكَرَ بْنَ وَائِلٍ تَجَرَّ خِصَاها تَبْتَغِي مَنْ تَحَالَفَ

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وَخِيَّةٌ مَنْ يَحْبِبُ عَلِيَّ غَيٍّ وَبَاهِلَةٌ بَنَ يَعْصُرُ وَالرَّيَّابِ

قال أنعرف الذي يقول

كَأَنَّ فِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ بَنِ مَسْمَعٍ وَقَدْ عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

فَتَمَوْمُ قُتَيْبَةُ أُمِّهِمْ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلٍ

قال أما الشعر فأراك تزويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيئاً قال نعم أقرأ منه الكثير
الطيب (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) فأغضبه فقال
والله لقد بلغني أن امرأة الحسين حملت وهي حلي من غيره قال فما تحرك الشيخ من
هيئته الأولى ثم قال على رسلك وما يكون لله غلاماً على قراني فيقال ابن الحسين كما
يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتبية على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك .. واني شريك
الغري رجلا من بني تميم فقال له التميمي بعجني من الجوارح البازي فقال له شريك
وخاصة إذا صاد الفظ أراد التميمي يقول البازي قول جرير

أَنَا الْبَازِي الْمُطَّلُّ عَلَى نُبَيْرٍ أَتَبِعُ مِنَ السَّمَاءِ لَهُ أَنْصَابُهَا

وأراد شريك بقوله إذا صاد القطا قول الطرماح
 تيمم بطرق اللوم أهدي من القطا ولو سلك سبل الكارم ضلت
 .. وسائر شريك النخري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة تجاوزت بغلته برذون عمر فقال
 له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال عمر ما أردت ذلك قال شريك
 ولا أنا أردته ظن .. شريك ان عمر أراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير
 فمض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً^(١)
 وعنى شريك بقوله مكتوبة قوله

لا تأمنن فزارباً خلوت به علي قلوبك وأكثبها بأسيار^(٢)
 يعني - باكتبها - شدها .. وأشد أبو تمام الطائي أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التي
 يمدح فيها فلما بلغ الى قوله

في حلم أحنف في شجاعة عامر في جود حاتم في ذكاء إياس^(٣)
 فقال له الكندي وكان حاضراً ما صنعت شيئاً قال وكيف قال لأن شعراء دهرنا قد

(١) وهو من قصيدة مشهورة لجرير بن عطية الخطفي بهجو بها الراعي النخري
 وقومه ويقال لهذه القصيدة الفاضحة والدائمة .. ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير
 فأدماوا النظر اليها فذلت قبحك الله يا بني نمير ما قبأتم قول الله عز وجل (قل للمؤمنين
 يغضوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر * فضض الطرف إنك من نمير * الخ

(٢) قوله اكتبها بإسيار أي شدي حياها أي اختتمه بإسيار جمع سير وذلك لأن بني
 فزارة يرمون بنشيان الابل

(٣) الرواية المعروفة

أقدام عمرو في ساحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
 - عمرو - يعني به عمرو بن معد يكرب - وإياس - يعني به إياس بن معاوية قاضياً كان بالبصرة
 يوسف بالذكاو وكان من قوم يظنون الشيء فيكون كما يظنون حتى شهر أمرهم في ذلك
 (٢٧ - أمالي)

تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الي قول أبي الموك في أبي دلف
 رَجُلٌ أَتَرَعَى شِبَاعَةَ عَابِرٍ بِأَسَا وَغَيْرٍ فِي حُمَيَّا حَاتِرٍ
 فأنطق الطائي ثم رفع رأسه وأشد
 لَا تُشْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا شَرُّوَذَا فِي الْعَدَى وَالْبَاسِ^(١)
 فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِلنُّورِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

(١) قوله لا تشكروا الى آخر البيتين أى لا تشكروا قولى اقدمه كاقدم عمرو
 وذكاؤه كذكاؤه إبس وهو أذكى منه لأن الله تعالى قد شبه نوره بما هو أقل منه إذا
 كان المنبته به من أبلغ ما يعرفه الناس ضوء فقل مثل نوره كشكاة وهي الكوة ليست
 بتافذة وأصحاب التفسير يزعمون ان أصلها حبشي وأما لفظها فبدل على انها عربية من
 شكوت والبراس المصباح ويقال انه ليس بعربي . . وكان أبو تمام أنشد أحمد بن المنعم
 هذه القصيدة وليس فيها البيتان أعنى قوله لا تشكروا والبيت الذى بعده فقال يعقوب
 ابن اسحاق الكندى وكان يخدم أحمد الأمير أكبر من كل شئ من شبهته به فعبد
 هذه البيتين وزادها فى القصيدة من وقته فعجب أحمد وجميع من حضر من فطنه
 وذكاؤه وأضعف جائزته . . وروى انه لما مدح الخليفة بهذه القصيدة قل له الوزير أنشبه
 أمير المؤمنين بأجلاف العرب فأنطق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد البيتين فقال الوزير
 للخليفة أى شئ طابه فاعطاه فانه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً لأنه قد ظهر فى عينيه
 الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا يعيش الا هذا القدر فقال له الخليفة ما تشي
 قال أريد الموصل فاعطاه إياها فتوجه اليها وبقي هذه المدة ومات وهذه القصة لاصحة لها
 أصلاً وروى من غير هذا الوجه ان أبا تمام لما مدح محمد بن عبد الملك الزيات الوزير
 بقصيدته التى منها

دعته سمحة القياد سكوب مستغيت بها النوى المكروب
 لوسمت بقعة لاعظام أخرى لسي نحوها المكان الجديب

.. وقال ابن هبيرة لأبي دلالة وكان مولى لربي أمية لما ظهرت المروءة لأحفدك منهم
عبداً صالحاً يخدمك فلما علت كلمهم وفتت دعوتهم قال أبو دلالة لبت الله قيس لي منهم
مولى صالحاً أخدمه .. وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي أن خصالك
كاملة سوى حقد قبك فقال أنا خزانة تحفظ الخير والشر .. وقد نظر ابن الرومي الى هذا
المتى في قوله

وَالْحَفْدُ إِلَّا تَوَامُ الشُّكْرِ فِي الْفَتَى وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبُ إِلَى بَعْضٍ
فَحَيْثُ تَرَى حَقْدًا عَلَى ذِي إِشَاءَةٍ فَلَمْ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَرْضِ
إِذَا الْأَرْضُ أَذَتْ رُبْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ مِنْ الْبَذْرِ فِيهَا فَهِيَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضٍ
.. وقال الحجاج للحطيط الخارجي ما تقول في عبد الملك بن مروان قال ما أقول فيه رجل
أنت خطيئة من خطاياهم قال فهل هممت في قتل قال نعم ولكن حاك بيننا بيني وفتر
وقد أعطيت الله عهداً أن سألتني لأصدقك ولأن خلعت عنى لأطلبك ولأن عذبتني
لأصبرن لك فأمر بقتله .. أما - البين - فهي الأرض الواسعة .. قال ابن مقبل
بسر وحمير أبو ال بهال بها أَنِّي تَسَدَيْتُ وَهَنَا ذَلِكَ الْيَمِينُ^(١)

قال له ابن الزيات يا أبا تمام ألمك لشعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد
حسناً على بهي الجواهر في أجياد الكواعب وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة
إلا ويقصر عن شعرك في الموازنة وكان يحضرته فيلسوف فقال له أن هذا الفتى يموت
شاباً فقيل له ومن أين حكمت عليه بذلك فقال رأيت فيه من الحدة والذكاء والفتنة
مع لطافة الحس وجودة الخاطر ما نلت به أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل
السيف المهند غنمه وكذا كان لأنه مات وقد نيف على ثلاثين سنة

(١) قوله - بسر وحمير - قال الصاغاني والرواية من سر وحمير لا غير - وتسديت -
بفتح التاء على إرادة الخيال ويروى بكسرها وكسر كاف ذلك على إرادة ليل صاحبة
الخيال المذكورة في البيت قبله وهو

لم تسر ليل ولم تطرق لحاجتها من أهل ريمان إلا حاجة فينا

.. وقيل لأبي المناحية لما قال

عُتِبُ مَا لِلْخَيَالِ حِينَ يَتَنَّى وَمَالِي

خرجت من العروض فقال أنا أكبر من العروض .. وقال عبد الملك بن مروان لليهيم
ابن الأسود ما ملك قال قوائم من العيش وغني عن الناس فقيل له لِمَ لَمْ تخبر به فقال
ان كان كثيراً حسدني وان كان قليلاً ازدراى .. واختاب الأعمش رجلاً من أصحابه
فقطع الرجل على هيئة ذلك فقال له رجل من أصحابه قل له ما قلته حتى لا يكون غيبة
فقال له الأعمش قل له أنت حتى تكون نبيمة .. وقال معاوية لعمر بن العاص هل
غشيتني منذ نصحتني قل لا قال بلى يوم أشرت على بيمارزة علي وأنت تعلم من هو قال
عمرو ذلك رجل عظيم الخطأ الى المبارزة فكنت من مبارزته على إحدى الحسينين إما
أن قتله فنتلت ذل الأقران وازددت شرفاً الى شرفك وخلصت بملكك وإما أن قتلك
فتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين قال معاوية لهذه أشد علي من الأول فقال
عمرو فكنت في جهادك من شك فتذوب منه الساعة قال دعني منك الآن .. وقيل
للأحنف بن قيس وقد رأى مسيلة الكذاب كيف هو فقال ما هو بنو سائق ولا يثنى
حاذق .. وروى المبرّد قال قال زياد لأبي الأسود ادع لي لولا أنك قد كبرت لاشتأمت
بك في بعض أمورنا قال ان كنت تريدني للصراع فليس عندي وان كنت تريد رأبي
وعقلي فهما أوفر ما كانا .. وكان أبو الأسود حاضر الجواب جيد الكلام ملبح البادرة
.. وروي عن الشعبي انه قال قاتل الله أبا الأسود ما كان أعف أطرافه وأحضر جوابه
دخل على معاوية بالخبيلة فقال له معاوية أكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت
صانعاً قال كنت أجمع أئمة من المهاجرين وأئمتهم وأئمة من الأنصار وأئمتهم ثم أقول
يا معشر من حضر أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء قلعة معاوية وقال الحمد
له الذي كفناك .. وقد روى ان أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة وقال لا مبر
المؤمنين في وقت الحكيمين يا أمير المؤمنين لا أرض بأبي موسى فاني قد عجمت الرجل
وبلوت خلفت أشطرت فوجدته قريب القعر مع انه يمان وما أدري ما يبلغ نصحه
فابعثني فانه لا يحمل عبدة إلا عقدت له أشد منها وانهم قد وموك بمجر الأرض فان

قيل انه لا صحة لي فاجملني ثاني اثنين فليس صاحبهم إلا من تعرف وكان في الخلاف عليهم كلنجم فأبى عليه السلام .. وروى محمد بن يزيد النحوي ان أبا الأسود كان شبيهاً وكانوا يرمونه بالبدل فإذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا ما نحن نرديك ولكن الله يريك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما أخطأني .. وقال لهم يوماً يا بني قشير ما في العرب أحب اليّ طول بقاء منكم قلوا ولم ذلك قال لأنكم اذا ركبتم أسراً علمت انه غيّر فاجتنبه واذا اجتبئتم أسراً علمت انه رشد فاتبعته فإزعجوه الكلام فأنشأ يقول

يَقُولُ الْأَزْدَلُونَ بَنُو قَشِيرٍ طَوَالَ الدَّهْرِ لَا تَنْسَى عَلِيًّا

أَحِبُّ مُحَمَّدًا حَبِيبًا شَدِيدًا وَنَبِيًّا وَحَمِيزَةً وَالْوَصِيًّا

أَحِبُّهُمْ لِحُبِّ اللَّهِ حَتَّى أَجِي إِذَا بُعِثَ عَلَى هَوَا

فَإِنْ يَكُ حَبِيبُ رُشْدًا أَصْبَهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غِيًّا

فقالوا أشكت يا أبا الأسود فقال ألم تسمعوا الله تعالى يقول (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَمَلِ هَدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أفترى الله شك .. أما قوله - هوياً - فإنه لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور (١) مثل التقى والهوى والعصى .. قال أبو ذؤيب الهذلي

سَبِّحُوا هَوِيَّ وَأَعْنُقُوا إِسْبِيَاهُمْ فَتُخَرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرُوعٌ

.. وروى ان أبا الأسود دخل على معاوية فقال له أصبحت جيبلاً يا أبا الأسود فلو علمت نعمة تدفع العين عنك فقل أبو الأسود

(١) قوله يقولون ذلك في كل مقصور وأما غيرهم فيبقى النعمة لدل على ألف المنصور كحطفي بفتح الفاء جمع مصطفي بالمصفر وأما مصطفي بكسر الفاء فإنه جمع مصطف بالندس وتسلم ألف النية من القلب ياء اتفاقاً كسماهي إذ لا موجب لقبها وقول أبي الأسود هوي أصله هواي فقلت الألف ياء وأدعها فياء المتكلم ولا ينحصر قلب ألف المنصور ياء بأية هذيل بل حكاه عيسى بن عمر عن قريش وحكاها الواحد في البسيط عن طي

أَفْنَى الشَّبَابِ الَّذِي فَارَقَتْ بِهِ جَنَّتَهُ كَرَّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلَقٍ
 لَمْ يَتْرُكْ كَالِي فِي طَوْلٍ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْهِ لَذَنَّةَ الْحَدَقِ .
 ٠٠ وروى انه دخل يوماً السوق يشتري ثوباً فقال له رجل حلم أقاربك في هذا الثوب
 فقال ان لم تخارني بأعدتك ثم قال له بكم هو قل انما أعطيت به كذا كذا قال انما تخبرني
 عما فاتك ٠٠ وروى انه كان ماشياً في طريق فقال له راكب الطريق الطريق فقال له
 عن الطريق تعدلني ٠٠ ومرش أبو الأسود فقيل هو أسراة فقال ذلك أشدله ٠٠ وقيل
 ان امرأة أبي الأسود خاصته الى زياد في ولدها فقالت أيها الأمير ان هذا يريد أن
 يضلي على ولدي وقد كان بدني له وعاء وندي له سقاء وحجرى له نداء فقال أبو الأسود
 بهذا تريد أن تغليبي على أبي فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ووضعت قبل أن تضعه
 فقالت ولا سواك حملته خفيئاً وحملته قبلاً ووضعت شهوة ووضعت كرهاً فقال له
 زياد انها امرأة غائبة يا أبا الأسود فرفع اليها فخلق أن تحسن أدبه ٠٠ وقال رجل
 لأبي الأسود أنت والله ظرف لظف وظرف علم وودع حلم غيرك بخيل فقال وما
 خير ظرف لا يملك ما فيه ٠٠ ولم عليه اصراي يوماً فقال أبو الأسود كلمة مقولة فقال
 له أأذن في الدخول فان وراثة أوسع لك قول فقول عندك شيء قال نعم قال اطعمني قال
 عيالي أحق منك قال ما رأيت الأثم منك قال نديت نفسك ٠٠ وسأله رجل شيئاً فنصحه
 قال ما أصبحت حائماً فقال بلى قد أصبحت حائماً من حيث لا تدري أليس حاتم
 الذي يقول

أَمَاوِيٍّ إِمَّا مَا نَزَعَ فَمُبِينٌ وَإِمَّا عَطَاةً لَا يَشْتَهَرُ الزَّجَرُ^(١)

(٢) قالت ولهذا البيت حكاية عجبية وقعت بين الأصمى وأحد ولد حاتم ٠٠ قال
 الأصمى دفعت الى رجل من ولد حاتم بن عبد الله فسأله القرى فقال القرى واهة
 كثير ولكن لا سبيل اليه فقالت ما أحب عندك شيئاً فأمر بالجلعان فأخرجت مكربة
 بالزيد عليها وذُرَّ اللحم وإذا هو جاد في الماع فقالت والله ما أشبهت أبك حيث يقول
 وأبرز قدرى بالغناء قليلاً يرى غير معشون به وكثيرها

محلى مجلس آخر ٢١

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة السعوي قال لما ولي سليمان بن عبد الملك أفي يزيد بن أبي مسلم وولي الحجاج في جامعة وكان رجلاً دهاً تقتحمه العين فلما رآه سليمان قال لعن الله امرأاً أجرك رستك وولي ملك فقال يا أمير المؤمنين رأيتي والأمر عني مدبر ولو رأيتي والأمر علي مقبل لاستعظمت ما استعظرت ولا استجملت ما استعجرت فقال له سليمان أين ترى الحجاج أيهوى في الدار أم قد استقر فقال يا أمير المؤمنين لا نقل كذا إن الحجاج قع لكم الأعداء ووطأ لكم الدابر وزرع لكم الهبة في قلوب الناس وبعد فانه يأتي يوم القيامة عن يمين أليك وشمال أليك الوابد فضمه حيث شئت .. وروى أن خالد بن صفوان فآخر رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون الحجازة فقال له العبدري من أنت فقال أنا خالد ابن صفوان بن الأهم فقال له العبدري أنت خالد كمن هو خالد في النار وأنت ابن صفوان وقال الله تعالي (كمثل صفوان عليه ثراب) وأنت ابن الأهم والصحيح خير من الأهم فقال له خالد بن صفوان يا أخا بني عبد الدار أنكلام وقد هشتك هاشم وأمتك بنو أمية وغزمتك بنو عذرة وجمعتك بنو جهم فأنت عبد دارهم فتش إذا دخلوا وتفاق إذا خرجوا فقام العبدري محملاً .. وتقدم الأشعث بن قيس إلى شرح فقال له الأشعث تعالي بك يا ابن أم شرح لند عمك وإن شألك لشون فقال له شرح أنت امرأ تعرف النعمة في غرك وتساها في نفسك .. وروى أبو العيثاء عن العتي قال دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال

إليك فرزت منك ومن زياد
ولم أحسب دمي لكما حللاً

فقال لا أشبه في ذلك فقد أشبهته في قوله

أماوي إنما مالع فبين
وإنما عطاء لابنه الزجر

فأنا والله مانع مبين فرحلت عنه

فَإِنْ يَكُنِ الْهَجَاءُ أَحَلَّ قَتْلِي
تَرَى النَّعْرَ الْجَوَّاجِعَ مِنْ قُرَيْشٍ
فَيَأْمَأُ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ سَعِيدٍ
فَقَدْ قُتِلْنَا لِشَيْئِكُمْ وَقَالَا
إِذَا مَا الْأَرْفُ فِي الْحَدَثَانِ غَالَا
كَأَنَّهُمْ يَرْوُونَ بِهِ هَلَالَا

فأعمل كما عمل فرعون حتى أعمل كما عمل موسى • والثالث ان جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا الى يتكون حاملها فقلت ارضوا بواحد أسمع منه فرضوا برجل منهم فقال في العامل وأكثرت فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العدل فذهب أصحابه يتكلمون فسكنهم ثم قال صدقت يا أمير المؤمنين هو كما ذكرت فواس بين رعينك في العدل لصفته عنهم • • ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي على معاوية فقل له معاوية ما فعل الطرفات يميني طريفاً وطرافاً وطرفة قال قتلوا مع علي بن أبي طالب فقال ما أنصفك ابن أبي طالب قدم بنيك وأخبر بنيه فقال عدي بل ما أنصفته أنا أن قتل وعيت • • وكتب رجل الى صديق له يقترض منه شيئاً فأجابه يشكو ضيق حاله فكتب اليه ان كنت كاذباً فبعملك الله صادقاً وان كنت صادقاً فبعملك الله كاذباً وان كنت معذوراً فبعملك الله ملوماً وان كنت ملوماً فبعملك الله معذوراً • • وسمع الأحنف رجلاً يقول ما أحلم معاوية فقال لو كان حليماً ما سقته الحق • • ووصفه رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي ويحك وهل أغمد سيفه وفي قلبه على أحد شيء • • وقال زياد لرجل حضره أين منزلك فقال وسط البصرة قال فإلك من الولد قال تسعة فقبل لزياد ان داره في أقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل داري بين أهل الدنيا والآخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشر بنين فقدمت نعمة منهم فهم لي وبقي واحد لا أدرى أهو لي أم أنا له • • وقال رجل لابن سيرين إني وقعت فيك فاجعاني في حبل فقال ما أحب ان أحلك مما حرم الله عليك • • وخطب الحجاج يوم جمعة فأطال فقال له رجل ان الصلاة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فأمر به فحبس فجاءه أهله وشهدوا انه يمنون فقال ان أقر بالجنون أطلقتك فقبل له اعترف بذلك وتخاص فقال والله لأقول ان الله ابتلاني وقد عافاني • • وحدث الحسن البصري بحديث فقال رجل يا أبا سعيد ممن فقال وما تصنع بمن أمانت فقد نالكَ عطته وقامت عليك حجتة • • وقيل لعبد الله بن جعفر ونظر اليه بما كس في درهم فقبل له تماكس في درهم وأنت نجود بما نجود به فقال فإك مالي تجدت به وهذا عتلي بخلت به • • وروى ان أبا الميثاء محمد بن القاسم العامري حدث بعض الزبيريين فضائل أهله فقال له

الزبيري أعجب القوم الى هجر فقال له أبو العيناء نعم اذا أجذبت أرضها وعلم تحملها .. وكان أبو العيناء من أحضر الناس جواباً وأجودهم بديهة وأملهم نادرة .. وحكى عن أبي العيناء قال لما دخلت على المتوكل دعوت له ولكنه فاستحسن خطابي وقال لي يا محمد بلغني ان عليك شراً فقلت يا أمير المؤمنين إن يكن الشر ذكر الحسن باحائه والسيء باسامته فقد زكى الله تعالى وذم فقال في التزكية (نعم العبدُ إنه أواب) وقال في الذم (همأز مشأه بنهم . ناع للخير معتذر أنهم عئل بعد ذلك زهير) فذمه الله تعالى حتى قذفه وقد قال الشاعر

إِذَا أَنَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أَتَّيْ دَائِبًا وَلَمْ أَذْمُ الْجَيْشَ اللَّثِيمَ الْمُدْمَمَا
فَقِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِأَسْمِهِ وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا

وان كان الشر كفعل المغرب تسع النبي والذمي بطبع لا يجزى فقد صان الله تعالى عبدك عن ذلك .. وروى انه قال له يوماً إني لأفرق من لسلك فقال له ان الشريف لروقة ذو إحجام وان اللثيم ذو إمنة وإقدام .. وقال له يوماً وقد دخل عليه استنقتك والله يا أبا العيناء فقال له يا سيدي انما يشتد الشوق على العبد لأنه لا يصل الى مولاه فأما السيد فتى أراد عبده دعاه .. وروى انه قال له يوماً مابق أحد في مجلسي إلا اغتابك وذكمت عند ماجرى ذكرك غبري فقال أبو العيناء

إِذَا رَضِيتْ عَنِّي كَرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لِأَمَّا

.. وذكر أبو العيناء قال قال لي المتوكل كيف ترى داري هذه فقلت رأيت الناس بنو دورهم في الدنيا وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره .. وقال أبو العيناء قال لي المتوكل من أسخى من رأيت ومن أبخل من رأيت فقلت ما رأيت أسخى من أحد بن أبي دؤاد ولا أبخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله فقال رأيت بهرم القريب كما بهرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة فقال أجبت الى من أطرحته لسخيته والى من أسكته لبخته فقلت يا أمير المؤمنين ان الصدق ماعو في موضع من المواضع أنفق منه بمحضرتك والناس يفلطون ليمن ينسبونه الى السخاء فاذا نسب الناس

السخاء الى البرامكة فاما ذلك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد واذا نسبوا الحسن بن سهل
وأخاه الفضل الى السخاء فاما ذلك سخاء أمير المؤمنين المأمون واذا نسبوا أحمد بن أبي
دؤاد الى السخاء فذلك سخاء أمير المؤمنين المنتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد
الله بن يحيى الى السخاء فاما هو سخاؤك فاما بال هؤلاء القوم لا يذهبون الى السخاء قبل
محبتهم الخلفاء قال لي صدقت وسرني عنه . . وقال له المتوكل ما أشد عليك من ذهاب
البصر فقال له فقد رؤيتك مع اجماع الناس على جرائك . . وقال له يوماً أريدك للجلسة
قال لا أطيق ذلك وما أقول هذا جهلاً بما في هذا المجلس من الشرف ولكن أنا رجل
محبوب والمحجوب تختلف اشاراته ويخفى عليه إيساؤه ويجوز على أن أتكلّم بكلام
غضبان ووجهك راض وبكلام راض ووجهك غضبان و . . لم أميز بين هاتين هلكت
فقال صدقت . . وروى انه قال له لولا إنيك ضريرٌ لنادمتك فقال ان أعفيتني من رؤية
الأهله وقراءة نقش الخاتم فإني أصليح . . وقال له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس
ابن رستم فقال هما الحر والميسر وإنيهما أكبر من نفعهما قل بلفني إنيك تودها فقال لقد
ابتعت الضلال بالهدى والعذاب بالمغفرة . . وقال له يوماً أن سعيد بن عبد الملك يضحك
منك فقال ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . . وقال أبو العيناء قال
لي التصور ما أحسن الجواب فقلت ما أسكت المبتطل وحير الحق . . وقيل لأبي العيناء
ابراهيم بن نوح النصراني عليك عتاب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى
تبيع ملتهم . . ورآه رزقان وهو يضاحك نصرانياً فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى أولياء فقال أبو العيناء لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
. . وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال
أخبرنا أبو العيناء قال كان سبب اتصالي بأحمد بن أبي دؤاد ان قوماً من أهل البصرة
عادوني وادعوا عليّ دعاوى كثيرة منها إني رافضي فاحتجت الي ان خرجت عن البصرة
الى سر من رأى وألغيت نفسي علي ابن أبي دؤاد وكنت نازلاً في داره أجاله كل يوم
وبلغ القوم خبري فشخصوا نحوي الى سر من رأى فقلت له القوم قد قدموا من
البصرة بدأ عليّ فقال يد الله فوق أيديهم فقلت ان لهم مكرّاً فقالوا يكرّون ويكره الله

واقه خبر الماكرين فقلت هم كثيرون قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
فقلت له الله در القاضي هو واقه كما قال الصموت الكلابي

لله درك أي جنة خاضع ومتاع الدنيا أنت للحدثان
متخطط تطأ الرجال غلبه وطء الفتيق دوارج القردان
ويكبههم حتى كأن رؤسهم مأمومة تنحط للغربان
ويفرج الباب الشديديرتاجه حتى يصير كأنه بابان

وقال لابنه الوليد اكتب هذه الأبيات فكتبها بين يديه .. قال الصولي حفظي عن
أبي العيناء الصموت الكلابي على انه رجل وقال وكيع حفظي انها للصموت الكلابية
على انها امرأة .. ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فأنشئ عليه فأمر له بنشرة
آلاف درهم وقال واقه ما استكثر كثيرك أيها الأمير ولا استقل قبلك قال وكيف
ذاك قال لا استكثر كثيرك لانك أكثر منه ولا استقل قبلك لانه أكثر من كثير
غيرك .. وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوماً أعذرتني فاني مشغول فقال اذا فرغت
لم أحتج اليك .. وقال له يوماً قد تينت فبك الغضب يا أبا عبد الله فقال له قد أجل
الله قدرك من غضبي انما يغضب الرجل على من دونه فأما على من فوقه فلا ولكن
أحزنتي قصيرك فسميت حزني غضباً .. ويقال ان صاعد بن غلدة كان من أحسن من
أسلم ديناً وأكثرهم صلاة وصدقة فصار الي باب أبي العيناء مررات كثيرة بعقب اسلامه
لحجب فقيل له هو مشغول في صلاته فقال أبو العيناء لكل جديد لذة .. ودخل يوماً
الى أبي الصقر بن بلبل في وزارته فقال له يا أبا عبد الله ما أخرتك عنا فقال سرق حماري
فقال وكيف سرق قال لم أكن مع الذي سرقه فأخبر بما كان قال هلا أكثريت أو
استمرت أو اشتريت قال قمت في عن الشراء نشي وكرهت منه العواري وذلة المكارى
فوهب له حماراً ووصله .. وأدناه أبو الصقر يوماً ورهقه فقال تدبني حتى كأني بعضك
وتبمدني حتى كأني ضدك .. وقال يوماً لعبد الله بن سليمان وقد رهقه أيضاً الى كم
نزلني ولا ترهب في رأساً .. وقال له يوماً وقد سأله عن حاله أبا مئك مضبوط الظاهر

عروم الباطن .. وقال ان أبا علي البصير قال لأبي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معروفة في أي وقت ولدت قال قبل طلوع الشمس فقال أبو علي لذلك خرجت شحاذاً سالماً لأنه الوقت الذي يستبر فيه الدُّوَال .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العيناء قال ما رأيت قط أحسن شاهداً عند حاجة من ابن عائشة قالت له يوماً كان أبو عمرو الخزومي يصلك ثم جفك فقال

فإن تناً عناً لا تضرنا وإن تمدَّ تجدنا على العهد الذي كنت تعلم

وقال والله لا أدرى لمن هذا البيت فقلت ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق لما قال

تصرم مني وُدُّ بكر بن وائل وما خلت دهرى وُدُّهم يتصرم
قوارص تاتيني فيحتفرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقد كان نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير بن خرقاء المجلي بحية

لقد بوائك الدار بكر بن وائل وردت لك الأحشاء إذ أنت فحرم
ليالي تمني أن تكون حمامة بمكة يغشاها الشتا والمحرّم
فإن تناً عناً لا تضرنا وإن تمدَّ تجدنا على العهد الذي كنت تعلم

فقد ابن عائشة أنت والله ياني ممن ستصدق في العلم محالته وتكثر عايه دلائله .. وقال أبو العيناء يوماً لأبي الصقر بن بلبل وهو زائر أنت والله تقرب منا إذا احتجنا إليك وتبعد منا إذا احتجت اليناء .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وهذا يشبه قول إبراهيم بن العباس الصولي

ولكن الجواد أبا هشام وفي العهد ما مودّ المنيب
بطلحك ما استغثت عنه وطلّح عليك من الخطوب

ولعله مأخوذ منه فليس ينكر ذلك لانهما وان اجتماعا في زمان وأحد في بعض الأوقات فان أبا العيناء بقي بعد إبراهيم زماناً طويلاً لأن إبراهيم توفي في سنة ثلاث وأربعين

وماثين وأبا العبياء سنة اثنين أو ثلاث وثمانين وماثين وما حكى عنه من الكلام قاله
 لأبي الصقر في وزارته وكانت بعد وفات إبراهيم بن العباس الصولي بزمان طويل ..
 ويشبه بيتا إبراهيم أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حجر
 وَلَيْسَ أَخْوَاكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ الَّذِي يَذْمُكَ إِنْ وَلَّى وَيَرْضِيكَ مُقْبَلًا
 وَلَكِنَّهُ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا وصاحبك الأذنى إذا المرأعصلا
 ولا إبراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى أيضا وهو
 أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا هَيَّجَتْهُ وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَّرَا
 يَعْلَمُ الْآبَعْدُ إِنْ أَثَرَى وَلَا يَعْلَمُ الْأَذْنَى إِذَا مَا افْتَقَرَا

ويشبه أن يكون هذا مأخوذاً من قول الفقهي
 إِذَا افْتَقَرَ الْمَرَارُ لَمْ يَرْقُرْهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمَرَارُ أَيْسَرَ صَاحِبَهُ
 وبما يشبه قول أبي العبياء بعينه قول إبراهيم بن العباس أيضا
 فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبٍ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مَظْهَرُ الْبُلُوَى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتْ
 رَأَى خَاتِي مِنْ حَيْثُ يُخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنِهِ حَتَّى تَجَلَّتْ
 .. وقال المتنخل الهذلي

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ
 وهذا البيت الذي روينا له من جملة أبيات يرثي بها المتنخل أباه وقيل يرثي أخاه
 لَعَمْرُكَ مَا إِنْ أَبُو مَالِكٍ يُوَانِ وَلَا بَضْعِيفٌ قُوَاهُ^(١)

(١) قوله ما إن أبو مالك يورده التحويون على أن الباء تزداد بعد ما النافية المكسوفة
 بأن اتفاقاً وهذا يدل على أنه لا اختصاص لزيادة الباء في خبر ما الحجازية .. وقوله لعمر
 ما إن أبو مالك الخ اللام لام الابتداء وقائدها تؤكد مضمون الجملة وعمره بالفتح بمعنى
 حياتك مبتدأ خبره محذوف أي قسمي وجملة ما إن أبو مالك جواب القسم .. وأبو مالك

وَلَا بِاللَّدِّ لَهُ نَارِغٌ يُنَازِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَهَاهُ

فمعنى - نازع - أى خلق سوء - وينازي - أى يلاهي ويشتر
وَلَكِنَّهُ هَيْنَ لَيْنٌ كَمَالِيَةِ الرُّمَحِ عَزْدَنَاسُهُ^(١)

- العرد - الشديد يقال وتره صرّة وعينه بالنون أى شديد - والنساء - عرق معروف
أَدَا سُدَّتُهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ وَمَهْمَا وَكَلَّتَ إِلَيْهِ كِفَاهُ

معنى - سُدَّتُهُ - من المساودة التى هي المساررة والسواد هو السرار أيضاً كأنه قال إذا ساررته
طواعك وساعدك .. وقال قوم أنه من السيادة فكأنه قال إذا كانت فوقه سيداً له
أطاعك ولم يحمدك وإن وكلت إليه شيئاً كفأك وقوم يفسدونه إذا سته سست مطواعة

هو أبو الشاعر واسمه عويمر لأن المتدخل اسمه مالك بن عويمر ولم يصب ابن قتيبة فى
كتاب الشعراء فى زعمه أنه يرى أخاه أبا مالك عويمراً - ووان - اسم فاعل من وفى ونيأ
وونيا من باقى تعب ووعد بمعنى ضعف وقتد وروى بدله واه وهو أيضاً اسم فاعل من
وهى من باب وعد بمعنى ضعف وسقط - والقوى - جمع قوة بخلاف الضعف .. قال فى
الصحيح ورجل شديد القوى أى شديد أسر الخاق يريد أن أباه كان جليداً شهماً لا يكل
أمره الى أحد ولا يؤخره لعجزه الى وقت آخر

(١) قوله كمالية الرمح الخ - غالبية الرمح - ما دخل فى السنان الى ثك .. ومعنى كونه ليناً
كحالية الرمح أنه اذا دعى أجاب بسرعة كحالية الرمح فانه اذا هز الرمح اضطرب
وانهز لينه بخلافه من الأخشاب فانه لا يتحرك طرفه اذا هزت لصلابتها وبسها .. وقوله
عرد لاء - العرد - بفتح العين وسكون الراء المهملتين الشديد والضمير لأبى مالك
- والنساء .. قال الأصمعي بالفتح مقصور عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين
ثم يمر بالعروق حتى يبلغ الحافر فإذا سمعت الدابة اغلقت فخذها بلحمتين عظيمتين
وجرى النساء بينهما واستبان واذا هزلك الدابة اضطربت الفخذان وماجت الريلتان
وغنى النساء واذا قالوا أنه لشديد النساء فاعلموا به النساء نفسه .. وقال السكري أراه
فليظن موضع النساء

ولم أجد ذلك في رواية ^(١)

أَلَا مَنْ يَنَادِي أَبَا مَالِكٍ أَفِي أَمْرِنَا هُوَ أَمْ فِي سِوَاهُ
أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَهُ عَلَيَّ نَفْسُهُ وَمُشِعٌ غِنَاهُ

مجلس آخر ٢٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (سأصرفُ عن آياتي الذين يشكرون في الأرض بغير الحق وإن يزواك آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشده لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الذي يتخذوه سبيلاً) إلى غافلين .. فقال ما الجواب عن هذه الآية على ما يطابق العدل فإن ظاهرها كأنه مخالف .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها ما ابتدأناه فيها ومنها ما سبقنا به فخرناه واختارنا فيه من المطاعن وأجبتنا عما لعله يعترض فيه من الشبهة .. أولها أن يكون عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر في الآيات وعن المزم والكرامة الذين يستحقها من أدى الواجب عليه في آيات الله وأدرك وتمسك بها والآيات على هذا التأويل محتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات

(١) قوله ولم أجد ذلك في رواية قلت هذه الرواية التي لم يرها المؤلف أثبتها أبو تمام صاحب الحماسة في مختار أشعار القبائل - وسسته - من سست الرعية سياسة - والمطواع - الكشدير الطوع أى الانقياد والتأه لتأ كيد المبالغة وعلى هذا التفسير اقتصر السكري وهذا البيت يروى للمتخل كما تقدم ورواه في مختار أشعار القبائل لدى الأصبغ العدواني مع يثين آخرين وهما

وما إن أرسيد أبو مالك جوان ولا بضيف قواء
ولصكه حين لين كدلية الرمح عرد لسانه
فان سسته سست مطاوعة ومهما وكلت اليه كفاه

وأسيد - بفتح المعزة وكسر السين المهمة

الأنبياء خاصة وهذا التأويل يطابق الظاهر لأنه تعالى قال (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) فبين أن صرفهم عن الآيات مستحق بتشكيبهم ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه . . وثانيها أنه أراد أن يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات التي يظهرها الأنبياء عليهم السلام بعد قيام الحجة لما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لأنه تعالى إنما يظهر هذا الضرب من المعجزات إذا علم أنه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات وإذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين علم من حاطمهم أنهم لا يؤمنون عنها ويكون الصرف على أحد وجهين إما بأن لا يظهرها حجة أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينفع بها غيرهم . . فإذا قيل وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها . قلنا الفرق بينهما أن المعجز الأول يجب إظهاره لإزالة العلة في التكليف وإلغائه لعلم صدق الرسول المؤذي لنا ما فيه لطفنا ومصلحتنا فإذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والإطاف لزاح العلة وكان لاسبيل إلى معرفتها على الوجه الذي يكون عليه لطفاً إلا من قبل الرسول وكان لاسبيل إلى العلم بكونه رسولاً إلا من جهة المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرائع وإظهار المعجز على يده لتعلق هذه الأمور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين أن يعلم أن المبعوث إليهم الرسول أو بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين أن لا يعلم ذلك في وجوب البشارة وما يجب بوجوبها لأن تعريف المصالح بما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين أن يقع عنده الإيمان أو لا يقع وليس هذه سبيل ما يظهره من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها لأنه قد لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في إظهارها فائدة وكانت عبثاً فافترق الأمران . . فان قيل كيف يطابق هذا التأويل قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) ومعلوم أن صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقاً بذلك . قلنا يمكن أن يكون قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) لم يرد به تحليل قوله تعالى سأصرف بل يكون كالتعميل لما هو أقرب إليه في ترتيب الكلام وهو قوله تعالى (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدة لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الله يتخذوه سبيلاً) لأن من كذب بآيات الله وعدل عن تأملها والاعتداه

(٢٩ - أمالي)

بنورها ركب التي واتخذ سبيلاً وحاد عن الرشيد وضل ضلالاً بعيداً ورجوع اللفظة
ذلك الى ما ذكرناه أشبه بالظاهر من رجوعها الى قوله سأصرف لان رجوع اللفظ في
اللغة الى أقرب المذكورين اليه أولى . . ويمكن أن يكون قوله تعالى كذبوا بلفظ
الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجهه ان التكذيب لما كان معلوماً منهم لو أظهرت
لهم الآيات جمل كأنه قال ذلك بأنه متى أظهرنا لهم آياتنا كذبوا ويجرى ما ذكرناه أولاً
يجرى قوله تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) في انه بلفظ الماضي والمعنى
الاستقبال . . ونالها أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أوثيها من هذه صفته
واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظتين تفيد معنى واحداً . . وليس لأحد
أن يقول هل لا قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون والآيات ههنا هي المعجزات
التي تختص بها الأنبياء . . فان قيل فأي فائدة في قوله على سبيل التعليل ذلك بأنهم
كذبوا بآياتنا وأي معنى لتخصيصه الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وهل لا تؤتى
الآيات والمعجزات إلا الأنبياء دون غيرهم وان كان ممن لا يتكبر . . قلنا خروج الكلام
مخرج التعليل على هذا التأويل وجه صحيح لأن من كذب بآيات الله لا يؤتى معجزاته
لتكذيبه وكفره . وان كان قد يكون غير مكذب ويمتنع من إثباته الآيات علة أخرى
والتكبر والبني بغير الحق مانع من إثبات الآيات وان منع غيره ويجري هذا مجرى قول
العالم أنا لا أود فلاناً لغدره ولا يلزم اذا لم يكن غادراً أن يودّه لانه ربما خلا من الغدر
وحصل على صفة أخرى تمنع من مودته ويجوز أيضاً أن تكون الآية خرجت على
ما يجري مجرى السبب وأن يكون بعض الجاهل اعتقد في ذلك الوقت جواز ظهور
المعجزات على يد الكفار فأكدبهم الله تعالى بذلك . . ورابعها أن يكون المراد بالآيات
العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين ليدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمنين
والكافر فيقولوا بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم والاستخفاف كما تناول أهل
الحق الطابع والظلم الذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميزة بين
الكافر والمؤمن ويكون سأصرف عنها أي أعدل بها عنهم وأخص بها المؤمنين المصدقين
بآياتي وأنبيائي وهذا التأويل يشهد له أيضاً قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا

عنها غافلين) فيكون صرفهم عن هذه الآيات كالمستحسن لتكذيبهم واعراضهم عن آياته تعالى . . . وخامسها أن يريد تعالى إني أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها لان من الواجب على الله تعالى أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لانه يتنقض الغرض في البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) فتكون الآيات ههنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله التي يحملها الرسل والصرف وان كان متعلقاً في الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً بغيرها بما هو يتعلق بها فاذا ساغ أن يعلقه بالآيات والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ أن يعلقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحججة بها وعلى هذا التأويل لا يجعل قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) راجعاً الى ما صرف بل يرد الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى (وان يروا سبيل الرشـد لا يتخذوه سبيلاً) على ما بيناه في الوجه الثاني من تأويل هذه الآية . . . وسادسها أن يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من شهد على غيره بالانصراف عن شيء لجأز أن يقول صرف عنه كما يقال أ كفره وكذبه وفسقه وكما قال عز من قائل (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) أى شهد عليهم بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالى (فلما زاغوا عن الله فالغـم) وهذا التأويل يطابقه قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) لان الحكم عليهم بما ذكرنا من التسمية يوجب تكذيبهم وغفلتهم عن آيات الله واعراضهم عنها . . . وسابعها انه تعالى علم ان الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سيصرفون عن النظر في آياته والايان بها اذا أظهرها على أيدي رسله جاز أن يقول سأصرف عن آياتي فيريد سأظهر ما ينصرفون بغير اختيارهم عنه ويجري ذلك مجرى قولهم سأبخل فلاناً وأخطئه أى أسأله ما يبخل ببذله وأمتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى إني أفعل فيه البخل والخطأ والآيات على هذا الوجه جاز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى وجاز أن تكون جميع الأدلة ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) غير راجع الى قوله تعالى سأصرف بل الى ما قد متنا ذكره لنصح القائمة . . . وثامنها أن يكون الصرف ههنا معناه المنع من ابطال الآيات والحجج

والقدح فيها بما يخرجها من أن تكون أدلة وحججاً فيكون تقدير الكلام إني بما أؤيد من حجبي وأحكمه من آياتي ويثنى صارف للمكذابين المبطلين عن القدح في الآيات والدلالات ومنع لهم مما كانوا لولا هذا الأحكام والتأييد يعتزونه وبغتمونه من تمويههم الحق ولبسه بالباطل ويجري هذا مجرى قول أحدنا قد منع فلاناً أعداءه بأفماله الكريمة وطرائقه المدحوخة وأخلاقه المذمومة وصرفهم عن ذمة وأخرس ألسنتهم عن الطعن عليه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه . . فان قيل أليس في المبطلين من طعن على آيات الله وأورد الشبهة فيها مع ذلك . . قلنا لم يرد الله تعالى العرف عن الطعن الذي لا يؤثر ولا يشبه على من أحسن النظر وإنما أراد ما قد ضاع وقد يكون النقص في نفسه مطعوناً عليه وإن لم يظن عليه طاعن كما قد يكون بريئاً من الطعن وإن طعن فيه بما لم يؤثر فيه ألا ترى أن قولهم فلان قد أخرس أعداءه من ذمة وليس يراد به أنه منهم عن التفتظ بالذم وإنما المعنى أنه لم يجعل للذم عليه طريقاً ومجالاتاً ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا يرجع إلى ما قبله فلا فصل ولا يرجع إلى قوله سأصرف . . وناسخها أن الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأمهاته إهلاك عدوهم قال (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) وأراد غزوهم وأن يهلكهم (يصطلمهم ويخناهم على طريق العقوبة لهم بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى والرد لحججه والمراد عن طاعته وبشر من وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء بها وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم فقد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم من مشاهدتها والنظر فيها باقطاع التكليف عنهم وخروجهم عن صفات أهلها وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه أن العقوبة لا تكون إلا مضادة للاستخفاف والاهانة كما أن الثواب لا بد أن يكون مقترناً بالنجول والتمظيم وإمامة الله تعالى للآثم وما يفعله من بوار وإهلاك لا يقرن إليه مالا بد أن يكون مقترناً إلى العقاب من الاستخفاف ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن يقال لا يمتنع أن يضم الله إلى ما يفعله هؤلاء الكفار المتجبرين من الإهلاك الأمن والدم والاستخفاف ويأمرنا بإهلاكهم

وقتلهم على وجه الاستخفاف والتكامل ويضيف الله تعالى ذلك إليه من حيث وقع بأمره وعن أذنه .. فان قيل ما معنى قوله تعالى (يتكبرون في الأرض بغير الحق) كأن في التكبر ما يكون بالحق .. قلنا في هذا وجهان . أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التاكيد والتعليق والبيان على أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق وإن هذه صفة لازمة غير مفارقة وبجرى ذلك مجرى قوله تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) وقوله تعالى (فلما نفذهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق) ولم يرد تعالى إلا المعنى الذي ذكرناه ومثله قوله تعالى (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) ولم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير بل أراد به تأكيد القول بأن كل ثمن يؤخذ عنها يكون قليلاً بالإضافة إليها ويكون المتعوض عنها مقبوضاً مبخوساً خاسر الصفقة . والوجه الآخر أن في التكبر ما يكون ممدوحاً بأن من تكبر ونزه عن الفواحش والدنایا وتباعد عن فعلها وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح سالكاً لطريق الحق والتكبر المذموم هو الواقع على وجه الذخوة والبغي والاستطالة على ذوى الضعف والضعف عليهم والمباهاة لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذي يذب الله إليه وأرشد إلى الثواب المستحق عليه ويستحق بذلك الذم والمقت ولهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق في قوله تعالى في هذه السورة (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق) يحتمل أيضاً هذين الوجهين الذين ذكرناهما فان أردت به البغي المكروه الذي هو الظلم وما أشبهه كان قوله بغير الحق تأكيداً وإخباراً عن أنه بهذه صفة وإن أردت بالبغي الطلب وذلك أصل في اللغة كان الشرط في موضعه لأن الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق .. فان قيل فما معنى قوله تعالى (وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الذي يتخذونه سبيلاً) وهل الرؤية هنا العلم والادراك بلبصر وحب أنها يمكن أن تكون في قوله تعالى (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) محمولة على رؤية البصر لأن الآيات والأدلة مما تشاهد كيف نحمل الرؤية الثانية على العلم وسبيل الرشداً إنما هي طريقه ولا يصح أن يرجع بها إلى المذاهب والاعتقادات التي لا يجوز عليها رؤية البصر فلا بد أذاً من أن يكون المراد به رؤية العلم ومن علم طريق الرشداً

لا يجوز أن ينصرف عنه الى طريق الفهم لأن العقلاء لا يختارون مثل ذلك .. قلنا
الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه . أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر
ويكون السبيل المذكور في الآية هي الأدلة والآيات لأنها مما يدركه البصر وبسعي
سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى الرشد وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الفهم
هو التشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون والمذغلون في الدقيق فيوقعوا بها الشبهة على
أهل الايمان وتسمي بأنها سبيل الفهم وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الفهم من
حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها واغتر بأهلها انه يصير الى الفهم . والوجه الثاني أن
يكون المراد بالرؤية العلم إلا أن العلم لا يتناول كونها سبيلا للرشد وكونها سبيلا للفهم
بل يتناولها من هذا الوجه فلا ترى ان كثيراً من المبطلين يعلمون مذاهب أهل
الحق واعتقاداتهم وحججهم إلا أنهم يجهلون كونها صحيحة مفضية الى الحق فيجنبونها
وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة إلا أنهم يجهلون كونها باطلة
ويعتقدون صحتها بالشبهة فيصبرون اليها وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون الله تعالى
وصفهم بالفهم وترك الحق مع العلم به . والوجه الثالث أن يكونوا عالين بسبيل الرشد
والفهم ويميزين بينهما إلا أنهم لا ميل الى أعراض الدنيا والمذاهب مع الهوى والتشبهات
يعملون عن الرشد الى الفهم ويجهدون الحق وهم يعلمونه ويستنبطونه .. فان قيل فما معنى قوله
تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) والتكذيب لا يكون في الحقيقة
إلا في الأخبار دون غيرها .. قلنا التكذيب قد يطلق على الأخبار وغيرها ألا
ترى أنهم يقولون فلان يكذب بكذا وكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصدق
بكذا وكذا اذا كان يعتقد صحته ولو صرفنا التكذيب هنا الى أخبار الله تعالى التي
تضمنتها كتبه الواردة على أيدي رسله جاز فتكون الآيات هنا هي الكتب المنزلة دون
سائر المعجزات .. فان قيل فما معنى ذمه تعالى (ذلك بأنهم كانوا عن آياتنا غافلين)
والغفلة على مذهبكم من فعله لأنها السهو وما جرى مجراه مما يتنافى العلوم الضرورية
ولا تكليف على السامع فكيف يذم بذلك .. قلنا المراد هنا بالغفلة التشبيه بالحقيقة

ووجه التشبيه أنهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى والانتفاع بها أشبهت حالهم حال من كان ساهياً غافلاً عنها فأطاق عليهم هذا القول كما قال تعالى (صمُّ بكم عمي) على هذا المعنى ولهذا يقول الانسان لمن يستبطنه ويصفه بالاعراض عن التأمل والتبين أنت ميت وراقد لا تبصر ولا تسمع وما أشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله وكرمه واحسانه

تم الجزء الأول والله الحمد من كتاب أمالي السيد المرتضى
وبليه الجزء الثاني وأوله تأويل خبر ان سأل سائل الخ ٥٥
(والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)

﴿ فهرس الجزء الاول من كتاب أمالي السيد المرتضى ﴾

- (المجلس الاول)
- ٢ تأويل قوله تعالى : واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها الآية
- ٤ تأويل خبر : من أعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجزم
- ٧ مسألة القول بوجوب الاصالح عليه تعالى عند المعتزلة
- (المجلس الثاني)
- ٨ تأويل قوله تعالى : يسألونك عن الروح قل الروح الآية
- ٩ فصل في قوله تعالى : والارض مددناها وألقينا فيها رواسي الآية
- ١١ استطراد لتفسير اللعن في القول المراد به الكناية عند العرب
- ١٣ تأويل قول علي من أحبنا أهل البيت فليعد لنا مقر جلابيا
- ١٤ فصل في ذكر من كان من مشهوري الشعراء ومتقدمهم على مذهب المعتزلة
- ١٦ مسألة القول بتنفى الباري بالابصار على مذهب المعتزلة
- (المجلس الثالث)
- ١٨ تأويل قوله تعالى : فآلتي عصاه فإذا هي ثعبان مبين
- ٢٠ تأويل « و : واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم الآية
- ٢٤ تأويل خبر : ليس منا من لم يتغن بالقرآن
- ٢٨ الكلام على قوله تعالى : وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة
- (المجلس الرابع)
- ٣٠ تأويل قوله تعالى : وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله الآية
- ٣٣ تأويل « » : ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود
- ٣٦ مسألة تتضمن الكلام على المنافع التي عرض الله الاحياء لها
- (المجلس الخامس)
- ٣٨ تأويل قوله تعالى : وكذلك أوديناها قوما آخرين
- ٤١ تأويل خبر : ان أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل
- ٤٣ استطراد لترجمة الفرزدق وشي من أخباره وأشعاره
- (المجلس السادس)

- ٤٩ تأويل قوله تعالى : ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الآية
- ٥٣ تأويل خبر : عما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت
- ٥٤ تأويل خبر مارية القبطية أم إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم
- ٥٧ استطراد لذكر ما جاء عن العرب فيما يقال عن الثمر في الشهر كله
(المجلس السابع)
- ٥٩ تأويل قوله تعالى : ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى الآية
- ٦٢ استطراد لما جاء عن النجوين في أن الألوان والعيوب لا يتوجب منها بلفظ التصحيح
- ٦٥ تأويل خبر : تنفي الأرض أفلاذ كبدها مثل الأصطوان من الذهب والفضة الخ
- ٦٧ استطراد لذكر الخلفاء وشئ من خبرها وشعرها
(المجلس الثامن)
- ٧٠ تأويل قوله تعالى : وجاؤا على قميصه بدم كذب الآية
- ٧٢ تأويل خبر نعم المال أربعون والكثير ستون الحديث
- ٧٦ استطراد لذكر قيس بن عاصم سيد أهل الزبر وطرف من أخباره
- ٧٨ ترجمة أبي دعلج الجعفي وشئ من أخباره وشعره
(المجلس التاسع)
- ٨٣ تقرير عن الحكمة التكرار الواقع في سورة الكافرين والكلام على تأويل ذلك
- ٨٦ الحكمة في التكرار الواقع في سورة الرحمن ونظائره من كلام العرب
- ٨٨ كلام على الدهريين والزنادقة والمتهمين في صدر الإسلام
- ٨٩ ترجمة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأخباره في التهنك
- ٩٠ ترجمة حماد الراوية وشئ من أخباره في التهنك
- ٩٢ ترجمة حماد بن الزرقان . . . وحماد مجرد وأخبارهما في التهنك
- ٩٣ ترجمة عبد الله بن المقفع وأخباره في الزندقة وشئ من حكمه وأمثاله
- ٩٥ ترجمة عبد الكريم بن أبي العوجاء واعترافه بالكذب على النبي صلى الله عليه وسلم
- ٩٦ ترجمة بشار بن برد وزندقته وخبره مع واصل بن عطاء المعتزلي
(المجلس العاشر)
- ٩٨ ترجمة مطيع بن إلياس الكنتاني وزندقته
- ٩٩ ترجمة يحيى بن زياد بن عبد المدان وزندقته
- ١٠٠ ترجمة صالح بن عبد القدوس وتظاهره بالثنوية

- ١٠١ ترجمة أبي الحسن علي بن الحليل مولى يزيد بن يزيد الشيباني
- ١٠٣ الكلام على أصول أهل التوحيد والعدل وأنه مأخوذ من كلام سيدنا علي
- ١٠٦ استيراد ترجمة الحسن بن أبي الحسن البصري وشي من أخباره
(الجلس الحادي عشر)
- ١١٣ ترجمة واصل بن عطاء الغزال المعتزلي وأخباره
- ١١٤ مناظرة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في القول في المنزلة بين المنزلتين
- ١١٧ ترجمة عمرو بن عبيد المعتزلي الزاهد وأخباره
(الجلس الثاني عشر)
- ١٢٠ دخول عمرو بن عبيد على الخليفة المتصور وخبره معاه
- ١٢٤ ترجمة أبي الهذيل العلاف وأخباره وشرح مذهبه
- ١٢٨ استيراد ذكر خبر مهيبة المتألمس وشرح ذلك
(الجلس الثالث عشر)
- ١٣١ ترجمة أبي سهل بشر بن المعتز أحد وجوه النظار وأهل الكلام
- ١٣٢ ترجمة أبي اسحاق إبراهيم بن سيار النظام وشي من أخباره وأشعاره
- ١٣٤ استيراد للخبر المشهور عن ليلى في اختباره بهجاء البقلة وضمها وشرح ذلك
- ١٣٨ ترجمة أبي عثمان عمرو بن يحيى الجاحظ ونقب من أخباره وأشعاره
(الجلس الرابع عشر)
- ١٤٣ تأويل قوله تعالى : ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية
- ١٤٩ خبر قيس بن زهير العبسي ومجاورته النمر بن قاسط بعد يوم الهبابة وشرح ذلك
- ١٥٢ خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسي وشرح ذلك مع خبر يوم الهبابة وشرحه
(الجلس الخامس عشر)
- ١٥٤ تأويل قوله تعالى : مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الآية
- ١٥٧ تأويل خبر مداعبة النبي صلى الله عليه وسلم الحسين بن علي رضي الله عنهما وشرح ذلك
- ١٦٠ استيراد لترجمة معن بن زائدة الشيباني وذكر شي من أخباره
(الجلس السادس عشر)
- ١٦٤ تأويل قوله تعالى : أن الذين يكفرون بآيات الله ويمثلون النبيين بغير حق
- باب ذكر شي من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم
- ١٦٧ ترجمة الحارث بن كعب المدحجي المعمر وشرح كلامه

- ١٦٩ ترجمة عمرو بن دبيعة المعروف بالمتوغل المعمر وشرح كلامه
 ١٧١ ترجمة دويد بن زيد المعمر وشرح كلامه
 ١٧٢ ترجمة زهير بن جناب المعمر وشرح كلامه
 (المجلس السابع عشر)
 ١٧٦ ترجمة ذى الأصبع العدواني المعمر وشرح كلامه
 ١٧٧ خبر بنات ذو الأصبع الأربع وتزويجهن وشرح ذلك
 ١٨٣ ترجمة معد كرب الحويرى ٥٥ والربيع بن ضبيع الفزارى المعمرين
 (المجلس الثامن عشر)
 ١٨٥ ترجمة عبد المسيح بن بقة الغساني المعمر وشرح كلامه
 ١٨٨ ترجمة عبد المسيح بن بقة الغساني المعمر وشرح خبره مع خالد بن الوليد
 في شربه السم
 ١٩٠ ترجمة النافعة الجعدى المعمر وخبر دعائه صلى الله عليه وسلم له
 ١٩٢ استطراد لذكر خبر الجحاف ووقعته بإبشر في قوم الأخطل
 (المجلس التاسع عشر)
 ١٩٦ تقرير للمصنف في رد أنكار المذكورين على تطاول الأعمار وامتدادها
 ١٩٧ باب في الجوابات الحاضرة المستعجلة التي تسمى المسكنة وتمهد للمصنف في ذلك
 ٢٠٢ استطراد لشرح قصيدة أبي نواس التي مطلعها « يامنة امنها السكر »
 (المجلس العشرون)
 ٢٠٤ عود لذكر مستحسن الجوابات المسكنة
 ٢٠٧ خبر قتبية بن مسلم والحسين بن المذخر الرقائى
 ٢١٢ المأثور من الأجوبة المسكنة عن أبي الأسود الدئلي
 (المجلس الحادي والعشرون)
 ٢١٥ خبر صفوان بن الأهم ورجل من بني عبد الدار
 ٢١٧ المأثور من الأجوبة المسكنة عن أبي العيلاء
 ٢٢١ استطراد لذكر شيء من شعري أبي العباس الصولي والمتنخل الهذلي
 (المجلس الثاني والعشرون)
 ٢٢٤ تأويل قوله تعالى ٥٥ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض الآية
 (تم الفهرس)

الجزء الثاني من كتاب

أما إلى السيد الميرضي

الشريف أبي القاسم علي بن العلاء أبي أحمد الحسين المتوفي سنة ٤٣٦ هـ رضي الله عنه

في التفسير والحديث والأدب

الطبعة الأولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الطانجي وأخيه)

« حقوق الطبع محفوظة »

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعماني الحلبي)



(مطبعة السعادة بجزيرة محاذة مصر لصاحبها محمد اسماعيل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تأويل خبر] ٥٠ ان سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن بصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك ٥٥ وعما يرويه أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قلب آدمي إلا وهو بين أصبعين من أصابع الله تعالى فإذا شاء أن يثبت نبيه وان شاء أن يقلب قلبه ٥٥ وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأُم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقالت قلت يا رسول الله ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا أُم سلمة ما من آدمي إلا وقابله بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ما شاء أقام وما شاء أزاع ٥٥ فقال ماتأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وبني التشبيه أو ليس من مذهبكم ان الأخبار التي يخالف ظاهرها الأصول ولا تطابق العقول لا يجب ردها والقطع على كذب راويها إلا بعد أن لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل وان كان لها ذلك فباستكرام أو تمسك ولستم ممن يقولون ذلك في مثل هذه الأخبار فأتأويلها ٥٥ الجواب ان الذي يقول عليه من تكلم في تأويل هذه الأخبار هو أن يقول ان الأصبع في كلام الله - رب وان كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضاً الأثر الحسن يقال لفلان على ماله وإليه أصبح حسنة أي قيام وأثر حسن ٥٥ قال الراعي يصف راعياً حسن القيام على إبله ضعیف العصب بأدي العروق ترى إبه عليها إذا ما أجذب الناس إصبعا ٥٥ وقال طيفل الغنوي يصف غلاماً

كُنْتُ كَرُكْنِ الْبَابِ أَحْيَيْتَانِي مَقَالِيهَا فَأَسْتَحْشَمَتَيْنِ إَصْبَعُ

.. وقال لبيد بن ربيعة

مَنْ يَسْطُرِ اللَّهُ عَلَيْهِ إَصْبَعًا بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ بَأَيِّ أَوْلَمَا^(١)
يَمْلَأُ لَهُ مِنْهُ ذَنْبًا مَتْرَعًا

.. وقال حميد بن ثور

أَغْرُ كُلُّونِ الْبَذْرِ فِي كُلِّ مَنْكِبٍ مِنَ النَّاسِ نَعْمَى تَحْتَهَا إَصْبَعُ

.. وقال آخر

وَأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَبْنُ ذُو إَصْبَعٍ فِي مَسْبَاهِ ذُو فِطْنٍ

.. وقال آخر

أَكْرِمُ تَزَارَاوَأُسَقَةِ الْمُشْعَمَسَا فَإِنَّ فِيهِ خَصَلَاتٍ أَرْبَعَا

حَدًّا وَجُودًا وَنَدَى وَأَصْبَعًا

والأصبع في كل ما أوردناه المراد بها الأثر الحسن والعممة فيكون المعنى ما من آدمي إلا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين .. فان قيل هذا قد ذكر كما حكيتكم إلا انه لم يفصل ما النعمتان وما وجه التسمية ههنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى .. قلنا يمتثل أن يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة ونعم لانهما كالجنين أو كالوعين وان كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بأن عرفهم بأدلته وبراهينه ما أنعم به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل والبقاء في النعيم الطويل .. ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهما للأثر الحسن بالأصبع هو من حيث يشار اليه

(١) أشده في اللسان في مادة ص ب ع

من يجعل الله عليه إصبعًا في الخير أو في الشر بآلة بها

بالأصبع إعجاباً به وتبدياً عليه وعنده حادثهم في تسمية الشيء بما يقع عنده وبما له به علفة
وقد قال قوم في بيتي طافيل والرامي أنهما أرادا أن يقولاً يبدأ في مكان الأصبع لأن اليد
التيحة فلم يكنهما فعدلا عن اليد إلى الأصبع لأنها من اليد وفي الأصبع التي هي
الجارحة ثمان لغات • أصبع يفتح الألف والباء • وأصبع يفتح الألف وكسر الباء
وأصبع يضم الألف والباء • وأصبع يضم الألف ويفتح الباء • وأصبع يضم الألف
مع الواو • وأصبع بكسر الألف والياء • وأصبع بكسر الألف وفتح الباء • وأصبع
بكسر الألف وضم الباء • وفي هذه الأخبار وجه آخر وهو أوضح مما ذكر وأشبه
بمذاهب العرب في ملاحص كلامها وتصرف كتابتها وهو أن يكون المعنى في ذكر الأصابع
الإخبار عن تيسر تصريف القلوب وتغييرها والفعل فيها عليه جعلت عظمتها ودخول
ذلك تحت قدرته ألا ترى أنهم يقولون هذا الشيء في خصري وأصبعي وفي يدي وقبضي
كل ذلك إذا أرادوا تسميته وتيسره • وارتفاع الشقة فيه والمؤنة وعلى هذا المعنى يتأول
المحققون قوله تعالى (وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ مِجْمُورٌ)
فكانه صلى الله عليه وسلم لما أراد المبالغة في وصفه بالقدرة على قلب القلوب وتصريفها
بغير مشقة ولا كلنة وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه فقال أنها بين
أصبعين من أصابعه كناية عن هذا المعنى واختصاراً للنظم الطويل وجراً على مذهب
العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى مثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب أن يكون
مقدماً على الوجه الأول ومتممناً عليه لأنه راسخ جلي • ويمكن أن يكون في الخبر
وجه آخر على تسميم ما يترجمه الخائفون من أن الأصابع من مخلوقات من الماهم
(١) لا يخفى أن هذه الأجوبة لا مدخاية لها في السؤال ولو كانت فليس ذلك محلاً
له لأن البحث والسؤال ومحام، في معنى تصريفها كيف شاء وإذا شاء أن يثبت ثبته وإن
شاء أن يقلبه قلبه وما شاء أقام وما شاء أزاغ وأمتاها في أمثال معنى هذا الحديث
الشريف مما هو صريح في الجبر ورفع التكليف فإن هذا هو الباء العضال وموضع
انفصام العقول العقل لا في معنى الأصبع وجواز قراءة الأصبوع بما لا يسمن ولا
يفنى من جوع له من هاشم الأسفل

والدم استظهاراً في الحجة واقالة لها على كل وجه وهو أنه لا يشكر أن يكون القلب
يشتمل عليه جسمان على شكل الأصبعين بحركة الله تعالى بهما وبقلب بالفعل فيهما
ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا على شكلهما والوجه في اضافتهما الى الله
تعالى وان كانت جميع أفعاله تضاف اليه بمعنى الملك والقدرة لانه لا يقدر على الفعل فيهما
وتحريكهما منفردين عما جاورهما غيره تعالى فقبل انهما أصبعان له من حيث اختص
بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره إنما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب
من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه تنزداً عما مجاوره غيره
تعالى فمن أين للمبطلين المتأولين هذه الأخبار بأهولتهم وضعف آرائهم ان الأصابع
ههنا اذا كانت ملحوظة فهي جوارح من تعالى وما هذا الوجه الذي ذكرناه بعميد . وعلى
المأول أن يورد كل محذله الكلام مما لا تدفعه حجة وان ترتب بعضه على بعض في القوة
والوضوح ونحن نعود الى تفسير ما علمه أن يشبه من الآيات التي استشهدنا بها . وأما
قوله - حسداً وجوداً وندياً وأصبعاً - فعنى الحسد المضاء والنفاذ وقول الآخر
- وأوزنا - ليس فيه أن - فالأوزان العصى والأذن العقدة . . فأما قول حيد بن نور
- في كل متك من الناس - فالتك الجفاعة والتكيب الساجية . . وأما معنى آيات ليد فانه
أراد من يسبق الله اليه خيراً أو يقدرف عنه شراً فعل ذلك به وأسرع له حتى يذني منها .
. . فأما بيت لمخيل المتقدم فمعناه ان هذا الفعل الذي وصفه بأنه كعبت وأنه كركى الباب
لثامه وشدة لما ضرب في الابل الى وسبها عاشت أولادها التي هي بناته به . ان كن
منايات والمفالة التي لا يمشي لها ولد فكان هذا منه أراً جيلاً عليها . . فأما بيت الراعي
فعنى قوله - ضعيف العصا - يريد انه قليل الضرب لها أما لانه لا يجوز سداً أو تأوذاً
أو اشفاقه عليهن وهذه كناية في نهاية الحسن واختصار شديد لانه قد يجوز أن يكون
ضعيف العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاج الى استعمالها في الضرب فيختارها قوية
ويجوز أن يكون حذف وأراد ضعيف فعل العصا . . وقوله - يادي العروق - يعني عروق
رجله لفسادها من السمي في أثر هذه الابل وأراد - بالأصبع - ان له عليها في جذب
الناس أراً جيلاً لحسن قيامه وتمهده . . وقد قيل انه إنما سعى الراعي لبيت قالة في

هذه القصيدة بعد بيتين من البيت الذي أنشدناه وهو
 لها أمرها حتى إذا ماتت بؤات بأحقافها مأوى تبوأ مضجعا
 هذا قول الأسمي .. وقال السكري سمي بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضاً
 هذان أخو وطب وصاحب عليه يرى المجدان يأتي جلاء ومرتباً
 وروى عن بعض بني نمير أنه قال انما سمي بذلك لقوله

تبيت مراقبهم فوق زلة لا يستطيع بها القراء مقيلاً

فقال بعض بني نمير لما سمع هذا البيت والله ما هو إلا راعي إبل فبقيت عليه .. وقال
 محمد بن سلام انما سمي الراعي لكثرة وصفه الابل وحسن نعتها واسمه عبيد بن
 حميد بن جندل وكنيته أبو جندل وقيل أبو نوح

مجلس آخر ٢٣

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)
 ما المراد بالنفس في هذه الآية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله (ويحذركم الله نفسه) أو
 يخالفه أو يعالقي معنى الآيتين والمراد بالنفس فيها ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل اذا أحب العبد لقلبي أحببت لقلبي واذا ذكرني في
 نفسي ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا خدير منه واذا تقرب الى
 شبرا تقربت اليه ذراعاً واذا تقرب الى ذراعاً تقربت اليه باعاً أو لا يطابقه .. الجواب
 قلنا ان النفس في اللغة لها معان مختلفة وزججوه في التصريف متباينة .. فالنفس نفس الانسان
 وغيره من الحيوان وهي التي اذا فقدت ما خرج عن كونه حياً ومنه قوله تعالى (كل نفس
 ذائقة الموت) .. والنفس الأنفة من قولهم ليس له ان نفس أي لا أنفة له .. والنفس
 الإرادة من قولهم نفس فلان في كذا أي ارادته .. قال الشاعر

فَنَفْسَايَ نَفْسٌ قَالَتْ أَنْتَ ابْنُ بَحْدَلٍ تَحْبِدُ فَرَجًا مِنْ كُلِّ غَمٍّ تَبَاهِيهَا
وَنَفْسٌ تَقُولُ أَجْمَدُ نَجَاكَ فَلَا تَكُنْ كَخَاضِيقَةِ لَمٍ يَفْنَى شَيْئًا خِضَابُهَا

ومنهان رجلا قال للحسن البصري يا أبا سعيد لم أحجج قط فنفس تقول لي حج ونفس
تقول لي تزوج فقال الحسن أما النفس فواحدة ولكن لك هم يقول حج وهم يقول
تزوج وأمره بالحج .. وقال الميموني العبدى ويروى لعقر بن حمار البارقى

أَلَا مَنْ لَعِينٍ قَدْ نَاهَا حَمِيمُهَا وَأَرْزَقَنِي بَعْدَ الْمَنَامِ هُمُومُهَا
فِيَا أَتَ لَهَا نَفْسَانِ شَتَّى هُمُومُهَا فَنَفْسٌ تَعَزِّي بِهَا وَنَفْسٌ تَلُومُهَا

.. وقال النمر بن تولب العكلى

أَمَّا خَلِيلِي فَإِنِّي لَسْتُ مُعْجِلُهُ حَتَّى يُؤَامِرَ نَفْسِيهِ كَمَا زَعَمَا

نَفْسٌ لَهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ صَالِحَةٌ تُعْطِي الْجَزِيلَ وَنَفْسٌ تَرْضَعُ الْغَنَمَا

أراد أنه بين نفسين نفس تأمره بالجلود وأخرى تأمره بالبخل وكفى برضاع الغنم عن
البخل لأن البخيل يرضع اللبن من الشاة ولا يملأها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب
فيبتدى إليه ومنه قيل لثيم راضع .. وقال كثير

فَأَصْبَحْتُ ذَا نَفْسَيْنِ نَفْسٍ مَرِيضَةٍ مِنْ النَّاسِ مَا يَنْفَكُ هُمْ يُعَوِّدُهَا

وَنَفْسٍ تُرْجِي وَصَالَهَا بَعْدَ حَرَمِهَا تَجْمَلُ كَيْ يَزْدَادَ غِيظًا حَسُودُهَا

.. والنفس العين التي تصيب الانسان يقال أصابت فلانا نفس أبيه .. وروى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى فيقول بسم الله أرتيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك
وداء هو فيك من كل عين عائن ونفس نأفس وحسد حاسد .. وقال ابن الأعرابي
النفس التي تصيب الناس بالنفس وذكر رجلا فقال كان والله حسوداً نفوساً كذوباً
.. وقال عبيد الله بن قيس الرقيات وهو قرشي

يَذْمِي أَهْلَهَا النَّفُوسَ عَلَيْهَا قَمَلِي نَحْرَهَا الرُّقَى وَالتَّمِيمِ

•• وقال مضر بن القهمسي

وَإِذَا عَوَّا صُعُودًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ
مِنَّا الْخَيَالُ وَلَا نُفُوسُ الْحُسُودِ

•• وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك

فَأَسْلَمَ سَلِمَتْ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالرَّذَى وَعِثَارِهَا وَوُقِيَتْ نَفْسُ الْحُسُودِ

•• والنفس أيضاً من الدباغ بمقدار الدبغة يقول اعطى نفساً من دباغ أي قدر ما أدبغ به

مرة •• والنفس الغيب يقول القائل إني لا أعلم نفس فلان أي غيبه وعلى هذا تأويل قوله

تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) أي تعلم غيبي وما عندي ولا أعلم غيبك

•• وقيل إن النفس أيضاً العقوبة من قولهم أحذرك نفسي أي عقوبتي وبعض المفسرين

يحمل قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه) على هذا المعنى كأنه يحذركم عقوبته •• وروى

ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرين قالوا •• معنى الآية ويحذركم الله إياه •• وقد روى

عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) ما ذكرناه

من التأويل بعينه •• فان قيل ما وجه تسمية الغيب بأنه نفس قلنا لا يمنع أن يكون

الوجه في ذلك أن نفس الإنسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجهده في ستره

منزلتها وسمي باسمها ف قيل فيه أنه نفسه بمبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وانما حسن

أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه عليه الصلاة والسلام ولا أعلم ما في نفسك من حيث تقدم

قوله تعالى (تعلم ما في نفسي) ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداءه أن يقول أنا

لا أعلم ما في نفسي الله تعالى وإن حسن على الوجه الأول ولهذا نقلا في الاستعمال

مشهورة مذكورة •• فأما الخبر الذي يرويه السائل فتأويله ظاهر وهو خارج على

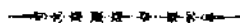
مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه أن من ذكرني في نفسه جازيته على

ذكره لي وإذا قرب الي شراً جازيته على تقربه الي •• وكذلك الخبر إلى آخره فسمى

المجازاة على الشيء باسمه اتساعاً كما قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها •• ويمكرون

ويكر الله •• الله يستهزئ بهم) •• وكما قال الشاعر

أَلَا لَا يَهْتَلِنُ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَهْجَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ



[تأويل آية] .. ان أسألك فقال ما تأويل قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذَا زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَاسَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرُ وَتَنْظُرُونَ بِاللَّهُ الظُّنُونَا﴾ وكيف يجوز أن تباع القلوب الحناجر مع كونهم أحياء ومعلوم أن القلب إذا زال عن موضعه انحلق فيه مات صاحبه وعن أي شيء زَاغَتِ الأبصار وبأي شيء تملأت ظنونهم بالله تعالى .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه .. منها أن يكون المراد بذلك أنهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم وخافوا من بواشهم وبوادهم ومن شأن الجبان عند العرب إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سجره أي رثته وليس يمتنع أن تكون الرثة إذا انتفخت وفعت القلب ونهضت به إلى نحو الحنجرة وهذا التأويل قد ذكره الفراء وغيره ورواه النكائي عن أبي صالح عن ابن عباس .. ومنها قيل ان القلوب توصف بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهللج ..

•• وقاب امرؤ القيس

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قَدَارِ أَنْ ظَلَمْتُهُ كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنِ أَغْفَرَا

ويرى في قدر خللته أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالفق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار وأما خص الظبي لأن قرنه أكثر تحركاً ونشاطاً واضطراباً لنشاطه ومرجه وسرعته .. وقد قال بعض الناس إن امرأة القيس لم يصف شدة أليته في

هذا البيت فيابق قوله على قرن أعفرا بالتأويل المذكور بل وصف أما كن كان فيها
 مسروراً بمتعمداً ألا ترى الى قوله قبل هذا البيت بلا فصل
 أَلَا رَبُّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ بِتَأْذِينِ ذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرَطَرَا
 فيكون معنى قوله على قرن أعفرا على هذا الوجه انه كان على مكان عال مشرف شبه
 لارتفاعه وطوله بقرن الغابي وهذا القول لابن الاعراب والاول للأصمعي . . فأما
 قول الآخر

أَلَا قُلَّ خَيْرُ الشَّائِنِ كَيْفَ تَغَيَّرَا فَأَصْبَحَ يَرْمِي النَّاسَ عَنْ قَرْنِ أَعْفَرَا
 فلا يشتمل الا لشدة والحال المذموم ويجوز أن يريد أن الناس فيه غير مطمئنين بل هم
 منزعجون فاقون كأنهم على قرن ظبي ويحتمل انه يعلمهم بقرن ظبي كقولك رماه بداهية
 ويكون معنى عن ههنا معنى الباء فقال عن قرن أعفرا وهو يريد بقرن أعفرا وقد ذكر
 في هذا البيت الوجهان معاً فيكون معنى الآية على هذا التأويل ان القلوب لما اتصل
 وجيبها واضطربت بامت الحناجر لشدة الفراق . . ومنها أن يكون المعنى كادت القلوب
 من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر وان لم تبلغ في الحقيقة فالتى ذكر كادت لوضوح
 الأمر فيها ولفظة كادت ههنا للمقاربة مثل قول قيس بن الخطيم

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَالْعَارِازِ الْمَذْهَبِ لَعَمْرَةَ وَحَشَاغَيْرِ مَوْقِفٍ رَاكِبِ
 ذِيَارِ التِّي كَادَتْ وَتَحْنُ عَلَى مَنِي تَحِلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاهُ الرَّكَائِبِ
 مضاه قاربت أن تحل بنا وان لم تحل في الحقيقة . . وقوله - غير موقوف راكب - فيه
 وجهان أحدهما انه ليس بموضع يتقف فيه راكب ظلوه من الناس ووحشته والآخر
 أن يكون أنه أراد وحش إلا أن راكباً وقف به يعني نفسه . . وقال نصيب
 وَقَدْ كَذَبْتُ يَوْمَ الْحُزْنِ لِمَا تَرَمَّتْ هَتُوفُ الضُّعْفَى حَزُونَةً بِالْتَرْتَمِ
 أَمُوتُ لِبَسْكَاهَا أَسِيَّ إِنَّ لَوْعَى وَوَجْدِي بَعْدَى شَجْوَةٍ غَيْرَ مُنْجَمِ
 معني - التجم - الملقم . . وقال ذو الرمة

وَقَفْتُ عَلَى رَنْجٍ لَيْمَةٍ نَاقَتِي فَمَازَلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَاخْاطِبُهُ
وَأَسْفِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَثْبُهُ تَكَلَّمَنِي أَحْبَارُهُ وَمَلَأَعَنِي

وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة وفي أدخلت العرب على كاد جعداً فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهتان أجودها قام عبد الله بعد إبطاء ولاي ومثله قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) أي بعد إبطاء وتأخر لأن وجد ان البقرة عسر عليهم .. وروى انهم أصابوها لبثيم لآمال له غيرها فاشتروها من وليه بملء جلد لها ذهباً فقال تعالى (وما كادوا يفعلون) إما لانهم لم يفتوا عليها أو اغلاظها وكثرة ثمنها .. والوجه الآخر في قولهم ما يكاد عبد الله يقوم أي ما يقوم عبد الله وتكون لفظة يكاد على هذا المعنى طريحة لاحكام لها وعلى هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى (إذا أخرج يده لم يكده يراها) أي لم يرها أصلاً لانه عز وجل لما قال (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) كان بعض هذه الظلمات يحول بين العيون وبين النظر الى اليد وسائر المناظر فيكد على هذا التأويل زيدت للتوكيد والمعنى اذا أخرج يده لم يرها .. وقال قوم معنى الآية اذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر لكاتب الظلمة وتوارد الموانع من الرؤية فيكد على هذا الجواب ليست بزيادة .. وقال آخرون معنى الآية اذا أخرج يده لم يرد أن يراها لان ما شاهده من تكاثف الظلمات آتية من تأمل يده وقرر في نفسه انه لا يدركها ببصره .. وحكى عن العرب أولئك أصحاب الذين أكاد أنزل عليهم أي أريد أن أنزل عليهم .. وقال الشاعر

كَادَتْ وَكَدَتْ وَتِلْكَ خَيْرُ إِزَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَبِو الصَّبَابَةِ مَا مَضَى

أي أرادت وأردت .. وقال الأفوه لأودي

فَإِنْ تَجَمَّعُ أَوْ تَادُ وَأَعْمِدَةٌ وَسَا كُنْ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا

أي أرادوا .. وقال بعضهم معنى قوله تعالى (كذلك كدنا ليوسف) أي أردنا ليوسف .. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس معناه كذلك معناه ليوسف .. ومما يشهد

لمن جعل لفظة بكذ زائدة في الآية .. قول الشاعر
سَرَّيْعٌ إِلَى الْهَيْجَاءِ شَالِكُ سِلَاحِهِ فَمَا أَنْ يَكَاذُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ

أى فان يتنفس قرنه وبكاذ . زيدة للتوكيد .. وقال حسان

وَتَكَادُ تَكْسُلُ أَنْ تَحْيِيَ فِرَاشَهَا فِي جِسْمِ خَزَعْبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ

ومعناه وتكسل أن تحيى فراشها .. وقال الآخر

وِإِلَّا أَلَوْمُ النَّفْسِ فِيمَا أَصَابَنِي وَإِلَّا أَكَاذُ الَّذِي نَلْتُ أَنْجَحُ

أى لا أنجح بالذى نلت ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحاً .. وروى عبد

الصمد بن المعدل بن غيلان عن أبيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة

فأنشدنا بالكناسة وهو على راحته قصيدته الحادية التي يقول فيها

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْذُ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرُحُ

فقال له عبد الله بن شبرمة قد يروح يادا الرمة فمكر ساعة ثم قال

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرُحُ

قال فأخبرت أبى بما كان من قول ذى الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه فقال أخطأ

ذو الرمة في رجوعه عن قوله الأول وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه هذا كقوله

عز وجل (إذا أخرج يدك لم يكذب يراعها) أى لم يرها .. فأما قوله عز وجل (إن

الداعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس) فيحتمل أن يكون المعنى أريد إخفاءها

لكي تجزى كل نفس بما تسعى ويجوز أن تكون زائدة ويكون المعنى ان الساعة آتية

أخفيها لتجزى كل نفس .. وقد قيل فيه وجه آخر وهو أن يتم الكلام عند قوله

تعالى (إن الساعة آتية أكاد) ويكون المعنى أكاد آتي بها ويقع الابتداء بقوله تعالى

(أخفيها لتجزى كل نفس) .. ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابط البرجمي

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَذْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَيَّ عَشْمَانَ تَبْكِي حَلَاكُهُ

أراد وكذت أفعله وكذت الفعل لبيان معناه .. وروى عن سعيد بن جبير انه كان يقرأ

أَكَادُ أَخْفِيهَا فَعَنِي أَخْفِيهَا عَلَى هَذَا وَجْهِ أَظْهَرَهَا ٠٠ قَالَ عَبْدُكَ بْنُ الطَّيِّبِ يَصِفُ نُورًا
يُخْفِي التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعِ مَسْنُونِ الْأَرْضِ تَحْلِيلُ
أَرَادَ أَنَّهُ يَظْهَرُ التُّرَابُ وَيَسْتَخْرِجُهُ بِأُظْلَافِهِ ٠٠ وَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ
فَإِنْ تَذَنَّفُوا الذَّاءَ لَا تَخْفَهُ وَإِنْ تَبَعْتُوا الْحَرْبَ لَا تَقْعُدُ
أَيُّ لَا يَظْهَرُ ٠٠ وَقَالَ الْفَارَابِيُّ

تُخْفِي بِأُظْلَافِهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ يُبْسُ الْكَثِيبِ تَدَاعَى التُّرَابُ فَأَنْهَدَمَا
وَقَدْ رَوَى أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ أَخْفَيْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى سَتَرْتُهُ وَأَخْفَيْتُهُ بِمَعْنَى أَظْهَرْتُهُ وَكَأَنَّ الْقِرَاءَةَ
بِالضَّمِّ مُحْتَمَلَةٌ الْأَمْرَيْنِ الْأَظْهَارِ وَالسِّرِّ وَالْقِرَاءَةُ بِالضَّمِّ لَا تُحْتَمَلُ غَيْرُ الْأَظْهَارِ وَإِذَا كَانَتْ
بِمَعْنَى الْأَظْهَارِ كَانَ الْكَلَامُ فِي كَادٍ وَاحْتِمَالُهُ لِلْوُجُودِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا كَالْكَلَامِ فِيهَا
إِذَا كَانَتْ بِمَعْنَى السِّرِّ وَالنَّفْطِيَّةِ ٠٠ فَإِنْ قِيلَ فَأَيُّ مَعْنَى لِقَوْلِهِ إِنِّي أَسْتَرُّهَا لِتَجْزَى كُلَّ
نَفْسٍ بِمَا نَسَى وَأَظْهَرَهَا عَلَى الْوُجْهِينِ جَمِيعًا وَأَيُّ ذِكْرٍ فِي ذَلِكَ ٠٠ قَالُوا هَذَا وَجْهِ فِي هَذَا
ظَاهِرٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِذَا سَتَرَ عَنَّا وَقْتُ السَّاعَةِ كَانَتْ دَوَاعِينَا إِلَى فِعْلِ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ مُتَرَدِّدَةً
وَإِذَا عَرَفْنَا وَقْتُهَا بَعَيْنُهُ كَمَا مَا يَهْدِي إِلَى الثَّوْبَةِ بَعْدَ مَقَارِفَةِ الذُّنُوبِ وَنَقُصَ ذَلِكَ الْغَرَضُ
بِالتَّكْلِيفِ وَاسْتَحَقَّ التُّوَابَ بِهِ فَصَارَ مَا أُرِيدُ بِهِ مِنَ الْمَجَازَةِ لِلْمُكَلِّفِينَ بِمَعْنَاهُمْ وَاتِّصَالَ
تُوَابِ أَعْمَالِهِمْ بِمَنْعٍ مِنَ الْإِطْلَاقِ عَلَى وَقْتِ انْقِطَاعِ التَّكْلِيفِ عَنْهُمْ فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لَفْظَةً
أَخْفِيهَا بِمَعْنَى الْأَظْهَارِ فَوَجْهُهُ أَيْضًا وَاضِحٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَقِيمُ الْقِيَامَةَ وَيَقْطَعُ التَّكْلِيفَ
لِيَجْزَى كُلًّا بِاسْتِحْقَاقِهِ وَبِوَفْقِهِ مَا تَحَقَّقَ التُّوَابُ ثَوَابِهِ وَيَمَاقِبُ الْمَسِيءِ بِاسْتِحْقَاقِهِ فَوَضَحَ
وَجْهَ قَوْلِهِ تَعَالَى (أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزَى كُلَّ نَفْسٍ بِمَا نَسَى) عَلَى الْمَعْنَيْنِ جَمِيعًا قَالَ
الْمُرْتَضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٠٠ وَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ يَطْلَعُ عَلَى جَوَابٍ مِنْ
أَجَابَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَبَلَغْتَ الْقُلُوبَ الْحَاجِرَ) بِأَنَّ مَعْنَاهُ كَادَتْ تَبْلُغُ الْحَاجِرَ وَيَقُولُ
كَادَ لَا تَضْمُرُ وَلَا يَدُ أَنْ يَكُونَ مُتَطَوِّقًا بِهَا وَلَوْ جَازَ ضَرْمُهَا لَجَازَ أَنْ يَقَالَ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
بِمَعْنَى كَادَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُومُ فَيَكُونُ تَأْوِيلُ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ لَمْ يَقُمْ عَبْدُ اللَّهِ لِأَنَّ مَعْنَى كَادَ عَبْدُ اللَّهِ
يَقُومُ لَمْ يَقُمْ وَمَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ غَيْرُ صَحِيحٍ وَغُلَّانُ أَنَّ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى الطَّلَعِ فِي هَذَا وَجْهِ

حكايته له عن ابن قتيبة لان من شأنه أن يرد كل ما يأتي به ابن قتيبة وان أعسف في
الطعن عليه والذي استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمن في مواضع ويقتضيه بعض
الكلام وان لم تكن في صريحه ألا ترى أنهم يقولون أوردت على فلان من الكتاب
والتوبيخ والتفريع مامات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح
وما أشبه ذلك ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ولا بد من اضممار كاد فيه . . وقال جرير
إِنَّ الميُونَ التي في طرفها رَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُجَيِّنْ قَتَلْنَا

وانما المعنى انهم كذبوا قتلنا فهذا أكثر في الشعر والكلام من أن نذكره وليس يمتنع
فأما قوله لا يجيبن قتلانا فلا يظهر في معناه انهم لم يزلوا يفتنوا ما قاربنا عند الموت والقتل
من الصدود والطجر وما أشبه ذلك ومعنى هذه الأمور حياة كما سمي اشدادها قتلا
وقد قيل ان معنى يجيبن قتلانا انهم لم يبدوا قتلانا من الدية لان دية القتل عند العرب
كالحياة له وقد روي ثم لم يجيبن قتلانا وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل
ومعناها ضعيف ركيك واذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال قام فلان بمعنى
كاد يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت . . فأما قوله فيكون
تأويل قوله قام عبد الله لم يقم عبد الله خطأ لانه ليس معنى كاد يقوم انه لم يقم كما ظن
بل معناه انه قارب القيام ودنا منه فن قال قام عبد الله وأراد كاد يقوم فقد أفاد ما لا يفيد
لم يقم . . وأما قوله تعالى (زأغت الأبصار) فعنه زأغت عن النظر الى كل شئ فلم تأنفت
إلا الى عدوها ويجوز أن يكون المراد بزأغت أي جارت ومالت عن القصد في النظر
دهشاً وتحرراً . . فأما قوله تعالى (وتظنون بالله الظنونا) معناه انكم تفتنون مرة انكم
تسمعون وتظنون على عدوكم ومرة انكم تبتلون وتمنعون بالتغلبة بينكم وبينهم
ويجوز أيضاً أن يريد الله تعالى ان ظننكم اختلقت فغلان المناقون منكم خلافاً
ما وعدكم الله تعالى به من العسرة وشكوا في خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم
(ما وعدنا الله ورسوله إلا غسوراً) وظن المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى لهم كما حكى
عز وجل عنهم في قوله (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وكذا ذكرناه
واضح في تأويل الآية وما تعلق بها

﴿ مجلس آخر ٢٥ ﴾

[تأويل آية ٥٠] ان سأل سائل عن قوله تعالى (وجعلنا نوبكم نباتاً) فقال اذا كان السبت هو النوم فكأنه قال وجعلنا نوبكم نوماً وهذا مما لا قائدة فيه ٥٠ الجواب قيل له في هذه الآية وجوه ٥٠ منها أن يكون المراد بالسبات الراحة والنعمة ٥٠ وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كلهم كان في يوم الجمعة والفراغ منه في يوم السبت فسمى اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولان الله تعالى أمر بني اسرائيل فيسه بالاستراحة من الأعمال قيل وأصل السبات النوم يقال سبت المرأة شعرها اذا حلت من العقم وأرسلته ٥٠ قال الناصر

وإن سبته مال جثلاً كأنه سداً وأهلات من نواصيح خشماً

أراد إن أرسلته ٥٠ ومنها أن يكون المراد بذلك القطع لان السبت القطع والسبت أيضاً الحلق يقال سبت شعره شبتا اذا حلقه وهو يرجع الى معنى القطع والنعال السبئية التي لا شعر عليها ٥٠ قال عنزة

بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس تنوأم

ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة مما حولها سبتاء وجعلها سباتي فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نوبكم نباتاً أي قطعاً لأعمالكم وتصرفكم ٥٠ ومن أجاب بهذا الجواب يقول انما سمي يوم السبت بذلك لان بدء الخلق كان يوم الأحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية الى معنى القطع ٥٠ وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التوراة ان الله ابتدأه في يوم الأحد وكان الخلق في يوم الأحد والاثني والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت وهذا قول أهل التوراة ٥٠ وقال آخرون ان الابتداء كان في يوم الاثنين الى السبت وفرغ في يوم الأحد وهذا قول أهل الأنجيل ٥٠ فأما قول أهل الاسلام فهو ان ابتداء الخلق كان يوم السبت والصل الى يوم الخميس وجعلت الجمعة عيداً فلهذا القول الآخر يمكن

أن يسمى اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الأرض .. فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن الله تعالى خلق البرية يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد .. ومنها أن يكون المراد بذلك إنا جعلنا نومكم سباتاً ليس بموت لأن النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت فأراد تعالى أن يمتن علينا بأن جعل نومنا الذي يضاهي فيه بعض أحوالنا أحوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا يخرج لنا عن الحياة والادراك لجعل التأكيذ بذكر المصدر قائماً مقام في الموت وساداً .. سدد قوله تعالى وجعلنا نومكم ليس بموت .. ويمكن أن يكون في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو أن السبات ليس بكل نوم وإنما هو من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه والسبات هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا يقال فيمن وصفه بكثرة النوم أنه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نائم وإذا كان الأمر على هذا لم يجز قوله .. وجعلنا نومكم سباتاً .. مجزئاً أن يقول وجعلنا نومكم نوماً .. والوجه في الامتنان علينا بأن جعل نومنا ممتداً طويلاً نظاماً وهو لمساتي ذلك لنا من المنفعة والراحة لأن النوم والفرار لا يكسبان شيئاً من الراحة بل يصحهما في الأكثر الفاق والازعاج والهدوم وهي التي تقلل النوم وتزده و فراغ القلب ورخا البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح .. [قل المرتضي] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن إسماعيل الأنباري يطين على الجواب الذي ذكرناه أولاً ويقول إن ابن قتيبة أخطأ في اعتاده لأن الراحة لا يقال لها سبات ولا يقال سبت الرجل بمعنى استراح وأراح ويعتمد على الجواب الذي ثبتنا بذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سبت المرأة شعرها أن معناه أيضاً القطع لأن ذلك إنما يكون بإزالة الشدة الذي كان مجموعاً به وقطعه .. والمقدار الذي ذكره ابن الأنباري لا يتدح في جواب ابن قتيبة لأنه لا يشكر أن يكون السبات هو الراحة والشدة إذا كانتا عن نوم وإن لم توصف كل راحة بأنها سبات ويكون هذا الاسم يخص الراحة إذا كانت على هذا الوجه ولهذا نظر كثير في الأسماء وإذا أمكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على أن السبات لا يكون إسماً للراحة عند النوم

والذي يتي على ابن قتيبة أن يبين أن السبات هو الراحة والدعة ويستشهد على ذلك بشعر أو لغة فإن البيت الذي ذكره بممكن أن يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال .. فان قيل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه أخيراً قلنا الفرق بينهما بين أن ابن قتيبة جعل السبات نفسه راحة وجعله عبارة عنها وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ونحن جعلنا السبات نفسه من صفات النوم والراحة واقعة عنده للامتداد وطول الكون فيه فلا يلزمنا أن يقال سبت الرجل بمعنى استراح لأن الشيء لا يسمى بما يقع عليه حقيقة والاستراحة تقع على جوابنا عند السبات وليس السبات إياها بعينها على أن في الجواب الذي اختاره ابن الأنباري ضرباً من الكلام لأن السبت وإن كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السبات ويحتاج في إثبات مثل هذا البناء إلى سماع عن أهل اللغة وقد كان يجب أن يورد من أي وجه إذا كان السبت هو القطع جاز أن يقال سبات على هذا المعنى ولم نره فعل ذلك

[تأويل خير] .. ان قال قائل ما تأويل الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت ليُعذب ببكاء الحي عليه .. وفي رواية أخرى ان الميت يعذب في قبره بالبياحة عليه .. وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة أيضاً فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من نبح عليه فانه يعذب بما نبح عليه .. الجواب أننا اذا كنا قد علمنا بأدلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبح من أخذه أحد بذهب غيره وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فلا بد أن نصرف مظاهر بخلاف هذه الأدلة الى ما يطابقها .. والمعنى في الأخبار التي سئلنا عنها ان سمعت روايتها انه اذا أوصى مؤمن بإبن جناح عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فانه يعذب بالبياحة عليه وليس معترفاً يعذب بها انه يؤخذ بفعل النواح وإنما معناه أن يؤخذ بأمره بها ووصيته بفعلها وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأن الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح ليأمرؤن به ويؤكدون الرصبة بفعله وهذا مشهور عنهم .. قال طبري رحمه بن العبد

فَإِنْ مِتُّ فَأَنْعِمْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشَقِّنِي عَلَى الْجَبِّبِ يَا أُمَّ مَعْبِدٍ

.. وقال بشر بن أبي خازم لابنته عميرة

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنْ يَتِّ بِبَشْرِ فَإِنَّ لَهُ جَنْبَ الرَّذَمِ بَابَا

تَوَى فِي مَلْجِدٍ لَا بُدَّ مِنْهُ كَفَى بِالْمَوْتِ بَأْيًا وَأَغْتَرَابَا

رَهِينُ بَلَى وَكُلُّ فَتَى سَيَلَى فَأَذْرِي الدَّمْعَ وَأَتَّحِي أُنْتَحَابَا

وقد روى عن ابن عباس في هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودى فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب في قبره .. وقد روى ابن بكار هذا الخبر أيضاً عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما أخبرت بروايته وهل أبو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر إنما قال عليه الصلاة والسلام ان أهل الميت ليعبون عليه وانه ليعذب بجرمه .. [قال المرتضى] رضى الله عنه يعنى سَوَهِلَ أى ذهب وهمه الى غير الصواب يقال وهكت الى الشئ فأما أهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه أهل وهلاً أى نسيته وغلظت فيه ووهل الرجل يوهل وهلاً اذا فرغ والوهل الفرغ .. فأما القليب فهى البرزوا لجمع القلاب .. قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين

يُسَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ كِبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ

أَلَمْ تَحْدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ

.. وقال آخر يبيح على قتلى بدر من المشركين

فَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَذَرٍ مِنَ الْفَتْيَانِ وَالشَّرْبِ الْكَرَامِ

وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَذَرٍ مِنَ الشَّيْزَى يُكَلِّلُ بِالسَّامِ

وموضع وهله فى ذكر القليب انه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ثم قال انهم ليسمعون ما أقول فأنكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه الصلاة والسلام انهم الآن ليعلمون ان الذي كذت أقوله لهم هو

الحق واستشهد بقول الله عز وجل (إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى) وأهل القلب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة آبنابرة والوليد بن عتبة وغيرهم ٥٥ وروى عن عبد الله ابن مسعود أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قائماً يصلي بمكة وأناس من قريش في حلقة فيهم أبو جهل بن هشام فقال ما يمنع أحدكم أن يأتي الجزور التي نحرها آل فلان فيأخذ سلاها ثم يأتي به حتى إذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فأنبئت أشقى القوم وأنا أنظر إليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله لو كانت لي يومئذ منعة لنتعت وجاءت فاطمة رضوان الله عليها عليه وهي يومئذ صبية حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامت على رؤسهم فأوسسهم شئاً قال فوالله لقد رأيت بعضهم يضعك حتى أنه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا عليهم أسقط في أيديهم قال فوالله الذي لا إله غيره ماسمى النبي صلى الله عليه وسلم أحداً إلا وقد رأيت يوم يذري وقد أخذ برجله يجر إلى القلب مقتولا وقوله - فيأخذ سلاها - أي جلدتها التي فيها ولدها مادام في بطنها والجمع الأسلاء ٥٥ وقال ابن حبيب الأسلاء التي فيها الأولاد ٥٥ قال الأخط

وَيَطْرَحَنَّ بِالْثَغْرِ السَّخَالِ كَأَنَّمَا يُشَقِّقَنَّ بِالْأَسْلَاءِ أُرْدِيَةَ الْعَصَبِ

٥٥ وقال الشاعر

وَالْعَيْسُ دَامِيَةُ الْمَنَامِ ضَمَرٌ يَقْدَحُنَّ بِالْأَسْلَاءِ تَحْتَ الْأَرْكَبِ

٥٥ قال الفراء سقط في أيديهم من الندامة وأسقط لغتان وهو بغير ألف أكثر وأجود ٥٥ ويمكن أن يكون في له يعذب ببيكاه أهله وجه آخر وهو أن يكون المعنى إن الله تعالى إذا أعهده ببيكاه أهله وأعزته عليه وما لحقهم بعده من الحزن والحلم تألم بذلك فكان عذاباً له والمسناب ليس بحمار يجري العقاب الذي لا يكون إلا على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيراً بحيث يستعمل الأثم والضرر أن ترى أن القاتل قد يقول لمن ابتدأه بالضرر والأثم قد عذبتني بكذا وكذا كما يقول أضررتني وآلتني وانما لم يستعمل

العقاب حقيقة في الايلام المبتدأ من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة التي لا بد من تقدم سبب لها وليس هذا في العذاب

[تأويل خبر] .. ان سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يدخل عمله الجنة وينجي من النار قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل به ولها ثلاثا .. فقال أليس في هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب وأنه غير مستحق عليه ومذهبكم بخلاف ذلك .. الجواب قلنا فائدة الخبر ومضاه بيان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم الى اللطف وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو أخرج الى نفسه وقطع الله تعالى . واد المعونة واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكانه عليه الصلاة والسلام أراد ان أحدا لا يدخل الجنة بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا أرشده اليه وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه .. فأما الثواب فما تأتى القول بأنه تفضل بمعنى ان الله تعالى تفضل بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شئ ابتداء وانما يجب عليه ما أوجبه على نفسه فالثواب بما كان أوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك التمكن والإعطاء وكما يجلبه ويوجبه التكليف ولولا إيجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب .. فان قيل فقد سمي الرسول عليه الصلاة والسلام ما يفعل به فعلا فقال إلا أن يتغمدني الله برحمته منه .. وفضل قلنا هذا يطابق ما ذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذي ذكرناه وان حملنا قوله عليه الصلاة والسلام برحمته منه وفضل على ما يفعل به من الاعطاف والمعونات فهي أيضا فضل وتفضل لان سببها غير واجب .. فأما قوله عليه الصلاة والسلام يتغمدني الله فعنائه يسترني يقال غمدت السيف في غمده اذا سترته .. قال الشاعر

نَصَبْنَا رِمَاحًا فَوْقَهَا جَدًّا عَامِرٍ كَظَلِّ السَّمَاءِ كُلِّ أَرْضٍ تَغْمَدُ

— فالجد — هنا البخت والحظ وشبه ما قدم لعامة من الغاية والظفر بظل السماء الذي يستر كل شئ ويظهر عليه .. أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن حنيف قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قراءة عليه قال أمني علينا أبو العباس أحمد

ابن يحيى تطلب النحوي قال أخبرنا ابن الاصرابي قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرم
الله والمهور هو المكروب وأنشدنا

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَنْزَابِ
ثُمَّ قَالُوا نُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا مَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ

[قال المرتضى] .. رضى الله عنه وقد قيل في معنى قوله بهرأغير هذا الوجه .. أخبرنا
أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني أحمد بن يحيى السولي قال حدثنا
القاسم بن اسماعيل قال حدثنا الثوري عن أبي عمر الأسدي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء
يقول عمر بن ربيعة حجة في العربية وما أخذ عليه شيء الا قوله - ثم قالوا نحبا قالت بهرأ-
وله فيه عذر ان أراد الخبير لا الاستفهام كأنهم قالوا أنت نحبا على جهة الاخبار منهم
لا الاستفهام فوكده هو إخبارهم بجوابه فهذا حسن وبهرأ يجوز أن يكون أراد نم حبا
بهرفي بهرأ ويكون أيضاً بمعنى عقرأ ونصأ ودعا عليهم إذ جهلوا من حبه لها مالا يجهل
مثله .. وأنشد أبو عمرو بن العلاء

لَحَا اللَّهُ قَوْمِي إِذْ يَبْعِمُونَ مُهْجَتِي بِجَارِيَةٍ بَهْرًا لَهُمْ بَعْدَهَا بَهْرًا

.. قال أبو عمرو يكون بهرأ بمعنى ظاهراً يريد حبا ظاهراً من قولهم قرأ بهرأ .. وقد
روى بعض الرواة انه قال - قيل لي هل نحبا قالت بهرأ- والرواية الأولى هي المشهورة
ولعل من روى ذلك فر بهذه الرواية من اللحن وهذان البيتان لعمر بن عبد الله بن
أبي ربيعة الخزومي من جملة أبيات منها

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا بِأَنِي ضَمِنْتُ دُزْعًا يَهْجِرُهَا وَالْكِتَابِ
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تُحَيِّرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءَ الشَّبَابِ
سَلَبْتَنِي عِجَاجَةُ الْمِسْلِكِ عَقْلِي فَسَلَوْهَا بِنَا يَحِلُّ آغْتِصَابِي
أَرْهَقْتُ أُمَّ نَوْفَلٍ إِذْ رَعَتْهَا مُهْجَتِي مَا لِقَاتِي مِنْ مَتَابِ

حينَ قالتَ لها أَجِيبِي فَقالتِ
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهاةِ نِهادِي
ثُمَّ قالوا نَحْبِئُهَا لَتُ بِهِرًا
عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالْتِرابِ
مَنْ دَعَانِي قالتَ أَبُو الْخَطَّابِ
بَيْنَ خَمْسِي كَواعِبِ أَنْرابِ

والزياهي التي عذاها عمر أموية وقد اختلف في نسبها فقبل أنها الزيا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر أبو عبد شمس وقيل أنها الزيا بنت علي بن عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر وذكر الزبير بن بكار أن الزياهي بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله الذي قتله داود بن علي * * * وأخبرنا أبو عبد الله المرباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الأفلح قال خبرني بلال بن أبي عتيق في حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الزيا اختصرناه وأوردنا بعضه قال لما سمع ابن أبي عتيق قول عمر - من رسولي إلى الزيا باني - قال إياي أرادوني نوء لا جرم والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص إليه لا صاح بينهما فنهض ونهضت معه فجاء قوما من بني الدئل بن بكر لم تكن النجائب تفارقهم يكرهونها فاكترى منهم راحلتين وأغل لهن بها فقلت له استوضعهن شيئاً أو دعني أما كنهم فقد استطولوا فقال لي ويحك أما علمت أن المكاس ليس من خلق الله الكرام وركب إحداهما وركبت الأخرى فاسر سراً شديداً فقلت له أرفق علي نفسك فإن من تريد لا يفوتك فقال ويحك - أبادر حبل الود أن يتقضاه ومن ملح الدنيا أن يلتئم الصدع بين عمر والزيا فقدمنا مكة ليلاً غير محرمين فبقى على عمر بابه فخرج إليه فسلم عليه فأنزل ابن أبي عتيق عن راحلته وقال لعمر أركب أسلح يذك وبين الزيا فاني رسولك الذي سألت عنه فركب معه فقدمنا الطائف فقل ابن أبي عتيق للزيا هذا عمر قد جشنى السفر من المدينة اليك فحنتك به معترفاً بذنب لم يجنه معتذراً من اساءتك إليه فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشرراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته أحسن صلح وكررنا راجعين إلى المدينة ولم يقم ابن أبي عتيق بمكة ساعة واحدة * * * وفي الزيا يقول عمر

ابن أبي ربيعة أيضاً لما تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف المكنى بأبي الأبيض
وقبل بل تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيَّاءَ سَهِيلاً غَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

مجلس آخر ٢٦

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (فغشيم من اليم ماغشيم) فقال
ما الفائدة في قوله ماغشيم وقوله غشيم يدل عليه ويستغنى به عنه لان غشيم لا يكون
إلا الذي غشيم وما الوجه في ذلك .. الجواب قد ذكر في هذا أجوبة .. أحدها
أن يكون المعنى فغشيم من اليم البعض الذي غشيم لانه لم يغشهم جميع منه بل غشيم
بعضه فقال ماغشيم ليدل على ان الذي غرقهم بعض الماء وانهم لم يفرقوا بجميعة وهذا
الوجه حكى عن الفراء وذكره أبو بكر الانباري واعتمده وغيره أوضح منه واليم هو
البحر .. قال الشاعر

وَبَنِي تَبَعٍ عَلَى الْيَمِّ قَصْرًا عَالِيًا مُشْرِفًا عَلَى الْبَنِيَانِ

.. وثانها أن يكون المعنى فغشيم من اليم ماغشى موسى وأصحابه وذلك ان موسى
عليه الصلاة والسلام وأصحابه وفرعون وأصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيم كلهم إلا
أن فرعون وقومه لما غشيم غرقهم وموسى عليه الصلاة والسلام وقومه جعل لهم في
البحر طريق يس فقال تعالى فغشى فرعون وقومه من ماء اليم ماغشى موسى وقومه
فنجوا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا الوجه والتأويل تكون الهاء في قوله ماغشيم كناية
عن غير من كفى تعالى عنه بقوله فغشيم لان الأولى كناية عن فرعون وقومه والثانية
كناية عن موسى وقومه .. وثالثها انه غشيم من عذاب اليم وإهلاكه لهم ماغشى
الأمم السالفة من العذاب والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم وإقامتهم على رد أقوالهم

والعدول عن ارشادهم والأثم السالفة وان لم ينشهم الهلاك والعذاب من قبل البحر
 فقد غشهم عذاب واهلاك استمتعوا بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم فنبه بينه وبين هؤلاء
 من حيث اشتغال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب .. ورابعها أن يكون المعنى
 فغشهم من قبل اليم ما غشهم من العطب والهلاك فتكون لفظة غشهم الاولى لا بحر
 والثانية للملاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر .. ويمكن في الآية وجه آخر لم
 يذكر فيها وهو واضح يلحق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو أن تكون
 الفائدة في قوله تعالى (ما غشهم) تعظيم الأمر وتخصيصه كما يقول القائل فعل فلان
 ما فعل وأقدم على ما أقدم اذا أراد التفعيم وكما قال تعالى (وفعلت فعلتك التي فعلت)
 وما يجري هذا الجرى ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل هذا هذا وأنت أنت وفي
 القوم هم هم .. قال الهذلي

رَقُونِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لَا تَرْغُ فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ هُمْ هُمْ

.. وقال أبو النجم

أَنَا أَبُو النَجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي

كل ذلك أرادوا تعظيم الأمر وتكبيره

— مجلس آخر ٢٧ —

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (نغر عليهم السقف من
 فوقهم) فقال ما الفائدة في قوله من فوقهم وهو يفيد قوله نغر عليهم السقف لان
 مع الانحصار على القول الأول لا يذهب وهم أحد الى أن السقف يخر من تحتهم .. الجواب
 قيل له في ذلك أجوبة .. أولا أن يكون من بمعنى عن فيكون المعنى نغر عنهم السقف من
 فوقهم أي غر عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته كما يقول القائل اشك فلان عن
 دواء شره فيكون من وعن بمعنى واحد أي من أجل الدواء وكذلك يكون معنى الآية

نغر من أجل كفرهم السقف من فوقهم .. قال الشاعر

أُرْمِيَ عَلَيْهَا وَهِيَ فَرَحٌ أَجْمَعُ وَهِيَ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَإِصْبَعُ

أراد أرمى عنها لأن كلام العرب رميت عن القوس فأقام على مقام عن ولو أنه قال تعالى على هذا المعنى نغر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز أن يتوهم متوهم أن السقف خر وليس هم تحته .. وثانيها أن يكون على بمعنى اللام والمراد نغر السقف فإن على قد تقام مقام اللام .. وحكي عن العرب ما أغيطك على وما أغمك على يريدون ما أغيطك لي وما أغمك لي .. قال الطبري مباح يصف ناقة

كَأَنَّ مَجْرَاهَا عَلَى ثَفْنَاتِهَا مَعْرَسٌ خَمْسٌ وَقَعَتْ لِلْجَنَاجِنِ ^(١)

أراد وقعت على الجناجين وهي عظام الصدر فأقام اللام مقام على .. وقد يقول القائل أيضاً تذاقت على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد أنه كان تحته فأخبر تعالى بقوله (من فوقهم) عن فائدة لولاء ما فهمت ولجاز أن يتوهم متوهم في قوله نغر عليهم السقف ما يتوهمه من قوله خرب عليه ربه ووقعت عليه دابته وأشياء ذلك .. وللعرب في هذا مذهب طريف لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك ألا ترى أنهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بدلا من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه

(١) - الثفنات - جمع ثفنة بفتح فكسر وهو من البعير ركبته وما مس الأرض من كركبه - ومعدائاته وأصول أغذاه - والمعرس - محل التعريس وهو النزول آخر الليل يريد محل مبيتها وبعده

وقعن اثنين واثنين وفردة يبادرن تقليداً سبال المداهن

- السبال - جمع سلة وهي بقية الماء في الحوض - والمداهن - تجتمع مدح وهي نقر في رؤس الجبال يستنقع فيها الماء وقد سبق الى هذا المعنى ذو الرمة فقال

كان مجراها على ثفناتها معرس خمس من قطا متجاوز

وقعن اثنين واثنين وفردة جريدا هي الوسطى بصحراء جائر

(٤ - أمالي ثاني)

جاريته بل يقولون همرت له خيعة وولدت له جاريته وهكذا من شأنهم اذا قالوا قل
على وروى على فانه يقال في الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عتي وروى
عتي ومثل ذلك قوله تعالى (واتبعوا ما تنزلوا الشياطين على ملك سليمان) لانهم لما
أضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن أن يقال تنزلوا عليه ولو كان خيراً لقل
عنه ومثله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وقوله (ماتقولون على الله مالا
تعلمون) . . . وقال الشاعر

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مَنِي لِيَحْيَى	فَقَالَ غَشَشْتَنِي وَالنَّصْحُ ضَرْ
وَمَالِي لَا أَكُونُ أُعِيبُ يَحْيَى	وَيَحْيَى طَاهِرُ الْأَخْلَاقِ بَرُّ
وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنَّ يَحْيَى	يُقَالُ عَلَيْهِ فِي تَقْصَاءِ شَرِّ
فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ	يُمَابُ عَلَيْكَ إِنَّ الْعُرْ حُرُّ

ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن سعدان المعروف بعنبسة القيل وقد كان يتبع شعره
ويخطه ويلحنه ^(١)

(١) - قلت - كان عنبسة يعيب على الفرزدق مثل قوله

وعض زمان يا بن مروان لم يدغ من المال الامسحتاً أو مجلف

- المسحت - المبدد - والمجلف - الذي ذهب به السنون وكان الفرزدق لحانة على
جودة شعره وكان خفاشاً لا يمرض عليه أحد الا حياء وقد سأل به بعضهم عن رفع مجلف
في البيت فغضب وقال على أن أقول وعليكم أن تحتجوا وأنكر عليه عبد الله بن أبي
اسحاق الحضرمي قوله

مستقبلين شال الشام تضربنا بحاصب من نديف القطن منشور

على عمائنا ناتي وأرحلنا على زواحف نرجي عنجها رير

فقال الاقلت (على زواحف نرجها محاسير) فغضب وقال

فلو كان عبداً لله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى موالها

لَقَدْ كَانَ فِي مَعْدَانِ وَالْفِيلِ زَاجِرٌ لِعَنْبِئَةِ الرَّأْيِ عَلَى الْقَصَائِدِ

فقال عليّ ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه .. وثالث الوجوه في الآية أن يكون من فوقهم تأكيذاً للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى (ولكن تعصى القلوب التي في الصدور) والقلب لا يكون إلا في الصدر ونظائر ذلك في الكتاب كثير وفي كلام الأدب أيضاً والله أعلم

[تأويل خبر آخر أيضاً] .. إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن أبي إسحاق الهجري عن أبي الأحوس عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن مأدبة لله تعالى فتعمدوا مأدبته ما استطعتم وان أصفر البيوت ليئناً أصفر من كتاب الله فقال ما تأويله وكيف بيان غريبه .. الجواب المأدبة في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو اليه الناس فتشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما يكتبه الانسان من خير القرآن ونفعه وعائده اذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي والشفاعة به يقال قد أدب الرجل يأدب فهو أدب اذا دعا الناس الى طعامه وشرا به ويقال للمأدبة المدعاة وذكر خفاف الأحرار انه يقال فيه أيضاً مأدبة فتتبع الدال .. قال طرفة العبيدي

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى لَا تَرَى الْأَدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

ومعنى الجفلى - أنه غم بدعوته ولم يخص بها قوماً دون قوم .. والنفري إذا خص بها بعضاً دون بعض ومعنى ينتقر - من النقرى .. قال بعض هذيل

وَلَيْلَةُ يَصْطَلِي بِالْفَرَثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقْرِى الْمَثَرِينَ دَاعِيَا لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَلَا تَسْرِى أَفَاعِيهَا

معنى - يصطلى بالفرث جازرها - أن الجازر اذا شق فيها الكرش أدخل يده اشد البرد في الفرث مستدفئاً به ومعنى يختص بالنقرى المثرين داعيها - أنه يخص بدعائه الى طعامه الأغنياء الذين يطعم من جهنم في المكائنة .. وقال الآخر

قَالُوا لَنَأْوِيَهُ خِصْبٌ وَمَأْدُبَةٌ وَكُلُّ أَيَّامِهِ يَوْمُ الثَّلَاثَةِ

•• وقال الهذلي يصف عقاباً

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي جَوْفٍ وَكَرِهًا نَوَى الْقَسْبَ مُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَأْدَبِ^(١)
أراد جمع مأدبة •• وقد روى هذا الحديث بفتح المأدبة •• وقال الأحمر المراد بهذه
اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم •• وقال غيره المأدبة بفتح الدال مقفلة من
الآدب معناه ان الله تعالى أنزل القرآن أدباً للخلق وتقويماً لهم وانما دخلت الهاء في
مأدبة ومأدبة والقرآن مذكر بمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس •• وكما
قال عنتره

وَالْكَفْرُ حَبِيبَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ

وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة في باب المدح على جهة التشبيه بالهداية
ورجل حاباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالهجرة •• ويقال لطعام الاملاك ولحمة ولطعام
الختان العذيرة ولطعام الزفاف العرس ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر
العقيقة ولطعام القادم من السفر النقيعة ولطعام النفاس الخرس والذي تطفمه النفاء
نفسها الخرسة •• قال الشاعر

اِذَا النِّفْسَاءُ لَمْ تَخْرُسْ يَبْكُرْهَا غُلَامًا وَلَمْ تُسْكِتْ بِحَتْرِ فُطَيْمِهَا

— الخرس — الشيء القليل •• وقال آخر

كُلُّ الطَّعَامِ تَشْتَهِي رَبِيعَةُ الْعَرَسُ وَالْإِعْذَارُ وَالنَّقِيعَةُ

ويروى الخرس •• ويشهد أيضاً في النقيعة قول الشاعر

إِنَّا لَنُضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَرُؤُسَهُمْ ضَرْبَ الْقِدَارِ نَقِيعَةَ الْقُدَامِ

— القدار — الجزار — والقدام — جمع قادم •• وقال أبو زيد يقال لطعام الاملاك

النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الختان الاعذار والعذيرة •• وقال الفراء

(١) — القسب — بفتح فسكون اليابس من التمر

الشيدخي طعام الاملاك والوليعة طعام العرس .. وقال أبو زيد يقال من النبعة فقت
 .. وقال الفراء منها أنفقت .. وقال ابن السكيت يقال للطعام الذي يتعلل به قدام الغداء
 السلفة واللينة لَوْنُوا ضيفكم أى أطعموه اللينة .. قال الشاعر
 عَجِيزٌ عَارِضُهَا مُنْقَلٌ طَعَامُهَا أَلْهِنَةٌ أَوْ أَقْلٌ
 .. وقال ابن السكيت يقال فلان يأكل الوجبة اذا كان يأكل في اليوم والليلة أكلة
 .. قال بشار

فَأَسْتَفْعِنُ بِالْوَجَبَاتِ عَنْ ذَهَبٍ لَمْ يَبْقَ فِيهِ لِأَمْرِي ذَهَبٌ
 .. وقال ابن السكيت قل الأصمى لرجل أسرع في سيره كيف كان سيرك قال كنت
 آكل الوجبة وأنجو الوقعة وأعرس اذا غفرت وأرتحل اذا أسفرت وأسير الوضع
 وأجنب اللع فجنبتكم لمسى سبع .. قوله - أنجو الوقعة - معناه أقضي حاجتي مرة في
 اليوم وهو من النجو .. وقوله - أسير الوضع - فالوضع سير فيه بعض الاسراع واللعع
 سير أشد منه وأراد انه يجنب الشد من السير كراحة أن يقف ظهره قبل أن يبلغ
 الأرض التي يقصدها يقال شر السير الحفقة أى السير الشديد الذى يقطع صاحبه
 عن بلوغ بقية .. قال الشاعر

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْأَرْضَ ثُمَّ تَبَاعَدْتَ عَلَيْكَ فَضَعَ رَحْلَ الْمَطِيِّ وَأَنْزَلَ
 أى استرح حتى تقوى على السير وان جهدت نفسك لم تقطع أرضاً ولم تبق ظهراً وهذا
 من أبيات المعاني التي يسأل عنها والذي قيل فيه ما ذكرناه .. ويمكن أن يكون معنى البيت
 اذا بعدت عليك الأرض فدعها واسل عنها كما يقال دواء ماعز معالجه الصبر وما جرى
 مجرى ذلك من ألفاظ التسلية والأمر بالعدول عن تتبع ما صعب من الأمور .. وقال
 الآخر في معنى البيت الأول

يَقْطَعُ بِالزُّوْلِ الْأَرْضَ عَنْهَا وَبَعْدُ الْأَرْضِ يَقْطَعُهُ الزُّوْلُ
 وقوله - لمسى سبع - أى لساء سبع ليال .. ويقال للذي يحضر طعام القوم من غير
 أن يدعاه اليه الوارش والوروش وقول العامة طفيلى مولى لا يوجد في العتيق من كلام

العرب وأصل ذلك أن رجلاً يقال له طفيل كان بالكوفة لا يفقد ولبة من غير أن يمدى إليها طفيل للوارش طفيل تشبهاً بطفيل هذا في وقته .. ويقال للذي يحضر الشراب من غير أن يمدى إليه واغل .. قال امرؤ القيس

فاليوم فأشرب غير مستحجبٍ إثمًا من الله ولا واغلٍ

ويقال لما يشربه الوغل .. قال الشاعر

إِنْ أَلْسَكِرَ أَفْلَا أَشْرَبَ الْوَغْلَ وَلَا يَسْلَمُ مِنِّي الْبَعِيرُ إِنْ نَشَرَ

وقوله صلى الله عليه وسلم إن أصفر البيوت لبنا صفر من كتاب الله معناه أخلا البيوت - والصفر - عند العرب الخالي من الآنية وغيرها .. ويمكن في قوله مأدبة وجه آخر وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعاء الخلق إليه وأمرهم بالاجتماع عابه فسماء عابه الصلاة والسلام مأدبة لهذا الوجه لأن المأدبة هي التي يدعى الناس إليها ويحتضنون عليها وهذا الوجه يخالف الأول لأن الأول تضمن أن وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينفع المدعو إلى المأدبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه الآخر تضمن أن التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء إليه والارشاد إلى إصابته وليس بعيد أن يريد عليه الصلاة والسلام بالظير المعتبين معاً فلا تنافي بينهما .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كُتِبَ في مجلس الأصمعي إذ أقبل أعرابي فقال أين عهدكم فأشرنا إلى الأصمعي فقال له ما معنى قول الشاعر

لَا مَالَ إِلَّا الْمِطَافُ تُوزَرُهُ أُمُّ ثَلَاثِينَ وَابْنَةُ الْجَبَلِ

لَا يَرْتَقِي الثَّرْفِي ذِلَازِهِ وَلَا يُعْتَدِي نَعْلَيْهِ مِنْ بَلَلٍ

.. فقال الأصمعي

عَصْرَتُهُ نُطْفَةٌ تَضُمُّهَا لَصَبٌ تَلْقَى مَوْضِعَ السَّبَلِ

أَوْ وَجَبَتْ مِنْ جَنَازَةٍ أَشْكَلَةٍ إِنْ لَمْ يَرْعَهَا بِالْقَوْسِ لَمْ تَنْلِ

قال فادبر الاعرابي وهو يقول لم أركال يوم رجلا .. قال ابن دريد انما وصف رجلا خائفاً في رأس جبل يقول لا مال له إلا العطف وهو السيف تؤزره أم ثلاثين يعني كثرة فيها ثلاثون سهماً وابنة الجبل يعني القوس لأنها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره .. وقوله - لا يرتقي التز في ذلذه - لأنه في رأس جبل فلا تزهناك يتعاق بما يفضل من ثيابه ولا بلل يعتدي نفايه عنهما - والعصرة - الملجأ - والطفة - الماء المجتمع في صخر أو غيره من بقية ماء المطر - والصب - الشق في الجبل أضيّق من الابه وأوسع من الثقب - والبلى - انطرب - والوجهة - أن يأكل كل يوم مرة - والأشكى - الدر الجبل واحد أشكلة .. يقول فهذه الطفلة والوجهة من الأشكلة عصرناه .. وقوله - أن لم يرعها بالقوس - يعني أنها لا تنال باليد حتى تحرك بالقوس .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وانما جعل الأصمعي انشاد باقي الأبيات دلالة على معرفة معناها لأنه يجد أن يعرفها ولا يعرف معناها والأعرابي انما سأل عن المعنى فأقام انشادها لها مقام تفسيرها واستغنى الأعرابي بذلك وعلم باتمامه للأبيات معرفته بمعناها وكان الأصمعي كثيراً إذا أنشد شيئاً من الشعر ينشد في معناه في الحال .. فن ذلك أن اسحاق بن ابراهيم الموصلي أنشده يوماً نفسه

إذا كانت الأحرار أصلياً ومنصبي وقامَ بنصري حازم وأبن حازم
عظمتُ بأنفٍ شائعٍ وتناولتُ يدَيَّ الثرياً قاعداً غير قائم

.. قال فلما فرغت من انشادهما أنشدني بعقب ذلك

ألا أيها السائل جاهلاً لشعري في أنا أنف الكرم

نمت في الكرام بن عامر فروعي وأصلي قرينش المعجم

قال لجاء والله بالشعر الذي نحوته وعلمت يتي عليه .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبان قال حدثنا محمد بن يحيى الموصلي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم قال ما أنشدت الأصمعي شيئاً قط إلا أنشدني مثله كأنه أعدّه لي فأنشدته يوماً للأعشى

عَلَّقْتُهَا عَرَصًا وَعَلَّقْتَ رَجُلًا غَيْرِي وَعَلَّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ
فَأَنشَدَنِي مِنْ وَقْتِهِ

قَتَلْتَكَ أُخْتُ بَنِي لُؤَيٍّ إِذْ رَمَتْ وَأَصَابَ نَبَأُكَ إِذْ رَمَيْتَ سِوَاهَا
وَأَعَارَهَا الْحَدَثَانُ مِنْكَ مَوَدَّةً وَأَعَارَ غَيْرَكَ وَدَّهَا وَهَوَاهَا
وذكر أبو العيئة قال كان الأصمعي إذا سمع انساناً ينشد شعراً في معنى أنشد في ذلك
المعنى من غير أن يريه أنه أرادته فأشده رجل قول القطامي

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلَا مَ الْمُخْطِئِ الْهَبْلُ
فَأَنشَدَهُ قَوْلَ قَعْنَبِ الْفَزَارِيِّ

فَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَفْعُو لَا يَعْدَمُ عَلَى النَّهْيِ لَأَمْرُهُ^(١)
وروى ميمون بن هارون قال سمعت اسحاق بن ابراهيم يقول أنشدت الأصمعي قول
الأعشى طلباً أن ينشدني مثله وكان مع بخله بالعلم لا يرضى بمثل هذا

إِنْ تَرْكَبُوا فَرُكُوبَ الْخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُ نَزْلِ
فَأَنشَدَنِي لِرَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومٍ النَّضِيِّ

وَأَقْدَ شَهْدَتِ الْخَيْلِ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْ ظَنِّهِ الْقَوَائِمِ هَيْسَكَلِ^(٢)
فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

وروى عن اسحاق بن ابراهيم أيضاً أنه قال دخل على يوماً الأصمعي وعندي أخ
للعناني الراجز حافظ راوية فلما دخل عبث به أخو العناني فقال له من هذا قال هو

(١) اسمه هنا إلى قعناب الفزاري ونسبه غيره من أهل الأدب إلى المرقش الأصفر
وهو عمرو بن حرملة أو ربعة بن سفيان على اختلاف فيه

(٢) - أوظفة - جمع وظيف ككريم وهو مستندق الذراع والساق من الخيل
والابل - والهيلك - الضنعم المشرف - ونزال - اسم فعل أمر بمعنى أنزل

الباهلي الذي يقول

فَمَا صَحْفَةٌ مَأْدُومَةٌ بِإِهَالَةٍ بِأَطْيَبٍ مِنْ فِيهَا وَلَا أَقْطَرُ حُطْبٍ^(١)

فقال له قبل أن يستتم الكلام هو على كل حال أصح من قول أخيك العماني

يَا رَبُّ جَارِيَةٌ حَوْرَاءُ نَاعِمَةٌ كَأَنَّهَا عُومَةٌ فِي جَوْفِ رَافُودٍ^(٢)

قال اسحاق فقلت له أكنت أعددت هذا الجواب قال لا ولكن سامر بن شيبه إلا وأنا أعرف منه طرفاً

[تأويل آية أخرى] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله) وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) ومعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه ٠٠ الجواب قلنا القول يحتمل معنيين في لغة العرب ٠٠ أحدهما القول باللسان ٠٠ والآخر بالقلب فالقول الذي يضاف إلى القلب هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب الظن فقالوا أقول عبد الله خارجاً ومتى تقول عهد منطلقاً يريدون متى تظن ٠٠ قال الشاعر

أَمَّا الرَّحِيلُ فَذَوْقُ بَعْدِ غَدٍ فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا

أراد متى تظن الدار ٠٠ وقال الآخر

أَجْهَالًا تَقُولُ بَنِي لُؤَيٍّ لَمَرُّ أَيْلِكَ أَمْ مَتَجَاهِلِينَا

(١) - الصحفة - قصعة دون الجفنة وفوق المثقلة - والاهالة - الشحم أو ما أذيب منه أو الزيت أو كل ما شتم به - والاقط - بفتح فكسر وقد يكنى شيء يتخذ من الخيش الغنمي ٠٠ يريد بهذا التعريض بني باهلة قوم الاسمي وأنهم إذا استحسنوا شيئاً شبهوه بشيء من المأكولات

(٢) - العومة - دويبة - وأرافود - دَن كبير أو طويل الأسفل مطلي داخله بالقار ٠٠ يريد به أن ربهط العماني يستطيون حتى الخبائث والحشرات ويشبهون بها ما يستحسن

أراد أنظن بنى لؤي . . . وقال توبة بن الحبر

أَلَا يَا صَنِيَّ النَّفْسِ كَيْفَ تَقُولُهَا لَوْ أَنَّ طَرِيدًا خَائِفًا يَسْتَجِيرُهَا

تَحَبَّرُ إِنْ شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى سَتَنُحْمُ لِيَلِيَّ أَنْ يُفَكَّ أَسِيرُهَا ^(١)

أراد كيف تنظنها فلما كان القول يستعمل في الأمرين معاً أفاد قوله تعالى (بأفواههم) قصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ولو أطلق القول ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يتوهم المعنى الآخر . . . ومما يشهد بذلك قوله تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) فلم يكذب تعالى قول ألسنهم لأنهم لم يخبروا بأفواههم إلا بالحق بل كذب ما يرجع إلى قلوبهم من الاعتقادات . . . ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى بأفواههم أن القول لا برهان عليه وأنه باطل ككذب لا يرجع فيه إلا إلى مجرد القول باللسان لأن الإنسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وإنما يكون قوله حقاً إذا كان راجعاً إلى برهان فيكون إضافة القول إلى اللسان يقتضي ما ذكرناه من الفائدة وهذا كما يقول القائل لمن يشك في قوله أو يكذبه هكذا تقول وليس الشأن فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به لسانك فكأنهم أرادوا أن يقولوا هذا قول لا برهان عليه فأقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وإنما يقولون كذا بأفواههم مقام ذلك والمعنى أنه قول لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه إلا إلى اللسان . . . ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في

(١) هكذا أشد البيت هنا وفي غيره من كذب الادب .

انظن بها خيراً وأعلم أنها ستحم يوحا أوفك أسيرها

وهذه الرواية أنسب وأقرب إلى المعنى ومنها يعلم أن قوله في البيت الذي قبله
ألا يا صني النفس - إنما هو خطاب لنفسه على سبيل التجريد وتلك عادة لهم مشهورة في

نظمهم ونثرهم - والبيتان من قصيدة له طويلة حينة أولها

نأثك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها

يقول رجال لا يضررك نأثها بل كل ما شئت النفوس يضرها

ذلك التأكيد فقد جرت به عادة العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين أولى لأن حمل كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة

[تأويل آية أخرى] ٥٥ ان سأل سائل عن قوله تعالى (ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم قوم نوح وعابر وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم) فقال أى معنى لرد الأيدي في الأفواه وأى مدخل لذلك في التكذيب بالرسل عليهم السلام ٥٥ الجواب قلنا في ذلك وجوه ٥٥ أولاً أن يكون إخباراً عن القوم بأنهم ردوا أيديهم في أفواههم عاضين عليها غيضاً وحنقاً على الأنبياء عليهم السلام كما يفعل المشعوذ لغيره المبالغ في معاندته ومكايده وهذه عادة معروفة في المغيظ المحنق انه يعض على أصابعه وفرك أنامله ويضرب باحدى يديه على الأخرى وما شاكل ذلك من الأفعال ٥٥ وثانياً أن تكون الهاء في الأيدي للكفار المكذبين والهاء التي في الأفواه للرسل عليهم السلام فكأنهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم الى أفواه الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ٥٥ وثالثاً أن تكون الهاء أن جيمعاً يرجعان الى الكفار لالى الرسل فيكون المعنى أنهم اذا سمعوا وعظهم وإنذارهم وضعوا أيدي أنفسهم على أفواههم مشيرين اليهم بذلك الى الكف عن الكلام والامساك عنه كما يفعل من يريد منا أن يسكت غيره ويحرمه عن الكلام من وضع أصبعه على في نفسه ٥٥ ورابعاً أن يكون المعنى فردوا أيديهم أنفسهم الى أفواه الرسل أى أنهم كذبوهم ولم يصفوا الى أفواههم فإلهاء الأولى للقوم والثانية للرسل والأيدى انما ذكرت مثلاً وتأكيداً كما يقول القائل أهلك فلان نفسه بيده أى وقع الهلاك به من جهته لا من جهة غيره ٥٥ وخاسساً أن المراد بالأيدي الذم والهاء الثانية للقوم المكذبين والتي قبها للرسل والتقدير فردوا بأفواههم نعم الرسل أى ردوا وعظهم وإنذارهم وتنبههم على مصالحهم الذى لو قبلوه لكان لعمادتهم ٥٥ ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التي في الأيدي للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم فيعجزوا اضافها اليهم وحمل لفظة في على معنى الباء جائز لقيام بعض الصفات مقام بعض يقولون رضيبت عنك ورضيت عليك ٥٥ وحكي في لغة طي " أدخلك الله بالجنة يريدون في

الجنة فيعبرون بالباء عن معنى في كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بنى عن الباء . قال الشاعر
وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

أراد وأرغب بها فحمل في على الباء . . . وسادسها وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر
وزعم أنه أولى من غيره قال المضمرون في قوله أيديهم الرسل وكذلك المضمرون في
أفواههم والمراد باليد هنا ما نطق به الرسل من الحجج والبيئات التي ذكر الله تعالى
أنهم جاؤا بها قومهم واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضاً وعلى
الملك وعلى العهد والعقد ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذي أتى به الأنبياء قومهم
هو الحجة والسلطان وهو النعمة وكل ذلك يقع على اسم اليد ولما كان مانعاً
به الأنبياء قومهم وينذرونهم به إنما يخرج من أفواههم فردوه وكذبوه قبل أنهم ردوا
أيديهم في أفواههم أي أنهم ردوا القول من حيث جاء قال ولا يجوز أن يكون الضمير
في ذلك للرسل اليهم كما تأوله بعض المفسرين وذكر أن معناه أنهم عضوا عليهم أناملهم
غيظاً لأن رافع يده إلى فيه والعاث عليها لا يسمى راداً ليد يده إلى فيه إلا إذا كانت يده
في فيه فيخرجها ثم يردّها . [قال المراتبي] رضى الله عنه وليس ما استكره أبو مسلم
من رد الأيدي إلى الأفواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده إلى فيه وإلى وجهه
وعاد فلان يقول كذا ورجع يفعل كذا وإن لم يتقدم ذلك الفعل منه ولو لم يسبق هذا
القول تحقّقاً لساغ تجوزاً واتساعاً وليس يجب أن تؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها
فإن تجوزها واستعاراتها أكثر على أنه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا ذلك
الفعل شيئاً بعد شيء وتكرر منهم فلمّا جاز أن يقول ردوا أيديهم في أفواههم لأنّه قد
تقدم منهم مثل هذا الفعل فلمّا تكرّر جازت العبارة عنه بالرد وهذا يبطل استدعافه
للجواب إذا صرنا إلى مراده

[تأويل خبر] . . . روى أن مسلماً الخزاعي ثم المصطفي قال شهدت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطفي

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أُمْسِيتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَايَا تُؤَافِي كُلَّ إِنْسَانٍ

وَأَسْلَكَ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرُ مُخْتَشِعٍ
حَتَّى تَبَيَّنَ مَا يَمْنَى لَكَ الْمَانِي^(١)
فَكُلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يَفَارِقُهُ
وَكُلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَلَانِي
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ
بِكُلِّ ذَلِكَ يَا تَيْكَ الْجَدِيدَانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدركته لأسلم فبكي مسلم فقال ابنه يا أبت ما يبكيك من مشرك مات في الجاهلية فقال يا بني لا تفعل فا رأيت مشركاً تلقت من مشرك خيراً من سويد .. قوله ما يمني لك الماني - معناه ما يقدر لك القادر .. قال الفراء يقال منى الله عليه الموت أى قدر الله عليه الموت .. وقال يعقوب مناك الله بما يسرك أى قدر الله لك ما يسرك وأنشد

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو لَقَدْ سَاقَهُ الْمَنَى
إِلَى جَدَثٍ يُوزَى لَهُ بِالْأَهَاضِبِ^(٢)
.. قال ابن الأعرابي ساقه المني أى ساقه القدر .. وأنشد ابن الأعرابي

مَنْتَ لَكَ أَنْ تُلَاقِيَنِ الْمَنَايَا
أُحَادَ أُحَادَ فِي الشَّهْرِ الْحَلَالِ^(٣)

معناه قدرت لك .. وقال أبو عبيدة في قوله تمنى (من نطفة إذا تمنى) معناه إذا تخلق وتقدر .. وقال بعض أهل اللغة انما سى منى لما يمني من ثواب الله أى يقدر فيه وقيل أيضاً لما يمني من الدم .. وقيل انما سى بذلك لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما انتهى قال له الملك تمنى قال تمنى الجنة فسمى منى لذلك ومنى يذكر ويؤتى والتذكير أجود .. قال الشاعر في التذكير

سَقَى مِنِّي ثَمَّ رَوَاهُ وَسَا كُنْهَ
وَمَنْ تَوَى فِيهِ وَاهِي الْوَذْقِ مُتَبَقِّ

(١) - مختشع - من الخشوع وهو الذل والمسكنة يقول إن من سلك طريقه الذي

يليق به سلوكه ولم يجاوزه الى مالا يليق به قضى عمره في عز ورفعة حتى يوافي أجله

(٢) - الجدث - القبر - وبوزى يختمر ويعمل من أوزى داره اذا جعل حول

حيطانها الطين - والاهاضب - جمع حضبة وهي المشرف من الارض

(٣) - أحاد أحاد - يعنى واحداً واحداً وهما ممنوعان من الصرف للعامل

.. وقال آخر في التأييد

لِيَوْمِنَا بَعَثَ إِذْ نَحْنُ نَنْزِلُهَا أَسْرَ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعَرْجِ أَوْ لَلِ

فأما قوله - فالخير والشر مقرونان في قرن - فالقرن الجبل وأراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الانسان في الدنيا خيراً صرفاً لا شر فيه فللهذا قال انهما مقرونان في قرن ويجوز أيضاً أن يريد أن سرعة قلب الدنيا وإبدائها الخير بالشر كأن الخير والشر مقرونان مجتمعان معاً لتقارب ما بينهما .. فأما - الجديدان - فهما الليل والنهار وهما أيضاً الأجساد والملوان والفتيان والردفان والمصران .. قال الشاعر

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ تَفْسُدُ النَّاسُ

.. وقال آخر

وَأَنْطَلَهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى عَلَيَّ وَبَرَضِي بِنَصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ^(١)

وقال أبو عبيدة ويقال الليل والنهار إنسانيت .. وأند ابن الاعرابي

وَكُنَّا وَهُمْ كَأَبْنَى سَبَاتٍ تَفَرَّقَا سِوَى ثُمَّ كَانَا مَنْجِدًا وَتَهَامِيَا

ويقول للفداء والمعنى القران والبركان والصرعان .. أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قال أُمِّي عَلِيْنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النُّعْمِيُّ قَالَ أُنْعَدْنَا ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ لِرُقَيْعِ الْوَالِيِّ

كَذَّبْتُكَ مَا وَعَدْتُكَ أَمْسِ صَلَاحُ وَعَسَى يَكُونُ لِمَا وَعَدْتُ نَجَاحُ

بُرُؤٌ مِنَ السَّقَمِ الطَّوِيلِ ضَمَانُهُ لَا يَسْتَوِي سَقَمٌ بِكُمُ وَصَحَّاحُ

أَصْلَاحُ إِنَّكَ قَدْ رَمَيْتَ نَوَافِذَا وَجَوَافِثًا لَيْسَتْ لِهِنَّ جِرَاحُ

(١) - أنطله - بالنون أي أمطله وقد روى بالهم أيضاً والمعنى أنه لا يزال يسوفه من يوم إلى يوم ومن وقت إلى آخر حتى يرضى بنصف ماله عليه من الدين وأنه راغم

وَقَدْ رَأَيْتُكَ بِالْقَوَادِمِ لَمَحَةً وَعَلَى مِنْ سَدَفِ الْمَشْيِ رِيَّاحُ

معنا رياح ههنا أي على وقت من المشي ومثلها رياح وقوم يروونه بالكسر وليس بشيء

مَا كَانَ أَبْصَرَنِي بِنَفَاتِ الصَّبَا وَالْيَوْمَ قَدْ اشْفَعْتَ لِي الْأَشْبَاحُ

ومشي يجنب الشخص شخص مثله والأرض نائية الشخص برّاح

حَلَقَ الْحَوَادِثُ لَمَتِي فَتَرَكَنِي لِي رَأْسًا يَصِلُ كَأَنَّهُ جَمَّاحُ

وذكا بأصداغي وقرن ذؤابتي قَبَسُ الْمَشِيبِ كَأَنَّهُ مِصْبَاحُ

قال كأنه جمّاح من املاسه - وجّاح - سهم أو قصبة يجعل عليها الطين ثم يرمى بها الطير
وهذا الاسناد لبعضهم

أَرَى النَّاسَ لِلْمَعْلُوكِ حَرَبًا وَلَا أَرَى لَدَيْ نَسَبٍ إِلَّا خَلِيلًا مُصَافِيَا

أَرَى الْمَالَ يَفْتَشِي ذَا الْوُصُومِ فَلَا يَرَى وَيُدْعِي مِنَ الْأَشْرَافِ مَنْ كَانَ غَايِبَا

- المعْلوك - الفقير وهو أيضاً القرضوب والسبوت - والوصوم - العيوب * *
وهذا الاسناد لعقيل بن علفه

إِنِّي لَيَحْمَدُنِي الْخَلِيلُ إِذَا أَجْتَدَيْ مَالِي وَيَكْرَهُنِي ذَوُو الْأَضْمَانِ

وَأَيَّتُ تَحْلَجُنِي الْهُمُومُ كَأَنِّي دَلُّو السَّقَامَ تَمُدُّ بِالْأَشْطَانِ^(١)

وَأَعِيشُ بِالْبَلَلِ الْقَلِيلِ وَقَدْ أَرَى أَنَّ الرُّمُوسَ مَصَارِعُ الْفَتَيَانِ

وأخبرنا أبو عبيد الله الرزباني قال حدثني علي بن منصور قال أخبرني محمد بن موسى عن دحبل بن علي قال قال لي عقيل بن علفه وذكر الأبيات الثلاثة وزاد فيها

(١) - تحلجني - من حلجت القطن إذا ميزت جبه عن شعره ورواه ابن الأعرابي بإخاء

من خلجه الهم شغله وتند - ترلع - والاشطان - جمع شطن وهو جبل البثر - والرموس -

جمع رمس وهو القبريقول إن الموت كائن لاعمالة فالقليل من العيش والكثير سهان

ولقد علمتُ لئن هَلَكْتُ لَيَذْكُرَنَّ قَوْمِي إِذَا عَلَنَ النَّجِيُّ مَكَانِي

[قال المرتضى] رضى الله عنه وكان عقيل بن علفة مع قوة شعره جيد الكلام حكيم الألفاظ .. وروى المدائني قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علفة المرى ما أحسن أموالكم فقال ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضلاً قال ثم ليها قال مواريثنا قال فأياها أشرف قال ما استفدناه لوقعة خوات نعماً وأفادت عزاً قال فما مبالغ عزكم قال ما لم يطمع فينا ولم نؤمن قال فما مبالغ جودكم قال ما عقدنا به متناً وأبغينا به ذكراً قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل متناً عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه .. وروى أنه قيل لعقيل بن علفة قد عشت بناتك أفا نخشى عليهن الفساد قال كلا إني خلقت عندهن الحافظين قيل وماها قال الجوع والمرى أجيمهن فلا يأشرن وأعريهن فلا يظهرن .. وقال له عبد الملك يوماً مالك نهجو قومك قال لأنهم أشباه الغنم إذا صبح بها رفعت وإذا سكت عنها رنعت قال إنما تقول البيت والبيتين قال حبي من القلادة ما أحاط بالحق .. فأما معنى علفة اسم أبيه .. قال ابن الأعرابي قال العلفة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الرهز من البقل وغيره .. وقال أبو سعيد السكري العلفة ضرب من أوعية يزر بعض النبات مثل قشرة الباقلاء واللوبيا وهو الغلاف الذي يجمع عدة حب .. وقيل إن عقيلاً كان يكنى بأبي الوليد وكان عقيل غيوراً موصولاً بشدة الغيرة .. وروى أبو عمرو بن العلاء أنه حمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول

إني وإن سيقَ إليَّ المهرُ ألفٌ وعبدانٍ وذوذة عشرُ
أحبُّ أصهارِي إليَّ القبرُ

وذكر الأصمعي أن عقيلاً كان لغيرته إذا رأى الرجل يتحدث إلى النساء أخذه ودهن أرفاغه ومغابته يزيد وربطه وطرحه في قرية النمل فلا يعود إلى محادثتهم .. وروى الأصمعي قال كان عقيل بن علفة في بعض سفره ومعه ابنة العلس وابنته الجرباء فأنشأ يقول

قَصَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرٍ سَعْدٍ وَرَبَّهَا عَلِيَّ عَجَلٍ نَاطِحَتُهُ بِالْحَجَّاجِمِ^(١)

ثم أقبل على ابنته فقال أجزى يا عريس فقال

وَأَصْبَحَنْ بِالْمَوْمَةِ يَحْمِلُنَ فِتْنَةً نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ مِيلَ الْعَمَامِ

ثم أقبل على ابنته فقال أجزى يا جرياء فقالت

(١) - دير سعد - بين بلاد غطمان والشام وقد أخرج الضحاك هذه الحكاية بإسـ

مما ذكر هنا ونحن نذكرها تنبيهاً للقائدة . . . قال خرج عقيل بن علفه وجثامة وابنته الجرياء حتى أتوا بنتاً له ناكحاً في بني مروان بالشامات ثم انهم قفلوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل بن علفه

قَصَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرٍ سَعْدٍ وَطَلَمَا عَلَى عَرَضٍ نَاطِحَتُهُ بِالْحَجَّاجِمِ

إِذَا هَبَطْتَ أَرْضًا يَمُوتُ غَرَابِهَا بِهَا عَطَشًا أُعْطِيهِمْ بِالْخَزَائِمِ

ثم قال أخذ يا جثامة فقال جثامة

فَأَصْبَحَنْ بِالْمَوْمَةِ يَحْمِلُنَ فِتْنَةً نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ مِيلَ الْعَمَامِ

إِذَا عَلِمْتَ غَادِرُهُ يَتَوَفَّى تَذَارِعُنِ بِالْأَيْدِي لِأَخْرِ طَاسِمِ

ثم قال أنفذى يا جرياء فقالت

كَأَنَّ الْكُرَى سَقَاهُمْ صِرْخُ دِيَّةٍ عَقَارًا تَمْلِي فِي الْمَطَا وَالْقَوَامِ

فقال عقيل شربنيها ورب الكعبة لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قرطك أما وجدت من الكلام غير هذا فقال جثامة وهل أسامت انما أجادت وليس غيري وغيرك فوما عقيل بهم فاصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرجل ثم شد على الجرياء ففقر نائحتها ثم حملها على ناقة جثامة وتركه عقيراً مع ناقة الجرياء ثم قال لولا أن تسبي بنو مرة لما عشت ثم خرج متوجهاً إلى أهله وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أو قلت لهم انه اصابه غير الطامون لا قتلتك فلما قدموا على أهل أبيروهم بنو القين ندم عقيل على فعله بجثامة فقال لهم هل اسكنكم في جزور انكسرت قالوا نعم قال فآلزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجوز وورق نرجس الغوم حتى انتهوا إلى جثامة فوجدوه قد أنزله الدم فاحتلموه وقسموا الجوز وروا أنزلوه

كَانَ الْكَرَى سَقَاهُمْ صَرَخَ دِيَّةً عَقَارًا عَمَشَتْ فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ
 قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَى ابْنِهِ يَضْرِبُهَا وَيَقُولُ وَاقِهِ مَا وَصَفْتِهَا بِهِذِهِ الصِّفَةِ حَتَّى شَرِبَتْهَا فَوُثِبَ عَلَيْهِ
 إِخْوَتُهَا فَقَاتَلُوهُ دُونَهَا ثُمَّ رَمَاهُ أَحَدُهُمْ بِسَهْمٍ فَأَسْطَظَمَ غَضَاهُ ۝۝ فَقَالَ عَقِيلُ
 إِنْ بَنَى زَمَلُونِي بِالْذَّمِّ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يَكْلَمُ
 وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يَقُومُ شِدْشِنَةُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمِ
 - الشَّنْشَنَةُ - الطَّبِيعَةُ وَالسَّجِيَّةُ وَقِيلَ الشَّبَّ وَهَذَا مِثْلُ اجْتِنَابِهِ عَقِيلُ وَقَدْ قِيلَ قَبْلَهُ وَلَعَقِيلُ
 وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ كَلْبَسْتَهُ يَوْمًا أَجَدًّا وَأَخْلَقَا
 وَكُنْ أَكْبَسَ الْكَيْسِيِّ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ
 وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمَقِيِّ فَكُنْ أَنْتَ أَحَقُّمَا

جلس آخر ٢٧

[تَأْوِيلُ آيَةِ] ۝۝۝ إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَالِىَ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ) فَقَالَ
 كَيْفَ يَصِحُّ الْقَوْلُ بِأَنَّهَا رَجَعَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ لَمْ تَخْرُجْ عَنْ يَدِهِ ۝۝ الْجَوَابُ قُلْنَا قَدْ ذَكَرَ
 فِي ذَلِكَ وَجُوهٌ ۝۝ أَوَّلُهَا أَنَّ النَّاسَ فِي دَارِ الْخُفَةِ وَالْتَّكْلِيفِ قَدْ يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
 وَيَعْتَقِدُونَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ جَرَّ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِمْ وَصَرَفَ الْمَضَارِّ عَنْهُمْ وَقَدْ يُدْخِلُ عَلَيْهِمُ
 الشُّبَّ لِلتَّصْغِيرِ فِي النَّظَرِ وَعَدُولِهِمْ عَنْ وَجْهِهِ وَطَرِيقِهِ فَيُجْبِدُ قَوْمَ الْأَسْنَامِ وَغَيْرَهَا مِنْ
 عَلَيْهِمْ وَمَا لُجُوهٌ حَتَّى يَرَى وَالْحَقُّوهُ بِقَوْمِهِ فَلَمَّا كَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ نَفَى
 أَيْمُنُ لَأَحْبَبْنَا وَيَلْبَعِينَ فِي الصَّبَا وَمَا مِنْهُ وَالْفَتَيَانِ الْأَشْقَاتِ
 فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ إِنَّمَا أَهْلُتَ مِنَ الْجِرَاحَةِ الَّتِي جَرَحَكَ أَبُوكَ آخَا وَقَدْ عَادَوْتَ مَا يَكْرَهُهُ
 فَامْسِكْ عَنْ هَذَا وَنَحْنُ إِذَا لَقِينَاكَ لَا يَلْحَقُكَ بِهِ شَرٌّ وَغَرًّا فَقَالَ إِنَّمَا هِيَ خَطَرَةٌ خَطَرَتْ
 وَالرَّاكِبُ إِذَا سَارَ نَفَى

المعبودات الجلمدة الملمدة التي لا نسمع ولا تبصر ويمعد آخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى في استحقاق العبادة ويضيف كل هؤلاء أفعال الله عز وجل فيهم الى غيره فاذا جاءت الآخرة وانكشف الغطاء واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل وأيقن الكل انه لا خالق ولا رازق ولا خاز ولا نافع غير الله فرددوا اليه أمورهم وانقطعت آمالهم من غيره وعلموا ان الذي كانوا عليه من عبادة غيره وتأمله للضر والنفع غرورٌ وزور فقال الله تعالى (والى الله ترجع الأمور) لهذا المعنى .. والوجه الثاني أن يكون معنى الآية في الأمور أن الأمور كلها لله تعالى وفي يده وقبضته من غير خروج ورجوع حقيق وقد تقول العرب قد رجعت على من فلان مكروه بمعنى صار الى منه ولم يكن سبق الى قبل هذا الوقت وكذلك يقولون قد عاد على من زيد كذا وكذا وان وقع منه على سبيل الابتداء .. قال الشاعر

وإن تكن الأيام أحسن مرةً إلى فقد عادت لهن ذنوبُ

أي صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل بل كان قبلها إحسان فحمل الآية على هذا المعنى شائع جائز تشهد له اللغة .. والوجه الثالث إننا قد علمنا ان الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف أموراً تنقطع بانقطاع التكليف وإفضاء الأمر الى الدار الآخرة مثل ما ملكه المولى من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز أن يريد الله تعالى برجوع الأمر اليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره بتجليه الى أن يكون هو وحده مالكها ومديرها .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بها ان الأمر ينتهي الى أن لا يكون موجود قادر غيره ويغضي الأمر في الانتهاء الى ما كان عليه في الابتداء لأن قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد إقنائهم هكذا يصير وتكون الكتابة برجوع الأمر اليه عن هذا المعنى وهو رجوع حقيق لأنه عاد الى ما كان عليه متقدماً .. ويحتمل أيضاً أن المراد بذلك أن الى قدرته تعود المقدورات لأن ما أنقضاء من مقدراته الباقية كالجواهر والاعراض ترجع الى قدرته ويصح منه تعالى لإيجاده لعوده الى ما كان عليه وان كان لا يصح في مقدرات البشر وان كانت

باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدور القدر باستحالة العود اليها من حيث لم
يجر فيها التقديم والتأخير وهذا أيضاً حكمه تعالى المتفرد به دون غيره من سائر القادرين
والله أعلم بما أَرَادَه

﴿ مجلس آخر ٢٨ ﴾

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (ليس البر أن تأتوا البيوت من
ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) فقال أي معنى لذكر البيوت
وظهورها وأبوابها وهل المراد بذلك البيوت المسكونة على الحقيقة أو كفى بهذه اللفظة
عن غيرها فان كان الأول فما الفائدة في إتيانها من أبوابها دون ظهورها وان كانت كناية
فبينوا وجهها ومعناها .. الجواب قيل له في الآية وجوه .. أولاً ما ذكر من أن الرجل
من العرب كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم يتجع فيها رجع فدخل من مؤخر البيت
ولم يدخل من بابه تطييراً فدلهم الله تعالى على أن هذا من لعامه لا بر فيه وأمرهم من
التقى بما ينفعهم ويقربهم اليه وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطيّر وقال
لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر أي لا يمدى شيء شيئاً .. وقال عليه الصلاة
والسلام لا يورد ذو طاعة على مصحّ ومعنى هذا الكلام ان من لحقت إبله آفة أو مرض
فلا ينبغي أن يوردها على إبل لغيره صحاح لأنه مقي فعل ذلك ياحق الصحاح مثل هذه
العامة اتفاقاً لا لأجل العدوى ولم يؤمن من صاحب الصحاح أن يقول انما لحق إبلي
هذه الآفة من تلك الإبل وهي أعدت إبلي فنبى النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا
إبزول المائمه بين النريقين والظن البقيس .. وثانها ان العرب ^(١) إلا قريشاً ومن ولدته

(١) قوله ان العرب الا قريشاً الحاققت ليس كذلك وانما الذين كانوا يخامون دخول
البيوت من أبوابها وهم محرمون الا حاس وهم قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في
الجاهلية وانما سماوا بذلك لتعصمهم في دينهم أي تشدهم وقد صح ان النبي صلى الله
عليه وسلم أقبل ليدخل بيت بعض نسائه وهو محرم ومعه بعض أصحابه فلما دخل النبي صلى

قريش كانوا اذا اُحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من أهل البربر واذا كانوا من أهل المدر تقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من أبواب البيوت فهاهم الله تعالى عن ذلك وأعلمهم انه لا معنى له وانه ليس من البر وان البر غيره .. ونالها وهو جواب أبي عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر بان تطالبوا من غير أهله وتلتصقوا من غير بابه وأنتم البيوت من أبوابها مضاء واطلبوا الخير من وجهه ومن عند أهله .. ورابعها وهو جواب أبي علي الجبائي أن يكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل وأراد ليس البر أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته لأن إثباته من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبر الى الاتهم والخطأ وبين البر والتقوى وأمر ببيان الأمور من وجوهها وان تفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلاً لأن العادل عن الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه .. وخامسها أن تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى وأنتم النساء من حيث أمركم الله والعرب تسمي المرأة بيتاً .. قال الشاعر

مَالِي إِذَا أَنْزَعَهَا صَايْتُ أَكْبَرُ غَيْرِي أُمَّ يَنْتُ

أراد بالبيت المرأة .. ومما يمكن أن يكون شاهداً للجواب الذي حكيناه عن أبي علي الجبائي والجواب عن أبي عبيدة أيضاً ما أخبرنا به أبو القاسم أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الأعرابي

إِنِّي عَجِبْتُ لِأُمِّ الْعَمْرِ إِذْ هَرَبْتُ مِنْ شَيْبِ رَأْسِي وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ
مَا شَقَوْتُ الْمَرْءَ بِالْإِفْتَارِ يُقْتَرُهُ وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِالْكَثَارِ
إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَتْرَلُهُ وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

الله عليه وسلم تأخر الرجل فقال له عليه الصلاة والسلام مالك لا تدخل فقال أنا أحسى فقال وأنا كذلك فتنسخ بفعله وقوله ما كانت عليه قريش ومن أخذ مأخذها

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ يُزَيِّنُ لِي شَتَمَ الْمَشِيرَةِ أَوْ يُدْنِي مِنَ الْمَارِ
 وَخَيْرُ دُنْيَا يُنْسِي الْمَرْءَ آخِرَةَ وَسَوْفَ تَبْدُو إِلَى الْجَبَّارِ أَسْرَارِي
 لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحَبُّ مِنْ مُؤَخَّرِهِ وَلَا أَكْثَرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي
 فقوله لا أدخل البيت أحبو من مؤخره - يحتمل أن يريد به إتي لا آتي الأمور من
 غير وجهها على أحد الأجوبة في الآية .. ويحتمل أيضاً إني لا أطلب الخير إلا من أهله على
 جواب أبي عبيدة .. ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يريد إتي لا أفسد البيت للربة
 والفساد لأن من شأن من يسي إلى أفساد الحرم ويقصد البيوت للربة أن يعدل عن
 أبوابها طلباً لاختفاء أمره فكانه نفي عن نفسه بهذا القول القبيح وتزعم عنه كأنه
 بقوله - ولا أكسر في ابن العم أظفاري - عن مثله وأراد أنه لا يبدأ ابن العم من السوء
 ولا يتألم بشيء من جهتي فأكون كأنني قد جرحته بأظفاري وكسرتها في لحمه وهذه
 كنايةات بليغة مشهورة للعرب .. ويجري مجرى هذه الأبيات وقاربها في المعنى
 وحسن الكناية قول ملال بن خنم

وَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُونَةٌ إِلَى اغْتِيَابِهَا
 إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا زَوْراً وَلَمْ تَنْبِغْ عَلَيَّ كَلَابِهَا
 وَمَا أَنَا بِالذَّارِي أَحَادِيثَ بَيْنَهَا وَلَا عَالِمٌ مِنْ أَيْ حَوْكٍ ثِيَابِهَا
 وَإِنْ قَرِيبَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلَامُهَا وَيَكْفِيكَ عَوْرَاتُ الْأُمُورِ اجْتِنَابِهَا

[قال المرتضى] رضى الله عنه وقد جمعت هذه الأبيات فقرأ عجيبة وكنايات بليغة لأنه
 نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لأنها أدق إلى الربة
 وأخص بالهمة فقال - ولم تنبغ علي كلابها - أراد إني لا أطرقها ليلاً مستخفياً متكرراً
 فتكرني كلابها وتنبغي وهذه الكناية تجرى مجرى قول الشاعر المتقدم .. لا أدخل
 البيت أحبو من مؤخره وقد روى ولم تأنس إني كلابها وهذا معنى آخر كأنه أراد -
 أنه ليس بكثير الطرقي لها والفسحان لمزها فتأنس به كلابها لأن الألس لا يكون إلا

مع المواصله والمواترة .. وقوله - وما أنا بالداري أحاديث بيتا - أراد به أيضاً التأكيد
فإنني زيارتها وطروقها عن نفسه لأنه إذا أدمن الزيارة صرف أحاديث بيتها فإذا لم يزرها
وصارها لم يعرف .. ويحتمل أن يريد إني لا أسأل عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل
أهل الفضول فترى نفسه عن ذلك .. وقوله - ولا عالم من أي حوك ثيابها - كناية مديحة
عن أنه لا يجمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها .. وبالإسناد المتقدم لحارثة
ابن بدر الغداني

إذا اللهم آمني وهو داء فأمضه	ولست بمضيه وأنت تعادله
ولا تنزلن أمر الشديدة بأمرىء	إذا هم أمراً عوقته عواذله
فما كل ما حاولته الموت دونه	ولا دونه أرضاده وحبائله
ولا الفتك ما آمرت فيه ولا الذي	تحدث من لا قبيل أنك فاعله
وما الفتك إلا لأمرى ذي حفيظة	إذا مال لم ترعده عليه خصائله
ولا تبجلن سراً إلى غير أهله	فتعده إن أقضي عليك تعادله
ولا تسأل المال البخيل ترى له	غنى بعد ضرر أورثته أوائله
أرى للمال أفياء الظلال فتارة	يؤوب وأخرى يحتل المال خاتله

.. معنى - آمرت - شاورت - والحاصل - كل لم يجمع وقد رويناه في هذه الآيات زيادة
على القدر الذي ذكرناه .. أخبرنا أبو عبيد الله المروزي قال حدثني الحسن بن علي قال
حدثنا محمد بن العباس قال حدثني الفضل بن محمد عن أبي الهيثم الملهي قال من الآيات
السائرة قول حارثة بن بدر الغداني

لصر لك ما بقي لي الدهر من أخ	حفي ولا ذي خلة لي أو أصيله
ولا من خليل ليس فيه غوائل	فشر الأخلاء الكثیر غوائله

وَقُلْ لِقَوَادِ إِنْ نَزَى بِكَ نَزْوَةٌ مِنَ الرُّوعِ أَفْرِخْ أَكْثَرُ الرُّوعِ بِاطْلُهُ

معنى - أفرخ - أي أسكن يقال أفرخ روعه إذا سكن

وما كل ما حاولته الموت دونه

وذكر البيتين اللذين بعده وزاد

وَكُنْ أَنْتَ تَزْعِي بِرِّ نَفْسِكَ وَأَعْلَمَنْ

إِذَا مَا قَتَلْتَ الشَّيْءَ عَلِمًا فَبُخْ بِهِ

ومما يستحسن لحارثة بن بدر الفدائي قوله

لَنَا نَبْعَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعَهَا

وَإِنَّا لَنَسْتَحْلِي الْمَنَايَا نُفُوسَنَا

وَشَيْبَ رَأْسِي قَبْلَ حِينَ مَشِيهِ

قوله - لنا نبعه كانت تقينا فروعها - مثل ضربه وإنما أراد عشيرته وأهل بيته .. وقد

روى هذه الأبيات علي بن ساجان الأخفش عن أبي العباس ثعلب وزاد فيها

رَأَيْتُ الْمَنَايَا بِأَدْيَاتٍ وَعُودًا

وَلَقَدْ قَسَمْتُ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ مِنْهُمَا

وَيَنْتَازِجِي النَّفْسَ مَا هُوَ نَازِحٌ

.. وروى أبو العينية قال أشهد الشعبي عبد الله بن جعفر الأبيات الثلاثة الأولى فقال

عبد الله لمن هذا يا شعبي قال لحارثة بن بدر فقال نعمن أحق بهذا ثم أمر لاشعبي بأربعه

دينار .. ومن مستحسن قول حارثة

وَلَقَدْ وَلَيْتُ إِمَارَةً فَرَجَعْتُهَا

وَلَقَدْ مَنَعْتُ النَّصْحَ مِنْ مُتَقَبِّلِي

فِي الْمَالِ سَالِمَةً وَلَمْ أَتَمَوَّلْ

وَلَقَدْ رَفَعْتُ النَّصْحَ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ

فَبِأَيِّ لَسَةِ لَامِسٍ لَمْ أَلْتَمِسْ وَبِأَيِّ حِيلَةٍ حَائِلٍ لَمْ أَحْتَلِ
يَا طَالِبَ الْحَاجَاتِ يَرْجُو نُجْحَهَا لَيْسَ النَّجَاحُ مَعَ الْأَخْفِ الْأَعْمَلِ
فَأَصْدُقْ إِذَا أَحْدَثْتَ تَكْتِبُ صَادِقًا وَإِذَا حَاقَتْ مُسَارِيَا فَتَحَلَّلِ

معنى - تكتب صادقاً - أى تكون عند الله صادقاً ٥٥ وقوله - فتحلل - أى اسنن

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعُلَى غَيْرًا أَوْ كُفْهًا بَرِيثًا فَاعْمَلِ

معنى - الباهشين - اللادين أيديهم إلى الشيء المهشين له

وَأَحْذَرْ مَكَانَ السُّوءِ لِأَتَحَلَّلَ بِهِ وَإِذَا نَبَا بِكَ مَزَلٌ فَتَحَوَّلْ
وَإِذَا أَبْنُ عَمَلِكَ لَبِغٌ بَمَضٍ لِحَاجَةٍ فَأَنْظِرْ بِهِ عِدَّةً وَلَا تَسْتَعْجَلْ^(١)
وَإِذَا أَفْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مَتَخَشِعًا تَرْجُو التَّوَاضُلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُفْضَلِ
وَأَسْتَعْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْفَتْنِ وَإِذَا تَكُونُ خِصَاصَةً فَتَجَلَّ

٥٥ وأخبرنا أبو غنيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر العدائي رجل تميم في وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقبل لزياد أن هذا قد غلب عليك وهو مشتهر بالشراب فقال زياد كيف لي بإطراح رجل هو يسأري من دخلت العراق لم تصطك ركباً ركابه ولا تقدمني فظنرت إلى قفاه ولا تأخر عني فلويت عني إليه ولا أخذ على الشمس في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا سأله عن علم إلا ظننته لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة أيها الأمير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المنيرة فقال له عبيد الله إن أبا المنيرة قد كان برع بروعاً لا يبلغه معه عيب

(١) - اللجاجة - الخصومة - وانظر - انظر - يقول إذا خاصمك قريبك

ويلج في خصومتك فانتظر رجوعه إليك وإقلاعه عن خصومتك ولا تستعجل عليه في مقابلته بمثل ما يدرك به أو فانتظر به نازلة تشغله عنك وتكف عنك غائلته

(٧ - أمالي)

وَأَنَا حَدَّثْتُ وَأَنَا أُنْسِبُ إِلَى مَنْ يَطْلُبُ عَلِيَّ وَأَنْتَ رَجُلٌ نَحِمُ الشَّرَابَ فَتَقْرِبُكَ
وظَهَرَتْ مِنْكَ رَائِحَةُ الشَّرَابِ لَمْ أَتَمَنَّ أَنْ يَنْظُرَ فِي فِدَعِ الشَّرَابِ وَكُنْ أَوَّلُ دَاخِلٍ عَلَى
وَأَخْرَجَ خَارِجَ قَتَالٍ لَهُ حَارِثَةُ أَنَا لَا أَدْعُهُ لِمَنْ يَمْلِكُ ضَرْبِي وَنَفْخِي أَفَادَعُهُ لِلْحَالِ عِنْدَكَ قَالَ
فَاخْتَرِ مِنْ عَمَلِي مَا شِئْتَ قَالَ تَوَلَّيْتُ رَامَ هَرَمَزٍ فَانْهَارَتْ أَرْضُ عَسَدَاتٍ وَشَرَفَ قَانُ بِهَا شَرَابًا
وَصَفَّ لِي قَوْلًا إِيَّاهَا فَلَمَّا شَبِعَهُ الدَّاسُ ٥٥ قَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ وَقَبِيلُ ابْنِ أَبِي
إِبَاسٍ الدُّثَلَى

أَحَارِ بْنِ بَذْرِ قَدْ وُلِّيتَ إِمَارَةً فَكُنْ جَرُودًا فِيهَا تَحْنُونَ وَتَسْرِقُ
وَلَا تَحْقِرَنَّ يَا حَارِثُ شَيْئًا وَجَعَلْتَهُ فَحَظُّكَ مِنْ مَلِكِ الْعِرَاقِينَ سُرْقُ^(١)
وَبَاهٍ تَقِيمًا بِالْفَنَى إِنْ لَانِي لِسَانًا بِهِ الَّتِي الْهَيْبَةُ يَنْطَلِقُ
فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِمَامٌ مُكْذِبٌ يَقُولُ بِمَا تَهْوَى وَإِمَامٌ مُصَدِّقُ
يَقُولُونَ أَقْوَالَ وَلَا يَعْلَمُونَهَا فَإِنْ قِيلَ هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا

وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدُّثَلَى وأنه كتب بها إلى حارثة لما ردت إليه سرقة
وزاد فيها

وَكُنْ حَارِثًا فِي الْيَوْمِ إِنْ الَّذِي بِهِ يَجِيءُ غَدًا يَوْمٌ عَلَى النَّاسِ مُطْبِقُ
وَلَا تَعْجَزَنَّ فَالْعَجْزُ أَوْطَأُ مَرْكَبٍ وَمَا كُلُّ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ يُزَقُّ
إِذَا مَا دَهَكَ الْقَوْمُ عَذُوكَ أَكَلًا وَكُلُّ حَارِثٍ أَوْ جُعَ لَسْتُ مِمَّنْ يَحْمَقُ

ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله

جَاءَكَ إِلَهُ الْعَرَشِ خَيْرَ جَزَائِهِ فَقَدْ ظَلَمْتَ مَمْرُوفًا وَأُصِيبْتَ كَافِيَا

(١) - سرقة - بضم أوله وتشديد ثانيه كورة من كور الاهواز ومدنها دوق

أَشْرَتَ بِأَمْرِ لَوْ أَشْرَتَ بِغَيْرِهِ لَأَلْفَيْتَنِي فِيهِ لِأَمْرِكَ عَاصِيَا^(١)

.. ويقال ان حارثة بن بدر والأحنف بن قيس قد دخلا على ابن زياد فقال لحارثة أى الشراب أطيب وكان ينهم فقال برة طاساريه واقطة عنويه وسخنه عنزيه وسكرة سوسيه واعطفه مسرقانيه فقال للأحنف يا أبا بجر ما أطيب الشراب قال الحمر قال وما يدريك ولست من أهلها قال رأيت فيها خصلتين عرفتا انها أطيب الشراب .. ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه كان بأبيه

أُهَانُ وَأُقْصَى ثُمَّ تَنْتَصِحُونِي وَأَيُّ أَمْرٍ يُعْطَى نَصِيحَتَهُ قَسَرَا
رَأَيْتُ الْأَكْفَ الْمُصْلَتِينَ عَلَيْكُمْ مِلًّا وَكَفَى مِنْ عَطَايَاكُمْ صَفْرَا
وَأِنِّي مَعَ السَّاعِي إِلَيْكُمْ بِسَيْفِهِ إِذَا أَحْدَثَ الْأَيَّامُ فِي عَظْمِكُمْ كَسْرَا
مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَيَّ وَتَتَمَنَوْنَ الَّذِي لِي لَمْ أَسْتَطِعْ لَكُمْ صَبْرَا
.. وقال يعاتبه

وَكَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَدْ تَجَبَّرَ بَعْدَ مَا مَرَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِسَيْفِي فَذَرَّتْ
إِذَا زَبَنَتْهُ عَنْ فُؤَادِي أَنْتَ بَوَّ دَعَانِي وَلَمْ أَذْعَ إِذَا مَا أَقْرَبَتْ
إِذَا هِيَ مَا أَحْلَوْتَ مَحَاقِقَ مَقْسَمِي وَيَقْسِمُ لِي مِنْهَا إِذَا مَا أَمَرَتْ

ـ زبنته أى دفعته عن ان يحلبها ـ والفؤاد ـ اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين .. ومعنى ـ أقربت ـ تركته بحلبها .. ويشبه أبيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير يعاتب معاوية وسروان وأهل بيته من جملة قصيدة وهي أبيات قوية جدا

(١) ـ قلت ـ أورد هذه الحكاية ياقوت الحموى في كتابه معجم البلدان وذكر

بني بدر المذكورين هنا وزاد بعدها بيتا واحدا وهو

سئل أخا يصفيك بالود حاضرا وبوليك حفظ الغيب ما كان نائيا .

عَطَاؤُكُمْ لِلضَّارِّينَ رِقَابُكُمْ وَتُدْعَى إِذَا مَا كَانَ جَزَا الْكَرَّاءِ كَرٍّ^(١)
 أَنْحَنُ أَخَوُكُمْ فِي الْمَضِيقِ وَسَهْمُنَا إِذَا مَا قَسَمْتُمْ فِي الْخِطَاءِ الْأَصَاغِرِ
 - الخطاء - سهام صغار

وَتَذُكُّكُمْ إِلَّا ذُنًى إِذَا مَا قَسَمْتُمْ وَإِنْ كَانَ فِينَا الذَّنْبُ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ
 وَتُلْقَى بِشَدَى جِبْنٍ نَسْأَلُ بِاسِرٍّ^(٢) أُمْنِي مَنْ قَبْلَ أَنْ نَهَى عَنْهُ أَوْ نَوْمِهِ بِاجْتِنَابِهِ

وَأِنْ جَاءَكُمْ مِنْ غَرِيبٍ بِأَرْضِكُمْ فَهَلْ يَفْعَلُ إِلَّا عَدَاؤُكُمْ إِلَّا كَفَمَلِكُمْ
 وَغَيْرَ نَفْسِي عَنْكُمْ مَا فَعَلْتُمْ وَجَقَاؤُكُمْ مِنْ عَالِجِ الْحَرْبِ عَنْكُمْ
 وَلَوْ تَسْأَلُونِي عَنْ هَوَايَ وَوَدَّكُمْ وَلَحَارِثَ يَرْنِي زَيْدًا

لَهْفِي عَلَيْكَ لِلْهَفَةِ مِنْ خَائِفٍ أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ
 بَيْنِي جَوَارِكُ حَبْنٍ لَيْسَ مُعِيرُ غَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ
 بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِّيَارُ قُبُورُ رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ
 فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَا جُورُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

- (١) - جز - قطع - والكراء كركرة بالكسر وهي رحي زور البعير
 أو صدر كل ذي خف أو الجماعة من الناس كقوله بذلك عن الحرب
 (٢) - باسر - أي جاف لا يبل فيه ... ومنه يسر الحاجة أي طلبها قبل أوانها

٠٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه وأظن أبا تمام الطائى نظر الى قول حارثة بن بدر
ردت سنائعه اليه حياته * فى قوله

ألم تُمِتْ يا شقيق النفسِ منذَ زَمَنِ فقالَ لي لِمَ بُعِثَ مَنْ لَمْ يُبِتْ كَرَمُهُ

وأخبرنا على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن يعني ابن
أخي الأصمعي عن عمه قال مر حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاة فجعله لا يمر
بمجلس من مجالس تميم إلا قالوا مرحباً بسيدنا فقال كعب ما سمعت كلاماً قط هو
أقر لعيني وألذ فى سمعي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكنى ما سمعت كلاماً قط هو
أكره الى منه ثم قل

ذَهَبَ الرَّجَالُ فَسُدَّتْ غَيْرُ مُسَوِّدٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَقَرُّدِي بِالسُّوَدِ

وهذا البيت يقال انه لحارثة لا انه تمثّل به ٠٠ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني
عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال الكنانى مر حارثة بن بدر بالأحنف
ابن قيس فقال لولا انك مستعجل لكأورتك قال له أجل كانوا يكرهون أن يشاور
الجانح حتى يشيع والظلمان حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والحزبون
حتى يفيق



— مجلس آخر ٢٩ —

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سأل عن قوله تعالى (أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله
سريع الحساب) فقال أى تمدح فى سرعة الحساب وليس بظاهر وجه المدحة فيه
٠٠ الجواب قلنا فى ذلك وجوه ٠٠ أولها أن يكون المعنى انه سريع الحساب للعباد على
أعمالهم وان وقت الجزاء قريب وان تأخر ويمجرى مجرى قوله تعالى (وما أمر الساعة
إلا كلمح البصر أو هو أقرب) وانما جاز أن يعبر عن الجزاء أو الجزاء بالحساب لأن

ما يجازى به العبد هو كفو لفظه وبمقداره فهو حساب له إذا كان مماثلاً مكافئاً ٥٥ وما يشهد بان في الحساب معنى المكافأة قوله تعالى (جزاء من ربك عطاء حساباً) أى عطاء كافياً ويقال أحسبى الطعام يحسبني إحساباً إذا كفاني ٥٥ قال الشاعر

واخبر لا ترى في الناس حسناً يفوتها وفي الناس حسناً لو تأملت تحسب
معناه كاف ٥٥ وثانها أن يكون المراد أنه عز وجل بحاسب الخلق جميعاً في أوقات بسيرة ويقال أن مقدار ذلك حلب شاة لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره بل يكلمهم جميعاً وبحاسب كلهم على أعمالهم في وقت واحد وهذا أحد ما يدل على أنه تعالى ليس يحسب وأنه لا يحتاج في فعل الكلام الى آلة لأنه لو كان بهذه الصفات تعالى عنها لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته لا تخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة كما أن جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفتقرون في الكلام الى الآلات ٥٥ وثالثها ما ذكره بعضهم من أن المراد بالآية أنه سريع العلم بكل محسوب وأنه لما كانت عادة بني الدنيا أن يستعملوا الحساب والاحصاء في أكثر أمورهم أعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يحسبون بغير حساب وإنما سمي العلم حساباً لأن الحساب إنما يراد به العلم وهذا جواب ضمني لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمى حساباً ولو سمي بذلك لما جاز أيضاً أن يقال أنه سريع العلم بكذا لأن علمه بالاشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة ٥٥ ورابعها أن الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك أنه يسأل في وقت واحد سؤالات مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيجزي كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل اليه عند دعائه ومشيئته ما يستوجبه بمقدار فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس اطال العدد واتصل الحساب فأعلمنا تعالى أنه سريع الحساب أى سريع القبول للدعاء بغير احساس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما يبحث المخلوقون للحساب والاحصاء وهذا جواب بني أيضاً على دعوى أن قبول الدعاء لا يسمى حساباً في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يشهد على

ذلك بما يكون حجة فيه وإلا فلا طائل فيها ذكره .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها وتكون الفائدة في الاخبار بسرعه الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى (سريع العقاب) وليس لأحد أن يقول فهذا هو الجواب الأول الذي حكيموه وذلك ان بينهما فرقاً لأن الأول مبنى على أن الحساب في الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة المعروفة والمقابلة بالأعمال وترجيحها وذلك غير الجزاء الذي يفرض الحساب اليه .. وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضاً على أبي علي الجبائي في اعتياده إثباته بان قال مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في حقة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضى زجراً ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب أن يكون المراد الاخبار عن قرب أمر الآخرة والمجازاة على الأعمال .. وهذا الجواب ليس أبو علي المبتدي به بل قد حكى عن الحسن البصري واعتمده أيضاً قطرب ابن المستنير النعوي وذكره المنفصل بن سلعة وليس الطعن الذي حكاه عن هذا الطاعن يبطل له لأنه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لانه قال تعالى (فن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب وراجعاً الى الذين يقولون ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أو يكون راجعاً الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيباً مما كسبوا فلا يكون وعداً خالصاً بل إما أن يكون وعداً خالصاً أو وعداً ووعداً على أنه لو كان وعداً خالصاً على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى (والله سريع الحساب) على تأويل من أراد قصر الزمان وسرعة الموافقة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لأن الكلام على كل حال متضمن لوقوع المعاسبة على أعمال العباد والاحاطة بخيرها وشرها وان وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة لأن من علم بانه يحاسب بأعماله ويوقف على جبلها وقيعها انزجر عن التبيح وعمل ورغب في فعل الواجب

فهذا ينصر الجواب وان كنا لا ندفع ان في حمل الحساب على قرب المجازاة وقرب
الحاسبة على الاعمال ترغيباً في الطاعات وزجراً عن المصبات فالتأويل الاول أشبه
بالظاهر ونسق الآية إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضاً ولا محدود

محلى آخر ٣٠

[تأويل آية ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب)
فقال أى تمدح في الاعطاء بغير حساب وقد يكون المعطى بحساب أجزل عطية من
المعطى بغير حساب ٠٠ الجواب قلنا في هذه الآية وجوه ٠٠ اولها أن تكون الفائدة
انه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب هنا راجع
الى المرزوق لا الى تعالى كما يقول الثمال ما كان كذا وكذا في حسابى أى لم أومله ولم
أقدر انه يكون وهذا وصف للرزق بأحسن الأوصاف لان الرزق اذا لم يكن محتسباً
كان أحسن له وأجلاً ٠٠ وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه في تفسير هذه الآية
انه قال اعنى بها أموال بني قريظة والتضير فاتها تضير اليكم بغير حساب ولا فقال على
أسهل الأمور وأقربها وأيسرها ٠٠ وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء رزقاً غير مضيق
ولا مقتر بل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء للمخلوقين فيكون نفى الحساب فيه
تقياً للتضيق ومباغة في وصفه بالسعة والعرب تسمى العطاء القابل محسوباً ٠٠ قال
قيس بن الخطيم

أنى سرت وكنت غير سروب وتقرّب بالأحلام غير قريب
ما تمنى يقضى فقد توفيتنه في النوم غير مضرد محسوب

٠٠ وثالثها أن يكون المعنى انه يرزق من يشاء من غير حساب أى من غير طلب للمكافاة
أو اراغة فائدة تعود اليه أو منفعة ترجع عليه لان من شأن أهل الدنيا أن يعطوا
ليكافئوا وليتفعوا ولهذا يقال ليس بقصد بالمعطية الى هذه الأمور فلان بحاسب الناس

فما يعطيه ويناقشهم فيما يوصله اليهم وما أشبه ذلك فلما انتهت هذه الأمور من عطايه سبحانه جاز أن يقول أنه يرزق من يشاء بغير حساب .. ورابعها ما أجاب به قطرب قال معنى الآية يعطى العدد الكثير لا ما يضبطه الحساب أو يأتي عليه العدد لأن مقدوره تعالى لا ينهائي وخزائنه لا تحصر ولا يصح عليه النفاذ وليس كالمعطي منا الألف من الألفين والعشرة من المائة لأن مقدار ما يتسع له ويمكن منه محدود متناه ولا تنهي ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه .. وخامسها أن يعطى عباده في الجنة من الذم واللذات أكثر مما استحقوا وأزيد مما وجب لهم لحاسبته إليهم على طاعتهم كما قال تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) وكما قال عز وجل (إن ترضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم) وكما قال تعالى (ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) .. وسادسها أن يكون المعطي منا غيره شيئاً والرازق سواء رزقاً قد يكون له ذلك فيكون فعله حسناً لا يسأل عنه ولا يؤاخذ به ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحاً يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيح وما ليس له أن يفعله بنفى الحساب عنه وأنبأ أنه لا يرزق ولا يعطى إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذم ونجى الآية مجرى قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وإنما أراد أنه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يميز أن يسأل عنها وإن سئل العباد عن أفعالهم لأنهم يفعلون الحسن والتبجح معاً .. وسابعها أن الله تعالى إذا رزق العبد وأعطاه من فضله كان الحساب عن العبد ساقطاً من جهة الناس فليس لأحد أن يقول له لم رزقت ولا يقول له لم رزقته ولا يسأله ربه عن الرزق وإنما يسأله عن أخاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فحسم الحساب من هذه الوجوه عما يرزقه الله تعالى ولذلك قال تعالى (بغير حساب) .. وثامنها أن يكون المراد بمن يشاء أن يرزقه من أهل الجنة لأنه يرزقهم رزقاً لا يصح أن يتناول جميعه الحساب ولا العدد والاحصاء من حيث لانهاية له ولا انقطاع لاستحقاق منه وبإتفاق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر (فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب)

[تأويل خبر] .. أن سأل عن الخبر الذي يروي عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال توضؤا ما غيرت النار .. فقال ما المراد بالوضوء هنا ومذهبكم أن مس ما غيرته النار لا يوجب الوضوء .. الجواب أن معنى توضؤا أى نظفوا أيديكم من الزهومة لأنه روى أن جماعة من الأعراب كانوا لا يغسلون أيديهم من الزهومة ويقولون فقدما أشد علينا من ريحها فأمر عليه الصلاة والسلام بتطيق الأيدي .. فإن قيل كيف يصح أن نحملوا الخبر على اللفظ المفرد مع انتقاله بالعرف الشرعي إلى الأفعال المختصة بدلالة أن من غسل يده أو وجهه لا يقول بالإطلاق توضأت ومتى سلم لكم أن الوضوء أصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه عليه الصلاة والسلام خصم بالعرف الشرعي وحمله عليه أولى من حمله على اللغة .. قلنا ليس نشكر أن يكون إطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة إلى عرف الشرع والمخصص بالأفعال المعينة وكذلك المضاف منه إلى الحدث أو الصلاة وما أشبههما .. فأما المضاف إلى الطعام وما جرى مجراه فباقى على أصله ألا ترى أنهم لو قالوا توضأت من الطعام ومن الغبرة أو توضأت للطعام لا يفهم منه إلا الفصل والتطيق وإذا قالوا توضأت إطلاقاً أو توضأت من الحدث أو للصلاة فهم منه الأفعال الشرعية فليس ينكر ما ذكرناه من اختصاص النقل لأنه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة في اللغة إلى فائدة في الشرع على كل وجه كذلك يجوز أن ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة وقد ذهب كثير من الناس إلى أن إطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة إلى عرف الدين ومختص باستحقاق الثواب وإن كان مقيداً بابقاً على ما كان عليه في اللغة .. ويبين ذلك أيضاً ما روى عن الحسن أنه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبمده ينفي اللحم وإنما أراد غسل اليدين بغبر شك .. وروى عن قتادة أنه قال غسل اليد وضوء .. وروى عكرش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل وغسل يده ومسح ببلك يده وجهه وذراعيه ورأسه وقال هكذا الوضوء مما مست النار على أنه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال إلى الأفعال الشرعية المختصة لصح أن نحملها في الخبر على خلاف ذلك ونردها إلى أصلها بالأدلة وإن كان الأولى لولا الأدلة أن نحمل على

مقتضي الشرع فن الأدلة على ما ذكرناه مارواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم
 أكل كتف شاة وقام فغسل ولم يتوضأ .. وروى عطاء عن أم سلمة قالت قربت جنباً
 مشوياً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأكل منه وصلى ولم يتوضأ .. وروى محمد بن
 المنكدر عن جابر أنه قال كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك
 الوضوء مما مست النار وكل هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول^(١) لو كان
 له ظاهر فكيف وقد بينا أنه لا ظاهر له .. فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضأة التي
 هي الحسن فلما كان من غسل يده ونظفها قد حسنها قيل وضأها ويقال فلان وضىء
 الوجه وقومٌ وضاء .. قال الشاعر

مَسَامِيحُ الْفَعَالِ ذَوُوا نَأَةٍ مَرَّاجِيحُ وَأَوْجُهُهُمْ وَضَاءٌ^(٢)

والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك أيضاً التوضأ .. والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ
 به وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز
 أن يكون الوقود بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا حسن القبول
 فجعلوا القبول مصدراً وهو مفتوح الأول ولا يجوز في الوقود والوضوء بالضم إلا معنى

(١) قلت - الخبر الأخير وهو مارواه جابر أنه كان آخر الأمرين من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار يدل دلالة صريحة على أن المراد بالوضوء
 في الحديث السابق وهو توضؤاً بما غيرت النار الوضوء الشرعي الذي هو عبارة عن
 غسل الاعضاء المألومة وإن الوضوء مما مست النار كان مشروعاً ثم نسخ وكل ما ذكر
 من كونه صلى الله عليه وسلم أكل مما نالته النار ولم يتوضأ محمول على ما بعد المنع وهذا
 هو الصحيح ولا حاجة لتحمل السيد رحمه الله ولا يناقض هذا مذهب أحد ممن يقول
 بعدم مشروعية الوضوء مما مست النار

(٢) - الفعّال - بكسر الفاء جمع فعل خيراً كان أو شراً فإن فتحوا الفاء أرادوا
 ما هو من أفعال الخير فقط - والأناة - الكينة والتؤدة - ومرّاجيح - تعال يريد
 أنهم لا يطيشون في كل ما ينزل بهم

المصدر وحده .. قال جرير

أَهْوَى أَرَاكَ بِرَامَتَيْنِ وَفُودَا أُمُّ بِالْجَنِينَةِ مِنْ مَدَافِعِ أَوْدَا^(١)

.. وقال آخر

إِذَا سَهِيلٌ لَاحَ كَالْوُفُودِ فَرَدَا كَشَاةَ الْبَقَرِ الْمَطْرُودِ

.. وقال آخر

وَأَجَجْنَا بِكُلِّ بَفَاعٍ أَرْضِي وَفُودَ النَّارِ لِلْمُتَنَوِّرِينَا

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني إبراهيم بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال أتيت عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوماً في منزله فإذا هو مفبظ ينفتح فقلت له مالي أراك هكذا قال دخلت على طائفة هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو ابن عثمان فسلمت لهم برداً على السلام فقلت

أَلَا قَابِلُنَا عَنِّي عِرَاكَ بَنَ مَا لَكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَبْلُغْ أَبَاكَرِ
فَقَدْ جَمَلْتَ تَبْدُوشُوا كُلُّ مِنْكُمْ فَإِنْ تَسْكُمَا بِي مُوقِرَانِ مِنَ الصَّخْرِ
وَطَاوَعْتُمَا بِي غَادِرَا ذَا مُعَاكَةِ لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْزَى وَمَا مِثْلُهُ يُورِي

يقال - معك - به وسدل به إذا تعرض به لشئ

فَلَوْلَا أَتَقَا اللَّهَ أَتَقَانِي فَيْكُمَا لِلْمُسْكُمَا لَوْ مَا أَحْرَمَ مِنَ الْجَمْرِ
فَيَسْأَلُ رَبَّ الْأَرْضِ مِنْهَا خَلْقَتُمَا وَفِيهَا الْمَادُ وَالْمَقَامُ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَا تَانَقَا أَنْ تَمْشِيَا فَتُكَلَّمَا فَيَا حُشَى الْأَفْوَامِ شَرٌّ مِنَ الْكَبْرِ

(١) - الجنينة - تصغير جنة وهي البستان روضة نجدية - وأود - بضم فككون

أحد منازل تميم بنجد - ومدافع - جمع مدفع وهو مسيل الماء إلى الوادي

- لَوْ شِئْتُ أَذْلَى فَيْكُمَا غَيْرُ وَاحِدٍ
هنا لو شئت اغتابكما عندي غير واحد
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمْزُ وَلَمْ أَنَّهُ فَتَكُمَا
وكيف تريد أن ابن سبعين حجة
لَقَدْ عَلَّقْتُ دَلْوًا كَمَا دَلَّوْا حَوْلَ
- هَلَانِيَّةٌ أَوْ قَالَ مَنِيَّةٌ فِي السِّرِّ^(١)
ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَبْلُغَ وَيَسْتَشْرِي^(٢)
عَلَى مَا أَتَى وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ أَوْ عَشْرٍ
مِنَ الْقَوْمِ لَا رِخْوَانَ الرِّاسِ وَلَا نَزْرَ^(٣)

قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك وفضلك وفهمك يقول الشعر فقال ان المصدر اذا نعت برى وانما ذكر عراك بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن جرم وكانا صديقيه كناية بذكرهما عن ذكر غيرهما .. وقد جاءت رواية أخرى ان أبا بكر بن عمرو بن جرم وعراك بن مالك كانا يجتازان على عبيد الله فلا يسلمان عليه فقال الأبيات بخاطبهما بها .. وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة

- إِذَا كَانَ لِي سِرٌّ فَحَدَّثْتُهُ الْعِدَى
هو السِّرُّ مَا اسْتَوْدَعْتَهُ وَكَتَمْتَهُ
وَصَاقَ بِهِ صَدْرِي فَلَنَأْسُ أُعْذَرُ
وَلَيْسَ بِسِرٍّ حِينَ يَفْشَوْ وَيُظْهَرُ
- .. وأشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عتبة بن مسعود
أَوَ أَخِي رَجَالًا لَسْتُ مُطْلَعٌ بَعْضُهُمْ
عَلَى سِرِّ بَعْضٍ إِنَّ صَدْرِي وَاسِعُهُ
إِذَا هِيَ حَلَّتْ وَسَطَ عَوْدِ بْنِ غَالِبٍ
فَذَلِكَ وَدٌّ نَازِحٌ لَا أَطَالُهُ

- (١) - أدلى - يقال أدلى فلان في فلان اذا قال فيه قولاً فيجهاً .. يقول لو شئت لساطت عايكما الناس فسبوكما سراً وعلانية ولكني امسك عنكما اتقاء لله فيكما
- (٢) - يستشري - بمعنى يبيع أى يتوغل في الأمر ويفرق فيه .. ومنه قيل للخوارج الشراة لتوغلهم في المروق من الطاعة ومخالفة الجماعة
- (٣) - حول - شديد الاحتيال ومثله حول كسر د وحواله كهمزة وحوالي بفتح الحاء وضمها .. يقول انكما وقعتما مع من لا تطيقان دفعه عن أنفسكما

تَلَاوَتْ حَيَازِيمِي عَلَى قَلْبِ حَارِثٍ
 بَنِي لِي عَبْدُ اللَّهِ فِي سُورَةِ الْعُلَى
 وَابْتِ الْأُولِ يَتَّبِعُ قَوْلَ مَكِينِ الدَّارِ
 وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلَعٌ بَعْضُهُمْ
 كَتَمْتُ لِمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ أَضَالُهُ
 وَعَتَبَةُ مُجَدًّا لَا تَنَالُ مَصَانِعُهُ
 عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أُنَى جِمَاهُ

وما يستحسن لمبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله

تَغْلَقُ حُبُّ شَمَةِ فِي فُوَادِي
 تَغْلَقُ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ
 شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَزْتُ فِيهِ
 أَكَاذُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا
 فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ
 وَلَا حَزَنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورُ
 هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَأَمَ الْفُطُورُ
 أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ
 وَلَكِنِّي إِلَى وَصَلِي فَقِيرُ
 غَنَى النَّفْسِ أَنَّ أَرْزَادَ حَبًّا

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

أَحْلَلْتُ فِي قَلْبِي هَوَاكَ مَحَلَّةً
 وَأَخَذَهُ الْمَتَنِيُّ فِي قَوْلِهِ

وَالسِّرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ
 وَكَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْمَفِ أَلَمَ بِهِ فِي قَوْلِهِ
 نَدِيمٌ وَلَا يُفْضَى إِلَيْهِ شَرَابُ
 لَوْ شَقُّ قَلْبِي لَرَأَى وَسْطُهُ
 اسْمُكَ وَالتَّوْحِيدَ فِي سَطْرِ

•• وقال الصاحب اسماعيل بن عباد

لَوْ شَقُّ قَلْبِي لَرَأَا وَسْطُهُ
 الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ فِي جَانِبِ
 سَطْرَيْنِ قَدْ خُطَّ بِلَا كَاتِبِ
 وَحُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي جَانِبِ

وقول هبب الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتني •• ولعبيد

الله بن عبد الله بن عتبة

لَعَمْرُ أَبِي الْمُحَصِّنِ أَيَّامَ نَلْتَقَى
يَعُدُّونَ يَوْمًا وَاحِدًا إِنْ أَتَيْتَهَا
فَإِنْ يَكُنِ الْوَاشُونَ أَغْرَوْا بِهَجْرِهَا
لِمَا لَا تُلَاقِيهَا مِنَ الدَّهْرِ أَكْثَرُ
وَيَنْسُونَ مَا كَانَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَهْجُرُ
فَإِنَّا بِتَجْدِيدِ الْمَوَدَّةِ أَجْدَرُ

ومن مستحسن قوله من غزله

لَعَمْرِي لَنْ شَطَطَتْ بِعَتَمَةِ دَارُهَا
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ
أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بِشَارٍ فَقَصَرَ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ
وَيُصْبِحُ حَمَزُ وَنَاوَعِي بِهِ
لَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ الْبَيْحِ^(١)
وَيَحْسِبُ أَنِّي فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ
وَلَيْسَ يَدْرِي مَا لَهُ مِنْ دَلِيلِ

مجلس آخر ٣١ ❦

[ثأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام
(قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَبَيَانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
لِنَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا) ٠٠ فقال^(٢) أليس هذا صريحاً منه بأن الله تعالى يجوز أن

(١) - شطت - بعدت - ووشك - قرب - وألبح - أخاف وأحذر ٠٠ بقول
ان ارنحلت عنا وفارقنا فقد كنت أنتظر ذلك وأتوقعه وأتخوف منه قبل أن يقع
(٢) - قلت - أصل الاشكال في الآية ينبت على مذهب المعتزلة ان الله جل شأنه
لا يريد الا الحسن وان غير الحسن لا يثاؤه ولا يريد مذهب أهل السنة ان كل ما يقع
في السكون من خير او شر فهو مراد الله تعالى وعلى هذا المذهب فلا اشكال في الآية بل هو
هي شاهدة له

يفعل الكفر والقيبح لأن ملة قومه كانت كفراً وضلالاً وقد أخبر أنه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله . . الجواب قيل له في هذه الآية وجوه . . أولها أن يكون الملة التي عنها الله إنما هي العبادات الشرعية التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يمن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادات فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح والألطف والمعلوم من أحوال المكلفين فكانه قال إن ملتكم لا تعود فيها مع علمنا بأن الله قد نسخها وأزال حكمها إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثها فنعود إليها وتلك الأفعال التي كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيم عنها وإن كانت ضلالاً وكفراً فقد كان يجوز فيها هو مثلها أن يكون إيماناً ومهدى بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك وليس تجري هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز أن يكون إلا قبيحاً . . وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز أن يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله (قد افترينا على الله كذباً إن تعدنا في ماتكم بعد إذ نجانا الله منها) . . فيقال له لم ينف عودهم إليها على كل حال وإنما نفى العود إليها مع كونها منسوخة منهاً عنها والذي علقه بمشيئة الله تعالى من العود إليها هو بشرط أن يأمر بها ويتعبد بمثها والجواب مستقيم لا خال فيه . . ونائبها أنه أراد أن ذلك لا يكون أبداً من حيث علقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوم أنه لا يشاؤه وكل أمر عاقب بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه وتجري الآية مجرى قوله تعالى (لا يدخلون الجنة حتى يابح الجمل في سم الخياط) وكما يقول القائل أنا لا أفعل كذا حتى يبيض القار أو يشيب الغراب . . وكما قال الشاعر

وحتى يوب القارضان كلاًهما وينشر في القتل كليب لوائه^(١)

(١) - القارضان - يذكر بن عزة وعامر بن رهم وكلاهما من عزة خرجا في طلب القرم وهو ثمر السنط فلم يرجعا فضربت العرب بفيتنهما المثل ويقال انهما مرا بواد مبيع فيه عدل فقال أحدهما لصاحبه لو نزلت فأبتنا منه بشئ فربط نفسه بحبل وتدل حتى بلغ أسفل الرادي فلما أخذ من العسل حاجته قال لصاحبه ارفمى فقال له لا ارفعك

والقارطان لا يؤوبان أبداً وكليب لا ينشر أبداً فكأنه قال ان هذا لا يكون أبداً .. وثالثها ما ذكره قطرب بن المسكير من أن في الكلام تقديم وتأخيراً وإن الاستثناء من الكفار وقع لامن شعيب فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار (لتخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن نعودوا في مائتنا) ثم قال حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام وما يكون لنا أن نعود فيها على كل حال .. ورابعها أن تكون الهاء التي في قوله فيها الى القرية لا الى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام إنا ستخرج من قريبتكم ولا نعود فيها إلا أن يشاء الله بما نجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود اليها .. وخامسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يردكم الى الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال تعالى حاكياً عنهم أو لنعودن في ملتنا كان معناه أو لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة لحسن أن يكون من بعد إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة .. فان قيل الاستثناء بالمشيئة لما كان بعد قوله (وما يكون لنا أن نعود فيها) فكأنه قال ليس نعود فيها إلا أن يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب .. قلنا هو كذلك إلا أنه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن نصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول إلا أن يشاء الله أن نشقى في الملة بان ترجعوا أنتم الى الحق .. فان قيل فكان الله تعالى ما شاء أن ترجع الكفار الى الحق .. قلنا بلى قد شاء ذلك إلا أنه ما شاء على كل حال بل من وجه دون وجه وهو أن يؤمنوا ويصيروا الى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي أجرى بالتكليف اليه ولو شاء على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم فكان شعيباً عليه الصلاة والسلام قال ان ملتنا لا نكون واحدة أبداً إلا أن يشاء الله أن يجمعكم الى الاجتماع معنا على ديننا وموافقنا في ملتنا والفائدة في ذلك واضحة لانه لو أطلق

أو تزوجني أخذك وكان له أخت يهواها فقل له ليس هذا وقته فتركه ومضى ثم هلك في منصرفه الى أهله ولم يوقف لها على خبر - وكليب - هو الذي قتله جساس لهاجت بمقتله الحرب التي تسمى حرب البسوس

أنا لا نتفق أبداً ولا نصير ملتنا واحدة لنوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فأفاد بتعليقه له بالمشيئة هذا الوجه ويجري قوله تعالى (إلا أن يشاء الله) بجري قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) .. وسادسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتمكن من إكراهنا وبخل بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين ويقوى هذا الوجه قوله تعالى (أولو كنا كآلهين) .. وسابعها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بإظهار ملتكم مع الإكراه لأن إظهار كلمة الكفر قد تحسن في بعض الأحوال إذا تعبد الله تعالى بإظهارها وقوله (أولو كنا كآلهين) يقوى هذا الوجه أيضاً .. فان قيل فكيف يجوز من بني من أنبياء الله أن يتعبد بإظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع .. قلنا يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكأنه قال وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي بإظهار ملتكم على سبيل الإكراه وهو جائز غير ممتنع

[تأويل خبر] .. روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الصدقة ما أبت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعمل .. الجواب قد قيل في قوله خير الصدقة ما أبت غنى قولان .. أحدهما أن خير ما تصدقت به ما فضل عن قوت عيالك وكفالتهم فإذا خرجت صدقتك عنك إلى من أعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها ومثله في الحديث الآخر إنما الصدقة عن ظهر غنى .. وقال ابن عباس في قوله تعالى (وبسئلتونك ماذا ينفقون قل العفو) قال ما فضل عن أهلك .. والجواب الآخر أن يكون أراد خير الصدقة ما أغنت به من أعطيت عن المسئلة أي تجزى له في العطية فيستغنى بها ويكف عن المسئلة وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم فيدفعها إلى رجل واحد محتاج فيستغنى بها ويكف عن المسئلة فذاك أفضل من أن يدفعها إلى مائة رجل لا تبين عليهم .. والتأويل الأول يشهد له آخر الخبر وهو قوله وأبدأ بمن تعمل ويشهد له الحديث الآخر أيضاً إنما الصدقة عن ظهر غنى .. وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى .. قال قوم يردان اليد الممطية خير من الآخذة وقال آخرون إن العليا هي الآخذة والسفلى هي الممطية .. قال ابن قتيبة ولا أرى

هؤلاء إلا قوماً استطاعوا السؤال فهم محتجون للدعاة ولو كان هذا يجوز لقليل ان المولى من فوق هو الذى أعنتى والمولى من أسفل هو الذى أعنتى والناس انما يعملون بالعطايا لا بالسؤال ٠٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه وعندي^(١) ان معنى قوله عليه الصلاة والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعاً وهو أن تكون اليد ههنا هي العطية والنعمة لان النعمة قد تسمى يداً في مذهب أهل اللسان بغير شك فكأنه صلى الله عليه وسلم أراد ان العطية الجزيلة خير من العطية القليلة وهذا حث منه صلى الله عليه وسلم على المكافء ونحوه على اسطوانة المعروف بأوجز الكلام وأحسنه مخرجاً ٠٠ ويذهب لهذا التأويل أحد التأويلين المتقدمين في قوله ما أبقت غنى وهذا أشبه وأولى من أن تحمل على الجارحة لان من ذهب الى ذلك وجعل العطية خيراً من الآخذة لا يستمر قوله لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله تعالى ممن يعطي ولغظة خبير لا تعمل إلا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب ٠٠ وأما من جعل الآخذة خيراً من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضاً مع انه قد قال قولاً شائعاً وعكس الأمر على مقال ابن قتيبة ٠٠ فان قيل كيف يصح تأويلكم مع قوله عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبقت غنى وهي لا تبقى غنى إلا بعد أن تنقص من غيرها واذا كانت المعطية التي هي أجزل أفضل فذلك لا يبقى غنى والتي تبقى غنى ليست

(١) - قوله وعندي أن معنى قوله عليه الصلاة والسلام الخ هذا التأويل بعيد جداً فان قوله في الحديث العليا خير من السفلى لا يدل على أن المراد باليد النعمة ولو كان المراد هذا الوصفها بكونها حقيرة وجميلة أو كبيرة وصغيرة والظاهر أن المراد باليد الجارحة وأما قوله بعد في دفع هذا ان هذا لا يستمر لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله ممن يعطي فيبعد تسامحهم لا يسلم على عمومهم وليس المراد في الحديث بكون اليد العليا خيراً من السفلى انها كذلك من جميع الوجوه حتى يلزم ما قال وانما المراد أفضاليتها من حيث كونها معطية ومفضولة الآخذة من حيث كونها آخذة فلا ينافي هذا أن تكون الآخذة خيراً من المعطية من وجه آخر

الجزيلة وهذا تناقض . • قلنا أمأتاؤيلنا فطابق للوجهين المذكورين في قوله ما أبقت غني لان من تأول ذلك على أن المراد بها المعطي وان خير العطية ما أغنته عن المسئلة فالمطابقة ظاهرة ومن تأوله على الوجه الآخر وحل ما أبقي الغنى على المعطي وأهله وأقاربه فتأويلنا أيضاً مطابق له لانه قد يكون في العطايا التي تبقى بعدها الغنى على الأهل والأقارب جزيل وغير جزيل فقال عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبقت غني بعد إخراجها والعطية الجزيلة التي تبقى بعدها غني خير من القليلة قدس عليه الصلاة والسلام بعد إبقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل . • أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبيد الله الحكيم قال أُملي علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الاعرابي ثابطة الغني

يا هِنْدُ كَيْفَ بَنَصِبَ بَاتِ يَبْكِينِي	وعائِرٍ فِي سَوَادِ الْعَيْنِ يُؤْذِينِي ^(١)
كَأَنَّ لَيْلِي وَالْأَضْدَادَ هَاجِدَةً	لَيْلُ السَّلَامِ وَأَعْنِي مَنْ يَدَاوِينِي
لَمَّا حَتَّى الذَّهْرُ مِنْ قَوْسِي وَعَذَّرَنِي	شَيْبِي وَقَاسَيْتُ أَمْرَ الْغِلْظِ وَاللَّيْنِ
إِذَا ذَكَرْتُ أَبَا غَسَّانَ أَرْقَنِي	هَمٌّ إِذَا عَرَّسَ السَّارُونَ يُشْجِينِي
كَانَ الْمَفْضَلُ عِزًّا فِي ذَوِي يَمَنِ	وَعِصْمَةً وَثِئَالًا لِلسَّاكِينِ
غِيثًا لَذِي أَرْزَمَةِ غَبْرَاءَ شَاتِيَةٍ	مِنَ السَّيِّئِينَ وَمَأْوَى كُلِّ مِسْكِينِ
إِنِّي تَدَكَّرْتُ قَتْلِي لَوْ شَهِدْتَهُمْ	فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ لَمْ يَصْلَوْا بِهَا دُونِي
لَا خَيْرَ فِي الْمَيْتِ إِذْ لَمْ يَمُنْ بِمَدَهُمْ	حَرَبًا تَتَى بِهِمْ قَتْلِي فَتَشْفِينِي

(١) - النصب - الهم والتعب وانما سكنه لضرورة الشعر - والعائِر كل ما أعلو العين من رمد أو قذى

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَمَعٍ
وَأَنْظُرُ الْأَمْرَ يَعْزِينِي الْجَوَابُ بِهِ
لَا أَرْكَبُ الْأَمْرَ تُرْزِي عَوَاقِبُهُ
لَا يَغْلِبُ الْجَهْلُ حِلِي بَعْدَ مَقْدَرِهِ
وَعَفَّةٌ مِنْ قُوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِيهِ^(١)
وَلَسْتُ أَنْظُرُ فِيمَا لَيْسَ يَعْزِينِي
وَلَا يُعَابُ بِهِ عَرْضِي وَلَا دِينِي
وَلَا الْعَصِيَّةُ مِنْ ذِي الضَّغَنِ تُكْبِينِي
لَمْ يَأْخُذِ النَّصَفُ مِنِّي حِينَ يَرَمِينِي

.. [قال المرتضى] أدام الله علوه وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أذينة وبداخل أبياتاً له على هذا الوزن وهي التي يقول فيها

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْأَشْرَافُ مِنْ خُلُقِي
أَسْمَى إِلَيْهِ فَيَعْنِينِي تَطْلُبُهُ^(٢)
إِنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقُ سَوْفِيَا يُثِينِي
وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يَعْزِينِي^(٣)
وَمِنْ مَعَارِضِ رِزْقِي غَيْرِ مَمْنُونٍ
كَمْ قَدْ أَقْدْتُ وَكَمْ أَتَلَفْتُ مِنْ نَشَبٍ

(١) - الطبع - الذل وفي الحديث أعوذ بالله من طمع يفضي الى طمع - والعفة - بالضم بقية الدين في الضرع بعدما منص أ كثره .. يقول ان القليل يفي عن الكثير فلا خير في طمع يفضي الى ذل

(٢) يقول ان الرزق مقسوم لن يفوت الانسان منه ما قسم له - ويحكى أن عروة هذا ولد على عبد الملك بن مروان مسترفدا فلما دخل عليه قال له من أنت فتسبح له فقال عبد الملك ألت القائل (لقد علمت وما الاشراف من خاقي) الابيات فأطرق ملياً ثم خرج من فوره ذلك فركب ناقته وخرج الى الحجاز ثم ان عبد الملك سال عنه فقيل انه سافر فندم على ما كان منه وقال انه شاعر ولنا نأمن أن ينالنا من لسانه شيء فأرسل اليه بصلاة جزيلة فواخاه الرسول بها حين وافى منزله بالمدينة فقال للرسول قلب لاير المؤمنين كيف رأيت صدقه في قوله

فَمَا أَشْرْتُ عَلَىٰ يُسْرٍ وَمَا ضَرَعْتُ
خَيْمِي كَرِيمٌ وَنَفْسِي لَا تُحَدِّثُنِي
وَمَا أَشْتَرَيْتُ بِمَالِي قَطُّ مَكْرُمَةً
وَلَا دُعَيْتُ إِلَىٰ عَجْدٍ وَنَحْمَةٍ
لَا أَبْتَنِي وَصَلَ مَنْ بَيْنِي مُفَارَقَتِي
إِنِّي سَيِّئُ فَنِي مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ
فَنَطَّنِي جَاهِدًا وَأَجْهَدًا عَلَىٰ إِذَا
لَاقَيْتَ قَوْمَكَ فَأَنْظِرْ هَلْ تُعْطِينِي^(١)

وقوم يحبطون فيروون قوله - لقد علمت وما الاشراف من خلق - بالبين غير المعجمة وذلك خطأ وانما أراد بالاشراف اني لا استشرف وأطلع على ما فاتني من أمور الدنيا ومكاسيها ولا تتبعها نفسي . . . [قال المرتضي] رضى الله عنه وفي أبيات في معنى بعض أبيات قطة وعروة بن أذينة التي تقدمت وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت عن منذائق عشرة سنة والأبيات

تَمَاقَبَنِي بَوَسُّ الزَّمَانِ وَخَفَضُهُ وَأَذَبَنِي حَرْبُ الزَّمَانِ وَسَلَمُهُ
وَقَدْ عَلِمَ الْمَغْرُورُ بِالذَّهْرِ أَنَّهُ وَرَاءَ سُورِ الْمَرْءِ فِي الذَّهْرِ غَمُّهُ

(١) - أشرت - من الاشر وهو البطر - وضرعت - من الضراعة وهي الذل

(٢) وذكر الأصفهاني في الأغاني لعروة زيادة عما ذكره السيد رحمه الله في هذه

الأبيات وهي

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنِيَ النَّفْسَ تَعْرِفُهُ وَكَمْ غَنِيَ فَقْرَهُ بِرِ النَّفْسِ مَسْكِينُ
وَكَمْ أُنْخِ لِي طَوِي كَمَا قَلْتُ لَهُ أَنْ طَوَّاءَ كَعْنِي سَوْفَ يَطْوِي
أَنِّي لَا أَبْصُرُ فَمَا كَانَ مِنْ أَرْبِي وَأَكْثَرُ الصَّحْتِ قَبَالِيسَ بَعْنِي

وما المرء إلا نهب يوم وليلة
يُمْلَأُ بَرْدُ الْحَيَاةِ يَمْسُهُ
وكان بعيده عن منازعة الردى
ألا إن خير الزاد ما سداقة
وتحب به شهب الفناء وذمه
ويغتره روح النسيم يشمه
فألقته في كف النية أمه
وخير تلادي الذي لا أجمه^(١)
إذا كان من كسب المذلة طعمه
إذا ما ارتقى منها إلى العرش وضمه
وفي نيله سوء المقال وذمه
وحسبي في صدق الأمر إنمه
ولكن من ولي عن سوء حزمه

ولي في معنى قوله وما الاشراف من خاق

ما خامر الرزق قلبي قبل فجأته
كم قد ترادف لم أحفل زيادته
ولا بسط له في الثبات يدي
ولو تجاوزني مافت من عضدي
إن أسخط الأمر أدرك عنه مضطرباً
وإن أريد بدلاً من مذهب أجيد

ومعنى - ما خامر الرزق قلبي - أي لم أتمنه ولا نظمت إلى حضوره ولا خطر لي بهال

(١) - الفاقة - الحاجة - والتلidan - التلذذ من المال وهو ما ورثه الانسان من آبائه والطارف وهو ما اكتسبه واستحدثه بعبه غلب أحدهما على الآخر فتناهما به يقول خير المال ما سداقة وما زاد على ذلك فهو فضل وزيادة وهذا كونه خير الزاد ما بلغك المحل وحسبك من الفلادة ما أحاط بالحق وقوله وخير تلادي يريد به ان خير مال الانسان ما أتق منه وأعطى لا ما أخر وجع

تترها وتفتعاً والوجه في تخصيص في بسط اليد بالنوايب لانها يضرع عندها في الأكثر
المتنزه ويطلب المتعفف فن لزم التزاحمة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروءة
ومعنى البيت الثاني ظاهره .. فأما الثالث فالمراد به إتي من إذا كره شيئاً تمكن من مفارقتها
والتزوع عنه ولست ممن تضيق حيلته وتقصّر قدرته عن استدراك ما يجب بما يكره .. وفيه
فائدة أخرى وهي أنني عن لامتلكه العادات وتفتاده الأهواء بل متى أردت مفارقة خلق
إلى غيره وعادة إلى سواها لم يكن ذلك على متعذراً من حيث كان لرأيي على هواي
السلطان والرجحان .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال
حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني عمرو بن عبيد
الله بن عمرو بن الزبير قال كان عمرو بن أذينة نازلاً مع أبي في قصر عروة بالعقيق
لسمعه ينشد لنفسه

خُلِقْتُ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتُ هَوَىٰ لَهَا	إِنَّ الَّتِي زَعَمْتُ فَوَادَكَ مَلَّهَا
أَبَدَىٰ لِصَاحِبِ الصَّبَابَةِ كُلَّهَا	فِيكَ الَّذِي زَعَمْتُ بِهَا فَكَلَّا كَمَا
يَوْمًا وَقَدْ ضَجَّيْتُ إِذَا لَا ظِلَّهَا ^(١)	وَلَمَّعُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا
شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَّهَا	وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلَوَةٍ
بِلِسَافَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا ^(٢)	بِیَضَاءٍ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا

(١) هكذا هو هنا وقد نسب هذه الابيات لبعض أهل الأدب إلى المجنون وأنشد

البيت هكذا

إني لا كنتم في الحنان من حبها وجداً لو أصبح فوقها لا ظلها

وأنشد بعده

وبيت تحت جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لا ظلها

(٢) - اللبقة - الحنة الدل - وادقها - أي أدق خصرها - وأجأها - أي أجعل

محيزتها أي جعلها عقيلة فالكلام على التوزيع وإرجاع كل شيء إلى ما يناسبه

لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّمًا لِي حَاجَةً أَخْشَى صُعُوبَتَهَا وَأَزْجُو ذُلَّهَا
مَنْعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا
فَدَنَا فَقَالَ لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ فِي بَعْضِ رِقَبَتِنَا فَقُلْتُ لَعَلَّهَا

•• قال عروة بن عبيد الله لجفائي أبو السائب الخزومي يوماً فسلم عليّ وجلس إليّ
فقلت له بعد الرّحّب به ألك حاجة يا أبا السائب فقال أو كما تكون الحاجة أبيات لعروة
ابن أذينة بلغني أنّك سمعتها منه قلت أي أبيات قال وله يخنى القمر • ان التي زعمت
فؤادك ملّها • فأنشدته فقال ما يروى هذه إلاّ أهل المعرفة والفضل هذا والله الصادق
الود الدائم العهد لا الهذلي الذي يقول

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَتَمَوَّنُكَ رَغْبَةً عَنِي فَأَهْلِي بِي أَضَنُّ وَأَرْغَبُ

لقد عدا الأعرابي طوره وإنّي لا أرجو أن يغفر الله لابن أذينة في حسن الظن بها
وطلب العذر لها فدعوت له بطعام فقال لا والله حتى أروى هذه الأبيات فلما رواها
وثب فقلت له كما أنت يغفر الله لك حتى تأكل فقال والله ما كنت لأخلط بمحبتي لها
وأخذي بإها غيرها وانصرف •• [قال المرتضى] رضى الله عنه والهذلي الذي عابه وأنشد
له هذا البيت هو عبيد الله بن مسلم بن جندب الهذلي •• وقول عروة - باكرها النعيم - أراد
انها لم تعش إلاّ في النعيم ولم تعرف الا الخفض وانها لم تلاق يوماً فتخشع وتضرع
ويؤثر ذلك في جلالها وتعلمها والبكور هو التقديم في كل وقت •• وكان عروة بن أذينة
مع تفرقه يوسف بالعفاف والزّاهة •• وروى ان سكتة بنت الحسين عليهما السلام مرّت
به فقالت يا أبا عامر أنت الذي تقول

إِذَا وَجَدْتُ أَوَّارَ الْعَبِّ فِي كَيْدِي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ أَبْتَرِدُ
هَبْنِي بَرْدَتْ يُبْرِدُ الْمَاءَ ظَاهِرُهُ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَقِدُ

•• وأنت القائل

قَالَتْ وَأَبْتَشْتُهَا وَجَدِي فُبَحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ السِّتْرَ فَاسْتَرِ

أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فَقَاتِلْهَا
عَطَى هَوَاكَ وَمَا أَلْقَى عَلَيَّ بَصَرِي
قَالَ نَعَمْ قَالَتْ هُنَّ حَرَارٌ وَأُنْشَرَتْ إِلَى جَوَارِيهَا إِنْ كَانَ خَرَجَ هَذَا مِنْ قَلْبِ سَلِيمٍ ٠٠
وَأَنْشَدَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى لِعُرْوَةَ
كَأَنَّ خَزَامِي طَلَّةٌ صَابِهَا النَّدَى
إِذَا اقْتَرَبَتْ سَمَعْتِي لَهَجَتْ بِجَبِّهَا
وَكَذْتُ لِذِكْرَاهَا أَطِيرُ صَبَابَةً
فَنَمِي أَيُّ هَذَا رَاحَةً لَكَ عِنْدَهَا
وَعَادَ الْهَوَى مِنْهَا كَظَلٍّ سَحَابَةٍ

[قال المرتضى] رضى الله عنه وهيات هذا البيت الأخير من قول كثير

وإِنِّي وَتِيَّامِي بِعِزَّةٍ بِمَدَامَا
تَحْلَيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَحْلَيْتُ
لِكَالْمُرْتَجَى ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا
تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ أَضْمَحَلَّتْ
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابٌ مُنْجَلٍ
رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهْلَتْ

٠٠ وروى يحيى بن علي قال حدثنا أبو هفان قال أشعر أبيات قيلت في الحدة والدماه
لهم بالكثرة أربعة ٠٠ فأولها قول الكعب بن زيد

إِنِّي يَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُوهُمْ
قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ لَمْ يَحْسُدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِيَهُمْ
وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا يَحْسُدُ
أَنَا الَّذِي يَحْسُدُونِي فِي حُلُوقِهِمْ
لَا أُرْتَقِي صَدْرًا عَنْهَا وَلَا أَرُدُّ
لَا يُقْصِرُ اللَّهُ حُسَادِي فَلَنْهُمْ
أَسْرُ عِنْدِي مِنَ اللَّائِي لَهُ الْوَدَدُ

٠٠ وقال عروة بن أذينة

لَا يَبْعِدُ اللَّهُ حُسَادِي وَزَادَهُمْ
حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاهٍ فِي مَكْنُونٍ

إِنِّي رَأَيْتَهُمْ فِي كُلِّ مَنَازِلَةٍ أَجَلٌ قَدَرًا مِنَ اللَّائِي يُحْيُونِي

.. وقال نصر بن سيار

إِنْ يَحْسُدُونِي عَلَى مَا بِي وَمَا بِهِمْ فَمِثْلُ مَا بِي لِعَمْرِي جَرَّي الْحَسَدَا

.. وقال معن بن زائدة

إِنِّي حَسِدْتُ فَرَادَ اللَّهِ فِي حَسَدِي لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ تَحْسُودِ

مَا يَحْسُدُ الْمَرْءَ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ بِالْعِلْمِ وَالظُّرْفِ أَوْ بِالْبَاسِ وَالْعُجُودِ

[قال المرتضى] رضى الله عنه وقد لحظ البعري هذا المعنى في قوله

عُسْدٌ بِحِلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٌ وَلَيْسَ يَفْتَرِقُ النَّعَاءُ وَالْحَسَدُ

وأظن أبا العتاهية أخذ قوله

كَمْ عَائِبٍ لَكَ لَمْ أَسْمَعْ مَقَالَتَهُ وَلَمْ يَزِدْكَ لَدَيْنَا غَيْرَ تَرْبِيعِ

كَأَنَّ عَائِبَكُمْ يَنْدِي عَاسِنُكُمْ وَصَفَافِيَمَدَحُكُمْ عِنْدِي وَيُغْرِيبُنِي

مَا فَوْقَ حَبِّكَ حَبَّالَسْتُ أَعَامُهُ فَلَا يَضُرُّكَ أَنْ لَا تَسْزِيدُنِي

من قول عروة بن أذينة

لَا بُعْدَ سَعْدِي مَرِيحِي مِنْ جَوَى سِقَمِ يَوْمًا وَلَا قُرْبَهَا إِنْ حُمُ يَشْفِينِي

إِذَا الْوُشَاةُ لَحَوْا فِيهَا عَصِيَّتُهُمْ وَخِلْتُ أَنَّ بَسْمَدِي الْيَوْمَ يُغْرِيبُنِي

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى في قوله

مَا حَطَّكَ الْوَاشُونَ مِنْ رُبَّةٍ عِنْدِي وَلَا ضَرَّكَ مُقْتَابُ

كَأَنَّهُمْ أَتَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

ولعروة بن أذينة

تُرَوِّعُنَا الْجَنَائِزُ مُقِيلَاتٍ وَلَسَهْوَ حِينَ تَحْقِقُ ذَاهِبَاتِ

كَرْوَعَةِ الْأَلْمَغَارِ ذِئْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ

— الثالثة — القطعة من الضأن .. وهذا المعنى قد سبق إليه بعض الاعراب فقال

وَعُدْتُ رَوَاعَاتٍ لَدَى كُلِّ فَرْعَةٍ وَتُسْرِعُ نَيْسِيَانًا وَمَا جَاءَ نَأْمُنُ
وَإِنَّا وَلَا كُفْرَانُ لِلَّهِ رَبِّنَا لَكَالْبَذَنِ لَا تَدْرِي مَتَى يَوْمُهَا الْبَذَنُ

أخذه أبو العتاهية في قوله

إِذَا مَا رَأَيْتُمْ مَيْتِينَ فَرِيعَتُهُمْ وَإِنْ غُيِّبُوا مِلْتَمُ إِلَى صَبَوَاتِهَا

وأخذ عروة بن أذينة قوله

إِنْ الْفَتَى مِثْلُ الْهَلَالِ لَهُ يُبْلِي وَتُفْنِيهِ الدُّهُورُ كَمَا
نُورُ لَيْالٍ ثُمَّ يَمْتَحِقُ يُبْلِي وَيُنْضِي الْعِدَّةَ الْخَلْقُ

من قول بعض شعراء طبرستان

مَهْمَا يَكُنْ زَيْبُ الزَّمَانِ فَإِنِّي أَرَى قَمَرَ اللَّيْلِ الْمُعَذِّبِ كَالْفَتَى
يَهْلُ صَغِيرًا ثُمَّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ وَصُورَتُهُ حَتَّى إِذَا مَا هُوَ أَسْتَوَى
تَقَارِبُ يَجْبُو ضَوْؤُهُ وَشِعَاعُهُ وَيَصْحَحُ حَتَّى يَسْتَسِيرَ فَلَا بَرَى
كَذَلِكَ زَيْبُ الْمَرْءِ عِنْدَ انْتِقَاصِهِ يَمُودُ إِلَى مِثْلِ الَّذِي كَانَ قَدْ بَدَى

أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال

الْمَرْءُ مِثْلُ هَلَالٍ عِنْدَ مَطْلَعِهِ يَبْدُو ضُئِيلًا ضَعِيفًا ثُمَّ يَنْتَشِقُ
يَزْدَادُ حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ أَعْقَبَهُ كَرُّ الْجَدِيدِينَ تَقْصَانَا فَيَمْتَحِقُ

— مجلس آخر ٣٢ —

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (واتبعوا ما نزلوا الشياطين على ملك

سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) •• فقال كيف ينزل الله تعالى السحر على الملائكة أم كيف تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك الى انه باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف أثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله (ولقد علموا لمن اشتراه) ثم قوله (لو كانوا يعلمون) •• الجواب قلنا في الآية وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لا ينم النظر فيها •• أولها أن يكون مافى قوله (وما أنزل على الملكين) بمعنى الذى فكأنه تعالى أخبر عن طائفة من أهل الكتاب بأنهم اتبعوا ما تكذب به الشياطين على ملك سليمان وتضيفه اليه من السحر فبرأه الله تعالى من قذهم وأكذبهم فى قولهم فقال وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتفريق على الناس ثم قال يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين وأراد أنهم يعلمونهم السحر والذى أنزل على الملكين وما أنزل على الملكين وصف السحر وما هيته وكيفية الاحتيال فيه ليصرفنا ذلك ويعرفاه للناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى قد أعلننا ضروب المعاصى ووصف لنا أعمال القبائح لئلا نجربها لئلا نواقعها لأن الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه واقدموا على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفية ثم قال وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه يعنى الملكين ومعنى يُعَلِّمان يعلمان والعرب تستعمل لفظة علمه بمعنى أعلمه •• قال القطامي

تَعَلَّمْتُ أَنَّ بَعْدَ النَّبِيِّ رُشْدًا وَأَنَّ لِشَايِئِكَ الْغَيْرِ انْقِشَاعًا

•• وقال كعب بن زهير

تَعَلَّمْتُ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُذَرِّكِي وَأَنَّ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ

ومعنى تعلم في البيتين معنى اعلم والذي يدل ان المراد ههنا الاعلام لا التعليم قوله وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر أى انهما لا يعرفانه صفات السحر وكيفيته إلا بعد أن يقولوا انما نحن حنة لان الفتنة بمعنى الحنة وانما كان حنة بحيث ألقيا الى المكلفين أمراً لينزجروا عنه وليتبعوا من مواقفته وهم اذا عرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه فقال لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في إلقاء هذا اليك فانه انما أتى اليك واطلعت عليه لتجنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه أى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب وان كان المملكان ما ألقياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه أن يفعلوه ويرتكبوه لأن ينجبوه صار ذلك لسوء اختيارهم ضرراً عليهم .. وثانها أن يكون ما أنزل موضعه موضع جور فيكون معطوفاً بالواو على ملك سليمان والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على المملكين ومعنى ما أنزل على المملكين أى معهم وعلى أنفسهم كما قال تعالى (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك) أى على أنفسهم ومعهم وليس بمنكر أن يكون ما أنزل معطوفاً على ملك سليمان وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لأن رد الشيء الى نظيره وعطفه على ما هو أولى هو الواجب وان اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب كثيرة قال الله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيباً) وقيم من صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله (يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قتال فيه كبير وصعد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام) فالحرام ههنا معطوف على الشهر أى يستلونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام .. وحكي عن بعض علماء أهل اللغة انه قال العرب تلف الحرفين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة فتة بان السامع يرد الى كل غيره كقوله تعالى (ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) وهذا واضح في مذهب العرب كثير التطابق ثم قال (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة) والمعنى انهما لا يعلمان أحداً بل بينهما عن ويبلغ من نههما وصدهما عن فعله واستعماله

أن يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهذا كما يقول الرجل ما أمرت فلاناً بكذا ولقد بالغت في نهيه حتى قلت له أنك إن فعلته أسألك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة في الكلام والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لأنه استغنى بقوله (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة) عن بسط الكلام الذي ذكرناه ولذلك نظر في القرآن قال الله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض) فلولا الاختصار لكان شرح الكلام بقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ولو كان معه إله إذا لذهب كل إله بما خلق ومثله قوله تعالى (يوم نبين وجوه وتود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أ كفرتم إيمانكم فذوقوا العذاب) أي فيقال للذين اسودت وجوههم أ كفرتم إيمانكم وأساءله أ كثرتم أن تورده ثم قال تعالى (فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وليس يجوز أن يرجع الضمير في هذا الجواب إلى الملكين وكيف يرجع إليهما وقد نفى عنها التعليم بل يرجع إلى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وقدم أيضاً ذكر ما يدل على الكفر وبقضيته في قوله ولكن الشياطين كفروا فدل كفروا على الكفر والمطغف عليه مع السحر جاز وإن كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله تعالى (سيدكر من يخشى ويتجنبها الأثني) أي يتجنب الذكرى الأثني ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله سيدكر ٠٠ ويجوز أيضاً أن يكون المعنى فيتعلمون منها أي بدلاً مما علمهم الملكان ويكون المعنى أنهم يعلمون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر إلى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا كذا وكذا أي بدلاً منه ٠٠ وكما قال الشاعر

جمعت من الخيرات وطباً وعلبةً وصراً لأخلاف المزمعة البزل^(١)

(١) - الصر - شد خلف الناقة بالخيوط لئلا تحلب والناقة ضرورة - والاخلاف - جمع خلف وهو الناقة كالندي للدر أمة والمزمعة - السمان الكثيرة الشعير ومثله الزهم ٠٠ قال زهير القائد الخليل منكوباً دوايرها منها الشنون ومنها الزاهق الزهم - والبزل - جمع بزل وهو البعير إذا انشق نابه وذلك إنما يكون في السنة التاسعة

وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْكَرَامِ حَيِّمَةٌ وَسَعْيًا عَلَى الْجَارِ الْمُجَاوِرِ بِالْمَحَلِّ

يريد جمعت مكان الخيرات ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة . . وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان . . أحدهما أن يكونوا يفرون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجة الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفارق بينهما اختلاف النحلة والملة . . والوجه الآخر أن يسمون بين الزوجين بالفحشاء والوشاية والاغراء والقويمة بالباطل حتى يؤول أمرهما إلى الفرقة والمباينة . . وثالث الوجوه أن تحمل ما في قوله وما أنزل على الجحشد والنفي فكأنه تعالى قال وأنهبوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر بيابل هاروت وماروت ويكون قوله بيابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون التأويل هاروت وماروت رجعين من جملة الناس هذان أسماؤهما وإنما ذكرنا بعد الناس تمييزاً وتبييناً ويكون الملكان المذكوران اللذان نفي عنهما السحر جبرائيل وميكائيل عليهما السلام إلى سليمان بن داود عليه السلام فأكذبهما الله تعالى بذلك ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما سأل في قوله تعالى (وكنا لعنكم شاعدين) يعني حكم داود وسليمان ويكون قوله على هذا التأويل وما يعلمان من أحدي حتى يقولوا إنما نحن فتنة راجعاً إلى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين أو من الانس للتعليمين للسحر من الشياطين والعالمين به ومعنى قولهما إنما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتخايل والتخالف كما يقول المناجون من الناس إذا فعل قبيحاً أو قال باطلاً هذا فعل من لا يفاج وقول من لا ينبغي والله لا جعلت إلا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصيح للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المحجون والتهالك ويجوز أيضاً على هذا التأويل الذي يتضمن النفي والجحود أن يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفي عنهما انزال السحر بقوله وما أنزل على الملكين ويكون قوله وما يعلمان من أحدي يرجع

الى قبيلتين من الجن أو الى شياطين الجن والانس فتحسن التثنية لهذا .. وقد روى هذا التأويل الأخير في حل ماعلى النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين .. وروى عنه أيضاً أنه كان يقرأ وما أنزل على الملكين بكسر اللام ويقول . ق كان العلجان ملكين بل كانا ملكين .. وعلى هذه القراءة فى الآية وجبة أخرى وان لم يحمد قوله وما أنزل على الملكين على الجحد والنفي وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ماتلو الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الانزال مضافاً الى الله تعالى وان أطلق لأنه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما بعض الضلال العصاة ويكون معنى أنزل وان كان من الأرض حمل اليهما لا من السماء انه أتى به من نجود البلاد وأعالها فان من هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى .. فأما قوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) فيحمل وجوهاً .. منها أن يريد بالاذن العلم من قولهم أذنت فلاناً بكذا اذا أعلمته وأذنت لكذا اذا سمعته وعلمته .. قال الشاعر

فِي سَمَاعٍ يَأْذُنُ الشَّيْخُ لَهُ وَحَدِيثٌ مِثْلُ مَا ذِي مِشَارٍ^(١)

.. ومنها أن تكون إلا زائدة فيكون المعنى وما هم بضارين به من أحد بإذن الله ويجرى مجرى قول أحدنا لقيت زيدا إلا أتى أكرمه أى لقيت زيدا فأكرمه .. ومنها أن يكون أراد بالاذن التخلي وترك المنع فكأنه أفاد بذلك ان العباد ان يعجزوه وما هم بضارين أحداً إلا بأن يخلي الله تعالى بينهم وبينه ولو شاء لدمعهم بالقهر والقهر زائداً على منهم بالزجر والنهي .. ومنها أن يكون الضرر الذى عنى انه لا يكون إلا باذنه وأضافه اليه هو ما يلحق المسحور من الأدوية والأغذية التي تطلعها إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل

(١) - الماذهي - العسل الأبيض - ومشار - محني .. يقول ان غناه لطيبه وحسنه يستمع الشيخ الحرم له ويصفى اليه وحديثها العللونه ورقته كأنه العسل الجيد والاصمي يروى هذا البيت مثل ما ذى مشار بالإضافة وفتح الميم قال والمشار الحظية (١١ - أمالى نى)

الله تعالى بالعادة لأن الأغذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً وإن كان المعرض للضرر من حيث كان الفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض .. ومنها أن يكون الضرر المذكور إنما هو يحصل عن التفريق بين الأزواج لأنه أقرب إليه في ترتيب الكلام والمعنى أنهم إذا أغووا أحده الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر لأن الفرقه لم تكن إلا بأذن الله وحكمه لأنه تعالى هو الذي حكم وأمر بالتفريق بين المختلفين الأديان فلهذا قال وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله والمعنى أنه لو لا حكم الله وإذنه في الفرقه بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقه ويقوى هذا الوجه ما روي أنه كان من دين سايمان عليه السلام أنه من سحر بانت امرأته .. فأما قوله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) ثم قوله (لو كانوا يعلمون) ففيه وجوه .. أولاً أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سايمان والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به أنفسهم .. وثانياً أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا إلا أنهم علموا شيئاً ولم يعلموا غيره فكأنه تعالى وصفهم بأنهم علمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجلالة ولم يعلمه كنه ما يصيرون إليه من عقاب الله الذي لا تقاد له ولا انقطاع .. وثالثاً أن تكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا وهذا كما يقول أحدنا لغيره ما أدعوك إليه خبير لك وأعود عليك ولو كنت تقتل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر في العواقب إلا أنه لا يعمل بموجب علمه فحسن أن يقال له مثل هذا القول .. قال كعب بن زهير يصف ذنباً وغراباً تبعاه ليصبيا من زاده

أَذَا حَضَرَ أُنَى قُلْتُ لَوْ تَعْلَمَانِي أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِي مِنَ الزَّادِ مُزْمِلُ

ففي عنهما العلم ثم أثبت بقوله ألم تعلموا وإنما المعنى في نفيه العلم عنهما أنهم لم يعملوا بما علموا

فكأنهما لم يعلماه .. ورايهما أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم الذين قد علموا أن الآخرة لاحظ لهم فيها مع علمهم التبيح إلا أنهم ارتكبوا طمعاً في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالي (ولئس ما نسروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) ان الذي آثروه وجعلوه عوضاً عن الآخرة لا ينهم لهم ولا يبقى عليهم وأنه منقطع زائل ومضجع باطل وإنما الملك الى المستحق في الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[تأويل خبر] .. روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار .. وقد ذكر متأولو حديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر وجوهاً كثيرة كلها غير صحيحة ولا شافية وأنا أذكر ما اعتمدوه وأبين ما فيه ثم أذكر الوجه الصحيح .. قال ابن قتيبة ذهب الأصمعي الى أن من تعلم القرآن من المسلمين لو أتى في النار لم تحرقه وكفى بالاهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم واحتج على تأويله هذا الحديث عن سليمان بن محمد قال سمعت أبا امامة يقول اقرؤا القرآن ولا تفرغوا هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلباً وعى القرآن .. قال ابن قتيبة وفي الحديث تأويل آخر وهو ان القرآن لو كتب في جلد ثم أتى في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحرقه النار على جهة اللالاة على صحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم انقطع ذلك بعده قال وجري هذا مجرى كلام الذئب وشكابة البعير وغير ذلك من آياته صلى الله عليه وسلم .. قال وفيه تأويل ثالث وهو أن يكون الاحراق انما أتى من القرآن لا عن الاهاب ويكون .. في الحديث لو جعل القرآن في إهاب ثم أتى في النار ما احترق القرآن فكان النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن لأن الله ينسخه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الاحراق .. وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري راداً على ابن قتيبة معترضاً عليه اعتبرت مقالة ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً .. أما قوله الأول فيرد ما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله يخرج من النار قوم بعد ما يحرقون فيها يقال هؤلاء الجهنميون طلقاهم الله عز وجل .. قال وقد روى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة

الجنة وأهل النار النار قال الله عز وجل انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه منها .. قال أبو بكر وكيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه ان النار لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين المسلمين ان الخوارج وغيرهم ممن يلحد في دين الله ويقرأ القرآن أن تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه بخبر أبي امامة ان الله لا يعذب قلباً وعى القرآن معناه قرأ القرآن وعمل به فأما من حفظ الفاظه وضيع حدوده فانه غير واع له .. قال وأما قوله انه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده فاروى هذا الحديث أحدث انه كان في دلائله عليه الصلاة والسلام ولو أراد ذلك دليلاً لكان صلى الله عليه وسلم يجعل القرآن في إهاب ثم يلقيه في النار فلا يحترق .. قال وقول ابن قتيبة الثالث لا تحرق الجلد والممداد ولم يحترق القرآن غير صحيح لان الذي يصح هذا القول يوجب أن القرآن غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب في المصحف هو القرآن والدليل على هذا قوله تعالى (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) ومنه الحديث لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو وانما يريد المصحف .. قال أبو بكر والقول عندنا في تأويل هذا الحديث انه أراد لو كان القرآن في جلد ثم ألقى في النار ما أبطلته لانها وإن أحرقتة فانها لا تدرسه اذ كان الله عز وجل قد ضمنه قلوب الأخيار من عباده والدليل على هذا قول الله عز وجل للذي صلى الله عليه وسلم فيما روى إلى منزل عليك كتاباً لا يقسه الماء تغراً نائماً ويقظان فلم يرد تعالى ان القرآن لو كتب في شيء ثم غسلي بالماء لم ينفصل وانما أراد ان الماء لا يبطله ولا بدرسه اذ كانت القلوب تعيه وتحفظه .. قال ومثل هذا كثير في كتاب الله وفي لغة العرب قال الله تعالى (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً) فهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما أراد تعالى ولا يكتمون الله حديثاً في حقيقة الأمر لانهم وان كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر عنه .. [قال المرتضى] رضي الله عنه والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الأنباري جميعاً وهو ان هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم

خطره والمصنف أنه لو كتب في إهاب وألقى في النار وكانت النار بما لا تحرق شيئاً لعلو شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار .. ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) ومعنى الكلام إذا لو أنزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع إشفاقاً من شيء أو خشية لأمر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم معانير المكلفين مع ضعفكم وقلةكم فأنتم أولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله تعالى بأن الكلام خرج مخرج المثل بقوله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) ومنه قوله تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً) .. ومنه قول الشاعر

أَمَّا وَجَلَالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذَكَرِ السَّمَانِ نَهْتِ لِلْمِئِنِ مَذَمًا
فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ أَضْمَعْتُهُ صُمُّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا

.. ومنه

فَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَى فَلَقَ الْحَصَى وَبِالرَّيْحِ لَمْ يَسْمَعْ لَهْنٌ هُبُوبُ

.. ومنه

وَقَفْتُ عَلَى رَنْجٍ لَيْلَةٍ نَاقَتِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْشُهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَالْأَعْبُهُ

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا كلام يفارق الصخر ويهد الجبال ويعصر الطير ويهزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى أنه لحته وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتت ولو كانت مما يسهل ويتيسر لدى من الأشياء لتسهلت به من أجهه .. فأما الجواب الأول المحكى عن ابن قتيبة فالذي يفسده زائداً على ما رده ابن الأنباري أنه لو كان الأمر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي

لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أضرانا بالذنوب لانه اذا آمن حانظ القرآن ومتعلمه
 من النار والعذاب فيها ركن المتكفون الى تعلم القرآن والاقدام على التبايع آمنين غير
 خائفين وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم والمعنى في قول أبي امامة ان الله عز وجل
 لا يعذب قلباً وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الأنباري .. فأما جواب ابن قتيبة
 الثاني فن آين له ان ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وسلم وليس في اللفظ ولا غيره
 دلالة عليه وأقوى ما يبعاله انه لو كان كما ذكر لما جاز أن يحنى على جماعة المسلمين الذين
 رويوا جميع معجزاته وضبطوها وفي وجداننا من روى ذلك وجهه وعنى به غير عارف
 بهذه الدلالة آية إبطال ما نوهه .. فأما جوابه الثالث فباطل لأن القرآن في الحقيقة
 ليس يحل الجلد ولا يكون فيه حق ينسب الاحراق الى الجلد دونه واذا كان الأمر
 على هذا لم يكن في قوله ان الالهاب هو المحترق دون القرآن فتنة لأن هذه سبيل كل
 كلام كتب في اهاب أو غيره اذا احترق الالهاب لم يصف الاحتراق الى الكلام لاستعالة
 هذه الصفة عليه .. ومن أعجب الأمور قول ابن الأنباري وهذا يوجب أن القرآن
 غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان لفظ
 المكتوب هو القرآن ولهذا علق الاحتراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذي هو
 القرآن فاذا كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الأنباري فما المانع
 من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان أحداً لا يقول ان الجلد هو القرآن وإنما
 يقول قوم انه مكتوب فيه واذا كان غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الي أحدها دون
 الآخر وهذا كله تخليط من الرجاين لأن القرآن غير حال في الجلد على الحقيقة وليست
 الكتابة عين المكتوب وإنما الكتابة أمانة للحروف فاما أن تكون هي الكلام على
 الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوباً فيحال .. فأما استشهاده على ذلك بالآية ويقول
 لا تسافروا بالقرآن فذلك تجوز وتوسع وليس يجب أن يجعل اطلاق الألفاظ المحتملة
 دليلاً على اثبات الأحكام وإنما هي ومعرضة على أدلة العقول وقد تجوز القوم بأكثر
 من هذا فقلوا في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان ألم يقتض
 ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في دفتر وقد بين الكلام في هذا

الباب في مواضع هي أولى به .. فأما جواب ابن الأنباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل أيضاً فيه لانه لا مزنية للقرآن فيما ذكره على كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر والكلام المحفوظ في صدور الرجال اذا كتب في جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب ما في الصدور ومنه بل يكون ثابتاً بحاله فأى مزنية للقرآن في هذا على غيره وأى فضيلة .. فان قال وجه المزنية ان غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يتدرس ويبطل باحراق النار والقرآن اذا كان تعالى هو المتولي لا بداعه الصدور لا يتم ذلك فيه .. قلنا الكل سواه لأن غير القرآن انما يبطل باحتراق الالهاب المكتوب فيه . قلم يكن محفوظاً مودعاً للصدور ومتى كان بهذا العفة لم يبطل باحتراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق ولكنه لا يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط في بطلان القرآن وثباته فلا مزنية على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من ان النار لا تمسه وهذا يبين انه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتعظيمه .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدناه عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي عن عمه للحسين بن عمار الأسدي وقال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا ما أنتم منشد

وَأَنْتَ بَتَّلَاحٍ مِنَ الطَّرْفِ نَاضِرُهُ	أَلَا حَبِيدَا الْبَيْتِ الَّذِي أَنْتَ هَاجِرُهُ
وَأَمْلَحُ فِي عَيْنِي مِنَ الْبَيْتِ طَامِرُهُ	لَأَنَّكَ مِنْ بَيْتٍ لِعَيْنَيَّ مُعْجِبُ
وَفِيكَ الْمُنَى لَوْلَا عَدُوٌّ أَحَاذِرُهُ	أَصْدُ حَيَاءٍ أَنْ يَلِمَ بِي الْهَوَى
لَمَاتَ الْهَوَى وَالشَّوْقُ حِينَ تَجَاوَرُهُ	وَفِيكَ حَبِيبُ النَّفْسِ لَوْ تَسْتَطِيعُهُ
وَإِنْ يَأْتِهِ غَيْرِي تَنْطَبِي جَرَامَرُهُ ^(١)	فَإِنْ آتَاهُ لَمْ أَنْجُ إِلَّا بِظَنَّةٍ

(١) - نط - تربط وتعلق أي تندد - والجرامر - جمع جريرة وهي الذنب .. يقول ان آت هذا البيت رماي الناس بظنونهم وان أتاه غيري أصيب الي أي قال

وكان حبيب النفس للقلب وانرا
 فإن تكن الأعداء أحموا كلامه
 أحبك يا سلمى على غير ريبة
 وبأ عاذلي لولا تقاسه حبها
 بنفسي من لا بد أني هاجر
 ومن قد آجاء الناس حتى اتقاهم
 أحبك حباً أن أعنف بعده
 لقدمت قبلي أول الحب فاتقضي
 كلامك يا سلمى وإن قل ناغي
 ألا لا أبالي أي حيي نعملوا

وكيف يحب القلب من هو واتره
 علينا فإن تقضي علينا مناظره
 ولا بأس في حب أعف سرائره^(١)
 عليك لما باليت أنك خاثره
 ومن أناني المنسور والعسر إذا كره
 ينفضي إلا ما تحب ضائره^(٢)
 غباً ولكني إذا ليم عاذره
 ولو مت أضحي الحب قدمات آخره^(٣)
 فلا تحسبي أني وإن قل حاقره
 إذا عثد البرقاء لم يتخل حاضره^(٤)

الناس إنه مرسل من قبلي لم رسالة من فيه

- (١) - الريبة - الغطة والنهمة .. يقول أحبك حباً لا يخاطله سوء ولا يظن فيه شر .. وقوله - ولا بأس في حب تعف سرائره - أي تعف سرائر صاحبه فاضاف السرائر للحب توسعاً وانما هي للمحب ومثله في القرآن الكريم عيشة راضية أي راض صاحبها
- (٢) - لحاء - لامة واللاهي اللام في النوى المعنف عليه .. وقوله - الا ما تحب ضائره - يريد به أنه يظهر للناس كراهي وينفضي لكف ألسنتهم عنه وليس في قلبه الا محبتي
- (٣) - يريد أن محبته لها ذهبت بسيرة من تقدمه من المحبين وأنه لن يأتي بعده من يذكر بالحبة وان حبه لن يضارعه حب من تقدمه ومن يأتي بعده
- (٤) - نعملوا - يروى بذله تفرقوا - والبرقاء - اسم موضع في بادية الجزيرة .. يقول أنه لا يبالي رحيل من رحل من الناس إذا كان هذا الموضع عامراً بأهله لم يرحلوا

وَأَنشد ابن الأعرابي لابن مطير:

لعمرك بأليت الذي لا تطوره^(١) أحب إلينا من بلاد تطورها^(٢)
تقلب في الإخوان حتى عرفتهم ولا يعرف الإخوان إلا خيرها
فلا أصرم الخيلان حتى يصارموا وحتى يسيروا سيرة لا أسيرها
فإنك بعد الشر ما أنت واجد خيلاً مديماً سيرة لا يدبرها

معنى - يدبرها - يلقاها مرة هنا ومرة هنا

وإنك في عين الأخلاء عالم^(٣) بأن الذي يخفى عليك ضميرها
فلاتك ممروراً بمنحة صاحب من الود لا تدرى علام مصيرها
وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى ولكنه خيم الرجال وخيرها
وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها فقيراً وبغنى بعد بؤس فقيرها
وكائن ترى من حال دنيا تغيرت وحال صفاً بعد اكدرار غديرها
ومن طامع في حاجة لن ينالها ومن يأس منها أتاه يسيرها

لأنهم هم الذين يحبهم ويشفق من رحيلهم... وفي بعض كتب الأدب بعد هذه الايات

وبالبرق أطلال كان رسوها قراطيس خط الخبر فيهن ساطره

أبت سرحة الانداد الاملاحة وطيبا اذا ما تبها اهتر ناضره

(١) - تطوره - نحوم حوله... يقول ان البيت الذي تجنبه وتحاماه خوف الوشاة

أحب الينا من البلاد التي نأثيها اذ لم يكن من نهوى فيها... وثل هذا قول الاحوس

يا بيت حاتكة الذي اتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل

اني لامنحك الصدود وإنى قها اليك مع الصدود لأميله

(١٢ - أعالى لي)

وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا يُنْجِبُ النَّفْسَ لَمْ يَزَلْ مُطِيعًا لَهَا فِي فِعْلٍ شَيْءٍ يَضُرُّهَا
فَنَفْسُكَ أَكْرَمُ مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَهَلْكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا^(١)

[قال المرتضى] رضى الله عنه ولى فى معنى قول ابن مطير - وقد تفرد الدنيا -

والبيت الذى بعده من جملة قصيدة

وَكَيْفَ آتَى الدُّنْيَا وَلَسْتُ أَرَى نَصْبَ إِلَيْهَا بِأَمَالٍ غُفِيَةٍ
إِلَّا أَمْرًا قَدْ تَعَرَّى مِنْ عَوَارِيهَا كُلُّ أَعْتَابٍ لِمَنْ قَدْ ظَلَّ بِأُورِيهَا
كَأَنَّا مَا نَرَى عَصْبِي أَمَانِيهَا وَقَدْ رَأَيْتُ طُلُولًا مِنْ مَمَانِيهَا
فِي وَخْشَةِ الدَّارِ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهَا لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا قَلْبِي لَهَا وَطَنُ

.. وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحد

ابن يحيى نعلب الحسين بن مطير

لَقَدْ كُنْتُ جُلْدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى عَلَيَّ كَبِدِي نَارًا بَطِينًا خُمُودُهَا
وَلَوْ نُرِكَتْ نَارُ الْهَوَى لَتَصَرَّمَتْ وَلَكِنْ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَزْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي إِذَا قَدُمْتُ أَحْزَانُهَا وَعَهْدُهَا
فَقَدْ جَعَلْتُ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا عَهْدُ الْهَوَى تُؤَلِّي بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا
بِمُرْتَجَى الْأَرْذَافِ هَيْفَ خُصُورُهَا عَذَابِ ثَنَائِهَا عِجَابِ قِيُودُهَا^(٢)

(١) - يقول ان النفس لا تميل بطبعها الا الى الشرور فمن اطاع نفسه واتاهها مشتهاها

وقع فى شرور كثيرة وقادته الى ما يضره

(٢) - مرثية الارذاف - يريد ان اردافها ضخمة فهي اذا تحركت اضطربت اردافها

- وهيف - جمع هيفاء وهي الدقيقة الخصر الضامرة البطن - وعجاف - جمع عجفاء وهي النحيفة وهذا الجمع شاذ فان الفعل ولعلاه لا يجمع على فعال الا انهم بنوه على سنان

يعنى انها عجاف الثنات وأصول الاسنان وهي قيودها .. قال أبو العباس ثعلب عجاف
 بالغضض لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله أن يكون نصباً لانه حال من الثنايا
 مخضرة الأوساط زانت عهودها بأحسن ميا زينته عهودها
 وصفر ترأقيا وحمري أكفها وسود نواصيا وببيض خدودها
 وصف التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة أكفها من الخضاب

يُمْنِنَا حَتَّى تَرُفَّ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُرَامِي بَاتَ طَلَّ يَهُودُهَا
 أخذ .. قوله مخضرة الأوساط البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة

وَتَرِيدِينَ طَيْبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا إِنْ تَمَسَّهِ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا
 وَإِذَا الدَّرُّ زَانَ حُسْنُ وَجْهِهِ كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَا

وروى أبو نعيم الطائفي الحنابلة بعض الأبيات الذي ذكرناها للحمين بن مطير وروى
 له أيضاً وشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة

وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرْدَ الْبُكَاءِ قَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا
 هَلْ اللَّهُ عَافٍ عَنْ ذُنُوبٍ تَسَلَّقْتُ أَمْ اللَّهُ إِنْ لَمْ يَغْفُ عَنْهَا مَعِيدُهَا

وأشد أبو محم لا بن مطير

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ بَارِحًا أَحْبَبُّكَ حَتَّى يَمُضَ الْعَيْنُ مُنْمِضُ
 وَحُبُّكَ بَلَوَى غَيْرَ أَنْ لَا يَسْرُنِي وَإِنْ كَانَ بَلَوَى أَنَّنِي لَكَ مُنْمِضُ
 إِذَا نَارُضْتُ النَّفْسَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا أَتَى حُبُّهَا مِنْ دُونِهَا يَتَرَضُّ
 فَيَا لَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جُلْدًا صَبَابَتِي وَأَقْرَضَنِي صَبْرًا عَلَى الشَّوْقِ مُقْرِضُ

لأنهم قد ينون الشيء على ضده كقولهم عدوة بالهاء لمكان صدقة وعجاف لا مانع من
 جعله صفة للمرأة وإن أنكره ثعلب

ويشبه أن يكون أخذ قوله إذا أنارُضت النفس في حب غيرها من قول رجله من قزارة
 وأعرضُ حتى يحسبَ الناسُ أننا بِي الْهَجْرُ لَا وَاللَّهِ مَا بِي لَكَ الْهَجْرُ
 ولكن أروضُ النفس أنظرُ هل لها إِذَا فَارَقْتُ يَوْمًا أَحِبَّتْهَا صَبْرُ
 أو من قول نصيب

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي كَثِيرًا وَاتَّقِي عَدُوًّا وَأَسْتَبْقِي الْمَوَدَّةَ بِالْهَجْرِ
 وَأَنْدُرُ بِالْهَجْرِ أَنْفُسِي أَرَوْضُهَا لَأَعْلَمُ عِنْدَ الْهَجْرِ هَلْ لِي مِنْ صَبْرٍ
 ويشبه أن يكون أخذه قوله فياليتني أقرضت جلدًا صبا في البيت من قول بعض العرب
 رَمَى قَلْبُهُ الْبَرْقُ الْمَلَالِي رَمِيَّةً يَجْتَنِبُ الْحَمَا وَهَذَا فَكَادَ يَرِيمُ
 فَهَلْ مِنْ مُعِينٍ طَرَفَ عَيْنٍ خَلِيَّةٍ فَإِنْ سَانَ عَيْنِ الْعَامِرِيِّ كَلِيمٌ^(١)
 وللحسين في هذا المعنى ما رواه المبرد

وَلِي كَبْدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيعُنِي بِهَا كَبَدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ
 أَبَا النَّاسِ وَيَبِ النَّاسِ لَا يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحٍ
 وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال
 مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحكيم قال حدثني يموت بن المزدحم قال
 حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الأصمعي فأنشدني رجلا أبيات فرأيت
 أَيْنَ الشَّابُّ وَأَيَّةَ سَلَكَا لَا أَيْنَ يُطْلَبُ طَلٌّ بَلْ هَلَكَا
 لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

(١) - يقول انه يريد عينا غير طاشقة لينظر بها الى ديار أحبه فان طرفه مجروح
 سقيم من المشق لا يستطيع أن ينظر به

أَسْلَمَ مَا بِالشَّيْبِ مَنْقَصَةٌ لَا سَوْفَةً تُبْقِي وَلَا مَلِكًا
قَصَرَ الْفَوَايَةِ عَنْ هَوَى قَمَرٍ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْكَ مُشَارَكًا
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَوْمُكُمْ يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِكَ
لَا تَأْخُذًا بِظِلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي أَشْتَرَكَا

قال فاستحسنها كل من في المجلس وأكثر التعجب من قوله - ضحك المصيب برأسه فبكى - فقال الأصمعي إنما أخذ قوله هذا من ابن مطير في قوله

أَيْنَ أَهْلُ الْقِيَابِ بِالْذَهْنَاءِ أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الْأَحْسَاءِ
جَاوَرُونَا وَالْأَرْضُ مُلْبَسَةٌ نَوْرَ الْأَفَاحِي تُجَادُّ بِالْأَنْوَاءِ^(١)
كُلُّ يَوْمٍ بِأَفْجَوَانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ

وقد أخذه أيضاً مسلم بن الوليد صريح الفوائ في قوله

مُسْتَعْبِرًا يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِي الشَّيْبِ

•• [قال المرتضى] رضى الله عنه ولا في الحجة نصيب الأصغر من هذا المعنى وهو قوله

فَبَكَى الْغَمَامُ بِهِ فَأَصْبَحَ رَوْضُهُ جَذَلَانْ يَضْحَكُ بِالْحَمِيمِ وَيَزْهُرُ

ولا بن المعتز مثله

أَلَحَّتْ عَلَيْهِ كُلُّ طَحِيَاءٍ دِيمَةٍ إِذَا مَا بَكَتْ أَجْفَانُهَا ضَحِكَ الزَّهْرُ

ولا بن دريد مثله

تَبَسَّمَ الْمَرْثُ وَأَنْهَلَتْ مَدَامِعُهُ فَأَضْحَكَ الرَّوْضُ جَفْنَ الضَّاحِكِ الْبَاكِ

(١) - الدهناء - أرض من منازل نعيم بنجده تسعة إذا أخضبت ربت العرب جميعاً

لسعتها - والاحساء - ماء لغني و يروى البيت الاول

أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الْاحْسَاءِ أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الْاطْوَاءِ

وَعَاذَ الشَّمْسَ نَوَازِلَ يَلْحَظُهَا بَيْنَ مُسْتَعْبِرٍ بِالدَّمْعِ ضَحَّاكٍ
 وَرَوَى عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدِ أَنَّهُ قَالَ أَخَذَ ابْنُ مَطِيرٍ ٥٥ تَضَعُكَ الْأَرْضُ مِنْ بَكَاءِ السَّمَاءِ
 مِنْ قَوْلِ دَكِينِ الزَّاجِرِ

جَنَّ النَّبَاتُ فِي ذُرَاهَا وَزَكَّى وَضَحَّكَ الْمَرْئُ بِهِ حَتَّى بَكَى



مَجْلِسُ آخِرِ ٣٣

[تَأْوِيلُ آيَةِ] ٥٠ إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ
 مَا تَشَاءُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ
 يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) ٥٥ الْجَوَابُ قُلْنَا قَدْ
 ذَكَرَ وَجْهَانِ مُطَابِقَانِ لِلْحَقِّ ٥٥ أَحَدُهُمَا أَنَّ يَكُونُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مَعْطُوفٌ عَلَى اسْمِ
 اللَّهِ تَعَالَى فَكَأَنَّهُ قَالَ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَأَنَّهُمْ مَعَ عِلْمِهِمْ
 بِهِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ فَوَقَعَ قَوْلُهُ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ فِي مَوْقِعِ الْحَالِ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَهُ قَائِلِينَ
 آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَهَذَا فِي غَايَةِ الْمَدْحِ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ إِذَا عِلِمُوا ذَلِكَ بِقُلُوبِهِمْ وَأَظْهَرُوا
 التَّصَدِيقَ بِهِ عَلَى أَلْسِنِهِمْ فَقَدْ تَكَمَّلَتْ مَدْحَتُهُمْ وَوَصَفَهُمْ بِإِدَاءِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ ٥٥ وَالْحُجَّةُ لِمَنْ
 ذَهَبَ إِلَى مَا بَيْنَهُ وَالرَّدَّ عَلَى مَنْ اسْتَبْعَدَ عَطْفَهُ عَلَى الْأَوَّلِ وَتَقْدِيرُهُ أَنَّ يَكُونُ قَوْلُهُ يَقُولُونَ
 آمَنَّا بِاللَّهِ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ لَا ابْتِدَاءَ لَهُ مِثْلُ قَوْلِهِ (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِهِ
 الْقُرَى فَهُوَ لِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) إِلَى قَوْلِهِ (شَدِيدِ الْعِقَابِ) فَذَكَرَ جُمْلَةً ثُمَّ تَلَاهَا بِالتَّفْصِيلِ
 وَتَسْمِيَةِ مَنْ يَشْتَقِقُ هَذَا إِلَى ٥٥ فَقَالَ (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
 وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) إِلَى قَوْلِهِ السَّادِقُونَ وَقَالَ فِي الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ
 وَالْإِيمَانَ فَهُمُ الْأَنْصَارُ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَقَالَ فِيمَنْ جَاءَ
 بَعْدَهُمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِأَخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ فَهَذِهِ الْآيَاتُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ
 لَا يَنْكَرُ فِي آيَةِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ أَنَّ يَكُونُ قَوْلُهُ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ حَالًا مَعَ الْعِلْمِ بِتَأْوِيلِهِ

المتشابه فلو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله والذين هاجروا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا في أنه موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون آمناً به فإن الصورتين واحدة .. وما يستشهد به على ذلك من الشعر قوله يزيد بن مفرغ في عبد له كان يسمى برداً باعه ^(١) ثم نعم عليه

(١) قلت كان من حديث يزيد في بيعه غلامه برداً أنه كان صاحب زياد بن أبي سفيان فلم يحمده وأتى ابنه عباداً فرأى منه ما يكره وكان عباد طويلاً اللحية عريضاً فركب ذات يوم وابن مفرغ معه في موكة لميت ربح فنفشت لحيته فقال ابن مفرغ
ألا ليت الهجي كانت حشيشاً فقرأها خيول المسليتنا
فباع ذلك عباداً فنفد عليه وجفاه فقال ابن مفرغ

ان تركي ندى سعيد بن عثمان
واتباعي اخا الرضاعة والواؤ
قلت والليل مطبق بعصاه
ليتني مت قبل ترك سعيد

يريد سعيد بن عثمان بن عفان فإنه استصحب يزيداً هذا حين ولي خراسان فلم يصحبه وعدل عنه الى زياد فلما قال ذلك أخذ عبيد الله بن زياد خفيه وعذبه وسقاه الزيد في التبيذ وحمله على بعير وقرن به خنزيرة وأم شاه بطنه مشياً شديداً فكان يسيل ما يخرج منه على الخنزيرة فنسى فكلمها صامت قال ابن مفرغ

ضجعت سمية لأمسها القرن لا تجزي إن شر الشيمة الجزع

وسمية أم زياد .. ثم ان عبيد الله بن زياد دس إليه قوماً يقتضونه ويستعدون عليه فأمر ببيع ما وجد له في إعطاء غرمائه فكان فيما بيع له غلام يقال له برد يعدل عنده ولده وجارية يقال لها الأراكفة فقال في يزد الأبيات التي ذكرها صاحب الكتاب وقال في الأراكفة وفيه

يا برد مامسنا دهر أضربنا
أما الأراكفة فكانت من محارمنا
من قبل هذا ولا يفضاله ولدا
عيشاً لتزيدا وكانت جنة رغدا
من الحوادث ما قارفتها أهدا

وَسَرَّيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً
أَوْ يَوْمَةً تَدْعُو صَدًّا بَيْنَ الْمُشَقَّرِ فَأَلِيَامَةً
الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي النَّامَةِ

فعطف البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع فكأنه قال والبرق أيضاً يبكيه لامعاً في غمائه أي في حال لوعته ولو لم يكن البرق معطوفاً على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا قائمته . ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما تقدم وأثبت العلم بالمشابهة لهم أن قوله يكون يقولون آمناً به استئناف جملة استغنى فيها عن حرف العطف كما استغنى في قوله يقولون ثلاثة وأبعثهم كلهم . ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس في الجملة الأولى ليستغنى به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسناً ينزل الملتبس منزلة غير الملتبس . . والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله والراسخون في العلم مستأنفاً غير معطوف على ما تقدم ثم أخبر عنهم بأنهم يقولون آمناً وبكون المراد بالتأويل على هذا الجواب المتأول لأنه قد يسمى تأويلاً قال تعالى (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) المراد بذلك لا محالة التأويل والتأويل الذي لا تعلمه العلماء وإن كان تعالى عالماً به كمنحو وقت قيام الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغار إلى غير ذلك فكأنه قال وما يعلم تأويله جميعه على المعنى الذي ذكرناه إلا الله والعلماء يقولون آمناً به وقد اختار أبو علي الجبائي هذا الوجه وقواء وضف الأول بأن قال قول الراسخين في العلم آمناً به كل من غند ربنا دلالة على استسلامهم لأنهم لا يعرفون تأويله المشابه كما يعرفون تأويل الحكم ولأن ما ذكره من وقت القيامة ومن التمييز بين الصغار والكبار هو من تأويل القرآن إذ كان داخلاً في خبر الله والراسخون في العلم لا يعلمون ذلك . . وليس الذي ذكره بشيء لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالمشابهة آمناً به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف يظن أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم به وما المنكر من أن يظهر الإنسان بلسانه الإيمان بما يعلمه ويحققه فأما قوله ولأن ما ذكرناه من تأويل القرآن فذلك إنما يكون تأويلاً للقرآن إذا حملت هذه اللفظة على التأويل

لا على الفائدة والمعنى وأما إذا حملت على أنه وما يعلم معنى التشابه وفائدته إلا الله فلا بد من دخول العلماء فيه وليس يمكنه أن يقول أن حمل التأويل على المتأول أظهر من حمله على المعنى والفائدة لأن الأمر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى أظهر وأكثر في الاستعمال وأشبه بالحقيقة على أنه لو قيل أن الجواب الأول أقوى من الثاني لكان أولى من قوله من قبله أنه لو كان المراد بالتأويل المتأول لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص التشابه بذلك دون المحكم معني لأن في متأول المحكم كإخباره عن الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة في كونه محكما ما لا يعرف تفصيله وكنهه إلا الله تعالى فأى معنى لتخصيص التشابه والكلام يقتضى توجهه نحو التشابه ألا ترى إلى قوله (وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) فخص التشابه بالذكر والأولى أيضاً أن يكون المراد بلفظة تأويله الثانية هو المراد بلفظة تأويله الأولى وقد علمنا أن الذين في قلوبهم زيغ إنما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا لتأويله الذى هي متأوله والوجه الأول أقوى وأرجح .. ويمكن في الآية وجه ثالث نجدهمذكروه على أن يكون قوله والراسخون في العلم مستأنفاً غير معطوف ويكون المعنى وما يعلم تأويل التشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل إلا الله وهذا صحيح لأن أكثر التشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للعق الموافقة لأدلة العقول فيذكر المتأول جميعاً ولا يقطع على مراد الله منها بعينه لأن الذى يلزم مثل ذلك أن يعلم في الجملة أن لا يرد من المعنى ما يخالف الأدلة وإن قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة للعق وليس في تكليفنا أن نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى الذين تبين احتمالهما لوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فتقطع على أنه تعالى لم يرد منها وجوه تطابق الحق فنعلم في الجملة أنه قد أراد أحدها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآى التشابه فإن أكثرها يحتمل وجوهاً والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح ولا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من يمد والراسخون في العلم يقولون آمناً به أى صدقاً بما علمه جملًا ومفصلاً من المحكم والتشابه وأن الكل من عند ربنا وهذا وجه واضح .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأضر قال (١٣ - أمالي في)

أشدنا محمد بن يزيد لأبي حبة النخري وهي أبيات مختارة

وخبرك الواشون أن لا أحبكم
أصد وما الصد الذي تمر فيه
حياء وثقيا أنت تشيع تميمه
وإن دما لو تعلمين جنته
أما إنه لو كان غيرك أزلت
ولكنه والله ما طل مسلما
بلى وستور الله ذات المحارم
عزاه بنا إلا أجتراع العلاقم
بنا وبكم أف لأهل النائم
على الحي جاني مثله غير سالم
صباذ القنا بالراغبات اللهازم
كبيض الثنايا واضحات الملاغم

قال نعلب - الملاغم - ما حول النمل .. وقال المبرد واضحات الملاغم يريد العوارض
.. وقوله - ما طل مسلما - أي أبطل دمه

إذا هن ساقطن الحديث حبه
ويروي ساقطن الأحاديث لافقي .. ويروي أيضا ساقطن الحديث كأنه

رمين فأقصذن القلوب فلا تری
دما مائرا إلا جوى في الحيازيم

[قال سيدنا رضى الله عنه] .. ومن منحن ماضى في هذه القصيدة قوله

كأن لم أبرح بالميون وأقتل
بتفتير أبصار الصبح السقام^(١)

ولم أله بالحدث الألف الذي له
غدا لم يجر من فار اللطائم^(٢)

(١) - أبرح - من برج به الأمر إذا لقي منه شدة والبرح الشدة - وتفتير - من الفتور وهو انكسار العين - والسقام - جمع سقيمة وهي المريضة ولم يرد أنها سقيمة من مرض وإنما أراد أن بها من الضعف والفتور ما بالمرضى وإن لم تكن مريضة

(٢) - الحدث - الصغير السن - والألف - العظيم الفخذين - والغدا - جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر - والفار - جمع فأرة يريد فأرة المسك - واللطائم - جمع لطيمة وهي المسك

إِذَا اللَّهُ يُطِيبُنِي وَإِذَا أَسْتَمِيلُهُ بِمَحْلُولِكَ الْفُودَيْنِ وَحُفِّ الْمَقَادِمِ^(١)
وَإِذَا أَنَا مُنْقَادٌ لِكُلِّ مَقُودٍ إِلَى اللَّهِ حَلَّافِ الْبَطَالَاتِ آخِرِ

وروى ابن حبيب مفود ومعنى - حلاف البطالات - أى حلاف في البطالات

مُبِينُ الْمَطَايَا مُتْلِفٌ غَيْرَ أَنِّي عَلَى هُلَاكِ مَا أَتْلَفْتُهُ غَيْرَ نَادِمٍ

أَرَى خَيْرَ يَوْمِي الْخَيْسَ وَإِنْ عَلَا بَنِي اللَّوْمِ لَمْ أَحْفَلْ مَلَامَةً لَأَنَّهُمْ

- خير يومى الخيس - أى أحب يومى إلى الذى هو أخس عند أهل الرأى والمقل -

وأنشد أبو اسحاق إبراهيم بن سيف بن الزيايدي لأبى حية واسمه هيثم^(٢) بن الربيع

تَرَحَّلْ بِالشَّبَابِ الشَّيْبُ عَنَّا فَلَيْتَ الشَّيْبُ كَانَ بِهِ الرَّحِيلُ

وَقَدْ كَانَ الشَّبَابُ لَنَا خَلِيلاً فَقَدْ قَضَى مَا رَبُّهُ الْخَلِيلُ

لَعَمْرُأَيِ الشَّبَابُ لَقَدْ تَوَلَّى حَمِيدًا مَا يُرَادُّ بِهِ بَدِيلُ

(١) - يطيبنى - يستملى - والمحلولك - الحلاك اللوث أى الذى لونه أسود
والفودان - ثنية فود وهو معظم شعر الرأس مما يل الأذن وناحية الرأس - والوحفد
الشعر الكثير الأسود - والمقادِم - جمع قادمة وهو الناصية

(٢) قلت ذكره بعض الأدباء فقال كان أبو حية يروى عن الفرزدق وكان كذاباً
قال يوماً رميت ظبية فلما خرج السهم ذكرت بالظبية حبيبة لى فشددت خلف السهم
حتى أخذت بقلده^١ وكان جباناً قال جاره اطلعت عليه يوماً وبيده سيف له قد انتضاء
يسمى لعاب النية ليس بينه وبين الخشب فرق وهو واقف على باب داره يقول لربها
أيها المغتر بنا والمجترى عايننا بشئ والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب
النية الذى سمعت به ضربته لا تخاف نبوتها أخرج بالفعو عنك لأدخل بالعةوبة عليك
إني والله إن أدع قيساً تملأ الأرض خيلاً ورجلاً يا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها ثم
فتح الباب فإذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذى مسخك كلباً وكفانا حرباً

إِذِ الْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا وَظِلُّ أَرَكَتِ الدُّنْيَا ظَلِيلٌ
وَأَتَسَدُ الْمِرْدِ قَالَ أَتَسَدْنَا أَبُو عُمَانَ الْمَازِنِي لِأَبِي حَبِيبٍ

زَمَانَ الصَّبَا لَيْتَ أَيَّامَنَا رَجَعْنَا لَنَا الصَّالِحَاتِ الْقِصَارَا
زَمَانَ عَلَى غُرَابٍ غُدَافٌ فَطِيرُهُ الدَّهْرُ عَنِّي فَطَارَا
فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغُرَابِ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَبْقِ إِلَّا أَدْرَكَارَا
كَأَنَّ الشَّبَابَ وَلَذَاتِهِ وَرَيْقَ الصَّبَا كَانَ ثَوْبًا مُعَارَا
وَهَارِثَةُ ابْنِ رَأْتٍ لَمَتْنِي تَلَفَعَ شَيْبٌ بِهَا فَأَسْتَدَارَا
وَقَلَّدَنِي مِنْهُ بَعْدَ الْخَطَامِ عَذَارَا فَمَا أُسْتَطِيعُ أَعْتَدَارَا
أَجَارَتْنَا إِنَّ رَبَّ الزَّمَانِ قَبْلِي نَالَكِ الرِّجَالِ الْخِيَارَا
فَأِمَّا تَرَى لَمَتْنِي هَكَذَا فَأَسْرَعْتَ فِيهَا لِشَبَابِي الْفِئَارَا
فَقَدْ أَرْتَدَيْ وَحَفَّةَ طَلَّةٍ وَقَدْ أَبْرَزُ وَالْقَتِيَّاتِ الْخِفَارَا

أما قوله على غراب غداف - فأراد به الشباب والشعر الأسود - وبشبهه أن يكون مأخوذاً
من قول الأعرابي

وَمَا طَلَابُكَ شَيْئًا لَسْتُ تُذَرِكُهُ إِنْ كَانَ عَنْكَ غُرَابُ الْجَهْلِ قَدْ وَقَمَا
ولأبي حبيب من قصيدة أولها

أَلَا يَا اسْلَمَى أَطْلَالَ خَنَسَا وَأَنْعَمِي

وَخَنَسَا مِنْهَا صَنِيعُ الْوِشَاحِينَ مَشِيئًا إِلَى الدَّوْحِ أَقْتَارُ خُطْيَ الْمُتَجَسِّمِ^(١)

(١) قوله - مخماس الوشاحين - أي هيفاء والوشاح ثنية وشاح وهو أدبهم صريض يرسمه المرأة
بالجواهر فتشده بين عاتقها وكشعها فإذا قالوا مخماس الوشاح أو غرني الوشاح أرادوا أنها

أَلَمَّا بَسَلَنِي قَبْلَ أَنْ تُزَيِّيَ النَّوَى بِعَافِيَةٍ نَبَضَ الْفَوَادِ الْمُتِمِّمِ
يَقِفُ عَاشِقًا لَمْ يَبْقَ مِنْ رُوحِ نَفْسِهِ وَلَا عَقْلُهُ الْمَسْلُوبِ غَيْرُ التَّوَهُّمِ
فَقُلْنَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ لَا يَرُخُ صَحِيحًا فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِهِ فَأَلْعِمِي
فَأَلْقَتْ قِنَاعَ دُونَةِ الشَّمْسِ وَأَتَقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفِّ وَمِعْصَمِ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرْزِدْ إِسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلْتَهُ وَأَتَقْتَنَا بِالْيَسَدِ^(١)

وأما قوله - وقأن لها سرّاً فدينائك لا يرخ - خبر وهو ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقطاني قال اتصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب أمر علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين القاسم ابنه وسمع شيئاً من أهاجيه فقال لأبي الحسين قد أحببت أن أرى ابن روميك هذا فدخل يوماً بعبيد الله إلى أبي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشد من شعره فأنشده وخطبه فرآه مضطرب العقل جاهلاً فقال لأبي الحسين بينه وبينه أن لسان هذا أطول من عقله ومن هذه صورته لا تأمن عقابيه عند أول عتب ولا يفكر في عاقبته فأخرجه عنك فقال أخاف حينئذ أن يعلن ما يكتمه في دولتنا وبذيعه في تمكنتنا فقال يا بني إني لم أرد بإخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت أبي حبة النخري

هيناء محل الوشاح - وأفقر - من أفقر في النفقة إذا ضيق فيها - والمتجشم - المتكاف للثمن ٠٠ يقول أنها تمني منى إدلال كما يمتن من لا يستطيع المشي

(١) - النصيف - المئزر - وأتقتنا باليد - أي حالت بيننا وبين النظر إليها بوضعهما معصهما على وجوها يصنف بذلك المتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكان النابغة يجلس إلى النعمان ويناديه فدخلت المتجردة يوماً على النعمان وعنده النابغة وهي لا تعلم بمكانه فلما وقع بصرها عليه اضطربت واستحييت وسقط مئزرها فتناولته بيدها وسترت وجهها باليد الأخرى ويقال أنها وضعت معصهما على وجوها فستره فلم يستبين منه شيء

فَقُلْنَا لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ لِأَيْرُخَ سَلِيمًا وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمِمْي

غدت القاسم ابن فراس بما جرى وكان أعدى الناس لابن الرومي وقد هجاه بأحاج قبيحة فقال له الوزير أهنه الله أشار بأن يقتال حتى يستراح منه وأنا أكفيك ذلك فسمه في الحشكنانج فأت ٠٠ قال الباقطاني والناس يقولون ما قتله ابن فراس وإنما قتله عبيد الله ٠٠ قال ابن الرومي لما رجع إلى داره وقد دب السم في أعضائه شمرأ

أَشْرَبُ الْمَاءِ إِذَا مَا تَلْتَهَبُ نَارُ أَحْشَائِي لِإِطْفَاءِ النَّهَبِ

فَأَرَاهُ زَائِدًا فِي حُرْفَتِي فَكَانَ الْمَاءُ لِلنَّارِ حَطَبُ

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل لنخلة من التكليف وسلامته من التزبد وبعده من الاستعانة قول أبي حبة

رَمَتْنِي وَسَتَرُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِئَاسِ رَمِيمُ

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتَهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالْغِيَالِ قَدِيمُ

[قال المرتضى] رضى الله عنه وقد روى هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمتني وأصابني بمحاسنها ولو كنت شاباً لرميت كما رمت وفنات كما فننت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا كلام واضح ٠٠ وأما الاستعانة فهي أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالسمتع إليه ليصحح وزناً أو نظماً ٠٠ قال وبما يختار من قول أبي حبة أيضاً

أَلَا حَيٍّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمُنَانِيَا لَبَسَ الْبَلِيَّ مِمَّا لَبَسَ الْأَلْيَايَا^(١)

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمْلُ التَّقَاضِيَا

(١) قوله من أجل الحبيب - روى بدله من بعد الحبيب - والمغاني - جمع مغنى وهو المنزل الذي غنى به أهله ثم طعنوا عنه وقوله - لبس البلى - يريد أن طول العهد واختلاف العصورن عليها أخلق جديتها وطمس رسومها

وقال ان أحسن ما وصف به المسواك قول أبي حبة

لقد طال ما أعييت راحلة الصبا وعللت شيطان النوري المشوق
ودأبت قروح القلب منهن بالنا وباللحظ لو يبدلنه المتسرق
وساقيني كأس الهوى وسقيتها رفاق الثنايا عذبة المتريق
وخمصانة تقتر عن متنفذ كنور الأفاحي طيب التدوق

وبروي عن منبق يعني نقرأ على نسق واحد لا اختلاف فيه

إذا مضت بعد امتناع من الضحى أنا ييب من عود الأراك المخلق
سقت شعث المسواك ماء غمامة فضيضاً يجز طوم المدام المروق

— الامتناع — الارتقاء يقال متع النهار وأمتع إذا طال — والخلق — الذي علق به الخلق والطيب من يدها .. وقال بعضهم عن بالخلق المملس — والفضيض — الذي سال من الغمامة أي كاه فض — والخرطوم — سلاف الخرو وهو أول ما يخرج من غير عصر ولادوس وإن دقت فاهاً بعد ما سقط الندى بمطفي بجنداق رداح المنطق

— البغندقة — الضغمة — والرداح — العظيمة الأرداف

شمت الرار الطل غب هميمه ونور الخزامي في الندى المترق

— العرار — بهار البر — والطل — الفض العري — والهميمه — مطر لين .. وأخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هارون بن علي قال سمعت أبي وقد ذكر قول أبي حبة

نظرت كأني من وراء زجاجة الى الدار من قرط الصباية أنظر
بمينين طورا يقران من البكا فأعشى وطورا يحمران فأبصر

فقال لو اعترضني ملك تجب طاعته ويلزم الانقياد لأمره فقال أي شعر أجود وأولى بأن يستحسن ولم يفسح لي في أن أميز المدح من الفخر والهجاء من التشبيب وسائر أصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عادت عن هذين البيتين .. وقال ان أبا أحمد جيد

الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيني أبي حبة هذين بقوله
فَلَا مِقْلَتِي مَا غَامَرَ الْمَاءُ تَجَلَّى وَلَا دَمْعَتِي مِنْ مُكْمِدِ الْوَجْدِ قَطُرُ

ولأبي حبة

مِنَ الْمَكِيَّاتِ الْجِلْدَ حَتَّى كَانَا يَسْحُ بِعَيْنَيْهِ الدَّمْعَ شَعِيبُ
الشعيب - مزايدة من أدبين شعب أحدهما بالآخر

لِيَالِي أَهْلَانَا جَمِيعًا وَحَوْنَا سَوَائِمُ مِنْهَا رَاحٌ وَغَرِيبُ
وَإِذْ يَتَجَنَّبُ الذُّنُوبَ وَمَا لَنَا إِلَيْهِمْ نَوْلًا وَذُهْنٌ ذُنُوبُ

ولأبي حبة

أَصْدُ عَنْ الْبَيْتِ الْحَبِيبِ وَإِنِّي لَا صُنِي إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي اتَّعَجَبُ
أَزُورُ بِيوتًا غَيْرَهُ وَلَا أَهْلَهُ عَلِي مَاعِدًا عَنْهُمْ أَعَزُّ وَأَقْرَبُ

وَقَطَعَ سَبَابَ الْمَوَدَّةِ مَعَشَرُ غَضَابٍ وَهَلْ فِي أَحْسَنِ الْقَوْلِ مُغِيبُ
وَإِنْ لَانِي يَا أُمَّ عَمْرٍ وَنَمِيمَةُ يَدُبُّ بِهَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَقْرَبُ

وَمَا يَنْتَنَا لَوْ أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِذَلِكَ الْأَلَى يُولُونَ مَا يَتَرْتَبُ
حَدِيثًا إِذَا لَمْ يَخْشَ عِيًّا كَأَنَّهُ إِذَا سَاقَطَتِ الشَّهْدَةُ بَلَى هُوَ أَطِيبُ

لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ مِنْ الْمَوْتِ كَادَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ تَذْهَبُ
وَقُلْتُ لَهَا مَا تَأْمُرِينَ فَلِئَنِّي أَرَى الْبَيْنَ أَذْنَى رَوْعِهِ يَرْقُبُ

قال محمد بن يحيى المولى ولا أحسبه في قوله لو أنك تستشفى به بعد سكرة إلا تتبع
قول نوبة بن الحمبر

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلِيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ
سَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَى إِلَيْهَا صِدْقِي مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ

[قال المرتضى] رضى الله عنه وأوّل من سبق الى هذا المعنى فأحسن الأئمة فى قوله
 غمّدي بها في الحيّ قد درّعت صفراء مثل المهرّة الضامر
 لو أسندت ميتاً الى نحرها عاش ولم يُنقل الى قبر
 حتّى يقول الناس ممّا رأوا وأعجباً ليّيت النسّاسير

ومعنى الناشر المنشور يقال أنشر الله الميت فنشره وهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق
 فهو مدفوق .. وقال بعض أصحاب المعاني ان الجارية التى وصفها أيضاً هي ميتة بمعنى
 أنها ستموت فيكون المسمى ان الناس عجبوا من أن يكون من يموت كيف ينشر الموتى
 ومن قال هذا أجاز نشر الله الموتى بمعنى أنشر والقول الأول أظهر وما نظان الأئمة
 عنى غيره

مجلس آخر ٣٤

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام
 (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) .. فقال لم خص اليوم بالقول
 وإنما أراد العفو عنهم فى جميع مستقبل أوقاتهم .. الجواب قلنا فى هذه الآية وجوه
 أربعة .. أوّلها انه لما كان هذا الوقت الذى أشار اليه هو أوّل أوقاته التى كشف فيها
 نفسه لهم وأطلعهم على ما كان يستره عنهم من أمره أشار الى الوقت الذى لو أراد الانتقام
 لايتأذى به فيه والذى عفى فيه عنهم لم يراجع الانتقام .. وثانيها أن يوسف عليه السلام لما
 قدّم توبيخهم وعدد عليهم قبيح ما فعلوه وعظيم ما ارتكبوه وهو مع ذلك يستر عنهم نفسه
 ولا يفتح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم (لا تريب عليكم اليوم) أى قد انقطع عنكم
 توبيخي ومضى عندي ولائقي عند اعترافكم بالذنب وكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع
 المعاقبة والتوبيخ وعلى ان الأوقات المتصلة باليوم تجري مجراه فى زوال الغضب وتعام
 (١٤ - امالي نى)

المنزلة وسقوط الواقعة لهم على ما سلف منهم . . وثالثها ^(١) ان ذكر اليوم المراد به الزمان والحين فوضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل على الايام والشهور والسنين كما يقول العربي لغيره قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم وفقت لتركها ومقها يريد في هذا الزمان ولا يريد يوماً واحداً بعينه ومثله قد كنت تقصر في الجواب عن فنون العلم فاليوم ما يعجزك مسألة ولا تتوقف عن جواب يريد باليوم باقي الزمان كله . . وقال امرؤ القيس

حَلَمْتُ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ أُمَرَأً عَنْ شُرْبِهَا فِي شَعْلٍ شَاغِلٍ
فَالْيَوْمَ فَأَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ ^(٢)

لم يقصد يوماً بعينه . . ومثله

الْيَوْمَ بِرَحْمَتٍ مَنْ كَانَ يَغْبِطُنَا وَالْيَوْمَ نَتَّبِعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعًا

(١) - قلت هذا هو الجواب الصحيح وإيضاح ذلك ان العرب اذا أطلقت الليل فاعلموا يريدون به سواد الليل من حين تغرب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واذا أطلقت اليوم فقد تريد به بياض النهار كما اذا قالوا جالست فلانا يوماً وقد تريد به مطلق الوقت أى ساعة من ليل أو نهار كما في قوله صلى الله عليه وسلم تلك أيام الهرج أى وقته وفرقان ما بين ذلك انهم اذا قرنوا به من الافعال ماله استمرار أرادوا منه بياض النهار كالخيل لسة والمحادثة ونحوها مما يسوغب وقتاً طويلاً واذا قرنوا به من الافعال ما ليس له استمرار بل هو من الافعال الآتية أرادوا به مطلق الوقت وعلى هذا الآية وما استشهد به المصنف من الشواهد الشعرية

(٢) - الواغل - الذي يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من غير دعوة فأما الذى يأتى الولاثم من غير دعوة لئلا ياكل فيسبى وارشا ورائنا والناس يسمونه طفيليا نسبة الى طفيل وهو رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يأتى الولاثم من غير ان يدعى اليها وكان يقول وددت ان الكوفة كلها بركة مصهجة فلا يخفى على منها شيء

.. وقال لييد

وما الناس إلا كالذباب وأهلها بها يوم حُلّوها وغُدّوا بَلّاعُ

كل ذلك لا يراد بذكر اليوم والغد فيه الا جميع الأوقات المستقبلية .. ورابعها أن يكون المراد لا تثريب عليكم البتة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران وكان المعنى غفر الله لكم اليوم .. وقد ضعف قوم هذا الجواب من جهة أن الدعاء لا ينصب ما قبله .. فأما معنى التثريب فإن أبا عبيدة قال ، معناه لا شغب ولا معاقبة ولا إفساد .. وقال الشاعر

فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوً غَيْرَ مُثَرِّبٍ وَتَرَكْتُهُمْ لِعِقَابِ يَوْمٍ سَرِيدٍ

.. وقال أبو العباس ثعلب يقال ثرب فلان على فلان إذا عدد عليه ذنوبه .. وقال بعضهم وهو ابن مسلم التثريب مأخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف لكأنه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي الى أبعد غاياتها

[تأويل خبر] .. روى أبو عبيد الله القاسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسب الرمازة .. وقال أبو عبيد قال حجاج الزمارة الزانية وقال مثل هذا مثل حديث الآخر أنه نهى عن كسب البغي .. قال أبو عبيد وقال غير حجاج هي الرمازة بتقديم الراء قال وقول حجاج أثبت عندنا لأنهم كانوا يكرهون إتيانهم على البغاء فأُنزل الله (ولا تكررُوا فتيتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) قل فالعرض هو كسب البغي الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه .. قال أبو عبيد ولا أعلم من أخذت الرمازة غير أبي جندب مفسرة في الحديث .. وقال ابن قتيبة الأمر على ما ذكر أبو عبيد إلا ما أنكره على من زعم أنها الرمازة لأن الرمازة هي الفاجرة سميت بذلك لأنها ترمز أي توحى بعينها وحاجبها وشفتها .. قال الفراء وأكثر الرموز بالشفيتين ومنه قوله تعالى (أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) فالرمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار إسماً لها أو كالاسم ولذلك قيل لها

هلوك لانها تنهاك على الفراش أو على الرجل ثم صار إسمها دون غيرها من النساء وإن تم الكت على زوجها وقبل لها خرنع لينها ونشائها ثم صار ذلك إسمها لها دون غيرها من النساء وإن لانت ونشت ونعوه قولهم للبعير أعلم لشق في مشفره الأعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قولهم للذئب أزل للرسخ ثم صار كالاسم له والمرمزة لاتكاد تملن بالكلام انما نومض أو ترمز أو تصفر .. قال الشاعر

رَمَزَتْ إِلَيَّ خَفَافَةً مِنْ بَعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْدُوهُ نَاكَ كَلَامُهَا

.. وقال الأختل

أَحَادِيثُ سَدَّاهَا ابْنُ حَذْرَاءَ فَرَقَدَتْ وَرَمَّازَةٌ مَالَتْ لِمَنْ يَسْتَمِيلُهَا

.. وقال الراجز

يَوْمِئِذٍ بَالِغَيْنِ وَالْحَوَاجِبِ إِيْمَاضُ رَزَقٍ فِي عَمَاءٍ نَاضِبٍ^(١)

— والعمااء الحجاب — والناضب البعيد .. وقال بعضهم انما قيل للفاجرة حبة من القعاب وهو السعال قال وأحسبه أراد أنها تتنحج أو تسعل ترمز بذلك .. قال وبانفي عن المفضل انه كان يقول في قول الناس أجبين من صاقر انه الرجل يصفر للفاجرة فهو يخاف كل شيء .. وأما الألبهي فانه كان يقول الصافر ما يصفر من الطير وانما وصف بالجبين لانه ليس من الجوارح .. وقال ابن فتيبة ولا أرى القول الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميث بن زيد الأسدي

أَرْجُولَكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي إِخَائِكُمْ كَلْبًا كَوَزْهَاءَ تَقْلِي كُلَّ صَفَّارٍ^(٢)
لَمَّا أَجَابَتْ صَفِيرًا كَانَ آيَتُهَا مِنْ قَائِسٍ شَيْطَ الْوَجْعَاءِ بِالْأَنَارِ

(١) أنشده في اللسان في مادة زم ريوهضن بالاعين والحواجب — والمعنى واحد —

(٢) — الورهاء — المرأة الخلقاء — وتقل — تكرر — وتبغض — وآيتها — أي علامتها

يريد ان ذلك كان علامة بينها وبين خليتها اذا جاء يريدنها — والوجهاء — الاست — شويط — يقولون شيط فلان اللحم اذا دخل النار ولم ينضجه وشيط الطامي الرأس والكراع

وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه فتمثل زوجها به وصفر لها فأنت فتسبطها بيسم فلما أعاد الصفر قالت قد قلينا كل صفر تريد أنا قد عفنا وأطرحنا كل فاجر .. وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري والاختيار عندى الزمارة معجزة الزاي على ما قال أبو عبيد طبع ثلاث .. احدها من اجماع اصحاب الحديث على الزمارة .. والحجة الثانية ان الفاجرة سميت زمارة لانها تحسن نفسها وكلامها والزمر عند العرب الحسن .. قال عمرو ابن أمهر الباهلي يصف شراباً وغناء

دَنَانٍ حَسَنَانٍ يَبْنِيهِمَا رَجُلٌ أَجْسُ غَنَاؤُهُ زَمَرٌ

.. قال الأصمعي معناه غناؤه حسن كأنه زمير داود .. والحجة الثالثة انهم سموها الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها من الخير من قولهم نعمة زمرة اذا كانت قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروءة اذا كان قليلها .. قال ابن أمهر

مُطَلَّفَةً لَوْنُ الْحَصَى لَوْنُهُ يَحْجُرُ عَنْهُ الذَّرُّ رِيَشُ زَمَرٍ

— المطلقى — الأصوق بالأرض — والذر — النخل — والزمر — القليل .. فمى البهي زمارة على وجه الذم لها والتعصير لأنها كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال فجر الرجل اذا مال .. قال ليبيد

فَإِنْ تَتَقَدَّمَ تَفَشَّ مِنْهَا مُقَدِّمًا غَلِيظًا وَإِنْ أَخَّرَتْ فَالْكَفَلُ فَاجِرٌ^(١)
أي مائل — والكفل — كساه بوضع على ظهر البعير يوقى من العرق .. [قال المرتضى]

اذا أشعل فيهما النار حتى يتشيط ما عليهما من الشعر والصوف ومنهم من يقول شوط (١) قالت قال ليبيد ذلك يخاطب عمه أبا مالك وكان وقع بينهما ما يوجب العتب وقبل هذا البيت

فقلت أزدجر أحضاه طيرك واعلمني بانك إن قدمت رجلك عائر

فأصبحت أنى تأتها تلتبس بها كلاما مركبها تحت رجلك شاجر

— أزدجر — أزدجر — وأحضاه طيرك — أى جوانب طيشك — والشاجر — الخفاف

رضى الله عنه ولا أرى لاحدي الروايتين على الأخرى رجحاناً لأن كل واحدة منهما قد أتت من جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرج في اللغة وتأويل يرجع الى معنى واحد لان الرمازة بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة الى معنى الفجور ومن رواها بالزاي المعجمة فالرجع في معناها الى ذلك أيضاً على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الأنباري فلا ولي أن يثبتا متساويين ويكون الراوى عتياً بينهما . . . أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى أنقلب عن ابن الأعرابي للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى وما زلت أرجو نفع سلمي وودها وتبعد حتى أبيض مني المسامح وحتي رأيت الشخص يزاد مثله اليه وحتي نصف رأسي وأضح علا حاجبي الشيب حتي كأنه ظلمت جرت منها سنيح وبارح^(١)

(١) يقول ان الشيب انتشر في حواجيا فكانه الظباء البيضاء انتشرت في الصحراء في كل صوب - والسامح - ما ولاك ميامنه - والبارح - ما ولاك ميامره . . . قال ابن بري والعرب تختلف في العيافة يعني في التبعين بالسامح وانتشام بالبارح فأهل نجد يتبعون بالسامح قال ذو الرمة

خابل لا لا قيتا ما حبيبتا من الطير الا السامحات وأعدا وقال النابغة

زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذلك نهاب الغراب الاسود وقال كثير وهو حجازي يتشام بالسامح

أقول اذا ما الطير مرت مخيفة سوانحها تجري ولا أستثيرها هذا هو الاصل ثم قد يستعمل النجدى لغة الحجازي فن ذلك قول عمرو بن قبيصة وهو نجدى

فبين على طير سنيح نحوسه واشام طير الزاجرين سنيحها

وَهَزَّةُ أَطْعَامٍ عَلَيْهِمْ بَهْجَةً طَلَبْتُ وَرَبَّانَ الصَّبَا بِي جَانِحُ
 فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنِي كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَزْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
 أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَدَيْنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمُطَيِّ الْأَبَاطِحِ
 وَشَدَّتْ عَلَيَّ حُذْبَ الْمَهَارِيِّ رِجَالُنَا وَلَا يَنْظُرُ النَّادِي الَّذِي هُوَ رَافِعُ
 فَقَلْنَا عَلَى الْخُوصِ الْمَرَاسِيلِ وَارْتَمَتْ بَيْنَ الصَّخَارِيِّ وَالصَّفَاحِ الصَّاصِحُ

وَأُنشد ابن الأعرابي

قَصَدْتُ بِعَيْنِي شَادِنٍ وَتَبَسَّمْتُ بِجَمَاءٍ عَنْ غُرٍّ لَهْنٌ غُرُوبُ
 جَرَى الْإِسْحَاقُ الْأَحْوَى عَلَيْهِمْ أَوْجَرَى عَلَيْهِمْ مِنْ فَرَحِ الْأَرَاكِ قَضِيبُ
 .. أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا
 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْبَاقِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ قَالَ سَمِعْتُ الْأَسَدِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ الرَّشِيدَ
 يَقُولُ قَابَ الْمَاشِقِ عَلَيْهِ مَعَ مَعشُوقِهِ فَقُلْتُ لَهُ هَذَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ
 هِزَامٍ الْعَنْدَرِيِّ لِعَفْرَاءٍ

وَإِنِّي لَيَعْرِفُونِي لِذِكْرِكَ رَوْعَةً لَهَا بَيْنَ جَلْدِي وَالْمِغْطَامِ دَيْبُ
 وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَبْهَتَ حَتَّى لَا أَكَادُ أَجِيبُ
 وَأَصْرَفُ عَنْ دَارِي الَّذِي كُنْتُ عَارِفًا وَيَعْرُبُ عَنِّي عِلْمُهُ وَيَتِيبُ
 وَيُضْمِرُ قَلْبِي غَدْرَهَا وَيُؤْمِنُهَا عَلَيَّ فَمَا لِي فِي الْفَوَادِ نَصِيبُ
 فَقَالَ الرَّشِيدُ مَنْ قَالَ هَذَا وَهَذَا فَأَقُولُهُ عِلْمًا وَلَوْ دُرَّكَ يَا أَسَدِيَّ فَإِنِّي أَجِدُ عِنْدَكَ
 مَا تَنْضِلُ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ .. قَالَ الصُّوْلِيُّ فَأَخَذَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فَقَالَ

يَهْمُ بِجُرَّاتِ الْجَزِيرَةِ قَلْبُهُ وَفِيهَا غَزَالٌ فَاتِرُ الطَّرْفِ سَاحِرُهُ
 يُوَازِرُهُ قَلْبِي وَلَيْسَ لِي يَدَانِ يَمْنَنُ قَلْبِي عَلَى يُوَازِرُهُ

وأشار إليه أيضاً في قوله

قلبي الي ما ضرني دأى يكثُرُ أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي
وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دأى
وكنت غراً بما تجنى على يدي لا علم لي أن بعضي بعض أعدائي
.. وقال البحري

ولست أعجب من عصيان قلبك لي يوماً إذا كان قلبي فيك يعضيني

وروي أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال قال لنا الأصمعي يوماً ما أحسن ما قيل في صفة امرأة عجزاء خصانة فأنشده قول الأعمى

صفر الوشاحين ملء الدرع بهكنة إذا تأتت يكاد الخصر ينخرل
وأنشد قول علقمة بن عبدة

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعة كأنها رشا في البيت ملزوم
وأنشد قول ذي الرمة

ترى خلفها نصفاً قناة قويع ونصفاً تقاً يرتجج أو يترمرم
فقال أحسن ما قيل فيه قول أبي وجزة السعدي

أذماء عيطة يكاد ردأوها يقوى ويشبع ما لبأها
قال عكرمة ومله قول الحارث بن خالد الخزومي

عثران سمط وشاحها قلق ريان من أرذافها المرط

.. وأخبرنا المروزي قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو العياد قال حدثني الأصمعي قال لما مات محمد بن سليمان بن علي الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان وقد حزن

عليه حزناً شديداً ولم يعلم ثلاثاً فأُنشدته لابن أراكه الثقي

لعمري إني أتبعك طرفك ما مضى من الدهر أوساق الحيام إلى الصبر
لست أفقدن ماء الشون بأسره وإن كنت تمرين من ثبج البحر
فقلت لعبيد الله إذ حنّ باكياً تَمَزَّ وماء العين منهجرٌ يجرى
تبيّن فإن كان البكار دها لكا على أحدٍ فأجهذ بكالك على عمرو
ولا تبتك ميتاً بعد ميت أحبه عليّ وعبّاس وآل أبي بكر

قال فأمس جئى بالطعام فأكل من ساعته .. قوله - حن باكياً - معناه رفع صوته بالبكاء
وقال قوم الحنين بالغاء . معجمة من الأنف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من
كل واحد منهما .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن
يزيد الدعوى قال سمعت الثوري يقول دخلنا مع الأصمعي إلى اسماعيل بن جعفر
ليلة في حاجة فأنشده الأصمعي أبيات ابن هرمة

أنتناك نرجو حاجةً ووسيلةً لديك وقد تحظى لديك الوسائل
ونذكرك ودّاً شدةً الله بيننا على الدهر لم تذب إليه القوائل
فأقسم ما أسكبنا زادك فادح ولا أكذبت فيك الرجاء القوائل
ولا أرجعت ذا حاجة عنك علةً ولا عاق حراً عاجلاً منك آجل
ولا لآم فيك الباذل الوجه نفسه ولا أحتكمت في الجود منك المباخل

لم يزد على هذه الأبيات ففضي حاجته وأجاب مثله .. [قال المرتضى] رضي الله عنه
ويشبه أن يكون ابن هرمة أخذ قوله * ولا أكذبت فيك الرجاء القوائل * من قول
الحزبن الكنتاني في زيد بن علي بن الحسين عليه السلام

فلما ترددى بالجمائل وأنثنى يَصُولُ بأطراف القنأ والدوابل

تَبَيَّنَتِ الْأَعْدَاءُ أَنَّ سِنَانَهُ يُطِيلُ حَتَيْنَ الْأُمَمَاتِ الْكُؤَاكِلِ
تَبَيَّنَ فِيهِ مَبْنَمُ الْعَزِّ وَالنُّفَى وَلَيْدًا يُضَدِّي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ

.. وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الحسن الباقلي قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال قال الرشيد يوماً لأصمعي أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً ودرع النابضة فانه يحتاج ويعتذر فقلت ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي خازم الأسدي فانه هب أوس بن حارثة بن لام فأسره بعد ذلك فأراد قتله فقالت له أمه وكانت ذات رأي والله لا أعما هجاءه لك إلا مدحه إليك فعفى عنه .. فقال بشر

وإني علي ما كان مني أنادِمُ وإني إلى أوس بن لام لثائبُ
فهب لي حياقي والحياة لقايمُ يبرك فيهما حين ما أنت واهبُ
وإني إلى أوس لي قبل توختي ويعرف وذى ما حيت راعبُ
سأفح وتمدح فيك إذا ناصدقُ كتاب هجاء سار إذا أنا كاذبُ

فقال الرشيد لأصمعي ان دولتي لتحسن ببقائك فيها .. وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال سمعت يمين لم أحفل بهما ثم قال قلت هما على كل حال خبير من موضعهما من الكتاب قال فاني عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر فأقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور كم في بيت مال السرور فقال ما فيه شيء قال عيسى هذا بيت مال الحزن فاعظم لذلك الرشيد وأقبل على عيسى وقال والله لتهطين الأصمعي سلقاً على بيت مال السرور ألف دينار فوجم عيسى وأنكر فقلت في نفسي جاء موضع البيتين وأنشدت الرشيد

إذا شئت أن تلقى أخاك مغيباً وجدّاه في الماضين كعب وحاتمُ
فكشّفه عما في يديه فأعما يكشّف أخبار الرّجال الدّراهمُ

قال فنجعل عن الرشيد وقال مسرور اعطه على بيت مال السرور ألفي دينار فأخذت

مجلس آخر ٣٥

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (خالق الانسان من عجل ساريكم آياتي فلا تستعجلون) .. الجواب قيل له قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ونرجح الأرجح منها .. أولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور ملحج باستدنا ما يجلب اليه نفعاً أو يدفع عنه ضرراً ولم يعمد عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ما خللت إلا من نوم وما خلق فلان إلا من شر أرادوا كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا ما أنت إلا أكل وشرب وما أشبه ذلك .. قلت الخفاء تصف بقره

تَزَعُ مَا غَفَلَ حَتَّى إِذَا أَذْكَرْتُ فَأَغْنَا هِيَ إِقْبَالُ وَإِذْبَارُ

وانما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والازبار منها ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر (وكان الانسان عجولاً) وبطاقة أيضاً قوله تعالى (فلا تستعجلون) لانه وصفهم بكثرة العجلة وإن من شأنهم فعلها توييحاً لهم وتغريماً ثم هاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقهم في الاستعجال وقادريين على التثبت والتأيد .. ولها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من أن في الكلام قايماً والمعنى خالق العجل من الانسان واستشهد على ذلك بقوله تعالى (وقد باغى الكبر) أى قد باغى الكبر ويقولاه تعالى (ما إن مفتحه لتنوء بالعصبة) والمعنى أن العصبة تنوء بها وتقول العرب عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشمس استوى العود على الحرياء يريدون استوى الحرياء على العود ويقول الأعشى :

لَمَحَّةٌ وَقَدْ أَنْ تَسْتَجِييَ لِمُصَوْنِهِ وَأَنْ تَعَامِي أَنْ الْمَعَانِ مُوَفَّقِ

يريد أن الموفق لمعان .. ويقول الآخر

على العباآتِ هَذَا جُونٌ قَدْ بَلَنْتُ نَجْرًا أَنْ أَوْ بَلَنْتُ سَوَاتِمَهُمْ هَجْرُ

والمعنى أن السَّوَاتِ هي التي بلغت هجر .. ويقول خلدش بن زهير

وَتُرَكَّبُ خَيْلٌ لَا هَوَادَةَ يَبْنِهَا وَتَشْفَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَةِ الْحِمْرِ^(١)

يريد تشفى الضباطرة بالرماح .. ويقول الآخر

يَمُشِي بِهِ عَوْدُ النَّعَاجِ كَأَنَّهَا عَذَارَى مُلَوَّكٍ فِي بَيَاضِ ثِيَابِ^(٢)

يريد في ثياب بيض .. ويقول الآخر

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السَّرْبَالِ آخِذُهُ فَرْدًا غَزَّ عَلَى أَيْدِي الْمُفِيدِينَا

يريد حسرت السربال عن كفي .. ويقول الآخر وهو ابن أحر

وَجُرْدٌ طَارَ بِاطْلَاهَا نَسِيلًا وَأَحْدَثَ قَوْمُهَا شَعْرًا أَفْصَارًا

أراد نسلها باطلا .. ويقول الآخر

وَقِسْرَةٌ أَكْتَفَاهُمْ فِي قِسِيمٍ إِذَا مَا مَشَوْا لَا يَمْعُرُونَ مِنَ النَّسَا

أراد قسيمهم في أكتافهم .. ويقول الآخر

وَهُنَّ مِنَ الْإِخْلَافِ وَالْوَلَمَانِ^(٣)

أي الاخلاف والولمان منهن .. ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التقاضى عن حل كلامه تعالى على القلب أن يقال له وما المعنى والفائدة في قوله تعالى (خلق العجل من

(١) - الهوادة - اللين وما يرجي به صلاح الأمر - والضباطرة - جمع ضبطر

وضوطر وهو الضخم العظيم

(٢) - عود - جمع عائد وهي الحديدة النخاج من الغنم وكل أثنى - والنعاج - جمع

نعجة وهي البقرة الوحشية

(٣) صدره * خلافة العنبن كذابة المنى * - والإخلاف - خلف الوعد

- والولمان - الكذب يقال ولع بلغ ولعاً ولوعاناً إذا كذب

الانسان) أريدون بذلك ان الله تعالى خالق في الانسان العجلة وهذا لا يجوز لان العجلة فعل من أفعال الانسان فكيف يكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك ما جاز أن ينههم عن الاستمجال في الآية فيقول (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) لانه لا ينههم عما خلقه فيهم .. فان قالوا لم يرد انه تعالى خالقها لكنه أراد كثرة فعل الانسان لها وانه لا يزال يستعملها .. قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب والتقديم والتأخير واذا كان هذا المعنى يتم ويتنظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا اليه .. وقد ذكر أبو القاسم البلخي هذا الجواب في تفسيره واختاره وقراه وسأل نفسه عليه فقال كيف يجوز أن يقول فلا تستعجلون وهو خالق العجلة فيهم وأجاب بأنه قد اعطاهم قدرة على مغالبة طبائعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعاً عليها وهو مع ذلك مأمور بالثبت قادر على أن يجانب العجلة وذلك تكلفه في البشر لشهوة التكاثر وأمرهم في كثير من الأوقات بالامتناع منه وهذا الذي ذكره البلخي تصريح بان المراد بالمجل غيره وهو الطبع الداعي اليه والشهوة المتأولة له ويجب أيضاً أن يكون المراد بمن هنا في لان شهوة المجل لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون مخلوقة فيه وهذا يجوز على تجوز وتوسع على توسع لان القلب أولاً مجاز ثم هو من بعيد المجاز وذكر المجل والمراد به غيره مجاز آخر واقامة من قام في كذلك على انه تعالى اذا نههم عن العجلة بقوله عز وجل (فلا تستعجلون) أى معنى لتقديم قوله خلقت شهوة العجلة فيهم أو الطبع الداعي اليها فيهم على ما عبر به البلخي وهذا الى أن يكون عذراً لهم أقرب منه الى أن يكون حجة عليهم وأيسر الأحوال أن لا يكون عذراً ولا احتياجاً فلا يكون لتقديمه معنى وفي الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ والتفريع من غير اضافة اليه عز وجل والجواب الأول أوضح وأصح .. وثالثها جواب روى عن الحسن قال يعنى بقوله من عجل أى من ضعف وهي المنطقة المبيتة الضعيفة وهذا قريب ان كان في اللغة شاهد على ان المجل عبارة عن الضعف أو معناه .. ورابعها ما حكى ان أبا الحسن الأشعري أجاب به وهو أن يكون المراد ان الانسان خالق من تعجيل الأمر لانه تعالى قال (إنما أمرنا لنبي إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)

•• فان قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون •• قلنا يمكن أن يكون وجه المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطأوا أعلمهم تعالى أنه من لا يعجزه شيء إذا أَرَادَهُ ولا يمتنع عليه وإن من خلق الإنسان بلا كلفة ولا مؤنة بأن قال له كن فكان مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات •• وخاصتها ما أجاب به بعضهم أن العجل الطين فكانه تعالى قال خالق الإنسان من طين كما قال تعالى في موضع آخر (وبدأ خلق الإنسان من طين) واستشهد بقول الشاعر

وَالْبَغُّ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

ووجدنا قومًا يعلمون في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف أن العجل هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العجل الحماة ولم يشهد عليه إلا أن البيت الذي أورده يمكن أن يكون شاهداً له وقد رواه ثعلب عن ابن الأعرابي وخالف في شيء من ألفاظه فرواه

وَالْبَغُّ فِي الصَّخْرِ الصَّمَاءُ مَنْبُتُهُ وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

وإذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى (فلا تستعجلون) على نحو ما ذكرناه وهو أن من خلق الإنسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات أو يكون المعنى أنه لا يشيب أن خالق من العطين المومنين وكان أصله هذا الأصل الحقيق الضعيف أن يهزأ برسول الله وآياته وشرائعه لأنه تعالى قال قبل هذه الآية (وإذا رأيت الذين كذبوا وإن يخذولك إلا هزواً أهذا الذي يذكر آلهتكم) •• وسادسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل أي من سرعة من خلقه لأنه لم يخلفه من نطفة ثم من عاقبة ثم من مضفة كما خلق غيره وإنما ابتدأ الله تعالى ابتداءً وأنشأه إنشاءً فكانه تعالى شبه بذلك عمل الآية العجيبة في خلقه له وأنه عز وجل يرى عباد من آياته وبيئاته أولاً أولاً ما تقدمت به معالجهم وتستندعيه أحوالهم •• وسابعها ما روي عن جماعة وغيره أن الله تعالى خلق آدم

بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلا به غروب الشمس ٠٠ وروى
 ان آدم عليه السلام لما نُفِضَتْ فيه الروح وبلغت الى أعلى جسده ولم يبلغ أسفله قال
 يارب استعجل بخالق قبل غروب الشمس ٠٠ وثامنها ماروى عن ابن عباس والدي
 ان آدم عليه السلام لما خلق وجعت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادراً الى
 أنوار الجنة ٠٠ وقال قوم قد همم بالوثوب فمنا معنى قوله (خلق الانسان عجولاً)
 وهذه الأجوبة الثلاثة مبنية على ان المراد بالانسان فيها آدم عليه السلام دون غيره
 ٠٠ [قال المرتضى] رضي الله عنه وإنى لأستحسن لسكين الدارمي قوله

وَرُبُّ أُمُورٍ قَدْ بَرِيتُ لِحَاجِّهَا	وَقَوَّمتُ مِنْ أَصْلَابِهَا ثُمَّ رُعْتُهَا
أَقِيمُ بِذَارِ الْحَزْمِ مَا لَمْ أَهْنُ بِهَا	فَإِنْ خَفْتُ مِنْ دَارِهَا أَنَا تَرَكْتُهَا
وَأَصْلَحُ جُلَّ الْمَالِ حَتَّى تَخَالَئِي	شَجِيحًا وَإِنْ حَقَّ عَرَانِي أَهْنُهَا
وَأَسْتَبِيلُ الْيُوتِ الْفَاقَةِ	وَلَكِنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُ عَنْهَا وَلَجْتُهَا
أَيْتُ عَنْ لَذْلَاجٍ فِي الْحَيِّ نَائِمًا	وَأَرْضُ بَاذِلَاجٍ وَهَمَّ قَطَعْتُهَا
لَا يَبُحُّ الْجَارِي سَدِيقًا وَبَارِحًا	تَعْرِضُ نَفْسًا لَوْ أَشَاءَ قَتَلْتُهَا
تُعَارِضُ فَخْرَ الْفَاخِرِينَ بِمَصْبَةٍ	وَلَوْ وُضِعَتْ لِي فِي إِنْاءٍ أَكَلْتُهَا
وَإِنَّ لَنَا رُبْعِيَّةَ الْمَجْدِ كَثُهَا	مَوَارِثُ آبَاءِ كِرَامٍ وَرَثْتُهَا
إِذَا فَصَرْتُ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ الْمَلَأِ	مَدَدْتُ لَهَا بَاعًا عَلَيْهَا فَذَاتُهَا
وَدَاعٍ دَعَانِي لِلْمَلَأِ فَأَجَبْتُهُ	وَدَعَوَةَ دَاعٍ لِلصَّدِيقِ خَذَلْتُهَا
وَمَكْرُمَةٍ كَانَتْ رِعَايَةً وَالِدِي	فَعَلَّمْنِيهَا وَالِدِي فَقَلَّمْتُهَا
وَعَوَازٍ مِنْ قِيلِ امْرِئٍ ذِي قَرَابَةٍ	تَصَامَمْتُ عَنْهَا بَعْدَ مَا قَدْ سَمِعْتُهَا
رَجَاءٍ غَدٍ أَنْ يَمُطِفَ الرَّحْمُ يَنْنَا	وَمُظْلَمَةٍ مِنْهُ بَجْنِي عَرَكَتُهَا

أَذا مَا مُورُ النَّاسِ رَتَّتْ وَضَيَّتْ وَجَدْتُ أُمُورِي كُلَّهَا قَدْ زَمَّتْهَا
وَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ لِمَ أَرَمَ حُرَّةً وَلَمْ تَأْتِنِّي يَوْمَ سِيرِ فُخْتِهَا
وَلَا قَاذِفُ نَفْسِي وَنَفْسِي بَرِيَّةٌ وَكَيْفَ أَعْتَذَرِي بَعْدَ مَا قَدْ فَتَتْهَا

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطبي قال حدثنا عبيد الله بن محمد
ابن أبي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي أن رجلاً من الأنصار حدثه
قال قال مسكين الدارمي

وَلَسْتُ أَذا مَا سَرَّني الدَّهْرُ ضاحِكًا وَلَا خاشعًا مَا عَشِيتُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ
وَلَا جاعِلًا عِرْضِي لِمَالِي وَقَايَةً وَلَكِنْ أَنِّي مَرْضِي فَيُخْرِزُهُ وَفَرِي
أَعْفُ لَدَيْ هَمِّي وَأَبْدِي تَجَمُّلاً وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعْفُ لَدَيْ السُّرْرِ
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي إِذَا كُنْتُ مُعْصِرًا صَدِيقِي وَإِخْوَانِي بَأَنِّي لَمَعُوقِي
وَأَقْطَعُ إِخْوَانِي وَمَا حَالُ عَهْدِهِمْ حَيَاءً وَإِعْرَاضًا وَمَا بِي مِنْ كِبَرِ
فَإِنَّ يَكْ عَارًا مَا أَتَيْتُ فَرُبَّمَا أَتَى الْمَرْءُ يَوْمَ السُّوءِ مِنْ حَيْثُ لَا يَذَرِي
وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَلْمُنْ مَكَانَ صَدِيقِهِ وَمَنْ يَنْجِي لَا يَعْلَمُ بَلَاءَ مِنَ الدَّهْرِ

ومن مستحسن قوله

إِنْ اذْغَ مَسْكِينًا فَمَا فَصَّرَتْ قَدَرِي يُبُوتُ الْحَيَّ وَالْخَذِرُ

قيل إن مسكيناً ليس باسمه وإنما اسم ربيعة وإنما سمى بذلك لقوله

وَسَيِّئَتْ مَسْكِينًا وَكَانَتْ لَجَاجَةً وَإِنِّي لِمَسْكِينٍ إِلَى اللَّهِ رَاغِبٌ^(١)

(١) ساء في كتاب الشعراء ربيعة بن عامر بن أثيب من بني دارم وقال كان في

زمن معاوية رضي الله عنه وهو الغافل فيه

الملك أمير المؤمنين وحلها شير القمط ليلاً وهن هجود

ومعنى - قمرت قدرى - أى سرت يرد أنها بارزة لأنها بها السوار والحيطان

مَا مَسَّ رَحْلِي الْعَنَكِبُوتُ وَلَا جَذْيَاتُهُ مِنْ وَضْعِهِ غُبْرُ

وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لأن العنكبوت إنما تنسج على مالاته

الأبدى ولا يكثر استعماله - والجديات - جمع جدية وهي باطن دقة الرجل

لَا آخِذُ الصَّيْدَانِ الثَّمَمِ وَالْأَمْرُ قَدْ يُغْرِي بِهِ الْأَمْرُ

يقول لا أقبل الصبي وأنا أريد التعرض بأمة ومثله لغيره

وَلَا أَتِي لَدِي الْوَدَعَاتِ صَوْتِي لِأُفِيهِ وَرِيَّتَهُ أَرِيدُ (١)

وأنشد ابن الأعرابي مثله

إِذَا رَأَيْتَ صَبِيَّ الْقَوْمِ يَلْتَمُهُ ضَعْفُ الْمَنَاقِبِ لَا عَمَّ وَلَا خَالَ

على الطائر المبدون والجذ صاعد لكل أناس طائر وجدود

إذا المنبر الغربي خلى مكانه فاب أمير المؤمنين يزيد

.. وأنشد له

وَإِذَا الْفَاحِشُ لَاقَى فَاحِشًا فُهنا كم وافق الشنّ الطبق

أعما الفحش ومن يعتاده كغراب السوء ما شاء نفق

أَوْ حَمَارُ السَّوَاءِ أَنْ أَشْبَعْتَهُ رَمَحَ النَّاسِ وَأَنْ جَاعَ نَهَقِ

أَوْ غَلَامُ السَّوَاءِ أَنْ جَوَّعْتَهُ سَرَقَ الْجَارِ وَأَنْ يَشْبَعَ فَنَقِ

أَوْ كَفِيرِي رَفَعْتَ مِنْ ذَيْلِهَا ثُمَّ أَرْغَضْتَهُ ضَرَارًا فَانْمَرَقِ

أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا قَدْ مَضَى هَلْ جَدِيدٌ مِثْلُ مَلْبُوسِ خَلَقِ

(١) قوله لذي الودعات الخ : ذو الودعات الطفل لأنهم يعلقون عليه الودع : ومعنى

وريبته أريد أي لا أريد ريبه أمة خذ المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ومثلي هذا يحفظ

ولا يقاس عليه بخلاف الشرط : والبيت من جملة أبيات لعقيل بن علفة المرى الجاني المشهور

فَأَحْفَظْ صَبِيَّكَ مِنْهُ أَنْ يُدْنِيَهُ
وَلَا يَفْرُكْ يَوْمًا كَثْرَةَ الْمَالِ
رجع الى تمام القصيدة

وَلَرُبُّ يَوْمٍ فَذَرَكْتُ وَمَا
وَمُخَاصِمٌ قَاوَمْتُ فِي كَبْدٍ
وَأَعَابِي قَوْمِي بَنُو عُدُسٍ
عَمِّي زُرَّارَةٌ غَيْرُ مُنْتَحِلٍ
فِي الْمَجْدِ غَرَّتْنَا مَيْنَةٌ
لَا يَزْهَبُ الْجِيرَانُ غَدَرَتْنَا
لَسْنَا كَأَقْدَامٍ إِذَا كُحِلَتْ
أَيُّ يَسْتَحِلُّ الْقَدَرُ بِهِ كَمَا يَسْتَحِلُّ التَّمَرُ

مَوْلَاهُمْ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ
نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ
تَنْتَابُهُ الْعُقْبَانُ وَالنَّسْرُ
وَالِيهِ قَبْلِي يُنْزَلُ الْقَدَرُ

يقال كان له امرأة تماظه فلما قال ذلك قالت له أجل انما نارك وناره واحدة لانه أوقد
ولم توقد والقدر ينزل اليه قبلك لانه طبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه^(١)

(١) قوله قومي بنو عدس : كل عدس في العرب بضم العين وفتح الدال لإلعدس
ابن زيد هذا فانه مضموم العين والدال

(٢) ويروي من غير هذا الوجه انه كانت لمسكين امرأة وكانت فاركا كثيرة الخسومة
والمهاذلة له فوقفت عليه وهو يشد حتى اذا بلغ ناري ونار الجار البيت : قالت له صدقت
والله يجلس جارك فيطبخ قدره فتصطلي بناره ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بمهادته
كالكلب فاذا شبع أطعمك أجل والله ان القدر لتنزل اليه قبلك فاحرض عنها فلما بلغ

ماضِرْ جَارِي إِذْ أَجَاوَرُهُ أَنْ لَا يَكُونَ لِيِنَّهُ سَتْرُ
 قَالَ وَقَالَ إِنَّمَا قَالَتْ لَهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَيْضاً أَجَلٌ إِنْ كَانَ لَهُ سَتْرٌ هَتَكَتُهُ
 أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجْتُ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْغَيْدُرُ
 وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقُرُ
 وَأَنْشُدْ عَمْرٍ بِنِ شَبَّةٍ لَمْ يَكُنْ أَيْضاً

لَا تَجْعَلَنِي كَأَقْوَامٍ عَلِمْتَهُمْ لَا يَظْلِمُوا لَبَةً يَوْمًا وَلَا وَدَجًا
 إِنِّي لَا غَلَاهُمْ بِاللَّحْمِ قَدْ عَلِمُوا نِيَاوًا زَخَصُمُ بِاللَّحْمِ إِذْ لَضِجَا
 أَنَا بِنِ قَاتِلِ جُوعِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا إِذَا السَّمَاءُ كَسَتْ أَفَاقَهَا رَهَجًا
 يَا رَبُّ أَمْرَيْنِ قَدْ فَرَجْتُ بَيْنَهُمَا إِذَا هُمَا نَشَبَا فِي الصَّدْرِ وَاعْتَلَجَا
 أَدِيمُ خُلُقِي لِمَنْ دَامَتْ خَلِيقَتُهُ فَأَمْرُجُ الْحُلُوفِ حَيًّا نَالَمَنْ مَزَجَا
 وَأَقَطَعَ الْخَرْقَ بِالْخَرْقَاءِ لَاهِيَةً إِذَا الْكُؤَاكِبُ كَانَتْ فِي الدُّجَا سُرُجَا
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ فَأَكْرَهُهُ إِلَّا سَيَجْعَلُ لِي مِنْ بَعْدِهِ فَرَجًا
 مَا مَدَّ قَوْمٌ بِأَيْدِيهِمْ إِلَيَّ شَرَفٍ إِلَّا رَأَوْنَا قِيَامًا فَوْقَهُمْ دَرَجًا
 وَأَنْشُدْ أَبُو الْعَبَّاسِ نَعْلَبَ لَهُ

أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِزْأَالِ رَحْلِهِ وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَكَانُ جَدِيدُ
 وَمَا الْخِصْبُ إِلَّا ضَيَافُ أَنْ يُكْثَرُوا الْقَرَى
 وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

إلى قوله : ما ضر جاري الخ البيت فلما قالت له هتكته وثب إليها يضربها وجعل قومه
 يضحكون وبهما : المماثلة شدة الخلق ولفظاظته

وروي ثعلب أيضاً

لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ وَلَمْ يَلْبَسِي عَنْهُ غَزَالَ مُقَنَّعٍ
أُحَدِّثُهُ أَنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَنْجِعُ

ومعنى - أحده ان الحديث من القرى - أي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينال ولا
أعرض بمحادثته فأكون قد عمقت قراي والحديث الحسن من تمام القرى .. وقال
الاسمعي أحسن ما قيل في الفيرة قول مسكين الدارمي

أَلَا أَيُّهَا النَّارُ الْمُسْتَشِيطُ عَلَامَ تَفَارُ إِذَا لَمْ تُفَرِّ
فَمَا خَيْرُ عَرَسٍ إِذَا خَفْنَاهَا وَمَا خَيْرُ بَيْتٍ إِذَا لَمْ يُرْزَ
تَفَارُ عَلَي النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا وَهَلْ يَفْنِي الصَّالِحَاتِ النَّظَرُ
فَلَنِي سَاخِلِي لَهَا يَدْنَاهَا فَتَحْفَظْ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذَرِ
إِذَا اللَّهُ لَمْ يُعْطِهِ وَدَّهَا فَلَنْ يُعْطِيَ الْوَدَّ سَوْطُ مَعَرِ
وَمَنْ ذَا يُرَاعِي لَهُ عَرَسَهُ إِذَا ضَمَّهُ وَالْمَطِيُّ السَّفَرِ

[قال رضي الله عنه] وكان مسكين كثير الابهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله

وإني امرؤ لا آلف البيت قاعداً إلى جنب عرسي لا أفرطها شهرا
ولا مقسم لا أبرح الدهر يبتئها لأجمله قبل المات لها قبزا
إذا هي لم تحمى أمام فبايها فليس بمنجيا يناني لها قصرا
ولا حاملي ظني ولا قيل قائل علي حائط حتى أحيط بها خبرا
فبني امرأ راعيت ما دمت شاهداً فكيف إذا ما سرت من ينشأ شهرا
والشد أبو البناء عن أبي العالبة لمسكين

مَا أَحْسَنَ الْفِئْرَةَ فِي حِينِهَا
مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا عِزَّسَهُ
يُوشِكُ أَنْ يَفْرِیَهَا بِالَّذِي
حَسَبْتَكَ مِنْ تَحْصِينِهَا ضَمُّهَا
لَا تَظْهَرَنَّ مِنْكَ عَلَى عَوْرَةٍ
وَأُفْجَحَ الْفِئْرَةَ فِي غَيْرِ حِينٍ
مُنَاصِبًا فِيهَا لَوْهَمَ الظُّنُونِ
يُخَافُ أَوْ يَنْصَبُهَا لِلْعُيُونِ
مِنْكَ إِلَى خُلُقِ كَرِيمٍ وَدِينٍ
فَيَتَّبِعُ الْمَقْرُونُ حَبْلَ الْقَرِينِ

انما هو ضربها أو دفعها عن نفسه كما يقول الفاضل كانت حمت بخلان وقد هم لخلان بخلان
 أى بأن يوقع به ضرباً أو مكروهاً .. فان قيل فأنى معنى لقوله تعالى (لولا أن رأى
 برهان ربه) والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها .. قلنا يمكن أن يكون
 الوجه في ذلك أنه لما هم بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على أنه أن أقدم على ما هم به
 أهلكتهم أهلها أي قتلوه أو أنها تدعى عليه المراودة عن القبيح وتغذفه بأنه دعاها إليه وإن
 ضربه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك بعض من لا تأمل له ولا علم بأن مثله لا يجوز عليه
 فأخبر الله تعالى بأنه صرف بالبرهان عنه السوء والنقصاء يعنى بذلك القتل والمكروه
 الذين كانوا يوقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح أو يعنى بالسوء
 والنقصاء ظنهم بذلك .. فان قيل هذا الجواب يقتضي أن جواب لولا يتقدمها ويكون
 التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بضربها ودفعها وتقديم جواب لولا قبيح غير
 مستعمل أو يقتضي أن تكون لولا بغير جواب .. قلنا أما تقدم جواب لولا فجاء
 وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك غير أننا لا نحتاج إليه في هذا الجواب لأن
 العزم على الضرب والهم بالضرب قد وقع إلا أنه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد
 حمت به وهم بدفعها لولا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة محذوف
 والكلام يقتضيه كما حذف الجواب في قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن
 الله رؤوف رحيم) معناه لولا فضل الله عليكم ورحمته لمهلككم ومثله (كلا لو تعلمون
 علم اليقين لترون الجحيم) معناه لو تعلمون علم اليقين لم تنافسوا في الدنيا وتنافخوا
 بها .. وقال امرؤ القيس

فلو أنها نفسٌ تموتُ سوِيّةٌ ولكنّها نفسٌ تمسّأقطُ أنفُساً

أراد فلو أنها نفس تموت سوِيّة لا تنقض وتثبت حذف الجواب على أن من تأول هذه
 الآية على الوجه الذي لا يابق بنبي الله وأضاف العزم على المعصية إليه لا بد له من تقدير
 جواب محذوف ويكون التقدير عنده ولقد حمت بالزنا وهم به لولا أن رأى برهان ربه
 لفعله .. فان قيل قوله هم بها كقوله حمت به فلم جعلهم مهما متعلقاً بالقبيح وهم بها
 متعلقاً بما ذكرتم من الضرب وغيره .. قلنا أما الظاهر فلا يدل على ما تلقى الهم به

والعزم فيهما جميعاً وانما أثبتناهما به بأن يكون متعلقاً بالقيح لشهادة الكتاب والآثار به وهي بمن يجوز عليها فعل القبيح ولم يؤثر دليل في امتناعه عليها كما أثر ذلك فيه عليه السلام والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (وقال لسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله في ضلال مبين) وقوله تعالى (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب) وقوله (الآن حمحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وفي موضع آخر (فلذلك الذي لنتني فيه ولقد راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وفي موضع آخر (فلذلك الذي لنتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) والآثار واردة بإطباق مفسري القرآن ومتأوليها على أنها حمت بالفاحشة والمعصية .. والوجه الثاني في تأويل الآية أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون تلخيصه ولقد حمت به ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هذكت لولا أني تداركتك وقتلت لولا أني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخلصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل .. قال الشاعر

فَلَا تَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِحُرَّةٍ لَأَنْ كُنْتُ مُقْتُولًا وَيَسْلَمُ عَامِرُ

.. وقال آخر

فَلَا تَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ لَنْ لَمْ أُعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعْجَلْ

فقدم جواب الشرط في البيتين جميعاً^(١) وقد استشهدنا به أيضاً بقوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لَهَمَّت طائفة منهم أن يضلوك) والهم لم يقع لمكان فضل الله ورحمته وما يشهد لهذا التأويل ان في الكلام شرطاً وهو قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) فكيف يحمل على الإطلاق مع حصول الشرط وليس لهم أن يحملوا جواب لولا محذوفاً

(١) هذا الذي اعتمد به مخالف مذهب جمهور البصريين فان جواب الشرط عندهم لا يتقدم فاذا تقدم ما هو جواب في المعنى فهو دال عليه وليس بإياه محذوف: وذهب الكوفيون والمبرد وأبو زيد الى جواز تقدمه ولا حذف عندهم في مثل ذلك

مقدراً لأن جعل جوابها موجوداً أولاً: وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا ولو جاز ذلك لحاز قام زيد لولا عمرو وقصدت لولا بكر. وقد بينا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا والذي ذكره لا يشبه بما أجزأه وقد يجوز أن يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدت لولا أن صدني فلان وإن لم يقع قيام ولا قصد وهذا الذي يشبه الآية وليس تقديم جواب لولا بأبعد من حذف جواب لولا جلة من الكلام وإذا جاز عندهم الحذف لثلاث يلزمهم تقديم الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف ٥٥ والجواب الثالث ما اختاره أبو علي الجبائي وإن كان غيره قد تقدمه إلى معناه وهو أن يكون معنى هم بها اشتهاها ومال طبعه إلى مادته إليه وقد يجوز أن يسمى بالشهوة في مجاز الامة مما كما يقول القائل فيما لا يشتهي ليس هذا من همي وهذا أهم الأشياء إلى ولا قبيح في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى فيه وإنما يتعلق القبيح بتناول المشهي ٥٥ وقد روى هذا الجواب عن الحسن البصري قال أما همها فكان أحب اليهم وأما همها فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء ويوجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) متعلق بمحذوف كأنه قال لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل ٥٥ والجواب الرابع أن من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم ما يقع في الأكثر عنده وعلى هذا لا يشكر أن يكون المراد بهم بها أي خطر بباله أمرها ووسوس إليه الشيطان بالدعاء إليها من غير أن يكون هناك هم أو عزم لسمى الخطاوير بالبال كما من حيث كان لهم يقع في الأكثر عندهم والعزم في الأغلب يتبعه وإنما أنكروا ما ادعاه جهلة المفسرون وعرفوا القصص وقذفوا به نبي الله عليه السلام لما ثبت في العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث كان منفراً عنهم وقادحاً في الفرض المجري إليه بأرسالهم والقصة تشهد بذلك لأنه تعالى قال (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ثم لا تخذفيه والشرع في مقدماته وقوله تعالى أيضاً (إنهم عبادنا الخالصين) يقتضي تنزيهه عن الهم بالزنا والعزم عليه وحكايته عن اللوعة قولهم (حاشى الله ما علمنا عليه من سوء) يدل أيضاً على أنه يرى من القبيح

• • فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفاً لطف الله تعالى له به في تلك الحال أو قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والنزء عنها ويحتمل أيضاً ما ذكره أبو علي وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك وعلى أن من فعله يستحق العقاب وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعداً له والنداء له بالزجر والتخويف لأن ذلك يناقض الحنة وينقض الغرض بالتكليف ويقتضى أن لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحاً ولا ثواباً وهذا - ومن شاء - هل الأنبياء واقdam على قرفهم بما لم يكن منهم والحمد لله على حسن التوفيق • • روى أحمد بن عبد الله بن العباس المصولي الملقب بطمأنس قال كنت يوماً عند عمي إبراهيم بن العباس فدخل اليه رجل فقربه حتى جلس إلى جانبه أو قريباً منه ثم سادته إلى أن قال له عمي يا أبا تمام ومن بقي ممن يستعمل به ويلجأ إليه فقال أنت لاعدمت وكان إبراهيم طويلاً أنت والله كما قيل

يَمْدُ نَجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَانَهُ
بِأَعْلَى سَنَامِي فَالْحِجِّ يَتَطَوَّحُ
وَيَذِلُّ فِي حَاجَاتٍ مِنْ هَوَانِهِمْ
وَيُورِي كَرِيَمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ
إِذَا أَعْتَمَ بِالْبُرْدِ الِيسَامِي خِلَتَهُ
هَلَا لَا بَدَأَ فِي جَانِبِ الْإِفْقِ يَلْمَحُ
يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرَّجَالِ فَضِيلَةً
وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحٌ مَنْ يَتَمَدَّحُ

فقال له إبراهيم أنت تحسن قائلًا وراوياً ومثلاً فلما خرج تبعته وقلت له أكتبني الأبيات فقال هي لأبي الجهورية العبدى تغذها من شعره • • وروى عن يحيى بن البصري قال رأيت أبي يذكر جماعة من أمراء أهل الشام بمعان من الشعر فر فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فأنشدوا اشادات كثيرة فقال لهم أبي قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال

أَحْسِبُ النَّوْمَ حَكَاكَ إِذْ رَأَيْتُ مِنْكَ جَفَاكَ
مَنْيَ الصَّبْرِ وَمِنْكَ إِذَا هَجَرْتُ أَبْلَغَ فِي مَدَاكَ
(١٧ - أمالي في)

بَعُدَتْ هِمَّةُ عَيْنٍ طَلِمَتْ فِي أَنْ تَرَاكَ
أَوْ مَا خُطَّ لِعَيْنِي أَنْ تَرَى مِنْ قَدَرَاكَ
لَيْتَ حَظِّي مِنْكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا بِي مِنْ هَوَاكَ

قال أبي أنه تصرف في معاني من الشعر في هذه الأبيات قال فكتبها عنه جماعة من حضروا والأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي ٥٥ وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال لما بايع المأمون لعل بن موسى الرضا عليهما السلام بالعهد وأمر الناس بلبس الخفصرة صار إليه دعبل بن علي الخزامي وإبراهيم بن العباس الصولي وكانا صديقين لا يفترقان فأنشده دعبل

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَخِي مُقْفَرِ الْمَرْصَاتِ
وَأَنْشَدَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوْلِي عَلَى مَذْهَبِهِمَا قَصِيدَةً أَوَّلَهَا
أَزَالَتْ عِرَاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

قال فوهب لها عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت فأما دعبل بن علي فصار بالشطر منها إلى قم فاشترى أهلها منه كل درهم بمئنة دراهم فباع حصته بمائة ألف درهم ٥٥ وأما إبراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها إلى أن مات قال الصولي ولم أقف من قصيدة إبراهيم على أكثر من هذا البيت ٥٥ قال وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثني أبو العباس أحمد ابن محمد بن الفرات والحسين بن علي الباقطاني قال كان إبراهيم بن العباس صديقاً لاسحاق بن إبراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزمن فأنشده شعره في علي بن موسى الرضا عليهما السلام وقد انصرف من خراسان ودفع إليه شيئاً بخطه منه وكانت النسخة عنده إلى أن وُثِيَ المتوكل ووُثِيَ إبراهيم بن العباس ديوان الشيعاء وقد كان يتابع ما يذنه وبين أخى زيدان فعزله عن شيعاء كانت في يده بحلولاً وغيرها وطالبه بماله وألح عليه وأساء مطالبته فدعا اسحاق بعض من يشق به من أخواته وقال له امض

الى ابراهيم بن العباس فاعلمه ان شعره في علي بن موسى بخطه عندي وبغير خطه والله
 لكن استمر على ظنّي ولم يُزل عن المطالبة لأوصل الشعر الى المتوكل قال لمار الرجل
 الى ابراهيم بن العباس فأخبره بذلك فاضطرب اضطراباً شديداً وجعل الأمر الى
 الوساطة في ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به وأخذ الشعر منه وأحلّنه انه لم يبق
 عنده منه شيء فلما حصل عنده أحرقه بحضرته .. وذكر أبو أحمد بن يحيى بن علي
 المنجم ان أباه علي بن يحيى كان الوساطة بينهما .. قال الصولي وما عرفت من شعر
 ابراهيم في هذا المعنى شيئاً إلاّ آياتاً وجدتها بخط أبي قال أنشدني أخي لعمه في علي
 ابن موسى الرضا عليهما السلام من قصيدة

كفى بفعل امرئٍ عالمٍ	على أهله عادلاً شاهداً
أرى لهم طارقاً مؤثماً	ولاً يشبه الطارف التالداً
يمنّ عليكم بأموالكم	ويعطون من مئة واحداً
فلا حمد الله مستبصراً	يكون لأعداءكم حامداً
فضلت قسيمك في قعد	كما فضل الولد الوالداً

قال الصولي فظرت فوجدت علي بن موسى الرضا عليهما السلام والمأمون متساويين
 في قعد النسب وهاشم التاسع من آبائهما جميعاً .. وروى الصولي ان منشداً أنشد
 ابراهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع

ربما تكره النفوس من الأم

رله فرجة كحل العقالي

قال فشك بقله ساعة ثم قال

ولرب نازلة يضيق بها الفتى

ذرعاً وعند الله منها مخرج

كملت فلما استحكمت حلقاتها

فرجت وكان يظنها لا تفرج

فعجب من جودة بديته .. وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني
 محمد بن يحيى الصولي قال حسدني القاسم بن اسمعيل أبو ذكوان الراوية قال كنت

بالاهواز أيام الوائى و ابراهيم بن العباس يلى معونتها وخراجها فوسفت له بالأدب
فأمر بإحضارى فلما دخلت عليه قرأ مجلى وقال تساق أنس المطاولة فان الاستمتاع
لايم إلا به فأنبطت وتساءلنا عن الأشعار فما رأيت أحدا قط أعلم بالشعر منه فقال
لى ما عندك فى قول النابغة

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبدو منها كوكب

فقلت أراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن فى الشعر غيب وهو انه اعتذر الى
التمهان من ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه لهم فقال انما فعلت هذا لجهالك فى
فاذا صلحت فى لم أرد غيرك كما ان من أماءت له الشمس لم يخرج الى ضوء الكواكب
فأتى بمعينين بهذا وبتفضيله قال فاستحسن ذلك منه .. وكان ابراهيم بن العباس من
أصدق الناس لأحمد بن أبى داود فكتب على ابن أبى الوليد من شيء قدمه ومدح أباه
وأحسن فى التخلص كل الاحسان فقال

عفت مساو بدت منك واضحة على محاسن بقاها أبوك لكنا
لئن تقدم أبناء الكرام به لقد تقدم أبناء اللئام بكنا

.. ولا ابراهيم

تر الصبا صفة حاسا كن ذى القضا وبصدغ قلبي أن يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث كان حبيبها
تطلع من نفسي اليك نوازع عوارف أن اليأس منك نصيبها
وأخذ هذا من قول ذى الرمة

اذهبت الأرواح من كل جانب به آل مي حاج شوقي هبوبها
هوى تذر العيان منه وإنما هوى كل نفس حيث كان حبيبها

دَنَتْ بَانَسٍ عَنْ تَنَاءِ زِبَارَةٍ وَشَطَّ بَلِيلِي عَنْ دَنَوٍ مَزَارَهَا
وَإِنَّ مَقِيمَاتٍ بِنَقْطَعِ اللَّوَى لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلِي وَهَاتِيكَ دَارَهَا

وأخذ ذلك من قول النظار الفقهى

يَقُولُونَ هَذِي أُمُّ عَمْرٍو قَرِيبَةٌ دَنَتْ بِكَ أَرْضُ نَحْوِهَا وَسَمَاءُ
أَلَا إِنَّمَا بُعِدُ الْحَبِيبِ وَقُرْبُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يُوصَلَ إِلَيْهِ سِوَاهُ

ووجدت بعض أهل الأدب يظن أن إبراهيم بن العباس سبق إلى هذا المعنى في قوله

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْتِ تَشَا وَأَبْرِقْ عَيْنًا وَأَرَعْدِ شِمَالًا
شَبَابُكَ لَوْ أَنَّكَ مِنْجَى الذُّبَابِ حَمَتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يَنَالَا

حتى رأيت مسلم بن الوليد قد سبق إلى هذا المعنى فأحسن غاية الاحسان فقال

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقُّ عَرْضُكَ ذُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَاذْهَبْ فَإِنَّتِ طَلِيقُ عَرْضِكَ إِنَّهُ عَرْضُ عَزَّزَتْ بِهِ وَأَنْتِ ذَلِيلُ

مجلس آخر ٣٧ ❦

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) .. فقال إذا كانت المحبة عندكم هي الإرادة فهذا تصرف من يوسف عليه السلام بإرادة المعصية لأن حبسه في السجن وقطعه عن التصرف بمعصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو في القبح يجري مجرى ما دعى إليه من الزنا وقوله من بعد (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ) يدل على أن امتناعه من القبيح مشروط بمنعهن وصرفهن عن كيدهن وهذا بخلاف مذهبكم لأنكم تذهبون إلى أن ذلك لا يقع منه تصرف النسوة

عن كيدهم أو لم يصرفن .. الجواب قلنا أما قوله عليه السلام (رب السجن أحب اليّ) ففيه وجهان من التأويل .. أولهما أن الحبّة متعلّقة في ظاهر الكلام بما لا يصح على الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً لأنّ السجن إنّما هو الجسم والأجسام لا يجوز أن يريدّها وإنّما يريد الفعل فيها والمتعلّق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وإنّما الأفعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها فادخال القوم يوسف عليه السلام الحبس أو اكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصيره على ملازمته والمشاق التي تناله باستبطانه كان طاعة منه وقرينة وقد علمنا أن ظالمًا لو أكره مؤمناً على ملازمته لبعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعله المكروه حسناً وإن كان فعل المكروه قبيحاً وهذه الجملة تبيّن أن لا ظامراً في الآية يقتضي ما ظنوه وإنه لا بد من تقدير محذوف يتعلّق بالسجن وليس لهم أن يقدروا ما يرجع إلى الحبس من الأفعال إلّا ولنا أن نقدر ما يرجع إلى الحبوس وإذا احتمل الكلام الأمرين ودل الدليل على أن التي لا يجوز أن يريد المعاصي والقبائح اختص المحذوف المقدر بما يرجع إليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مریده . ومجبه .. فإن قيل كيف يجوز أن يقول السجن أحب اليّ وهو لا يجب مادعوه إليه ومن شأن مثل هذه اللفظة أن تدخل بين ما وقع فيه اشتراك في معناها وإن فضل البعض على البعض .. قلنا قد تشمل هذه اللفظة في مثله هذا الموضع وإن لم يكن في معناها اشتراك على الحقيقة ألا ترى أن من خير بين ما يحبه وما يكرهه جائز أن يقول هذا أحب اليّ من هذا وإن لم يجوز مبتدئاً أن يقول من غير أن يخبر هذا أحب اليّ من هذا إذا كان لا يجب أحدهما جملة وإنّما سوّغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر من حيث كان الخير بين الشيئين لا بخير بينهما إلّا وهما مرادان له وما يصح أن يريدّهما فوضع التخيير يقتضي ذلك وإن حصله فيما ليس هذه صورته والمجيب عن هذا متى قال كذا أحب اليّ من كذا مجيباً على ما يقتضيه موضوع التخيير وإن لم يكن الأمران على الحقيقة يشتركان في تناول محبته وما يثارب ذلك قوله تعالى (قل أذلك خير أم جنة الخلد) ونحن نعلم أن لا خير في العقاب وإنّما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار

المعاصي على الطاعات وأنهم ماركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات إلا لا اعتقادهم أن فيها خيراً ونفعاً فقليل أذلك خير على ما تظنون وتعتقدونه أم كذا وكذا وقد قال قوم في قوله تعالى (أذلك خير أم جنة الخلد) إنما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة وإن لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى (خير مستقراً وأحسن مقيلاً) ومثله هذا قد يأتي في قوله تعالى (رب السجن أحب إلَيَّ) لأن الأمرين يعني المعصية ودخول السجن مشتركان في أن لكلٍ منهما داعياً وعليه باغياً وإن لم يشتركا في تناول الحبة فجعل اشتراكهما في داعي الحبة اشتراكاً في الحبة نفسها وأجرى اللفظ على ذلك ومن قرأ هذه الآية ففتح السين فالتأويل أيضاً ما ذكرناه لأن السجن المصدر فيحتمل أن يريد أن سجنني لم نفسي وصبري على حبسهم أحب إلَيَّ من مواجهة المعصية ولا يرجع بالسجن إلى فعلهم بل إلى فعله .. والوجه الثاني أن يكون معنى أحب إلَيَّ أي أهون عندي وأسهل عليّ وهذا كما يقال لأحدنا في الأمرين يكرههما معاً أن فعلت كذا وإلاّ فعل بك كذا وكذا فيقول بل كذا أحب إلَيَّ أي أهون عندي بمعنى أسهل وأخف وإن كان لا يريد واحداً منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع أن يكون إنما عني لعلمهم به دون فعله لأنه لم يخبر عن نفسه بالحبة التي هي الإرادة وإنما وضع أحب موضع أخف والمعصية قد تكون أهون وأخف من أخرى .. وأما قوله تعالى (وإلاّ تصرف عني كيدهن أصب إليهن) فليس المعنى فيه على ما ظنّه السائل بل المراد متى لم تلتطف لي بما يدعوني إلى مجازية المعصية وتثبتني إلى تركها ومفارقها صوبت وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والتسليم لأموره وأنه لولا معونته ولطفه ما نجنا من كيدهن ولا شبهة في أن النبي إنما يكون معصوماً عن القبايح بعصمة الله تعالى ولطفه وتوقيفه .. فان قيل الظاهر خلاف ذلك لأنه قال (وإلاّ تصرف عني كيدهن) فيجب أن يكون المراد ما يمنع من الكيد ويدفعه والذي ذكرتموه من الانصراف عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد والانصراف عنه .. قلنا معنى الكلام وإلاّ تصرف عني ضرر كيدهن والفرس به لأنهم إنما أجبروا بكيدهن إلى مساعدته لمن على المعصية فإذا عصم منها ولطف له في الانصراف عنها فكان الكيد قد انصرف

عنه ولم يقع به من حيث لم يقع ضرره وما أجرى به اليه ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه الى غرض لم يقع ما قلت شيئاً ولمن فعل ما لا تأثير له ما فعلت شيئاً وهذا بين بحمد الله ومنه

[تأويل خبر] ٠٠ إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة طويلة خطبها من يتبع المشعة يشمع به ٠٠ الجواب ان المشعة هي الضحك والمزاح واللعب يقال شمع الرجل يشمع شموعاً وامرأة شموع اذا كانت كثيرة المزاح والضحك ٠٠ قال أبو ذؤيب يصف الحبر

بِقَرَارٍ قِيَمَانٍ سَقَاها وَابِلٌ وَامٍ فَاتَّجَمَ بَرْهَةٌ لَا يُقْلَعُ^(١)

فَلَيْتَنِي حِينًا يَتَلَجَّنَ بِرَوْضَةٍ فَيَجِدُ حِينًا فِي الْعِلَاجِ وَيَسْمَعُ

أراد أن هذا الحمار الذي وصف حاله مع الآن وأنه معهن في بعض القيعان يشارك هذه الآن ومعنى - يتلجج - يعاض بعضهم بعضاً ويتراعى من النشاط فيجد الفعل معهن مرة وأخرى يأخذ معهن في اللعب فيشبع وفي جد لفتان يجد ويجد والمفتوح لغة هذيل ويقال فلان جاد مجد على اللغتين معاً ٠٠ وقيل ان معنى يشمع في الحمار انه يشم ثم يرفع رأسه فيكشر عن أنفاسه فجعل ذلك بمنزلة الضحك ٠٠ قال الشاعر

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ كُنْتُ تَقِي إِلَى لَبَاتٍ بَهْكَنَةِ شَمْعٍ^(٢)

(١) - القرار - جمع قراره وهو حيث يستقر الماء والقيعان - جمع قاع وهو القطعة من الارض الصلبة الطيبة - والوابل - المطر العظيم القطر ٠٠ ويروى سقاها سيف وهو معار الصيف - والوامي - كأنه منشق من شدة انصبايه وكثرة مائه - وانجم - أقام ونبت - والبرهة - الحين والزمان - والروضة - البقعة يجتمع فيها الماء ينبت فيها البقل والعشب ولا تسمى روضة الا اذا كان بها شجر وماء

(٢) يروى هيكله مكان بهكنة وهيكله من النساء العظيمة وتم يكلها اختيالها - والشموع - المزاحه - والبهكنة - الذارة الغضة وقيل هي الجارية الخفيفة الطيبة الرائحة المليحة الحلوة

.. وقال المتنخل الهنلي

وَلَا وَاللَّهِ نَادِي الْحَيِّ ضَيْفِي هُدُوءًا بِالنِّسَاءِ وَالْعِلَاطِ
سَأَبْدَأُهُمْ بِشَمْعَةٍ وَأَتْنِي بِجَهْدِي مِنْ طَعَامٍ أَوْ بِسَاطٍ

أراد بقوله - نادي الحى ضيفي - أى لا ينادونه من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه به يؤثر - والعلاط - من أعلطه واعتلط به إذا خاصمه وشاغبه ووسه بالشر وأصله من علاط البعير وهو وسه فى عنقه .. وقيل ان معنى نادى الحى ضيفي من النادى أى لا يبالسونه بالمكروه والسوء .. ومعنى - سأبدأهم بشمعة - أى يلعب وضحك لأن ذلك من علامات الكرم والسرور بالضيف والقصد الى إيناسه وبسطه .. ومنه قول الآخر ورُبُّ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَيِّ سُرَى صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا شِئْتِي^(١)
إِنَّ الْحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ الْقَرَى

وروى الأصمعي عن خلف الأحمر قال سنة الاصراب انهم اذا حدثوا الرجل الغريب وهشوا اليه ومازحوه أيقن بالقرى واذا أمرضوا عنه عرف الحرمان .. ومعنى - أتني بجهد من طعام أو بساط - أى اتبع ذلك بهذا .. ومعنى الخبر على هذا أن من كان من شأنه العيب بالناس والاستهزاء بهم والضحك منهم أصاره الله تعالى الى حالة يعيب به فيها ويستهزأ منه .. ويضارب هذا الحديث من وجه حديث آخر وهو ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من يسمع الناس بعمله يشمع الله به والمعنى من يرائى بأعماله ويظهرها قريبا الى الناس وأخذاً للمنازل عندهم يشهره الله بالرياء ويفضحه ويهتكه .. ويمكن أيضاً الخبر الأول وجه آخر لم يذكر فيه وهو ان من عادة العرب أن يسوا الجزاء على الشيء

(١) قوله ورب ضيف الحق .. البيتان للشماخ يمدح بهما عبد الله بن جعفر رضي الله

عنهما وقبلهما

المك يا بن جعفر نعم الفتي واعم مأوى طارق إذا أتني

ورب ضيف الحق

باسمه ولذلك نطائر في القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر أن يكون المعنى من يبيع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يصاقبه الله تعالى على ذلك وبمجازيه فسمى الجزاء على الفعل باسمه وهذا الوجه أيضاً ممكن في الخبر الثاني ٥٠ أخبرنا عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبيد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال إني أفي سوق ضريبة وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان متزوجاً بالبصرة وكان له ابن فضربه إذ أقبلت عجوز على ناقه لها حسنة البرة فيها باقي جمال فأناحت وعقلت ناقها وأقبلت تنوكاً على عجل لها جلست قريباً منا وقالت هل من ملشد فقلت للكلابي أيجضرك شيء قال لا فأنشدتها شعراً لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري

وقصيرة الأيام ودّ جليسا لو باع مجلسها بفقد حميم
من مخدّيات أخي الهوى غصص الجوى

بدلال غانية ومقلّة رميم

صفراء من بقر الجواء كأنما خفر الحياء بها ورذع سقيم

قال جلست على ركبتيها وأقبلت تحرش الأرض بمحبتها وأنشأت تقول

ففي يأميم القلب تقرأ تحية ونشكوا الهوى ثم أفعلي ما بدا لك
فلو قلت طأ في النار أعلم أنه هوى لك أومذن لنا من وصا لك
لقد كنت رجلي نحوها فوطئتها هدي منك لي أوضلة من ضلالك
سلى البانة العلياء بالاجزع الذي به البان هل حيت أطلال دارك
وهل قتت في أطلالهن عشية مقام أخي البأساء واخترت ذلك
ليهنك إهسا كي يكفي على الحشا ورفراق عيني خشية من زبالك

قال الأسمعي فأظلمت والله على الدنيا بجلالة منطقتها وفصاحة لهجتها فدنوت منها فقلت أشد منك الله لما زدته من هذا فرأيت الضمك في عينها وأنشدت

وَمُسْتَحْفِيَاتٍ لَيْسَ يُحَقِّقْنَ زُرْنَنَا يُسَبِّحْنَ أَذْيَالَ الصَّبَابَةِ وَالشُّكْلِ
جَمَعْنَ الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَامَلَكْنَهُ تَزَعْنَ وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ

مَرِيضَاتٍ رَجَعِ الطَّرْفِ خُرُسٍ عَنِ الْخَنَا

تَأَلَّفْنَ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ بَلَا بَذَلِ

مَوَارِقُ مِنْ خَلِّ الْمَحَبِّ عَوَاطِفُ يَحْتَلِ دَوَى الْأَلْبَابِ بِالْجَدِّ وَالْهَزْلِ
يُعَنِّفُنِي الْعُدَالُ فِيهِنَّ وَالْهَوَى يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ دَوَى الْمَذَلِ

[قال المرتضى] رضى الله عنه أما قول الأنصاري - وقصيرة الأيام - فأراد بذلك أن السرور يتكامل بحضورها لحسنها وطيب حديثها فتقصر أيام جلوسها لأن أيام السرور موصوفة بالقصر .. ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضاً حداثة سنّها وقرب عهد مولدها وإن كان الأول أشبه بما أتى في آخر البيت .. ومعنى - لو باع تجلسها بفقد أحيم - أي ابتاعه وهذا اللفظ من الاستدلال لأنه يستعمل في البائع والمشتري معاً .. قال الفراء سمعت أصرابياً يقول بيع لي تمرأ بدرهم أي اشتري لي تمرأ .. وقال كثير

فَيَالَيْتَ عَزُّ النَّأْيِ إِذْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ بَاعَ الْوَدِّ لِي مِنْكَ تَاجِرٌ^(١)
أي ابتاع .. وقوله - من عذبات أخي الهوى - أي معطيات يقال أعذبت الرجل من

(١) وقباه

بليلى وجارات ليلي كأنها	أعاج الملا تحدى بين الأباعر
أمنق طمع ياعز ما كان بيننا	وشاجرني ياعز فيك الشواجر
إذا قيل هذا بيت عزة قادي	إليه الهوى واعتجعتني البوادر
أسد وبى مثل الجنون لكي يري	رواة الخنا أني لبيتك هاجر
ألا ليت حظي منك ياعز اتني	إذا ابتعت باع العبر لي عنك تاجر

وهذه الرواية في البيت الأخير أشهر من تلك

الفنمة أحذيه إحذاء إذا أعطته والاسم الحذوة والحذيا والحذبة كل ذلك المعطية
 ٠٠ وقوله - كأنما خفر الحياء بها رداع سقيم - فالرداع هو الوجع في الجسد فكأنه
 أراد أنها منقبضة منكسرة من الحياء كما يتغير لون السقيم أو يريد تغير لونها وصفرتها من
 الحياء كما يتغير لون السقيم ويجري قول لبل الأخبالية

وَمَحَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا
 حَتَّى إِذَا خَفَقَ الْإِوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ الْإِوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمًا

أخبرنا المرحوم أبو عبد الله الحكيم قال حدثني ميمون بن هارون
 الكاتب قال حدثنا ابن أخي الأصم عن عمه قال لقيت أعرابياً بالبادية فاسترشدته
 إلى مكان فأرشدني وأشدني

لَيْسَ الْعَمَى طُولُ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا

تَمَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ (١)

فرجعت إلى البصرة فكثرت بها حيناً ثم قدمت البادية فإذا بالأعرابي جالساً بين ظهراني
 قوم وهو يقضى بينهم فما رأيت قضية أخطأت قضية المالحين من أفضيته فجلست إليه
 فقلت يرحمك الله أما من رشوة أمّا من هدية أمّا من صلة فقال لا إذا جاء هذا ذهب
 التوفيق فشكوت إليه ما ألقى من هذا حيلة لي إياي في طلب المعيشة فقال لست فيها
 بأوحد وإنني لنريكك ولقد قلت في ذلك شعراً أنشدني فأنشدني

بَاتَتْ تُعَبِّرُنِي الْإِفْتَارَ وَالْعَدَمَا لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا الْمَالَ وَالْخَدَمَا
 عَفْتُ لِرَأْيِكَ مَا الْأَرْزَاقُ مِنْ جَلْدٍ وَلَا مِنَ الْعَجْرِ بَلْ مَقْسُومَةٌ قِسْمَا

(١) وروي

شفاء العمى حسن السؤال وإنما يطيل العمى طول السكوت على الجمل

لكن سائلاً عما عنك فأنما خلقت أخوا عقل لتسأل بالعقل

وعما لا يراى النحوى

يَا أَمَّةَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَدْعُ طَلَبًا
فَكُلُّ ذَلِكَ بِالْإِجْمَالِ فِي طَلَبِ
لَوْ كَانَ مِنْ جِلْدِ ذَا الْمَالِ أَوْ آدَبِ
إِذْ ضَيَّ مِنَ الْعَيْشِ مَا لَمْ تَحْجُجِي مَعَهُ
وَاسْتَشْعِرِي الصَّبْرَ عَلَى اللَّهِ خَالِقَنَا
لَا تَحْجُجِيَنِي إِلَى مَا لَوْ بَدَأَتْ لَهُ
بِاللَّهِ سِرِّكَ أَيْتُ اللَّهُ خَوْلَنِي
مَا سَرَّنِي أَنِّي خَوَاتُ ذَلِكَ وَلَا
وَأَنِّي لَمْ أَفِدْ عَقْلًا وَلَا أَدَبًا
فَمَسْرُةُ الْمَرْءِ أُخْرَى فِي مَعَاشِكَ مِنْ

قال فوالله ما أُنشدتها حتى حلفت أن لا تعذلي أبداً .. أخبرنا علي بن محمد الكاتب
قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال رأيت
بقباء شاباً من بني عامر ما رأيت بدويّاً أفصح منه ولا أطرف فوالله كأنه شواطئ بتلظى
فاستنشدته فأنشدني

قَلَمَ أَنْسَكُم يَوْمَ اللَّوَى إِذْ تَعَرَّضْتُ
فَقَالَتْ سَأُنْسِيكَ الْعَشِيَّةَ مَا مَضَى
فَمَا قُلْتُ لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ
أَبَتْ سَابِقَاتِ الْحُبِّ إِلَّا مَقْرَها
هُوَ الْكَذِبُ الَّذِي فِي النَّفْسِ أَمْسَى دَخِيلها

أَنَا أُمُّ طِفْلٍ خَاذِلٍ قَدْ تَجَلَّتْ
وَأَصْرَفُ مِنْكَ النَّفْسَ عَمَّا أَحَبَّتْ
عَلَى مَا بَدَأَ مِنْ حُسْنِها إِذَا دَلَّتْ
إِلَيْكَ وَمَا يَنْفِي إِذَا مَا اسْتَفْرَتْ
عَلَيْهِ انْطَوَتْ أَحْشَاؤها وَاسْتَمَرَّتْ

وَأَسَدْنِي أَيْضًا

دِيَارَ لَاتِي طَرَقْتَ وَمَنَا
تَسَائِلِي وَأَصْحَابِي هُجُودُ
فَلَمَّا أَنْ شَكَوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ
وَلَكِنْ حَالُ دُونِكَ دُوشْدَاةُ
بَرِيًّا رَوْضَةً وَذَكَاءَ رَنْدِ
وَتَشْنِي عِطْفَهَا مِنْ غَيْرِ صَدِّ
فَلَانِي فَوْقَ وَجَدِكَ كَانَ وَجْدِي
أُسْرُهُ بِفَقْدِهِ وَبِرُّهُ فَقْدِي

معنى - يكره - وبهذا الاسناد قال الأسمعي تقدمت الي اعرابي فقال له اسمعيل
ابن عمار واذا هو يغفل أصابعه ويتلف فقلت له علام تتلف فأنتأ يقول

عَيْنَايَ مَشُومَتَانِ وَيَنْجُمَا
عَرَفَتَانِي الْهَوَى بِظُلُمِيهَا
هُمَا إِلَى الْحَيْنِ قَادَتَا وَهُمَا
سَاءَ عَذْرُ الْقَلْبِ فِي هَوَاهُ فَمَا
وَالْقَلْبُ حَرَّانُ مُبْتَلَى بِهِمَا
يَا لَيْتَنِي قَبْلَهُ عَدَمْتُهَا
ذَلَّ عَلَى مَا أَجْنُ دَمَعُهَا
سَبَبَ هَذَا الْبَلَاءُ غَيْرُهُمَا

وبهذا الاسناد عن الأسمعي قال نزلت ليلة في وادي بني العنبر وهو إذ ذاك غان بأهله
أي أهل فاذا فتية يريدون البصرة فأحببت محبتهم فأقت ليلتي تلك عليهم وإني لو صب
محموم أخاف أن لا أستمتع على راحتي فلما أقاموا ليرحلوا أيقنوني فلما رأوا حالي
رحلوا لي وحلوني وركب أحدهم ورائي يمكثي فلما أمعنوا السير نادوا الا فتى
يحدو بنا أو ينشدنا فاذا منشدي في سواد الليل بصوت ندى حزني ينشد

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ بَانُوا فَلَمْ أَمُتْ
غَدَاةَ الْمُنَى إِذْ رُمِيتُ بِنَظَرَةٍ
وَنَحْنُ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ
وَكَاذَ مِنَ الْوَجْدِ الْمُبِرِّ يَطِيرُ
فَقُلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفْتُ بِهِ الْهَوَى
فَهَذَا وَلَمَّا تَمَضَّ اللَّيْلُ لَيْلَةٌ
خُفَاتَا عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورُ
فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْكَ شُورُ

وَأَصْبَحَ أَعْلَامُ الْأَحِبَّةِ دُونَهَا مِنْ الْأَرْضِ غَوْلٌ تَارِحٌ وَمَسِيرٌ
وَأَصْبَحَتْ نَجْدِيَّ الْهَوَى مَتِّهِمُ النَّوَى

أَزِيدُ اشْتِيَاقًا أَنْ يَحِينَ بَعِيرٌ
عَنِ اللَّهِ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُعْفَ النَّوَى

وَيُجْمَعُ شَمْلٌ بَعْدَهَا وَسُرُورٌ

قال فسكنت والله عني الحمى حتى ما أحس بها فقلت لرفيقي انزل برحمتك الله الى راحتك
فاني مناسك وجزاك الله عن الصعبة خيراً .. أخبرنا المارزباني قال أخبرنا محمد بن
العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعي قال كان
بالبصرة اصحابي من بني تميم يتطفلون على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل
إلا لتدخل ولا وضع الطعام إلا ليؤكل وما قدمت هدية فأتوقع رسولا وما أكره أن
أكون ثقلاً ثقيلاً على من أراه شحيحاً بخيلاً أتقهم عليه مستأنساً وأضحك اذا رأيته
عابساً فأكل برغمه وأدعه بهمه وما اخترق اللهوات طعاماً أطيب من طعام لم ينفق فيه
درهم ولا يعنى اليه خادم ^(١) وأنشأ يقول

كُلُّ يَوْمٍ أَذُورٌ فِي عَرَصَةِ الْحَدِّ
يَا أَشْمُ الْفَتَارِشِ الذَّبَابِ

(١) وروى من غير هذا الوجه عن المبرد قال كان بالبصرة طقيلي مشهور وكان ذا
أدب وعظرف فر بسكة النخع بالبصرة على قوم عندهم ولحمة فاقتحم عليهم وأخذ بجلسه
مع من دعى فانكره صاحب المنزل فقالوا له لو تأنيت أو سبرت يا هذا قبل الدخول حتى
يؤذن لك كان أحسن لادبك وأعظم لقدرك وأجل لمروءتك فقال إنما اتخذت البيوت
ليدخل فيها ووضع الموائد ليؤكل عليها والحشمة قطيعة وأطراحها صلة وجاء في
الآثار صل من قطعك واعط من منعك وأحسن الي من أساء اليك

فَإِذَا مَرَأَيْتُ آثَارَ عُرْسٍ أَوْ خِتَانٍ أَوْ قُبْعِ الْأَصْحَابِ
لَا أُورِّعُ دُونَ التَّقْصُمِ لِأَزْ هَبْ دَفْعًا وَلَكِرَّةَ الْبَوَابِ
مُسْتَهِينًا مِمَّا هَجَّتْ عَلَيْهِ غَيْرَ مُتَأَذِّنٍ وَلَا هَيَّابِ
فَتَرَانِي أَلْفُ مَا نَدَّمَ الْقَوَى مُمْحِلِي رَغْمِهِمْ كَلَفَ الْعُقَابِ
ذَاكَ أَذْنِي مِنَ التَّكْلِيفِ وَالْفَرْزِ مِمْحِلِي غَيْظِ الْبُقَالِ وَالْقَصَابِ

— مجلس آخر ٣٨ —

[تأويل آية ٠٠] إن سأل سائل عن قوله تعالى (ونادى نوحٌ ربه فقال رب إن أبي من أهلي) إلى قوله (أن تكون من الجاهلين) ٠٠ فقال ظاهر قوله تعالى (إنه ليس من أهلك) يقتضي تكذيب قوله عليه السلام أنه من أهل قاتلي لا يجوز عليه الكذب فما الوجه في ذلك وكيف يصح أن يخبر عن ابنه أنه عمل غير صالح وما المراد به ٠٠ الجواب قلنا في هذه الآية وجوه ٠٠ أحدها أن نبيه لأن يكون من أهله لم يتناول في النسب وإنما أتى أن يكون من أهله الذين وعد نجاتهم لأنه عز وجله كان وعد نوحاً عليه السلام بأن ينجي أهله ألا ترى إلى قوله تعالى (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من - سبق عليه القول) فاستثنى تعالى من أهله من أراد أهلكه بالفرق ويدل عليه أيضاً قول نوح عليه السلام (إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق) وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتناقضان وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين ٠٠ والجواب الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى (ليس من أهلك) أي أنه ليس على دينك وأراد أنه كان كافراً مخالفاً لأبيه وكأن كفره أخرجه من أن يكون له أحكام أهله ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى على طريق التعليل أنه عمل

غير صالح فبين تعالى انه اتما خرج من أحكام أهله لكفره وسوء عمله وقد روي هذا التأويل أيضاً عن جماعة من المفسرين وحكى عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح فبيح طويلاً ثم قال لا اله الا الله يقول الله ونادى نوح ابنه ويقول ليس منه ولكنه خالقه في العمل فليس منه من لم يؤمن .. وروي عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفاً له في النية والعمل فمن ثم قيل انه ليس من أهلك .. والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام ان ابني على ظاهر الأمر فأعلمه الله تعالى ان الأمر بخلاف الظاهر ونهيه على خيانه أمراته وليس في ذلك تكذيب خبره لانه اتما خبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعي فأخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روي هذا الوجه عن الحسن وغيره .. وروي قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ما هو ابنه فقلت يا أبا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوح ابنه ويقول ليس بابن قال أفأريت قوله ليس من أهلك قال قلت معناه انه ليس من أهلك الذين وعدت ان أنجيهم معك ولا يختلف أهل الكتاب انه ابنه فقال أهل الكتاب يكذبون .. وروي عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك .. وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن لانه قال تعالى (ونادى نوح ابنه) فأطلق عليه اسم البنوة ولأنه أيضاً استثناء من جملة أهله بقوله تعالى (وأهلك إلا من سبق عليه القول) ولأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لأنها نمر وتشين وتقض من القدر وقد جذب الله تعالى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ما هو دون ذلك تعظيماً لهم وتوقيراً ونقياً لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تأويل قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط نختائهما على ان الخيانة لم تكن منهما بل لانا بل كانت احدهما تخبر الناس بانه مجنون والأخرى تدل على الأضياف والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان .. فأما قوله تعالى (انه عمل غير صالح) فالقراءة المشهورة بالرفع .. وقد روي عن جماعة من المتقدمين انهم قرؤا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه .. فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح وما يستعمل غير صالح فيجذف

(١٩ - أمالي)

المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء

مأثمٌ متقبٍ عليّ بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ قد ساعدتها على التَّحَنُّنِ أَظْأَرُ
نَزَعٌ مَارَتْهُ حَتَّى إِذَا ذَكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ

أرادت انما هي ذات اقبال واذبار .. وقال قوم ان المعنى أسأت ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس بابنك على الحقيقة والذي اخترناه خلاف ذلك .. وقال آخرون الهاء في قوله تعالى (انه عمل غير صالح) راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك إياي ملبس لك به علم انه عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح ذلك السؤال والرغبة في قوله عليه الصلاة والسلام (رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق) ومعنى ذلك نجه كما نجهنهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ان ذلك صغيرة من النبي لأن الصغيرة جائزة عليهم ومن يمنع أن يقع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة الى السؤال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم .. فاذا قيل له لم قال تعالى (لا تسألني ما ليس لك به علم) فكيف قال نوح عليه الصلاة والسلام من بعد (رب ان أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) .. قال لا يمنع أن يكون نهي عن سؤال ما ليس له به علم وان لم يقع منه لم يكن يعود عليه الصلاة والسلام من ذلك وان لم يواقعهُ ألا ترى ان الله تعالى قد نهى نبيه عليه الصلاة والسلام عن الشرك والكفر وان لم يكن ذلك وقع منه فقال تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) وكذلك لا يمنع أن يكون نهاء في هذا الموضع عما لم يقع ويكون عليه الصلاة والسلام انما سأل نوحاً ابنة بائناً بالمصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء .. فأما القراءة بالنصب فقد ضعفها قوم وقالوا اكان يجب أن يقال انه عمل عملا غير صالح لأن العرب لا تكاد تقول هو بعمل غير حسن حتى تقول عملا غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لأن من مذهبهم الظاهر اقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صواباً وقلت حسناً بمعنى فعلت فعلاً صواباً وقلت قولاً حسناً .. وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

أَيُّهَا الْقَائِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ أَخْرِ النَّصْحَ وَافْلِتْنِ عِتَابِي
وقال أيضاً

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَائِيَاءَ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلَقٍ رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مِنْي
وَمِنْ مَالٍ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ
إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى^(١)

وأنشدنا أبو عبد الله لرجل من بحيلة

كَمْ مِنْ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُتَنَكِّثِ الْقَوَى

مَا لَيْتَ لَهُ تَقْضُ وَلَا إِبرَامُ

مَا لَتَ لَهُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِأَسْرِهَا فَعَلَيْهِ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ رُكَامُ

وَمُشَجَّجِ جَالِدِ أَمِينِ حَازِمِ مَرَسٍ لَهُ فِيمَا يَرُومُ مَرَامُ

أَعْمَى عَلَيْهِ سَبِيلُهُ فَكَأَنَّهُ فِيمَا يُحَاوِلُهُ عَلَيْهِ حَرَامُ

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن العباس البريدي قال حدثنا ميهون بن

(١) وقبل البيتين

فلم أركلت جمبر منظر ناظر ولا كابل الحرج أفنن ذاهوي

وبعدهما

يسبحن اذبال المروط بأسوق خدال وأعجاز ما كمها روي

وسبب هذه الايات ان أم عروينة مروان حججت فلما قضت نسكها أتت عمر
ابن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نساء خفادته ثم انصرفت وعادت اليه منصرفها من
عرفات وقد أثبتتها فقلت له لا تذكرني في شعرك وبعت اليه بألف دينار فقبها واشترى
بها ثيابا من ثياب الجن وطيباً فأهداهم اليها فردته فقال إذا والله انهمه الناس فيكون
مشهوراً لقبيله

مرون قال حدثنا اسحق بن ابراهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب
بفتي المعسكر يميل الى الأصمعي ويفضله ويقوم بأمره قال فبثته يوماً بعد موت محمد
وعنده عبد كان ل محمد أسود وقد ترك الناس وأقبل عليه وسأله وتحنى به وحاده فلما
خرج كنه على ذلك وقلت من هذا حتى أفيت عمر يومك به فقال هذا غلام ابن
منصور ثم أنشدني

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوها فَقُلْتُ أَتَى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ
أُحِبُّكَ وَالْقَرِيبُ بِنَا بَعِيدُ لِأَن نَّاسَبْتَ بَنَتَهُ مِنْ قَرِيبِ

فقلت له وكنت أفعل هذا كثيراً به لاستجر كلامه وعلمه يا أبا سعيد ذلك أخوها وهذا
غلامه فضحك وقال أنشد أبو عمرو أو قال غيره

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ أَوْطَنَتْهَا وَإِنْ خَلْتُ لَهَا حِجَجٌ تَنْدِي بِمِسْكِ زُرَّابِهَا
خَلَفْتُ بِأَنِّي لَوْ أَرَى تَبَعًا لَهَا ذِئَابَ الْقَضَى حَتَّى يَلِيَّ ذِئَابِهَا

قال فحملت أعجب من قرب لسانه من قلبه واجادة حفظه له متى أراد . . وبهذا الاسناد
عن اسحق الموصلي قال قرأت على الأصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت
أمن أجلي أعرابية حلّ أهلها برؤوس الشرى عيناك تبدد ران

فقال لي أنعرف في هذا البيت خبئاً باطناً غدير ظاهراً قلت لا فسكت عنى فقلت ان كان
فيه شيء فافديه قال نعم أما يدلك البيت على انه لفظ ملك منهن ذى قدرة على ما يريد
قال اسحق وما رأيت قط . . مثل الأصمعي في العلم بالشعر . . وروى عن اسحق أيضاً
انه قال قال لي الأصمعي ما يعنى امرؤ القيس بقوله

فَمِثْلِكَ حَبْلِي قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعِ

فَأَلَيْتَهَا عَنْ ذِي تَمَامِ مَحْوَلِ

فقلت تخبرني فقول كان مفركاً فيقول أليت هؤلاء عن كراهتهن للرجال فكيف أنا عند
الحبات لهم . . وروى ان السبب الذي هاج الشافعي بين الأصمعي وابن الاصرابي ان

الأصمعي دخل يوماً على سعيد بن سلم وابن الأصبغ جباة يؤدب ولده فقال لبعضهم
 أنشد أبا سعيد فأنشد الغلام أبياتاً لرجل من بني كلاب رواها ابن الأصبغ
 رَأَتْ نِصْوَ أَصْفَارٍ أَمِيمَةً شَاحِبًا عَلَى نِصْوَ أَصْفَارٍ فَجَنَّ جُنُونُهَا
 فَقَالَتْ مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ وَمَنْ تَكُنْ

فإنك رأي صُرْمَةً لَا يَرِيهَا

فَقُلْتُ لَمْ أَلَسِ الشُّوْبُ عَلَى الْفَتَى بِعَارٍ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِيحًا
 عَلَيْكَ بِرَاعِي ثَلَاثَةِ مُسْلِحَةٍ بِرُوحٍ عَلَيْهِ نَفْسُهَا وَحَقِيقَتُهَا
 سَمِينُ الضَّوَاحِي لَمْ تَوْرِقْهُ لَيْلَةٌ وَأَنْتُمْ أَبْكَارُ الْهُومِ وَعَوْنُهَا

ورفع ليلة فقال له الأصمعي من روائك هذا فقال مؤدبي فأحضره فاستشده فأنشده
 ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال إنما أراد أنه لم تورقه ليلة أبكار الهوم
 وعونها وأنتم أي زاد على هذه الصفة . . وقوله - سمين الضواحي - أي مظهر منه ويدأ
 سمين ثم قال الأصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس بموضع لتأديب ولدا للملوك
 . . وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العنقاء قال حدثنا
 الأصمعي قال ولد لشار بن برد آكه لم ينظر إلى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاء فقلت
 له يوماً من أين لك هذا الذكاء قال من قدم العمى وعدم المناظر يمنع من كثير من
 الخواطر المذهلة فيكسب فراغ الذهن وحمية الذكاء وأنشد لنفسه يخضر بالعمى

عَمِيْتُ جَنِينًا وَالذِّكَاةُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعَلَمِ . . وَثَلَا
 وَغَاضَ ضِيَاءُ الْعَيْنِ لِلْعَقْلِ رَافِذَا بِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلًا
 وَشِعْرٍ كَنُورِ الرُّوضِ لَا أَمْتُ بَيْنَهُ

بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَخْزَنَ الشَّعْرُ أَسْهَلًا

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس البريدي قال حدثنا أبو العنقاء قال حدثنا

الأسمعي قال أنشد رجل وأنا حاضرٌ بشاراً قول الشاعر
 وَقَدْ جَعَلَ الْأَعْدَاءُ يَنْتَقِصُونَنَا وَتَطْمَعُ فِينَا أَلْسُنٌ وَعُيُونُ
 أَلَا إِنَّمَا لِي عَصِي خَيْرٌ رَأْفَةٍ إِذَا عَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ
 فقال بشار والله لو جعلها عصي يح أو زيد لما كان إلا غططاً مع ذكر العصي ألا قال
 كما قلت

وَحَوَراءُ الْمَدَامِيعِ مِنْ مَعَدٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا قِطْعُ الْجُمَانِ
 إِذَا قَامَتْ لِيَسْبَحَهَا تَنَنَّتْ كَأَنَّ قَوَامَهَا مِنْ خَيْرِ زُرَانِ
 يَنْسِيكَ الْمُنَى نَظَرُ إِلَيْهَا وَيَصْرِفُ وَجْهَهَا وَجْهَ الزَّمَانِ
 .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي عن عمر بن
 شبة قال قال لي أبو عبيدة رجل بشار إلى الشام فدح سليمان بن هشام بن عبد الملك
 وكان مقبلاً بحران فقال فيه قصيدة طويلة أولها
 نَأْتُكَ عَلَى طَوْلِ التَّجَاوُرِ زَيْنُبُ وَمَا عِلِمْتُ أَنَّ النَّوَى سَوْفَ يَشْعُبُ
 وكان سليمان بخيلاً فاعطاه خمسة آلاف درهم ولم يصب غيرها بعد أن طال مقامه فقال
 إِنَّ أَمْسِي مَنْشَجُ الْيَدَيْنِ عَنِ النَّدَى

وَعَنِ الْمَدْوِ نَحْبَسُ الشَّيْطَانِ
 فَلَقَدْ أَرَوْحُ عَلَى الْأَثَامِ مُسَلَّطًا
 تَلْبِجُ الْمَقَامِ مُنْعَمَ النَّدَامِ
 فِي ظِلِّ عَيْشٍ عَشِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ
 تَنْدَى يَدَيَّ وَيَحَافُ قَرْطُ لِسَانِي
 أَرْمَانِ سِرْبَالِ الشَّبَابِ مُذِلِّ
 وَإِذِ الْأَمِيرُ عَلِيٌّ مِنْ حَرَّانِ
 رَثِمٌ بِأَحْوِيَةِ الرِّاقِ إِذَا بَدَا
 بَرَقَتْ عَلَيْهِ أَكَلَةُ الْمَرْجَانِ
 فَكَحَلِ بَعْدَةَ مَقْلَتِكَ مِنَ الْقَدَى
 وَيَوْشَكَ رُؤُوسُهَا مِنْ الْهَمَلَانِ

فَلَقَرُبُّ مَنْ تَهْوَى وَأَنْتَ مَتِيمٌ أَشْفَى لِدَاثِكَ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ

فلما رجع الى العراق بره ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يقدمه ويؤثره لمدهحه قياً وافخاره بها فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه ٥٠ وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال قال الأصبغي ما وصف أحد النفر إلا احتاج الى قول بشر بن أبي خازم

يُفْلِحَنَّ الشِّفَاءُ عَنْ أَفْجَوَانٍ جَلَاءُ غِبِّ سَارِيَةٍ قِطَارُ

ولا وصف أحد اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة

وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْبِرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
شَفَّ عَنْهَا مُحَقَّقُ جُنْدِيٍّ فَهِيَ كَالْتَّمَسِ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ

ولا وصف أحد عيني امرأة إلا احتاج الى قول ابن الرقاع

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأَيْتُ قَدْ بَدَأَ فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
فَكَأَنَّهَا وَسَطُ الذَّنَاءِ اعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ
وَسَنَانُ أَفْصَدُهُ النَّعَاسُ فَرْتَقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّهُ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

ولا وصف أحد نحيباً إلا احتاج الى قول حميد بن نور

مُحَلًى بِأَطْوَأَى عِتَاقٍ يُبِينُهَا عَلَى الضَّرِّ رَاعِي الضَّأْنِ لَوْ يَتَقَوَّفُ

ولا وصف أحد ظليماً إلا احتاج الى قول علقمة بن عبدة

هَيْقُ كَأَنَّ جَنَاحِيهِ وَجُوجُهُ يَبْتَاطُفَتْ بِهِ خِرْقَاهُ مَهْجُومُ

ولا اعتذر أحد إلا احتاج الى قول النابغة

فَأَنْتَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذَرِّكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ٥٠ أما قول حميد بن محلى بأطواق عتاق فانه

يريد أن عليه نجار الكرم والعتق فصار دلالتهما وسماهما حلبة من حيث كان موسوماً

بهما ٠٠ ومعنى - يدينها على الضراء - يدينها ويعرفها بهذا الراعى فيعلم انه كريم -
 والتعقوف - من القيافة ٠٠ فأما قول علقمة هيق - فالحقيق - ذكر النعام ٠٠ ومعنى -
 أطافت به خرقاء - أى عملت وابنته وقبل ان خرقاء ههنا هي الحاذقة وإن هذه اللفظة
 تستعمل على سبيل الاختلاف في الحاذقة وغير الحاذقة ٠٠ ومعنى - بهجوم - أى مودوم ٠٠
 وقال الأصمعي معنى أطافت به عملته غرقت في عمله يقول قد أرسل جناحيه كأنه خباء
 امرأة خرقاء كما رفعت ناحية استرخت ناحية أخرى والوجه الثاني أشبه وأملح ٠٠ فأما
 قول بشر بن أبي خازم في وصف الثغر فأحسن منه وأكشف وأشد استيفاء للمعنى قول الذابغة

كَأَلَا فُحْوَانَ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأُسْفَلُهُ نَدِ

فأما وصف أعالیه بالجوف ليكون متفرقا متضداً غير متلبذ ولا مجتمع فيشبه حيائذ
 الثغور ٠٠ ثم قال وأسفله ندى حتى لا يكون حقلاً يابساً بل يكون فيه القضاة والصدالة
 فيشبه غروب الانسان الى تلعب ونبرق ٠٠ وروى الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول
 أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة

وَتَجَلُّوْا بِفَرْعٍ مِنْ أَرَاكِ كَأَنَّهُ مِنْ الْعَبَرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمَسْكِ يَنْضَحُ
 دُرِّي أَفْحْوَانَ وَاجَهَ اللَّيْلِ وَارْتَقَى إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةِ الْمَتْرُوحِ
 هِجَانُ الشَّيْبَا مُغْرِبًا لَوْ تَبَسَّمْتَ لِأَخْرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصَحُ



مجلس آخر ٣٩ ❦

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا
 أولادهم إنما يريد الله ليذهب بهم بها في الحياة الدنيا ويذهب أنفسهم وهم كافرون) ٠٠ فقال
 كيف يذهبهم بالأموال والأولاد ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة وأما تأويل قوله تعالى
 (وهم كافرون) فظاهره يقتضى انه أراد كفرهم من حيث أراد أن يذهب أنفسهم في

حال كفرهم لأن القائل إذا قال أريد أن يلقي فلان وهو لا يس أو على صفة كذا وكذا فالظاهر أنه أراد كونه على تلك الصفة .. الجواب قلنا أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه .. أولها ما روى عن ابن عباس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا يصعب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) .. وأنشد في ذلك قول الشاعر

عشيّة أبدت جيد أدماء مغزِلٍ وطرفاً يُريك الإثمَد الجَوْن أحورا

يريد وطرفاً أحور يريك الإثمَد الجَوْن وقد اعتمد على هذا الوجه أيضاً أبو علي قطرب وذكره أبو القاسم البلخي والزجاج .. وثانيها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم وفي ذلك لا محالة إيلاهم واستخفاف بهم وإنما أراد الله تعالى بذلك اعلام نبيه صلى الله عليه وآله والمؤمنين أنه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل لاه صلاحة الدعاية إلى ذلك وأنهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب أن يهبطوا بها ويحسدوا عليها إذ كانت هذه عاجلتهم والعقاب الأليم في النار أجلتهم وهذا جواب أبي علي الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تأمل له فقال كيف يصح هذا التأويل مع أننا نجد كثيراً من الكفار لا تسالهم أيدي المسلمين ولا يقدرون على غنيمة أموالهم وتجد أهل الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهود وليس هذا الاعتراض بشيء لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد عن أوجب الله تعالى محاربتهم فأما الذين هم بحيث لا تسالهم الأيدي أو هم من القوة على حد لا يتم معه غنيمة أموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يسى ويقم ويجاهد ويقلب وإن لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على أنه غير مراد .. وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم

بذلك كلما يدخله في الدنيا عليهم من القوم والمصاب بأموالهم وأولادهم التي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجالبة للعوض والنفع ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع أنه حي من العذاب الدائم الذي قد أعد له وإعلامه أنه صائر إليه أو ينتقل إلى قراره وهذا الجواب قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره أبو علي الجبائي أيضاً .. ورابعها جواب يحكى عن الحسن واختاره الطبري وقدمه على غيره وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم لأن ذلك يؤخذ منهم على كره وهم إذا اتفقوا فيه اتفقوا بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يتحققون عليها أجراً .. [قال الشريف المرتضى] رحمه الله وهذا وجه غير صحيح لأن الوجه في تكليف الكافر إخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك وعمل أن يكون إنما كلف إخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لأن ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة والاعتكاف في التكليف ولا يجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من أن المصاب بالقوم تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجه حسنها للعقوبة والمحنة جميعاً ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجه واحد وهو المصلحة في الدين فاقترن الأمران وليس لهم أن يقولوا ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم وإنما هو في إخراجهم لأموالهم على سبيل التكره والاستتقال وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكره وخرج الأمر من أن يكون مراداً لله تعالى لأنه جل وعز ما أراد منهم إخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة وقربة فإذا أخرجوها متكرهين مستغنيين لم يرد ذلك فكيف يقول إنما يريد الله ليذهب بها ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريد الله تعالى .. [قال الشريف] رحمه الله وجميع هذه الوجوه التي حكيناها في الآية إلا جواب التقديم والتأخير مبنية على أن الحياة الدنيا ملوك للعذاب فيجعل كل متأول من القوم ضرباً من التأويل ويوافق ذلك وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلفوه ولا إلى التقديم والتأخير إذا لم يجعل الحياة نظراً للعذاب بل جعلناها نظراً للفعل

الواقع بالأموال والأولاد المتعاقب بها لأننا قد علمنا أولاً أن قوله ليعذبهم بها لا يد من الانصراف عن ظاهره لأن الأموال والأولاد نفسها لا تكون غذاءاً والمراد على سائر وجوه التأويل المتعاقب بها والمضاف إليها سواء كان اتفاقها والمنصية بها والقسم عليها أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن أيدي مالكيها فكان تقدير الآية إنما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا بما يتعاقب بأموالهم وأولادهم ويتصل بها فإذا صح هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تفضب الله تعالى وتسخطه كإفراقهم الأموال في وجوه المعاصي وحماهم الأولاد على الكفر وإلزامهم الموافقة لهم في النحلة ويكون تقدير الكلام إنما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا وهذا وجه ظاهر يقى عن التقديم والتأخير وسائر ما ذكره من الوجوه . . فإما قوله تعالى (وترهق أنفسهم) فمعناه يثقل بهم وتخرج أي أنهم يعنون على الكفر وليس يجب إذا كان مريداً لأن ترهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يكون مريداً للحال نفسها على ما ظنوه لأن الواحد منها قد يأمر غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البنى وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريداً لحرب أهل البنى للمؤمنين وإن أراد قتالهم على هذه الحالة وكذلك قد يقول لعلامه أريد أن تواظب على التصير إلى في السجن وأنا محبوس وللطبيب صر إلى ولازمي وأنا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس وإن كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين . . وقد ذكر في ذلك وجه آخر على أن لا يكون قوله (وهم كافرون) حالاً لزهوق أنفسهم بل يكون ذلك كأنه كلام مستأنف والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وترهق أنفسهم وهم مع ذلك كافرون صائرُونَ إلى النار وتكون الفائدة أنهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ويكون معنى ترهق أنفسهم على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال ضربت فلاناً حتى مات وتلفت نفسه وأخرجت روحه وما أشبه ذلك

[قال الشريف] رضى الله عنه ذا كرتى قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين وطبقاتهم واثنوا إلى مروان بن يحيى بن أبي حفصة فأفرط بعضهم في وصفه وتقريره

وقضيله وآخرون في ذمه وتهجينه والازراء على شعره وطريقته واستغبروا عما اعتقده فيه فقلت لهم كان مروان مساوى الكلام متشابه الألفاظ غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق فيها فلذلك قلت النظائر في شعره ومدامحه مكررة الألفاظ والمعاني وهو غزير الشعر قليل المعنى الا انه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق وهو أشعر من كثير من أهل زمانه وأشعر شعراء أهله ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ وتدقيق المعاني وحسن الألفاظ ووقوع التشبيهات ودون بشار بن برد في الأبيات النادرة السائرة فكأنه طبقة بينهما وليس بمقصر دونهما شديداً ولا منحط عنهما بعيداً وكان اسحق بن ابراهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم وكذلك أبو عمرو الشيباني وكان الأصمعي يقول مروان مؤلف وليس له علم باللغة واختلاف الناس في اختيار الشعر بحسب اختلافهم في التنبية على معانيه وبحسب ما يستنبطونه من مذهبهم وطرائقه فثبت عند ذلك أن أذكر مختار ما وقع الى من شعره وأنبه على سرقاته ونظائره شعره وان أملى ذلك في خلال المجالس وأثنائها • فما يختار من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهدي أولها

أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحْبَةِ عَائِدُ أَجَلٌ وَاسْتَخَفَّتْكَ الرُّسُومُ الْبَوَائِدُ
يقول فيها

تَذَكَّرْتُ مِنْ تَهْوَى فَأَبْسَكَكَ ذِكْرُهُ

فَلَا الذِّكْرُ مَنَسِيٌّ وَلَا الدَّمْعُ جَامِدُ

تَحْنُ وَيَأْتِي أَنْ يُسَاعِدَكَ الْهَوَى	وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ هَوَى لَا يُسَاعِدُ
أَلَا طَالَمَا أَتَيْتَ دَمْعَكَ طَائِعًا	وَجَارَتْ عَلَيْكَ الْآلِسَاتُ النَّوَاحِدُ
تَذَكَّرْنَا أَنْصَارَهَا مَقْلُ النَّمَا	وَأَعْنَقَهَا أَذْمُ الطَّبَائِ الْعَوَاقِدُ
تَسَاقَطُ مِنْهُنَّ الْأَحَادِيثُ غَضَّةً	تَسَاقَطَ دُرٌّ اسْلَمْتُهُ الْمَعَاقِدُ

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجَاذَبْتَ
يَمَانِيَّةً يَنَازِي الْقَرِيبُ مَحَلَّةُ
تَجَلَّى الشَّرَى عَنْهَا وَلِلْعَيْسِ أَعْيُنُ
إِلَى مَلِكٍ يَنْدَى إِذَا يَبَسَ الثَّرَى
لَهُ فَوْقَ مَجْدِ النَّاسِ مَجْدَانِ مِنْهُمَا
وَاحْوَاضُ عَزَّ حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا
أَبَادِي بَنَى الْمُبَاسَّ بَيْضُ سَوَابِغُ
وَهُمْ يَمْدُلُونَ السَّمَكِ مِنْ قُبَّةِ الْهَدَى
سَوَاعِدُ عِزِّ السُّلَمِينَ وَإِنَّمَا
يَكُونُ غَرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ
كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا

[قال الشريف] رضى الله عنه .. أما قوله

تساقط منهن الأحاديث غضة تساقط دُرٌّ أسلمت المعاهد

فيكثر في الشعر وأظن أن الأمل في أبو حية الغبري في قوله

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثُ لَاقَتْنِي سَقُوطَ حَصَى الرَّجَانِ مِنْ سِلْكٍ نَاطِمٍ^(١)

(١) وهو من أبيات أولها

وخبرك الواشون أن لن أحكم
أصد وما الصد الذي تعلمينه
حياء وبقيأت تشيع نعيمة
فان دما لو تعلمين جنيته
أما إنه لو كان غيرك أوقلت
بل وستور الله ذات المحارم
مراء بكم إلا ابتلاع الملاحم
بنا وبحكم ان لأهل التمام
على الحمي جاني مثله غير سالم
إليه القني بالرافعات الأهازم

واتما عنى بالمرجان صغار اللؤلؤ وعلى هذا يتأول قوله تعالى (يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ) .. ومثله قول الآخر

هِيَ الدُّرُّ مَثُورًا إِذَا مَا تَكَلَّمَتْ وَكَالدُّرِّ يَجْمُوعًا إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ
.. ومثله

مِنْ تَغْرِهَا الدُّرُّ النَّظِيرُ مُمْ وَقَطُّهَا الدُّرُّ النَّظِيرُ

ونظيره قول البحتري وأحسن غاية الاحسان

وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّقَا مَوْعِدَ لَنَا تَعَجَّبَ رَأْيِي الدُّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً
قَدِّنَ لَوْلُؤُهَا عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلُؤٍ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَا قِطْعَةً
ومثله قول الأخطال

خَلَوْتُ بِهَا وَسَجَفُ اللَّيْلِ مُلْقِي وَقَدْ اصْغَمْتُ إِلَى الْقَرَبِ النُّجُومُ
كَأَنَّ كَلَامَهَا دُرٌّ نَذِيرُ وَرَوَّقُ تَغْرِهَا دُرٌّ نَظِيمُ

ولغيره

تَبَسَّمتْ فَرَأَيْتُ الدُّرَّ مُنْتَظِمًا وَحَدَّثَتْ فَرَأَيْتُ الدُّرَّ مُنْتَثَرًا

ولآخر

وَتَحْفَظُ لَأَمِنْ رِيَّةٍ يَحْدَرُونَهَا وَلِسَكْنِهَا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ تُحْفَظُ
وَتَلْفُظُ دُرًّا فِي الْحَدِيثِ إِذَا جَرَى وَلَمْ تَرَ دُرًّا قَبْلَ ذَلِكَ يُلْفَظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا

أَظْهَرْنَ وَصْلًا إِذْ رَحِمْنَ مُنِيمًا وَأَرَيْنَ هَجْرًا إِذْ خَشَيْنَ مُرَاقِبًا

ولكنه والله ما طل مسلماً

إذا من ساقطان الأحاديث للفي

رمين فأقصدن القلوب ولا ترى

كفر التنايا واضعاع الملاغم

سقوط حصي المرجان من سلك ناظم

دما ماثرا الأجوى في الحيازيم

فَنَظَّمْنَ مِنْ دُرِّ الْعَبَّاسِ جَامِدًا وَتَثَرْنَ مِنْ دُرِّ الْمَدَامِ مَعَ دَائِبًا

[قال الشريف] رضى الله عنه وليس قول أبي هذيل في سفة الحديث

كَتَسَا قَطِرُ الرُّطْبِ الْجَنِّىَّ مِنَ الْأَقْنَاءِ لَا تَثَرًا وَلَا تَرَرًا

من هذا الباب في شيء لأن جميع ما تقدم هو في وصف الثغر وهذا في وصف حسن الحديث وأنه متوسط في القلة والكثرة لازم للقصد كانتشار الرطب من الاقناء ويشبهه أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفه بالحلاوة والفضاضة لتشبيهه له بالرطب ثم أنه غرض طري غير مكرر ولا معاد لقوله الرطب الجنى فيجتمع له أغراض الوصف له بالفصاحة والاقتصاد في القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم الغضاضة . ونظير قول أبي الهذيل قول ذى الرمة

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَأَهْرًا وَلَا تَرَرٌ^(١)

فأما قول مروان

إِلَى مَلِكٍ تَتَدَّى إِذَا بَسَّسَ الثَّرَى بَنَاتِلُ كَفَّيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ

فقل قول أبي حنن النخعي في يحيى بن خالد البرمكي

لَا تَرَانِي مُصَافِحًا كَفَّ يَحْيَى إِنِّي إِنْ قَعَلْتُ اتْلَفْتُ مَالِي

(١) وبعده

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالأللاب مافعل الخمر

— رخم الحواشي — لينها والهرام — كمراب المتطابق الكثير أو الفاسد الذي لا نظام له . . . وروى أن الفرزدق حضر مجلس عبد الله بن أبي اسحاق فقال له كيف تشد هذا البيت وعينان قال الله كونا الخ فأثمه فعولان فقال له عبد الله ما كان عليك لو قلت فعولين فقال له الفرزدق لو شئت أن أصبح لسمعت ونهض فلم يعرفوا مراده فقال عبد الله لو قال فعولين لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما ولكنه أراد أنهما ففعلان مافعل الخمر اه وكان هنا نامة لاخير لها

لَوْ يَمْسُ الْبَخِيلُ رَاحَةً يَحْيَى لَسَخَتْ نَفْسُهُ يَنْدَلِ النَّوَالِي

ومثله قول ابن الخياط المدني في المهدي

لَمَسْتُ بِكَفِّيْ كَفَّهُ أَتَنِي النَّيْ وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُووُ النَّيْ أَقْذَتْ وَأَعْدَانِي فَاتْلَفْتُ مَا عِنْدِي

وقد قيل ان هذا الشاعر كأنه مصرح بالهجاء لأنه زعم ان الذي لمس كفه لم ينده شيئاً بله أعداء جوده فأتلف ماله ولم يرد الشاعر إلا الممدح ولقوله وجه وهو ان ذوى النغي هم الذين تستقر الأموال في أيديهم وتلبث تحت أيمانهم ومن أخرج ما يملكه حالا بحال لا يوصف بأنه ذو غنى فأراد الشاعر اني لم أقد منه ما بقي في يدي واستقر تحت ملكي فلهذا قال لم يند ما أفاد ذوو النغي . . ومن هذا المعنى قول مسلم

إِلَى مَلِكٍ لَوْ صَافَحَ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَأَا كَانَ حَيٌّ فِي الْبَرِيَّةِ يُبْخَلُّ

ومثله قول أبي العكوك

لَوْ لَمَسَ النَّاسُ رَاحَتِيهِ مَا بَخَلَّ النَّاسُ بِالْعَطَاءِ

وأحسن من هذا كله وأشبه بالمدح وأدخل في طريقته قول البحتري

مَنْ شَاكَرْتُ عَنِّي الْخَلِيفَةَ بِالَّذِي أَوْلَاهُ مِنْ طَوْلِ وَمِنْ إِحْسَانِ
مَلَأَتْ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ بَخْلِي فَاْفَقَرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ أَرَانِي
وَوَقِفْتُ بِالْخَلْفِ الْجَمِيلِ مُعْجَلًا مِنْهُ فَأَعْطَيْتُ الَّذِي أَعْطَانِي

ومن هذا المعنى قول الآخر

رَأَيْتُ النَّدَى فِي آلِ عَوْفٍ خَلِيقَةٌ إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ سِوَاهُمْ تَخَلُّقًا
وَلَوْ جَزَّتْ فِي أَيَّامِهِمْ لَتَعَلَّمْتُ يَدَاكَ النَّدَى مِنْهُمْ فَأَصْبَحْتَ مُنْقَلَبًا

ولابن الرومي

يَجُودُ الْبَخِيلُ إِذَا مَارَّ آ لَوْ سَطُوا الْجَبَانَ إِذَا هَانِكَ

وأما قوله

وَأَحْوَاضِ عَزَّ حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا وَأَحْوَاضِ عُرْفِ إِبْلِيسَ عَتْنُ زَائِدٌ
لَيْسَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصُّلِّي أَخَذَهُ فِي قَوْلِهِ

لَنَا إِبْلِ كَوْمٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا وَتَقْتَرُ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا
فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا وَمِنْ دُونِنَا أَنْ نُسْتَدَمَّ دِمَاؤُهَا
حَمِيٍّ وَقَرِيٍّ فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا وَأَلَيْسَ رُخْطَبٍ عِنْدَ حَقٍّ فَنَاوُهَا^(١)

وقد أحسن إبراهيم في آياته كل الاحسان فأما قوله

يَكُونُ غِرَارًا تَوَمُّهُ مِنْ حِذَارِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقُ رَاقِدٌ

فكثير متداول .. ومن أحسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات

يَنْمُ الْخَلِيفَةُ لِلرَّعِيَّةِ مَنْ إِذَا رَقَدَتْ وَطَابَ لَهَا الْكَرَى لَمْ يَرْقُدِ
.. ومثله

وَيَظْلُ يَحْفَظُنَا وَغَنُ بِنْفَلَةٍ وَبَيْتُ يَكْلُونَا وَغَنُ نِيَامُ

ومثله للبحرني

أَرْبِيعَةُ الْفَرَسِ اشْكُرِي بِدَمْنِمْ وَهَبَ الْإِسَاءَةَ لِلْمُسِيءِ الْجَانِي
رَوَّعْتُمَا جَارَاتِهِ فَبَعَثْتُمَا مِنْهُ حَمِيَّةَ آئِفٍ غَيْرَانِ
لَمْ تَكْرَعَنَّ فَاصِي الرِّعَةِ عَيْنُهُ فَتَنَّمَ عَنْ وَتَرِ الْقَرِيبِ الدَّانِي

فأما قوله

(١) كان نعلب بقول كان إبراهيم بن العباس أشعر الحمدتين وينشد هذه الأبيات

ويقول لو كان هذا لبعض الأوائس لاشجيد له ولم يرو نعلب قط شعر كاتب غيره

(٢١ - أمالي نبي)

كَأَن أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا لِرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ

فَضَائِلُ قَوْلِ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ فِي بَعْضِ بَنِي خَالِدٍ

أَحْيَى لَنَا يَحْيَى فِعَالٌ خَالِدٍ

يَسْخُو بِكُلِّ طَارِفٍ وَتَالِدٍ

النَّاسُ فِي إِحْسَانِهِ كَوَاحِدٍ

وَمِنْ جَيِّدِ قَوْلِ مَرْوَانَ مِنْ قَصِيدَةِ أَوَّلِهَا

خَلَّتْ بَعْدَنَا مِنْ آلِ لَيْلَى الْمَصَانِعُ

يَقُولُ فِيهَا

وَمَا لِي إِلَى الْمَهْدِيِّ لَوْ كُنْتُ مُذْنِبًا

وَلَا هُوَ عِنْدَ السَّخَطِ مِنْهُ وَلَا الرَّضَى

تَفُضُّ لَهُ الطَّرْفُ الْعَيُونُ وَطَرَفُهُ

أَمَا قَوْلُهُ - وَلَا هُوَ عِنْدَ السَّخَطِ مِنْهُ وَلَا الرَّضَى - الْبَيْتُ ٠٠ فَنَلَّ قَوْلُ أَشْجَعِ

وَلَسْتُ بِجَانِفٍ لِأَبِي عَلَى

وَمَنْ خَافَ الْإِلَهَ فَلَنْ يَخَافَا

٠٠ وَمِثْلُهُ

أَمْنِي مِنْهُ وَمَنْ خَوْفِي

خِيفَتُهُ مِنْ خَشْيَةِ الْبَارِي

وَلَا بِي نَوَاسٍ

فَذَكُنْتُ خُفْتُكَ ثُمَّ أَمْنِي

مَنْ أَنَّ أَخَافَكَ خَوْفُكَ اللَّهُ

وَيُسَبِّحُ هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ دَعَا غُلَامًا مَرَارًا

فَلَمْ يَجِبْهُ نَخْرَجْ لَوْ جَدَّهُ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَقَالَ لَهُ مَا حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِ اجَابَتِي قَالَ كَلِمَتٌ عَنْ

اجَابَتِكَ وَأَمَنْتُ بِعَقُوبَتِكَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي مِمَّنْ يَأْمَنُ خَلْقَهُ ٠٠

فأما قوله - تنض له الطرف العيون - فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول الفرزدق أو من
نسب^(١) إليه هذه الأبيات

يُنْفِضِي حَيَاءً وَيُنْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَنَسَّمُ

(١) قوله أو من نسب إليه يشير بهذا الى ان القصيدة المشهورة التي نسب للفرزدق
في سيدنا زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم التي قالها لما قال هشام حين
سأله رجل من أهل الشام من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة وذلك ان هشام حجج في
خلافة أبيه فطاف ولم يستطع استلام الحميم لشدة الزحام فلما جاء زين العابدين رضي
الله عنه تخفى الناس له فقال هشام للشامي لا أعرفه فقال الفرزدق أنا أعرفه وأنا أقول
هذا سليل حسين بن علي فاطمة بنت الرسول الذي انجابت به الظالم

لجبه هشام بين مكة والمدينة فقال الفرزدق أبياته التي منها

يَقْلَبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنَا لَهُ حَوْلَاءُ بَادِرَ عِيُوبِهَا

فذلك ثم بعث اليه زين العابدين رضي الله عنه اثني عشر ألف درهم فردها وقال مدحتك
لله تعالى لا للمعطاء فقال زين العابدين إنا أهل بيت اذا وهبنا شيئاً لا نستعيده فقبلها ولم
ينبذ للفرزدق منها غير سبعة أبيات ولبب بعضها الى أبي دهل الجهمي . . وأما قوله
ينفضي حياء الخ وقوله

في كفه خبزان ريحهما عبق في كفه أروع في عرينه شم

ف قيل انهما لداود بن سلم يدح بهما قم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد
المطلب وبهذهما

كم هانف بك من أوج وراية يدعوك يا قنم الخبيرات يا قنم

وروي من غير هذا الوجه ان عبد الله بن عبد الملك حج فقال له أبوه سيأتيك الحزين
الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان فاياك أن تحتجب عنه وأرضه وصفته انه أشمر ذو
بطن هظيم الأنف فلما قدم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه وقال له إياك أن ترد فم يأت
الحزين حتى قام لينام فقال له الحاجب قد ارتفع فلما ولي ذكر فليبقه فقال ارجع

﴿ مجلس آخر ٤٠ ﴾

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللارسول إذا دعاكم لما يحبيكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) .. وقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تأوله قوم من أنه يحول بين الكافر والایمان وما معنى قوله لما يحبيكم وكيف تكون الحياة في اجابته .. الجواب قلنا أما قوله تعالى (يحول بين المرء وقلبه) فله وجوه .. أولها أن يريد بذلك تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حث من الله عزوجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف وتعذر ما يستوفى به المكلف نفسه من التوبة والاقلاع فكأنه تعالى قال بادروا الى الاستجابة لله وللارسول من قبله أن يأتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم ما تسوفون به نفوسكم من التوبة

فان تأذن له فأدخله فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه وفي يده قضيب خبزان وقف ساكناً فأمهله عبد الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له السلام عليك رحلك الله أولاً فقال عليك السلام وحيأ الله وجهك أيها الأمير اني قد كنت مدحتك بشعر فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهاءك أذهلني عنه فأنسيت ما كنت قلته وقد قلت في مقامى هذا يتبين فقال ما هذا فقال

في كفه خبزان وبهما عبق من كف أروع في عرينه شمع
بغضى حياه وبغضى من بهاته فاسكنكم إلا حين يتسم

بتقديم الأول على الثاني في هذه الرواية فأجازه فقال اخذني أصلحك الله فانه لا خادم لي فقال اختر أحد هذين الغلامين فأخذ أحدهما فقال له عبد الله أعلينا ترذل خذ الأكبر والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو غلط بمن رواه فيها وليس هذان البيتان مما يمدح به مثله وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد

بقلوبكم ويعتوى ذلك قوله تعالى (وأنه اليه تحشرون) .. وثانيها أن يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه وأن كان حياً وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه أنه بغير عقل قال الله تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) .. قال الشاعر
وَلِيَّ أَلْفُ وَجْهِ قَدْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ وَلَكِنْ بِلَا قَلْبٍ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ
وهذا الوجه يقرب من الأول لأنه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الإنذار لهم والحث على الطاعات قبل فواتها لأنه لا فرق بين تضرر الثوبة بانقطاع التكليف بانوت وبين تضررها بإزالة العقل .. وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قربيه من عباده وعلمه بما يسطنون ويخفون وإن الضمائر المكتومة له ظاهرة وإخفايا المستورة لعلها بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ونحن نعلم أنه تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه وإذا كان عز وجل هو أعلم بما في قلوبنا منّا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن نساء واسوء عنه وأضل عن علمه وكل ذلك لا يجوز غاية جاز أن يقول أنه يحول بيننا وبين قلوبنا لأنه معلوم في الشاهد أن كل شيء يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما .. ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف وأن كان القرب الذي عناء جعلت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيراً لفظ القرب على غير معنى المسافة فيقولون فلان أقرب إلى قاي من فلان وزيد مني قريب وعمرو مني بعيد ولا يريدون بذلك قرب المسافة .. ورابعها ما أجاب به بعضهم من أن المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فأعلمهم تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأنه يبده بالخوف أمناً ويبذل عدوهم بظنهم أنهم قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخوف .. ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون المراد أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يبدعه اليه قلبه من القبائح بالأمر والهي والوعد والوعيد لأننا نعلم أنه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن التبيح مانع ولا عن مواقفته رادع فكان التكليف حائلاً بينه وبينه من حيث زجر عن فعله وصرف عن مواقفته وليس يجب في الحائل أن يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل لأننا نعلم أن المشير منّا على غيره في أمر كان قد هم به

وعزم على فعله أن يجنبه والنبيه على أن الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال منه
منه وحال بينه وبين فعله . . قال عبيد الله بن قيس الرقيات

حَالُ دُونَ الْهَوَى وَدُوْنِ سُرَى اللَّيْلِ مُصْنَبُ
وَسَيَّاطُ عَلَى أَكْ مَرِّ رِجَالٍ تَقْلُبُ

ونحن نعلم أنه لم يعمل إلا بالتعويف والترهيب دون غيرهما . . فان قيل كيف يطابق
هذا الوجه صدر الآية . . قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى أمرهم بالاستجابة لله
تعالى ولرسوله فيما يذعون اليه من فعل الطاعات والامتناع من المقتضيات فاعلمهم أنه بهذا
الدعاء والانذار وما يجري مجراها يحول بين المرء وبين ما يدعو اليه نفسه من المعاصي
ثم ان المآب بعد هذا كله والمنقلب الى ما عنده فيجازي كلاً باستحقاقه . . فأما قوله تعالى
(اذا دعاكم لما يحكيكم) ففيه وجوه . . أولاً أن يريد بذلك الحياة في النعيم والثواب لان
تلك هي الحياة الدائمة الطيبة التي يؤمن من تغيرها ولا يخاف انتفاها فكانه تعالى حث
على اجابته التي تكسب هذه الحال . . وثانياً انه يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال
العدو فكانه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه الصلاة والسلام فيما يأمرهم به من
قتال عدوهم ودفعهم عن حوزة الاسلام وأعلمهم ان ذلك يحبيهم من حيث كان فيه
قهر للمشركين وتخليد لعدوهم وقل لجهدهم وحسن لاطماعتهم لانهم متى كثروا وقروا
استلنوا جانب المؤمنين وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره فمن هنا كانت الاستجابة
له عليه الصلاة والسلام تقتضي الحياة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (واكم في
القصاص حياة) . . وثالثاً ما قاله قوم من ان كل طاعة حياة ويوصف فاعلمنا بأنه حي كما
ان المعاصي يوصف فاعلمنا بأنه ميت والوجه في ذلك ان المؤمن الطائع لما كان منتفعاً
بحياته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حياة ولما كان الكافر العاصي لا ينتفع
بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب الدائم كان في حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منقصر
الحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حياة وما جرى مجرى ذلك من حيث لا ينتفع
بحياته . . ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة في الحكم لافي

الفعل لانا قد علمنا انه عليه الصلاة والسلام كان مكلفاً مأموراً بمجهاد جميع المشركين
 المخالفين للملة وقتلهم وان كان فيها بعد كلف ذلك فيمن عدا أهل الذمة على شروطها
 فكأنه تعالى قال فاستجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم كنتم في الحكم غير
 أحياء من حيث تعبد عليه الصلاة والسلام بقتالكم وقتلكم فاذا أطعتم كنتم في الحكم
 أحياء ويمرر ذلك مجرى قوله تعالى (ومن دخله كان آمناً) وانما أراد تعالى إنما يجب
 أن يكون آمناً وهذا حكمه ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع .. فأما المجبرة فلا شبهة لهم
 في الآية ولا متعلق بها لانه تعالى لم يقل انه يحول بين المرء وبين الايمان بل ظاهر الآية
 لا يقتضي أن يحول بينه وبين أفعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه
 وليس للإيمان ولا للكفر ذكر .. ولو كان للآية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك
 ولا يضر قناعت بأدلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول بين المرء وبين مأموره وأراد
 منه وكأنه فعله لان ذلك قبيح والتباعد عنه منفية .. أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن
 عمران المرزباني قال حدثني أحمد بن محمد الجومري قال حدثنا الحسن بن غليل الغفزي
 قال حدثنا أحمد بن عمرو بن اسمعيل بن عبيد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن بن
 عوف قال حدثني عمرو بن خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال لما اشتد بمحسن بن
 خديجة بن بدر وجهه من طعنة كرز بن عامر إياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال ان الموت
 أهون مما أجد فأبكم يطعن قالوا كلنا نطيعك فبدأ بأكبرهم فقال قم فخذ سيفي واطعن
 به حيث أمرك ولا تجعل قال يا أبتاه أقتل المرء أباه فأبى على القوم كلهم فأجابوه بجواب
 الأول حتى انتهى الي عينة فقال يا أبتاه ليس لك فيما تأمرني به راحة ولي بذلك طاعة
 وهو هو قال بل قال فأمرني كيف أصنع قال الق سيف انما أردت ان أعلم أبكم
 أمضى لما أمرك به فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدى فقال القوم انه سيقول في ذلك
 آياتاً فأحضروه فلما أمسى قال

وَلَوْ أَنَّ عَيْنَةً مِنْ بَعْدِي أُمُورَكُمْ
 وَاسْتَيْقَنُوا أَنَّهُ بَعْدِي لَكُمْ حَامٍ
 إِمَاهِلَكْتُ فَإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ
 حِزَّ الْحَيَاةِ بَمَا قَدَّمْتُ قُدَّائِي

وَاسْتَوْسِقُوا لِلَّتِي فِيهَا مَرُوءُكُمْ قَوَدَ الْجِيَادِ وَضَرَبَ الْقَوْمَ فِي الْهَامِ
وَالْقُرْبُ مِنْ قَوْمِكُمْ وَالْقُرْبُ يَنْفَعُكُمْ وَالْبُعْدُ إِنْ بَاعَدُوا وَالرَّيُّ لِلرَّامِي
وَلِيَّ حَذِيفَةُ إِذْ وَلِيَ وَخَلَفَنِي يَوْمَ الْهَبَاةِ يَتِيمًا وَسَطًا أَيْتَامَ
لَا أَرْفَعُ الطَّرْفَ ذُلًّا عِنْدَ مُهْلِكِهِ النَّحْيِ الْعَدُوَّ يَوْجُهُ خَدُّهُ دَامِي
حَتَّى اعْتَقَدْتُ لَوْيَ قُوِي قَعْمْتُ بِهِ ثُمَّ ارْتَحَلْتُ إِلَى الْجَفْنِي بِالشَّامِ
لَمَّا قَضَيْ مَاقَضَى مِنْ حَقِّ زَائِرِهِ عَجْتُ الْمَطِيَّ إِلَى الثُّمَانِ مِنْ عَامِي
اسْتَمُوا لَمَّا كَانَتْ الْآبَاءُ تَطْلُبُهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ فَطَرَفِي عِنْدَهُمْ سَامِي
وَالدَّهْرُ آخِرُهُ شَبَبُهُ لَأَوَلِهِ قَوْمٌ كَقَوْمِ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ
فَانَبَوْا وَلَا تَهْدِمُوا فَاالنَّاسُ كُلُّهُمْ مِنْ بَيْنِ بَانٍ إِلَى الْعَلْيَا وَهَدَامِ

قال ثم أصبح ودعاني بدر فقال لو أفي ورياستي لعينة واسمعوا مق ما أوصيكم به لا يسهل
آخركم على أولكم فاعلموا بدرك الآخر ما أدركه الأول وانكحوا الكف الغريب فانه
عز حادث واذا حضركم أمران خذوا بخيرهما صدراً فان كل مورد معروف واحبوا
قومكم بأجل أخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان الخلاف يزرى بالرئيس
المطاع واذا حدثتم فاربعوا ثم قولوا الصدق فانه لا خير في الكذب وصونوا الخليل
فانها حصون الرجال وأطبلوا الرماح فانها قرون الخيل وأصروا الكبير بالكبر فاني بذلك
كنت أغلب الناس ولا تغزوا إلا بالعيون ولا تسرحوا حتى تأضوا الصباح واعطوا
على حسب المال واعجلوا الضيف بالقرى فان خيره أعجبه واتقوا فضيحات البنى وفلنات
الزراح ولا نجبروا على الملوك فان أيديهم أطول من أيديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات
محسن فأخذ عينة الرياسة .. وقال

أَطَلْتُ أَبَا عَيْنَةَ فِي هَوَاهُ وَلَمْ تَخْرِجْ صَرِيئَتِي الظُّنُونُ

وَقَدْ مَرَضَ الرَّئِيسَ عَلَى بَنِيهِ فَقَالَ الْقَوْمُ هَذَا لَا يَكُونُ
 سَحِيحًا أَوْ تَمُوتُ فَطَاوَلُوهُ وَقَتْلُ الْمَرْءِ وَالِدَهُ جُنُونُ
 فَلَمْ أَقْتُلْ بِحَمْدِ اللَّهِ حِصْنًا وَكُلُّ فَتَى سَيُذْرِكُهُ الْمَنُونُ
 وَلَمْ أُنْكَلْ عَلَيْهِ وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا هَوْنَتْهُ يَوْمًا يَهُونُ
 فَإِنَّ يَكُ بَدَأَ هَذَا الْأَمْرَ غَثًا فَأَخِرُهُ بَنِي بَذَرِ سَمِينُ

وحكى عمر بن بحر الجاحظ أن اسم عينة بن حصن حذيفة وإنما أصابته اللقوة فحفظت عينه وزال فكه فسمي لذلك عينة وإذا عظمت عين الإنسان لقبوه أبا عينة وأبا العينية . . . وروى قيس بن أبي حازم أن عينة بن حصن بن حذيفة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا أحق مطاع . . . وروى أيضاً أنه كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلام وهو صبي فبش له فقال له عينة أراك تضع هذا بهنما فوافقه أنه ليكون لي الابن رجلاً قد خرج وجهه ما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لا يرحم من لا يرحم . . . ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فما يختار من شعره قوله من فصيحة أولها

صَحَابَتِي جَهْلِي فَاسْتَرَجَتْ عَوَاذُهُ وَأَقْصَرَ عَنْهُ حِينَ أَقْصَرَ بِاطِلُهُ
 وَمَنْ مَدَّ فِي أَيَّامِي فَتَأَخَّرَتْ مَنِيَّتُهُ فَالْشَّيْبُ لَا شَكَّ شَامِلُهُ
 هُوَ الْمَرْءُ إِمَّا دِينُهُ قَهْوٌ مَانِعٌ صَوْنُهُ وَإِمَّا مَالُهُ قَهْوٌ بَادِلُهُ
 أَمْرٌ وَأَحْلَى مَا بَلََا النَّاسُ طَعْمُهُ عِقَابُ أَمِيرِ الدُّوْمَيْنِ وَنَائِلُهُ
 أَجِبْ لِمَا بَأْبَى ذَوُو الْحَرَمِ وَالنَّعْيِ فَمَوْلُ إِذَا مَا جَدَّ بِالْأَمْرِ فَاعِلُهُ
 تَرَوْكُمُ الْهَوَى لَا السَّخَطُ مِنْهُ وَلَا الرَّضَى

لَدَى مَوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ

بَرِي أَن مُرَّ الْحَقِّ أَحْلَى مَمْبَةً وَأَنْجَا وَلَوْ كَانَتْ زُعَافًا مَنَاهِلُهُ
فَإِنَّ طَلِيقَ اللَّهِ مِنْهُ هُوَ مُطْلَقٌ وَإِنْ قَتِيلَ اللَّهُ مِنْهُ هُوَ غَاتِلُهُ
وَإِنَّكَ بِمَدَدِ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الَّذِي تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مَفَاصِلُهُ
•• أما قوله - ومن مد في آياته لتأخرت • منيته فالشيب لاشك شامله •• فأخوذ من

قول طريح بن اسمعيل الثقف

وَالشَّيْبُ غَايَةُ مَنْ تَأَخَّرَ حِينُهُ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعُهُ مِنْ يَجَزَعُ
وَالْأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وَالْمَوْتُ كَأْسٌ وَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا وَيُشَبِّهُ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ

قُلْ لِمَرِي لَيْسَ شَيْبِي بِمَجَبٍ مَنْ يَمِشْ يَأْمٌ عَمَارٍ يَشِيبُ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الْعَاشَةِ

مَنْ يَمِشْ يَكْبَرُ وَمَنْ يَكْبَرُ يَمُتْ وَالْعَنَابُ لَا تَبَالِي مَنْ أَتَتْ
وَيُشَبِّهُهُ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ

وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ فَإِمَّا الشَّبَابُ وَإِمَّا الْمُرُ
وَقَوْلُهُ

وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مِنْ جَارِي مَشِيبَتِهِ وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَرَبِ
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتِزِ

قَالَتْ كِبَرَتْ وَأَتَمَّيْتُ مِنَ الصَّبَا فَقَلْتُ لَهَا مَا عِشْتُ إِلَّا لَا كِبَرًا
وَلِبَعْضِهِمْ

وَلَا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ فَإِذَا مَشِيبَةٌ وَإِمَّا مَشِيبٌ وَالشَّيْبَةُ أَصْلَحُ

معنى قوله - والشيبية أصلح - إن الإنسان إذا ملك شاباً كان أكثر حزن عليه

والأسف على مفارقتك فإذا أسن برم به أهله وهان عندهم فقد .. فأما قوله
هو المرء إمادينه فهو مانع صون وإما ماله فهو باذله
فمنه مكرر في الشعر كثير جداً .. وأحسن شعر جمع بين وصف المدوخ جمع
ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد الأنصاري
يذكرُ نيك الجود والبخل والنهي وقول الخنا والحلم والعلم والجمل
فالفاك عن مذمومها ممتازها والفاك في عودها ولك الفضل
وأحمد من أخلاقك البخل إنه بديرك لا بأعمال حاشاك البخل
وقد أحسن البحري في قوله

بلونا ضرائب من قد نرى فما إن وجدنا لفتح ضريباً
تنقل في خلقي سودد سماحاً مرجي وباساً مهبياً
فكالسيف إن جنته صارخاً وكالبخر إن جنته مستثبياً
فأما قوله - تروك الهوى لا الخط منه ولا الرضى - البيت .. فمضى متداول مطروق في
الشعر وقد ذكره هو في قوله

إذا هن القين الرحال بيا به حططن به مثلاً وأذكر كن منمناً
إلى طاهر الأتواب ما نال في رضى ولا غضب مالا حراماً ولا دماً
وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات

تبنت الجنان إذا اضطكت بمظلمة في رحله السن الأقوام والر كب
لا المنطق الهوى يزكوفي تبسمه يوماً ولا حجة الملهوف تستلب
كأنما هو في نادى قبيله لا القلب يغفو ولا الأحشاء تضطرب
وتحت ذاك قضا حز شفرته كما بعض يظهر الغارب القتب

لَا سَوْرَةَ تُتَعَى مِنْهُ وَلَا بَلَّةَ وَلَا يَخَافُ رِضَى مِنْهُ وَلَا غَضَبَ
 ومثله قول البحرى في ابن الزيات أيضاً
 وَجَهَ الْحَقَّ بَيْنَ أَخْذٍ وَإِعْطَا
 وَاسْتَوَى النَّاسُ فَالْقَرِيبُ قَرِيبٌ
 لَا يَمِيلُ الْهَوَى بِهِ حِينَ يَمْضِي إِلَى
 وَسْوَالِهِ لَدَيْهِ أَبْنَاءُ إِذَا
 مُسْتَرْجِحُ الْأَخْشَاءِ مِنْ كُلِّ ضَمْنٍ
 وَوَقَصْدٍ فِي الْجَمْعِ وَالتَّبْدِيدِ
 عِنْدَهُ وَالْبَعِيدُ غَيْرُ بَعِيدٍ
 أَمْرٌ بَيْنَ الْمَقْلِيِّ وَبَيْنَ الْوُدُودِ
 هِيمٌ فِي حُكْمِهِ وَأَبْنَاءُ هُودٍ
 بَارِدُ الصَّدْرِ مِنْ غَالِيَةِ الْحُودِ

فلأما قوله - وإن قيل الله من هو قائله - فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول يزيد بن مفرغ في عبيد الله بن زياد لعنهما الله

إِنَّ الَّذِي هَاشَ خَتَّارًا بِذِمَّتِهِ وَمَاتَ عَبْدًا قَتِيلُ اللَّهِ بِالزَّابِ

- أما قوله وانت بعد الله للحكم الذي نصاب به من كل حق مفاصله - . . فيشبهه قول أبي تمام في وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات . . وأجمع العلماء أن هذه الأبيات أحسن وأغنى من جميع ما قيل في القلم

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي يَشَابُهُ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْمَفَاصِلُ^(١)
 لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّامُ لَوْلَا تَقْيُّهَا لَمَا أَحْتَفَلَتْ لَأَمْلَكَ تِلْكَ الْحَافِلُ^(٢)

(١) - الشبابة حد القلم وغيره ومنها الشبابة بالفتح والقصر . . وقوله - تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ - روى أيضاً بنال من الأمر - والكلبي - جمع كلبية وكلوثة جاء بالياء والواو - والمفاصل - جمع مفصل وهو ما تنق كل عظمين . . أراد أن القلم يطبق المفصل ويسادف الحز ويه ينال مقاصد الأمور فإنه ينال بالأقلام ما يعجز عنه مجالدة الحسام
 (٢) قوله - له الخلوات - يعني أن أصحاب القلم هم أهل المشورة وموضع السر يخفي

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرْزِي الْجَنَى أَشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَاسِلٍ^(١)

لهم الملوك المجالس المشورة وبهم يحصل نظام الملك - والنجى - المسارر والتناجي المسارة
 .. وأراد به المشير فإن المشورة تكون سرّاً غالباً - والاحتفال - حمدن القيام بالأمر
 - والمحافل - جمع محفل كجلس ومقعد وهو المجتمع

(١) قوله - لعاب الأفاعي - الخ اللعب ما يسيل من الفم - والقاتلات - صفة كاشفة
 للأفاعي ذكرها تهويل - والأرزي - بفتح الهمزة وسكون الراء مازق من العسل في
 جوف الحلية - والجنى - بفتح الجيم والقصر العسل والاضافة للتخصيص فإن الأرزي
 يأتي أيضاً بمعنى مازق بأسفل القدر من الطيبخ وإن جعلت الأرزي بمعنى العسل
 والجنى بمعنى كل ما يجنى من ثمرة ونحوها يلزم إضافة الموصوف إلى الصفة - واشتارته -
 استخرجه يقال شارفان العسل شوراً وشياراً إذا استخرجه وكذلك أشاره
 واشتاروه وأبذر - جمع يد - والعواسل - جمع عاسلة أي مستخرجة العسل والعاسل
 مستخرج العسل من موضعه والمصرع الأول بالنسبة إلى الأعداء والثاني بالنسبة إلى
 الأولياء .. يعني أن لعاب قلمه بالنسبة إلى الأعداء سم قاتل وبالنسبة إلى الأولياء شفاء
 عاجل .. فقوله لعاب مبتدأ مؤخر ولعاب الأفاعي خبر مقدم وأرزي معطوف على الخبر
 وجاز هذا مع تعريف الطرفين لأن المعنى دال عليه لأن اللعب القاتل إنما هو لعاب
 الأفاعي فاماب القلم مشبه به في التأثير وعلم من هذا أنه ليس من التشبيه المقلوب فإن
 لعاب القلم قد شبه بشئين وهو السم والعسل باعتبارين وإن جعلته من التشبيه المقلوب
 كان من عطف الجمل والخبر في المعطوف محذوف وفيه تكلف اه من شرح الشواهد
 الكبرى .. فقوله السابق وإن جعلت الأرزي بمعنى العسل والجنى بمعنى كل ما يجنى من
 ثمرة ونحوها يلزم إضافة الموصوف إلى الصفة .. قلت إن لزم ذلك فلا محذور فيه فإن
 ابن مالك نص في التسهيل على جواز إضافة الصفة إلى الموصوف والموصوف إلى اللقائم
 مقام الوصف وعمل كل حال فهي مسألة خلافية فذهب البصريون إلى منع ذلك مطلقاً
 وتأولوا ماورد منه وذهب الكوفيون إلى الجواز إذا اختلف اللفظان من غير تأويل

لَهُ رِبْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَمَّهَا بِأَنَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَأَيْلٌ^(١)
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ الْأَطَافَ وَأَفْرَعَتْ

عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ^(٢)

أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْفَنَى وَتَقَوُّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضُ الْخِيَامِ الْجَعَاظِلُ^(٣)
إِذَا اسْتَفْزَرَ الذَّهْنَ الذَّاكِي وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْفِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ^(٤)
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِصْرَانِ وَسَدَدَتْ ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ^(٥)

- محتجبين نحو قوله تعالى (حق اليقين • ولدار الآخرة • بجانب الغربي) وغير ذلك
- (١) قوله - له ربقة طلل - ربقة مبتدا وطل وصفه والظرف قبله خبره والطل المطر الضميف - و أو ايل - وكذا الويل المطر الشديد الضخم القطر • • يقول إن ما يجري من القلم حقير ناله في ظاهري الأمر لكن له أثر خبير عم المشارق والمغارب
- (٢) قوله - إذا ما امتطى الخمس الأطاف - الخ • • أراد بالخمس الأطاف الأصابع الخمس - والشعاب - جمع شعب بكسرهما الطريق في الجبل - والحوافل - جمع حافلة يقال حفل الابلن وغيره حفلا وحفولا اجتمع واحتفل الوادي امتلا وسال
- (٣) قوله - أطاعته أطراف الفنى - الخ • • هو جواب إذا وروى أطاعته أطراف الرماح - وتقوضت - يقال تقوضت الصفوف إذا انتقضت وأصله من تقويض البناء وهو ففضه من غير هدم - والنجوى - السر وتقويض أى كتنقيض الخيام - والجعافل - فاعل قوضت وهو جمع جمعفل بتقديم الجيم على المهملة كجمفر الجيش
- (٤) قوله - إذا استفزر الذهن - استفزره وجده غزيرا وقاعله ضمير القلم - والذكي - المتوقد وروى الخلي بدله واخلي الخالي وإنما تكون أعالي القلم أسافل حين الكتابة
- (٥) قوله - وقد رفدته الخصران - الخ رفدته أعانته - وسددت - قومت

رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنْيَ وَتَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلٌ^(١)

(١) قوله - رأيت جليلاً شأنه - الخ .. رأيت جواب اذا وشأنه فاعل جليلاً وجملة - وهو مرهف - حال وهو اسم مفعول من أرهفت اليف ونحوه اذا رقت شفرته ويقال أيضاً رهفته رهفاً فهو رهيف ومرهوف - وضى - تميز وهو مصدر ضى من باب تعب اذا مرض مرضاً ملازماً - وسميناً - معطوف على جليلاً - وناحل - من نحل الجسم ينحل بفتحهما نحو لا سقم ومن باب تعب

ثم وثقه الحمد الجزء الثاني من كتاب أمالي السيد المرتضى .. وقد صُحِّح هذا الجزء من أوله الى نهاية المزمعة الخامسة عشر منه بتصحيح السيد محمد بدر الدين التمساني ومن ثم الى آخره بتصحيح حضرة الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حلاً وقد بذلا غاية جهدهما فيه تصحيحاً وضبطاً وتفسير ما يحتاج الى إيضاح غامضه أحسن الله اليهما وشكر مساعهما .. وقد ثم وثقه الحمد طبعه في أوائل جمادي الثانية سنة ١٣٢٥ هجرية وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فتح فهدس الجزء الثاني من أمالى السيد المرتضى رحمه الله

- ٣ تأويل خبر إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن الحديث
- ٤ استطراد لذكر ما في الأصبع من اللغات
- ٤ تأويل قوله تعالى : والارض جميعاً قبضته يوم القيامة الآية
(المجلس الثالث والعشرون)
- ٦ تأويل قوله تعالى : تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك الآية
- ٦ ذكر جملة من معاني النفس
- ٦ تأويل حديث إذا أحب العبد لقائي أحببت لقاءه الحديث
(المجلس الرابع والعشرون)
- ٩ تأويل قوله تعالى : اذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم الآية
- ١١ استطراد لذكر معاني كاد المقرونة بالنفي عند العرب
- ١١ تأويل قوله تعالى : فذبحوها وما كادوا يفعلون
- ١١ تأويل قوله تعالى : اذا أخرج يده لم يكد يراها الآية
- ١١ تأويل قوله تعالى : كذلك كدنا ليوסף الآية
- ١٢ تأويل قوله تعالى : ان الساعة آتية أكاد أخفيها الآية
- ١٣ استطراد لذكر جواز اخبار كاد وعدمه
- ١٤ تأويل قوله تعالى : واذا زاخت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الآية
(المجلس الخامس والعشرون)
- ١٥ تأويل قوله تعالى : وجعلنا نومكم سباتا الآية
- ١٥ استطراد لذكر يوم يده الخلق وتبينه
- ١٧ تأويل خبر ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه
- ١٩ استطراد لذكر أهل القليب وايدائهم للنبي صلى الله عليه وسلم ودعائه عليهم
- ٢٠ تأويل خبر ما من احد يدخله عمله الجنة ورعيه من النار الحديث
- ٢١ استطراد لذكر بعض من شعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي
- ٢٢ ترجمة الزيات ذكر ما وقع لعمر المذكور معها
(المجلس السادس والعشرون)
- ٢٣ تأويل قوله تعالى : ففسدهم من ألب ما غشهم الآية

(الجلس السابع والعشرون)

- ٢٤ تأويل قوله تعالى : نفر عليهم السقف من فوقهم الآية
 ٢٦ فرق لطيف فحرب بين اللام وحل في هذا الموضوع
 ٢٧ تأويل خبران هذا القرآن مأدبة لله تعالى الحديث
 ٢٨ استطراد لذكر ما يقال لاطعة مخصوصة عند العرب
 ٣١ ذكر سرعة استعمار الاصمعي في الشاهد الشعر
 ٣٣ تأويل قوله تعالى : وقالت اليهود عزير بن الله الآية
 ٣٥ تأويل قوله تعالى : ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم الآية
 ٣٦ تأويل ما رواه مسلم الخزازي من الشاهد قول سويد بن عامر وقوله صلى الله عليه وسلم لو أدركته لاسلم

- ٣٩ استرواج بذكر شيء من شعر رفيع الوالي
 ٤٠ ذكر شيء من محاسن شعر عقيل بن خلفه وبعض أخباره
 ٤٢ تأويل قوله تعالى : والي الله ترجع الامور

(الجلس الثامن والعشرون)

- ٤٤ تأويل قوله تعالى : وليس البربان تأتوا البيوت من ظهورها الآية
 ٤٤ معنى قوله صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر
 ٤٦ استطراد لذكر شيء من شعر هلال بن خثعم
 ٤٧ ذكر طرف من أشعار حارثة بن بدر القدافي وبعض أخباره

(الجلس التاسع والعشرون)

- ٥٣ تأويل قوله تعالى : أولئك لم يصيب مما كتبوا الآية
 وقوله تعالى : وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب
 (الجلس الثلاثون)

- ٥٦ تأويل قوله تعالى : والله يرزق من يشاء بغير حساب
 ٥٨ تأويل خبر نوضوا مما غيرت النار
 ٦٠ استرواج بذكر بعض من محاسن شعر حميد الله بن عبد الله بن عتبة وبعض أخباره
 (الجلس الواحد والثلاثون)

تحقيقه

- ٦٣ تأويل قوله تعالى : قد اقرينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم الآية
 ٦٦ تأويل خبر غير الصدقة ما أبت غني واليد العليا خير من اليد السفلى
 ٦٨ استرواح بذكر طرف من شعر لثقت قطعة العنكي وأخباره
 ٧٢ ذكر شيء من شعر حمزة بن أذينة
 ٧٣ ذكر خبره مع السيدة سكينة رضي الله تعالى عنها
 ٧٤ ذكر أشعر أبيات قيلت في معنى الحمد
 (المجلس الثاني والثلاثون)
 ٧٦ تأويل قوله تعالى : واتبعوا ما نزلوا الشياطين على ملك سليمان الآية
 ٧٨ مسألة وجوب رد الشيء الى نظيره
 ٨١ مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في تأويل الآية المذكورة
 ٨٢ مروي عن شريعة سيدنا سليمان عليه السلام في الشعر
 ٨٢ تأويل قوله تعالى : ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق الآية
 ٨٣ تأويل خبر لو كان القرآن في اهاب مامسته النار
 ٨٤ مسألة ان المكتوب في المصحف هو القرآن
 ٨٥ معنى قوله تعالى : لو أنزلنا هذا القرآن على جبله الآية
 ٨٧ استرواح بذكر طرف من الملح الشعرية
 (المجلس الثالث والثلاثون)
 ٩٤ تأويل قوله تعالى : فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية
 ٩٥ استطراد لذكر بعض أخبار يزيد بن مفرغ وشيء من شعره
 ٩٨ ذكر جملة من الملح الشعرية المستحسنة
 ١٠١ حكاية عبيد الله بن سليمان بن وهب مع ابن الرومي
 (المجلس الرابع والثلاثون)
 ١٠٥ تأويل قوله تعالى : لا تثرى عليكم اليوم الآية
 ١٠٧ تأويل خبر النهمي عن كسب الرمازة
 ١٠٨ استطراد لذكر ما جاء عن العرب فيما يقال في الرمز والصفر
 ١١٢ أحسن ما قيل في صفة المرأة العجوزاء الخمسة
 ١١٣ ذكر بعض من شعر أراكة التقي في تسلية المحزون

- ١١٤ قصيدة في الهجاء لبشر بن أبي خازم الاسدي وحسن اعتذاره
(المجلس الخامس والثلاثون)
- ١١٥ تأويل قوله تعالى : خاق الانسان من مجل الآية
- ١١٥ ذكر ما جاء عن العرب في القلب للبالغه
- ١١٩ استطراد لذكر ما يستحسن من شعر مكين الدارمي في الموضوع
- ١٢٤ أحسن ما قبل في الفيرة
- [المجلس السادس والثلاثون]
- ١٢٥ تأويل قوله تعالى : ولقد همت به وهم بها الآية
- ١٢٩ كلام على البرهان الذي رآه سيدنا يوسف عليه السلام
- ١٢٩ أسرواح يذكر بعض ملح شعرية
- (المجلس السابع والثلاثون)
- ١٣٣ تأويل قوله تعالى : وب السجن أحب الى مما يدعوتني اليه الآية
- ١٣٦ تأويل خبر من يذبح الشمعة يشمع به
- ١٣٨ أسرواح يذكر بعض فكاهات أدبية للأصمعي
- [المجلس الثامن والثلاثون]
- ١٤٤ تأويل قوله تعالى : ونادى نوح ربه فقال رب اني من أهل الآية
- ١٤٧ ذكر بعض فكاهات شعرية ونثرية للأصمعي
- [المجلس التاسع والثلاثون]
- ١٥٢ تأويل قوله تعالى : فلا تمجك أموالهم ولا أولادهم الآية
- ١٥٥ ترجمة مروان بن يحيى وذكر شيء من شعره وخبره
- [المجلس الأربعون]
- ١٦٤ تأويل قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله ولرَسُولِهِ الآية
- ١٦٧ تقرير شبهة الجبرية في فهم الآية المذكورة وردّها
- ١٦٨ قصة حصن بن حذيفة مع أولاده عند وفاته ووعظه لهم
- ١٦٩ ذكر جملة أشعار مستحسنة لمروان بن أبي حفصة وغيره

الجزء الثالث من كتاب

أما إلى السيد رضي

الشریف أبی القاسم علی بن الطاهر أبی أحمد الحسین المتوفی سنة ٤٣٦ هـ رضي الله عنه

في التفسير والحديث والأدب

الطبعة الأولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(عن نفقة أحمد ناسي الجلي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

« حقوق الطبع محفوظة »

(صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه)

حضرة الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا

(مطبعة السعادة ببحار محافظة مصر لصاحبها محمد اسميل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مجلس آخر ٤١ ﴾

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (فأتين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين) الى آخر الآية .. فقال ما تأويل هذه الآية أوليس ظاهرها يقتضى أننا لا نشاء شيئاً إلا والله تعالى شاءه ولم يخص إيماناً من كفر ولا طاعة من معصية .. الجواب قلنا الوجه المذكور فى هذه الآية ان الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال (من شاء منكم أن يستقيم) ثم قال (وما نشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين) أي ما نشاؤن الاستقامة إلا والله تعالى يريد لها ونحن لا نشكر أن يريد الله تعالى الطاعات وانما أنكرنا ارادته المعاصى وليس لهم أن يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومته كما ان السبب يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك ان الذى ذكروه انما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل .. وقوله تعالى (وما نشاؤن إلا أن يشاء الله) لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه واذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على أنه لو كان للآية ظاهر يقتضى ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة على انه تعالى لا يريد المعاصى ولا القباح على ان مخالفتنا فى هذه المسئلة لا يمكنهم حل الآيه على العموم لأن العباد قد يشاؤون عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بان يريدوا التبرع ويغزوا عليه فلا يقع مانع ممتنعاً كان أو غيره وكذلك قد يريد النبي عليه الصلاة والسلام من الكفار الايمان وقد تعبدنا بان يريد من المقدم على القبيح تركه وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذا كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الآيه فاذا جاز لهم ذلك بالشبهة

جاز لنا مثله بالطبيعة ونجربى هذه الآية بجري قوله تعالى (ان هذه تذكرة فمن شاء
 اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) وقوله تعالى (وما يذكرون إلا أن
 يشاء الله) في تعلق الكلام بما قبله . . فان قالوا فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم
 من وجه آخر وهو انه من وجعل قال (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) وذلك يقتضى
 انه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها لأن أن الحقيقة اذا دخلت على الفعل المضارع
 اقتضت الاستقبال وهذا يوجب انه يشاء أفعال الصباد في كل حال ويبطل ما تذهبون
 اليه من انه انما يريد الطاعات في حال الأمر . . قلنا ليس في ظاهر الآية إنا لا نشاء
 إلا ما شاءه الله تعالى في حال مشيئتنا كما ظنتم وانما يقتضى حصول مشيئته لما نشاءه من
 الاستقامة من غير ذكر تقدم ولا تأخر ويجرى ذلك بجري قول القائل ما يدخل زيد
 هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو ونحن نعلم انه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما
 في حالة واحدة بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو يتلوه دخول زيد وان الحقيقة وان
 كانت للاستقبال على ما ذكر فلم يبطال على تأويلنا معنى الاستقبال فيها لأن تقدير الكلام
 وما تشاؤون الطاعات إلا بعد أن يشاء الله تعالى ومشيئته تعالى قد كانت لها حال الاستقبال
 وقد ذهب أبو علي الجبائي الى انه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال وان
 كان قد أرادها في حال الأمر كما يصح أن يأمر بها أمراً بعد أمر قال لانه قد يصح
 أن يتعلق بإرادته ذلك متأ بعد الأمر وفي حال الفعل مصاحبة ويعلم تعالى أنا نكون
 متى عدنا ذلك كننا الى فعل الطاعات أقرب وعلى هذا المذهب لا يعترض بما ذكره
 . . والجواب الأول واضح اذا لم نذهب الى مذهب أبي علي في هذا الباب على ان
 اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم لأن الكلام اذا اقتضى حدوث
 المشيئة وأبطال استقبالها بطل قول من قال منهم انه يريد نفسه أو يريد بإرادة قديمة
 وصح ما نقوله من ان ارادته محدثة مجدية . . ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع
 حملنا إيائها على العموم من غير أن نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى وما
 تشاؤون شيئاً من فعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئتكم واقداركم عليها والتخليفة
 بينكم وبينها وتكون الفائدة في ذلك الإخبار عن الافتقار الى الله تعالى وأنه لا قدرة

للعبد على ما لم يقدره الله تعالى من وجل وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه لأن ما يتعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى (إلا أن يشاء الله) بالأفعال دون تعلقه بالقدرة لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور وكل هذا واضح بحمد الله . . . ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فما يختار قوله من قصيدة أولها

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خِيَالَهَا بَيْضَاءُ تَخْلُطُ بِالْحَيَاءِ دَلَالَهَا

يقول فيها

مَالَتْ بِقَلْبِكَ فَاسْتَقَادَ وَمَثَلَهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالَهَا

فَكَأَنَّهَا طَرَقَتْ بِتَفْحَةٍ رَوْضَةٍ سَمَتْ بِهَا دِيمُ الرِّبْعِ طَلَالَهَا

بَاتَتْ تَسَائِلُ فِي الْمَنَامِ مُعَرَّسًا بِأَلْيَدٍ أَشَعَتْ لَا تَعْلُ سَوَالَهَا

فِي فِتْنَةٍ هَجَمُوا غَزَارًا بَعْدَمَا سَمُوا مَرَاغِشَةَ السَّرَى وَمَطَالَهَا

[قال الماراضي] رضى الله عنه - المراجعة - هي تحريك الرأس في السبر من النوم

فَكَأَنَّ حَشَوَ نِيَابِهِمْ هِنْدِيَّةً شَعَلَتْ وَأَغْلَقَتِ الْعُيُونُ صِقَالَهَا

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب ^(١) وقد قال الناس في طيف الخيال فأكثرناه . . . وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم إلى معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله

(١) قوله فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب الخ . . . قلت أما العلماء المتقدمون فانهم استحسنوها روى أن مروان بن أبي حنيفة جاء إلى حنيفة بن عوف فسلم ثم قال أياكم فأومأ له إليه فقال له أصاحك الله إني أرى قوماً يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سواته ثم يمشى كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر وقد قالت شعراً أمرضه عليك فان كان جيداً أطهرته وإن كان رديئاً سترته

أَنِّي سَرَبْتُ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ^(١)

مَا تَمْنَى يَقْظِي فَقَدْ تَوَيْدَتْهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ غُشُوبٍ

كَانَ الْمُنَى بِلِقَائِهَا فَلَقِيَتْهَا فَلَهَوَتْ مِنْ لَهْوِ أَمْرِيءٍ مَكْذُوبٍ

وقد أحسن جرير في قوله

اتْلَسَى إِذَا تَوَدَّ عُنَا سَلِيمَى يَفْرَعُ بِشَامَةٍ سَقَى الْبِشَامُ

يَنْفِي مِنْ تَجَنُّبِهِ عَزِيزُ عَلِيٌّ وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامُ

وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ

وهذه الابيات وان خلت من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب
• ولأبي عبادَةَ البَحْرِيِّ في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فإنه تغافل

فأنشده • طرقتك زائرة في خيالها • النخ فقال له يونس يا هذا اذهب فاطهر هذا
الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله • رحلت سمية غدوة أجمالها • فقال
له مروان سررتي وسوتتي فأما الذي سررتي به فارتضاؤك الشعر وأما الذي ساءني
فتقديك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله فقال إنما قدمتك عليه في تلك القصيدة
لا في شعره كله لأنه قال فيها • فأصاب حبة قلبه وطمعها • والطحال لا يدخل في شيء
إلا أفسده وقصبتك سليمة من هذا وشبهه • وقصيدة مروان هذه مدح بها المهدي ولما
أنشده إياها زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ثم قال كم
حي قال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت أول مائة ألف درهم أعطيا شاعري
أيام بني العباس وهذا دليل على حسنها

(١) قوله سربت - السارب - الذهاب على وجهه في الأرض ورواه ابن ديد سربت
بباء موحدة لقوله وكنت غير سروب ومن رواه سربت بالياء بالثنين فعناه كيف سربت
ليلاً وأنت لا تسربين نهراً

في أوصافه واحتمدي من معانيه الى ما لا يوجد غيره وكان مشغولاً بتكرار القول في لعباً
بإدائه وإعادته وان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يحول فضلها ومحاسن لا يبلغ شأوها
فما لأبي تمام قوله

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا لَا بَلَّ أَزَارَكُهُ فَكَّرْتُ إِذَا نَامَ فَكَّرُ الْخَلْقِ لَمْ يَنَمْ
ظَنِّي تَقْصُّتُهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَ مِنَ الْعِلْمِ
ثُمَّ اغْتَدَى وَبَنَى مِنْ ذِكْرِ سَقَمٍ بَاقٍ وَإِنْ كَانَ مَعُولًا مِنَ السَّقَمِ

وقوله

عَادَكَ الزُّوْرُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ مِنْ رَمْلَةٍ بَيْنَ الْحِمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِ
نَهْمٍ مَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنْ لَكَ بِالْفِكْرِ زُرْتُ طَيْفَ الْخَيَالِ

وقوله

الَّتِي لِي أَحْنَى بَقْلِي إِذَا مَا جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْأَيَّامِ
يَالِهَا لَيْلَةَ تَزَهَّتِ الْأَزْ وَاحُ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ
غَمْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ

فأما البحري فقولته في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه هنا غير أننا نشير الى
أدوم في ذلك قوله

فَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ خَيَالُهَا بِنَاعَتِ جَوْشُوشٍ مِنَ الْإِيلِ اسْفَعِ
أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهَدْوِ فَسَاعَتِ يَوْصَلُ مَتَى تَطْلُبُهُ فِي الْجَدِّ تَمْنَعِ
وَمَا بَرَحْتُ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ وَانْقَضَى وَأَعْجَلَهَا دَاهِي الصَّبَاحِ الْمَلَمَعِ
فَوَلَّتْ كَأَنَّ الْبَيْنَ يُخَالِجُ شَخْصَهَا أَوْ أَنْ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَايَ وَاصْطَلِي
وَرُبَّ لِقَاءٍ لَمْ يَوْمَلْ وَفُرُقَةٍ لِأَسْمَاءٍ لَمْ تَحْذَرْ وَلَمْ تُتَوَقَّعِ

أَرَانِي لَا أَتَّفَكُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
أَسْرُ بِقُرْبِ مَنْ مُلِمٍّ مُسْلِمٍ
فَكَانَ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مَنْ تَفَرَّقَ

وقوله

وَأَيُّ وَإِنْ ضَنْتُ عَلَى بُودِهَا
يَعِزُّ عَلَى الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا
فَكَمْ غَلَّةٌ لِلشُّوقِ أَطْفَأَتْ حَرَّهَا
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفَنَ عَيْنِي تَعْلَقَا

وقوله

بَلَى وَخَيَالٍ مِنْ أَثِيلَةٍ كُلَّمَا
إِذَا زُورَةٌ مِنْهُ تَقَضَّتْ مَعَ الْكَرَى
رَى مُقَاتَى مَا لَا تَرَى فِي إِقَائِهِ
وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخِيلٍ بِاطِلٍ

وقوله

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَى خِيَالِهِ
إِذَا انْزَعَتْهُ مِنْ يَدَيْهِ انْتِبَاهُهُ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَنَا وَلَا يَمِثْلُ شَأْنَنَا

وقوله

فَمَا تَلْتَقَى إِلَّا عَلَى حِلْمٍ جَاهِدٍ
فَعِلْ لَنَا جَدْوَالِكِ وَهِيَ حَرَامٌ

إِذَا مَا بَادَلْنَا النَّفَاسَ خِلْتَنَا مِنْ الْجَدِّ أَيْقَاطًا وَنَحْنُ نِيَامُ
وقوله

وَلَيْلَةٌ هَوَمْنَا عَلَى الْمَيْسِ أَرْسَلَتْ بِطَيْفِ خِيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشْبِيثِي بِمِطْفَى غَزَالٍ بَتٍّ وَهَنَا أَغَاوِلُهُ
وقوله

أَمْنِكَ تَأْوِبُ الطَّيْفُ الطَّرُوبُ حَبِيبُ جَاءَ يُهْدِي مِنْ حَبِيبِ
نَحْطُ رَقَبَةَ الْوَاشِيِّنَ كُرْهَا وَبُعْدَ مَسَافَةِ الْخَرَقِ النَّجُوبِ
يَكَاذِبِي وَأَصْدُقُهُ رَدَاءُ وَمَنْ كَلَّفَ مُصَادَقَةَ الْكَذُوبِ
وقوله

مَا تَقْضَى لِبَانَةٌ عِنْدَ لُبِّي وَالْمَعْنَى بِالْفَائِيَاتِ مَعْنَى
هَجَرْنَا يَقْطَى وَكَادَتْ عَلَى مَذَى هَبِهَا فِي الصَّدُودِ تَهْجُرُونِي
بَعْدَ لَا أَيْ وَقَدْ تَمَرَّضَ مِنْهَا طَائِفٌ عَرَجَتْ عَلَى الرَّكْبِ وَهَنَا

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه... ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي
مع ميله إلى البحرى وأعطاها في شعبه واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ
وذلك يزعم أن البحرى أخطأ في قوله

هَجَرْنَا يَقْطَى وَكَادَتْ عَلَى مَذَى هَبِهَا فِي الصَّدُودِ تَهْجُرُونِي

قال لأن خيالها يتبدل له في كل أسواقها يقضى كانت أو وسى قال ولكن الجيد في هذا
المعنى قوله

أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْطَانَا وَيَأْذَنُ لِي عَلَيْكَ سَكْرُ الْهَوَى إِنْ جِئْتُ وَسَمَانَا

قال والذي أوقع البحرى في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم

مَا تَمَنَّى يَقْظِي فَقَدْ تَوَيْتُهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مَحْسُوبٍ

وكان الأجود أن يقول ما تمنى في اليقظة فقد تويته في النوم أي ما تمنى في يقظي فقد تويته في حال نومي حتى يكون النوم واليقظة مدويين إليه لأن خيال المحبوب يتدل في حال نومه ويقظته جميعاً قال إلا أنه يتسع في التأويل في هذا لقيس ما لا يتسع للبحري لأن قيساً قال فقد تويته في النوم ولم يقل نائمة وقد يجوز أن يحمل على أنه أراد ما تمنى يقظي وأنا يقظان فقد تويته في النوم أي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري لأنه قال وسى ولم يقل في الوسن . . [قال الشريف] رضى الله عنه وقد يكن في التأويل للبحري ما أمكن مثله لقيس لكن الآمدي قد ذهب عن ذلك لأن البحتري لما قال وسى دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما أن الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة فقوله وسى في يني عن كونه هو أيضاً نائماً وإنما أراد المقابلة في زنة اللفظ بين يقظي ووسى . . وقوله يقظي متى لم يحمل أيضاً على هذا المعنى لم يصح لأنه لا بد أن يريد بذلك هجرتنا في أحوال اليقظة ويكون معنى يقظي يتعدى إليه ألا ترى أن الآمدي حمل قول قيس يقظي على معنى وأنا يقظان وإن لم يبين الوجه فيه فكيف ذهب عليه . . بل ذلك في قول البحتري . . . وقوله وسى ويقظي مثل قول قيس يقظي ولو أمكن قيساً وزن الشعر من أن يقول وسى في مقابلة يقظي لقاله وما عدل عنه إلى النوم لأنه لم يكن عليه في وسى إلا ما عليه في يقظي وما يتأول له في أحد الأمرين يتأول له في الآخر . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ولي في الخيال وطروقه معنى ما علمت أنه سبق إليه من جملة قصيدة

وَزَوْرٍ تَحْطِي جُنُوبَ الْمَلَا فَنَادَيْتُ أَهْلًا بِذَا الزَّائِرِ
أَتَانِي هُدُوءًا وَعَيْنُ الرَّقِيبِ مَطْرُوفَةٌ بِالكَرَى الْعَامِرِ
فَأَعْجَبَ بِهِ يُسَعِفُ الْمَاجِعِينَ وَتَحْرَمُهُ مُقَلَّةُ السَّاهِرِ
وَعَهْدِي يَتَمَوَّهُ عَيْنَ الْمُحِبِّ يَتِمُّ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ

فَلَمَّا التَقَيْنَا بَرَّغَمَ الرَّفَادِ مَوَّةً قَلْبِي عَلَى نَاطِرِي

ومعنى البيت الآخر ان الأحلام انما هي اعتقادات تخيل في القلب لاحقيقة لاكثرها لأن الانسان بمنقذاته رأى لما لا يراه على الحقيقة ويدرك لما ليس مدركه على الحقيقة فالقلب يخيل في النوم للعين ما لاحقيقة له كما ان العين تخيل في كثير من الأحوال للقلب ما لاحقيقة له .. فأما قول مروان « فكأنما طرقت بنفحة روضة » البيت فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول نهمش بن جري قال

طَرَقَتْ أَسْمَاءُ الرَّحَالِ وَذُوْنَهَا بَيْنَانِ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ الْأَسْوَدِ
وَمَقَاوِزُ وَصَلِ الْفَلَاةَ جَنُوبَهَا بِجَنُوبِ أُخْرَى غَيْرَ أَنْ لَمْ تُعْقِدِ
رَمَلٌ إِذَا أَيْدِي الرَّكَابِ قَطَعْنَهُ قَرَعَتْ مَنَاسِمَهَا بِقَفِّ قَرَدٍ
فَكَأَنَّ رِيحَ لَطِيمَةٍ هِنْدِيَّةٍ وَذِكْرِي جَادِي بِنَصْعِ عَجْدٍ
وَنَدَى خَزَائِي الْجَوْرِ جَوْ سَوِيَّةٍ طَرَقَ الْخَيْالُ بِهِ يُعِيدُ الْمَرْقِدِ

أو من قول الآخر

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالْمَزَارُ يُعِيدُ بِنِي وَنَحْنُ مَعْرَسُونَ هُجُودُ
وَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِرِيَا رَوْضَةٍ أَنْفٍ يُسَجِّحُ مَزْنَهَا وَتَجُودُ

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً .. فأما قوله بات نساء في المنام معرسة البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس في وصف قلة النوم ومواصلة السرور والادلاج وشعث السارين فأكثروا .. فن أحسن ما قيل في ذلك قول لبيد

وَتَجُودُ مِنْ صَبَابَاتِ الْكَرَى عَاطِفِ النَّعْرِ صَدَقِ الْمُبْدَلِ^(١)

(١) قوله — تجود من صبابات الكرى — الخ الواو واووب والمجود الذي جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ نيام من الجود بالفتح وهو المطر الغزير يقال أرض مجودة أي مغشية وجبت الأرض اذا أمطرت جوداً .. وقال اصرابي المجود الذي قد جاده العطش أي

قَالَ هَجَبْنَا قَعْدَ طَالِ الشَّرِيْ وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَى الدَّهْرُ غَفْلًا^(١)
 فَلَمَّا عَرَسَ حَتَّى هَجَبَتْهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ^(٢)

غلبه كذا في شرح أبي الحسن الطوسي وهذا لا يناسب لقوله صبايات الكرى فان الكرى النوم وصبايته بقيته كذا في شرح الشواهد للبغدادى . . وقال في اللسان ويقال للذي غلبه النوم مجود كأن النوم جاده أى مطره قال والمجود الذي يجهد من النعاس وغيره عن الناحياتى وبه لمر قول لبيد وأنشد البيت قال أى هو صابر على الفراش الممهد وعن الوطء يعنى انه عطف نمرقة ووضعها تحت رأسه وقيل معنى قوله ومجود من صبايات الكرى قيل معناه شيق وقال الأصمى معناه صب عليه من جود المطر وهو الكثير منه والجود النعاس وجاده النعاس غلبه . . وقوله طاطف النمرق - صفة مجود والاضافة افظية والنمرقة مثله الذون الوسادة والطنفة فوق الرجل وهي المراد هنا . . وقوله - صدق المتبذل - بفتح الصاد أى جلد قوي لا يغير عند ابتذاله نفسه ولا يسقط ولا يجوز أن يقال صدق المتبذل الا اذا أمعن ووجد صادق المهنة يوجد عنده ما يحب ويراد

(١) قوله - هجبننا - الخ هو متعاق رب والتهجيد من الاضداد يقال هجده اذا نومه أى دعنا ننام وهو المراد هنا وهجده اذا أيقظته والفاء للتعميل - والسرى - بالضم سيرة عامة الابل . . وقوله - وقدرنا - أى قدرنا على ورود الماء وذلك اذا قربوا منه وفى القاموس وبه اليلة قادرة هينة السير لانصب فيها - والخنى - بفتح المعجمة والقصر الآفة والفساد أى ان غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا وقيل قدرنا أى على التهجيند وقيل على السير

(٢) قوله - فلما عرس - الخ ما المتصلة بقول كافة لها عن طلب الفاعل وجأعة إياها بمنزلة ما الدافية في الأغاب وهنا لا ثبات الثقلة وما تنصل بأفعال ثلاثة فتسكنها عن طلب الفاعل وهي قلما وطالما وكثر ما وينبغي ان تنصل بالأولين كتابة والتعريس النزول فى آخر الليل للاستراحة والنوم ومثله الاهراس - وهجته - أيقظته من النوم وهاج يهيج يحى لازماً ومتعدياً يقال هاج اذا نار وهجته اذا أترته - وحتى - هنا حرف جر بمعنى الا الاستثنائية أى ما عرس إلا أيقظته أى نام قليلاً ثم أيقظته وأكثرت دخولها على

يَلْمَسُ الْأَحْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ يَدِيهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمُصَلِّ^(١)
يَتَمَارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيْلَ^(٢)
أَوْ مِنْ قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ

المضارع كقوله

لبس العطاء من الفضول سباحة حق تجود وما لديك قليل
وقوله - بالتبشير - أي بظهورها والتبشير أوائل الصبح وهو جمع تبشير ولا يستعمل إلا
جما كذا عبر البغدادي ولفظ شارح القاموس لا واحد له - والأول - صفة التبشير
وهو بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى . ووث الأول كالكبر جمع كبري وقد جاء هذا
المصراع الثاني في شعر النابغة الجعدي وهو

وشمول قهوة بكرتها في التبشير من الصبح الأول

(١) قوله - يلمس الأحلاس - فاعله يلمس ضمير المجرد واللمس الطلب وفعله من
بابي قتل وضرب والأحلاس جمع حاس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظاهر
البعر تحت رحله أي يطأها بيديه وهو لا يعقل من غلبة العباس . وقوله - كاليهودي المصل -
أي كأنه يهودي يصلي في جانب يسجد على جبينه واليهودي يسجد على شق وجهه
وأصل ذلك أنهم لما تنق الجليل فوقهم قيل لهم إنما أن تسجدوا وإنما أن يأتوا
فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل فصار عندهم سنة إلى اليوم
(٢) قوله - يتمارى في الذي قلت له - التمع التمارى في الشيء والامتراء فيه المجادلة
والشك فيه يقال ماريت الرجل أماريه مرأه وماراة إذا جادلته والمريه الشك . قال الطوسي
يقول قال له الصبح النجاء النجاء قد أصبحت ونحو هذا من الكلام - وحيل - أي أسرع
وأعجل وحيل اسم فعل قال زكريا الأحرر في حيل ثلاث لغات يقال حيل بفلان
بجزم اللام وحيل بفلان بحركة اللام وحيل بفلان بالتويز وقد يقولون من غير هل
من ذلك سى على الصلاة وقال ابن عصفور إن حيل مركبة من حي وهلا إلا أن ألف
هلا تحذف في بعض اللغات تخفيفاً

وليلي كأناء الزوزي جُبْتُه بأزبعة والشخص في العين واحد
 - والزوزي - هو الطليان ٠٠ وقد روى أيضاً كجباب المروس أدرعه وكل ذلك
 وصف له بالسواد لان الطليان أسود ٠٠ وجباب المروس أخضر والمرب جميع
 بين الخضر والسواد

أحم علفي وأبيض صارم وأعيس مهري واشعث ماجد
 أخو شقه جاب الفلاة بنفسه على الهول حتي طوحت المطارد
 واشعث مثل السيف فذلاح جسمه وجيف المهاري والهوم الأبعد
 سقاء الكري كاس النعاس فرأسه لدين الكري من آخر الليل ساجد
 أقمته له صدر المطي قماري أجارة أعناقها أم قواصيد
 تري النأشي البر يضحى كأنه على الرحل مما منه السبر عاصد
 علي الرحل مما منه السبر عاصد

ومن ذلك قول أبي حبة النخري

وأغيد من طول السرى برحت به أفانين نهاض على الأبن مزجم
 سريت به حتي إذا ماتمزت توالي الدجى عن واضح اللون معلم
 أنحنأ فلما أن جرت في دماغه وعينه كاس النوم قلته له قم
 فما قام إلا بين أيد تقيمه كماء طفت ربح الصباخوط ساسم
 خطأ الكرة مغلوباً كأن لسانه لما رد من رجف لسان المبسم
 وود يوسطى الخمس منه لو أننا رحنأ وقلنا في المناخ له تم



﴿ مجلس آخر ٤٢ ﴾

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض)
 إلى آخر الآية ٠٠ فقال ما معنى اختصاص الأرض بالذكر وهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه
 ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفي الأولياء عنهم وقد نجد
 أهل الكفر يتولى بعضهم بعضاً وينصرونهم ويحذرونهم من المكاره وكيف نفي استطاعتهم
 للسمع والإبصار وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه ٠٠ الجواب قلنا أما الوجه
 في اختصاص الأرض بالذكر فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني
 ولا وزر ولا نفق والوزر الجليل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب
 فكأنه تعالى نفي أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وإن جبال الأرض
 وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم كما أنها تحجز عن كثير من أحوال
 البشر من المكاره لأن معاقل الأرض هي التي يهرب إليها البشر من المكاره ويأجئون
 بها إلى الاعتصام بها عند المخاوف فإذا نفي تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفي
 المعقل من كل وجه ٠٠ وأما قوله تعالى (وما كان لهم من دون الله من أولياء) فضاء أنه
 لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله وعقابه لهم في الآخرة ولا بما يريد أيضاً إيقاعه بهم
 في الدنيا وإن كان لهم من يحمهم من مكروه البشر وينصرونهم من أرادهم بسوء وقد
 يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر وإن كان مخرجه مخرج الحشر ويكون التقدير
 وليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن يرجعوا إليه في معونتهم
 ونصرهم ولا يعولوا على غيره ٠٠ فأما قوله عز وجل (ما كانوا يستطيعون السمع وما
 كانوا يبصرون) ففيه وجوه ٠٠ أحدها أن يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا
 يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحق
 وذهاباً عن سبيله فأسقط الباء من كلامه وذلك جائز كما جاز في قوامهم لأجزيتك بما عملت
 ولأجزيتك ما عملت ولا أحدثك بما عملت ولا أحدثك ما عملت وكما قال الشاعر

نَمَّا فِي اللَّحْمِ لِلْأَضْيَافِ نِيَا وَتَبَذْلُهُ إِذَا نَصِجَ الْقُدُورُ

أراد نَمَّا فِي اللَّحْمِ ٠٠ والوجه الثاني أنهم لا يستقيم لهم استماع آيات الله تعالى وكرهتهم تذكرها وتوهمها جري مجري من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة عداوته إلى فلان وما يقدر على أن يكلمه وكما نقول لمن عهدنا منه العناد والاستقلال لاستماع الحجج والبيانات ما يستطيع أن يسمع الحق وما يطيق أن يذكر له ذلك وكما قال الأعشى

وَدَرَّغَ هَرِيرَةً إِنْ الرَّكْبُ مَرَّ تَحْلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

ونحن نعلم أنه قادرٌ على الوداع وإنما في قدرته عليه من حيث الكراهية والاستقلال ٠٠ ومعنى وما كانوا يبصرون أي أن إبصارهم لم يكن نافعا لهم ولا مجدداً عليهم مع الأمراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله ماله لا تسمع ولا تبصر ولا تفعل وما أشبه ذلك ٠٠ والوجه الثالث أن يكون معنى في السمع والبصر راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم وتقدير الكلام أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبراً عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه مروى عن ابن عباس رضى الله عنه وفيه أدنى بعد ٠٠ ويمكن في الآية وجه رابع وهو أن يكون مافي قوله (ما كانوا يستطيعون السمع) ليست للفي بل فجري مجري قولهم لأواصلنك ملاح نجم ولاقيم على مودتك ما طلعت شمس ويكون المعنى أن العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أي أنهم مضطربون ما كانوا أحياء ٠٠ فإن قيل كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار وقد يكون حياً من لا يكون كذلك ٠٠ قلنا للعرب في مثل هذا عادة لأنهم يقولون والله لا كنت فلاناً ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت لأن الأغلب في أحوال الحيا أن تنظر عينه وتمشي قدمه فحملوا الأغلب كالواجب ومن ذلك قول الشاعر

وَمَا أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَلَسْتُ بِنَاسٍ مَا هَدَتْ قَدَمِي نَعْلِي
عَشِيَّةً قَالَتْ وَالذَّمُوعُ بِعَيْنِهَا هَنِيئًا لِقَلْبٍ عَنْكَ لَمْ يُسَلِّهِ مُسْلِي

وانما أراد اني لا أنسى ذلك ما حيت وكذلك لا يمنع أن يعاقب كل هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والابصار ويعود المعنى الى تعاقبه ببقائهم وكونهم -م أحياء والمرجع في ذلك الى التأييد لانه اذا علق العذاب ببقائهم واحيايتهم علمنا ان الآخرة لا موت فيها ولا خروج من الحياة وعلنا تأييد العذاب .. ونعود الى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان فما يختار له قوله من القصيدة التي قد مضى أولها وتكلمنا عليها

وَضَعُوا الْخُدُودَ لَدَيْ سَوَاهِمَ جَنَحٍ تَشْكُوا كُلَّ مَصْنُوحٍ وَكَلَامِهَا
طَلَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَوَّاصِلَتْ بَعْدَ السَّرَى بَغْدُوحًا أَصَالَهَا
نَزَعْتُ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَادَفْتُ تَطَوَّى الْفَلَاةَ حَزُونَهَا وَرِمَالَهَا
يَتَّبَعْنَ نَاجِيَةً تَهَيَّأَ مَرَا حُهَا بَعْدَ النُّحُولِ تَلِيهَا وَقَدَّالَهَا
هُوَ جَاءَ تَدْرَعُ الرُّبَا وَتَشْقَى شَقَّ الشَّمْسِ إِذَا بَرَّاعُ جَلَالِهَا
تَنْجُو إِذَا دَفَعَ الْقَطِيعُ كَمَا نَجَتْ خَرَّ جَاءَ بَادَرَتِ الظَّلَامَ رِثَالَهَا
كَالْقَوْسِ سَاهِمَةً أَتَمَّكَ وَقَدْ تَرَى كَالْبُرْجِ تَمَلُّ رَحْلَهَا وَحَبَالَهَا

وهذه الأبيات في وصف الرواحل بالسرعة والتحول جيدة الألفاظ معطرة اللبس وقد سبق الناس في هذا المعنى الى ضرور من الاحسان فن ذلك قول الاخطا
يُحَوِّسُ كَأَعْطَالِ الْقَسِي تَقَلَّلْتُ أَجْنَتَهَا مِنْ شَقِيٍّ وَدَوْبٍ^(١)

(١) - اعطال القسي - التي لا أوتار عليها - وتقللت - تحركت في بطونها من الدواب

والسيرة وأجنتها - جمع جنين

إِذَا مُجِبَلٌ غَادَرَتْهُ عِنْدَ مَنْزِلٍ أُتِيحَ لِحَوَابِ الْفَلَاةِ كَسُوبٌ^(١)
 وَهُنْ بِنَا عَوْجٌ كَانَ عِيُونَهَا بَقَايَا فِلَاتٍ قَلَصَتْ لِنُضُوبٍ^(٢)
 مَسَانِفٌ يَطْوِيهِامَعَ الْقَيْظِ وَالشَّرَى تَكَالَيْفُ طَلَاعِ النَّجَادِ وَكَوْبِ
 قَدِيمٍ تَرَى الْأَصْوَاءَ فِيهِ كَأَنَّهَا رِجَالٌ قِيَامٌ عَصَبُوا بِسُبُوبٍ^(٣)
 يَعْمَنُ بِنَا عَوْمُ السَّقَيْنِ إِذَا أُتْبِلَتْ سَحَابَةٌ وَضَاحُ الدَّرَابِ خُبُوبِ

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري

إِلَى الْإِمَامِ تَبَادُنَا بِأَرْحَلِنَا خَلَقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْبَاحِ ظِلْمَانِ
 كَانَ إِفْلَاةَهَا وَالْفَجْرُ بِأَخْذِهَا إِفْلَاةٌ صَادِرَةٌ عَنْ قَوْسِ حَسَانِ

.. وقال إشار

وَإِذَا الْمَطْيُ سَبَحْنَ فِي أَعْطَافِهِ فَاتِ الْمَطْيُ بِكَاهِلِ وَتَلِيلِ
 فَسَكَاتُهُ وَالنَّاعِمَاتُ بِرِذْنِهِ قَدْحٌ يُطْلَعُ مِنْ قَدَاحِ مُجِيلِ

وابعض الحارثيين

نَهَشَ الْهَجَارُ وَالْظَّهَارُ لَحْمَهَا حَتَّى تَخْتَدَّ لَحْمَهَا الْمُنْتَظَّاهِرُ

(١) - المعجل - الجنين الذي يولد لغير تمام - وأتيح - قدر - وجواب الفلاة -
 الذئب .. يقول ذا رمت بالمعجل سادفه الذئب
 (٢) - الفلاة - جمع قلت وهي التفرة في الجبل تمسك الماء - وقلصت - أي غارت -
 - والنضوب - ذهاب الماء .. شبه عظم العين بالصخرة في الصلابة وبقيّة العين بما بقي
 من الماء في القلت

(٣) - الأصوام - جمع صوى وصوى جمع صوة وهي حجارة تنصب ليهتدي بها .. شبه
 الصوى وقد جللها الدراب برجال قيام عصبوا بالسبوب جمع سب وهي شقة كنان رقيقة
 (٣ - أمالي لك)

حَرَفُ تَنَاهِيهَا النَّجَاءَ فَلَا يَصُرُ مِمَّا تَنْجَلُ شَذَقُمْ أَوْ ذَا عُرُ
صَبْرٌ إِذَا عَظُمَتْ سَوَالِفُهَا الْبَرَى سَمِعَتْ لَهْنُ كَشَا كَشْ وَجَرَاجِرُ
وَيُخَلَّنُ مِنْ هِرِ النَّفُوسِ وَجَدَهَا جَنَّا وَهْنٌ إِذَا اخْتَبَرْنَ أَبَا عُرُ
إِمَّا إِذَا مَا أَقْبَلَتْ فَكَأَنَّمَا ذُعُرُ تَهَادَّتِهَا الْفَلَاةُ نَوَافِرُ
إِمَّا إِذَا مَا أَعْرَضَتْ فَكَأَنَّمَا كَذُرُ تَوَزَّدَنَ النُّطَافُ صَوَادِرُ
إِمَّا إِذَا مَا أُبْرِكَتْ فَكَأَنَّمَا صُرُحٌ مُشِيدَةٌ وَهْنٌ ضَوَامِرُ

[قال الشريف] رضى الله عنه ... وإن لا تمنعن قول بشامة بن القدير في وصف

الداقة بالسرعة

كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أُرْقِلَتْ وَقَدْ جَرْنَ غَمَّاهُمَا تَيْنِ السَّيْلَا
يَدَا سَاحِجٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ وَقَدْ شَارَفَ الْمَوْتَ إِلَّا قَلِيلًا^(١)
إِذَا أَقْبَلَتْ قُلْتُ مَشْحُونَةٌ أَطَاعَتْهَا الرِّيحُ قَلْعًا جَفُولًا^(٢)
وَإِنْ أُذْبِرَتْ قُلْتُ مَذْعُورَةٌ مِنَ الرُّبْدِ تَتَّبِعُ هَيْفًا ذَمُولًا^(٣)

(١) قوله - يدا ساحج - النخ يروي

يदा عظم خرفى غمرة قد ادرك الموت إلا قليلا

يقول كأن يدي هذه اتفافة وقت كلال غيرها من الابل ولزوم من الحجة يدا ساحج فهو أشد لتحريكه يديه بخافة على نفسه

(٢) المشحونة - المملوءة - شبهها بصفية تلوات لانه أقوم لديرها وأعدل - والقاع -

النراع - والجفول - التي تحب أن تسرع

(٣) قوله وإن أذبرت الخ يروي

إذا أقبلت قلت مذعورة من الرمد تلحق هيفا ذمولا

ومعنى قوله - وقد جرن ثم اهتدين السبيلا - يعنى المطلباء يقول كن نشيطات يمرحن فلا يلزم لقم الطريق بل يأخذن بيماً وشمالاً فلما عضن الكلال استقمن على المحجة فكانت وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المظي وكفى عن الكلال بلزوم جادة الطريق حتى تسكنها . . . وهذه كناية فصيحة مديحة ومثله قول الآخر

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا يَدَا سَابِجٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَذَرَعُ

وعا يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول النماخ

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدَّةٍ بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَعْدُرَا
مُجِدَّةُ الْأَعْرَاقِ قَالَ ابْنُ خُرَّةٍ عَلَيْهَا كَلَامًا جَارٍ فِيهِ وَأَهْجَرَا

ويروي من الريد كما في الأصل وهو جمع ريداء وجعلها مذعورة لانه أشد اسيرها - والرمد - النعام وهى الريد أيضاً - واليهق - ذكر النعام وهى المنكسفة اللون - تملو - سوادها كدرة والريدة - سواد يكسف الوجه - ويغيره - قال لأريدن وجهه واليهق الطويل - والأثني - هيئة - وهذه الرواية التى فى الأصل منكسة فقدم آخرها على أولها وحذف من بينها أربعة أبيات وهى من قصيدة مشهورة أولها

هجرت أمانة هجرأ طويلا وحملت النأى عبأ ثقيلا

الى ان قال

إذا أقبلت قلت مذعورة من الرمد تلتحق هيقا ذمولا
وإن أدبرت قلت مشحونة أطاع لها الرجع قلعا جفولا
وإن أعرضت حارقها البعير مالا يكلفه أن يقبلا
يبدأ نرحا مائرا ضيها تسوم وتقدم رجلا زجولا
وهوجا تناطعن تحت المطا وتهدى بين مشائا كهولا
تمز المظي جماع الطريق إذا أدلج القوم ليلا طويلا
كأن يديها إذا أرفقت وقد جرن ثم اهتدين السبيلا
بدا عثم خر في غمرة الى آخر القصيدة

شبه ذراعها وهي تشدع في سـ يرها بذراعي امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها
وقد حكى عنها ابن ضرئها كلاماً أهدج فيه أي أغش فحي ترفع يديها وتضمهما تعتذر
وتحلف وتصح عن نفسها .. وقد قيل إن معنى مدلة أنها تدل بحسن ذراعها فهي
تدمن اظهارها ليري حسنهما .. وقوله بعيد الشباب أي في عقب المسابة قامت تعتذر
الى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهي أقوم
بمعينها من الحادثة الغرة ويشهد لهذه الرواية قول الآخر

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ يَفْأَقُ صَفَرَهَا يَدَا نَصَفٍ غَيْرِي تَعْدُّ مِنْ جُزْمِ

وفي قوله - حين يفاق صفرها - سرٌّ وفائدة لأن الظاهر هو الاتساع وإنما تفاق اذا
جهدها السير فضررت فكأنه وصفها بالشدع والنشاط مع الجهد والكلال .. ومثله

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا بَدِيَّةٍ مُفْجَعَةٌ لَأَقْتِ ضَرَائِرَ عَنْ عَفْرِ

سَمْعِنِ لَهَا وَاسْتَمْعَلَتْ بِكَلَامِهَا فَلَا شَيْءَ يَفْرِي بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِي

وبقائه قول الآخر

أَلَا هَلْ تَبْلُغْنِيهِمْ عَلَى الْأَوْدِ وَالظَّنَّةِ

وَأَتَاةُ الْحَصَى الْمِعْزَا فِي أَخْفَافِهَا رَنَّةٌ

إِذَا مَا عَمَّتْ قُلَّتْ حِمَامَةٌ فَارِضَّةٌ كَنَّةٌ

ومن شبه سرعة أبدى الابل بأبدي النوافح كعب بن زهير فقال

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقَوْرِ الْعَسَاقِيلُ

وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ وَزَقَّ الْجَنَادِ بِيْرَ كَضْنِ الْحَصَى قِيلُوا

شَدُّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطِلٍ نَصَفٍ قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نَكْدًا مَثَارِكِلُ

نَوَاحٍ رَخْوَةٌ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا لَدَائِمِي بِكَرْهَا النَّاعُونَ مَقُولُ

العساquil - أول السراب ولا واحد لها من لفظها .. أخبر إن ناقة في شدة الحر واتقاد

الظميرة تمرح في سيرها وتذرع يديها وشبه ذراعيها بذراعي امرأة نصف تنوح على ابنها
وقد لقي إليها فهي تشير يديها وتوالي تحريكهما - والمبطل - العاوية العنق وجعلها
نصفاً لأنها قد كادت تأس من الولد فهي أشد لحزنها على ابنها وتضعها عليه - والقور -
جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل وأراد أن يقول كما تلفعت القور بالمساويل
فلم يمكنه فقلب .. ومثله

وَكَاثِمًا رَفَعَتْ يَدًا نَوَاحَةً شَمْطَاهُ قَامَتْ غَيْرُ ذَاتِ خِمَارٍ

وانما خص الشمطاء لما ذكرناه من اليأس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم

وَلَا شَمْطَاءَ لِمَنْ يَتْرُكُ شَقَاهَا لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينًا

وقد قيل في بيت عمرو بن لثمة شبه الناقة بشمطاء لما على رأسها من اللثام .. ومثله ما تقدم
من المعاني قول الشاعر

يَا لَيْتَ شَعْرِي وَالْمَتَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونَ يَوْمًا أَمْرِي تَجْمَعُ

وَتَحْتَ رَحْلِي زَفْيَانٌ مِيلُغٌ كَأَنَّهَا نَاعِمَةٌ تَقْجَعُ

تسكي ليمت وسواها الدوجع

- الزفیان - الناقة الخفيفة - والميلع - السريعة .. وشبه رجوع يديها في السير ونشاطها
بيدي نائمة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة فهي تزيد في الإشارة بيديها ليري مكانها
.. ومثله بعينه قول ذي الرمة

مَجَانِقُ تَضْحِي وَهِيَ عُوجٌ كَأَنَّهَا بِحُيُوبِ الْفَلَاحِ مُسْتَأْجَرَاتُ نَوَاحٍ

- المجانيق - اللواتي ضمنن بعد سنن وخص المستأجرات من النواحي للمعنى الذي
ذكرناه .. وقال الشاعر فيما يقارب هذا المعنى

كَأَنَّ أَوْبَ يَدَيْهَا حِينَ اعْجَلَهَا أَوْبُ الْمَرَّاحِ وَقَدْ نَادَوْا بِتَرْحَالٍ

مَقْطُ الْكُرَيْنِ عَلَى مَكُوسَةٍ زَلَقٍ فِي ظَهْرِ حَنَانَةِ النَّيْبِ بْنِ مَنُوَالٍ

معنى - أوب - ذراعها - أي رجعهما - وأوب المراح - إذا راح القوم عازب أموالهم ليرحلوا . . . وقد روى أوب المراح بالكسر ومعناه رجوع المراح - والنشاط - والمقط - اللعب بالكرة - والكرين - جمع كرة - والمنكوسة - الأرض البراح التي لا شيء فيها - والزلق - المستوية من الأرض - والحنانة - الريح - والذيران - جانباهذه الأرض - وهو ل - قبل أنه من صفات الريح وقيل أنه من صفات الأرض وإن كان من - صفات الريح فعنها إن الريح تقول الأرض بأسرها أي يملأها وإذا كان للأرض فاعلم أنها تقول من سلكها أي نهلك . . . وتأخيص معنى البيت أنه شبه يدي ناقته بيدي ضارب بكره في الأرض الواسعة في يوم ريح عاصف وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة . . . ومثل يبق الشماخ قول المسيب بن علس

مَرَحَتْ يَدَاهَا لِلنَّجَاءِ كَأَنَّمَا تَكَرُّو بِكَفِّي مَأْقَطٍ فِي قَاعٍ^(١)

(١) قوله - تكررو بكفي مأقط - النخ . . . رواية المفضل

مرحت يداها للنجاء كأنما تكرروا بكفي لاعب في صاع
قال ابن الأنباري - النجاء - السرعة بمد وبقتصر - وتكررو - كأنما تلعب بالكرة يقال قد كرى يكره إذا ضرب بالكرة - والصاع - منهبط من الأرض له ما يحفه كهيئة الجفنة . . . ويروى - بكفي مأقط في صاع - الصاع موضع تكديه وتلعب فيه بالكرة - والمأقط الذي يكره بالكرة يضرب بها الأرض ترتفع إليه . . . قال أحمد قوله في صاع أراد بصاع وهو الصولجان الذي يلعب به الفلمان أراد بصاع صانع لأنه يعطف للضرب به لصاع الكرة به فكان الصولجان هو بصوعها . . . وهذان البيتان من قصيدة مفضلية روى أن أبا جعفر المنصور مر بالمهدي ابنه وهو ينشد المفضل هذه القصيدة فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به حتى استوفى سمعها ثم صار وأمر بإحضارها فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها وقال له لو عمدت إلى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفنائك لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك سواءاً ففضل المفضل وعدد القصيدة ٢٦ بيتاً وأولها

أرحام من أسلمى بغير مناع قبل العطاس ورعها بوداع
عن غير مقلية وإن حبالها ليست بأرام ولا بأفطاع

فَعَلَ السَّرِيعَةَ بَادَرَتْ جُدَادَهَا قَبْلَ الْمَاءِ تَهْمٌ بِالْإِسْرَاعِ

معنى - تنكروا - أى كأنها لاعب بكرة -والسرعة- -يعنى نساجة- والجداد - الفزل
الضعيف ^(١) فأراد أنها تسرع الضرب بالخف والنسج قبل الماء وما دامت تبصر فشبّه
يدى ناقته في تذرّعها يدي هذه النساجة .. وقال الأصمعي الجداد هذب الثوب فيعنى
إن هذه النساجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت إلى هذبه فهي تبادر لتفرغ منه
قبل الماء .. وقرب منه قول الآخر

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْفَرْقِ أَيْدِي جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنِ الْوَرَقِ

فالفرق الحشن الذى فيه الحصى وشبهه حذف مناسبتها له بحذف جوار يلعبين بدرهم
وخمسة الجواري لأنهن أخف يدي من النساء .. وقال آخرون الفرق هنا المستوى
من الأرض الواسع وإنما خصم بالوصف لأن أيدى الإبل إذا أسرع في المستوى فهو
أحمد لها وإذا أبطأت في غيره فهو أجهد لها .. ومن أحسن ما قيل في الإسراع قول
المرار بن سعيد

فَتَنَّاوَلُوا شَعْبَ الرِّحَالِ قَلَصَتْ سُوْدُ الْبُطُونِ كَفَضْلَةِ الْمُتَمَسِّ

أذ تستييك باصليتي ناعم	قامت لتفعله بغير قناع
وممي يرف كأنه إذ ذقه	عائشة شجعت بماء يراع
أو صوب سارية أدركته العبا	ببزيل أزمى مدحج بسباع
فرأيت أن الحلم يجتنب العبا	فصعوت بعد تشوق ورواع
فقل حاجتها إذا هي أمرضت	بخبيصة سرح اليدين وساع
سكا ذعلبة إذا استدبرتها	حرج طذا استقبلتها هلواع
وكان قطرة موضع كورها	ملساء بين غوامض الاناع
وإذا تعاورت الحصى أخفاها	دوت نواديه بظهر القاع

(١) وقبل الجداد ما بقى من خيوط الثوب وقبله هي خيوط الثوب إذا قطعه

ذكر قوماً سافراً هبوا من رقدتهم الى رحلهم ليسروا ويعنى بسود البطون الابل
والتمس الصائد الذى أخذ ناموساً وهو ما يستتر به ليختل الصيد فشبه المطايا فى سرعتها
بطلا قد صاد الصائد بعضها وأفلت بعضها فهن يطرن طيراناً شديداً ومثل هذا وان
كان فى وصف الخيل قول النابغة

كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشَّوْبُوبِ ذِي الرِّدِّ^(١)

فأما قول مروان

يَهْزُ مِرَاحُهَا بَعْدَ النُّحُولِ تَلِيذَهَا وَقَدَّالَهَا

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السأمة والجهد ماضى وأحسن من قول
مروان وأشد فصاحة بالمعنى وإعراباً عنه قول الهذلي

وَمَنْ سَيَّرَهَا الْمَنْقُ الْمُسَبِّطُ وَالْعَجْرُ فَيَّةُ بَعْدَ الْكَلَالِ

وأما كان أحسن لانه صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يعبرى
هذا المجرى لأن النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ويكون عن غيره وأما
قوله - كالفوس ساهمة أشك البيت فقد أكثر العرب فى وصف المطايا بالنحول
وتشبيهها بالقوى وغيرها وقد أحسن كثير فى قوله

لَقَى السَّيْرُ عَنْهَا كُلَّ ذَا إِقَامَةٍ فَهِنَّ وَذَايَا بِالطَّرِيقِ تَرَائِكُ
وَحُمِلَتِ الْحَاجَاتُ خَوْصاً كَأَنهَا وَقَدْ ضَمُرَتْ صُفْرُ الْقَيْسِ الْعَوَاتِكُ

وقال سلم بن عمر الخاسر

وَكَأَنَّهُنَّ مِنَ الْكَلَالِ أَهْلَةٌ أَوْ مِثْلُهُنَّ عَطَائِفُ الْأَقْوَاسِ
قُوْدُ طَوَاهَا مَا طَوَّتْ مِنْ مَهْمَةٍ نَائِي الصَّوْىِ وَمَنَاهِجِ أَذْرَاسِ

(١) وصدر البيت * والخيل تنزع غرباً فى أعنتها * وهو من قميدته التى أولها
يأدار ميسة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها السالف الأبد

وقال أبو تمام يصف ناقة

أَتَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ وَهِيَ تَزْنُو
فَمَا بَلَّغَتْ بَنَاءَ عُسْفَانَ حَتَّى
وَبَدَّلَهَا الشَّرَى بِالْجَهْلِ حِلْمًا
أَذَابَ سَنَامَهَا قَطْعُ الْفِيَا فِي
بَدَتْ كَالْبَذْرِ وَأَفَالِيلَ سَعْدٍ
إِلَى بَعَيْنِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ
رَنَتْ بِلِحَاطِ لِقْمَانَ الْحَكِيمِ
وَقَدْ أَدِيمَهَا قَدْ الْأَدِيمِ
فَقَلَقَ جِلْدَهَا تَضَعُ الْمَصِيمِ
وَأَبَتْ مِثْلَ عَرْجُونٍ قَدِيمِ

وقال البحتري

وَحَدَانِ الْقِلَاصِ حَوْلًا إِذَا مَا
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضْنَ
كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْرِ
بَلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الْأَسْحَارِ
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضْنَ
كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْرِ
بَلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الْأَسْحَارِ

وله أيضاً

وَهِيَ الْعَيْسُ دَهْرَهَا فِي إِزْتِمَالٍ
رُبَّ مَرَّتٍ مَرَّتٍ تَجَاذِبُ قَطْرًا
وَسُرَى تَنْتَحِيهِ بِالْوَحْدِ حَتَّى
كَالْهَرَى فِي الْهَرَى وَيُحْسِنُ أَحِيَا
مِنْ حُلُولٍ أَوْ فُرْقَةٍ مِنْ جَمِيعِ
سَرَابًا كَالْمَنْهَلِ الدَّشْرُوعِ
يَصْدَعُ اللَّيْلُ عَنْ بَيَاضِ الصَّدِيعِ
أَنَا نَسُوعًا مَجْدُولَةً فِي نُسُوعِ

محلى مجلس آخر ٤٣

[تأويل آية] ٠٠ إن سال سائل عن قوله تعالى (ما منعك أن تعبد للماخلت بيدي)

الآية ٠٠ فقال كيف أضاف الى كف اليد وهو بمن يتعالى عن الجوارح ٠٠ الجواب قلنا

(٤ - املو)

في هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن يكون قوله تعالى (لما خافت بيدي) جازياً مجزئ لما خلقت أنا وذلك مشهور في لغة العرب يقول أحدهم هذا ما كسبت يداك وما جرت عليك يداك فإذا أرادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمتحن قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الأثبات ولا يكون للفعل رجوع إلى الجوارح في الحقيقة بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل ٠٠ وثانيها أن يكون معنى اليد هنا النعمة ولا إشكال في أن أحد معتملات لفظة اليد النعمة ٠٠ فأما الوجه في تشبيها فقد قيل فيه أن المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت لنعمتي وأراد بالباء اللام ٠٠ وثالثها أن يكون معنى اليد هنا القدرة وذلك أيضاً معروف من معتملات هذه اللفظة بقول القائل مالي بهذا الأمر من يد ولا يدان وما يجري مجرى ذلك والمعنى إني لا أقدر عليه ولا أطيقه وليس المراد بذلك إثبات قدرة على الحقيقة بل إثبات كون القادر قادراً وإني كونه قادراً فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت وأنا قادر على خلقه فعبّر عن كونه قادراً بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة وكل ذلك واضح في تأويل الآية ونعود إلى ما كنا ابتدأنا به من الكلام على شعر مروان ٠٠ فنقصه التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه بما يختار قوله

أَحْيَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ	سَنَنْ النَّبِيَّ حَرَامَهَا وَحَلَالَهَا
مَلِكٌ تَفَرَّغَ تَبَعَهُ مِنْ هَاشِمٍ	مَدَّ إِلَهُ عَلَى الْأَنَامِ ظِلَّالَهَا
جَبَلٌ لَأَمْتِهِ تَلَوْدٌ بِرُكْنِهِ	رَادَى جِبَالٍ عَدُوَّهَا فَازَالَهَا
لَمْ يَنْفَسْهَا مِمَّا يَخَافُ عَظِيمَةً	الْأَجَالَ لَهَا الْأُمُورَ مَحَالَهَا
حَتَّى يُفَرِّجَهَا أَغْرَ مُهَذَّبٌ	أَلْفَى أَبَاهُ مُفَرِّجًا أُمُشَالَهَا
ثَبَّتَ عَلَى زَلَلِ النُّوَادِثِ رَاكِبٌ	مَنْ صَرَفْنِ لِكُلِّ حَالٍ حَالَهَا
كَلَّيْدَيْكَ جَعَلْتَ فَضْلَ نَوَالِهَا	لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْعَدُوِّ وَبَالَهَا
وَقَمَّتْ مَوَاقِعُهَا بِمَفْوُكٍ أَنْفُسٌ	أَذْهَبَتْ بِمَدِّ خَافَةِ أَوْجَالَهَا

أَمَنْتَ غَيْرَ مُعَافٍ طُرَادَهَا وَفَكَّكَتَ عَنْ أَسْرَائِهَا أَغْلَالَهَا
وَنَصَبْتَ نَفْسَكَ خَيْرَ نَفْسٍ دُونَهَا وَجَعَلْتَ مَالَكَ وَافِيًا أَمْوَالَهَا

أما قوله

أحبنا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها

لقد طعن عليه وعابه من لا معرفة له بنقد الشعر فدل كيف يكون في سنن النبي عليه الصلاة والسلام حرام وما ذلك بعيب وإنما أراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل ومن سنن النبي عليه الصلاة والسلام تحريم الحرام وتحليل الحلال .. وإنما المعيب من هذا المعنى قول ابن الرقاع العاملي

وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَا كَهَا مِنْ أُمَّةٍ إِصْلَاحَهَا وَفَسَادَهَا^(١)

ومثل قول مروان قول - لم الحاسر * ولما ولت ذكرت الذبيحة تجليله وبخبره * فأما قوله - حق يفرجها أغرم ذنب البيت فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين والأسل في قول زهير

وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَتْهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَةَ إِلَّا وَشِيحَتُهُ وَتُفَرِّسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

ومثله قول الآخر

وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعَصَّرُ

ومثله للربيع بن أبي الحقيق البهري

إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ لَهُ خَلْفٌ يَكْفِي السِّيَادَةَ بَارِعُ

(١) البيت من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك .. ومطاميرها

حرف الديار توهماً فاعتادها من بعد ما شمل الليل أبلادها
إلا روائى كلهن قد اصطلت حراء أشمل أهلها إقصادها
كانت روائح للقدور فعربت منهن واستلب الزمان رمادها

مَنْ أَبْنَانِهِ وَالْعِرْقُ يَنْظُرُ قَرْعَهُ عَلَى أَصْلِهِ وَالْعِرْقُ لَمِزْقٍ نَازِعٌ

ومثله له

تَرْجُو الْفُلَّامَ وَقَدْ أَصْيَاكَ وَالْدُّهُ وَفِي أُرُومَتِهِ مَا يَنْبُتُ الْعُودُ

وأخذ هذا المعنى وبعض هذا اللفظ الكهيت فقال

تَجْرِي أَصَاغِرُهُمْ تَجْرِي أَكْبَرُهُمْ وَفِي أُرُومَتِهِ مَا يَنْبُتُ الشَّجَرُ

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات

يَخْلِفُكَ الْبَيْضُ مِنْ بَنِيكَ كَمَا يَخْلَفُ عُودُ النَّضَارِ فِي شُعْبَةٍ

ومثله قول نهم بن جري

أَرَى كُلَّ عُودٍ نَابِتٍ فِي أُرُومَةٍ أَبِي مَنِيْتُ الْمِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَا

بَنُوا الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لَوَالِدٍ سُوءَ بَلَقَةٍ حَيْثُ سِيرَا^(١)

ومثله لمسلم بن الوليد الأنصاري

أَلَحَّ عَلَى الْأَيَّامِ يَفْرِي خُطُوبَهَا عَلَى مَنْهَجِ النَّهْيِ أَبَاهُ بِهِ قَبْلُ

ولبشار

عَلَى أَهْرَاقِهَا تَجْرِي الْحَيَاةُ

وللبجري

(١) هذا البيت الثاني من جنة ثلاثة أبيات في الحاشية منسوبة إلى جميل بن عبد

الله بن معمر وقبله

أَبُوكَ حُبَابُ سَارِقُ الضَّيْفِ يَرُدُّهُ وَجَدِّي يَا حِجَابُ فَارِسَ شَمَّرَا

بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لَوَالِدٍ صَدَقَ بَلَقَةٍ حَيْثُ سَبَا

فَإِنْ تَضَبَّوْا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ حَفَظَكُمْ فَلَهُ إِذْ لَمْ يَرْضَكُمُ كَلْبٌ أَبْصَرَا

وَمَا بِي مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَأَنبَأَهَا
 هُمُ الْقَوْمُ فَرَحِي مِنْهُمْ مُتَفَرِّغٌ
 وَلِلْبَحْرَى أَيْضًا

وَإِذَا أَبُو الْفَضْلِ اسْتَعَارَ سَجِيَّةً
 شَرَفُ تَتَابِعٍ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
 وَارَى النَّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَامَهَا
 وَلَهُ أَيْضًا

مَاسَعَوْا يَخْلِفُونَ غَيْرَ أَبِيهِمْ
 ٠٠ وَلَهُ

وَمَا تَابِعٌ فِي الْمَجْدِ نَهْجَ عَدُوِّهِ
 وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَقُولُ مِرْوَانُ

هَلْ تَدْلُمُونَ خَلِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ
 طَلَعَ الدَّرُوبُ مُشِيرًا عَنْ سَاقِهِ
 قُوْدٌ تَرِيحُ إِلَى أَغْرَى لَوَجْهِهِ
 قَصُرَتْ حِمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَعَلِمَتْ
 سَعْيَ إِذَا وَرَدَتْ أَوَائِلُ خَيْلِهِ
 أَحْمَى بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ
 أَدْمَتْ دَوَابِرَ خَيْلِهِ وَشَكِيمَهَا
 لَمْ يَبْقَ بَعْدَ مَقَادِهَا وَطَرَادِهَا
 أَجْرَى لِنَايَتِهِ الَّتِي أَجْرَى لَهَا
 بِالْخَيْلِ مُنْصَلَّتًا يُجِدُّ لِنَايَتِهَا
 نُورٌ يَضِيءُ أَمَامَهَا وَخَلَالَهَا
 وَلَقَدْ تَحَفَّظَ قَيْنُهَا فَأَطَالَهَا
 جَيْحَانٌ بَثَّ عَلَى الْعَدُوِّ رَعَالَهَا
 وَأَبَاحَ سَهْلَ بِلَادِهِمْ وَجِبَالَهَا
 غَارَاتُهُنَّ وَالْحَقَّتْ أَطَالَهَا
 إِلَّا نَحَايَتَهَا وَإِلَّا آلَهَا

رَفَعَ الْخَلِيفَةُ نَاطِرِي وَأَرَاثَنِي يَدِ مُبَارَكَةٍ شَكَرْتُ نَوَالَهَا
وَحَسِدَتْ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيَا فِي الشَّيْءِ مُتَرْفٍ شَيْعَةً مُخَالَهَا
وَلَقَدْ حَدَّثْتُ لِمَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى نَعْلًا وَرِثَ عَنْ النَّبِيِّ مِثَالَهَا

أما قوله - قصرت حمائله - البيت .. فالأصل فيه قول عنزة

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابُهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْذِي نَعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ
أَوْ قَوْلُ الْأَعْنَى

إِلَى مَا جِدَّ كِهْلَالِ السَّمَاءِ أَزْكَى وَفَاءَ وَجَدًا وَخَيْرًا
طَوِيلِ التَّجَادِ رَفِيعِ الْعَمَاءِ دِيْحِي الْمُضَافِ وَيُنْفِي الْفَقِيرَا

ومثله

طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ عَارِجِيْنُهُ كَنَصْلِ الْيَمَانِ أَخْلَصْتُهُ صِيَا قَلُهُ
إِذَا هُمْ بِالْمَعْرُوفِ لَمْ تَجْرُ طَيْرُهُ نَحُوسًا وَلَمْ تَسْبِقْ نَدَاةَ عَوَاذِلُهُ
ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفي

وَأَشْعَثُ طَلَاعِ الثَّنَائِيَا مُبَارَكُ يَطُولُ نِجَادِ السَّيْفِ وَهُوَ طَوِيلُ
وَلَأَبِي جَوْرِيَةِ الْعَبْدِي

يُمْدُ نِجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَانَتْهُ بِأَعْلَى سَنَانِي فَالِجٍ يَتَطَوَّحُ
إِذَا أَعْتَمَ فِي الْبُرْدِ الْيَمَانِي خِلْتُهُ هَلَالًا أَبَدًا فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يُلْسَحُ
وَلَأَبِي عَطَاءِ السَّنْدِي

وَأَزْهَرَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَمْرٍو حَمَائِلُهُ وَإِنْ طَالَتْ قِصَارُ
وَلِبَعْضِهِمْ فِي آلِ الْمَلِكِ

رَأَيْتُكُمْ أَعَزَّ النَّاسِ جَارًا وَامْتَنَمَ إِذَا عُدُّوا ذِمَارًا

حَمَائِكُمْ وَإِنْ كَانَتْ طَوِيلًا
تَرَاهَا عَنْ شِمَائِلِكُمْ فِصَارًا

ولبعض بني النضر في معنى الطول

فَجَاءَتْ بِهِ عَجَلُ الْمِظَامِ كَأَنَّمَا
عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرَّحَالِ لَوَاهُ ^(١)

ولآخر

أَنَّمْ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا
تَنَاطُ إِلَى جَذَعِ طَوِيلِ حَمَائِلُهُ

ولابن هرمة

تَنَاطُ حَمَائِلُ الْهِنْدِيِّ مِنْهُ
بِعَاتِقٍ لَا أَلْفَ وَلَا ضَبِيلٍ

وَلَكِنْ يَسْتَقِلُّ بِهِ قَوَاهُ
حَلِي مَاضٍ بِقَائِمِهِ ثَقِيلٍ

ولسلم الخاسر

يَقُومُ مَعَ الرَّيْحِ الرَّدِّيْنِي قَائِمًا
وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجَادٍ

وللخنس

يُؤَاوِي الرَّدِّيْنِي فِي طَوِيلِهِ
وَيَقْصُرُ عَنْهُ نِجَادُ الْحُسَامِ

ولأولابي

طَوْنٌ وَطَوْنٌ فَتَرَى كَفَّهُ
يَنْهَلُ بِالطَّوْلِ أَنْهَالَ الْقَمَامِ

وَطَوْلُهُ يَنْتَالُ يَوْمَ الْوَعَى
وغيره فَضْلُ نِجَادِ الْحُسَامِ

فأما قوله - ولقد حذوت لمن أطاع - البيت - فقد ردد معناه مروان في مواضع من

شعره فقال

(١) وقبله

فلا لعمري في خندج أن خندجاً
وليت عفرين لدى سواء

حبيت عن العُهار أطهار أمه
وبعض الرجال المدعين جفاه

شِبْهِ أَيْهِ مَنظَرًا وَخَلِيقَةً
وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ

أَحْيَا لَنَا سُنَنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وَقَالَ أَيْضًا

صَحِيحُ الضَّمِيرِ سِرُّهُ مِثْلُ جَهْرِهِ

وَقَالَ أَيْضًا

تَشَابَهَتْهُمَا حِلْمًا وَعَدْلًا وَنَأْلًا

تَنَازَعَتْهُمَا تَسْبِينَ هَذِي كَهْزِهِ

كَمَا لَاسَ لَمَلًا حَضَرِي فَقَدْ هَا

وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى أَبُو نَوَاسٍ فَقَالَ

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَةَ فَاتَّفَقَا

وَالْأَمْسَلُ فِي هَذَا قَوْلُ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا اعْتَرَفْتُ الَّذِي بِيهَا

كَمِثِلِ الَّذِي بِي حَدُوكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ^(١)

(١) البيت من قصيدة مطلعها

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِيِّ وَبَيْنَهَا

فَأَنْسَ مَلَأْشِيَاءَ لَا أَنْسَ مَوْفَى

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا اعْتَرَفْتُ الَّذِي بِيهَا

رَوَى أَنَّ ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ اجْتَمَعَ هُوَ وَجَبِلٌ بِالْأَبْطَحِ فَأَنْعَدَهُ جَبِلٌ لَامِيَةً لَقِيَ أُولَاهَا

لَقَدْ فَرَحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمَتْ جَبِلٌ

فَأَنْشَدَهُ هَمْرٌ لَامِيَةً فَقَالَ جَبِلٌ هَبَاتِ يَا أَبَا الْخَطَّابِ لَا أَقُولُ وَاللَّهِ مِثْلَ هَذَا سَجِيسٌ

إِلَهَامِي وَمَا خَاطَبَ النِّسَاءَ مَخَاطَبَتَكَ أَحَدٌ وَقَامَ مَشْمُرًا

ومثله للسيد الحميري رحمه الله تعالى

يَتَلَوْنَ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ وَفِعْلَهُ
فَالنَّعْلُ تُشَبِّهُ فِي الْمِثَالِ طَرِيقَهَا

وقد تقدم الى هذا المعنى يزيد بن الكسر بن نعلبة بن سيار المعجل بقوله في يوم ذي قار
يعرض قومه على القتال

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرَمِهِ
وَجَارِهِ وَفَرَّ عَنْ قَدِيمِهِ

أَنَا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ
مِثْلُ الشِّرَاكِ قَدَمَنْ أَدِيمِهِ

• وَكُلُّهُمْ يَجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ •

فأما قوله • وحديث حتى قبل أصبح باغياً • البيت في معناه قول البحري

أَلَنْتَ لِي الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ
وَعَاتَيْتَ لِي دَهْرِي الْمُسَى فَعَاتِبَا

وَالْبِسْتَنِي الثَّغْمِي الَّتِي غَيَّرْتَ أَخِي
عَلَيَّ فَاغْمَسِي نَارِجَ الْوَدِّ أَجْنِبَا

ومما يختار لمروان قوله

مَوْفَقٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مَتَّبِعٌ
بَزِينُهُ كُلُّ مَا يَأْتِي وَيَحْتَنِبُ

تَسْمُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ كُلَّمَا تَفَرَّجَتْ
لِلنَّاسِ عَنْ وَجْهِهِ الْأَبْوَابُ وَالْحُجُبُ

لَهُ خَلَاقٌ بِيضٌ لَا يُغَيِّرُهَا
صَرَفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

ووجدت بعض من ينقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتخل به غير هذا البيت
الأخير من الثلاثة • • وكان ابن منذر إياه أراد بقوله وقد سأله وهو مجاور بمكة عن
ببغاء من الشعراء فقيل له العباس بن الأحنف فقال أنشدوني له فأشدهوه

لَوْ كُنْتُ عَاتِبَةً لَسَكَنْ عَبْرَتِي
أَمَلِي رِضَالِكِ وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبِ

لَكِنْ صَدَدْتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةً
صَدَّ الْمُلُوكُ خِلَافَ صَدِّ الْعَاتِبِ

فقال ابن منذر أخلق بمن أدام بحث التراب أن يصيب خرزة • • [قال الشريف

المرتضى [رضى الله عنه ولا شك في قوة الأمثال في شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذى قد تضمنه البيت قد سبق اليه أيضاً .. قال طريح بن اسماعيل
 جَوَادٌ إِذَا جِئْتَهُ رَاجِئًا كِفَاكَ السُّؤَالِ وَإِنْ عُدْتَ عَادَا
 خَلَاثَةُ كَسْبِكَ النَّصَا وَلَا يَعْمَلُ الدَّهْرُ فِيهِ قِسَادَا

ومثله قول الخزيمي

رَأَيْتُكَ يَا زَيْدُ زَيْدَ النَّدى وَزَيْدَ الْفَخَّارِ وَزَيْدَ الْكَرَمِ
 تَزِيدُ عَلَى نَائِبَاتِ الْخُطُو بَ بَذَلًا وَفِي سَائِغَاتِ النِّمِ
 كَذَا الْخَمْرِ وَالذَّهَبِ الْمَعْدِي يَجُودُ هَذَا وَذَاكَ الْقَصْدِ

وفى قوله - الذهب المعدني - فائدة لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه .. وللأمرى

نَاوِي إِلَى خَلْقٍ لَمْ يُصْنِهِ طَعْمٌ كَأَنَّ جَوْهَرَهُ مِنْ جَوْهَرِ الذَّهَبِ

وليعلمهم

مَلِكٌ لَهُ خَلْقٌ خَلِيقٌ بِالْعَلَى كَسْبِيكَ الذَّهَبِ الَّتِي لَا تَكْلِفُ
 وَقَدْ أَخَذَ الْخِزَارِزَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ لَصُورَةٍ حُسْنُهَا الْأَصْلَى يَكْفِيهَا
 فَلَا تَعْنُ لِتَحْرِيفِ تَكْلِمُهُ وَلَا تَزَادُ عَلَى الْحُسْنِ الَّذِي فِيهَا
 إِنْ الدُّنَا نِيرَانٌ لَا تُجَلَّى وَإِنْ عَقَّتْ

وللمحطة

صَدِيقٌ لِي لَهُ أَدَبٌ صَدَاقَةٌ مِثْلُهُ حَسَبٌ
 رَعَى لِي فَوْقَ مَا يُرْعَى وَأَوْجَبَ فَوْقَ مَا يَجِبُ
 وَلَوْ تَهَدَّتْ خَلَاثَتُهُ لَبُهِرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

﴿ مجلس آخر ٤٤ ﴾

[تأويل آية ٠٠] إن سأل سائل عن قوله تعالى (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى) الآية ٠٠ فقال لم وحد نجوى وهو خبر عن جمع وماعنى مسهوراً وما جرت عادة مشركى العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بل طعنهم جارية بقرفه بأنه ساحر ٠٠ الجواب أما قوله تعالى (وإذ هم نجوى) فان نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثان والجمع والمؤنث وهو مقر على لفظه ويجرى ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمناهل حديد يعنى يصوم صائمون وبمحمد محمودون ٠٠ وقد قال قوم ان معناه وإذ هم أصحاب نجوى فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ويقال القوم نجوى والقوم أنحية فن وحد بني على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصادر ملحقاً برغيف وأرغفة وما أشبه ذلك ٠٠ قال الشاعر في التوحيد

أَتَأْنِي نَجْوِي بَعْدَ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ أَكُفَيْمًا قَدْ بَلَوْتُ بِكَأَذِبٍ (١)

(١) قوله - أثنائي نجوي - الخ ٠٠ هو لسواد بن قارب الدوسي رضى الله عنه وقيل انه سدوسي وهو صحابي وبعده

ثلاث ليال قوله صكك لبلة	أناك رسول من لؤي بن غالب
فرقت أذيال الأزار وشمرت	بي العرمس الوجناء هول السباب
فأشهد أن الله لا رب غيره	وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة	الى الله بين الأكرمين الأطياب
فرنا بما يأتيك من وحى ربنا	وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شقيقاً يوم لا ذو قرابة	بعض فتيلاً عن سواد بن قارب

روى ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له وهو خليفة كيف كهانتك اليوم فغضب سواد وقال يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك فاستحيى عمر ثم قال له يا سواد ما كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك ثم سأله عن حديثه في بدء الاسلام وما أنام

وَأَنشَدَ الْفَرَّاءُ فِي الْجَمْعِ

ظَلَّتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْقَوْمُ انْجِيَتْ
يُمَدَى عَلَيْهَا كَمَا يُمَدَى عَلَى النِّعَمِ

فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى (إِنْ تَبْهَمُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) فِيهِ وَجُوهٌ ٠٠ أَوَّلُهَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنْ تَبْهَمُونَ إِلَّا رَجُلًا مُتَغَيِّرَ الْعَقْلَ لِأَنَّ الْمُنْشَرِكِينَ كَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ عَيْبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَضَعِيفُ أَمْرِهِ وَنُوحِينَ رَأْيِهِ وَكَانُوا فِي وَقْتٍ يَنْسُبُونَهُ إِلَى أَنَّهُ سَاحِرٌ وَفِي آخِرِ يَوْمُونَهُ بِالْجُدُونَ وَأَنَّهُ مَسْحُورٌ مُتَغَيِّرَ الْعَقْلِ وَرَبِّمَا قَدْ فُتِيَ بِهِ شَاعِرٌ حَوْشَى مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ النَّاسِ بِأَنْ يَصِفُوا مَنْ يَضِيفُونَهُ إِلَى الْبَلَاءِ وَالْفَقْلَةِ وَقِلَّةِ التَّحْصِيلِ بِأَنَّهُ مَسْحُورٌ ٠٠ وَنَائِبُهَا أَنْ يَرِيدُوا بِالْمَسْحُورِ الْمَخْدُوعَ وَالْمَعْلُولَ لِأَنَّ ذَلِكَ أَحَدُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِيهِ هَذِهِ اللَّفْظَةُ ٠٠ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ

أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِحَتَمٍ غَيْبٍ
وَتُسْكِرَ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ^(١)

بِهِ رُشِيهِ مِنْ ظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ أَتَاهُ رُشِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ مُتَوَالِيَاتٍ وَهُوَ فِيهَا كُلِّهَا بَيْنَ النَّاسِ وَالْيَقْظَانِ فَقَالَ لَهُ قُمْ يَا سَوَادُ فَاسْمَعْ مَقَالَتِي وَاعْقِلْ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ قَدْ بَمَثَ رَسُولٍ مِنْ لَوْثِي بْنِ غَالِبٍ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَإِلَى عِبَادَتِهِ وَأَنشَدَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ لَيَالٍ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ وَقَالَتْهَا مُخْتَلَفَةً أَوَّلُهَا

عَجِبْتُ لِلْجَمْرِ وَتَطْلُبُهَا
وَشَدَّهَا الْعَيْسُ بِأَقْنَابِهَا

تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْهَدْيَ
مَا صَادَقُ الْجَنِّ كَكُذَابِهَا

فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَازِمٍ
لَيْسَ قَدْ آمَاها كَأَذْنَابِهَا

وَذَكَرَ تَمَامَ الْخَبَرِ وَأَنَّهُ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنشَدَهُ الْآيَاتِ السَّابِقَةَ

(١) وَبَعْدَهُ

عَصَافِيرٌ وَذَبَابٌ وَدُودٌ
وَأَجْرًا مِنْ مَجْلَعَةِ الذُّنَابِ

وَيُرْوَى وَأَجْرٌ ٠٠ وَبَعْدَهُ

وَكُلُّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ صَارَتْ
إِلَيْهِ هَمِّي وَبِهِ أَصْكَنْبَائِي

فَبَعْضُ اللُّومِ عَازِلِي قَائِي
سَتَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَاتِّسَائِي

وقال أمية بن أبي الصلت

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَا فِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ

•• وثالثها ان السحر في اللغة العربية الرمة وما تعلق بها وفيه ثلاث لغات سحرّ وسحرّ وسحرّ •• وقيل ان السحر ما لصق بالخلقوم والمرئ من أعلا الجوف وقيل انه الكبد فكان المعنى على هذا ان يتبعون إلا رجلا مسحوراً ذا سحر خلقه الله بشراً تكلفتم •• وراجعها أن يكون معنى مسحوراً أى ساحراً وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعله قال الله تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حججاً بائناً مستوراً) أى سائر والعرب تقول للمصدر ملقح^(١) ومعناه ملقح لان ماضيه ألقح فجاءوا بلفظ المفعول وهو للفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤم على فلان وميمون ويريدون شأماً ويأمن لانه من شامهم ويمهم •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ورأيت بعض العلماء يطمئن على هذا الاستشهاد الأخير ويقول العرب لاتعرف فلان مشؤم هل فلان وانما هذا من كلام أهل الأمصار وانما تسمى العرب من لحقه الشؤم مشؤماً •• قال علقمة بن عبدة

وَمَنْ تَمَرَّضَ لِلْغُرَبَاءِ يَزْجُرْهَا عَلَى سَلَامَتِهِ لَا بُدَّ مَشْؤُماً^(٢)

الى عرق النوى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي

الى آخر الآيات

(١) قوله ملقح هكذا في الاصل ووردت كذلك في بعض الكتب •• والصحيح ملقح بالفاء والجرم وهو من الأوصاف التي وردت على أفعال فهو مفعول أي استغنى بصيغة اسم المفعول فيها عن اسم الفاعل وهي الفج الرجل فهو ملقح أى ذهب ماله وأسهب فهو مسهب أى كثر كلامه وأحصن فهو محصن وأهتر فهو مهتر وزاد بعضهم اجرأشت الابل في مجرأشة

(٢) قال الصبي هذا لا يمانه بالطيرة يقول من يزجر الطير وان سلم فلا بد أن يصيبه

عوم وأهد

والوجوه الثلاثة الأول أوضح وأشبهه .. وما يختار لمروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني أولها

أَرَى الْقَلْبَ أَمْنَى بِالْأَوَانِسِ مَوْلِمَا وَإِنْ كَانَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَى قَدَّمَ تَعْمَا

يقول فيها

وَلَمَّا سَرَى الْهَمُّ الْغَرِيبُ قَرِيْنَهُ قَرَى مِنْ أَزَالِ الشُّكِّ عَنْهُ وَأَزْمَمَا
عَزَمْتُ فَعَجَلْتُ الرَّحِيلَ وَلَمْ أَكُنْ كَذِي لَوْنَةٍ لَا يُطْلِعُ الْهَمُّ مَطْلِمَا
فَأَمْتُ رِكَابِي أَرْضَ مَعْنٍ وَلَمْ تَزَلْ إِلَى أَرْضٍ مَعْنٍ حَيْثُ مَا كَانَ نُزْعَا
نَحَابُ لَوْلَا أَنَّهَا سَحَرَتْ لَنَا أَبَتْ عِزَّةً مِنْ جَهْلِهَا أَنْ تَوْرَعَا
كَسُونَا رِحَالَ الْمَيْسِ مِنْهَا غَوَارِبَا تَدَارَكَ فِيهَا النَّيُّ صَيْفَا وَمَرَبَا
فَمَا بَلَغْتَ صِنْعَاءَ حَتَّى تَوَاضَعْتَ ذُرَاهَا وَزَالَ الْجَهْلُ عَنْهَا وَأَقْلَمَا

يقول فيها

وَمَا الْفَيْثُ إِذْ هَمَّ الْبِلَادَ بِصَوْبِهِ عَلَى النَّاسِ مِنْ مَعْرُوفٍ مَعْنٍ بِأَوْسَمَا
تَدَارَكَ مَعْنٍ قُبَّةَ الدَّرِينِ بَعْدَمَا خَشِينَا عَلَى أَوْتَادِهَا أَنْ تَنْزَعَا
أَقَامَ عَلَى الثُّغْرِ الْمَخُوفِ وَهَاشِمُ تَسَاقَى سِمَامَا بِالْأَسِنَّةِ مُنْقَمَا

إمام كان لقمان بن عاد أشار له بحكمته مشير

تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور

بل شيء يوافق بعض شيء أحياننا وباطله كثير

قال الرستمى يقول الغريان يتشاءم بها فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفاً أن يصيبه

الشؤم فلا بد أن يقع بما خاف ويحذر ويتعلقه من قصيدته المشهورة التي مطلعها

هلم ما علمت وما استودعت مكثوم أم حبليها إذ نأثك اليوم مصنوم

مُقامِ امرِي يَأْتِي سِوَى الْخُطَّةِ الَّتِي
وَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةَ
رَأَوْا مُخْذِرًا قَدْ جَرَّبُوهُ وَعَايَنُوا
وَلَيْسَ بِثَانِيهِ إِذَا شَدَّ أَنْ يَرَى
لَهُ رَاحَتَانِ الْحَتْفُ وَالْعَيْثُ فِيهِمَا
لَقَدْ دَوَّخَ الْأَعْدَاءُ مَعْنُ فَاصْبَحُوا
نَجِيبُ مُنَاجِيْبٍ وَسَيِّدُ سَادَةٍ
لَبَّاتُ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأُكْمِلْتُ
لَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
وَطَلْتُ خُدُودَ الْحَضَرَمِيِّينَ وَطَاةَ
فَأَقْعَمُوا عَلَى الْأَذْنَابِ إِفْعَاءَ مَعَشَرٍ
فَلَوْ مَدَّتْ الْأَيْدِي إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا

تَكُونُ لَدَى غَبِّ الْأَحَادِيثِ أَنْفَعًا
عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعًا
لَدَى غِيْلِهِ مِنْهُمْ جَرًّا وَمَضْرَعًا
لَدَى نَحْرِهِ زُرْقَ الْأَسِنَّةِ شُرْعًا
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَضُرَّ وَتَنْفَعَا
وَأَمْنَهُمْ لَا يَدْفَعُ الذَّلَّ مَدْفَعًا
ذُرَى الْمَجْدِ مِنْ فِرْعَوِي نَزَارٍ تَفْرَعَا
وَمَا كَمَلْتُ خَمْسَ سَنَوِهِ وَأَزْبَعَا
بِسَيْفِكَ أَعْنَاقُ الرُّبِيِّينَ خَضَمًا
لَهَا هَذِهِ رُكْنٌ مِنْهُمْ فَتَضَعُضَمَا
يَرْوُونَ لُزُومَ السَّلَمِ ابْتِغَاءَ وَادِّعَا
لَكَفُّوا وَمَا مَدُّوا إِلَى الْحَرْبِ إصْبَعَا

أَمَا قَوْلُهُ - فَمَا بَلَغْتَ صِنْعَاءَ حَتَّى تَوَاضَعْتَ - الْبَيْتُ ٠٠ فَقَدْ رَدَدَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ
فَمَا بَلَغْتَ حَتَّى حَمَّاهَا كَلَالُهَا إِذَا عَرِيتَ أَصْلَابُهَا أَنْ تُقَيِّدَا

وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَالْمَحْدَثِ ٠٠ فَتَنَّهُ قَوْلُ جَرِيرٍ

إِذَا بَلَّغُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيِّدْ وَفِي طَوْلِ الْكَلَالِ لَهَا قِيُودُ

وَرَوَى أَنَّهُ قِيلَ لِمُعَبِّدٍ بَيْتٌ نَازِعٌ فِيهِ جَرِيرٌ أَيْكَمَا فِيهِ أَشْعَرُ فَقَالَ مَا هُوَ فَقِيلَ قَوْلُكَ
أَضَرَّ بِهَا التَّهْجِيرُ حَتَّى كَانَتْهَا بَقَايَا سِلَالٍ لَمْ يَدْعُهَا سِلَالُهَا

وَأَنشَدَ بَيْتَ جَرِيرٍ الَّذِي تَقْدِمُ لِقَالَ قَاتِلُ اللَّهِ ابْنَ الْخَطَنِ قَبِيلُهُ لَمْ يَدْعُهَا سِلَالُهَا

هو ذلك . . وأخذ هذا المعنى بعينه المؤمل بن أميل المحاربي فقال
 كَانَتْ تُقَيِّدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنْزِلًا فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلالُ قُبُودًا
 ولا أبي نخيلة

قَيَّدَهَا الْجَيْدُ وَلَمْ يَقَيِّدْ فَمِى سَوَامٍ كَالْقَنَا الْمُسْتَدِ
 وَمَالَهَا مُطَلٌّ مِنْ مِرْوَدٍ مِنْهَا وَلَا مِنْ شَاحِطٍ مُسْتَبَعِدِ
 ومعنى قوله - سوام - أى رمي رافعة رؤسها وشبهها بالقنا لأن القنا إذا ركز مال قليلا مع
 الريح فيقول في أعناقها ميل من الضمف كما قال النخاع
 فَأَضْحَتْ تَقَالِي بِالسَّيَّارِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجَهَةُ الرِّيحِ رَاكِزُ
 وكما قال جريد بن نور الهلالي

بِمَتَوَى حَرَامٍ وَالْمَطِيِّ كَأَنَّهَا قَنَا مُسْتَدِّ هَبَّتْ لَهْنُ خَرِيقِ
 - الخريق - ريح شديدة تخرق من كل جهة . . ومعنى قول أبي نخيلة - من مزود -
 أى من نيلة تجترها من الاجترار وأنه لا شئ في أجوافها تملك به - والمستبعد - ما بعد من
 المرمى . . وأند أبو العباس ثعلب

إِذَا بَلَعُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيِّدْ وَلَمْ تُشَدِّدْ رَكَائِبُهُمْ بِمَقَلِ
 فَهِنَّ مُقَيِّدَاتٌ مُطْلَقَاتٌ تُقَضِّمُ مَا تُشَدِّدُ فِي الْمَحَلِ
 والأصل في هذا قول امرئ القيس
 مَطُوتٌ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَ مَطِئُهُمْ وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدِّنَ بِأَرْصَانِ
 ولعباد بن أنف الكلبي الصيداوى
 فَتُمْنِي لَا أَقَيِّدُهَا بِجِلِّ بِهَا طُولُ الضَّرَارَةِ وَالْكَلالِ

ومن جريد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل
 بَدَأْنَا بِهَا مِنْ سَيْفِ رَمْلِ كَهَيْلَةٍ وَفِيهَا نَشَاطٌ مِنْ مِرَاحٍ وَعَجْرَفُ

فَمَا بَلَّغْتُ حَتَّى تَقَارِبَ خَطُومَهَا وَبَادَتْ ذُرَاهَا وَالْمَنَاسِمُ رُفْتُ

وَحَتَّى قَتَلْنَا الْجَهْلَ عَنْهَا وَغَوَّدَرْتُ إِذَا مَا أُنِخْتُ وَالْمَدَامُ دُرْفُ

وَحَتَّى مَشَى الْحَادِي الْبَطِي بِسُوقِهَا لَهَا بَخْصٌ دَامَ وَدِيٌّ مَجْلُفُ

— البخمس — لم الخف الذي ^(١) يطأ عليه — والدتي — فقار الظهر — والجلف — المشور

وَحَتَّى تَنْشَاهَا وَمَا فِي يَدَيْهَا إِذَا حُلَّ عَنْهَا رِمَّةٌ وَهِيَ رُشْفُ

— الرمة — الحبل .. وأراد أنها يزيف كما تزيف المقيد وإن لم يكن في يدها قيد

إِذَا مَا نَزَلْنَا فَاتَلَّتْ عَنْ ظُهُورِهَا حَرَّاجِيحُ أَمْثَالِ الْأَهْلَةِ شُسْفُ

— الحر جريح — الطوال من الابل — والشسف — اليابسة من الجهد والكلال .. ومعنى

قتلها للفرسان أنها إذا ضربت ظهورها فتقع الفرسان عليها لتأكل دبرها فالابل تدلع

الفرسان بأفواهها عن ظهورها فذلك قتلها

إِذَا مَا أَرَيْنَاهَا الْأَرِمَةَ أَقْبَلْتُ الْيَنَّا مَجْرَاتِ الْخُدُودِ تَصَدَّفُ

فَأَفْنِي مِرَاحُ الدَّاهِرِيَّةِ خَوْضُهَا بِنَا اللَّيْلِ إِذَا نَامَ الدُّثُورُ الْمَلْفُفُ

وبروي أرفقت .. ومن أحسن ما قيل في وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد

بعد السمن قول الشاعر

وَذَاتِ مَائِنٍ قَدْ غِيضَتْ جَمَّتُهَا بِحَيْثُ يُسْتَمْسَكُ الْأَزْوَاحُ بِالْحَجَرِ

رَدَّتْ عَوَارِي غِيْطَانِ الْفَلَاوَحَتْ بِبِشْلِ إِيَالَةٍ مِنْ حَائِلِ الْمَشْرِ

قوله — ذات مائين — يعني سمناً على سمن وقيل بل يعني أنها رعت كلاً طمين .. وقوله

(١) وقيل البعص ما ولى الأرض من تحت أصابع الرجلين ونحت منادم البعير

والنعام وقيل هو لم يخاطبه بياض من قصاد يحمل فيه والدتي بكسر الدال والهمزة جمع

دابة وهي فقر الكامل والظاهر أو غراضيف الصدر أو ضلوعه في ملتقاه وملتقى الجنب

— قد غيبت جثها — يعني أنه أنصبا بالبر حتى ردها عزلى بعد سن فكانه غيضا بذلك
 ماها ٠٠ ومعنى — بحيث يتمسك الأرواح بالحجر — يعني الفلاة حيث لا يكون فيها الماء
 فيقسم الركب الماء الذى يكون معهم بالحجر الذى يقال له المقلة فتسلك أرواقهم
 ٠٠ وقوله — ردت عواري غيطان الفلاة — أى مارعت من كلاً هذه الأماكن وسمعت
 منه كان كمارية عندها فردته حيث جهدها السير وأهزلها — والأيالة — الحزمة من
 الطعاب اليابس ٠٠ وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال

رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَ أَنْ كَانَ حَقِيقَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الْمُرْنِ يَنْهَلُ سَاكِبَةً (١)
 فَكَمْ جَزَعٍ وَإِجْبَازٍ وَرَوْعٍ غَارِبٍ وَمَنْ قَبْلُ كَانَتْ أَنْهَ كُنْتَهُ مَذَاهِبُهُ
 فأما قوله — فأحجم الأعداء عنك بقية — البيت فأخوذ من قول الأول
 فَمَا بَقِيَا عَلَيَّ تَرَكْتُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِي (٢)

(١) هذان البيتان من قصيدته المشهورة التي مدح بها عبد الله بن طاهر لما قدم
 خراسان حكى أنه لما أنشده إياها وبلغ إلى قوله

وَقَلْقَلْتُ نَائِي مِنْ خِرَاسَانَ جَأَشَهَا فَقُلْتُ أَلْهَمَانِي أَنْصُرَ الرُّوْضَ عَازِبَهُ
 وَرَكِبْتُ كَأَطْرَافِ الْأَشْتِ هَرَجُوا حُلَّ مِثْلَهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُرُ غِيَابَهُ
 لِأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ حُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ هَوَاقِبُهُ

صاح الشعراء بالأمير ما يستحق هذا الشعر غير الأمير أعزاه الله ٠٠ وقال شاعر منهم
 يسرف بالرياحى لي عند الأمير أعزاه الله جائزة وعدني بها وقد جمعناها لهذا الرجل
 جزاء عن قوله للأمير فقال له بل لضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا فلما فرغ من
 القصيدة نثرها عليه ألف دينار فللقطها الفلماني ولم يمس منها شيئاً فوجد عليه عبد الله
 وقال يرفع من يرى ويهاون بما أكرمه به فلم يبلغ ما أراد منه بعد ذلك

(٢) قوله — فابقياء على — الخ ٠٠ البقية بالضم الرحمة والشفقة — وصرد — السهم من
 باب فرح من الاضداد إذا خذ وإذا نكل فيكون المعنى على النفوذ انكنا خلفنا نفوذ سهمي
 فيكما أي هجائي وحل معنى النكول أى خلفنا أن لا تنفذ سهمكما في فمجزئنا عني وهو

وقريب منه قول الآخر

لَعَمْرُكَ مَا النَّاسُ انْتَوَوْا عَلَيْكَ وَلَا قَرَّطُوكَ وَلَا عَظَمُوا
وَلَوْ أَنَّهُمْ وَجَدُوا مَطْمَعًا إِلَى أَنْ يَمِيسُوكَ مَا أَحْجَمُوا
فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ الْجَائِئُهُمْ إِلَى أَنْ يَجْلُوا وَأَنْ يُعْظَمُوا

ومثله

أَمَا لَوْ رَأَى فِيكَ الْعَدُوُّ تَقِيصَةً لَخَبَّ بِتَضَرُّفِ الْعُيُوبِ وَأَوْضَاعَا
وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَىكَ مَبْرُورًا مِنْ الْعَيْبِ غَطَّى رَأْسَهُ وَتَقَنَّمَ

ومثله

فَدُ طَلَبَ الْعَاذِلُ عِيًّا فَمَا أَصَابَ عِيًّا فَأَنْتَنِي هَاذِرًا
وَالْبَحْتَرَى فِي مَعْنَى قَوْلِ مِرْوَانَ * فَا أَحْجَمِ الْأَعْدَاءَ عَنْكَ بَقِيَّةُ *

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاء الأسد

غَدَاةً لَقِيتَ اللَّيْثَ وَالْأَيْثُ خَادِرُ يَحْدِدُنَا بِاللِّقَاءِ وَمَحَلًّا
شَهِدْتُ لِقْدَانِصْفَتَهُ يَوْمَ تَنْبَرِي لَهُ مُصَلَّتًا عَضْبًا مِنَ الْبَيْضِ مُغَضَّبًا

أول أبيات اللعين المنقري يهجو بهما جريراً والفرزدق وبعده

لَدُونِكَ انْظُرَا أَهْجَعُوتَ أَمْ لَا فَذَوْقَا فِي الْمَوَاطِنِ مِنْ نُبَالِي
وَمَا كَانَ الْفَرَزْدَقُ غَيْرَ قَيْنٍ لَسِمَ خَالَهُ لِلْزُّمِ تَالِي
وَيَتْرَكَ جَدَّهُ الْخَطَنِي جَرِيرَ وَيَسْتَدِبُ حَاجِبًا وَبَنِي عَقَالِ

وكان اللعين تعرض لجرير والفرزدق فقال

سَأَقْضِي بَيْنَ كَلْبٍ وَبَنِي كَلْبٍ وَبَيْنَ الثِّقَيْنِ قَيْنٍ وَبَنِي عَقَالِ
بِأَنَّ الْكَلْبَ مَرَاتِمَهُ وَخِيمَ وَأَنَّ الثِّقَيْنَ يَسْلُ فِي سَفَالِ

فلم يجبه أحد منهما فقال الأبيات المتقدمة

فَلَمْ أَرِ ضَرْغَامِينَ أَصْدَقَ مِنْكُمْ
 هَزَبُ مَشَى يَنْبَى هَزَبًا وَاعْلَبَ
 أَذَلَّ بِشَفَبٍ ثُمَّ هَالَتْهُ صَوْلُهُ
 فَاحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَنَا
 فَلَمْ يَنْتَهَ أَنْ كَرَّ غَوْكَ مُقْبِلًا
 حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ لَأَعْزِمَكَ أَنْتَنَى
 وَكُنْتَ مَتَى تَجْمَعُ يَمِينَكَ تَهْنُكَ
 هَرَا كَأِذَا الْهَيَّابَةُ النِّكْسُ كَذَبًا
 مِنَ الْقَوْمِ يَفْشَى بِاسِلَ الْوَجْهِ غَلْبًا
 رَأَيْتُهَا أَمْضَى جَنَانًا وَأَشْنَبًا
 وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا
 وَلَمْ يُنْجِهِ أَنْ حَادَ عَنْكَ مِنْكِبًا
 وَلَا يَذُكَّ أَرْتَدَّتْ وَلَا حَذُّهُ نَبَا
 ضَرِيَّةٌ أَوْ لَا تَبْقِ لِلْسَيْفِ مَضْرَبًا

ومن سافى كلام مروان ورائقه وما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد اللمح قوله

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِقَاءِ كَأَنَّهُمْ
 هُمُ يَنْتَمُونَ الْجَارَ حَتَّى كَانُوا
 لَهَا مِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ
 هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا صَابُوا وَإِنْ دُعُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ
 ثَلَاثُ بَأْ مِثَالِ الْجِبَالِ حِبَاهُمْ
 أَسْوَدُ لَهَا فِي غِيلِ خَفَانٍ أَشْبَلُ
 لِجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَاءِ كَبَنٍ مَنَزَلُ
 كَأُولِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
 أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا طَابُوا وَاجْزَلُوا
 وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِيَاتِ وَاجْمَلُوا
 وَأَحْلَاهُمْ مِنْهَا الدِّى الْوَزْنِ أَثْقَلُ

إِلَّا يَظُنُّ الْمَنَايَا تَسْبِقُ الْقَدَرَا
 كَاللَّيْلِ يَزْدَادُ إِفْدَامًا إِذَا زُجِرَا
 وَزْدَاوٍ يَحْسَبُ فَوْقَ الْمُنْبَرِ الْقَهْرَا
 مَا مِنْ عَدُوٍّ يَرَى مَعْنًا بِسَاحَتِهِ
 يَلْقَى إِذَا الْخَيْلُ لَمْ تَقْدِمِ فَوَارِسَهَا
 أَغْرَهُ يَحْسَبُ يَوْمَ الرُّوْعِ ذَا لَبْدٍ

وله من قصيدة يصف يوماً حاراً

وَيَوْمَ عَسُولِ الْآلِ حَامٍ كَأَنَّمَا لَقِيَ شَمْسُهُ مَشْبُوبُ نَارٍ تَلْبُبُ
نَصَبْنَا لَهُ مِنَّا الْوُجُوهَ وَكَفَّهَا عَصَابُ أَسْمَالٍ بِهَا يُنْعَصَّبُ

وبشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفرى

وَيَوْمَ مِنَ الشَّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ أَفَاعِيهِ فِي رَمَضَائِهِ تَتَمَلَّلُ^(١)
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَكِنْ ذُوهُ وَلَا سِتْرَ إِلَّا الْأَتْعَمِي الرُّعْبِلُ^(٢)

ولروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ويذكر فيها نخلا وشجرها
أجاد فيها

نَوَاضِرُ عَلِيَاءَ تَدَانَتْ رُؤُوسُهَا مِنْ النَّبْتِ حَتَّى مَا يَطِيرُ غُرَابُهَا
تَرَى الْبَاسِقَاتِ الْعُمَّ فِيهَا كَأَنَّمَا ظَمَائِنُ مَضْرُوبٌ عَلَيْهَا قَبَابُهَا
تَرَى بِأَبْهَا سَهْلًا لِكُلِّ مَدْفَعٍ إِذَا أَيْقَمْتَ تَخْلُ فَاغْلِقْ بِأَبْهَا
يَكُونُ لَنَا مَا نَحْتَجِّي مِنْ ثَمَارِهَا رَيْبًا إِذَا الْآفَاقُ قَلَّ سَحَابُهَا

- (١) البيتان من قصيدته المشهورة المسماة الشنفرية ولامية العرب - الشعرى -
هي الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر - وذاب - الشيء تقيض
جد - ولعابه - ولوايه واحد • • ولعابه هنا ما تراه من شدة الحر مثله لسج العنكبوت
- والأفامى - جمع أفعى وهي الحية - والرمض - شدة وقع الشمس على الرمل وغيره
والأرض رمضاء أى أصابها الرمض - والتخلل - التحرك على الفراش إذا لم تستقر عليه
من الوجع كأنه على ملة والملة الرماد الحار • • والواو في ويوم واو رب ومن لبيان
الجنس والتقدير ويوم من الأيام التي تطلع فيها الشعرى ومن الشعرى صفة يوم يذوب
نعت ليوم أيضاً أى ذائب لعابه وأفاعيه مبتدا وتخلل خبره وفي رمضائه متعلق بتخلل
(٢) - النصب - الإقامة تقول نصبت وجهي للعر أفتته - والكن - السز والجمع
أكنان - والأتعمى - بردمعروف - والمرعبل - الممزق فقوله نصبت هو جواب رب

حَقَّارٌ لَمْ يَحْطَ بِأَمَانَةِ الرَّبِّ وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا
وَلَكِنْ عَطَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَذْحَقَةٍ جَزِيلٍ مِنَ الْمُسْتَخْلِفِينَ قَوَائِمُهَا
وَمِنْ رَكْضِنَا لِلْخَيْلِ فِي كُلِّ غَارَةٍ حَلَالٌ بِأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ مِنْهَا بِهَا
حَوَتْ غَنَمُهَا أَبَاؤُنَا وَجَدُّوْنَا بِصَمِّ الْعَوَالِي وَالذِّمَاءِ خِصَابُهَا

فأما قوله

حَقَّارٌ لَمْ يَحْطَ بِأَمَانَةِ الرَّبِّ وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا
فَكَانَ ابْنُ الْعَمَزِ لَظَرَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ
لَنَا إِبِلٌ مَا وَفَّرْتَهَا دِيَاتُنَا وَلَا ذَعَرْتَهَا فِي الصَّبَاحِ الصَّوَائِحُ
وَفِي سِدِّ هَذَا قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ

كَثُرَتْ فِيهِمُ الدَّسَارِحُ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ مَنَاحِكٍ وَدِيَاتٍ

وَمِثْلُ الْأَوَّلِ قَوْلُ حَسَّانَ يَهْجُو قَوْمًا مِنْ قُرَيْشٍ

وَمَا لَكُمْ لَا مِنْ طِرَادٍ فَوَارِسٍ وَلَكِنْ مِنَ التَّزْفِيعِ بِأَشْرَ مَا لَكُمْ

مجلس آخر ٤٥

[تَأْوِيلُ آيَةِ] ٥٠. إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى (كُلُّ نَفْسٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَ)
٥٠. وَقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ) ٥٠. وَقَوْلِهِ (وَيَسْبِقُ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ) وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ الْمُتَضَمِّنَةِ لَذِكْرِ الْوَجْهِ ٥٠. الْجَوَابُ قُلْنَا
الْوَجْهُ يَنْقَسِمُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى أَقْسَامٍ ٥. فَالْوَجْهُ الْمَعْرُوفُ الْمَرْكَبُ فِيهِ الْعَيْنَانِ مِنْ كُلِّ
حَيَوَانٍ ٥. وَالْوَجْهُ أَيْضًا أَوَّلُ النَّفْسِ وَسِدْرُهُ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَأَكْفَرُوا آخَرَهُ) أَيْ

أول النهار .. ومنه قول الربيع بن زياد

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ

أي غداة كل يوم .. وقال قوم وجه نهار اسم موضع .. والوجه القصد بالقطع من ذلك
قوله تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله) .. وقال الفرزدق

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكَايِي إِلَى آلِ مَرْوَانَ بُنَاتِ الْمَكَارِمِ

أي جعلت قصدي وإرادتي لهم .. وأنشد الفراء

اسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُخَصِّصَهُ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

أي القصد .. ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي
قصدت قصدي بصلاتي وعلمي وكذلك قوله تعالى (فأقم وجهك للدين القيم) .. والوجه
الاحتياط في الأمرين من قولهم كيف الوجه لهذا الأمر وما الوجه فيه أي ما الحيلة .. والوجه
الذهاب والجهة والناحية .. قال حمزة بن بيض الحنفي

أَيُّ الْوُجُوهِ انْتَجَبْتُ فَلْتُهْمُ لِأَيِّ وَجْهِ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ

مَتَى يَقُلْ صَاحِبًا مُرَادِيهِ هَذَا ابْنُ يُنِصُّ بِالْبَابِ يَنْتَسِمِ

.. والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان أوجه من فلان أي أعظم
قدراً وجاءاً ويقال أوجهه السلطان إذا جعل له جاعاً .. قال امرؤ القيس

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مَلِكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا ^(١)

(١) وقوله

أَذْكُرْتُ نَفْسَكَ مَا لَنْ يَمُودَا فَهَاجَ التَّدْمُكُ قَلْبًا عَمِيدَا

تَذَكَّرْتُ هَذَا وَأَتْرَاهَا فَأَصْبَعْتُ أَزْمَعْتَ مِنْهَا صُدُودَا

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مَلِكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا

إِذَا مَا أَزْدَحَمْنَا عَلَى سَكَا سَبَقَتِ الْفَرَانِي سَبَقًا عَمِيدَا

يقال حمل فلان فلاناً على البريد إذا هباً له في كل مرحلة مركوباً ليركبه فإذا وصل إلى المرحلة الأخرى نزل عن المعوي وركب المرفو وهكذا إلى أن يصل إلى مقعده . والوجه الرئيس المنظور إليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشرين ووجه الشيء نفسه وذاته . . قال أحمد بن جندل

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الْحَوْفَ زَانَ بَطْمَنَةً فَاقْلَتَ مِنْهَا وَجْهَهُ عُنْدَ بَهْدٍ ^(١)

(١) هكذا بالأصل وفسرها بهامش اللخعة أي ضخم . . وقوله قال أحمد بن جندل الخ المعروف أن البيت لسوار بن حبان المنقري قاله يوم جدود والرواية المشهورة ونحن حفَرْنَا الحَوْفَ زَانَ بَطْمَنَةً سَقَتَهُ نَحِيمًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَشْكَلاَ وروى وَنَحْنُ حَفَرْنَا الْحَوْفَ زَانَ بَطْمَنَةً نَجَّ نَحِيمًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَشْكَلاَ وبعده وَحِمْرَانِ أَدْنَى الْبِنَا رَمَاحِنَا يَنَازِعُ غَدَا فِي ذِرَاجِهِ مَقْفَلَا ونسب ابن قتيبة البثنين لجريز وسمي الحوفزان حوفزاناً لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه . . قال الجوهري وأما قول من قال إنما حفزه بسطام بن قيس فغلط لأنه شيباني فكيف يفتخر به جريز وأما قول الآخر وَنَحْنُ حَفَرْنَا الْحَوْفَ زَانَ بَطْمَنَةً سَقَتَهُ نَحِيمًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ آتِيَا فهو الأهم بن سمي المنقري وأول الشعر لما دعنى للسيادة منقر لَدَى مَوْطِنِ أَضْحَى لَهُ النَجْمُ بَادِيَا شَدِدَتْ لَهَا أَزْرِي وَقَدْ كُنْتَ قَبَايَا أَشَدَّ لَأَحْنَاءِ الْأُمُورِ إِزَارِيَا

ولنعمد إلى حديث يوم جدود روى عن أبي عبيدة قال قيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني طمعه في استه يوم جدود وكان من حديث ذلك اليوم أن الحارث بن شريك بن عمرو العاصم بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام كانت بينه وبين بني يربوع موادعة ثم هم بالغدر بهم فجمع بني شيبان وبني ذهل والهازم وقيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني يربوع فغدر به عتية بن الحارث ابن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مناعس وأخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم شديد

أراد أهلك ونجاة ومنه قولهم إنما أفعل ذلك لوجهك • ويدل أيضاً على أن الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) • • وقوله تعالى (وجوه يومئذ نائمة أسعيا راضية) لأن جميع ما أضيف إلى الوجوه في ظاهر الآي من النظر والظن والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة إليها وإنما يضاف إلى الجملة فعنى قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) أي كل شيء هالك إلا إياه فكذلك قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل ذي كما قال (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) لما كان اسمه غيره • • ويمكن في قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه)

الحرفا شعر الحوفزان إلا بالأهمل بن سبي بن سنان بن خالد بن منقر واسم الأهمل سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهمل من أنت فانتسب له وقال هذه منقر قد أتتك فقال الحوفزان فأنا الحارث بن شريك فخادى الأهمل يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل وحمل كل واحد منهما على صاحبه ولحق بنو منقر فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ونادت لساء بن ربيع يا آل سعد فاشتد قتال بني منقر لصياحهم فهزمت بكر بن وائل وخلوا ما كان في أيديهم من بني مقاعس وما كان في أيديهم من أموالهم وتبعهم بنو منقر بين قتل وأسروا أسير الأهمل حران بن عمرو وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرسه قارح يدهم الزبد وقيس على مهر نخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفره بالرمح في استه فتعزز به الفرس فنجاه لسمى الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم

جزى الله يربوعاً بأسوه فعابها إذا ذكرت في الثنايات أمورها
ويوم جدود قد فضحت ذماركم وسالمتموا والخليل ندمي نحرورها
ستخطم سعد والرباب أنوفكم كما خز في أنف القضب جمرها

وجه آخر وقد روي عن بعض المتقدمين وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله تعالى ويوجه به اليه نحو القرية اليه جدت عظمته فيقول لا تنترك بالله ولا تدع إلهاً غيره فان كل فعل يقترب به الى غيره ويقصد به سواء فهو هالك باطل وكيف يسوغ للمشيئة أن يحملوا هذه الآية والى قبلها على الظاهر أو ليس ذلك يوجب انه تعالى يفتي ويبقى وجهه وهذا كفر وجهه من قائله .. فأما قوله تعالى (انما نطعمكم لوجه الله) وقوله (إلا ابتغاء وجه ربي الأعلى) وقوله (وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله) فيحسول على ان هذه الأفعال مفعولة له ومقصود بها ثوابه والقرية اليه والزلفة عنده فأما قوله تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) فيحتمل أن يراد به فثم الله لا على معنى الحلول ولكن على معنى التدبير .. والعلم ويحتمل أيضاً أن يراد به فثم وجه الله وثوابه والقرية اليه ويحتمل أن يكون المراد بالوجه الجهة ويكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عز وجل قال (وقه المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) أي ان الجهات كلها لله وتحت ملكه وكل هذا واضح يتين بحمد الله .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال أنحدرنا مع المكشفي باقة في آخر سفرة سافرنا للميد من الموضع المعروف بحجة الى تكريت في خراقة ^(١) فكانت نجمع كثيراً فيستند فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت أشدهم فزعاً وكان في الخراقة سواي من الجلساء يحيى بن علي المنجم ومتوَّج بن محمد بن مروان والقاسم المعروف بابن حيازة وكان يضحك لفزعنا ويقول لقد قسم الله لكم حظاً من الشجاعة جزيلاً فقلت له ان البحر ترى يقول شعراً يصف فيه مثله حالنا ويمدح فيه أحمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في سراكب أوله

أَلَمْ تَرَ تَغْلِيَسَ الرَّبِيعِ الْمَبْكِرِ وَمَا حَالَكُمْنَ وَشَى الرِّيَاضِ الْمَنْشَرِ
فقال له ألسندي الموضع الذي قال هذا فيه منها وكان جيد العلم بالأشعار حافظاً للأخبار

(١) - الخراقة - سفينة صغيرة فيها الشموع والنار .. وقبل انها من الخرق لانها تخترق الماء .. كذا بهامش الأصل

غَدَوْتَ عَلَى الْمَيُّونِ صُبْحًا وَإِنَّمَا
 إِذَا زَجَرَ النَّوْبُ فَوْقَ عِلَاتِهِ
 يَفْضُونَ دُونَ الْإِسْتِيَامِ عُيُونَهُمْ
 إِذَا مَا عَلَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ
 إِذَا مَا انْكَفَى فِي هَبْوَةِ الْمَاءِ خِلْتَهُ
 وَحَوْلَكَ رَكَبُونَ لِلْهَوْلِ عَافِرُوا
 تَعْمِلُ الْمَنَآيَا حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ
 إِذَا أَوْشَقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكْ رَشْقُهُمْ
 صَدَمَتْ بِهِمْ صُهَبُ الْمَنَآيِينِ دُونَهُمْ
 يَسُوقُونَ إِسْطُولًا كَأَنَّ سَفِينَتَهُ
 كَأَنَّ صَبِيحَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ
 تَقَارَبُ مِنْ رَحْفَتِهِمْ فَكَأَنَّمَا
 عَلَى حَبْنٍ لَا تَقَعُ تُعَاوِضُهُ الصَّبَا
 فَمَارَمَتْ حَتَّى أَجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْ طَلَى
 وَكُنْتُ ابْنَ كِسْرَى قَبْلَ ذَلِكَ وَبِمَدَّةِ
 جَدَحَتْ لَهُ الْمَوْتُ الذَّعَافَ فَمَافَهُ

غَدَا الْمَرْكَبُ الْمَيُّونَ تَحْتَ الْمُظْفَرِ
 رَأَيْتَ خَطِيئًا فِي دُؤَابَةٍ مُنْبَرِ
 وَفَوْقَ السَّمَاءِ لِلْعَظِيمِ الدُّومَرِ
 جَنَاحُ عُقَابٍ فِي السَّمَاءِ مُهَجِرِ
 تَلَفَعَ فِي انْتِهَا بُرْدٍ مُعْبَرِ
 كَوْنُ الرَّدَى مِنْ دَارِ عَيْنٍ وَحُسْرِ
 إِذَا اصْلَتْوَ أَحَدَ الْحَدِيدِ الْمُدْكَرِ
 لِيُقْلِعَ إِلَّا عَنْ شَوَاهِ مُقَدَّرِ
 ضَرَابُ كَأَيْقَادِ الْأَطَى الْمُسِيرِ
 سَحَابُ صَيْفٍ مِنْ جِهَامٍ وَمُمَطِّرِ
 إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيعُ عُودِ مُجَرِّرِ
 تَأَلَّفَ مِنْ أَعْنََانٍ وَخَشِي مُنْفَرِ
 وَلَا أَرْضَ تُلْقَى لِلصَّرِيحِ الْمُقَطَّرِ^(١)
 مُقْصَصَةٌ فِيهِمْ وَهَامٍ مُطَبَّرِ
 مَلِيًّا بَانَ تَوْهِي صَمَاتَةِ ابْنِ قَيْصَرِ
 وَطَارَ عَلَى الْوَاحِ شَطْبِ مُسَرِّ

(١) - الْمُقَطَّرُ - الْمُنْقَطِعُ عَلَى أَحَدِ جَانِبَيْهِ .. كَذَا فِي هَامِشِ الْأَصْلِ

سَمِيَّ وَهُوَ مُؤَلَّى الرِّيحِ بِشُكْرِ فَضْلِهَا عَلَيْهِ وَمَنْ يُؤَلَّى الصَّنِيعَةَ يُشْكِرُ
 قَالَ فَاسْتَجَادَ الْمُكْتَفَى بِاللَّهِ قَوْلَهُ - عَلَى حِينٍ لَا تَقَعُ نَطْوَحُهُ الصَّبَا - فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ حُلَيْبٍ
 أَنَسَدَنِي ابْنُ الرُّومِيِّ شِعْراً لَهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى

وَلَمْ أَتَلَمَّ قَطُّ مِنْ ذِي سَبَاحَةٍ سَوَى الْغَوَاصِّ وَالْمَضْمُوفِ غَيْرُ مُغَالِبٍ
 وَلَمْ لَا وَلَوْ أَتَيْتُ فِيهَا وَصْحَرَةً لَوَافَيْتُ مِنْهَا الْقَعْرَ أَوَّلَ رَاسِبٍ
 وَأَيْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ الْمَاءِ أَنِّي أَمْرُهُ فِي الْكُوزِ مَرَّ الْأَجَانِبِ
 وَاخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ فَكَيْفَ بِأَمْنِيهِ عَلَى نَفْسِ رَاكِبٍ
 فَقُلْتُ لَهُ إِنَّمَا أَخَذَ ابْنُ الرُّومِيِّ بَيْنَهُ الثَّلَاثَ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ فَقَالَ الْمُكْتَفَى بِاللَّهِ فَمَا قَالَ قُلْتُ
 حَدَّثَنِي هَلْ بَنَ سِرَاجَ الْمَصْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلٍ الْأَخْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 الْحَصِيبِ قَالَ وَقَفَ أَبُو نَوَاسٍ بِمَصْرَ عَلَى النَّيْلِ فَرَأَى رَجُلًا قَدْ أَخَذَهُ التَّمَسَّاحُ فَقَالَ
 اضْمَرْتُ لِلنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِيَّةً مَذْقِيلَ لِي إِنَّمَا التَّمَسَّاحُ فِي النَّيْلِ
 فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَثَبٍ

فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِيلِ

قَالَ الصَّوَلِيُّ - وَالْبَوَاقِيلُ - سَفَنُ صَغَارٍ ٥٠ ثُمَّ أَجْرِي الْمُكْتَفَى بِعَدِّ ذَلِكَ ذَكَرَ الشَّيْبُ فَقَالَ
 الْعَرَبُ قَوْلُ أَظْلَمَ مِنْ شَيْبٍ وَقَدْ شَبَّ وَظَلَمَ الشَّيْبُ وَشَبَّ بِاصْوَلِي فَقُلْتُ جَوَابَ عَبْدِكَ
 فِي هَذَا جَوَابَ مَعْنَى بَنَ زَائِدَةُ الشَّيْبَانِي لَجْدِكَ الْمَنْصُورُ وَقَدْ قَالَ لَهُ كَبُرَتْ يَامَعْنُ فَقَالَ فِي
 طَاعَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ وَانْكَ لَتَنْجَلِدَ قَالَ هَلْ أَعْدَاثُ قَالَ وَفِيكَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَقِيَّةُ
 قَالَ غَلَمَتِكَ فَزَعِ الْمُكْتَفَى عَمَامَتَهُ فَإِذَا شَيْتَانُ فِي مَقْدَمِ رَأْسِهِ قَالَ لَقَدْ غَمِي طُلُوعَ هَاتَيْنِ
 الشَّيْبَتَيْنِ فَقُلْتُ لَهُ أَعْمَا يَعْبَثُ النَّاسُ فِي الشَّيْبِ فَأَمَّا السَّوَادُ فَلَا يَصْغَبُ النَّاسُ خَالِصاً
 أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَى الْخَمْسِينَ وَقَدْ يَعَاشُ فِي الْبَيَاضِ الَّذِي لَا سَّوَادَ فِيهِ ثَمَانُونَ سَنَةً
 فَأَنَسَدَنِي يَحْيَى بْنُ حُلَيْبٍ فِي مَعْنَى طُولِ الْعُمُرِ مَعَ الشَّيْبِ قَوْلَ اسْمِعِيلِ الْقَيْسِيِّ

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُذْمِ لِلزَّمِّ قَنُوءَةٌ وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولُ عُمُرٍ وَمَلَبَسَا^(١)

وَأَشَدُّهُ أَنَا أَيْضاً أَيْبَانَا أَشَدُّهَا اسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِي لِبَعْضِ الْقَيْسِيِّينَ
لَمْ يَنْتَقِصْ مِنْهُ الْمَشِيبُ فَلَامَةً الْآنَ حِينَ أَبْدَأُ لَبٌّ وَأَكْبَسُ
وَالْمَشِيبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ عُمُرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ

٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه أما قول البحتري - مفعى وهو مولى الريح -
فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد التغري

أَشْلَى عَلَيَّ مِنْوِيلُ أَطْرَافِ الْقَنَا فَتَجَى عَتِيقَ حَقِيقَةٍ جَرْدَاءِ
فَاوَّ أَنَّهُ ابْطَالُهُنَّ هَبِيشَةٌ لَصَدْرَنَ عَنْهُ وَهْنٌ غَيْرُ ظِلْمَاءِ
وَلَوْ أَنَّ تَبَقَّاهُ الْقَضَاءُ لَوَقَّتَهُ فَلَقَدْ عَمَمَتْ جُودَهُ بَفْنَاءِ

(١) هو من قطعته التي أولها

تأويني دأى القديم فقلسا أحاذر أن يرتد دأى فانكسا

٠٠ ومنها

فَمَا تُرِينِي لَا أَمْخَضُ سَاعَةً مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أَكْبَ فَاَلْعَا
فِيَارِبْ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ وَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَلِيلَ حَتَّى نَفَسَا
وَمَا خَفْتُ تَبْرِجَ الْحَيَاةِ كَمَا أَرَى تَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَقُومَ فَاَلْبَسَا
فَلَوْ أَنَّهُمْ نَفَسُ تَمُوتِ جَمِيعَةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَتَفَسَا
وَبَدَلْتُ قَرَحًا دَامِيًا بِمَدْحَةٍ لَعَلَّ مَنَائِيَا نَحْوَلْنَ أَبُومَسَا
لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَاخُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلْبَسَا

وسبب هذه القطعة أن امراً القيس استنجد قيصر ملك الروم في حربه إلى أسد
المشهوره فأمدّه بجيش عظيم فلما انفصل عنه وثى به رجل من بني أسد يقال له الطماخ
إلى قيصر فبعث إليه بحلة وثي مسمومة ملسوجة بالذهب فلما وصلت إليه لبسها واشتد
مروره بها فأسرع فيه الدم وسقط جلده فلذلك سمي ذا القروح فقال هذه القطعة

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم وبذكر فتح الحرمية

لَوْلَا الظَّلَامُ وَقَلَّةُ عَلَقُوا بِهَا بَاتَتْ رِقَابُهُمْ بِتَغِيرِ قِلَالِ

فَلَيْشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلَامِ وَدَرُوزًا فَهُمْ لِدَرُوزِ وَالظَّلَامِ مَوَالِي

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بأن البواقيل سفن سفار لأن البواقيل جمع بوقال وهو آلة على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره .. وهذا مثل قول ابن الرومي

أَمْرُهُ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرَّ الْمُجَابِبِ

وإنما أراد اني لا أمر بماه النيل إلا اذا أردت شربه في كوز أو بوقال وما أشبه ذلك وأظن انه استمر عليه الوهم من جهة قوله فما أرى النيل وصرف ذلك الى انه أراد النيل على الحقيقة وإنما أراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصغار يقال لها بواقيل إلا من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبه وأبقى وأدخل في معنى الشعر وكيف يدخل شبهة في ذلك مع قوله فمن رأى النيل رأى العين من كذب ومن رأى النيل في السفن فقد رأى من كذب ومن رأى ماءه في الآنية على بعد فلا يكون راءياً له من كذب .. فأما مدح الشيب وفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس وأكثروا فما تقدم من ذلك قول رؤبة بن العجاج ويقال ان رؤبة لم يقل من القصيدة إلا هذين البيتين

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعْبِرُ بِالشَّدِّ بِ أَقْلَنَ الشَّبَابِ افْتِخَارًا

قَدْ لَيْسَتْ الشَّبَابُ غَضًّا جَدِيدًا فَوَجَدْتُ الشَّبَابَ ثَوْبًا مُعَارًا

ولعل بن جبلة

جَفَى طَرَبُ الْفَتَيَانِ وَهُوَ طَرُوبٌ وَاعْقَبُهُ قُرْبُ الشَّبَابِ مَشِيبٌ

تَجَافَتْ عَيُونُ الْبَيْضِ عَنْهُ وَرُبَّمَا مَدَدَنْ إِلَيْهِ الْوَصْلَ وَهُوَ حَيِّبٌ

لَعْمَرِي لَيْتِمُ الْمَاحِبُ الشَّيْبُ وَاعِظَا وَإِنْ كَانَ مِنْهُ لِلْعُيُونِ نُسُكُوبُ
خَلِيطُ نَهْيٍ مَنَابَةُ حِلْمٍ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ مَكْرُوهُ الْخِلَاطِ مُرِيبُ
وَلَا آخِرَ

وَتَنَكَّرْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشَّبَابُ بِنَاقِصٍ عُمَرِي
سَيَانُ شَيْبِي وَالشَّبَابُ إِذَا مَا كُنْتُ مِنْ عُمَرِي عَلَى قَدَرٍ

وَلَا آخِرَ

إِنَّا كُنَّا قَدَرُ زَيْتٍ أَسْوَدَ كَالْفَحَا مِثْلُ لَوْنِ النِّعَامَةِ
فَلَقَدْ أَسْفَفُ الْكَرِيمِ وَاحِبُ أَهْلُهُ بِاللَّذَى وَآبَى الظَّلَامَةِ
غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ كَانَ رِدَاءَ خَاتِنَا فَيَوْهُ كَفَى الْعِمَامَةِ

وَلَا آخِرَ

إِنَّ الْمَشِيبَ رِدَاءَ الْحِلْمِ وَالْأَدَبِ كَمَا الشَّبَابُ رِدَاءَ الْجَهْلِ وَاللَّعِبِ
تَعَجَّبْتُ أَنْ رَأَيْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَبِي مِنْ يَطْلُ عُمَرُ بِهِ يَسْبِ

وَلَا بِنِ الْجَهْمِ

حَسَرْتُ عَنِّي الْقِنَاعَ ظَلُومُ وَتَوَلَّى وَدَمْعُهَا مَسْجُومُ
أَتَنَكَّرْتُ مَا رَأَيْتُ بِرَأْسِي فَقَالَتْ أَمَشِيبُ أَمْ لَوْلَا مَنُظُومُ
قُلْتُ شَيْبُ وَلَيْسَ عِيًّا فَأَنْتَ أَنْتَ يَسْتَشِيرُهَا الْمَهْمُومُ
شَدَّ مَا أَنْكَرْتُ تَصَرُّمَ عَهْدٍ لَمْ تَقْدُمْ لِي وَأَيُّ حَالٍ يَدُومُ

وَلَا بِنِ هِفَانِ

تَعَجَّبْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَبِي فَطُلُوعُ الشَّيْبِ فِي السُّهْفِ

وَوَادَّهَا عَجَبًا لَمَّا رَأَتْ سَمَلِي وَمَادَرَتْ دُرَّانَ الدُّرَى الصَّدْفُ (١)
 وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو تَمَامٍ غَايَةَ الْإِحْسَانِ فِي قَوْلِهِ
 أَبَدَتْ أَسَى إِذْ رَأَتْنِي مَخْلَسَ الْقَصَبِ فَالَ مَا كَانَ مِنْ عَجَبٍ إِلَى عَجَبٍ
 سِتٌّ وَعِشْرُونَ تَذَعُّونِي فَاتَّبِعُوا إِلَى الشَّيْبِ وَلَمْ تَظْلِمَ وَلَمْ تَحَبِّ
 فَلَا يُورِثُكَ لِمَاضٍ الْقَبْرِ بِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْبَسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ
 وَلِلْبَحْتَرِيِّ

عَبَّرَ نَتْنِي الْمَشِيبَ وَهِيَ بَدَنَتُهُ فِي عِذَارِي بِالصَّدْرِ وَالْإِجْتِنَابِ
 لَا تَرِيهِ عَارًا فَمَا هُوَ بِالشَّيْبِ بَلْ وَلَكِنَّهُ جَلَاءُ الشَّبَابِ
 وَيَبَاضُ الْبَازِي أَصْدَقُ حُسْنًا إِنَّ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ (٢)

(١) - السمل - محرقة الثوب الخاق ويقال أيضا ثوب أسهل فمن التحويين من جعله أسهلا مفردا لانه صفة ثوب والصحيح انه على التأويل بالجمع أى أنواع الثوب أسهل ومثل ذلك برمة أعشار لان أفعالا لم يثبت في المفرد وانما هو جمع
 (٢) - الايات من قصيدة يمدح بها اسماعيل بن شهاب مطلقا

مَاعِلِي الرِّكَبِ مِنْ وَقُوفِ الرِّكَابِ فِي مَغَانِي الصَّبَا وَرَسْمِ التَّعَابِ
 أَيْنَ أَهْلُ الْقَبَابِ بِالْأَجْرَعِ الْفَرِّ دَنُوتُوا لَا أَيْنَ أَهْلُ الْقَبَابِ
 سَقَمَ دُونَ أَعْيُنِ ذَاتِ سَقَمٍ وَعَذَابِ دُونَ التَّنَائِي الْعَذَابِ
 وَكَمَثَلِ الْإِحْبَابِ لَوْ يَعْلَمُ الْعَا ذَلْ عِنْدِي مَنَازِلُ الْإِحْبَابِ
 فَإِذَا مَا السَّحَابِ كَانَ رَصْكَامًا فَسَقَى بِالرَّيَابِ دَارَ الرَّيَابِ
 وَإِذَا هَبَّتِ الْجَنُوبُ بِسَقِيَا فَعَلَى رَسْمِ دَارِهَا وَالْجَنَابِ
 هَبَّتْ الْمَشِيبُ •• الْآيَاتُ الثَّلَاثَةُ •• وَبَعْدَهُ
 عَذَلْتَنِي فِي قَوْمِهَا وَاسْتَزَابَتْ جِيئْتَنِي فِي سَوَاهِمِ وَذَهَابَتْ
 وَرَأَتْ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنْ مَدْبُوحِي مِثْلَ مَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ عَنَابِي

هَاهُوَ الشَّيْبُ لَا ثِمَافًا فَيَقِي وَاتَّزَكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيْقٍ
 فَلَقَدْ كَفَّ عَنْ عَنَاءِ الْمُتَيِّ وَتَلَا فِي مِنْ إِشْتِيَاقِ الشَّوْقِ
 عَدَلْنَا فِي عُسْفِيهَا أَمْ غَمْرٍ وَ هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَادِلِ الْمَشُوقِ
 وَرَأَتْ لِمَّةَ أَلَمٍ بِهَا الشَّيْبُ --- سَبْ فَرِيْعَتٍ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقِ
 وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَفَاحِي لَا بَصَرَ تَأْنِيْقَ الرَّيَاضِ غَيْرَ أُنِيْقِ
 وَسَوَادُ الْعِيُونِ لَوْلَمْ يَكْمَلْ بِيَاضٍ مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ
 وَمِزَاجُ الصَّبِيَاءِ بِالْمَاءِ أُولَى بِصُوحٍ مُسْتَحْضَنٍ وَغُبُوقِ
 أَيُّ لَيْلٍ يَبْهِي بِغَيْرِ نَجُومِ أَوْسَاءَ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ

ويشبه ان يكون أخذ قوله - أي ليل يبهى - بغير نجوم من قول الشاعر
 أَشْيَبَ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حَقُّوْقَهُ وَلَمْ يَمُضْ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمُ
 رَأَتْ وَضْعَافِي مَفْرَقِ الرَّأْسِ رَاعِيَا وَشَتَانٍ مَبِيْضٍ بِهِ وَهَبِيمُ

ليس من غيبة عليهم ولكن هو نجم يعلو مع الكتاب
 شيعة الدؤد القريب واخوا ن التصافي واخذوة الآداب
 هم أولو الحمد إن سالت فان كا ثرت كانوا هم أولى الالاب
 ومتى كنت صاحباً لذوى الدؤد د يوما فانهم أصحابي
 وكفائي إذ الحوادث أظلمت من شهابا بغيره ين شهاب
 سبب أول هل جود اسما عيل أغنى عن سائر الاعباب
 لا - نهات سهاؤه فطمرنا ذهباً في اتملال ذاك الذهب
 لا يزور الوفاء غبا ولا يمشق غدر الفعالم عنق الصككباب
 مستعيد على اختلاف البالي لسفقا من خسلانق أنراب

تَقَارِبُ شَيْبٍ فِي الشَّبَابِ لَوَائِمُ وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نَجُومُ
وَلِحَمْدِ الْوَرَقِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ
مَا لَدَّرْتُ مَنْظُومًا بِأَحْسَنَ مِنْ
فَكَأَنَّهُ فِيهَا النُّجُومُ إِذَا
لَا تَبْكِينَ عَلَى الشَّبَابِ إِذَا
وَأَشْكُرُ لَشَيْبِكَ حُسْنَ صُحْبَتِهِ
وَلَا خَرَفٍ فِي مَدْحِ الشَّيْبِ

لَا يَرْعَاكَ الْمَشَيْبُ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ فَالشَّيْبُ حُلِيَّةٌ وَوَقَارُ
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ضَحِكْتَ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ

•• [قَالَ الشَّرِيفُ رَحِمَهُ اللَّهُ] وَلِي فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَصِيدَةٍ

جَزَعْتَ لَوْ خَطَاتِ الْمَشَيْبِ وَإِنَّمَا بَلَغَ الشَّبَابُ مَدَا الْكَمَالِ فَنُورًا
وَالشَّيْبُ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِ مُورِدٌ لَا بُدَّ يُورِدُهُ الْفَتَى إِنْ عَمَّرَا
يَبْيَضُ بَعْدَ سَوَادِهِ الشَّعْرُ الَّذِي إِنْ لَمْ يَرْزُهُ الشَّيْبُ وَارَاهُ الثَّرَى

وَمِنْ عَدَلٍ بَيْنَ الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ وَمَدْحِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا طَرِيجُ بْنُ أَسْمَعِيلَ الثَّقَفِيُّ فَقَالَ
وَالشَّيْبُ لِلْحُكَمَاءِ مِنْ سَفَرِ الصَّبَا بَدَلٌ يَكُونُ لِذِي الْفَضِيلَةِ مَقْنَعُ
وَالشَّيْبُ غَايَةٌ مِنْ تَأَخَّرَ حِينُهُ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعُهُ مِنْ يَجْزَعُ
إِنَّ الشَّبَابَ لَهُ لَذَاذَةٌ جِدَّةٌ وَالشَّيْبُ مِنْهُ فِي الْمَنِيَةِ أَنْفَعُ
لَا يَعِدُّ اللَّهُ الشَّبَابَ فَمَرْجَبًا بِالشَّيْبِ حِينَ أَوْى إِلَيْهِ الْمَضْجَعُ
وَمِثْلُهُ لآخر

وَكَانَ الشَّبَابُ الْقَضَى لِي فِيهِ لَذَّةٌ فَرَحَزَ حَنِي عَنْهُ الْمَشَيْبُ وَأَدْبَا

فَسَقِيًّا وَرَعِيًّا لِلشَّبَابِ الَّذِي مَضَى وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْمَشِيبِ وَمَرْحَبًا

مجلس آخر ٤٦

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني) الآية ٠٠ فقال كيف ضمن الاجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب ٠٠ الجواب قلنا في ذلك وجوه ٠٠ أولها أن يكون المراد بقوله تعالى (أجيب دعوة الداعي) أى أسمع دعونه ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أى من لا يسمع وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حده يراد به أجاب الله من حده ٠٠ وأنشد ابن الاصراري

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ أَنْ لَا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

أراد يجيب ما أقول ٠٠ وثانيها أنه تعالى لم يرد بقوله تعالى قريب من قرب المسافة بل أراد أنني قريب بإحاطتي ومعوتي ونعمتي أو لعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيهاً بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله ولم يخف عليه ويكون قوله تعالى أجيب على هذا تأكيداً للقرب فكأنه أراد أنني قريب قريباً شديداً وإني بحيث لا يخفى على أحوال العباد كما يقول الفاضل إذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداءك أو ما جرى هذا المجرى ٠٠ وقد روى أن قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا له ربنا قريب فتناجيه أم بعيد فتناجيه فأنزل الله تعالى هذه الآية ٠٠ وثالثها أن يكون معنى هذه الآية إني أجيب دعوة الداعي إذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لأنه إن كان صلاحاً فعل ما دعا به وإن لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو أيضاً مجاب إلى دعائه ٠٠ ورابعها أن يكون معنى دعائي أى عبيدي وتكون

الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكأنه تعالى قال اني اُتيب العباد على دعائهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه .. وخامسها ما قاله قوم من ان معنى الآية ان العبد اذا سأل الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاح فعل به وأجاب به وان لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاحٌ وخسیر لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاء إياه في الآخرة فهو يجب لدعائه على كل حال .. وسادسها انه تعالى اذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إما أن يجاب دعاءه وإما أن يجاب له بصرفه عما سأل ودعا فحسن اختيار الله له يقوم مقام الاجابة فكأنه يجاب على كل حال وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاحٌ ومنفعة له في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك لأمر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجاباً مع المنع الذي لا يرجع اليه منه شيء من الصلاح اللهم إلا أن يقال انه دعاء مشروط بأن يكون صلاحاً ولا يكون فساداً وهذا مما تقدم ومعنى قوله تعالى (فليستجيبوا لي) أى فليجيبوني وليصدقوا رسلى .. قال الشاعر
وَدَاعَ دَعَا يَامَنْ يُجِيبُ إِلَى التَّدْيِ فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبُ
فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعْ الصَّوْتُ ثَانِيَا لَعَلَّ أُنِي الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ^(١)

(١) قوله لعل أبي المغوار - بجرابي على لغة عقيل فان لعل عندهم تحرفى أربع لغات من لغاتها أي ثابتة الأول ومخدوفه مفتوحة الآخر ومكسورة وأما بقية لغات لعل فلا يجر بها عندهم وأبو المغوار بكسر الميم وسكون الفين المعجمة اسمه شبيب وروى • فقلت ادع أخرى وارفع الصوت دعوة • بالنصب على التعليل وروى أبو المغوار بالنصب على أصله وهذان البيتان من قصيدة لكعب بن سعد الغنوي يرقى أخاه شبيباً أولها

قول سلبي ما لمك شاحباً	كأنك بمحبك الطعام طيب
فقلت ولم أرى الجواب لقولها	وللدمى في صم السلام نصيب
تتابع أحداث نحر من أخوتي	وشبين رأسي والخطوب تشيب
لعمري لأن كانت أصابت مصيبة	أخى والمثايا للرجال شعوب
لقد كان أما حلمه فروح	علينا وأما جهله فعزيب

أى لم يجبه ٥٥ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وإذ كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفاً من الشعر في تفضيل الشيب وتقديمه والتعزّي عنه والتسلي عن نزوله فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمّه والتألم به والجزع منه ٥٥ فن ذلك قول أبي حبة الغدري

فَلَيْتَ الشَّيْبَ كَانَ بِهِ الرَّحِيلُ	تَرَحَّلَ بِالشَّبَابِ الشَّيْبُ عَنَّا
فَقَدْ قَضَى مَا رَبَّهُ الْخَالِيلُ	وَقَدْ كَانَ الشَّبَابُ لَنَا خَلِيلًا
حَمِيدًا مَا بُرِّدَ بِهِ بَدِيلُ	لَعَمْرُ أَبِي الشَّبَابِ لَقَدْ تَوَلَّى
وَوَظِلُّ أَرَاكَةِ الدُّنْيَا ظَلِيلُ	إِذِ الْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا

وقال الفرزدق

أَرَى الدَّهْرَ أَيَّامُ الشَّيْبِ أَمْرُهُ	عَلَيْنَا وَأَيَّامُ الشَّبَابِ أَطَابِيهِ
وَفِي الشَّيْبِ لَذَاتٌ وَقَرَّةٌ أَعْيُنٍ	وَمَنْ قَبْلَهُ عَيْنٌ تَعَلَّلَ جَاذِبُهُ
إِذَا نَازَلَ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فَاصْلَتَا	بِسَيْفِهِمَا فَالشَّيْبُ لَا شَكَّ غَالِبُهُ

٥٥ ومنها

فان تكن الأيام أحسن مرة الى فقد عادت لمن ذنوب

الى ان قال

وداع دما يامن يجيب الى الندى	فلم يستجبه عند ذاك عجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة	لعلّ أبى المغوار منك قريب
يجيك حكا قد كان يفعل إنه	نجيب لأبواب العلاء طلوب

قال أبو علي الغالي في الأمالي بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي وهو من قومه وليس بأخيه والمرنى بهذه القصيدة يكنى أبا المغوار واسمه هرم وبعضهم يقول اسمه شبيب ويحتج بيوت روى في هذه القصيدة * أقام وخلي الطاعنين شبيب *

فَيَاخِذَ مَهْزُومٍ وَيَاشِرَ هَازِمٍ
وَلَيْسَ شَبَابٌ بَعْدَ شَيْبٍ بِرَاجِعٍ
وَمَا الْمَرْءُ مَنفُوعًا بِتَجْرِيبٍ وَاعْظِ
وَإِذَا الشَّيْبُ وَاقَتْ لِلشَّبَابِ كِتَابُهُ
مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى يَرْجِعَ الدَّرَّ حَالُهُ
إِذَا لَمْ تَعِظْهُ نَفْسُهُ وَتَجَارِبُهُ
وَأَنشَدَ اسْعَاقُ المَوْصِلِي

أَعْمَرِي لَنْ حَلَلْتُ عَنْ مَثَلِ الصَّبَا
لِيَأْتِي أَمْشِي بَيْنَ بَرْدَى لَاهِيَا
سَلَامٌ عَلَى سِيرِ القَلَاصِ مَعَ الرُّكْبِ
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقُ مِنْهُ بَقِيَّةٌ
لَقَدْ كُنْتُ وَرَاءَ العُشْرِ بِهِ العَذْبُ
أَمِيسُ كَغَضَنِ البَانَةِ النَّاعِمِ الرُّطْبِ
وَوَصَلِ النِّوَانِي وَالمُدَامَةِ وَالشَّرْبِ
سَوِي نَظَرِ العَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ القَلْبِ
وَلَمَّا صَوَّرَ النَّمْرِي

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مَنِي وَلَا جَزَعُ
بَانَ الشَّبَابُ فَفَاتَنَنِي بِشَرَّتِهِ
مَا كُنْتُ أَوْ فِي شِبَابِي كُنْتُ غَرَّتِهِ
إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يَرْتَجِعُ
صُرُوفَ دَهْرٍ وَأَيَّامَ لَهَا خِدَعُ
حَتَّى انْقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَيْتَعُ^(١)

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الرشيد روى أنه دخل عليه وكان عنده الكسائي فقال له الرشيد أنشدني فأشده قوله * ما تنقضي حسرة * البيت فتعحرك الرشيد ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله

مَا كُنْتُ أَوْ فِي شِبَابِي كُنْتُ غَرَّتِهِ
فغارب الرشيد وقال أحسنت والله وصدقت لا والله لا ينهي أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب وأمر له بمجازة سنية ومن أبياتها الحسان قوله

أَيَّ أَمْرِي بَاتَ مِنْ هَارُونَ فِي سَخَطِ
أَنْ المَكَارِمِ وَالمَعْرُوفِ أَوْدِيَةِ
فليس بالصَّلَوَاتِ الخمسِ يَنْتَفِعُ
أَحْلَاكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ يَسْعُ

ولحمد بن أبي حازم

عهد الشباب لقد انقبت لي حزننا
سقى ورعاً لا يأم الشباب وإن
جر الزمان ذيولاً في مفارقة
وربما جر أذيال الصبا مراحاً
لا تكذبين فما الدنيا بأجمعها
كفالك بالشيب عينا عند غانية
ماجد ذكرك الأجدلى نكلاً
لم يبق منك له رسم ولا ظل
وللزمان على إحسانه علل
وبين بزديه غصن ناعم خصل
من الشباب بيوم واحد بدل
وبالشباب شقيماً أيها الرجل

إذا رفعت امرأة قاله يرفعه
نقى فداؤك والأبطال معلمة
ومن وضعت من الأقوام منضع
يوم الوغى والمنايا صابها فزع

روى أن اليبق دخل على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد وبين
يديه خوان لطيف عليه جرمان ورغيفان سميد ودجاجتان فقال لي أنشدني قال اليبق
فأنشدته قصيدة النمرى العينية فلما بلغت إلى قوله

• أي امرئ بات من هارون في سخط • الأبيات الأربعة قال فرسي بالخوان بين
يديه وصاح وقال هذا والله أطيب من كل طعام وكل شيء وبعت إليه بسبعة آلاف دينار
قال اليبق فلم يعطني منها ما يرزني وشخص إلى رأس العين فأغضبني وأحفظني فأنشدت
هرون قوله

ساد من الناس راتع هامل
يعلون النفوس بالباطل

فلما بلغت إلى قوله

ألا مساعير يفضبون لها
بسة البيض والفتا الزابل

قال أراء بحررض علي ابعثوا إليه من يحمي رأسه فكله فيه الفضل بن الربيع فلم يكن
كلامه شيئاً وتوجه إليه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودفن وردى من
غير هذا الوجه أن العتابي سئل عن سبب غضب الرشيد عليه فقال استقبلت منصور

ولأبي نواس

كَانَ الشَّبَابُ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ وَحَسِّنَ الضُّعْفَكَاتِ وَالْمَزَلِ
كَانَ الْجَبِيلُ إِذَا ارْتَدَيْتُ بِهِ وَمَشَيْتُ اخْطُرُ صَيِّتِ النَّعْلِ
كَانَ الْبَالِغُ إِذَا نَطَقْتُ بِهِ وَأَصَاخَتِ الْآذَانُ لِلْمَعْلَى
كَانَ الْمَشْفَعُ فِي مَا رِبِهِ عِنْدَ الْحَيَّانِ وَمَذْرُوكِ التَّبَلِ
وَالْبَاغِي وَالنَّاسُ قَدْ هَجَمُوا حَتَّى أَتَيْتُ حَلِيلَةَ الْبَعْلِ

الغمرى يوماً من الأيام فرأيت مغموماً واجماً كثيراً فقلت له ما خبرك فقال تركت امرأتى نطلق وقد عسر عليها ولادها وهي يدي ورجلي والقيمة بأمرى وأمر منزلي فقلت له لم لا تكتب على فرجها هرون الرشيد قال ليكون ما إذا قال لنلد على المكان قال وكيف ذاك قالت لقولك

ان أخلف الغبت لم تخلف مخائله أو ساق أمر ذكرناه فينع
فقال لي يا كشتخان والله لئن تخامست امرأتى لأذكر قولك هذا للرشيد فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه فغضب لذلك وأمر بطلبي فاستترت عند الفضل بن الربيع فلم يزل يسأل في حق أذن لي في الظهور فلما دحخت عليه قال لي قد بلغني ما قلته للغمرى فاعتذرت إليه حتى قبل ثم قلت والله يا أمير المؤمنين ماحله على التكذب هل إلا وقوفى هل ميله للعلوية فان أراد أمير المؤمنين أن أنسده شعره في مديحهم فقلت فقال أنشدني فأنشدته قوله

ساد من الناس رائع هامل يعللون النفوس بالباطل

حتى بلغت الى قوله

الامساعير يعضبون لهم بسلة البيض والفتا الزابل

فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال للفضل بن الربيع احضره الساعة فبعث الفضل في ذلك فوجده قد توفي فأمر بنبشه ليعرقه فلم يزل الفضل يطلب له حتى كنف عنه

وَالْأَمْرِ حَتَّى إِذَا مَرَمْتُ نَفْسِي أَمَانٌ عَلَيَّ بِالْفِعْلِ
فَالآنَ صُرْتُ إِلَى مُقَارَبَةٍ وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ الصَّبَا رَحْلِي

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وعلى هذا الكلام حسن طلاوة وسهولة
من امرأته ليستا لغيره ٥٥ ولبشار

الشَّيْبُ كُرُهُ وَكُرُهُ أَنْ يُفَارِقَنِي أَعْجَبُ بَشَى وَعَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودُ
يَمْضِي الشَّبَابُ وَيَأْتِي بَعْدَهُ خَلْفُ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُودًا بِمَقْضُودُ

وهذا البيت الأخير يروي لمسلم بن الوليد الأنصاري ٥٥ وبما أحسن فيه مسلم في هذا
المنعنى قوله

طَرَفْتُ عَيْنَ الْغَايَاتِ وَرَبَّمَا أَمَلَنْ إِلَى الطَّرَفِ كُلِّ مَمِيلِ
وَمَا الشَّيْبُ إِلَّا شَمْرَةٌ غَيْرَ أَنَّهُ قَلِيلُ قَدَاةِ الْعَيْنِ غَيْرُ قَلِيلِ

ولآخر

أَهْلًا بِوَافِدَةٍ لِلشَّيْبِ وَاحِدَةٍ وَإِنْ تَرَأَتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدُودِ
لَا أَجْمَعُ الْحِلْمَ وَالصَّبْرَ قَدْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنْ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ
لَمْ يَنْتَهِي كِبَرُ عَنْهَا وَلَا فَنَدُ لَكِنْ صَحَوْتُ بِمُضْنٍ غَيْرِ مَمْدُودِ
أَوْفَى بِي الْحِلْمُ وَأَقْتَادَ النُّهَى طَلَقًا شَأْوِي وَعَفْتُ الصَّبْرَ مِنْ غَيْرِ تَقْنِيدِ

ولقد أحسن دجلة في قوله يصف الشباب والشيب

كَانَ كَحَلًّا لَمَّا قَبِهَا فَقَدْ صَارَ بِالشَّيْبِ لِمَيْنِيًّا قَدَا

ولغيره

رَأَتْ طَالِمًا لِلشَّيْبِ أَغْفَلْتُ أَمْرَهُ فَلَمْ تَتَمَهَّدْهُ أَكْفُ الْخَوَاصِبِ
قَعَلَتْ أَشْيَبُ مَا أَرَى ثَلْتُ شَامَةً قَعَلَتْ لَقَدْ شَامَتْكَ عِنْدَ الْخَبَائِبِ

والحمود الوراق وروي لحمد بن أبي حازم

أَلَيْسَ عَجِيْبًا أَنَّ الْفَتَى بِصَابٍ يَبْغِضُ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
فَمَنْ يَبْنِ بَاكِ لَهُ مُوجِعٌ وَبَيْنَ مَعْرٍ مَعْرٍ إِلَيْهِ
وَبُسْلُهُ الشَّيْبُ شَرَحَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

ولأبي دلف

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيْضَاءَ طَالِمَةً كَأَنَّمَا طَلَمْتُ فِي أَسْوَدِ الْبَصْرِ
لَنْ قَصَصْتُكَ بِالْمِقْرَاسِ عَنْ بَصْرِي لَمَّا قَصَصْتُكَ عَنْ هَبِّي وَعَنْ فِكْرِي

وليعلي بن خالد بن برمك وروي لغيره

الْأَيْلُ شَيْبٌ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا رَأْسِي بِكَثْرَةِ مَا تَدُورُ رَحَاهُمَا
يَتَنَاهَيَانِ نَفُوسَنَا وَدِمَاءَنَا وَأُحُومَنَا عَمْدًا وَنَحْنُ نَرَاهُمَا
وَالشَّيْبُ إِحْدَى الْمَيِّتَيْنِ تَقَدَّمَتْ أَوَّلَاهُمَا وَتَأَخَّرَتْ آخِرَاهُمَا

وقد أتى النحلان المبرزان أبو تمام وأبو عباد في هذا المعنى بكل غريب عجيب . فمن ذلك قول أبي تمام

لَنْ جَزَعَ الْوَحْشِيُّ مِنْهَا لِزَوْجَتِي لِأَنَسِيهَا مِنْ شَيْبٍ رَأْسِي أَجْزَعُ
غَدَا الْعُمُرُ مُحْتَطًّا بِفَوْدِي خُطَّةً طَرَبِقَ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَهْنَعُ
هُوَ الزَّوْرُ يُجَنِّي وَالْمَعَا شَرٌّ يُجْتَوِي وَذُو الْإِلْفِ يُقْلِي وَالْجَدِيدُ يُرْقَعُ
لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَيْضًا نَاصِعُ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَابِ أَسْوَدُ اسْفَعُ
وَنَحْنُ نُرَجِّيهِ عَلَى السَّخَطِ وَالرَّضَى وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ

أَصْبَحْتُ رَوْضَةَ الْوَصَالِ هَنِيمًا وَغَدَت رِيحُهُ الْبَلِيلُ سَمُومًا
 شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ أَسْتَوْدَعْتَنِي فِي صَمِيمِ الْفَوَادِ ثَكْلًا صَمِيمًا
 تَسْتَبِيرُ الْمُسُومَ مَا أَكْتَنَ مِنْهَا صُعْدًا وَهَى تَسْتَبِيرُ الْمُسُومَا
 غِرَّةٌ غِرَّةٌ إِلَّا إِنَّمَا كُنْ مَتَافِرًّا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِمَا
 دِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا مِثْلَ مَا يُتَمَيِّ اللَّدِيعُ سَلِيمًا
 حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

•• وله

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْمَفَارِقُ بَلْ جَدَّ فَأَبْكِي تُمَاضِرًا وَلَعُوبًا
 خَضِبْتَ خَدَّهَا إِلَى لُؤْلُؤِ الْعَفْ دِيمَا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِييَا
 كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلَّا أَلْ أَفْطَعَيْنِ مَنِيَّةً وَمَشِييَا
 يَالَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبِكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَنِ ذُنُوبَا
 وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتُ لَقَدْ أَنْكَرَنَ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِيَا
 أَوْ تَصَدَّعَ عَنْ قَلْبِي لَكِنِّي بَا شَيْبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ حَسِييَا
 لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ لَشَيْبَ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شِييَا

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه •• وجدت الآمدى يذكر ان قومًا ادعوا

المنافضة على أبي تمام في هذه الابيات بقوله • فابكا تماضرا ولعوبا • وقوله

خضبت خدّها الى لؤلؤ العف ديمًا أن رأت شواتي خضييّا

يالسبب الثغام ذنبك أبقي حسناتي عند الحسنان ذنوبا

وقوله • ولئن عين ما رأيت لقد • قالوا كيف يبكين ديمًا على شبيه ثم يهتبه •• قال

الآمدى وليس ههنا تناقض لأن الشيب انما أبكى تماضرا ولعوب أسفا على شبابه والحسان

اللاواتي عنه غير هاتين المرأتين فيكون من أشفق عليه من الشيب منهن وأسف على شبابه بكى كما قال الأخطل

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ إِنَّ الشَّيْبَ لَا زَدْلَ الْأَبْدَالِ

ولم يكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وليس يحتاج في العذر لأبي تمام الى ما تكلفه الآمدي بل المناقضة زائلة عنه على كل حال . . وان كان من قد بكى شبابه وتلف عليه من النساء من اللاواتي أفكرن مشيه وعنته به وما المنكر من ذلك وكيف يتناقض أن يبكي على شبابه ونزول شباهه منهن من رأى الشيب ذنباً وعبئاً منكراً وفي هذا غاية المطابقة لانه لا يبكي الشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه منكراً ومعيباً . . وقال أبو تمام

رَأَيْتُ غَوَايَ الْحَيِّ عَنْكَ غَوَايَا يَلْبَسُنَّ نَأْيَا تَارَةً وَصُدُودًا
مِنْ كُلِّ سَائِفَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ تَرَكْتُ غَمِيْدَ الْقَرِيْنَيْنِ غَمِيْدًا
أُرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ النَّطَارِفِ بُدْنَا غَمِيْدًا أَلْفَنِيْمُ إِذَا نَا غَمِيْدًا
أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَا فَمَا مِنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بَيْنَ خُدُودَا

او قوله - أربين بالمرء - من أرب بالشيء اذا لزمه وأقام عليه يقال أرب وألب بالمكان اذا أقام فيه ولزمه يريد أنهن لزمهن هوى المرء وأقن عليه . . ورواه قوم أربين بالمرء من ربا الذي معناه الزيادة يقال قد أربا الرجل اذا ازداد فيقول أربين بالمرء أى ازددن علينا بهم وجعلن المرء زيادة اخترتها علينا . . ويقال انه أخذ قوله - أحلى الرجال من النساء البيت من قول الأعشى

وَأَرَى الْغَوَايَا لَا يُوَاصِلُنَّ أَمْرًا فَقَدْ الشَّبَابُ وَقَدْ يَصِلُنَّ الْأَمْرَدَا^(١)

(١) وقوله

أتوى وقصر إليه لزودا فضى وأخاف من قتيبة ووعدا

ولنصور النفرى قوله

كِرِهْنِ مِنَ الشَّيْبِ الَّذِى لَوْ رَأَيْتَهُ
بَيْنَ رَأَيْتِ الطَّرْفَ عَنْهُنْ أَرْوَرَا
وقول الآخر

أَرَى شَيْبَ الرِّجَالِ مِنَ الْغَوَايِ كَمَوْقِعِ شَيْبِنِ مِنَ الرِّجَالِ
•• وقال أبو تمام

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مُشَيْبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْغَوَادِ
وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُوْسٍ وَتَعِيمٍ ظِلَافُ الْأَجْسَادِ
طَالَ إِنْسَكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عُمِرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنِ السَّوَادِ
زَادَنِي شَخْصَةً بِطَلْعَةِ ضَمِيمٍ عَمَّرَتْ عَجَلِي مِنَ الْغَوَادِ
نَالَ رَأْسِي مِنْ تُفْرِقَةِ الْحَمَمِ دَاهٍ لَمْ يَنْتَلُهُ مِنْ تُفْرِقَةِ الْمِيلَادِ

ومعنى البيت الأخير أن التفريق هو الفرجة واللمعة تكون في الشيء ولذلك سمي كل
بلبر جاور عدواً تفرأ كأن معناه مكشوف للعدو ويجوز أن يكون أصله من تفرأ اللسان
لأنه أول ما يقابلك من أسنانه وأول ما يظهر عند الكلام وأول ما يستط فبرى مثلوماً
فببب اشعر الذي هو البلدة به ويقال أنفر الصبي وأنفر وتسمى تلك الفرجة في موضع

يجمعن دبحي بالنهار واقتضى دبحي اذا وقد النعاس الرقدا

وأرى الغواني الخ •• روي عن اسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال غنيت بين يدي
الرشيد وستارته منصوبة

وأرى الغواني لا يواصلن أحراً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فطرب واستعاده وأمر لي بحال فلما أردت أن أنصرف قال لي يا عياض كذا وكذا أنتني
بهذا الصوت وجواري من وراء ستارة يسمعنه لولا حرمك لضربت عنقك فتركته
والله حق البتة

السن ثفرة وفي كل موضع منفرج ومنه ثفرة النحر وأراد بقوله
 * نال رأسى من ثفرة الهم * أى وجد الشيب من الهم لدرجة دخل على رأسى منها لأن
 الهم يشيب لا محالة . . . وقوله * ما لم ينله من ثفرة الميلاد * أراد بثفرة الميلاد الوقت الذى
 بهجم عليه فيه الشيب من عمره لأنه يجد السبل في ذلك الوقت الى الحلول برأسه فجعله
 ثفرة من هذا الوجه فأراد ان الشيب حل برأسه من جهة همومه وأحزانه ما لم يبلغ
 السن التى يوجب حلوله به من حيث كبره . . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه
 ورأيت الآمدى يظن على قوله * عمرت مجلى من المواد * ويقول لاحقيقة لهذا
 ولا معنى لإنا ما رأينا ولا سمعنا أحداً جاءه عواده يعودونه من الشيب ولا أن أحداً
 أمرضه الشيب ولا عزاء المدزون من الشباب وهذا من الآمدى قلة بصر فى نقد
 الشعر وضعف بصره بدقيق معانيه التى يغوس عليها حذاق الشعراء ولم يرد أبو تمام
 بقوله * عمرت مجلى من المواد * العبادة الحقيقية التى يغشوقها المواد بحال المرضى
 وذوى الأوجاع وإنما هذه استمارة وتشبيه وإشارة الى الغرض خفية فكأنه أراد ان
 شخص الشيب لما زارني كثر المتوجعون لى والمتأسفون على شبابي والمتفجعون من
 مفارقتهم فكأنهم في مجالى عواد لى لان من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع
 وكفى بقوله * عمرت مجلى من المواد * عن كثرة من تفجع وتوجع من مشابهة
 وهذا من أبى تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المريب إلا من عابه وطمعن عليه
 ونحن نذكر في المجلس الآتى ما لا يبحرئ في هذا المعنى بمشيئة الله وعونه ان شاء الله

مجلس آخر ٤٧

[تأويل آية] . . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم
 منه شراب ومنه شجرة فيه يسمنون) . . . فقال اذا كان الشجر ليس ببعض للماء كما كان
 الشراب بعضاً له فكيف جاز أن يقول تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب وما معنى
 يسمنون وهل الفائدة في هذه اللفظة هي الفائدة في قوله تعالى (والخليل المسومة)

وقوله تعالى (وأمطرنا عليهم حملاً مطوراً من سجيل منضود مسومة عند ربك) .. الجواب قلنا في قوله تعالى (منه شجر) وجهان .. أحدهما أن يكون المراد ومنه سقى شجر وشرب شجر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وذلك كثير في لغة العرب ومثله قوله تعالى (وأثريوا في قلوبهم العجل) أي حب العجل .. والوجه الآخر أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وإنبأه شجر فحذف الأول وخلفه الثاني كما قال عوف بن الحر

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتُ الدِّيَارَا بِجَنَبِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ فِقَارَا
أى من ناحية آل ليلي .. وقال زهير

أَمِنْ أَمْ أَوْ فِي دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلَمْ بِجَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَلَمَّ
أراد من ناحية أم أوفى .. وقال أبو ذؤيب

أَمِنْكَ الْبَرْقُ أَرْقُهُ فَهَاجَا فَبِتْ إِخَالَهُ دَهْمًا خِلَاجَا
.. وقال أيضاً

أَمِنْكَ بَرْقُ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقُهُ كَأَنَّهُ فِي عِرَاصِ الشَّامِ مِصْبَاحُ
.. وقال الجعدي

لَمَنِ الدِّيَارُ عَقُونٌ بِالتَّهْطَالِ بَقِيَتْ عَلَى حَجِيجِ خَلَوْنَ طَوَالِ
أراد بقيت على مر حجيج وتكرار حجيج .. فأما قوله تعالى (فيه تسيون) فعناه ترعون وترسلون أنعامكم يقال أسام الأبله يسيما أسامة إذا أرباعها وأطافها فرعت مضرقة حيث شاءت وسومها أيضاً يسومها من ذلك وسامت هي إذا رعت فهي تسوم وهي أبله سائمة ويقال سمناً إذا قصرتها على مرعى بعينه وسممها الخسف إذا تركها على غير مرعى ومنه قيل لمن أذل وأضم وأعتضم سم فلان الخسف وسم خطة الضيم .. قال الكميت بن زيد في الاسامة التي هي الاطلاق في الرعي

رَاعِيًا كَانَ مُسِيًّا فَقَقَدْنَا وَوَقَقَدُ الْمُسِيْرِ هَلْكَ السَّوَامِ

•• وقال آخر

وَأَسْكُنْ مَا سَكَنْتَ بِطَنْ وَاِدٍ وَأُظْمِنُ مَا ظَمَنْتَ فَلَا أُسِيمُ

وذهب قوم الى ان السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه الى ما يهواه كما تذهب سوام الابل من المواشي حيث شامت •• وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس لحله قوم هل ان الابل وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس اثلاثا تنتشر وتغوث الراعي ويخفي عليه مقاصدها وحله آخرون هل ان السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه لأن السامعة المبيعة تستر عيوبها أو بعضها فيدخل ذلك في بيع الغرر المنهي عنها •• وأما الخليل المسومة فقد قيل انها العلامة بعلامات مأخوذة من السياء وهي العلامة •• وروى عن الحسن البصري في قوله تعالى (والخليل المسومة) قال سومت نواصيها وأذناها بالصوف •• وقيل أيضاً ان المسومة هي الحسان وروى عن مجاهد في قوله تعالى (والخليل المسومة) قال هي المظومة الحسان •• وقال آخرون بل هي الراعية وقد روى ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى أصل واحد وهو معنى العلامة لأن تحبين الخليل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتميز لمكانها وقد قيل ان السوم من الراعي يرجع الى هذا المعنى أيضاً لأن الراعي يجعل في المواضع التي يرعاها علامات أو كعلامات بما يزيله من نباتها ويمحوه من آثارها فكان الأصل في الكل متفق غير مختلف •• وقال لبيد في التوسيم الذي هو التعليم

وَعِدَاةُ قَاعِ الْقَرَيْنَيْنِ أَتَيْتَهُمْ رَهْوَ أَيْلُوحٍ خِلَالَهَا التَّوَسِيمُ

أراد التعليم •• وأما قوله في الملائكة (مسومين) فالمراد به معلمين •• وكذلك قوله تعالى (حجارة من سجيل منضود مسومة) أي معلمة وقيل انها كان عليها كأمثال الخواصم وقال في الملائكة مسومين أي معلمين •• [قال المرتضى] رضي الله عنه ونعمود الى ما كنا وعدنا به من ذكرنا للبحر في ذم الشيب والتألم من فقد الشباب فن ذلك قوله

وَكُنْتُ أَرْجِي فِي الشَّبَابِ شِفَاعَةً فَكَيْفَ لِبَاغِي حَاجَةٌ بِشَفِيعِهِ

مَشِيبُ كُنْتُ السِّرَاعِي بِجَمَلِهِ مُحَدَّثُهُ أَوْضَاقَ صَدْرُ مُدْيِهِ
تَلَّاحِقَ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْثِهِ لَحَتْ اللَّيَالِي قَبْلَ آتِي مَرِيهِ

وما أحسن هذا من كلام وأبلغه وأطبعه ٠٠ وقال أيضاً

رُدِّيْ عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتُ فَاعِلَةً إِنْ الصَّبَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَلَا أَرِي
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرَ مُلْتَفِتًا إِلَى بَنَاتِ الصَّبَا يَرْكُضْنَ فِي طَلْبِي
وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مِنْ جَارِي مَنِيَّتِهِ وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَرَبِ
وَالْمَرْءَ لَوْ كَانَتْ الشَّعْرَى لَهُ وَطَنًا

صَبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ ^(١)

(١) الأبيات من قصيدة له يمدح بها إسماعيل بن بليل مطلعها

إِيكَ مَا أَنَا مِنْ لَهْوٍ وَلَا طَرْبٍ مَنِيَّتِ مَنِّي بَغْلَبٍ غَيْرِ مُنْقَلَبٍ
رَدَى عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتُ فَاعِلَةً إِنْ الْهَوَى لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَلَا أَرِي
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرَ مُلْتَفِتًا إِلَى بَنَاتِ الصَّبَا يَرْكُضْنَ فِي طَلْبِي
وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مِنْ جَارِي مَنِيَّتِهِ وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَرَبِ
وَالْمَرْءَ لَوْ كَانَتْ الشَّعْرَى لَهُ وَطَنًا حَطَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ
قَدْ أَقْذَفَ الْعَبَسُ مِنْ لَيْلِهِ كَأَنَّ لَهُ وَشَيْئاً مِنَ التَّوَرُّ أَوْ أَرْضاً مِنَ الْعُشْبِ
حَقٌّ إِذَا مَا أُنْجِلَتْ أَخْرَاءُ عَنْ أَفْقٍ مَضْمُوعٌ بِالصَّبَا جِ الْوَرْدِ مُخْتَصِبٍ
أُورِدَتْ صَادِقَةُ الْآمَالِ فَانْصَرَفَتْ بِرِيهَا وَأَخَذَتْ النُّجُجَ مِنْ كُثْبِ
هَاتِيكَ أَخْلَاقَ إِسْمَاعِيلَ فِي تَعَبٍ مِنَ الْعَلِّ وَالْعَلَى مِنْهُنَّ فِي تَعَبٍ
أَتَعَبْتُ شُكْرِي فَأُضْحِي مِنْكَ فِي نَصَبٍ فَادْهَبْ فَالَى فِي جَدْوَالِكَ مِنْ أَرْبِ
لَا أَقْبِلُ الدَّهْرَ نِيلاً لَا يَقُومُ بِهِ شُكْرِي وَلَوْ كَانَ مَسْدِيهِ الْيُ أَيِ
لِمَا سَأَلْتُكَ وَأَفَاتِي نَدَاكَ عَلَى أَضْعَافٍ ظَنَنْتِي فَلَمْ أَخْفُقْ وَلَمْ أَخْضَبْ

ويروى - جعلت عليه صروف - ٥٥ وقال الجعفرى

لَا يَسُّ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ نَاضٍ
وَإِذَا مَا امْتَعْصَتْ مِنْ وَلَعِ الشَّيْبَةِ
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مَرُوءٌ
وَالْبَوَاقِي مِنَ الْإِيَالِي وَإِنْ خَا
نَاكَرَتْ لِمَتَى وَنَاكَرَتْ مِنْهَا
شَعَرَاتُ أَقْصَاهُنَّ وَبَزَجَهُ
وَأَبَتْ تَرْكِي الْقُدِّيَّاتِ وَالْآ
غَيْرُ تَقَعٍ إِلَّا التَّعَلُّلُ مِنْ شَخْ
وَرَوَاهُ الْمَشِيبُ كَالْبَحْصِ فِي عِي
طَبْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَا
فَقَلَّ الْحَادِثَاتِ يَا بَنِي عُوَيْفٍ

وقال أيضاً

تَعِيبُ النَّاِنِيَّاتِ عَلَيَّ شَيْبِي
وَمَنْ لِي أَنْ أَمْتَعَ بِالْمَعِيبِ

فتك ذا الشعبة الطولي فلم يصب
أبني على حاله من نائل النشب
عنهم جيمعاً ولم تشهد ولم تقب
مسيبوة اللفظ والمعنى من الذهب
بالفعل منك وبعض المدح من كذب

لم يخط مأبض خلعات نعمدها
لأشكرتك إن الشكر نائله
بكل شاهدة للقوم قائبة
مرصوفة بالآلى من نوادرها
ولم أحبك في مدح تكذبه

وَوَجَدِي بِالشَّيْبِ وَإِنْ تَوَلَّى حَمِيدٌ أَدُونُ وَجَدِي بِالشَّيْبِ

وقال أيضاً

أُرَيْتُهُ مِنْ بَدَلِ جَنَلٍ فَاحِمٍ جَوْنُ الْمَفَارِقِ بِالنَّهَارِ خَضِيماً
فَعَجِبْتُ مِنْ حَالَيْنِ خَالَفَ فِيهِمَا صَرَفَ الزَّمَانَ وَمَا رَأَيْتُ عَجِيماً
إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْوُهُ سَبَقَ الطَّلُوبَ وَأَذْرَكَ الْمَطْلُوبَا

وقال أيضاً

رَأَتْ فَلَنَاتِ الشَّيْبِ فَأَبْتَسَتْ لَهَا وَقَالَتْ نَجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِاسْعَدِ
أَعَانِكَ مَا كَانَ الشَّيْبُ مُقَرَّرِي إِلَيْكَ فَالْحَى الشَّيْبُ إِذَا كَانَ مُبْعِدِي

وقال أيضاً

غَشَّتْ كَبِدِي قَسْوَةً مِنْكَ مَا إِنْ تَزَالُ تُجَدِّدُ فِيهَا نُدُوبَا
وَحَمَلْتُ عَنْكَ ذَنْبَ الشَّيْبِ حَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ الْمَشِيْبَا
وَمَنْ يُطْلِعُ شَرَفَ الْأَرْبَعِينَ يُحْيِي مِنَ الشَّيْبِ زُورًا غَرِيْبَا

[قال الشريف المرتضى رحمه الله ... ولي في هذا المعنى]

فَلَنْ لَمَّا رَأَيْنِ وَخَطَا مِنْ الشَّيْبِ بِرَأْسِي أَغْيَ عَلَيَّ مَجْهُودِي
كَسَنًا بَارِقٍ تَمَرَّضَ وَهَنَا فِي حَوَاشِي بَعْضِ الْأَيَّامِ السُّودِ
أَبْيَاضٌ مُجَدِّدٌ مِنْ سَوَادٍ كَانَ قَدْ مَالَ مَرَحَبًا بِالْجَدِيدِ
بِالْحَاكِنِ مَنْ رَمَا كُنَّ بِالْحُسْنِ نِ لَتَقَهَّرُنَا بِغَيْرِ جُنُودِ
لَيْسَ بِيضٌ مَنِّي فَاجْرِي عَلَيْهِ نِ صُدُودًا أَوْ لَيْسَ فَيَكُنْ سُودِ
قَلَّ مَا ضَرَّ كُنَّ مِنْ شَعْرَاتٍ كُنَّ يَوْمًا عَلَى الْوَقَارِ شُهُودِي

وقال البحتري أيضاً

خَلِيَاءُ وَجِدَّةَ اللَّهْوِ مَاذَا
إِنْ أَيَّامُهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيَضُ

وقال أيضاً

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْإِسِيهِ وَيَيْضًا
وَسَبَاهُ أَغِيدُ فِي تَصَرُّفٍ لَحْظِهِ
فَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدَهُ
أَسْيَانُ أَثَرِي مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ

ويروى - اسوان - ٥٥ - وقال أيضاً

هَلْ أَنْتِ صَارِفُ شَبِيحَةٍ إِنْ غَلَسَتْ
جَاءَتْ مُقَدِّمَةً أَمَامَ طَوَالِعِ
وَأَخُو الْغَيْبَةِ تَاجِرٌ فِي لَمَّةٍ
لَا تَكْذِبِينَ فَا الصَّبَا بِمُخْطَفِ
وَأَرَى الشَّبَابَ عَلِيَّ غَضَارَةٍ حُسْنِهِ

وقال أيضاً

أَيْتَنِي الشَّبَابُ أَمْ مَا تَوَلَّى
لَا أَرَى الْعَبْسَ وَالْمَفَارِقُ بَيَضُ
وَأَعُدُّ الشَّقِيَّ جَدًّا وَلَوْ أَعَا
مَنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُودُ
إِسْوَةَ الْعَبْسِ وَالْمَفَارِقُ سَوْدُ
طَيِّ غُنْمًا حَتَّى يُقَالَ سَمِيدُ

(١) - أساف - الرجل إذا هلكت ابنة

مَنْ عَدَّتْهُ الْعُيُونُ وَالْأَصْرَفَتِ عَدَّ
وَقَالَ أَيْضاً

قَدِمَ مِنِّي فَمَا جَرَى السَّقَمُ إِلَّا
لَوْ رَأَتْ حَدِيثَ الْخَضَابِ لَأَنْتَ
كَافُ الْبَيْضِ بِالْمَعْمَرِ قَدَرًا
يَتَشَاغَفْنَ بِالْفَرِيرِ الْمَسْمِي

وَقَالَ أَيْضاً

أَخِي إِنْ الصَّبَا أَسْتَمَرَّ بِهِ
تَصِدُّ عَنِّي الْحِسَانُ مُبْعَدَةً
شَيْبٌ عَلَى الْمُفْرِقِينَ بِأَرْضِهِ
تَطْلُبُ عِنْدِي الشَّبَابَ ظَالِمَةً
لَا عَجَبٌ إِنْ مَلَيْتِ خِلَّتِنَا
مَنْ يَتَطَاوَلُ عَلَى مَطَاوِلَةِ الْعَا
سِيرُ اللَّيَالِي فَانْهَجَتْ بُرْدُهُ
إِذَا نَالَ اقْرَبَهُ وَلَا صَدَدُهُ
يَكْثُرُنِي أَنْ أَيْبَنُهُ عَدَدُهُ
بُعِيدَ خَمْسِينَ حِينَ لَا تَجِدُهُ
فَأَفْتَقَدَ الْوَصَلَ مِنْكَ مُفْتَقِدُهُ
ش تَقَعَّقَ مِنْ مَلَهْ عَمْدُهُ

[قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . . . وَرَأَيْتُ الْآمِدَى وَقَدْ أَخْطَأَ فِي مَعْنَى الْبَيْتِ

الْأَخِيرَ لِأَنَّهُ قَالَ مَعْنَى يَتَقَعَّقُ مِنْ مَلَهْ عَمْدُهُ أَيْ عِظَامُهُ بِحُجٍّ لَهَا صَوْتُ إِذَا قَامَ وَقَعْدَ مِنْ
كِبَرِهِ وَضَعْفِهِ قَالَ وَقَوْلُهُ - مِنْ مَلَهْ - أَيْ مِنْ تَمَلَّى الْعَيْشَ يَرِيدُ طَوْلَهُ وَدَوَامَهُ وَمِنْهُ تَمَلَّيْتُ
حَبِيبَكَ وَالْأَمْرَ بِخِلَافِ مَا تَوَهَّمَهُ وَمَعْنَى - تَقَعَّقَ مِنْ مَلَهْ عَمْدُهُ - أَيْ مِنْ تَطَاوَلِ عَمْرِهِ
تَعَجَّلَ تَرْجُلَهُ وَانْتِقَالَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَكُنِيَ عَنْ ذَلِكَ يَتَقَعَّقُ الْعَمْدَ وَهَذَا مِثْلُهُ مَعْرُوفٌ لِلْعَرَبِ
يَقُولُونَ مَنْ يَجْمَعُ يَتَقَعَّقُ عَمْدَهُ يَرِيدُونَ أَنْ التَّجْمَعُ دَاعِيَ التَّفَرُّقِ وَإِنْ الْاجْتِمَاعُ يُعَقِّبُ
وَيُورِثُ مَا يَدْعُو إِلَى الْإِنْتِقَالِ الَّذِي يَتَقَعَّقُ مَعَهُ الْعَمْدُ . . . [قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ وَالْآمِدَى مَعَ كَثْرَةِ مَا يَدْعِيهِ مِنَ التَّنْقِيبِ وَالتَّشْقِيرِ عَلَى عُلُومِ الْعَرَبِ إِنْ كَانَ لَمْ

يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريقه وان كان قد سمعه وجهله ان معنى بيت البحري
يطابقه فهو أطرف . . فأما قوله . من مله . فأما أراد به من مله وملة فعلة من الملل
وكيف يكون من تمل العيش ولم يسمع في تمليت له وهذا خطأ على خطأ . . وقال البحري
مَا كَانَ شَوْقِي يَدْعُ يَوْمَ ذَلِكَ وَلَا دَمْعِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الْهَوَى سَفْحًا
وَأَمَّةٌ كُنْتُ مَشْفُوفًا بِحِدَّتِهَا فَاغْنَى الشَّيْبُ عَنْهَا لَا وَلَا صَفْحًا
وقال أيضاً

وَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ عَهْدَ الشَّبَابِ وَعَلَوَةٌ إِذْ عَيَّرَنِي الْكِبَرُ
كَوَاكِبُ شَيْبٍ عَلَقْنَ الصَّبَا فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرَ
وَإِنِّي وَجَدْتُ وَلَا يَكْذِبُنَّ سَوَادُ الْهَوَى فِي بَيَاضِ الشَّعَرِ
وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابَ وَإِمَّا الْعُمُرَ

قال الآمدي وعليه في قوله . ولا بد من ترك إحدى اثنتين . معارضة وهو أن يقال ان
من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر فهو تارك لهما معاً ومن شاب فقد فارق
الشباب وهو مفارق للعمر لا محالة فهو أيضاً تارك لهما جميعاً . . وقوله إما وإما لا توجب
الأحدهما قال والعدول للبحري أن يقال انه من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته
العمر وحده لانه لا يعمر فيكون . مفارقاً للعمر ألا ترى أنهم يقولون عمر فلان اذا
أسن وفلان لم يعمر اذا مات شاباً ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب
في حال موته لانه قد قطع أيام الشباب وتقدمت مفارقتها له وانما يكون في حال موته
مفارقاً للعمر وحده فالى هذا ذهب البحري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة
التي يعمرها الانسان وانما أراد بالعمر ههنا الكبير كما قال زهير

رَأَيْتُ الْمُنَايَا خَبِطَ عَشْوَى فَنُصِبَ تَمَتُّهُ وَمَنْ نَحْطِي يُعْمَرُ فَيَهْرَمَ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . . وما رأيت أشد تهافتاً في الخطأ منه فيما
يفسرهُ ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو أظهر من

أن يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التعليل والتعسف وانما أراد البحرى أن الانسان بين حالين إما أن يفارق الشباب بالشيب أو العمر بالموت فمن مات شاباً وان كان قد خرج من العمر وخرج بمزوجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب وحده وانما فارق العمر الذى فارق بمفارقة الشباب وغيره وقسمه الرجل تناولت أحد الأمرين إما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولا يكون ذلك إلا بالشيب أو مفارقة العمر بالموت وتأخير كلامه إنه لا بد لى من شيب أو موت فكان الشيب والموت متعاقبان والبحرى انما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة والبقاء وانما قال العمر لأجل الغاية مع انه مبين عن مراده ولو قال ولا بد من ترك الحياة أو ترك الشباب لغام مقام قوله العمر . أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي فتنها قوله يذم من جعل مصيبة غيره مصيبة له وعاب من تعلل بالناسي بما نال غيره وهو يرتي شبابه وأحسن

يا شباي وأين منى شباي	أذنتني أيامه بانقصاب
لَهْفَ نَفْسِي عَلَي نَعِيمِي وَلَهْوِي	تَحْتَ أَفْنَانِهِ اللَّذَاتِ الرَّطَابِ
وَمَزَّةَ عَنِ الشَّبَابِ مُوسَى	بِشَيْبِ اللَّذَاتِ وَالْأَصْحَابِ
قُلْتُ لَمَّا أَتَنَحَى بُعِيدَ أَسَاةٍ	بُصَابِ شَبَابِهِ كَمُصَابِ
لَيْسَ تَأْسُوكُلُومُ غَيْرِي كُلُومِي	مَا بِهِ مَا بِهِ وَمَا فِي مَا فِي

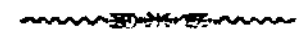
ولابن الرومي

لَهْفِي عَلَى الدُّنْيَا وَهَلْ لَهْفَةٌ	تَنْصِفُ مِنْهَا إِنْ تَلَهَّفْتُهَا
فَبُحَا لَهَا فُبْحَا عَلَي أَنَّهَا	أَقْبَحُ شَيْءٍ حِينَ كَشَفْتُهَا
وَقَدْ يَمُرُّ بِي شَبَابٌ مَضَى	وَلَذَّةٌ لِلْعَيْشِ أَسْلَفْتُهَا
فَكَرَرْتُ فِي خَمْسِينَ عَامًا مَضَتْ	كَانَتْ أُمَامِي ثُمَّ خَلَقْتُهَا

جِيلَتِهَا إِذْ هِيَ مَوْفُورَةٌ ثُمَّ مَضَتْ عَنِّي فَمَرَفَتِهَا
فَقَرَحَةُ الْمَوْهُوبِ أُعْذِمْتُهَا وَتَرْحَةُ الْمَسْلُوبِ أَحَقَّتْهَا
لَوْ أَنَّ عُمْرِي مِائَةٌ هَدَيْتُ تَذَكَّرِي أَنِّي تَنَصَّفْتُهَا

وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالي السالفة وقد أحسن فيها كل الإحسان

كَفَى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ لِلرَّأْسِ هَادِيَا لِمَنْ قَدْ أَضَلَّتْهُ الْمَنَايَا لَيَالِيَا
أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ الشَّيْبِ مَقَاتِلِي لِرَأْيِي الْمَنَايَا تَحْسِبُنِي نَاجِيَا
غَدَا الدَّهْرُ يَزِمُنِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ لِشَخْصِي أَخْلِقُ أَنْ يُصَيِّنَ سَوَادِيَا
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَزِي وَلَا يَرِي فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا



مجلس آخر ٤٨

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فأنهم ظالمون) .. فقال كيف جاءت أو بعد ما لا يجوز أن يعاقب عليه وما الناصب لقوله تعالى (أو يتوب عليهم) وليس في ظاهر الكلام ما يقتضيه نصيبه .. الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه .. أولها أن يكون قوله تعالى (أو يتوب عليهم) معطوفاً على قوله ليقطع طرفاً والمعنى أنه تعالى محمل لكم هذا النصير ومنصكم به ليقطع طرفاً من الذين كفروا أى قطعة منهم وطائفة من جمعهم أو يكفهم ويغفرهم ويهزمهم فيخيب سعيهم وتكذب فيكم ظنونهم أو يغفرهم ما برون من تظاهر آيات الله تعالى الموجبة لتعديق نبيه عليه الصلاة والسلام فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله تعالى ذلك منهم ويتوب عليهم أو يكفروا بعد قيام الحجج وتأكيدهم بالبينات والدلائل فيؤمنوا أو يقتلوا كافرين فيعذبهم الله تعالى باستحقاقهم النار ويكون على هذا الجواب قوله

تعالى (ليس لك من الأمر شيء) معطوفاً على قوله تعالى (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) أي ليس لك ولا لغيرك من هذا الأمر شيء وإنما هو من الله عز وجل . . . والجواب الثاني أن يكون أو بمعنى حتى وإلا أن والتقدير ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم وإلا أن يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس

بكي صاحبي لما رأى الدّرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصر^(١)
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذراً

أراد إلا أن نموت فنعذراً وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لأن لقائل أن يقول إن أمر الخلق ليس إلى أحد سوى الله قبله توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح أن يقول ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان إليه من الأمر شيء . . . ويمكن أن ينصرف ذلك بأن يقل قد يصح الكلام إذا حل على المعنى وذلك إن قوله (ليس لك من الأمر شيء) معناه ليس يقع ما تريد وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم أو ما تريد من استئصالهم وعذابهم على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها إلا أن يلطف الله تعالى لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم وتقدير الآية ليس يكون ما تريد من توبتهم أو عذابهم بك وإنما يكون ذلك الله تعالى . . . والجواب الثالث أن يكون المعنى ليس لك من الأمر شيء أو من أن يتوب الله عليهم فأضمر من اكتفاء بالأول وأضمر أن بعدها لدلالة الكلام عليها أو اقتضائه لها وهي مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك من الأمر شيء ومن توبتهم وعذابهم . . . [قال المرتضى] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم

(١) قوله بكي صاحبي الخ . . . هو من قصيدته المشهورة ومطالعها

سما لك شوق بعد ما كان أبصر وحلت سايي بطن قوّ فعرعرا

قالها لما ذهب إلى قيصر يستنجد على بني أسد بعد قتلهم أبيه وعنى بقوله صاحبي - عمرو ابن قيثمة من قيس بن ثعلبة بن مالك رهط طرفة وهو قديم جاهلي كان مع حجر أبي امرئ القيس فلما خرج امرؤ القيس إلى الروم صحبه

(١١ - أمالي ثالث)

يعلم على هذا الجواب ويستبعد قال لان الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذي لا تصرف له على إضمار أن مع الفعل لانه ليس في كلام العرب عجبت من أخيك ويقوم على معنى عجبت من أخيك ومن أن يقوم لأن أخاك اسم جامد محض لا يعطف عليه إلا ما شاكله قال هذا انما يستقيم ويصالح في رد الفعل الى المصدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك على معنى كرهت غضبك وان يغضب أبوك فيطرد هذا في المصادر لانها تؤول بأن فيقول النحويون يعجبني قيامك وتأويله يعجبني أن تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن أن يكون هذا فيه . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وليس ما ذكره مستبعداً وان لم يضعف هذا الجواب إلا من حيث ذكر فليس يضعف وذلك ان فيما امتنع منه مثل الذى أجاز لانه قد أجاز ذلك في المصادر وان لم يجره في غيرها وقوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم) فيه دلالة الفعل لان الأمر مصدر أمرت أمراً فكانه تعالى قال ليس لك من أمرتهم أو تأمرهم شيء ولا من أن يتوبوا وجرى ذلك بجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك في رد الفعل الى المصدر والوجه الأول أقوى الوجوه والله أعلم بما أراد

[تأويله خبر] . . . إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وصره . . . الجواب قيل له أما النجش فهو المدح والامراء . . . قال نابغة بني شيبان يذكر الحر وتُرَخِّي بال من يشرُّها وَتَفَدَّى كَرَمَها عِنْدَ النَّجَشِ^(١)

(١) هو من قصيدة له مشهورة روى ان أبا كامل مولي الوليد بن يزيد غنى يوماً بحضرته

أمدح الكاس ومن أعماها واهج قوماً قتلونا بالعطش

فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بني شيبان فأمر بإحضاره فاستنشد القصيدة فأشده إياها وظن ان فيها مدحاً له فاذا هو يشتخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد لو سعد جدد لك انت مدحاً فينا لا في بني شيبان ولست نخليك على ذلك من حظ ووصله

أى عند مدحها ومنه النجش فى البيع وهو مدح السلعة والزيادة فى ثمنها من غير ارادة لشراؤها بل ليقتدى بالزائد فى زيادته غيره وأصل النجش استخراج الشيء والتسخير عنه . . قال بعض الفقهاء

أَجْرَشُ لَهَا يَابْنَ أَبِي كَبَاشٍ قَمَا لَهَا اللَّيْلَةُ مِنْ إِنْفَاشٍ
غَيْرَ الشَّرْحَى وَسَائِي نَجَاشٍ اسْمَرَّ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْخُشْخَاشِ

ويروى الحشاش والنجاش هو المستثير لسيدها والمستخرج لما عندها منه وهو عني - أجرش لها - أى أحد لها لتسمع الحذاء فتسير وهو مأخوذ من الجرش وهو الصوت ومعنى

وانصرف . . وأول هذه القصيدة قوله

حل قلبي من سلمي نبلها إذ رمتني بسهام لم تعلق
طفلة الأعطاف رؤودمية وشواها بخنزي لم يحش
وكان الدر في أخراسها يبيض كعلاء أقرته بعش
وطسا عينا مهة في مهي ترتني نبت خزامي وتقس
حررة الوجه رخيم صونها رطب تنجيه كف المنقش
وهي من الليل إذا ماء ونفت منية البعل وهم المفترش

.. ومنها

أهبنا الساقى سقته مزنة من ربيع ذى أهاضيب وطش
أمدح الكاس ومن أعملها وأهيج قوماً قتلونا بالعطش
انما الكاس ربيع باكر فاذا ما غاب عنا لم نعش
وكان الشرب قوم مؤثروا من يغم منهم لأمر يرتعش
خرس الآنس بما نالهم بين مصروع وصاح منتعش
من حيا قرقف حصبة قهوة حولية لم تمنعش
ينفع المزكوم منها ويحما ثم تنني داءه إن لم تنش
كل من يشربها بالفها ينفق الأموال فيها كل شش

الأنفاس - أراد أنها لا تترك تركي ليلاً والنفس أن تركي الابل ليلاً وقد أنفستها إذا أرسلتها ليلاً تركي - والخشخاش - الخفيف الحركة السريع القلب .. والنجش في البيوع يرجع معناه الى هذا أيضاً من الزيادة لان الناجش يستثير زيادته في الثمن ومدحه الساعة الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا أى لا يمدح أحدكم الساعة فزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيده وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعة ويستثير فائدة وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه الصلاة والسلام لأن قوله ولا تدابروا أشد مطابقة له .. ومعنى - لا تدابروا - أى لا تهاجروا ويوتى كل واحد منكم صاحبه دبر وجهه .. قال الشاعر

وأوصي أبو قيس بأن تتواصلوا وأوصي أبوكم ويحكم أن تدابروا

فكانه قال عليه الصلاة والسلام لا تهاجروا ولا تتواصلوا بالمدح الذى ليس يستحق ولا تهاجروا وتتقاطعوا .. فأما قوله عليه الصلاة والسلام - كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه - فقد ذهب قوم الى أن عرض الرجل التما هو سلفه من آباءه وأمهاته وما جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى أن عرض الرجل عرض نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر أهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون التما هو عرق يجري من اعراضهم مثله للملك أى من ابدانهم قال ومنه قول أبي الدرداء أقرض من عرضك اليوم من قذفتك أراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك قرضاً لك عليه ليوم الجزاء والقصاص .. واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أبعجز أحدكم أن يكون كأتى ضئض من اذا خرج من منزله قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك قال فعناه قد تصدقت بنفسى وأحللت من يفتانجى فلو كان العرض الاسلاف ما جاز أن يحل من سب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه .. قال ويدل على ذلك أيضاً حديث سيفيان بن عيينة لو أن رجلاً أصاب من عرض رجل شيئاً ثم تورع من بعده فجاء الى ورثته بعد موته فأحلوه لم يكن ذلك

كفارة له ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه الى ورثته لكننا نرى ان ذلك كفارة له
قال ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ^(١)

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرَضِي لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

أَتَهَجُّوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرُّ كَمَا لِيخِيرَكُمَا الْفِدَاءُ

أراد ان أبي وجدتي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وسلم . . وقال آخرون
وهو الصحيح العرض موضع المدح والثناء من الرجل فاذا قيل ذكر عرض فلان
فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ويمدح أو يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر
الرجل نفسه وذكر آباءه وأسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا
ان أهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين أن يكون ذكره في نفسه
بقبيح الأفعال أو شتم سلفه وآباءه ويدل عليه قول مسكين الدارمي

رَبِّ مَهْزُولٍ سَتَيْنَ عَرْضُهُ وَسَتَيْنَ الْجَنَمِ مَهْزُولِ الْحَسَبِ^(٢)

(١) روي انه لما انتهى الى هذا البيت قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزاؤك على
الله الجنة يا حسان ولما انتهى الى قوله * فان أبي ووالده * عرضي * الخ قال صلى الله
عليه وسلم وذاك الله يا حسان حر النار ولما انتهى الى قوله * أتهجوه * ولست له بكفء *
الخ قال من حضر هذا أنصف بيت قائله الدرب . . وقوله . . فشركا لخيركما الفداء . . قال
السبيلي في ظاهر هذا اللفظ شناعة لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلا وفي كلاهما
شر وكذلك خير مثله ولكن سيبويه قال تقول مررت برجل شر منك اذا نقص عن
أن يكون مثله وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ونحو منه قوله عليه الصلاة
والسلام شر صفوف الرجال آخرها يريد نقصان عظمهم عن حظ النصف الأول كما قال
سبويه ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر والله أعلم

(٢) ذكر أبو علي الثعالبي العرض بأنواعه فتركنا كل ما لا تعلق له بموضع البحث

فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضاً لان السمن والهزل يرجعان الى
 فقال والعرض أيضاً ما ذم من الانسان أو مدح يقال فلان نقي العرض أى هو بريء
 من أن يشتم أو يعاب واختلاف فيه فقال أبو عبيدة عرضه آبؤه وأسلافه وخالفه ابن
 قتيبة فقال عرضه جده واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في صفة أهل الجنة
 لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك يعنى من أبدانهم
 ونصر شيخنا أبو بكر بن الانباري أبا عبيدة فقال ليس هذا الحديث حجة له لان
 الاعراض عند العرب المواضع التي تعرق من الجسد قال والدليل على غلط ابن قتيبة
 في هذا التأويل ومحة تأويل أبي عبيدة قول مسكين الدارمي

رب مهزول سمين عرضه وسمين الجسم مهزول الحطب
 فعناء رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء قال وأما احتجاجه بيت حسان بن ثابت
 فان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
 في أن العرض الجسم فليس كما ذكر لان معناه فان أبي ووالده وآبائي فأني بالعموم بعد
 الخصوص ذكر الأب ثم جمع الآباء كما قال الله جل وعز (ولقد آتيناك سبعاً من
 المثاني والقرآن العظيم) نفس السبع ثم أني بالقرآن العام بعد ذكره إياها والذي قاله
 ابن قتيبة قد قاله غيره ويمكن أن ينصر ابن قتيبة بيت مسكين ومعناه رب مهزول
 الجسم سمين الحطب أي عظيم الشرف وسمين الجسم مهزول الحطب أي ضعيف
 الشرف اه قلت وبعد بيت مسكين المتقدم

أ كسبه الورق البيض أباً ولقد كان ولا يدعي لأب

الورق يفتح الواو وكسر الراء وهي الدراهم المضروبة وكذلك الرقة والهاء عوض عن
 الواو وقوله ولا يدعي لأب أي ولا ينتسب من الدعوة بكسر الدال •• المعنى انه كان
 مجهول النسب ولم يكن له أب يدعي اليه فلما أعطي ما لا ظهر له نسب واشتهر له أب يدعي
 اليه •• وقوله ولقد كان الواو للحال واللام للتأكيد وقد للتحقيق وكان تامة فلا
 تحتاج الى خبر •• وقوله ولا يدعي لأب جملة وقعت حالا أيضاً وهي مضارع منى
 جاء بالواو وهو قليل والأكثر يجيء بالواو

شيء واحد وإنما أرادت مهزول كريمة أفعاله أو كريم آياؤه وأسلافه .. وقد قال ابن عبد الأسد

وَإِنِّي لَأَسْتَعْنِي فَمَا أَبْطَرُ الْفَنَى وَابْذُلْ مَيْسُورِي لِمَنْ يَبْتَغِي قَرْضِي

وَاعْضُرْ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي وَادْرِكْ مَيْسُورَ الْفَنَى وَمَتْنِي عَرْضِي

ولا يليق ذلك إلا بذكرناه .. [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه وجدت أبا بكر ابن الأنباري قد رد على ابن قتيبة هذا وطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروي عنه عليه الصلاة والسلام في وصف أهل الجنة أن المراد بالأعراض مغان الجسد .. وحكى عن الأُموي أنه قال الأعراض المغان التي تصرف من الجسد نحو الإبطين وغيرهما وقال في حديث أبي الدرداء معناه من عابك وذكر أسلافك فلا تجاوزه ليكون الله تعالى هو المنيب لك .. وقال في قول أبي ضمضم معناه أنه أحل من أوصل إليه أذى بذكره وذكر آباءه فلا يحل إلا من أمره إليه .. وقال في قول حسان المراد بعرضه أيضاً أسلافه فكأنه قال إن أبي ووالده وجميع أسلاف الذين أمدح وأذم من جهنهم وقامه عليه الصلاة والسلام فأتى بالعموم بعد الخصوص كما قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) فأتى بالعموم بعد الخصوص ولم أجده ذكر في خبر سفيان ابن عيينة شيئاً وتأويله يقرب من تأويل خبر أبي ضمضم لأن من آذى رجلاً بسبه في نفسه أو سب سلفه وأدخل عليه بذلك وضاعاً ونقصاً لم يكن إلى ورثته بعد موته الإحلال من ذلك لأن الأذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلهم عليهم أيضاً مع دخوله على المسبوب لكن إحلالهم مما يرجع إلى غيرهم لم يصح على أن الإحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه وهله يسقط بإسقاط مستحقه أم لافيه كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع .. وبعد فلو سلم لابن قتيبة أن المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف أو سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فإنه أقرب إلى أن يكون المراد به ما ذكره لم يفسد فيها ذكرناه لأننا لم نقل أن العرض مقصور على سلف الإسلام بل ذكرناه أنه موضع الذم والممدح من الإنسان ولا فرق

بين سلفه ونفسه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعناً علينا وإنما ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدل على أن العرض لا يستعمل إلا في النفس دون السلف وكل شيء ورد بما المراد بالعرض فيه النفس أو المراد به السلف فهو مؤكد لقولنا في أن هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الإنسان وإنما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لأنه قصر معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بحمد الله . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة معمر بن المثنى سمرياً وكان يكتم ذلك فأنشد عمران بن حطان^(١)

أَنْكَرْتُ بِعَدُوكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بِعَدُكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ
إِمَّا تَكُنْ ذَفْتُ كَأَسَا دَارٍ أَوْ لَهَا عَلَى الْقُرُونِ فَذَاقُوا نَهْلَةَ الْكَاسِ
قَدْ كُنْتُ أَبْسُوكَ حِينَئِذٍ قَدْ نَبَسْتُ نَفْسِي فَمَا رَدَّ عَنِّي عَهْرِي يَاسِي
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا الاسناداني قال قال الثوري كنت إذا أردت أن أبسط أبا عبيدة ذكرته بأخبار الخوارج فابصع منه نبيج بحر جفنته يوماً وهو مطرق ينكت في الأرض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس

(١) وهو أحد بني ذهل بن نعلبة وكان رأس الفعدة من السفرية وخطيبهم وشاعرهم وهذه الأبيات برئي بها أبا بلال وهو مرداس بن أدية وهي جدته وأبوه حدير وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة ورواية أبي العباس

يأعين بكى لمرداس ومصرعه	يارب مرداس اجعلني كمرداس
تركتني هاماً أبكى لمرزاني	فهمزل موحش من بعد إيتاس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه	ما الناس بعدك يامرداس بالناس
إمّا شربت بكأس دار أو لها	على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلاً	منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

فلمست غايه فلم يرد فتثلت

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَاعُدُّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

والبيت لقطري بن النجادة فنظر الى ثم قال ويحك أندري من يقوله قلت قطري قال اسكت فض الله فاك فالأ قلت أمير المؤمنين أبو نعامة ثم اتبه فقال اكتبها هل يابودي فقلت هي ابنة الأرض فأنشدني

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ جَاسَتْ حَيَاةٌ
فَأِنَّكَ لَوْ طَلَبْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا
وَمَا طَوَّلُ الْحَيَاةِ بِثَوْبٍ مَجْدٍ
سَبِيلُ الْمَوْتِ مِنْهُجٌ كُلُّ حَيٍّ
وَمَنْ لَمْ يَنْتَبِطْ بِسَأْمٍ وَيَزَرَمْ
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
مَنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي
عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَنْ تَطَاعِي
فَمَا نِيلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ
فَيَطْوِي عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْبِرَاعِ
وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي
وَيَقْضِي بِهِ الْقَضَاءِ إِلَى الْقِطَاعِ
إِذَا مَاعُدُّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ^(١)

(١) رواية الحامدة

أقول لها وقد طارت شعاعاً
فإنك لو سألت قضاء يوم
لصبراً في مجال الموت صبراً
وما ثوب الحياة بثوب من
سبيل الموت غايه لكل حي
ومن لا ينتبط بسأم ويهرم
وما للمرء خبير في حياة
من الأبطال ويحك لن تراعي
على الأجل الذي لك لم تطاعي
فما نيل الخلود بمستطاع
فيطوي عن أخى الخنع البراع
فداعيه لأهل الأرض داعي
وتسلمه الموت الى اقتطاع
إذا ماعُدُّ من سقط المتاع

(١٢ - امالي ثالث)

فكتبها وقت لا تصرف فقال أقدمتم أنشدني

إلى كم تغاريني السيوف ولا أرى
أقارع عن دار الخلود ولا أرى
ولو قرب الموت القراع لقد أنى
أغادى جلاذء المعلمين كأنني
واذعوا الكهامة للترال إذا القنا
ولست أرى نفساً تموت وإن دانت
مغازاتها تدعوني إلى حماميا
بقاء على حال لمن ليس باقيا
لموتي أن يذنبو لطول قراعي
على المسيل الماذي أصبح غاديا
تخطم فيما يتنا من طمانيا
من الموت حتى يبعث الله داعيا

فقال ابن دريد وهذا الشعر أيضاً لقطري .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال جثت أبا عبيدة يوماً ومعي شعر عروة بن الورد فقال فارغ حل شعر فقير ليقراء على فقير فقلت ما معي غيره فأنشدني أنت ما شئت فأنشدني

يارب ظل عقاب قد وقيت به
ورب يوم حمى أزعى عقوته
ويوم لهو لأهل الخفض ظل به
مشهراً موافى والحرب كاشفة
ورب هاجرة تغلى مرآجلها
فجتاب أودية الأفراع آمنة
فإن أمت حنت نفسي لا أمت كمدًا
مهي من الشمس والأبطال تجلبد
خيلى أفساروا أطراف القنا قصد
لهوى اصطلاء الوغا إذ نارهم قد
عنها القناع وجر الموت يطرد
صغريها عطايا غارة تحب
كأنها أسد يقتادها أسد

على الطعان وقصر الماجر الكمد
ولم أقل لم اساق القتل شاربة
في كاسه والمنايا تزع ورُد

ثم قال لي هذا الشعر لا ما نعالون به نفوسكم من أشعار الخائبات والشعر لقطري ..
 أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم
 قال كان أبو عبيدة يأنس الي في أول ما اختلفت اليه ويسألني عن خوارج سجستان
 لانه كان يغازي على رأيهم وكنت أوهمه أني منهم فالتفتي منه لذلك عنابة خاصة فكان
 كثيراً ينشدني أشعارهم ثم يمتني

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بُنُوا أَحْسَنُوا لَبِئْسَ
 وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

قال وأنشدني يوماً رجلاً من طيء من الخوارج

لَا كَابِنٍ مِلْحَانٍ مِنْ شَارِخِي ثِقَةٍ أَوْ كَابِنٍ عِلْقَمَةٍ الْمُسْتَشْهِدِ الشَّارِي
 مِنْ صَادِقٍ كُنْتُ أَصْفِيهِ مَخَالِصِي فَبَاعَ دَارِي بِأَعْلَى صَفْقَةِ الدَّارِ
 إِخْوَانُ صِدْقِي أَرْجِيهِمْ وَاحْذَرُهُمْ اشْكُوا إِلَى اللَّهِ إِخْوَانِي وَإِحْذَرِي
 فَصُرْتُ صَاحِبَ دُنْيَا لَسْتُ أَمْلِكُهَا وَصَارَ صَاحِبَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارِ

— مجلس آخر ٤٩ —

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلَّتْ
 أيديهم وأعلموا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) .. فقال ما اليد التي أضافها اليهود الى الله
 تعالى وادَّعوا انها مغلولة فما ترى ان عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان لربه يدأ مغلولة
 واليهود تنبرأ من أن يكون منها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بـ غلَّتْ أيديهم وهو
 تعالى بمن لا يصح أن يدعو على غيره لانه تعالى قادر على أن يفعل ما يشاء وانما يدعو
 الداعي بما لا يتمكن من فعله طلباً له .. الجواب قلنا يمتثل أن يكون قوم من اليهود
 وصفوا الله تعالى بما يقتضى تناهي مقدوره بخبري ذلك مجرى أن يقولوا ان يده مغلولة
 لان عاة الناس جارية بان يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة

عن كذا وكذا ويده لا تنبسط الي كذا اذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد بذلك قوله تعالى في موضع آخر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) ثم قال تعالى مكذباً لهم (بل يداهم مبسوطتان) أي انه لا يمجزه شيء وثني اليدين تأكيداً للأمر وتفضيلاً له ولان ذلك أبغ في المعنى المقصود من أن يقول بل يده مبسطة . . . وقد قيل أيضاً ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطوا فضله ورزقه وقيل انهم قالوا على سبيل الاستزاء ان إله محمد الذي أرسله يداً الى عتقه إذ ليس يوسع عليه وعلى أصحابه فرد الله قولهم وكذبهم بقوله (بل يداهم مبسوطتان) واليد هنا الفضل والمنة وذلك معروف في اللغة متظاهر في كلام العرب وأشارهم ويشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ولا معنى لذلك إلا الأمر بترك إمساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك الاسراف الى التمسك والتوسط ويمكن أن يكون الوجه في تسمية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة لان الكل وان كانت نعماً لله فمن حيث اختص كل واحد من الأمرين بصفة مخالفة لصفة الآخر ساراً كما أنهم ما جنسان وقيلان ويمكن أيضاً أن يكون في تسمية النعمة لانه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة . . . فأما قوله تعالى (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) ففيه وجوه . . . أولها أن لا يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على وجه الاخبار منه عز وجل عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير وقد قيل قوله (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) وه وضع غُلَّتْ نصب على الحال كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ماغل الله تعالى أيديهم ولعنهم أو حكم بذلك فيهم ويسوغ إظهار قد هنا كما ساغ في قوله عز وجل (إن كان قبضه قُدٌّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قبضه قُدٌّ من دبر فكذبت) والمعنى فقد صدقت وقد كذبت . . . وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت أيديهم أو غلَّتْ أيديهم فأضمر تعالى الفاء والواو لان كلامهم ثم واستنزل بعده كلام آخر ومن عادة العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى (وإذا قال موسى لنفوسه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا ألا نخذنا هزواً) أراد فقالوا أنتخذنا هزواً فأضمر تعالى الفاء لنظام كلام موسى عليه الصلاة والسلام

ومنه قول الشاعر

لَمَّا رَأَيْتُ نَبْطًا أَنْصَارًا شَمَرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الْأَزَارَا

كَسْتُ لَهَا مِنَ النَّصَارَى جَارًا

أراد وكنت لها فاضر الواو .. ونالها أن يكون القول خرج مخرج الدماء إلا أن معناه التعليم من الله تعالى لنا والتأديب فكأنه تعالى وقفنا على الدعاء عليهم وعلما ما ينبغي أن نقول فيهم كما علما الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله (لندخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين) وكل ذلك واضح والمثمة لله

[تأويل خبر] .. أن سأل سائل عن الخبر الذي روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لمن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده .. الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج تنعلق به وتدعى أن القطع يجب في القاييل والكثير ويستشهد على ذلك بظاهر قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ويتعلق بهذا الخبر أيضاً الملحدة والشكاك ويدعون أنه مناقض للرواية المتضمنة انتفاء القطع إلا في ربيع دينار ونحن نذكر ما فيه .. فأول ما نقوله أن الخبر مطلق فيه عند أصحاب الحديث وعلى إسناده أيضاً طعن وقد حكى ابن قتيبة في تأويله وجهاً عن يحيى بن أكرم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجهاً آخر نحن نذكرهما وما فهمنا وتبعهما بما نختاره .. قال ابن قتيبة كنت حضرت يوماً مجلس يحيى بن أكرم بمكة فرأيت يذهب إلى أن البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب وأن الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ منه دنانير كثيرة .. قال ورأيت يعجب بهذا التأويل ويبدي فيه ويعيد ويرى أنه قطع به حجة الخصم .. قال ابن قتيبة وهذا إنما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما يأخذ به السارق فيصرفه إلى بيضة تساوي دنانير وحبل لا يضر السارق على حمله ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا قبح الله فلاناً هرض فيه للضرر في عقد جوهر وتعرض لعقوبة العلول في جراب مسك وإثما العبادة جارية

بأن يقال لعنه الله تعرض لقطع اليد في حبل رث أو أداة خلت أو كبة شعر فكل ما كان من ذلك حقيراً كان أبلغ . . . قال والوجه في الحديث أن الله تعالى لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم (والسارق والسارقة) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما أنزل عليه في ذلك الوقت ثم أعلمه الله تعالى بعد أن التقط لا يكون إلا في ربيع دينار فما فوقه ولم يكن عليه الصلاة والسلام يعلم من حكم الله تعالى إلا ما أعلمه الله تعالى ولا كان الله يعرف ذلك جملة بل يرين له شيئاً بعد شيء . . . [قال المرتضى] رضى الله عنه ووجدت أبو بكر الأنباري يقول ليس الذي ذكر ابن قتيبة على تأويل الخبر بشيء قال لأن البيضة من السلاح ليست علماً في كثرة الثمن ونهاية علو القيمة فتجري مجرى المقد من الجواهر والجواب من المسك الذين يساوي الألوف من الدنانير والبيضة من السلاح ربما اشترت بأقل مما يجب فيه القطع وإنما أراد عليه الصلاة والسلام أنه يكسب قطع يده بما لا غناء له به لأن البيضة من السلاح لا يستغنى بها أحد والجواهر والمسك في اليسير منهما غناء . . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه والذي نقوله أن ما ظن به ابن الأنباري على كلام ابن قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن في شبه العقد والجواب من المسك غير أنه يتق في ذلك أن يقل أي وجه تخصيص البيضة والحبل بالذكر وليس هما النهاية في التقليل وإن كان كما ذكره ابن الأنباري من أن المعنى أنه يسرق ما لا يستغنى به فليس ذكر ذلك بأولي من غيره فلا بد من ذكر وجه في ذلك . . . وأما تأويل ابن قتيبة فباطل لأن النبي عليه الصلاة والسلام لا يجوز أن يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى (والسارق والسارقة) لأن الآية مجملة مفتقرة إلى بيان ولا يجوز أن يحتملها أو يصرفها إلى بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة على أن أكثر من قال أن الآية مجملة وإن ظاهر القول يقتضي العموم ويذهب إلى أن تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر عن حال الخطاب بها فكيف يصح ما قاله ابن الأنباري أن الآية قدمت ثم تأخر تخصيص السارق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخاً للأول وعلى تأويله هذا يقتضى أن يكون كل الخبر منسوخاً وإذا أمكن تأويل أخباره عليه الصلاة والسلام على ما لا يقتضى

رفع أحكامها واستغناها كان أولى . . والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبر أن السارق يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق الحقيق القليل فتقطع يده فكأنه تعجز له وتضعيف لاختياره من حيث باع يده بقليل الفن كما باعها بكثيره . . وقد حكى أهل اللغة أن بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف معظمه وبيضة البلد الذي لا تغير له وإن كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الاضداد وإذا استعمل في الذم فعناه أن الموصوف بذلك حقير مهين كالبيضة التي نفسها النعامة فتركها مائة ولا تلتفت إليها فما جاء من ذلك في المدح قول أخت عمرو ابن عبد ود ترثيه ^(١) وتذكر قتله أمير المؤمنين عليه السلام إياه وقيل أن الأبيات لامرأة من العرب غير أخته

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَكُنْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبَدِ
لَكِنْ قَاتِلُهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ قَدْ كَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بِيَضَةِ الْبَلَدِ

(١) عمرو بن عبد ود هذا من بني عامر بن لؤي خرج في فرسان من قريش منهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب في غزوة الخندق فقتلهم ومكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين سلع والخندق وخرج علي بن أبي طالب رضى الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم فقال لعمر بن عبد ود يا عمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه أحدهما قال أجل قال له علي فإني أدعوك إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك إلى التزال قال ولم يأن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك قال علي ولكنى والله أحب أن أقتلك حتى عمرو عند ذلك فاقترحهم عن فرسه لمعرقه أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي عليه السلام وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو منبه بن عثمان الدارى ونوفل بن عبد الله بن المغيرة

وقال آخر في المدح

كَانَتْ قُرَيْشًا بَيْضَةً فَتَمَلَّقَتْ فَالْمُحُّ خَالِصَةٌ لِبَيْدٍ مَنَافٍ

وقال آخر في الذم

تَأْبِي قُضَاعَةً أَنْ تَعْرِفَ لَكُمْ نَسَبًا وَإِنَّا نَزَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

أراد أن تعرف فأسكن .. وقال آخر في ذلك

لَكِنَّهُ حَوْضٌ مِنْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ رَبِّبُ الزَّمَانِ فَأَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)

فقد صار معنى البيضة كله يعود الى التخميم والتعظيم .. وأما الجبل فيذكر على سبيل
المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما اعطاني فلان إلا عقلا وما
ذهب من فلان عقلا ولا تساوى كذا تقيرا كل ذلك على سبيل المثل والتقليل وليس
الغرض بذكر الجبل الواحد من الجبال على الحقيقة وإذا كان هل هذا تأويل الخبر
زال عنه المناقضة التي ظننت وبطلت شبهة الخوارج في أن القطع يجب في القليل والكثير
.. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبيد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن
المزروع قال حدثني أبو وهب أهل بن ثابت قال قال الأسدي تصرفت بالأسياب على
باب الرشيد مؤملا بالظفر به والوصول اليه حتى إنني سرت لبعض حرسه خدينا فإني
في ليلة قد نزلت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال
أما بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيد مضيقه قد حله التيسير فقال
لي الخادم ادخل فاعلمها أن تكون ليلة تفرس في صباحها بالنقى ان فزت بالخطوة عنده

(١) وقبه

لو كان حوض حمار مباشرت به إلا باذنت حمار آخر الأبد
لكنه حوض من أودى بإخوته ويب الزمان فأمسى ببيضه البلد
لو كان يشكي الى الأموات مالتى أحياء بعدهم من شدة الكمد

فدخلت فواجهت الرشيد في بهوة والفضل بن يحيى الى جانبه فوقف بي الخدام
بحيث يسمع التسليم فودعني السلام ثم قال يا غلام أرجع قليلا ليفرخ
روعه ان كان قد وجد للروعة حقا فدنيت قليلا ثم قلت يا أمير المؤمنين إضاءة مجذك
وبهاء كرمك مجبران لمن نظر اليك من اعتراض أذية فقال ادن فدنوت فقال أشاعر أم
راوية فقلت راوية لكل ذى جد وهزل بعد أن يكون محسنا فقال تالله ما رأيت ادعاء
أعم فقلت أنا على الميدان فأطلق من عنائي يا أمير المؤمنين فقال قد أنصف القارة من
راماها ثم قال مامعنى هذه الكلمة بديا قال قلت فيها قولان القارة هي الطرقة من
الأرض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة والملك إذ ذاك أبو حسان فواقف
عكره عكر السعد فخرج فارس من السعد قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال أين
رماة العرب فقلت العرب قد أنصف القارة من راماها^(١) فقال لي الرشيد أصبت ثم قال

(١) القارة قبيلة وهم عضل والديش أبناء الهون بن خزيمية وإنما سموها قارة
لالتفافهم واجتماعهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم في بني كنانة وقريش قال شاعرهم

دعونا قارة لا تنفرونا فنجفل مثل إجنفال العظيم

وهم رماة الحدق في الجاهلية وهم اليوم في اليمن ويزعمون ان رجلين إلتقيا أحدهما
قاري والآخر أسدي فقال القاري ان شئت سارعتك وان شئت سابتك وان شئت
راميتك فقال الآخر قد اخترت الرماة فقال الأسدي قد اخترت الرماة فقال
القاري قد أنصفتني وأنشد

قد أنصف القارة من راماها إنا اذا ما شئنا نلقاها

• نرد أولاهنا على أخراها •

ثم انزع له سهما وشك فؤاده • وإنما قيل أنصف القارة من راماها في حرب كانت بين
قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة وكانت كنانة مع قريش وهم قوم رماة فلما
التق الفريقان راماها الآخرون قبيله قد أنصفهم هؤلاء إذ ساوهم في المعدل الذي
هو شأنهم وصناعهم

أُتْرِي لِرُؤْيَةِ بِنِ الْمُبَاجِجِ وَالْعَبَاجِ شَيْئًا فَقُلْتُ هَا شَاهِدَانِ لَكَ بِالْقَوَانِي وَإِنْ غِيَا عَنْ
بَصْرِكَ بِالْأَشْخَاصِ فَأَخْرِجْ مِنْ نَبِيِّ فَرَشَةٍ رَقْعَةً ثُمَّ قَالَ أَنَشِدْنِي

أَرْقَنِي طَارِقُ هَمَّ طَرَفًا

فَضَيْتَ فِيهَا مَضَى الْجَوَادِ فِي مَتْنِ مِيدَانِهِ ثُمَّ دَرَبَهَا أَشْدَاقُ فَلَمَّا صَرَتْ إِلَى مَدِيحِهِ لَبِنِي أُمِيَّةٍ
نَبِيتٌ لَسَانِي إِلَى اسْتِدَاحِهِ لِلْمَنْصُورِ فِي قَوْلِهِ

قُلْتُ لِزَيْرٍ لِمَ تَصِلُهُ مَرِيئَةُ

فَلَمَّا أَرَانِي قَدْ عَدَلْتُ مِنْ أَرْجُوزَةٍ إِلَى غَيْرِهَا قَالَ أَمِنْ حَيْرَةٍ أَمْ عَنْ عَمْدٍ قُلْتُ عَنْ عَمْدٍ
تَرَكْتُ كَذِبَهُ إِلَى سِدْقِهِ فَبِمَا وَصَفَ بِهِ الْمَنْصُورُ مِنْ عَجَبٍ فَقَالَ الْفَضْلُ أَحْسَنْتَ بَارَكَ اللَّهُ
عَلَيْكَ مِثْلُكَ يَوْهَلُ لِهَذَا الْمَجْلِسِ فَلَمَّا أَتَيْتُ هَلَى آخِرَهَا قَالَ لِي الرَّشِيدُ أُتْرِي كَلِمَةً
عَدَى بِنِ الرَّقْعِ

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُّمًا فَأَعْتَادَهَا

قُلْتُ أَيْمٌ قَالَ هَاتِ فَضَيْتَ فِيهَا حَقِي صَرَتْ إِلَى وَصْفِ الْجَلْدِ قُلْ لِي الْفَضْلُ نَاشِدْتُكَ اللَّهُ
أَنْ تَقْطَعَ عَلَيْنَا مَا أَمْتَعَنَا بِهِ الدَّهْرُ مِنْ لِبَاسَاتِ هَذِهِ بِصِفَةِ جِلْدِي أَجْرِبْ فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ
اسْكُتْ فَلَا لِبَالَ هِيَ الَّتِي أَخْرَجْتَنِي مِنْ دَارِكَ وَاسْتَلْبَتْ تَاجَ مَلِكِكَ ثُمَّ مَاتَتْ وَعَمِلَتْ جُلُودَهَا
سَيَاطِلًا ثُمَّ ضَرَبَتْ بِهَا أَنْتَ وَقَوْمُكَ فَقَالَ الْفَضْلُ لَقَدْ عَوَّقْتِ هَلَى غَيْرَ ذَنْبِ الْحَمْدِ اللَّهُ فَقَالَ
الرَّشِيدُ أَخْطَأْتُ الْحَمْدَ اللَّهُ هَلَى النِّعَمَ وَلَوْ قُلْتُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُنْتُ مُصِيبًا ثُمَّ قَالَ لِي أَمَضِ فِي
أَمْرِكَ فَانْشُدْنِي حَقِّي إِذَا بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

اسْتَوَى جَالِسًا ثُمَّ قَالَ لِي أَنْتَظِفْ فِي هَذَا ذَكَرْتُ أَنْ ذَكَرْتُ الرِّوَاةَ إِنْ الْفَرَزْدَقُ قَالَ
كُنْتُ فِي الْمَجْلِسِ وَجَرِيرٌ إِلَى جَانِبِي فَلَمَّا ابْتَدَأَ عَدِي فِي قَصِيدَتِهِ قُلْتُ لَجَرِيرٍ مَسْرُورًا إِلَيْهِ
هَلْ نَسَخَ مِنْ هَذَا الشَّامِيِّ فَلَمَّا ذُقْنَا كَلَامَهُ بِشُنَانِهِ مِنْهُ فَلَمَّا قَالَ

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

وعدى كالمترج فقال جرير إذا تراء يستلب بها مثلاً فقال الفرزدق يالكع انه يقول

قلم أصاب من الدواة مدادها

فقال جرير كأن سمعك مغبو في صدره فقال لي اسكت شغاني سبك عن جيد الكلام^(١)
فلما بلغ الى قوله

ولقد أراد الله إذ ولأ كها من أمة إصلاحها ورشادها

قال الأصمى قال لي الرشيد ما تراء قال حين أنشد الشاعر هذا البيت فقلت قال كذلك
أراد الله فقال الرشيد ما كان في جلالة يقول هذا أحسبه قال ما شاء الله قال وكذا
جاءت الرواية فلما أثبت على آخرها قال لي أنروي لذي الرمة شيئاً قلت الأكثر قال
فإذا أراد بقوله

ممرٌ أمرت قتله أسديّة ذراعية حلالة بالمصانع

قلت وصف حار وحش أسمنه بقل روضة تواشجت أصوله وتشابكت فروعه عن
مطر سحابة كانت بنوء الأسد في الذراع فقال الرشيد أرخ فقد وجدناك متمماً
وعرفناك محسناً ثم قال إني لأجد ملالة ونهض فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في
رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتني يا غلام فقال الفضل قاتل الله الأتاجم أما أنها
لو كانت سدرية لما احتججت الى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعلي ونعل أبيكم تعارض
فلا تنرك من جواب ممض ثم قال يا غلام تأمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم

(١) وقال أبو العباس بروي أن جريراً دخل الى الوليد وابن الرقاع العاملي عنده
ينشده القصيدة التي يقول فيها

غلب المساييح الوليد مساحة وكفى قريش المعضلات وسادها

قال جرير فشدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية تزجي أغن كأن إبرة روقه
الح قال فقلت في نفسي وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به قال فقال قلم أصاب من
الدواة مدادها قال فما قدرت حسداً له أن أقم حتى انصرفت

على هذا الرجل في ليلته هذه ولا يحجب في المستأنف فقال الفضل لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمنزل ما أمر لك به وقد أمرت لك به إلا ألف درهم فلتلق الخادم صباحاً .. قال الأصمعي فاصليت من عند إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم

مجلس آخر ٥٠

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (أفقولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) .. فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضي أنه هو الفاعل للإيمان فيهم لأن النور هنا كناية عن الإيمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا معنى لذلك غير ما ذكرناه وإذا كان مضيف الإخراج إليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين وهذا خلاف مذهبكم .. الجواب قلنا إن النور والظلمة المذكوران في الآية جائز أن يكون المراد بهما الإيمان والكفر وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب فقد تصح الكناية عن الثواب والنعم في الجنة بأنه نور وعن العقاب في النار بأنه ظلمة فإذا كان المراد بهما الجنة والنار سأغت إضافة إخراجهم من الظلمات الى النور اليه تعالى لانه لا شبهة في أنه جل وعز هو المدخل للدؤمن الجنة والعاقل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه أشبه لانه يقتضي ان المؤمن الذي ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة الى النور ولو حمل على الإيمان والكفر لشاقض المعنى ولصار تقدير الكلام أنه يخرج المؤمن الذي قد تقدم كونه مؤمناً من الكفر الى الإيمان وذلك لا يصح وإذا كان الكلام يقتضي الاستقبال في إخراج من ثبت كونه مؤمناً كان حمله على دخول الجنة والعدول به عن طريق النار أشبه بالظاهر على أننا لو حملنا الكلام على الإيمان والكفر لصح ولم يكن مقتضياً لما توهموه ويكون وجه إضافة الإخراج اليه تعالى وإن لم يكن الإيمان من فعله من حيث بين ودل وأرشد ولطف وسهل وقد علمنا أنه لولا هذه الأور لم يخرج المكلف من الكفر الى الإيمان فيصح إضافة الإخراج اليه تعالى ليكون ما عدناه من

جهته وعلى هذا يصح من أحدنا إذا أشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح والنفع أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول أنا أدخلت فلاناً البلد الفلاني وأنا أخرجته من كذا وأنتهنته منه ويكون وجه الإضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعي ألا ترى أنه تعالى قد أضاف إخراجهم من الدور إلى الظلمات ومن الإيمان إلى الطاغوت وإن لم يدل ذلك على أن الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الإضافة ما تقدم لأن الشياطين يفترون ويدعون إلى الكفر ويزينون فعله فتصح إضافته إليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو لله تعالى صد عن طاعته وأغرى بمعصيته يصح إجراء هذه التسمية عليه فكيف اقتضت الإضافة الأولى أن الإيمان من فعل الله تعالى في المؤمن ولم تقتض الإضافة الثانية أن الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلهم . . وبعد فلو كان الأمر على ما ظنوه لما صار الله تعالى ولياً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والإيمان من فعله تعالى لا من فعلهم ولما كان خادلاً للكافرين مضافاً لولايتهم إلى الطاغوت والكفر من فعله تعالى فيهم ولما فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولى لفعل الأمرين فهما ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلا معاند مغالط لنفسه . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري حدثنا أحمد بن حنبل قال حدثنا أبو عبد الله بن البطاح قال أخبرنا أبو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج أنه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا إلا مناقاة الإخوان الأحاديث وقبلك عامر الشعبي فابست به إلى يحدني فدعا الحجاج بالشعبي وجوز به إليه وأطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لي قال ومن أنت قال عامر الشعبي قال حيّاك الله ثم نهض وأجلسه على كرسيه فلم يلبث أن خرج الحاجب إليه فقال ادخل قال فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل أبيض الرأس والوجه على كرسي فسلمت فرد السلام ثم أوماً إلى بقضيبه فقعدت عن يساره ثم أقبل على الذي بين يديه فقال ويحك من أشعر الناس قال أنا يا أمير المؤمنين

فأظلم على ما بين وبين عبد الملك ولم أصبر ان قلت ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم
انه أشعر الناس فصعب عبد الملك من عجاقي قبل ان يسألني عن حالي ثم قال هذا الاخطل
فقلت يا اخطل أشعر منك الذي يقول

هَذَا غَلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُقْتَبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ التَّعَامِ
لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ الْأَصْفَرِ خَيْرِ الْأَنَامِ
خَمْسَةُ آبَائِهِمْ مَا هُمْ هُمْ خَيْرٌ مِنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الْقَامِ^(١)

فقال عبد الملك رددها على فرددتها حتى حفظها فقال الاخطل من هذا يا أمير المؤمنين
فقال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة أشعر مني . . قال الشعبي ثم أقبل على عبد
الملك فقال كيف أنت يا شعبي قات بخير لا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان
من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن عبد الأشعث فقال له فانا لا نحتاج الى هذا
المنطق ولا نراه مما في قول ولا فعل حتى تغارقنا ثم أقبل على فقال ما تقول في النابغة
قلت يا أمير المؤمنين قد فتنه عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذلك
انه خرج يوماً وبنيابه وفد غطفان فقال يا معاشر غطفان أي شعرائكم الذي يقول

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلدَّرَةِ مَذْهَبٌ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
لَأَنَّكَ شَتَّى وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْذُ مِنْهُمْ كَوْكَبُ
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بَلَغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمْ يَلْعُوكَ الْوَاثِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ
وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمَةَ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمُهْدَبُ

(١) وروى ان الشعبي لما أنشد هذه الأبيات قال الاخطل ان أمير المؤمنين انما
سألني عن أشعر أهل زمانه ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول
كما قلت

قالوا النابغة قال فأبكم الذي يقول

فإنك كالليل الذي هو مذكر
خطا طيف جفن في جبال متينة
وإن خلت أن المتناهي عنك واسع
تمد بها أيد اليك توازع

قالوا النابغة قال أبكم الذي يقول

إلى ابن عزيق أعلمت رجلي
أتيتك عاريا خلق ثيابي
وراحلتي وقد هدت العيون
على خوف تظن بي الظنون
فألفيت الأمانة لم تغنها
كذلك كان نوح لا يخون

قالوا النابغة قال هذا شعر شعرائكم . . ثم أقبل عبد الملك على الأخطاه فقال أحب
أن لك قياساً بشعرك شعراً أحد من العرب أو تحب إنك قلته فقال لا والله إلا أني
وددت أني كنت قلت أياتاً قالها رجل منا كان والله مقعد الفناع قليل السماع قصير
الذراع قال وما قال فأنشده

إننا نحويك فاسلم أيها الطلل
ليس الجديد به تبقى بشاشته
وإن بايت وإن طالت بك الطيل
والعيش لا عيش إلا ماتقر به
إلا قليلاً ولا ذو خلة يصل
إن ترجمي عن أبي عثمان منجحة
عين ولا حال إلا سوف ينتقل
فقد يهون على المستنجح العمل^(١)

(١) أبو عثمان هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصي بن عبد
شمس بن عبد مناف . . وقال مصعب الزبيري هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك
وكان عبد الواحد والياً في المدينة لمروان بن محمد هكذا في خزنة الأدب وهذا الأخير
لا يخفى أنه غلط لأن القصة وقعت مع عبد الملك بن مروان بنفسه فكيف يكون عبد
الواحد والياً لابن ابنه ومروان بن محمد أيضاً هو آخر ملوك بني أمية ومن القصيدة
أهل المدينة لا يحزنك شأنهم إذا تخطأ عبد الواحد الأجل

وَالنَّاسُ مِنْ يَلْقَ خَيْرًا قَالُوا لَهُ
قَدْ يَذْرُكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ

قال الشعبي فقالت قد قال القحطاني أفضل من هذا قال وما قال قلت قال

طَارَقَتْ جَنُوبُ رِحَالِنَا مِنْ مَطَرٍ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَرِيبَ الْمَعْنَى^(١)

أما قريش لما تلقاهم أبداً
ألا وهم جيل الله الذي قصرت
قومهم ثبوتوا الاسلام وامتنعوا
من صالحوه رأى في عيشه سعة
كم نال من غنمهم فضلاً على عدم
وكم من الدهر ما قد ثبوتوا قديمي
فما هم صالحوا من ينق عني
هم الملوك وأبناء الملوك لهم
(١) وبعده

حزن معلق نومه مطوق
سمر والغبوق من الرقيق المغبق
ومفرج عرق المقد منوق
وعلى كلال كل كالنقيل المطرق
ومن النجوم غوائر لم تلحق
طرباً بهم الى حذاء السوق
من رائحة اقلوبهم مشوق
كفأ كشاة الحصان الأبق
حار يشمع نعله لم ياهق
حدث حداك الى أخيك الأوثق
وخلى التكلم لسان المطاق

قطعت اليك بمنزل جيد جدية
ومصرعين من الكلال كأنما
متوسدين ذراع كل نجية
وجئت على ركب تهديها الصفا
واذا سمعن الى همام رفقة
جعلت تميل خدودها آذانها
كالنصتات الى الغناء سمعته
واذا نظرن الى الطريق رأته
واذا تخلف بدهن الحاجة
واذا يصيبك والحوادث جمة
لست المهوم عن النواد تفرقت

حتى أتيت الى آخرها فقال عبد الملك بن مروان ثكلت القطامي أمه هذا والله الشعر
قال قالت التي الاخطل فقال يا شعبي ان لك فتوناً في الأحاديث وان لنا فتناً واحداً
فان رأيت أن لا تحملي على اكتاف قومك فادعهم حرصاً قلت لا أعرض لك في شيء
من الشعر أبداً فأقنني هذه المرة فقال من يكلم بك قلت أمير المؤمنين فقال عبد الملك
هو على أن لا يمرض لك أبداً • ثم قال يا شعبي أي شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء
قلت خلساء قال ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها

وَقَالَتْ لِوَالِدِهَا وَالنَّعْشُ قَدْ فَاتَ خَطْوَهَا لِتَذَرِكُهُ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ
لَا تَسْكُنُ أُمُّ الَّذِينَ غَدَوَا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ مَاذَا يَجْعَلُونَ إِلَى الْقَبْرِ

فقال عبد الملك أشعر منها والله ليلي الأخيلية حيث تقول

مُهَيِّفُ الْكَشْحِ وَالسَّرِبَالِ مُنْخَرِقٌ عَنْهُ الْقَيْصُ لَسِيرِ اللَّيْلِ مُعْتَقِرٌ
لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبَحُهُ فِي كُلِّ حَيٍّ وَإِنْ لَمْ يَنْزُ يُنْتَظَرُ
ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته فقلت أي والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة إنني
لحدثك منذ شهرين لم أفدك إلا أبيات النابغة في الغلام ثم قال يا شعبي انما أعلنك هذا
لانه بلغني ان أهل العراق يتناولون على أهل الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة
فلن يغلبونا على العلم والرواية وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق ثم ردد على أبيات
ليلى حتى حفظها وأذن لي فانصرفت فكنت أول داخل وآخر خارج • [قال الشريف
المرتضى] رضى الله عنه والصحيح في الرواية ان البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما
الى ليلى الأخيلية لأعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة من المراثي
المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة وهي

إِنِّي أَتَنِّي لِسَانٌ لَا أَسْرُ بِهَا مِنْ عَلَوٍ لَا عَجَبَ مِنْهَا وَلَا سَخَرَ^(١)

(١) رواية نعلب

إني أتيت بشيء لا أسره من عل لا عجب فيه ولا سخر

(١٤ - أمالي نالك)

فَقَلَّتْ مُكْتَبَتَا حَرَّانَ أَنْذَبُهُ وَكُنْتُ أَحَدَرُهُ لَوْ يَنْفَعُ الْحَدَرُ
فَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ وَرَأَيْتُ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثٍ مُعْتَمِرٍ^(١)
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى التَّقِينَا وَكَانَتْ بَيْنَنَا مُضَرٌ^(٢)
إِنَّ الَّذِي جِثَّتْ مِنْ تَثْلِيثٍ تَنْدُبُهُ مِنْهُ السَّاحُ وَمِنْهُ النَّهْيُ وَالْغَيْرُ^(٣)

وروى أبو زيد في نوادره

إني أناني شيء لا أسره به من عل لا محجب فيه ولا سخر

وروى المبرد في الكامل

إني أناني لسان لا أسره بها من عل لا محجب منها ولا سخر

—الان— هنا بمعنى الرسالة وأراد بها أي المنشور ولهذا أنت الفعل فانه إذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على السن وإذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على السنة أي أناني خبر من أهل نجد وقبله أراد العالية وقبل من أعالي البلاد ويقال من علو بتثليث الواو ومن عل بكسر اللام وضمتها ومن علا ومن أعلى ومن معال .. وقوله —لا محجب— الخ أي لا عجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة ولا سخر بالموت وقيل معناه لا أقول ذلك سخريه وهو بفتحين وبضمتين مصدر سخر منه (١) قوله —جاشت النفس— الخ أي غشت ويقال دارت للغشيان فان أردت انها ارتفعت من جزن أو فزع قلت جشأت بالهمز وروى بدل جمعهم فلم أي اللذين شهدوا مقتله فلم يفتح الفاء وتشديد اللام يقال جاء فلان القوم أي منهزموهم يستوى فيه الواحد والجمع وربما قالوا فلول وفلال —وتثليث— بكسر اللام وياء ساكنة وناء أخرى مثلثة موضع بالحجاز قرب مكة —ومعتمر— صفة راكب بمعنى زائر ويقال من عمرة الحج

(٢) قوله —يأتي على الناس— الخ فاعله يأتي ضمير الراكب —ويلوي— مضارع لوى بمعنى توقف وهوج أي يمر هذا الراكب على الناس ولم يعرج على أحد حتى أتاني لإني كنت صديقه .. وروى دوننا بمعنى قدام بدل بيننا

(٣) قوله —ان الذي جثت— الخ أي فقلت لهذا الراكب ان الذي جثت الخ

تَنْمِيْ امْرَأً لَا تَنْبُ الْحَيَّ جَفَنَتْهُ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَخْطَى نَوْءَ هَا الْمَطَرِ^(١)
وَرَأَتْ الشُّوْلُ مَغْبَرًا مِّنَّا كِبَهَا شُعْثًا تَمَيَّرَ مِنْهَا اللَّيْثُ وَالْوَبَرُ^(٢)
وَالنَّجَا الْكَلْبَ مَرْفُوعُ الصَّفِيعِ بِهِ وَالنَّجَا الْحَيَّ مِنْ تَنْفَاحِ الْحُجْرِ^(٣)

— والتدب — مصدر تدب الميت من باب نصر بكي عليه وعدد محاسنه ٠٠ وجلة منه السراج
خبر — والنهي — خلاف الأمر — والقبر — بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية اسم من
غير الشيء فتغير أقاله مقام الغير

(١) قوله — تنمي امرأة — الخ رواية أبي العباس ينمي بالياء المثناة والتي خبر المات يقال
نعاه ينعا ٠٠ قال الأصمعي كانت العرب إذا مات ميت له قدر ركب وأكب فرساً
وجعل يسير في الناس ويقول نعاء فلاناً أي أنه وأظهر خبر وفاته وهي مبيية على
الكسر — ولا تنب — هو من قولهم فلان لا يفينا عطاؤه أي لا يأتينا يوم دون يوم بل يأتينا
كل يوم — والجفنة — القصعة — وأخطاه — كخطاه تجاوزه — واننوء — سقوط نجم من
المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقبه من المشرق بمقابلته من ساعته في كل يوم إلى ثلاثة
عشر يوماً وهكذا كل نجم إلى انقضاء السنة وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح
والحر والبرد إلى الساقط منها ٠٠ يريد أن جفاته لا تنقطع في التقطع والشدة

(٢) قوله — وراحت — هو معطوف على مدخول إذا — والشول — كما في القاموس
الشائلة من الابل وهي ما تأتي عليها من حلقها أو وضعها سبعة أشهر نجف لبنيها والجمع شول على
غير قياس ٠٠ وفي النهاية الشول مصدر شال ابن الناقة أي ارتفع وتسمى الناقة الشول أي
ذات شول لأنه لم يبق في ضرعها إلا شول من لبن أي بقية ويكون ذلك بعد سبعة
أشهر من حلقها ٠٠ وروي — مباءتها — أي مرايحها بدل مناكبها — ومغبر — بمعنى من
الرياح والعجاج — والتي — بفتح النون الشعم ومصدر نوت الناقة تنوي نوايه ونيا
إذا سمعت يريد أن الجذب وقلة المرعى خشن لحما وغيره

(٣) قوله — وألجا — معطوف أيضاً على مدخول إذا وألجا اضطر ويروي أحجر
يقال أحجرت أي ألجأت إلى أن دخل حجره — والصقيع — الجليد — وتنفاحه — ضربه

عَلَيْهِ أَوَّلُ زَادِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا ثُمَّ الْمَطْيُ إِذَا مَا أَرْمَلُوا جُرُورًا^(١)
 قَدْ تَكْظُمُ الْبَزْلُ مِنْهُ حِينَ تُبْصِرُهُ حَتَّى تَقْطَعَ فِي أَعْنَاقِهَا الْجُرُورَ^(٢)
 أَخُورَ غَائِبٍ يُعْطِيهَا وَيَسْأَلُهَا يَا بَنِي الظَّلَامَةِ مِنْهُ التَّوْفَلُ الزَّفَرُ^(٣)
 لَمْ تَرَهُ أَرْضًا وَلَمْ تَسْمَعْ بِسَاكِنِهَا إِلَّا بِهَا مِنْ نَوَادِي وَقَعِ أَثَرُ^(٤)

وهو مصدر فطحت الريح اذا هبت باردة والضمير للضمير والباء في به بمعنى على والضمير للكتاب - والحجر - بضم الحاء - وفتح الجيم جمع حجرة بالضم الفرفة وحظيرة الابل من شجر ٠٠ يقول هو في مثل هذه الأيام الشديدة يطم للناس الطعام

(١) قوله - عليه أول - الخ يعني انه يرتب على نفسه زاد أصعابه أولا واذا قد ازداد نحر لهم وأرمل - الرجل قد زاده - والمطي - جمع مطية وهي الناقة - والجزر - بضمين جمع جزور وهي الناقة التي نحر وروى بفتحين جمع جزيرة وهي الناقة والشاة تذبح
 (٢) يروي * وقزع الشول منه حين ينجأها * - والكظم - من كظم البعير بالفتح يكظم بالكسر كظوما اذا أمسك عن الجرة وقيل الكظم أن لا تغير لشدة القزع اذا رأت السيف - والبزل - جمع بزل وهو الداخل في السنة التاسعة - والجزر - جمع جرة بكسر الجيم فهما وهي ما يخرج به البعير للاجترار ٠٠ يقول تعودت الابل انه يعقر منها فاذا رآته كظمت على جرئها - وقطع - فعل مضارع منصوب بان

(٣) - الرغائب - الأشياء التي يرغب فيها يريد يعطي ما يرغب الرجال في ادخاره ومحرصون على التمسك به لنفسه - وأخو - خبر مبتدأ محذوف أي هو أخو رغائب وجملة يعطيها ويسألها مفسرة لوجه الملاية في قوله أخو رغائب - ويسألها - بالياء للمجهول من السؤال ويروى موضعه ويسألها بالياء للمعلوم من السلب - والظلامه - بالضم ومثله الظليمة والمظلمة بكسر اللام وضما وهو ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أخذ منك - والتوغل - البحر والكثير العطاء ٠٠ وقال ثعلب التوغل العزيز الذي ينقل عنه الضمير أي يدفعه - والزفر - الكثير الناصر والأهل والعدة

(٤) - نوادي - كل شيء بالنون أوائله وما ندر منه واحده نادية ومنه قولهم لا يندرك

وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَأْسَرْتَهُ عُسْرٌ
فَإِنْ يُصَبِّكَ حَدُّوْهُ فِي مُنَاوَةِ يَوْمًا فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلِي وَتَنْتَصِرُ^(١)
مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مِنْ يُكْدِرُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدْرُ^(٢)
أَخُو شُرُوبٍ وَمِكْسَابٍ إِذَا هَدِمُوا وَفِي الْمَخَافَةِ مِنْهُ الْجَدُّ وَالْحَذَرُ^(٣)
مِرْدِي حُرُوبٍ وَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ كَمَا أَضَاءَ سَوَادُ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ^(٤)
مُهْفَافٌ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ لَيْلِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ^(٥)

من سوء أبدأ أى لا يندرك اليك - والوقع - النزول

(١) ويروى - لقد كان يستعلي وينتصر - والمناوأة - المعاداة يقال ناوأته الرجل مناوأة وقيل هي المحاربة ناوأته أى حاربته .. قال الشاعر

إذا أنت ناوأته القرون فلم تنو بقرنين عزتك القرون الكوامل

(٢) قوله - من ليس في خيره من - الخ رواية المبرد من ليس في خيره شر يكدره - كدّره - جعله كدراً يقال تكدر الماء تقيض سفا وكدره غيره جعله كدراً

(٣) - الشروب - جمع شرب وهو جمع شارب كصحب جمع صاحب .. ويروى أخو حروب - والمكسب - مبالغة كاسب - والعدم - الفقر وفعله من باب فرح

(٤) - المردى - بكسر الهمزة يرمى به ومنه قيل للشجاع أنه لمردى حروب ومعناه أنه يقدف في الحروب ويرجم فيها ويرى * كما أضاء سواد الطخية القمر * الطخية بضم الطاء يضم المهلة وسكون المعجمة الطلمة والطحياء بالمد اللينة المظلمة يريد أنه كامل شجاعة وعقلاً فشجاعته كونه يرمى في الحروب وعقله كونه رأياً نوراً يستضاء به وهما وصفان متضادان غالباً

(٥) - المهفف - الخفيف البطان الدقيق الخصر - والأهضم - النضم الجنبين - والكشع - ما بين الخناصر إلى الضلع الخلف وهذا مدح عند العرب فاتها تمدح الحزال والضمر وتذم السمن .. وفي العباب ورجله منخرق السربال إذا طاله سفره

طَاوَى الْمَصِيرَ عَلَى الْمَرْءِ مُتَجَرِّدٌ بِالْقَوْمِ لَيْلَةً لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ^(١)
لَا يُصِيبُ الْأَمْرَ إِلَّا رَيْثَ رَكْبَةٍ وَكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الْقَحْشَاءِ بِأَتَرٍ

معنى - لا يصعب الأمر - أى لا يجده صعباً

لَا يَتَأَرَى لِمَا فِي الْقَدَرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّفَرُ^(٢)

فشققت ثيابه - وليسير الليل - متعلق بما بعده وهذا يدل على الجلالة وتحمل الشدائد
(١) - الطوى - الجوع وفعله من باب فرح وطوى بالفتح يطوى بالكسر طياً إذا
تعمد الجوع - والمصير - الما الرقيق وجمعه مصران كزغيف ورغفان وجمع هذا مصارين
أراد طأوى البطن - والعزاء - بفتح العين المهملة وتشديد الزاى المعجمة الشدة والجهد
وقال فى الصحاح هي السنة الشديدة - والمتجرد - المنتشر - وقوله - ليلة لا ماء ولا
شجر - أى يرى وزاد عبد القادر البغدادي هنا بيتاً وهو

لا يبتك السر عن أتى يطالها ولا يشد إلى جاراته النظر

ومعناه أنه لا ينظر إلى جاراته ولا يشد البهن النظر من غيره احتراماً له والله أعلم
(٢) - لا يتأرى - لا يتعجب ويتلبث يقال تأرى بالمكان إذا أقام فيه أى لا يتلبث
لادراك طعام القدر وجملة - يرقب - حال من المستتر فى يتأرى - - يعده بأن همته ليست فى
المطعم والمشراب وإنما همته فى طلب المعالى فليس يرقب نضج ما فى القدر إذا هم بأمر له
شرف بل يتركها ويمضى - والشرسوف - طرف الضلع - والعفر - دوبة مثل الحية
تكون فى البطن تعترى من به شدة الجوع - - قال فى النهاية فى حديث لاعدوى ولا هامة
ولا سفر لان العرب كانت تزعم ان فى البطن حية يقال لها الصفر تصيب الانسان اذا جاع
وتؤذيه فابطل الاسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم الذى كانوا
يفعلونه فى الجاهلية وهو تأخير المحرم الى سفر ويجعلون سفرأ هو الشهر الحرام اشهى
ولم يرد الشاعر ان فى جوفه سفرأ لا يعص على شراسيفه وإنما أراد أنه لا سفر فى جوفه
فيمضه يصنه بشدة الخلق وصحة البلية

لَا يَغْنِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَزَالُ أُمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ^(١)
لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُنْسَاهُ وَمُصْبَحَهُ فِي كُلِّ فَجٍّ وَأَنْ لَمْ يَنْزُرْ يَنْتَظِرُ^(٢)
تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فَلَذَانِ أَلَمَ بِهَا مِنَ الشَّوَاهِدِ وَيُزَوِّي شَرِبَهُ الْغَمَرُ^(٣)
لَا نَأْمَنُ الْبَازِلَ الْكُومَاءَ عَذْوَتَهُ وَلَا الْأَمُونَ إِذَا مَا اخْرُوطَ السَّفَرُ^(٤)
كَأَنَّهُ بِمَدِّ صِدْقِ الْقَوْمِ أَنْفُسَهُمْ بِالْيَأْسِ تَلَمَعُ مِنْ قُدَامِهِ الْبُشْرُ^(٥)

(١) - لا يغنز الساق - لا يجيئها يصف جلده وتحمله للمشاق - والأين - الإعياء - والوصب - الوجع - والافتقار - بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثاء - في الصحاح وقفرت أثره أقره بالضم أي قفوتها واقفرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقتصر بالبناء للمجهول ومعناه أنه يفوت الناس فينبع ولا يالحق قوله (٢) - لا يأمن الناس - أي لا يأمنه الناس على كل حال سواء كان غازياً أم لا فان كان غازياً يخافون أن يغير عليهم وان لم يكن غازياً فاتهم في قلق أيضاً لانهم يترقبون غزوه وينتظرونه

(٣) - العزّة - بضم الحاء المهملة وتشديد الزاي المعجمة قطعة من اللحم قطعت طولاً - والفندان - جمع فندة بكسر الفاء فيهما - وألم بها - أصابها بمعنى أكلها - والغمر - بضم الغين المعجمة وفتح الميم قدح صغير لا يروى

(٤) - البازل - البعير الذي لطارنا به بدخوله في السنة التاسعة وقال للناقة بازل أيضاً يستوي فيه الذكر والأنثى - والكوماء - بالفتح الناقة العظيمة السنم - والعدوة - التعدي فانه يخرجها لمن معه سواء كانت المظية مسنة كالبازل أو شابة كالأمون وهي الناقة الموثقة الخلق يومئ من عنارها وضعفها - واخروط - امتد وطال ورواية للمبرد

لا تشكر البازل الكوماء ضربته بالشر في اذا ما اجلود السفر
ومعنى اجلود امتد

(٥) - لمع - أضاء - والبشر - بضمين جمع بشير يقول اذا فزع القوم وأبتوا بالهلاك

قال المبرد لا نعلم بيتاً في يمن النخبة وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت

لَا يَمُجِّلُ الْقَوْمَ أَنْ تَنْلِي مَرَا جِلُهُمْ وَيَنْدِلُ اللَّيْلَ حَتَّى يُفْسِحَ الْبَصَرُ^(١)
عَشْنَا بِهِ حِقْبَةً حَبًّا فَفَارَقْنَا كَذَلِكَ الرَّيْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ^(٢)
أَصَبْتَ فِي حَرَمٍ مِنَّا أَخَا ثِقَةٍ هَذَا بِنِ اسْمَاءَ لَا يَهْنِي لَكَ الظَّفَرُ^(٣)

عند الحروب أو الشدائد فكأنه من نقته بنفسه قدماه بشير يبشره بالظفر والنجاح فهو منطلق الوجه نشيط غير كلان

(١) يريد أنه رابط الجاش عند الفزع لا يستغفنه الفزع فيجعل أسعابه عن الاطباخ ٥٥ وقوله - حتى يفسح البصر - أي يجد متعاً من الصبح وقبل معناه لبس هو شرها يتجمل بما هو كل - والمراجله - القدور جمع مرجل

(٢) وروى عشنا بذلك دهرأ ثم ودعنا والنسلان - هما السنان وهي الحديدية العليا من الرمح والزج وهي الحديدية النفل وقال لهما الزجان أيضاً وهذا مثل أي كل شيء يهلك ويذهب

(٣) خاطب المنتشر هند بن أسماء وأراد بالحرم ذا الخلصة ثم دعا عليه والتمنئة خلاف التنزية وكانت قصة هند بن أسماء ان المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج ذي الخلصة ومعه غلقة من قومه والأقصر بن جابر أخو بني فراعص وكان بنو فصيل ابن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجهم وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذا الخلصة أهدى له هدياً نجرح به من لقيه فلم يكن مع المنتشر هدي فصار حتى إذا كان بهضب النباع انكسر له بعض غلته الذين كانوا معه فصعدوا في شعب من النباع فقالوا في غار فيه وكان الأقصر يتكهن وأنذر بنو فصيل بالمنتشر بن الحارث بن كعب فقال الأقصر النجاء يا منتشر فقد أتيت فقال لا أبرح حتى أبرد قضى الأقصر فأقام المنتشر وأناه غلته بسلاحه وأراد قتالهم فأنووه وكان قد أسر هند بن أسماء المتقدم فقال له أن يقدي نفسه فأبطأ عليه ففقطع أئمة ثم أبطأ ففقطع منه أخرى وقد آمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعاً وإلهي لا آمنه ثم قتله

لَوْلَمْ تَحْنُهُ نُقِيلُ وَهِيَ خَائِتَةٌ لَصَبَّحَ الْقَوْمَ وَرِزْدُ مَالِهِ صَدْرٌ^(١)
وَأَقْبَلَ الْخَيْلَ مِنْ ثَلَاثِ مُصْنِفَةٍ وَصَمَّ أَعْيُنَهَا رَغْوَانٌ أَوْ حَضَرُ^(٢)
إِمَّا سَلَكْتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكَهَا فَاذْهَبْ فَلَا يُعِدُّكَ اللَّهُ مُنْتَصِرٌ

[قال الشريف] رضى الله عنه . . . وقد رويت هذه القصيدة للدعجاء أخت المنتشر وقيل
لابن أخته ولعل الشبهة الواقعة في نسبها الى ليل الأخيلىة من هنا والمصحيح ما ذكرناه
. . . أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن
أبي عبيدة قال وفد الأخطل على معاوية فقال إني قد امتدحتك بأبيات فاسمها فقال
ان كنت شبيهتي بالحية أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لى فيها وان كنت قلت في كما
قال الخلداء

وَمَا بَلَغْتَ كَفْأَ امْرِئٍ مُتَطَاوِلٍ بِهِ الْمَجْدُ إِلَّا حَيْثُمَا نَلْتَ أَطْوَلَ
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مَدْحَةً وَإِنْ صَدَقُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

فهاهنا فقال الأخطل والله لقد أحسنت وقد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته
فأنشد

إِذَا مِتُّ مَاتَ الْعُرْفُ وَأَنْتَ طَعَّ الْغَنَى فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُصَرَّدٌ

وقتل غلته أنسي وزاد عبد القادر البغدادي بين البيتين بيتاً وهو

فإن جزعنا فقد هلك مصابتنا وإن صبرنا فإننا معشر صبر

— المصابة — يضم الميم بمعنى المصيبة يقال جبر الله مصابه وهو فاعله والمفعول عذوف أي قوائنا
والصبر بضم السين جمع صبور صالفة صابر وروي مصيبتنا

(١) — صبحه — سقاء الصبوح وهو الشرب بالغداة أراد أنه كان يقتلهم

(٢) — أقبل الخيل — جعلها مقبلة ومقبلة مائلة نحوكم — ورغوان وحضر — موضعان

أي كانت تأتي خيله عليكم في هذين الموضعين وما كانت تنام في منزل إلا فيهما

(١٥) — أمالي ثالث

وَرَدَّتْ أَكْفُ الرَّاعِيْنَ وَأَمْسَكُوا

عَنِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِخِلَافِ مُجَدِّدِ

فأحسن صلته .. وأخبرنا المزياني قال حدثنا إبراهيم بن محمد النعوي قال أخبرنا أحمد بن يحيى النعوي أن ابن الأصبغ أنشدهم

مَرَرْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْتُمُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَغِ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَاجِجٌ

قال قوله - يكتم كلبه - أي يشد فاه خوفاً أن ينبغ فيدل عليه .. وقال آخر

وَتَكْتُمُ كَلْبُ الْحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ الْفَرِيِّ وَتَارُكُ كَالْمَذْرَاءِ مِنْ دُونِهَا سَفَرٌ

وقد قال الأخطل

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمْ قَالُوا لِأُمَمِهِمْ بُولَى عَلَى النَّارِ

قال أبو عبد الله سمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول هذا من أممي ما عني به جرير لأنه جعل نارهم تطفيها البولة وجعلهم يأمررون أمهم بالبول استعفافاً بها

مجلس آخر ٥١

[تأويل آية] .. إن سألت سائل عن قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا)

الآية .. فقال أو ليس ظاهر الآية يقتضي أنه تعالى يجوز أن يزيع القلوب عن الإيمان

حتى تصح مسألة تعالى أن لا يزيعها ويكون هذا الدعاء مفيداً .. الجواب قلنا في هذه

الآية وجوه .. أو لها أن يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا الحنة في التكليف

ولا تشق علينا فيه فيغض بنا ذلك إلى زيع القلوب منا بعد الهداية وليس يمتنع أن

يضيفوا ما يقع من زيع قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم الحنة إليه كما قال عز وجل

في السورة (إنها زادهم رجساً إلى رجسهم) وكما قال مغبراً عن نوح عليه السلام

(فلم يزدكم دغياً إلا فراراً) .. فان قيل كيف يشدد الحنة عليهم .. قلنا بأن يقوى

شهواتهم لما قبضه في عقولهم وفغورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً والثواب المستحق عليه عظيماً متضاعفاً وإنما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة .. وثانيها أن يكون ذلك دعاء بالثبوت لهم على الهداية وامدادهم بالألطف التي معها يستمرون على الإيمان فإن قيل وكيف يكون مريضاً لقلوبهم بأن لا يفعل اللطف .. قلنا من حيث المعلوم أنه متى قطع امدادهم بألطفه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الإيمان ويجرى هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا . هناء لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا في تسلط علينا ومثله قول الفرزدق

أَتَانِي وَرَحَلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةٌ
لَأَلِّ تَمِيمٍ افْعَدَتْ كُلَّ قَائِمٍ

أراد قعد لها كل قائم فكأنهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا ونحمدنا الطائفك فترى غزل ولعل .. وثالثها ما أجاب به أبو علي الجبائي محمد بن علي لأنه قال المراد بالآية ربنا لا تزغ قلوبنا عن أولئك ورحمتك ومعنى هذا السؤال أنهم سألوا الله تعالى أن يطفى لهم في فعل الإيمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الإيمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب وإن جعل تعالى بهم بدلا منه العقاب .. قال فإن قال قائل فما هذا الثواب الذي هو في قلوب المؤمنين حتى زعمهم أنهم سألوا الله أن لا يزيغ قلوبهم عنه وأجاب بأن من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك) وذكر أن ضد هذا الشرح هو الضيق والحزن اللذان يغلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك أيضاً التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) قال ومن ذلك كتابته في قلوب المؤمنين كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب لي ضده من العقاب .. ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب

عن اليقين والایمان ولا يقتضي ذلك انه تعالى سئل ما كان لا يجب أن يفعله وما لولا المسألة لجاز فعله لانه غير محتج أن يدعو على سبيل الاقطاع اليه والافتقار الى ما عنده بان يفعله تعالى ما تعلم انه لا بد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما تعلم انه واجب أن لا يفعله تعالى اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (ولا تخزني يوم يبعثون) وكما قال في تعليلنا ما ندعوه به (قل رب احكم بالحق) وكقوله تعالى (ربنا ولا نعمنا ما لا طاقة لنا به) على أحد الأجوبة وكل ما ذكرناه واضح بحمد الله . [قال الشريف] رضى الله عنه وإني لأستحسن قول الراعى في وصف الثاني والرماد فاقد طبق وصفه المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده

وَأَوْزَقُ مِنْ عَمْدِ ابْنِ عَفَّانَ حَوْلَهُ حَوَاضِنُ الْأَفْ عَلَى غَيْرِ مَشْرَبٍ
وَرَادُّ الْأَعَالَى أَقْبَلَتْ بِنُحُورِهَا عَلَى رَاشِحٍ ذِي شَامَةِ مَتَّقَوْبٍ
كَأَنَّ بَقَايَا لَوْنِهِ فِي مَثُونِهَا بَقَايَا هِنَاءٍ فِي فَلَائِصِ مَجْرَبٍ

— الأوزق — الرماد جعله الثاني له كالحواضن لاحتضانها له واستدارتها حوله .
— وأراد — بوراد الأعلى — أن ألوانها تضرب الى الحمرة وخمس الأعلى لأنها مواضع القدر فلا تكاد تسود — والراشح — عو الراشح وانما شبه الرماد بينهما بفصيله بين أنظار والمتقوب — الذى قد انحصر أعلاه وشبهه ما سودت النار منه بآثر قطران على قلائص جرف — والمجرب — الذى قد جربت إبله . . ونظير هذا المعنى بعينه أهدى تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة

عَفَى الزُّرْقُ مِنْ أَطْلَالٍ مِثَّةٍ فَالْدَحْلُ فَأَجْمَادُ حَوْضِي حَيْثُ رَاحِمَهَا الْجَبَلُ^(١)

(١) — الزرق — رمال بالدهناء وقيل هي قرية بين النجاف وسمنة وهي صخرة المسالك والدحل — بالفتح ماء نجدى لسطفان — والأطلال — جمع طلل معركة وهو الشاخص من آثار الدار — والاجداد — جمع جد بالتحريك وعو ما ارتفع من الأرض — وحوضي —

سَوَى أَنْ يَرَى سَوْدَاءَ مِنْ غَيْرِ خَلْفَةٍ تَخَطَّأَهَا وَارَثَتْ جَارَاتِهَا التَّقْلُ
 مِنَ الرِّضْمَاتِ الْبَيْضِ غَيْرِ لَوْهَا نَبَاتُ فِرَاضِ الْمَرْخِ وَالْيَابِسِ الْجَزْلُ
 كَجَزْبَاءِ دُسَّتْ بِالْهِنَاءِ فَأَصْبَحَتْ بِأَرْضٍ خَلَاءٍ أَنَّ تُقَارِبَهَا الْإِبِلُ

قوله - سوداء من غير خلفه - بمعنى أخيه لان السوداء ليس بخلفة وإنما سودتها النار
 .. وقوله - تخطأها التقل - أى تجاوزها فلم تحمل من مكان الى مكان بل بقيت منفردة
 - وارثت جاراتها - بمعنى بجاراتها أى قلن عنها الاثافي اللواتي كنَّ معها - والمرث -
 هو المنقول من مكان الى مكان وأصله ذلك في الجريح والعايل يقال ارتث الرجل
 ارتثاً اذا حل من المعركة وبه رفق .. قال النضر بن شميل معنى ارتث صرع ..
 وقال أبو زيد مأخوذ من قولهم ارتثينا رثة القوم اذا جمعوا ردى متاعهم بعد أن يحملوا
 من موضعهم وكلا المعنيين يلقى بيت ذي الرمة لانه يجوز أن يريد صرعاً وبقيت
 ثانية قائمة - والرضمات - حجارة بيض بعضها على بعض - والفراض - جمع فرض
 وهو الحزب يكون في الزند .. وعنى نبات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك
 الفرض - والمرخ - شجر تختذ منه الزند .. ومن أمثالهم في كل شجر نار واستمجد
 المرخ والعفار وهذا النمل يضرب للرجل الكريم الذي يفضله على القوم وي زيد عليهم
 فكان المصطفى كل القوم كرام وأكرمهم للأن^(١) ومعنى - كجرباء دست بالهناء - انه

بالفتح ثم السكون مقصور بوزن سكرى اسم ماء لبق طهمان بن عمرو بن سلة الى جنب
 جبل في ناحية الرمل - وزاحها - ضايقها - والحبل - الرمل المستطيل

(١) وقال الميداني في تفسيره له يقال مجدت الابل تمجد مجوداً اذا نالت من الخلي
 قريباً من الشبع واستمجد المرخ والعفار أى استكثرأ وأخذاً من النار ما هو حسبها
 شها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد لانها يسرعان الورى يضرب في تفضيل بعض الشيء
 هل بعض .. قال أبو زياد ليس في الشجر كله أوري زناداً من المرخ قال وربما كان
 المرخ مجتمعاً ملتفاً وهبت الريح فلك بمضه بعضاً فأوري فاحترق الوادي كله ولم تر

شبه الانثى المفردة بناقة جرباه قد أفردت وأبعدت عن الابن حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دست بالهاء أي طليت به .. وفي معنى قول الراعي وراد الأظلي شبه من قول الشماخ بن ضرار

أَقَامَتْ عَلَى رُبْعَيْهَا جَارَتَا صَفَا كُمَيْتَا الْأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهَا^(١)

ذلك في سائر الشجر .. قال الأعشى

زنادك خير زناد الملوك خالط فبهن مرخ عفاروا
ولو بت قدح في ظلعة حصاة ينبع لا وريت ناروا
والزناد الأعلى يكون من العفار والأسفل من المرخ .. قال الككيت
إذا المرخ لم يور تحت العفار وشن بقدر فلم تعقب

(١) وقوله

أمن ومنتين صرح الركب فيهما بأمن ومنتين صرح الركب فيهما
أقامت على رُبْعَيْهَا جَارَتَا صَفَا كُمَيْتَا الْأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهَا
وإرث رماد كالحماسة مائل وتوحيان من مظلومتين كداهما
أقاما لليل والرباب وزالتا بذات السلام قد عفا طللها
ففاضت دموعي في الرداء كأنها عزالي كسبب مختلف وكلاهما
ليالي ليل لم يشب عنب مائها يملح وجبلانا متين قوامها
ولو دبن لليض الهجان وحالك من اللون غريب بهم علاها
إذا اجهدا الزوج مدعا عجاوجة أحاسير مما يستبر خطاهما
وسربين كدوين قدسعت خدوة على الماء معروف الي لثامها
إذا غادرا منه قطائين ظلتا أديم النهار تطلبان قطاهما
وإني عدائي أنكم غير ماقت نواران مكثوب على بغاهما
وعلى كألواح الإران لسانها إذا قيل للمثوبتين هما هما
تغالي برجلها إليك ابن مريع فبالهم لم المضي مفتلاهما

يعنى - بربعهما - منزلتى المرأتين اللتين ذكرهما ويعنى - بجارتا صفا - الانثيتين لانهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر .. ويمكن فى قوله جارتا وجه آخر هو احسن من هذا وهو ان الانثيتين توضعان قريباً من الجبل لتكون حجارة الجبل ناكه لهما وممكنة للقدم معهما ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الانثى أى بالصخرة أو الجبل وشبه أعلاهما بلون الكسيت وهو لون الحجر نفسه لأن النار لم تصل اليه فتسوده - ومصطلحهما جون - أى اسود لان النار قد سفعت وسودته .. وقال الراعى فى وصف الانثى أيضاً

أَذَاعَ بِأَعْلَاهُ وَأَبْقَى شَرِيدَهُ ذَرَى مَجْنَحَاتٍ يَنْتَهِنُ فُرُوجُ
كَأَنَّ مَجْزِعَ الدَّارِ لَمَّا تَحْمَلُوا سَلَّابٌ وَزُقَا يَنْتَهِنُ خَدِيجُ

- أذاع بأعلامه - يعنى الرماد لأن السافى طير ظاهره وما علامته - وأبقى شريده - يريد به الذى أبقى لما شرد على السافى فلم يطيره - وذرى مجنحات - يعنى الانثى وذرى كل شئ بجانبه وما استفرغت به منه - والمجنحات - المبيلات منه - والسلاب - جمع سلوب وهى الناقة التى سلبت ولدها يموت أو نحر وقد عطفت على حوار آخر - والخديج - الذى قد سقط لغير تمام - والورق - اللوانى ألوانهن كلون الرماد .. وفى معنى قول الراعى وأبقى شريده ذرى قول الجبل السدى

إذا ما حصيرا زورها لم يطلقا	لها الضفر إلا من امام رحاها
كست عضديها زورها وانحنت بها	ذراعا لجوج عوهج ملتقا هما
فباتت بأئلى ليسة ثم ليسة	بمحاذة واجنابت نوي عن نواها
وراحت على الأقواء أقواء غيقة	نجاه بفتلاوين ماضى سراها
أجدت هباباً عن هباب وساحت	قوى لسعتها بعد طول اذاها
ولولا لقي الأنصار ماسك سمها	ضمير ولا حورانها فقراها
وللى لأرجوم يزيد بن سبيع	حذيت من خبرتين اسطفاها
حذيت من نائله وكرامة	تمنى فى بقاء المجد حتى احتواها

وَأَرَى لَهَا دَارًا بِأَغْدِرَةِ السَّيِّدَانِ لَمْ يَذْرُؤَنَّ لَهَا رَسْمٌ ^(١)
إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ عَنْهُ الرِّيحَ خَوَالِدٌ سَحْمٌ ^(٢)

— لا — هنا بمعنى الواو فكأنه قال وأرى رماداً هامداً ولولان إلاهنا بمعنى الواو لفرد الكلام ونقض آخره أوله لأنه يقول في آخر البيت أن الخوالد السحيم دفعته عنه الرياح فكيف خبر بأنه قد درس وإنما أراد أنه باق ثابت لأن الأثافي دفعته عنه الرياح فلم تثنه إذ هو من جملة ما لم يدرس بل هو داخل في جملة وللراعي أيضاً في الأثافي

أُنْحَنُ وَهْنٌ أَغْفَالٌ عَلَيْهَا فَقَدْ تَرَكَ الصَّلَاةَ بَيْنَ نَارَا

شبه الأثافي بنوق أنحن أغفالا ليست عليهن سمة ثم أخبر أن الوقود قد أثر فبين أثرأ كالسمة فالتار السمة تقول العرب ما نار بعيرك أي ماسمته وفي أمثالهم نجارها نارها أي

(١) — الأغدره — جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها وهو فعيل في معنى مفعول على أطراح الزائد وقد قيل أنه من الغدر لأنه يحنون ورأده فيضرب عنهم ويغدر بأهله فينقطع عند شدة الحاجة إليه . . وقال اللحياني الغدير اسم ولا يقال هذا ماء غدير وقال الليث الغدير مستنقع الماء ماء المطر سفيراً كان أو كبيراً غير أنه لا يبقى إلى التقيظ إلا ما يتخذ الناس من عد ووجد ووقف أو صهرج أو حائر قال أبو منصور العد الماء الدائم الذي لا انقطاع له ولا يسمى الماء الذي يجمع في غدير أو صهرج أو صنع عدا لأن العد ما يدوم مثله العين والركبة

(٢) — الرماد — دقاق النعم من حراقة النار وما بها من الجمر فصار دقاقاً والطائفة منه رمادة . . وفي حديث أم زرع زوجي عظيم الرماد أي كثير الأضياف لأن الرماد بكثرة الطبخ — وهامداً — طافئاً . . قال الأصمعي طفت النار إذا سكن لها وهدت هوداً إذا طفت البتة فإذا سارت رماداً قيل بها يهب وهو هباب — والخوالد — الصغور . . قال الجوهري قيل لأثافي الصغور خوالد لطول بقائها بعد دروس الاطلال — وسحيم — جمع سحماء أي سوداء وهو صفة لخوالد

سبتها نذل على كرمها يضرب ذلك الرجل ترى له ظاهراً حسناً يدل على باطن خبره
 ٠٠ وقال عدي بن الرقاع العاملي

إِلَّا رَوَا كَدَ كُلُّهُمْ قَدْ اصْطَلَى حَمْرَاءَ أَشْمَلِ أَهْلِهَا إِيقَادَهَا
 كَانَتْ رَوَا حِلَ لِقَدْ دُورِ فَمَرِيتَ مِنْهُمْ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ رَمَادَهَا

وقال مالك الجعفي

إِلَّا رَوَا كَدَ يَنْهَنُ خِصَاصَةً سَعُ النِّمَارِ كِبِ كُلُّهُمْ قَدْ اصْطَلَى

وقال حميد بن ثور

فَتَغَيَّرَتْ إِلَّا مَلَا عِبَاهَا وَمُمَرَّسًا مِنْ جَوَانِهِ ظَهَرِ
 عَرِشَ الثَّقَابِ لَهَا بِدَارِ إِقَامَةٍ لِلْحَيِّ بَيْنَ نَظَائِرٍ وَثَرِ

— الجوانف — القدر ويقال قدر ظهر وقدر ظهور إذا كانت قديمة — ومرش — أى جعل
 مثل المريض يعنى الوقود — والثقاب — ما أنقبت به النار من الوقود — والنظائر — هي
 الاثافي — والوتر — الفرد وأراد أنها ثلاث ٠٠ وقال الكميث بن زيد

وَلَنْ تُحْيِيكَ أَظَارُ مُعْطَفَةٍ بِالقَاعِ لَا تَمُكُّ فِيهَا وَلَا مِيلُ
 لَيْسَتْ بِمَوْذُولٍ تُعْطَفُ عَلَي رُبْعٍ وَلَا يَهَيَّبُ بِهَا ذُو النِّبَةِ الْأَبْلُ

يعنى الاثافي فشب عطفها على الرماد بنوق أظار قد عطف على فصيل — والتمك — انتصاب
 السنام — والميل — من صفة السنام أيضاً — والعائد — من الذوق الذى يتبعها ولدها — والريح —
 الذى شج في الربيع — والاهابة — الداء أهاب بإبله إذا دحاها — وذو النبة — الذى قد نوى
 الر — حبل — الأبل — صاحب الأبل ٠٠ وقال ذو الرمة

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَرَى فِي عَائِهِ رَمَادًا نَحَتْ عَنْهُ الْخِيُولُ جَنَادِلَهُ
 كَأَنَّ الْحَمَامَ الْوُزُقَ فِي الدَّارِ وَكَلَّتْ عَلَى خَرَقٍ بَيْنَ الظُّوُورِ جَوَازِلَهُ

شبه الاثافي بالحمام الورق وجعلها ظووراً لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ خرق

قد سقط ريشه - والجوازل - الفراخ واحدها جوزل .. وقال البيت

أَلَا حَيًّا الرِّبْعَ القَوَاءَ وَسَلَامًا وَرَسْمًا كَجُثْمَانِ الحِمَامَةِ أَدَهَمَا

قيل ان الحمام هنا القطاة وانه شبه ألوان الرسوم من الرماد وموقد نار ودمنة ومجر طنب وما أشبه هذه الاشياء بألوان ريش القطاة .. ومثله لجربر

كَأَنَّ رُسُومَ الدَّارِ رِيشُ حِمَامَةٍ نَعَاهَا الْبَلْبَى وَاسْتَمْعَجَتْ أَنْ تَكَلِّمَهَا

ولقد أحسن كل الاحسان كثير في قوله

أَمِنْ آلٍ قِيلَةٍ بِالذُّخُولِ رُسُومُ وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدُومُ

لَعِبَ الرِّيحُ بِرَسْمِهِ فَأَجَدَهُ جُونٌ عَوَا كَفُفٍ فِي الرَّمَادِ جُثُومُ

سَمِعُ الخُدُودِ كَأَنَّهُنَّ وَقَدْ مَضَتْ حَبِيجٌ عَوَائِدُهُ يَنْتَهِنُ سَقِيمُ

وقيل في قوله - فأجده جون عوا كف - يعنى الاتافى لأن الريح لما اكتشف عنها وظهرت

سارت كأنها هي أجبت الرسم .. ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معنى أجبت أنها

حملت الرماد الذى أحاطت به من لعب الرياح فبقى بحالة يستدل بها المترسم فكان الرياح

درست الريح وعنه إلا ما أجده هذه الاتافى من الرماد ومنعت الريح عنه ويجرى

ذلك مجرى قول الخليل * إلا رماداً هامداً * البيت .. وقال مرار الفقى فى الاتافى

أَثَرُ الوُقُودِ عَلَى جَوَانِبِهَا بِخُدُودِهِنَّ كَأَنَّهُ لَطَمُ

ويقال ان أبا تمام الطافى أخذ ذلك فى قوله

فَقُفُوا لَطَمِ الْمَنَازِلِ مِنْ عِيُونِ لَهَا فِي الشَّوْقِ أَحْشَاءُ غِرَارِ

عَفَّتْ آيَاتُهُنَّ وَأَيُّ رَنْجٍ يَكُونُ لَهُ عَلَى الزَّمَنِ الْخِيَارِ

إِثَافٍ كَالْخُدُودِ لَطْمِنَ حَزْنًا وَتَوَيُّ مِثْلُ مَا نَفَّصَ السَّوَارِ

وقد طب عليه قوله لطمن حزناً بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة فى قوله حزناً

ولذلك فائدة وذلك ان لطم الحزن أوجع لتأثيره أبلغ وأظهر وأبين وقد يكون اللطم

أَمِيرُ الْحَزْنِ فَأَمَّا قَوْلُهُ • وَتَوَيَّ مِثْلَهُ مَا انْفَعَمَ السَّوَارُ • فَأُخَوِّذُ مِنْ قَوْلِ الشَّاهِدِ

تَوَيَّ كَمَا انْقَضَ الْهَيْلَالُ عَخَافَةً • أَوْ مِثْلَهَا فَصَمَ السَّوَارَ الْمِعْصَمَ

وَقَدْ شَبَّهَ النَّاسُ التَّوَيَّ بِالسَّوَارِ وَالْخَاخَالِ كَثِيراً أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ •• قَالَ كَثِيرٌ

عَرَفْتُ إِسْمَ دَيِّ بَعْدَ عَشْرِينَ رَحْمَةً • بِمَا دَرَسَ تَوَيَّ فِي الْمَحَلَّةِ مُنْعَنٍ ^(١)

قَدِيمٌ كَوَقَفِ الْعَاجِ ثَبْتُ حَوَاؤُهُ • مُغَادِرُ أَوْتَادِ بَرَضِمٍ مُوَضَّنِ

— الْوَقْفُ — السَّوَارِ مِنَ الذَّيْلِ وَمِنْ الْعَاجِ — وَالرَّضِمُ — صَخُورٌ عَظَامٌ — وَالْمُوَضَّنُ — الَّذِي

بَعْضُهُ لَوْقٌ بَعْضُ •• وَقَالَ بشار

وَتَوَيَّ كَخُلْخَالِ الْفَتَاةِ وَصَائِمٍ • أَشَجُّ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ رَقُوبٌ

— الصَّائِمُ الْأَشَجُّ — يَعْنِي الْوَيْدَ وَالْمَا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ صَائِمٌ لِقِيَامِهِ وَثَبَاتِهِ وَجَمَلَهُ رَقُوباً لِانْفِرَادِهِ

وَالْمَرْأَةِ الرَّقُوبِ وَالشَّيْخِ الرَّقُوبِ الَّذِي لَا يَبِيشُ لَهُ وَلَدٌ •• وَمِنْ مُشْتَبِهٍ مَا وَصَفَ بِهِ

التَّوَيَّ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ

وَالْتَّوَيُّ أَهْمَدُ شَطْرَهُ فَكَأَنَّهُ • تَحْتَ الْحَوَادِثِ حَاجِبٌ مُقَرَّرُونَ ^(٢)

(١) — دَرَسَ — بِسُكُونِ الرَّاءِ أَصْلُهُ دَرَسَ بِنْتَعَمَهَا وَسَكَنْتُ وَكُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ فِي كُلِّ فِعْلٍ

ثَلَاثِي فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُهُ حَلْقِيَةً فَهُوَ مُقْبِسٌ وَإِلَّا فَحَكْمُهُ الْفُرُورَةُ يُقَالُ دَرَسَ الرَّسْمُ غَمًّا

وَدَرَسَتْ الرِّيحُ عَمْتَهُ لَا زَمَ مُتَعَدٍّ — وَمُنْعَنٌ — دَارِسٌ

(٢) الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ يمدح بها الْوَاتِقُ بِاللَّهِ أَوَّلَهَا

وَأَبَى الْمَنَازِلَ لَهَا لَشَجُونَ • وَعَلَى الْمَجْجُومَةِ أَنَهَا لَشَبِيرِينَ

فَاعْقَلُ يَنْضُو الدَّارَ نَضُوكَ يَنْقَسِمُ • فَرَطُ الصَّبَابَةِ مَسْعِدٌ وَحَزِينِ

لَا تَنْعَى وَقْفَةً أَشْفَى بِهَا • دَاءُ الْفَرَّادِ قَالَهَا مَا عَوِفَ

وَأَسْقَى الْإِنْفَاقِي مِنْ شَوْوَنِكَ رِيهَا • ابْنُ الصَّنِينِ يَدْمَعُهُ لَضُنِينِ

وَالْتَّوَيُّ أَهْمَدُ شَطْرَهُ فَكَأَنَّهُ • تَحْتَ الْحَوَادِثِ حَاجِبٌ مُقَرَّرُونَ

حَزَنُ غَدَاةِ الْحَزْنِ هَاجَ غَلِيلُهُ • فِي أَبْرِقِ الْخَنَانِ مِنْكَ حَنِينِ

وقال المتأني في ذلك

قَفَّ عَلَى الدِّمْتَيْنِ بِالذَّوِّ مِنْ رِيَا كَخَالٍ فِي وَجَنَةِ جَنْبِ خَالٍ
يَطْلُولِ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ فِي عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لِيَالِي
وَنُؤْيٍ كَأَنَّهُنَّ عَلَيْهِ نَخْدَامٌ خُرْسٌ يَسُوقِي خَدَالٍ^(١)

الخدماء جمع خدمة وهي الخللخال وجعلها خرس لأنها غير قلقة وشبهه ما أحرق به
النوى من الأرض وامتلاها بامتلاء الخللخال من الساق الخدلة وهي الممتلئة

سمة الصباية زفرة أو عبرة متكفل بهما حشا وشؤون

لولا التفعيل لادمى مضطحا وصفي المشقر أنه محزون

(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الانطاكي ومطلعها

صلة الهجر في وهجر الوصال تكسائي في السقم نكس الهلال

فقد الجلم نافصا والذي يشق منسه يزيد في بلبال

قَفَّ عَلَى الدِّمْتَيْنِ ٠٠ الأبيات الثلاثة ٠٠ ومنها

ما تريد الذوى من الحية الذواق حر الفلا ويرد الظلال

فهو أمضى في الروع من ملك الموت وأسرى في ظلمة من خيال

ولطفت في المز يدنو عجب ولعمر يطول في الذل قال

نحن ركب ملجئ في زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال

من بنات الجدبل نمتى بنافى الله بيد مشى الأيام في الآجال

كل هوجاء للدياميم فيها أثر الدار في سليط الذبال

عامدات للبدرو البحر والفضة سر غامة ابن المبارك المفضل

من يزره يزر سليمان في المدة لك جلالا ويوسف في الجمال

وربيع يضاحك الغيث فيه زهر الشكر من رياض المعالي

نصعنا منه الصبا بنسيم ورواحا في ميت الآمال

هم عبد الرحمن نفع الموالى وبوار الأعداء والأموال

﴿ مجلس آخر ٥٢ ﴾

[تأويل آية] ٥٥ إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) إلى قوله (ألا نجث بالطبق فذبحوها وما كادوا يفعلون) ٥٥ فقال ما تأويل هذه الآيات وهل البقرة التي نعتت بهذه الثعوت هي البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد والمراد مختلف أو التكليف متغاير ٥٥ الجواب قلنا أهل العلم في تأويل هذه الآية يختلفون بحسب اختلاف أصولهم فمن جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب إلى أن التكليف واحد وإن الأوصاف المتأخرة هي البقرة المتقدمة وإنما تأخر البيان عن وقت الخطاب ولما سئل عن الصفات ورد البيان شيئاً بعد شيء ومن لم يجوز تأخير البيان يقول إن التكليف متغاير وأنهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم إلا ذبح أي بقرة شاة من غير تعيين بصفة ولو أنهم ذبحوا أي بقرة انفتحت كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من أي لون كان لأجزأ عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الأخيرة ٥٥ ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فهم من قال في التكليف الأخير أنه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع أنها غير ذلول تثير الأرض ولا تنقي الحرت مسهلة لاشية فيها صفراء فاقع لونها ولا فارض ولا بكر فمنهم من قال إنما يجب أن يكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدم فظاهرها ما تقدم الكتاب بالقول الأول أشبه وهو المبنى على جواز تأخير البيان وذلك أنه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا لا رسول عليه الصلاة والسلام (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) فلا يحلو قولهم ما هي من أين يكون كتابة عن البقرة المتقدم ذكرها أو عن التي أمروا بها ثانياً على قول من يدعي ذلك وليس يجوز أن يكونوا سألوا عن الصفة التي تقدم ذكرها لأن الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها لأنهم لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى فيستفهموا عنها وإذا صح أن السؤال إنما كان عن صفة البقرة المتكثرة التي أمروا في الابتداء بذبحها فليس يحلو قوله أنها بقرة

لا فإرض ولا بكر من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك عن بقرة ثانية لأن ظاهر قوله تعالى (إنها بقرة لا فارض ولا بكر) من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لأن ظاهر قوله تعالى (إنها بقرة) من صفتها كذا وكذا بقدر قولهم ما هي يقتضي أن يكون كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم وإن الأمر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جواباً لهم بل كان يجب أن يكونوا سألوه عن شيء فأجابهم عن غيره وهذا لا يليق بالنبي عليه الصلاة والسلام على أنه تعالى لما أراد أن يكلفهم تكليفاً ثانياً عند تفریطهم في الأول على ما يدعيه من يذهب إلى هذا المذهب قد كان يجب أن يجيبهم عن سؤالهم ويشكر عليهم الاستفهام في تغيير موضعه وتفریطهم فيها أسروا به عما لا حاجة بهم إلى الاستفهام عنه فيقول في جواب قولهم ما هي إنما كلفهم أي بقرة شتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم في ترك الامتثال وأخطأتم في الاستفهام مع وضوح الكلام إلا أنكم قد كلفتم ثانياً كذا وكذا لأن هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الشك والابهام واللبس فلما لم يفعله ذلك وأجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال علم أن الأمر على ما ذكرناه وهب أنه لم يفعل ذلك في أول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الأسئلة والاستفهامات التي لم تقع على هذا المذهب بموقعها ومع تكرار المعصية والتفريط كيف يستحسن أن يكون جميع أجوبته غير متعلقة بسؤالاتهم لأنهم يسألونه عن صفة شيء فيجبهم بصفة غيره من غير بيان بل على أقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لأن قول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا أنه بالصفة الغلانية صريح في أن الماه كناية عن ما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم إن البقر تشابه علينا لأنهم لم يقولوا ذلك إلا وقد اعتقدوا أن خطابهم بمحمل غير مبين فلم لم يقل أي تشابه عليكم وإنما أسره في الابتداء بأي بقرة كانت وفي الثاني إنما اختص باللون المخصوص من أي البقر كان .. فان قبل كيف يجوز أن يأمرهم بذيخ بقرة لها جميع الصفات المذكورة إلى آخر الكلام ولا يبين ذلك لهم وهذا تكليف ما لا يطاق .. قلنا لم يرد منهم أن يذبحوا البقرة في الثاني من سأل الخطاب ولو كانت حال الحاجة إلى الفعل حاضرة لما

جاز أن يتأخر البيان لأن تأخيره عن وقت الحاجة هو التبيح الذي لا شبهة في قبضه
وانما أراد أن يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم
عند الحاجة إليه .. فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما أمروا بذبحه فوجوده
كعدمه وهذا يخرجهم من باب الفائدة ويوجب كونه عبثاً .. قلنا ليس يجب ما ظننتم
لأن القول وان كان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد أفاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة
ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا الخطاب فصار مفيداً من حيث ذكرناه وخرج من أن
يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب أن يدخلها الاقتراح وليس يخرج الخطاب
من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها .. فان قيل ظاهر
قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير في
امتثال الأمر .. قلنا ليس ذلك صريح ذم لأن كادوا للمقاربة وقد يجوز أن يصكون
التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تكاملت لها تلك الصفة فقد دروي أنهم ابتاعوها
بل جلدوها ذهباً على أن النعم يقتضى ظاهره أن يصرف الى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال
الأمر بعد البيان التام لأن قوله تعالى (وما كادوا يفعلون) انما ورد بعد تقدم البيان
التام المتكرر ولا يقتضى ذمهم على ترك المبادرة في الأول الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة
على ما يخالف ما ذكرناه .. فان قيل لو ثبت تعديراً أن التكليف في البقرة متغير أي
القولين الذين حكى عنهما عن أهل هذا المذهب أصح وأشبه .. قلنا قول من ذهب
الى أن البقرة انما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط لأن الظاهر به أشبه من حيث
انه اذا ثبت تغير التكليف وليس في قوله إنها بقرة لاذلول تغير الأرض الى آخر
الأوصاف ذكر لما تقدم من الصفات وهذا التكليف غير الأول فالواجب اعتبار
ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه .. فأنما الفارص - فهي المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة
يقال ضرب فارص أي ضخيم والغرب الدلو ويقال أيضاً لحية فارصة اذا كانت عظيمة
والأشبه بالكلام أن يكون المراد المسنة .. فأنما - البكر - فهي الصغيرة التي لم تلد فكانه
تعالى قال غير مسنة ولا صغيرة - والعوان - دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف التي
قد ولدت بطناً أو بطنين يقال حرب عوان اذا لم تكن أول حرب وكانت ثانية وانما

جاء أن يقول بين ذلك وبين لا يكون إلا بين اثنين أو أكثر لان لفظة ذلك تنوب
عن الجمل تقول ظننت زيدا قائماً فيقول القائل قد ظننت ذلك وقد ظننت ذلك وقد
ظن ذلك .. ومعنى قافع لونها أي خالصة الصفرة وقيل ان كل تأصع اللون بياضاً كان
أوغبره فهو قافع وقيل انه أراد بصفره هنا سوداء .. ومعنى قوله تعالى (لا ذلول تنير
الأرض) أي تكون صعبة لا يذللها العمل في إثارتها الأرض وسقى الزرع .. ومعنى
— ملحة — مفعلة من السلامة من العيوب .. وقال قوم ملحة من الشية أي لاشية فيها
تخالف لونها .. وقوله — لاشية فيها — أي لا عيب فيها وقيل لا وضح وقيل لا لون بخالف
لون جلدها والله أعلم بما أراد وإياه نسأل التوفيق .. [قال الشريف المرتضى] رضى
الله عنه .. كنت أظن ان المتنبي قد سبق الى معنى قوله في مرثية أخت سيف الدولة
طوى العزيرة حتى جاء في خبره فرغت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرفت بالدمع حتى كاد يشرق بي
حتى رأيت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الأنصاري والبحتري .. أما الذى لم يقله في
قصيدة يرثي بها سهل بن الصباح

وقفت العفاة عليك من متحيرة وله الرجاء وذو غنى يترجع
ومخادع السمع النعي ودونه خطب ألم بصادق لم يخدع

وقال البحتري يرثي وصيفاً التركي

إذا جد ناعيه توهنت أنه يسكر من أخباره قول ما زح

وكنت أظن ان المتنبي سبق الى قوله
تحل القنا يوم الطعان بمقوتي فأخرمه عرضي وأطعمه جلدي^(١)

(١) — القنا — جمع قناة وهي الرح — ومقوتى — ساحتى — والعرض — موضع الدم والمدمج
من الانسان .. والمعنى ان الطعان يقع في ساحته فيجمل جلده طمعاً له ولا يهزم خوفاً
من الطعان في عرضه وهو من قصيدة يودع بها ابن العميد عند ميده قاصداً سيف

حتى رأيت هذا المعنى بعينه واللفظ لحيم بن شبله الكلابي من أهل الحماة في قوله
 نني قومه عن خذرجان وقدحنا إلى الموت دأى الصفحتين كليم
 أخوال الحرب إمامجلده فمجرح كليم وإمّا عرضة فليم

وكنيت أظن ان البحري سبق الى معنى قوله في الفتح بن خاقان
 حملت إليه السيف لا عزمك أنثى ولا يدك أرتدت ولا حده نبا
 حتى وجدت لنا مر متقدم

طعن ابن دهمان بنجران طعنة شققت بها عنه مضاعفة السرد

الدولة ثم قتله فأتك الأسدى ومطلعها

ليت وما أنسى عتاباً على الصدى ولا ليلة قصرتها بقصيرة
 ومن لي بيوم مثل يوم كرهته وإلا يخس الفقد شيئاً لاني
 تمنى بلد المستهام بذكره وغيط على الأيام كالنار في الحنى
 فأما تربى لا أقسم ببسلة يحل القنا يوم الطعان بعقوتي
 تبدل أيامي وعيشي ومنزلي وأوجه قيات حياه تلتوا
 وليس حياه الوجه في الذئب شيمة اذا لم تجزهم دار قوم مودة
 يحيدون عن هزل الملوك الى الذي نور من بين الملوك على الجدد

فَلَا السَّكْفُ أَؤْهَتَ بِي وَلَا الرَّمْحُ خَانَتَنِي وَلَا الْأَذَمُّ الْمَنْعُوتُ حَادَّ عَنِ الْقَصْدِ

قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس سفرة اللون في العمل فكل حكي ذلك وقال بلا فضيلة الا البعدي فانه أغرق من أبيات قال اصرابي بن أبات^(١)

جَعَلْتُ وَمَا عَايَنْتُ عِطْرًا كَأَنَّمَا جَرَى بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ خَاقُ

وقال أبو نعام

لَمْ يَشْنُ وَجْهَهُ الْمَلِيعَ وَلَكِنْ جَعَلْتُ وَرْدَ وَجَنَّتِي بِهِارًا

وقال غيره

لَمْ تَشْنُ شَيْئًا وَلَكِنْهَا بَدَلْتُ الثَّفَاحَ بِالْيَاسَمِينِ

وقال أبو بكر عيسى الزلفي

عِلَّةٌ زَعَفَرْتُ مُورَدَ خَدِّي كَادَ مِنْ رِقَّةٍ وَرَقِي يُفِيضُ

ولأحمد بن يزيد المهلب

وَقَالُوا هَزَتْ غِرَاءَ حُمَى شَدِيدَةٍ فَوَجَنَّتْهَا مِنْهَا شَدِيدُ صَفَارُهَا

فَقُلْتُ لَهُمْ هِيَاتَ هَاتِيكَ رَوْضَةً مَضَى وَرَدُّهَا عَنَّا وَجَاءَ بِهِارُهَا

ولأبي الصنابة

وَكَا نَنِي مِمَّا تَطَاوَلَ بِي مِنْكَ السَّقَامُ طَلَيْتُ بِالْوَرَسِ

وقال ابن المعتز

وَصَفَرْتُ عِلَّتُهُ وَجْهَهُ فَصَارَ كَالدَّيْنَارِ مِنْ حَقِّ

وقال البعدي

بَدَتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنَّ حَمْدَهُمْ مِنَ الدَّرِّ مَا صَفَرَتْ نَوَاحِيهِ فِي الْعِقْدِ

(١) هكذا فيها وقفنا عليه من اللسخ على انه لم يظهر لنا استقامة المعنى فليحذر

وَجَرَّتْ عَلَى الْإِيْدِي حَبْسَةً كَفَّهِ كَذَلِكَ مَوْجُ الْبَحْرِ مَلْتَبُ الْوَقْدِ
وَمَا الْكَلْبُ عَمُومًا وَإِنْ طَالَ عَمْرُهُ إِلَّا إِنَّمَا الْحَيُّ عَلَى الْأَسَدِ الْوَزْدِ^(١)

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه • أما تشبيه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه مليح موافق لفرسه إلا أنه أخطأ في قوله ان حدهم من الدر ما اسفرمت نواحيه في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبه وترك التعليل لكان أجود • وروى أبو العباس أحمد بن فارس النخعي قال جدنا أبو أحمد عبيد الله بن يحيى البهتري قال حدثني أبي قال حدثني جدني البهتري قال كنت عند أبي العباس المبرد يوماً فتذاكرنا شعر عمارة بن عقيل فقال أبو العباس لقد أحسن عمارة في قوله غلاله بن يزيد لما وجهه اليه بهذين البيتين

لَمْ أَسْتَطِعْ سَبْرًا لِمَذْحَجَةِ خَالِدٍ فَجَعَلْتُ مَذْحِجَهُ إِلَيْهِ رَسُولًا
قَلْبِي رَحْلًا إِلَى نَائِلِ خَالِدٍ وَلَيْكَفِينِ رَوَاحِلِي التَّرْحِيلَا
قال البهتري لقات له مروان بن أبي حفصة في عبيد الله بن طاهر وقد أتاه نائله من الجزيرة ما هو أحسن من هذا وأشدته
لَعَمْرِي لَنِمِّ الْغَيْثُ غَيْثُ أَصَابِنَا يَغْدَادُ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَابِلُهُ
فَكُنَّا كَحَيِّ صَبْحِ الْغَيْثِ أَهْلُهُ وَلَمْ يَرْتَحِلْ أَظْلَمَانُهُ وَرَوَّاحِلُهُ

[١] هي من أبيات يمدح بها ابراهيم بن المديبر ويذكر علة ناله ومطلبها

بأنفسنا لا بالطوارف والتناد فليك الذي نخفى من الشكواؤوتبدي
بنا معشر العافين ما بك من أذى فان أشفقوا بما أقول في وحدي
ظللنا نعود الجند من وعكك الذي وجدت وقنا اعتل عضو من الجدي
ولم نصف الليث اقتسمنا نواله ولم تقسم حياه إذ أقبلت تردى
بدت صفرة من لونه الأبيات الثلاثة • وبعدها

ولست ترى عود القنادة خافاً سموم الرياح الآخذات من الرند

فقال نعم هذا أحسن فقلت له ان لي في بنى السبط وقد أتاني برهم من حمص ما لا يتضع
عن الجميع وأنشدته

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ بَنَى السُّبُطِ أَخْدَانِ السَّاحَةِ وَالْمَجْدِ
هُمْ وَصَلُّوْنِي وَالْمَهَامَةُ بَيْنَنَا كَمَا أَرَفَضْتُ غَيْثٌ مِنْ نِهَامَةٍ فِي تَجْدِ

فقال هذا واقعة أروق بما قالا وأحسن .. وروى أحمد بن فارس المتبحر عن عبيد الله
ابن يحيى بن البعترى قال حدثنا أبي عن جماعة من أهل العلم والأدب منهم يموت بن
المرزوق قال قلت لأبي عثمان الجاحظ من أنسب العرب فقال الذى يقول

عَجَلَتْ إِلَى فَضْلِ الْخِمَارِ فَأَثَرَتْ عَذَابَاتُهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْيِيلِ

وقال هذا لالبعترى في القصيدة التى أولها

صَبَّ بِخَطَابِ مُفْحَمَاتِ طُلُولٍ ^(١)

[١] هو مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن اسماعيل الهاشمي

صَبَّ بِخَطَابِ مُفْحَمَاتِ طُلُولٍ	من سائل بك ومن مسؤول
حلت معالمهن أعباء البلى	حق كائن نحوهن نحولى
يا وهب هب لأخيك وقفة مسعد	يعطي الأسمى من دمه المبدول
أو ما ترى الدامن الخيلة تشتكى	غدرات عهدٍ للزمان محيل
إن كنت تشكر هافقد صرف الهوى	قدماً معارف رسماً المجهول
تلك التى لم يعد لها قصد الهوى	مالت مع الواشين كل بميله
عجلت الى فضل الخمار فأثرت	عذباته بمواضع التقيل
وثبتت عند الوداع فأشرقت	إشراقه عن عارض مصقول
أأخيب عندك والصبا لى شافع	وأرد دونك والشباب رسولى
ولقد تأملت الفراق فلم أجيد	يوم الفراق على امرء بطولى
قصرت مسافته على مزود	منه لدهر صباية وهولى

[وقال الشريف المرتضي] رضى الله عنه . . . وفي لبيب هذه القصيدة بيت ليس بقصر في

الملاحاة والرشاقة وأخذ به مجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو

أَخِيبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَاحُ شَافِعٌ وَأَرَدْتُ ذُنُوبَكَ وَالشَّبَابُ رَسُولِي

وفي مدح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحزن وهو

لَا تَطْلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ قَمَرُ النَّأْمِ مِزْنَةُ النَّأْمِ

وبهذا الاسناد عن يحيى بن البحرى قال انصرفت يوماً من مجلس أبي العباس محمد بن

يزيد المبرد فقال لي أبي البحرى ما الذى أفدت يومك هذا من أبي العباس قلت أملى

على أخباراً حسنة وأنشدنى أبياتاً للحسين بن الضحاك فقال أبى أنشدنى الأبيات

فأنشدته

كَأَنِّي إِذَا فَارَقْتُ شَخْصَكَ سَاعَةً لِفَقْدِكَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ غَرِيبُ

وَقَدَرْتُ أَسْبَابَ السُّلُوفِ فَخَانِي ضَمِيرٌ عَلَيْهِ فِي هَوَاكَ رَقِيبُ

أَغْرَكَ صَفْحِي عَنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ وَعَظَى عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْكَ تَرِيبُ

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ فَبَلِي مَتِيمٌ وَلَمْ يَكْ فِي الدُّنْيَا سِوَاكَ حَبِيبُ

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِنْ شَكُوتُ فَلَمْ يَكُنْ

أَشْكُو إِيَّاهُ مِنْ عَطْفِ الْحَبِيبِ نَصِيبُ

وإذا الكرام تنازعوا أكرمة فالفضل للفضل بن اسماعيل

قسموا على أخلاقهم فتفاوتوا فبين قسمة غرة وحجول

في كل معكرومة يد مبسوطة من فاضل منهم به مفضل

لا تطلبن له الشبيهه فانه قر التأمل مزنة التأمل

جاز المدى فرمي بغير مناضل في سودد وجرى بغير وسيل

فتى سمت عين الحدود لفخره طرقت بطرف من علاه خليل

فقال ما أحسن هذا الكلام وأنشدني نفسه

حبيبي حبيب يكتم الناس إنَّهُ لَنَا حِينَ تَلَقَانَا الْعِيُونَ حَبِيبُ
يُبَاعِدُنِي فِي الْمُلْتَمَى وَفَوَادُهُ وَإِنْ هُوَ أَبْدَى لِي الْبِعَادَ قَرِيبُ
وَيُعْرِضُ عَنِّي وَالْهَوَى مِنْهُ مُقْبِلُ إِذَا خَافَ عَيْنَا أَوْ أَشَارَ رَقِيبُ
فَتَنْطِقُ مِنَّا أَعْيُنُ حِينَ تَلْتَقِي وَتَحْمَسُ مِنَّا أَلْسُنُ وَقُلُوبُ

ثم قال يابن ارو هذين فانهما من أحسن الشعر وطريفه .. روى أحمد بن فارس
النبهني عن أبي نصر محمد بن اسحق النحوي قال سمعت بعض أهل الأدب يقول
لأزجاج قد كنت أعرف أبا العباس المبرد وكبره وانه ما كان يقوم لأحد ولا يتناول له
ويشده اذا أشرف عليه الرجل

ثُمَّ لَنْ ذُو الرَضْبَاتِ لَا يَتَحَلَّلُ^(١)

ولقد رأيت به يوماً وقد دخل عليه رجل متدرع فقام اليه أبو العباس فاعتنقه وتحنى
عن موضعه وأجلسه فجعل الرجل يكفه ويستغفبه من ذلك فلما أكثر من ذلك عليه
أنشده أبو العباس

أَتُنْسِكِرُ أَنْ أَقُومَ وَقَدْ بَدَأَ لِي لِأَكْرَمَةٍ وَأَعْظَمَةٍ هِشَامُ
فَلَا تُنْكَرُ مُبَادِرَتِي إِلَيْهِ فَإِنْ لِمَنَّاوِ خَلَقَ الْقِيَامُ

فلما انصرف الرجل سألت عنه فقيل لي هذا البعري

— مجلس آخر ٥٣ —

[تأويل آية أخرى] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكباً
عن هابيل (لئن بسطت اليك يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأتقتلك إني أخاف

(١) صدر البيت • فارفع بكفك ان أردت بهامنا •

الله رب العالمين إني أريد أن نبوء بأنني وإنيك الآية) . فقال كيف يجوز أن يخبر تعالى عن هابيل وقد وصفه بالقوى والطاعة بأنه يريد أن يبوء أخوه بالإثم وذلك إرادة القبيح وإرادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها إرادة لقبيح وليس قبحها بما يتغير وكيف يصح أن يبوء القاتل بأنه وإثم غيره وهل هذا إلا ما يابونه من أخذ البريء بحرم السقيم . الجواب قلنا جواب أهل الحق عن هذه الآية معروف وهو أن هابيل لم يرد من أخيه قبيحاً ولا أراد أن يقتله وإنما أراد ما أخبر الله تعالى به عنه من قوله (إني أريد أن نبوء بأنني وإنيك) أى نبوء بحزاء ما قدمت عليه من التبيخ وعقابه وليس بقبيح أن يريد نزول العقاب المستحق بمسئته ونظير قوله إني مع أن المراد به عقوبة إني الذي هو قتل قول القاتل عمن يعاقب على ذنب جناه هذا ما كتبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كتبت يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لئلا الله عملك وستلقى عملك يوم القيامة معناه ما ذكرناه فإن قيل كيف يجوز أن يحسن إرادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه لأن القتل على هذا القول لم يكن واقعاً . . . قلنا ذلك جازئ بشرط وقوع الأمر الذي يستحق به العقاب فهابيل لما رأي من أخيه التميم على قتله والاضمار والعزم على إمضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما هم به وعزم عليه فأما قوله إني وإنيك فالتعنى فيه واضح لأنه أراد أن يثمي عقاب قتلك لي وبأنك أى عقاب المعصية التي أقدمت عليها من قبل فلم يتقبل قربانك لسيئها لأن الله تعالى أخبر عنهما بأنهما قريباً قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وإن العلة في أن قربان أحدهما لم يتقبل أنه غير متق وإيسر يتمتع أن يريد بأنني ما ذكرناه لأن الإثم مصدر والمصادر قد تضاف إلى الفاعل والمفعول جميعاً وذلك مستعمل مطرد في القرآن والشعر والكلام فقال ما أضيف إلى الفاعل . . . قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) ومن أضافه إلى المفعول . . . قوله تعالى (لا يسأم إلا لسان من دعاه الخير وإن منه الشر) . . . وقوله تعالى (لقد ظلمك بسؤال نعجتك

الى معاجه) .. وما جاء في الشعر من اضافته الى المفعول ومعها الفاعل قول الشاعر
 أَمِنْ رَسْمِ دَارِ مَرْيَحٍ وَمَصِيفُ لَعِينِكَ مِنْ مَاءِ الشُّوْنِ وَكِيفُ^(١)

(١) قوله * أمن رسم دار الخ * هو مطلع قصيدة للحميدة عدتها ثمانية عشر بيتاً مدح بها سعيد بن العاص الأموي لما كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان رضي الله عنه قوله * أمن رسم دار الخ * الهزئة للاستفهام التقريري ومن تعليلية متعلقة بوكيف وهو مصدر وكف وكفأ وكيفأ سال شيئاً فشيئاً وتأويله أمن رسم داراً مريع أى أثر فيها آثاراً والرسم الأثر بلا شخص - والشؤون - مجاري الدمع من الرأس الى العين واحدها شأن .. وقوله - لعينك - جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم على المبتدأ وهو وكيف يروى بالنونية ويروى بالافراد - ومريع - فاعله المصدر وهو رسم وهو على حذف مضاف والتقدير مطره ونحوه وهو وما بعده اسمان لزمان الربيع والصيف وبأتيان اسمى مكان ومصدرين أيضاً وهذه الصيغة تشترك فيها هذه المعاني وهى صيغة قياسية يذكرها الصرفيون والمذكور في كتب اللغة انما هو المربع بمعنى منزل القوم في الربيع خاصة وبعد البيت

رشاش كعربي هاجري كلاهما	له داجن بالكسرين علف
اذا كز غرباً بعد غرب أعاده	على رغه وافى الببال عفيف
تذكرت فيها الجمول حتى تبادرت	دموعي وأهجابي على وقوف
يقولون هل يسكن من الشوق مسلم	تخل الى وجه الإله حنيف
فلا بياً أزاحت علي ذات ملهم	تكيب تعالى في الزمام خنوف
مغذفة باللحم وجنأ عدها	على الأبن إرقال معاً ووجيف
اليك سعيد الخير جبت مهامها	يقابق آل بها وتنوف
ولولا الذي العاصي أبوه تملقت	بحوران عجم العنق مصوف
ولولا أصيل اللب غصن شبابه	كريم لا يام النون صروف
اذا هم بالاعداء لم ين هم	ككعب عليها لؤلؤ وتنوف
حصان لها في البيت زى وبهجة	ومشي كما تمشي القطاة قطوف

في الكلام يقول القائل أعجبتني ضرب عمرو خالداً اذا كان عمرو فاعلا وضرب عمرو خالداً اذا كان عمرو مفعولا .. وقد ذكر قوم في الآية وجهاً آخر وهو أن يكون المراد إلى أريد زوال أن نبوء بأمي وأنتك لأنه لم يرد له إلا الخير والرشد غذف الزوال وأقام ان وما اتصل بها مقامه كما قال تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) أراد حب العجل غذف الحب وأقام العجل مقامه وكما قال تعالى (وأسأل القرية) وهذا قول بعيد لأنه لادلالة في الكلام على محذوف وإنما تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع لاقضاء الكلام المحذوف ودلالة عليه .. وذكر أيضاً وجه آخر وهو أن يكون المعنى إلى أريد أن لا نبوء بأمي وأنتك أي أريد أن لا تقتلني ولا أقتلك غذف لا واكتفى بمافي الكلام كما قال تعالى (بين الله لكم أن تضلوا) معناه أن لا تضلوا وكقوله تعالى (وألقى الأرض رواسي أن تميد بكم) معناه أن لا تميد بكم وكقول الخلاء

فَأَنْتِ أَسِيَّ عَلِيٍّ هَالِكٌ وَأَسْأَلُ نَائِمَةً مَالَهَا

أرادت لا آسي ولا أسأل .. وقال امرؤ القيس

فَقَالَتْ يَبِينَ اللَّهُ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

أراد لأبرح .. وقال عمرو بن كلثوم

نَزَلْتُمْ مِنْزِلَ الْأَصْيَافِ مِنَّا فَمَجَلْنَا الْقَرِيَّ أَنْ تَشْتُمُونَا

أراد أن لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جداً وهذا الجواب يضعفه كثير من أهل

ولو شاء وارى الشمس من دون وجهه	خجباب ومطوي السراة منيف
ولكن إدلاجاً بشيأ نغمة	هالقي في الأعجمين كشوف
إذا قاده الموت يوماً نتابت	ألوف على آثارهن ألوف
فصفوا وما ذي الحديد عليهم	ويض كأولاد النعام كثيف
أنابت الى جنات عدن نفوسهم	وما بعدها لاصالحين حثوف
خفيف المهي لا يملأ لهم صدره	إذا سمع الزاد الخليلت عيوف

(٦٨ - أمالي لك)

العربية لانهم لا يستحسنون اخبار لافي مثل هذا الموضع .. فأما قوله تعالى حاكباً عنه (لئن بسطت الی يدك لتقتلنی ما أنا بباسط یدی الیک لأقتلك) .. فقال قوم من المفسرين ان القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحاً فه ذلك الوقت وان الله تعالى أمره بالصبر عليه وامتنعته بذلك ليكون هو المتولي للانتصاف .. وقال آخرون بله المعنى انك ان بسطت الی يدك مبتدئاً ظالماً لتقتلنی ما أنا بباسط یدی الیک على وجه الظلم والابتداء فكأنه انى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم .. والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين أشبه لانه تعالى خبر عنه انه وان بسط أخوه الیه يده ليقته لا يبسط يده ليقته أي وهو مرید لقتله ويجري الیه لان هذا اللام بمعنى كي وهي منبئة عن الازادة والغرض ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه لان المدافع انما يحسن منه المدافعة للظالم أو طلب الشخص منه من غير أن يقصد الی قتله والاضرار به وهي قصد ذلك كان في حكم المبتدئ بالقتل في انه فاعل القبيح والعقل شاهد بوجود الشخص من المضره بأي وجه تمكن منه بعد ان يكن غير قبيح .. فان قيل فكأنكم تمنون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة ووجوبها على كل حال .. قلنا لا يمتنع من ذلك وانما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصاف على ما ذهب الیه قوم لان قوله لأقتلك يقتضى أن يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة لا يقتضى ذلك ولا يحسن من المدافع أن يجري بها الى الضرب فلا دلالة في الآية على تحريم المدافعة ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى بشهادة الظاهر

[تأويل خبر] .. إن سألت سائلاً عن معنى الخبر الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه قال لا يموت مؤمن ثلاثة من الأولاد قدسه النار الا نحلة القسم .. الجواب قلنا أما أبو عبيد القاسم بن سلام فانه قال يعنى نحلة القسم قوله تعالى (وان منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً) فكأنه عليه الصلاة والسلام قال لا يرد النار إلا بقدر ما يبر الله قدسه .. وأما ابن قتبية فانه قال في تأويل أبي عبيد هذا مذهب حسن من الاستخراج ان كان هذا قسماً .. قال وفيه مذهب آخر أشبه بكلام العرب ومطابقهم وهو ان العرب اذا أرادوا قتل مكر الشئ وتقصير مدته شبهوه بنحلة

القسم وذلك أن يقول الرجل بعد حلقه ان شاء الله فيقولون ما بقيت فلان عندنا الا نخلة القسم وما بنام الليل إلا كنت حليل الألية وهو كثير مشهور .. قال مزاحم بن أحر و ذكر الريح

إِذَا عَصَفَتْ رَسْمًا فَلَيْسَ بِدَائِمٍ بِهِ وَتَدُّ إِلَّا تَحِلَّةَ مَقَسَمٍ
يقول لا يثبت الوند الا قايلاً كنت حلة القسم لان هبوب الريح يقلعه .. وقال آخر
يذكر نوراً

يَمْنَحِي الثَّرَابَ بِأَخْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعٍ مَسْنَنُ الْأَرْضِ تَحْلِيلٌ (١)
يقول هو سريع خفيف فقوائمه لا تثبت في الأرض إلا كنت حليل الجمين .. وقال ذو الرمة كأنه يصف صاحب سفر أغفى غفأة ثم انتبه سريعاً

(١) - يمنحى الثراب - يستخرجها الشدة عدوه ويقال خفت الشيء اذا استخرجته
وقرأ بعضهم (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) أى أظهرها ومن قرأ أخفيها أراد أسرها
ومنه الحديث ليس على مختصف قطع ومنه قول امرئ القيس

خَفَا هُنَّ مِنْ أَفْأَقُونَ كَأَنَّمَا خَفَا هُنَّ وَدَقَّ مِنْ عَشْوٍ حَلَّابٍ
ويروي بحلّاب أى بحلب الماء وبحلبة من الجلبة جلبية الريح والريعد .. وقوله - بأخلاف
ثمانية فى أربع - يريد ثمانية اطلاق فى أربع قوائم فى كل قائمة ظلفان .. وقوله
- مسنن الأرض تحليل - أى كنت حلة الجمين وأهل الحجاز يسمون النباش المنحني
وقال مسنن الأرض تحليل قدر نخلة الجمين كأنه أقدم ليسن الأرض كما قال الراعى
حدث الدرّاب وألحقت أعجازها روح يكون وقوعها تحليلاً

والبيت من قصيدة لمبدة بن الطيّب وهى مفضّلة ومطلّعا
هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
حات خويلة فى دار مجاورة أهل المدائن فيها الديك والغزل
يقارعون رذوس العجم ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل
نفاخر القباب من ترجيع ذكرتها رمن لطيف ورعن منك مكبول

طَوَى طِيَّةً فَوْقَ الْكَرَّاجِفْنُ عَيْنَهُ عَلَى رَهَبَاتٍ مِنْ جَنَّاتِ الْمَخَادِرِ
 قَلِيلًا كَتَحْلِيلِ الْأَلَى ثُمَّ قَلَّصَتْ بِهِ شِيئَةً رَوْعَاءَ تَقْلِيصَ طَائِرٍ
 -والألى- جمع ألوته وهي العين قل ومعنى الخبر على هذا التأويل ان النار لا تغمى إلا
 قليلا كتحلل العين ثم يحيه الله منها .. وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري
 الصواب قول أبي عبيد لجميع ثلاث .. منها ان جماعة من كبار أهل العلم فسروه على
 تفسير أبي عبيد .. ومنها انه ادعى ان النار تغمى الذي وقعت منزلة عند الله جليلة
 لكن ما قليلا والقليل من النار لا يقع به الألم العظيم وليس صفة الأبرار في الآخرة
 صفة من غمى النار لا قليلا ولا كثيرا .. ومنها ان أبا عبيد لم يحكم على هذا المصاب
 بولده يغمى وإنما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب أن يكون من الأبرار لان
 الآمناء الاثنى عشر المنقطع فكأنه قال غمى النار لاكن تحلة العين أى لاكن
 ورود النار لا بد منه تجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الانقلا وارتحله العكر
 الا الخياما وأشد الفراء

وَسَمْحَةِ الْمَثَى شِمْلَالٍ قَطَعَتْ بِهَا أَرْضًا يَحَارُ بِهَا الْهَادُونَ دَيْمُومًا^(١)
 مَهَا مَهَا وَحَزُونًا لَا أُنَيْسَ بِهَا إِلَّا الصَّوَانِحُ وَالْأَصْدَاءُ وَالْبُومُ^(٢)
 وَأَشَدُّ الْفَرَاءِ

(١) -الديموم- والديمومة الفلاة الواسعة يدوم الير فيها بعدها وقيل هي المفازة
 لاماء بها وأشد ابن برى لدى الرمة * اذا انتخ الدياميم * وقيل الديمومة الأرض
 المستوية التي لا أعلام بها ولا طريق ولا ماء ولا أنيس .. وقال أبو عمرو الديلمى الصغارى
 للملح المتباعدة الأطراف

(٢) -الصوانح- جمع صائح وهو ما يصبح أى بصوت والمراد به الأصوات التي تسمع
 في الغللاء ولا حقيقة لها - والأصداء- جمع صدى وهو ما يردده الجبل على الصوت
 فيه - والبوم- طائر معروف

لَيْسَ عَلَيْكَ عَطْشٌ وَلَا جُوعٌ إِلَّا الرِّقَادُ وَالرِّقَادُ مَمْنُوعٌ

فمعنى الحديث لا يموت لمسلم ثلاثة من الأولاد فتمسه النار البتة لاكن نعمة القسم لا بد منها ونعمة اليمين الرود والورود لا يقع فيه مس .. قال أبو بكر وقد سئلت عن قوله قول آخر وهو أن يكون إلا زائدة دخلت للتوكيد ونعمة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت نعمة القسم وإلا زائدة .. قال الفهرزدقي شاهداً لهذا

هُمْ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُّوا سِيُوفَهُمْ وَصَحَّوْا بِأَحْمٍ مِنْ عِلٍّ وَمَحْرَمٍ

معناه هم القوم حيث سلّوا سيوفهم وإلا مؤكدة .. وقال الأخطي

وَيَقْطَعْنَ إِلَّا مِنْ فُرُوعٍ يَرِذْنَهَا بِمَدْحَةٍ مَحْمُودٍ نَشَاءُ وَنَائِلُهُ^(١)

معناه يقطعون إلا من فروع يرذنها ويردنها والفروع الواسعة من الأرض .. [قال الشريف

(١) وفي ديوانه

اليكم من الأغوار حتى يزرركم بمدحة محمود نشاء ونائله

— الأغوار — جمع غور بالفتح وهو القعر من كل شيء وهي هنا الأمكنة المطمئنة — والنشاء — بالفتح والقصر الخبر .. والبيت من قصيدة يمدح بها بشر بن مروان ومطلعها

صحا القلب عن أروى وأقصر باطله وعاد له من حب أروى أخايله

أجدك ما نلقتك إلا مريضة تدوين قلباً ما نسام بلايله

عفا واسط منها فالجام حاصر فروس القطا صحراؤه وحمايله

.. ومنها

ومستقبل لنفح الحرور بحاجة اليكم أبا مروان شدت رواحله

اليكم من الأغوار حتى يزرركم بمدحة محمود نشاء ونائله

جزاء وشكراً لا تفتني إذا جئت له مساؤه وفواضله

أخو الحرب ما يفتك بدعي لعبته حرورية أو أعجمي يقاتله

المرتضى [رضى الله عنه والوجوه المذكورة في تأويل الخبر متقاربة لان الوجه الذى
 اختص به ابن الاثيرى فيه أدى تصف وبعد من حيث جعله إلا زائدة وذلك كالتضعف
 عند جماعة من أهل العلم بالعربية وقد تبقى في الخبر مسألة التشاغل بالجواب عنها أولى بما
 تكلفه القوم وهى متوجهة على كل الوجوه التى ذكرها في تأويله . . . وهو أن يقال كيف
 يجوز أن يخبر عليه الصلاة والسلام بأن من مات له ثلاثة أولاد لانس له النار إما جملة أو
 مقدار تحلة القسم وهو النهاية في القلة أو ليس ذلك يوجب أن يكون إغراء بالذنوب لمن
 هذه حاله وإذا كان من يموت له بهذا العدد من الأولاد غير خارج عن التكليف فكيف
 يصح أن يؤمن من العقاب . . . والجواب عن ذلك إذا قد علمت أو لا خروج هذا الخبر
 من مخرج المدح لما كانت هذه صفته للتمييز ولا مدح في مجرد موت الأولاد لان ذلك
 لا يرجع الى فعله ولا بد من أن يكون تقدير الكلام ان النار لانس المسلم الذى يموت
 له ثلاثة من الأولاد إذا حسن صبره واحتسابه وعزاؤه ورضاه بما جرى به القضاء
 عليه لانه بذلك يستحق الثواب والمدح وإذا كان اضرار الصبر والاحتساب لا بد منه لم
 يكن في القول إغراء لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذى اذا وقع عليه تفضل الله
 تعالى بغفران ما لعله أن يستحقه من العقاب في المستقبل غير معلوم وإذا لم يكن معلوماً
 متميزاً فلا وجه للإغراء وأكثر ما في هذا الكلام أن يكون القول مرغباً في حسن
 الصبر وحائناً عليه رغبة في الثواب ورجاء الغفران ما لعله أن يستحق في المستقبل من
 العقاب وهذا واضح لمن تأمله

مجلس آخر ٥٤

[تأويل آية] . . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم قدمت قلوبكم من بعد ذلك فمى
 كالجمارة أو أشد قسوة) . . . فقال ما معنى أوهنها وظاهرها بعيد الشك الذى لا يجوز
 عليه تعالى . . . الجواب قلنا في هذه الآية وجوه . . . أو لها أن تكون أوهنها للإباحة
 كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين والى الفقهاء أو الحديثين ولم يريدوا الشك بل

كانهم قالوا هذان الرجلان أهل للمجالسة وهذان القليلان من العلماء أهل للقاء فان
جالست الحسن فانت مصيبٌ وان جالست ابن سيرين فانت مصيبٌ وان جمعت بينهما
فكذلك فيكون معنى الآية هل هذا ان قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الرشد والخير
فان شبهتهم قسوتها بالحجارة أصبتهم وان شبهتهم بما هو أشد أصبتهم وان شبهتهم بما
بالجميع فكذلك وعلى هذا يتأول قوله تعالى (أو كصيب من السماء) لان أو لم يرد
بها الشك بل على نحو الذي ذكرناه من انكم إن شبهتموهم بالذي استوفد ناراً فجاز وان
شبهتموهم بأصحاب الصيب فجاز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك .. وثانيها أن تكون أودخلت
للتفصيل والتمييز ويكون معنى الآية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالخجارة في القسوة
وبعضها ما هو أشد قسوة منها ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (وقالوا كونوا هوداً أو
نصارى تهتدوا) ومعناه قال بعضهم كونوا هوداً وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى
وهم النصارى فدخلت أو للتفصيل وكذلك قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها فجاءها
بأسنا بياتاً أو هم قائلون) معناه فجاء بعض أهلها بأسنا بياتاً وجاء بعض أهلها بأسنا في
وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى (أو كصيب من السماء) هذا الوجه أيضاً ويكون
المعنى ان بعضهم يشبه الذي استوفد ناراً وبعضهم يشبه أصحاب الصيب .. وثالثها أن
يكون أو دخلت على سبيل الإيهام فيما يرجع الى مخاطب وان كان الله تعالى عالماً بذلك
غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في إخبارهم عن ذلك إلا التفصيل بل علم عز وجل ان
خطابهم بالاجال أبانغ في مصلحتهم فأخبر تعالى ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم
كالخجارة أو أشد قسوة والمعنى انها كانت كأحد هذين لا يخرج عنهما ويجري ذلك
مجرى قولهم ما أظعمتك إلا حلواً أو حامضاً فيهمون على المخاطب ما يعلون انه لا فائدة
في تفصيله والمعنى ما أظعمتك إلا أحد هذين الضربين وكذلك يقول أحدهم
أكلت برة أو ثمرة وهو قد علم ما أكل على التفصيل الا انه أبهمه على المخاطب

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَمِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ^(١)

أراد هل أنا إلا من أحد هذين الحبيبين فيبيل أن أفنى كما فنيا وإنما حسن ذلك لأن قصده الذي أجرى إليه وغرضه الذي نجاه وهو أن يخبر بكونه من يموت ويخفى ولا يخله به اجمال ما أجل من كلامه فاضرب عن التفصيل لأنه لا فائدة فيه ولأنه سواء كان من ربيعة أو مضر فوته واجب وكذلك الآية لأن الفرض فيها أن يخبر تعالى عن شدة قوة قلوبهم وإنما لما لا تنق لوعظ ولا تصني إلى حق فدواء كانت في النسوة كالطجارة أو أشد منها فقد تم ما أجرى إليه من الفرض في وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيها بالطجارة وبما هو أشد قوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر في أنه غير محتاج إليه ولا يقتضيه الفرض في الكلام .. ورابعها أن تكون أو بمعنى بل كقوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) معناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس في قوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) قال كانوا مائة ألف وبضعا وأربعين

(١) وبعدة

ففسوما وقولا بالذي نعلمناه ولا نخمسا وجهاً ولا نحلنا شعر
وقولا هو المرء الذي لأصديقه أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكاً ومن بك حولا كاملاً فقد اعتذر

والبيت الأخير يورده بعض النحاة على أن لفظ اسم معهم .. قال ابن جني هذا قول أبي عبيدة وكذلك قال في بسم الله ونحن نعلم الكلام على أن فيه محذوفاً قال أبو علي وإنما هو حذف المضاف أي ثم اسم معي السلام عليكاً واسم معي السلام هو السلام وكأنه قال ثم السلام عليكاً فالمرى ما قاله أبو عبيدة لكنه من غير الطريق التي أناه هو منها الأثر هو اعتقد زيادة شيء واعتقدنا نحن نقصان شيء .. روى أن لييد رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنته هذه الأبيات فكانت بعد وفاته تلبس ثيابهما في كل يوم وتأتيان مجلس جعفر بن كلاب قبيلة فزريانه ولا تعولان فأقامتا على ذلك حولا كاملاً ثم انصرفت

ألفاً • • وأشد الفراء.

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الثَّغْسِ فِي رَوَاتِي الضُّحَى وَصُورَتِهَا أَوْ أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ
وقد تكون أم في الاستفهام أيضاً بمعنى بل كقول القائل أضربت عبد الله أم أنت رجله
متعنت معناه بل أنت رجله متعنت • • وقال الشاعر

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَسْلَمَنِي تَذَوَّلْتُ أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلُّ إِلَيَّ حَبِيبُ

معناه بل كل • • وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال وكيف يجوز أن يخاطبنا تعالى
بافظة بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وليس ذلك
بشيء إما الاستدراك فإن أريد به الاستفادة أو التذكير لما لم يكن معلوماً فليس بصحيح
لأن أحدهما يقول أعطيته ألفاً بل ألفين وقصدته دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء
كلامه بما أخبر به في الثاني ولم يتجدد به علم وإن أراد به الأخذ في كلام غير الماضي
واستئناف زيادة عليه فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالى فأما النقض للكلام الماضي
فليس بواجب في كل موضع يستعمل فيه لفظ بل لأن القائل إذا قال أعطيته ألفاً بل
ألفين لم ينقض الأول وكيف ينقضه والأول داخل في الثاني وإنما زاد عليه وإنما يكون
ناقضاً للماضي إذا قال لقيت رجلاً بل حمراً وأعطيته درهماً بل ثوباً لأن الأول لم يدخل
في الثاني على وجه وقوله تعالى (أو أشد قدوة) غير ناقض للأول لأنها لا تزيد في
القدوة على الحجارة إلا بعد أن تساويها وإنما تزيد عليها بعد المساواة • • وخامسها أن
تكون أو بمعنى الواو كقوله (أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم) معناه وبيوت
آبائكم • • قل جرير

نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ^(١)

(١) قوله نال الخلافة الخ • • هو من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله
تعالى • • ويروي جاء الخلافة وأنى الخلافة وفي ديوانه نال الخلافة • • والبيت من شواهد
النصاء في باب الفاعل على توسط المفعول بين الفعل والفاعل جوازاً ومطلع القصيدة

وقال ثوبة بن الحرير

وَقَدْ زَعَمْتُ لَيْلِي بِأَنِّي فَاجِرٌ
لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فَجُورُهَا^(١)

لجت امانة في لومي وما علمت
وقال العبيد وأولها قوله

كم بالجماعة من شعثاء أرملة
ومن ينهم ضعيف الصوت والنظر
وهذا غلط لان البيت قبله أنا عشر بيتاً ومنها

إننا لنرجو اذا ما القيت أخلفنا
من الخليفة ما نرجو من المطر
.. ومنها

أصبحت للمنبر المعمور مجله
زينا وزين قباب الملك والحجر
(١) هو من قطعة أولها

حامة بطون الواديين ترنمي
سقاك من الغر الغواصي مطيرها
أبقي لنا لا زال ربسك ناعماً
ولا زلت في خضراء غصن نصيرها
وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت
وقد رايت منها صدود رأيت
وأشرف بالفور اليفاع لعلني
وقد رايت منها صدود رأيت
يقول رجال لا يضيرك نأبها
أرى نار ليلى أو يراني بصيرها
بلى كل ماشف النفوس بصيرها
بلى قد يصير العين أن تكثر البكى
ويمنع منها نومها وسرورها
وقد زعمت ليلى بأني فاجر
لنفسى تقاها أو عليها فجورها

يروى ان ليلى الأخيالية لما أنشدت الحجاج هذه الأبيات قال لها ما الذى رآه من سفورك فقالت أيها الأمير كان يلم بي كثيراً فأرسل الى "يوماً إلى آتيك وقطن الحلي فأرصدوا له فلما أنأتى سفرت عن وجهي فلم أن ذلك كسر فلم يزد على التسليم والرجوع فقال لله درك فهل رأيت منه شيئاً تكريهته فقالت لا والذي أسأله أن يصلحك غير انه قال مرة قولاً ظننت انه قد خضع لبعض الأمر فألشأت أقول

وقال جرير أيضاً

أَتَعْلَبَةُ الْفَوَارِسِ أَمْ رِيحاً عَدَلَتْ بِهِمْ طُيْهَ وَالْخَشَابُ (١)

أراد أو ريحاً .. وقال آخر

فَلَوْ أَنَّ الْبُكَاءَ يَرُدُّ مَيْتاً بَسَكَيْتُ عَلَى بُجَيْرٍ أَوْ عَفَاقٍ

عَلَى الْمَرَأَيْنِ إِذْ هَلَكَا جَمِيعاً لَشَأْنُهُمَا بِشَجْوٍ وَأَشْتِيَاقٍ

أراد على بُجَيْرٍ وعَفَاق .. وحكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطمع عليه بأن قال ليس شيء أعلم أشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشبه قلوبهم الزيادة عليها وإنما يصح ذلك في قولهم أطمعتك نمرأ أو أحلامه لأنه لا أحلام منه معلوم واختار

وذى حاجة قلنا له لا نبح بها فليس إليها ما حيت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى فارغ وخلييل

فلا والله الذي أسأله أن يصاحك مارأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بيني وبينه

(١) قوله - أتعلبة - أراد بها القبيلة وهي ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان .. وفي أسد بن خزيمه ثعلبة أيضاً وهي ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه .. وقوله - أم ريحاً - بكسر الراء وبالياء آخر الحروف وهي أيضاً قبيلة وهي رباح بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .. وفي قضاة أيضاً رباح بطن وهو ابن عوف ابن عميرة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حزم بن أبان بن إحلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاة .. وفي سلم أيضاً وهي رباح بن بقطه بن عصية بن خفاف ابن امرئ القيس بن هبته بن سالم .. وقوله - طوية - بضم الطاء وفتح الهاء وتشديد الياء آخر الحروف وفي آخره هاء وهي حى من بنى تميم يقال لهم بنو طوية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .. وقوله - والخشاب - بكسر الخاء المعجمة وبالشين المعجمة وبمد الألف باء موحدة وهي أيضاً قبيلة .. قال الجوهري وبنو رزام بن مالك بن حنظلة يقال لهم الخشاب ثم أنشد البيت المذكور

المفضل الوجه الذى يتضمن أن أو بمعنى بل وهذا الذى طعن به المفضل ليس بشئ
لأنهم وإن لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشد قسوة من الحجارة فصوره قسوة الحجارة
معلومة لهم وبصح أن يتصوروا ما هو أشد قسوة منها وما له عليها فضل لأن قدرأ ما اذا
صرف جاز أن يعرف ما هو أزيد منه أو أنقص لان الزيادة والنقصان إنما يضاقان الى
معلوم معروف هل ان الآية خرجت محرج اذلى وأراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة
فى القسوة هل الحجارة إنما قد انتهت الى حد لا تلبس معه للتغير هل وجه من الوجوه
وان كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها
تخيلاً وتشبيهاً وقول المفضل ليس يعرفون ما هو أقوى من الحجارة لانهى له اذا كان
القول على طريق المثل . . . وبعد فان الذى طعن به على هذا الجواب يمرض على الوجه
الذى اختاره لانه اذا اختار أن أو فى الآية بمعنى بل فكيف جاز بان يخبرهم بان قلوبهم
أشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو أقوى من الحجارة واذا جاز أن يقول
لهم بل قلوبهم أقوى مما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول
قلوبهم كالْحجارة التى يعرفون فى القوة وهى مع ذلك تزيد عليها . . . فان قيل كيف
يكون أو فى الآية بمعنى الواو والواو لا جمع وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالْحجارة أو أشد
من الحجارة فى حالة واحدة لان الشئ اذا كان على صفة لم يجوز أن يكون على خلافها
. . . قلنا قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بان قال ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالْحجارة
فى حالٍ وأشد من الحجارة فى حالٍ أخرى فيصح المعنى ولا يتناقض وهذا قريب ويكون
فائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء فى بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن تصور
الحق والفكرة فيه ربما لانت بعض الذين وفى حالٍ أخرى تكون فى نهاية البعد عن
الحق وكادت تفضى الى الحق فتكون فى هذا الحال كالْحجارة التى ربما لانت وفى حالٍ
أخرى ربما تكون فى نهاية البعد عن الحق والتفوق منه فتكون فى هذا الحال أشد
قسوة من الحجارة على انه يمكن فى الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر وقد تقدم
معضا فى بعض كلامنا وهو ان قلوبهم لا تكون أشد من الحجارة إلا بعد أن يكون فيها
قسوة الحجارة لأن القتال اذا قال فلان أعلم من فلان فقد أخبر أنه زائد عليه فى العلم

الذي اشترك فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس هنا تناف على ما ظن المعتز
ولا اثبات لصفة ونفها لكل هذا بين محمد الله تعالى .. [قال المرتضى] رضى الله عنه
وإلى لا تسبح من الشعر قول الأخوم بن محمد الأنصاري

وَمَوْلَى سَخِيفِ الرَّأْيِ رَخْوٌ تَزِيدُهُ أَنَا نِي وَعَفْوِي جَهْلُهُ عِنْدَهُ ذَمًّا^(١)
وَصَلْتُ وَلَوْ عَيْزَتُهُ لَأَصْبَتْهُ بِشَنَاءِ بَاقِي عَارُهَا يَفْرَأُ الْعَظْمَا
طَوَى حَسَدًا ضَغْنًا عَلَى كَأَنَّمَا أَدَاوِي بِهِ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ كَلَّمَا
وَيَجْهَلُ أَحْيَانًا فَلَا يَسْتَحْفِئُنِي وَلَا أَجْهَلُ النَّبِيِّ إِذَا رَاجَعَ الْحِلْمَا
يَصِدُّ وَيَنَائِي فِي الرَّخَاءِ بِوَدِّهِ وَيَدْعُو وَيَدْعُو نِي إِذَا خَشِيَ الرِّضْمَا
فَيَفْرِجُ عَنْهُ إِذْ بَةِ الْخُصْمِ مَشْهَدِي وَأَذْفَعُ عَنْهُ عِنْدَ عَثَرَتِهِ الظُّلْمَا

— الاربعة — الدهاء والاربة العقدة وكلا المعنيين يحمّل لفظ البيت

وَكُنْتُ أَمْرًا عَوْدَ الْفِعَالِ تَهْزُنِي مَا تَرُ جَدِّ تَالِدٍ لِمَ يَسْكُنُ زَعْمَا
وَكُنْتُ وَشْتَنِي فِي أَرْوَمَةِ مَا لَكَ يَسْبِي لَهُ كَالْكَلْبِ إِذْ يَنْبِجُ النُّجْمَا
وَلَسْتُ بِأَلَايَ سَيِّدًا سَادَ مَا لَكَ فَتَنْسِيهِ إِلَّا أَبَا لِي أَوْعَمَا
سَتَعْلَمُ إِنِّ عَادَيْتَنِي فَفَقَعَ قَرْقَرٌ أَمَالًا أَفَذْتُ لَا أَبَاكَ أَوْعَدَمَا^(٢)

(١) — المولى — القريب كابن الم ونحوه والواو فيه واو رب أى رب مولى سخييف
الرأى أى ضعيفه — والاناة — الحلم والوقار .. المعنى أن اناني وعفوى يزيدانه من
ذمى عنده

(٢) — الفقع — البيضاء من الكأوة وهي منصوبة على الذم — والقرقرة — الأرض المطمئنة
.. وهذا مأخوذ من قولهم أذل من فقع بقرقر لانه لا يمتنع على من اجتناه وبغال لانه

لَقَدْ أَبْقَيْتِ الْيَوْمَ مِنْهَا وَجَرَ سَهَا لَا عَذَابَ ثَانٍ لَكُمْ وَلَا حُسَادٍ نَارَهَا
وَكَانَتْ عُرُوقُ السُّومِ أَوْذَتْ وَقَصُرَتْ بِهِ أَنْ يَنَالَ الْحَمْدَ فَالْتَمَسَ الذَّمَّ

ومن مختار شعره

إِنِّي إِذَا خَفِيَ الرَّجَالُ رَأَيْتَنِي كَالْتَّمَسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ
مَا مِنْ مُصِيبَةٍ نَسَكَبَتْ أَمْنِي بِهَا إِلَّا تَشَرَّفَنِي وَتُعَظِّمُ شَانِي
وَتَزُولُ حِينَ تَزُولُ عَنْ مُتَحَمِّطٍ تَخْفَى بِوَادِرِهِ لَدَى الْأَقْرَانِ

ومن جيد شعره

خَلِيلَانِ بَاخَا بِالْهَوَى فَتَشَاحَنَتَا أَقَارِبُهُمَا فِي وَصْلِهَا وَأَقَارِبُهُ
أَلَا إِنَّ أُمُومَى النَّاسِ قُرْبُ أَوْ رُومَى وَرَبِحًا إِذَا مَا لِلَّيْلِ غَارَتْ كَوَاكِبُهُ
ضَجِيعٌ دَنَا مِنِّي جَذَلْتُ بِهَرَابِهِ قَبَاتٌ يُمْنِي وَبِتْ أَعَابَتُهُ
وَأُخْبِرُهُ بِالسِّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَأَنْ لَيْسَ شَيْءٌ عِنْدَ نَفْسِي يَقَارِبُهُ

وقد غبّر في وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس حيث يقول

يوطأ بالأرجل والجمع فقعة مثله جبّ وجبّاء ويقال حمام فقيع اذا كان أبيض ويشبه
الرجل الذليل بالقعق فيقال هو ققع قرقر لان الدواب تنجسه بأرجلها .. قال النابغة
يهجو النعمان بن المنذر

حدثوني بني الشقيقة ماء .. ننع فقعا بقرقر أن يزولا

لان الققعة لا أصول لها ولا أغصان ويقال فلان فقعة لقاع كما يقال في مولد الأمثال
لمن كان كذلك هو كشوث الشجر لان الكشوث نبت يتعاقب بأغصان الشجر من غير
أن يشرب بعرق في الأرض قال الشاعر

هو الكشوث فلا أمل ولا ورق ولا نسيم ولا ظله ولا ثمر

نَقُولُ وَقَدْ جَرَدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَمَا رُغِتَ مَسْكُوحًا مِنَ الْعَيْنِ أَتْلُمَا
وَجَدَكَ لَوْ شِئْنَا أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَحْذَ عَنْكَ مَذْفَا
فَتِنَا نَذُودُ الْوَحْشَ عَنَا كَأَنَّا قَتِيلَانِ لَمْ نَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَضْرَعَا
إِذَا أَخَذَتْهَا هَزَّةُ الرُّوعِ أَمْسَكَتْ بِمَنْسَكِبٍ مَقْدَامٍ عَلَى الْهَوْلِ أَرْوَعَا

وقال علي بن الجهم في وصفه شدة الالتزام

سَقَى اللَّهُ لَيْلًا ضَمْنَا بَعْدَ هَجْمَةٍ وَأَذْنِي فَوَادًا مِنْ فَوَادٍ مُعَذِّبِ
فَتِنَا جَمِيعًا لَوْ تَرَأَى زُجَاجَةٌ مِنَ الرَّاحِ فِيمَا يَتَنَنَا لَمْ تُسَرِّبِ

ولعبه الصمد بن المعدل في هذا المعنى

كَأَنِّي عَانَقْتُ رِيحَانَةً تَنَفَّسَتْ فِي لَيْلِهَا الْبَارِدِ
فَلَوْ تَرَانَا فِي قَيْصِ الدَّجَا حَسِبْنَا فِي جَسَدٍ وَاحِدِ

ولبشار

إِنِّي اشْتَمَيْتُ لِقَاءَكَ وَاللَّسَّ فَمَاذَا عَلَيْكَ أَنْ تَلْقَانِي
قَدْ تَلَفْتُ الرِّيحَ غُصْنًا مِنَ الْبَسِيسَانِ إِلَى مِثْلِهِ فَيَلْتَقِيَانِ

ومثله للبحري

وَلَمْ أَنَسْ لَيْلَتَنَا فِي الْعِدِّ سَاقِ لَفِّ الصَّبَا بِقَضِيبٍ قَضِيبَا
كَمَا أَقْبَلَتْ الرِّيحُ فِي مَرِّهَا فَطَوَّرَا خَفُونًا وَطَوَّرَا هُبُوبَا

ولآخر في مثل هذا المعنى ولعلنا ندرى أنه سبق للبحري أو تأخر عنه

وَصَمَّ لَا يَنْهِنُهُ أَعْتِنَا كَمَا لَفَّ الْقَضِيبُ عَلَى الْقَضِيبِ

ولعل بن الجهم

وَبَشْنَا عَلَى رَغَمِ الْحَسُودِ كَأَنَّا خَلِيطَانِ مِنْ مَاءِ الْغَامَةِ وَالْخَمِي

وهذا وإن جملة في العناق فهو مأخوذ من قول بشار

وإن تلتني خلف العيون كأننا سلاف عقارٍ بالنقاخ مشوب

والأصل في هذا قول الأخطل والناس من بعده على أثره .

من الجاريات الحور مطلب سرها كبيض الأنوق المستكنة في الوكر

ولاني وإياها إذا مالتبها لكالماء من صوب الغمامة والخمر

وقد أخذه أيضاً ابن أبي عينة فقال

ما أنس لا أنس إنماها معطمة على فوادي ويسراها على راسي

وقولها ليتة توبا على جسدي أوليتني كنت سربالاً لعباس

أوليتة كان لي خمراً وكنت له من ماء مزني فكنتا الذهب في كاس

ومثل هذا لا يجدري

وجذت نفسك من نفسي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح

ولقد أحسن بشار في قوله

لقد كان ما بيني زماناً وبينها كما كان بين المسك والعنبر الورد

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العناء قال

حدثني القتيبي عن أبيه قال سیر الوليد بن عبد الملك ^(١) الأحوص الى دهلك فكتب

(١) قوله سیر الوليد بن عبد الملك الأحوص الخ . المشهور ان الذي نفاه سليمان

ابن عبد الملك وسبب ذلك ان الأحوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل

المدينة ويتخفى في شعره ومالك ويشيع ذلك في الناس فسمي فلم ينته فشكى الى عامله

سليمان بن عبد الملك على المدينة وسأوه الككتاب فيه اليه ففعل ذلك فكتب سليمان الي

عامله يأمره أن يضربه مائة سوط ويقيم على اللبس للناس ثم يصيره الى دهلك ففعل

ذلك به فتوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكتب

الأحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف

وَكَيْفَ تَرَى لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَذَّةً وَخَالِكَ أُمِّي مُوْتَعًا فِي الْحَبَائِلِ
فَمَنْ يَكُ أُمِّي سَائِلًا عَنْ شِمَانَةٍ لَيْشِمَتَ بِي أَوْشًا مَتَاغِيرَ سَائِلِ
فَقَدْ عَجِمْتَ مِنِّي الْحَوَادِثَ مَا جَدَا صَبُورًا عَلَى غَمَاءِ تِلْكَ الْبَلَائِلِ
إِذَا سُرْتُ لَمْ يَفْرَحْ وَلَيْسَ لِنَكْبَةٍ أَلَمْتُ بِهِ بِالْخَاشِعِ الْمُتَضَائِلِ

فبعث عمر بن عبد العزيز الى عمارك بن مالك الذي كان شهد عليه فقال ما ترى في هذا

اليه يتأذنه في التقدم ويمدحه فأبى أن يأذن له وكتب لها كتب اليه به

أيارا كبا إما عرضت قبلهن هديت أمير المؤمنين رسائل

وقل لا بى حفص اذا مالقته لقد كنت نقاعاً قليل العوائل

وكيف نرى للعيش طيباً ولذة وخالك أُمسى موْتَعًا فِي الْحَبَائِلِ

ثم ان رجالا من الأنصار كلموا فيه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال لهم فمن الذى يقول

فا هو إلا أن رآها فجاءه فأبى حق ما أكاد يجيب

قالوا الأحوص والصحيح ان هذا البيت لعروة بن حزام .. قال فن الذى يقول

أدور ولولا ان أرى أم جعفر بأبياتكم مادرت حيث أدور

وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى اذا لم يزر لا بد أن سبوزور

قالوا الأحوص .. قال فن الذى يقول

كأن لبنى صبير غادية أودمية زينت بها البيع

الله بينى وبين قبتم يفر منى بها وأنبع

قال بل الله بين قبتم وبينه .. فن الذى يقول

سبق لماني مضمحل القلب والحشى سريرة حب يوم تبلى السرائر

قالوا الأحوص قال ان الفاسق عنها يومئذ لمشغول والله لا أردده ما كان لي سلطان

(٢٠ - أمالي - لث)

البانس فقال هراك مكانه خير له فتركه في موضعه فلما ولي يزيد بن عبد الملك جلب
الأحوص وسير هراكا ٥٥ [قال المرتضى] رضى الله عنه وأما كان الأحوص خال
عمر بن عبد العزيز من جهة أم عمر هي أم ماسم بنت ماسم بن عمر بن الخطاب
وأما أنصارية ٥٥ فأما قوله - إذا سر لم يفرح - فأخوذ من قول لقيط بن زرارة
لَا مَتَرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ وَلَيْسَ إِنْ عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعًا^(١)
٥٥ وللأحوص

وَيَبْطِنُ مَكَّةَ لَا أَبُوحُ بِهِ قُرْشِيَّةٌ غَلَبَتْ عَلَى قَلْبِي
لَوْ أَنَّهَا إِذْ مَرَّ مَرْكَبُهَا يَوْمَ الْكَدِيدِ أَطَاعَنِي صَغِي
قُلْنَا لَهَا حَيِّتٍ مِنْ شَجَنِ وَلِرَّكِبِهَا حَيِّتٍ مِنْ رَكَبِ

(١) البيت من قصيدته المشهورة التي أُنذِر بها قومه غزو كسرى لإياهم وكان لقيط
كاتباً في ديوان كسرى فلما رآه مجمعاً على غزو إياد كتب إليهم بهذا الشعر فوقع الكتاب
في يد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إياداً ومطلعها

يأدار حمرة من محنتها الجرحا هاجت لي الهم والاحزان والوجعا
نأمت فوهادى بذات الجنع خرعبة مَرَّتْ تُرِيدُ بِذَاتِ الْعَذْبَةِ الْبَيْعَا
بِغُلَسَقِي خَاذِلْ أَدْمَاءَ طَاعِهَا نَبَتِ الرِّيَاضُ تُرْجِي وَسَطَهُ دُرُومَا

٥٥ ومنها

وقلدوا أمركم لله دركم رَحِبَ الْفِرَاعُ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُطْلِعَا
لَا مَتَرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا
لَا يَطْمُ النُّوْمُ إِلَّا رَيْثَ بَيْعَتِهِ هُمْ يَكَادُ سَنَاءُ يَقْصِمُ الضَّلْعَا
مَسْهَدُ النُّوْمِ تَعْلِيهِ أُمُورَكُمْ يَرُومُ مِنْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطْلِعَا
مَا نَفَكُ بِحَلَابِ هَذَا الدَّمْرِ أَشْطَرُهُ يَكُونُ مُتَبَعًا طَوْرًا وَمُتَبَا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرِّ مَهْرَتِهِ مُسْتَعْلِمًا الرَّأْيَ لِأَقْصَا وَلَا ضَرْطَا

قبل فأى فائدة في أن بأسرهم بأن يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين وهو عالم
 أنهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به... قلنا لمن ذهب إلى الأصل الذي ذكرناه أن
 يقول لا يمتنع أن يكون الغرض في ذلك هو أن يكشف باقراهم وامتناعهم من الإخبار
 بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استثنائه بعلم الغيب وانفراد بالاطلاع على وجوه المصالح
 في الدين... فان قيل فمنا يرجع إلى الجواب الذي تذكرونه من بعده... قلنا هو وان
 رجع إلى هذا المعنى فينبغي لفرق من حيث كان هذا الجواب على تسليم أن الآية
 تضمنت الأمر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني لأنهم في أن القول أمر على
 الحقيقة فمن هنا افتراق... والوجه الثاني أن يكون الأمر وإن كان ظاهره أمر فغير
 أمر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد ورد بصورة الأمر
 ما ليس بأمر والقرآن والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب أن الله
 تعالى قال للملائكة (إني جادل في الأرض خليفة قالوا اتبعوه فيها من يفسد فيها
 ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم إني أعلم ما لا تعلمون) أي
 إني مطلع من مصالحكم وما هو أنفع لكم من دينكم على ما لا تعلمون عليه ثم أراد
 التنبيه على أنه لا يمتنع أن يكون غير الملائكة مع أنها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصى
 أولى بالاستخلاف في الأرض وإن كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم تعالى آدم
 عليه الصلاة والسلام أسماء جميع الأجناس أو أكثرها وقيل أسماء النبي محمد صلى الله
 عليه وآله والأئمة من ولده وسلم وقيل أحاديث مروية ثم قال تعالى للملائكة أنبؤوني بأسماء
 هؤلاء مقرراً لهم ومنبهاً على ما ذكرناه ودالا على اختصاص آدم عليه الصلاة والسلام
 بما لم يخصوا به فلما أجابوا بالاعتراف والتسليم إليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال تعالى
 (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)
 منبهاً على أنه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح في الدين وإن الواجب على غير مكلف أن يعلم
 لأمره تعالى ويعلم أنه لا يختار لعباده إلا ما هو أصابح لهم في دينهم علموا وجه ذلك أم
 جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى (إن كنتم صادقين) محمولا على كونهم
 صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو في ظنهم أنهم يقومون بما يقوم به هذا

الخطيئة ويكلمون له ولولا ان الأمر على ما ذكرناه وان القول لا يقتضى التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) معنى لان التكليف الأول بتغير حاله بان يخبرهم آدم عليه الصلاة والسلام بالأسماء ولا يكون قوله تعالى (إني أعلم غيب السموات) الى آخر الآية الا مطابقاً لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنه تعالى قال اذا كنتم لا تعلمون هذه الأسماء فانتم عن علم الغيب أعجز وبان تسلموا الأمر لمن يعلمه ويدير أمركم بحسبه أولى . . فان قيل كيف علمت الملائكة بأن في ذرية آدم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وان كانت غير عالمة فكيف يجوز أن تخبر عنه بغير علم . . قلنا قد قيل انها لم تخبر وانما استنصت فكأنها قالت متعرفة أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل أيضاً ان الله تعالى أخبرها بأنه سيكون من ذرية هذا المستخفاف من يعصى ويفسد في الأرض ففقت على وجه التعرف لما في هذا التدبير من المصاحبة والاستفادة لوجه الحكمة فيه أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الأخير يقتضى أن يكون في أول الكلام حذف ويكون التقدير (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) وإني أعلم أن سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكفى عن إيراد هذا الحذف بقوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) لان ذلك دلالة على الأول وانما حذفه اختصاراً وفي جملة جميع الكلام اختصار شديد لانه تعالى لما حكي عنهم قوطم (أتجعل فيها من يفسد فيها) الآية كان في ضمن هذا الكلام فحعن على ما نلناه وما يظن لنا من الأمر أولى بذلك لانا نطبع وغيرنا يعصى وقوله تعالى (إني أعلم ما لا تعلمون) يتضمن إني أعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفاً لما تظنون على ظواهر الأمور وفي القرآن من الحذوف العجيبة والاختصارات النصيحة ما لا يوجد في شيء من الكلام فن ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام والناجي من صاحبيه في السجن رؤيا الملك البقر السمان والمعاف أنا أنبئكم بتأويله فارسلون يوسف أيها الصديق افتنا ولو بسط الكلام فأورد محذوله لقال أنا أنبئكم بتأويله فارسلون فعملوا فأتى يوسف فقال له

يا يوسف أيها الصديق ومثله قوله في الأتعام (قل إني أُمِرتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ
أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أي وقيل لي ولا تكونن من المشركين وكذلك قوله
تعالى في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام (وللسليمان الرِّيحُ غَدُوها شهر ورواحها شهر)
إلى قوله تعالى (اعملوا آل داود شكرًا) أي وقيل لهم (اعملوا آل داود شكرًا)
.. وقال جرير

وَرَدَّوْهُمْ عَلَى قَيْسٍ بِجُورٍ مُجَاشِعٍ فَنَوَّوْهُمْ عَلَى سَاقٍ بَطِيءٍ جَبُورُهَا

أراد فنوهم على ساق مكسورة بطيء جبورها كأنه لما كان في قوله بطيء جبورها دليله
على الكسر اقتصر عليه .. وقال عنزة

هَلْ تُبْلِغُنِي دَارَهَا شَدَنِئَةً لَعْنَتُ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرَّمٍ

يعني ناقته .. ومعنى - لعنت - دعاء عليها بإقطاع لبها وجفاف ضرعها فصارت كذلك
والناقاة إذا كانت لا تنتج كان أقوى لها على السير .. قال تأبط شراً وپروي لاشترى
فَلَا تَذْفِنُونِي إِنْ دَفَنِي مُعَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أُمِّ عَامِرِي^(١)

(١) - خامري أم عامر - مثل وأم عامر وأم عمرو وأم عويمر الضبيع يشبه بها
الأحق وپروي عن علي رضي الله عنه أنه قال لا أكون مثل الضبيع تسمع الدم فتبرز
طمعاً في الحية حق تصاد وهي كما زعموا من أحق الدواب لأنهم إذا أرادوا صيدها
رموا في جحرها بحجر فتعصبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ويقال
لها ابشري بجراد عظام، وكرر رجال فلا يزال يقال لها حتى يدخل عليها رجل فيربط
يديها ووجليها ثم يجرها والجراد العظام الذي ركب بعضها بعضاً كثرة وأصل العظام
سفاد السباع .. وقوله وكرر رجال يزعمون أن الضبيع إذا وجدت قتيلاً فقد انتفخ جردانه
ألفته على قتله ثم ركبته .. قال العباس بن مرداس

ولومات منهم من جرحاً لأصبحت ضباع بأهل الرقتين هرائنا

وبعد البيت

لأنه أراد فلا تذفوني بل دعوني تأكلني التي يقال لها خامري أم حامر وهي الضبع
 .. وقال أوس بن حجر

حَتَّى إِذَا السِّكْلَابُ قَالَ لَهَا كَالْيَوْمِ مَطْلُوبٌ وَلَا طَلَبًا

أراد لم أراك اليوم لحذف .. وقال أبو دوداد الأيادي

إِنْ مِنْ شَيْئِي لَبَذِلْ تِلَادِي دُونَ عِرْضِي فَإِنْ رَضِيتْ فَكُونِي

أراد فكوني مني على ما أنا عليه وإن سخطت فبيني لحذف هذا كله .. ولا آخر

إِذَا قِيلَ سِيرُوا إِنْ لَيْلَى لَعَلْنَا جَرَى دُونَ لَيْلَى مَا لَيْلُ الْقَرْنِ أَعْصَبَ

أراد لعلها قربت وهذا باب يتسع وهو أكثر من أن يحيط به قول .. والحذف غير

الاختصار وقوم يظنون أنهما واحد وليس كذلك لأن الحذف يتعلق بالألفاظ وهو

أن يأتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الوجود دلالة على

المحذوف فيقتصر عليه طلباً للاختصار والاختصار يرجع إلى المعاني وهو أن يأتي بلفظ

مفيد لمان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ فلا حذف إلا

وهو اختصار وليس كل اختصار حذفاً .. فقال الحذف قوله ولكن خامري أم حامر

ونظائره مما أشدناه لأن القول غير مستغن بنفسه بل يقتضي كلاماً آخر غير أنه لما كان

فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله .. ومثال الاختصار الذي ليس بحذف قول الشاعر

أَوْلَادُ جَنَّةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ (١)

إذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى ثم سارنى

هناك لا أرجو حياة تسرنى سجين الليالي بسلا بالجرائر

(١) قوله - قبر ابن مارية - الخ .. قال أبو عبيدة هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن

همسر بن جفنة وقال ابن الكلبي مثله قول أبي عبيدة ثم قال وقالت كندة جعاه هي

مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة وقال القاضي بنت ظالم

ابن وهب بن الحارث وقال ابن السكيت هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة .. والبيت من قصيدة

أراد أنهم أعزاه مقيمون بدار ملكتهم لا يتجهون كالأعراب فاختصر هذا المبسوط كله في قوله حول قبر أبيهم .. ومثله قول عدي بن زيد

عالمٌ بالذي يريدُ نقي الصِّـبـرِ عَفٌّ على حَتَاهُ نَحُورُ^(١)

وفي معنى الاختصار قول أوس بن حجر

وَفَتَيَانِ صَدَقَ لَا نَحْمُ لِحَامَهُمْ إِذَا شَبَّهَ النَّجْمُ الصَّوَارَ النَّوَارِ

فقوله - لا نحّم لحامهم - لفظ مختصر لوبسط لقال أنهم لا يدخرون اللحم ولا يستبدونه فيحّم بل يطعمونه الأضياف والعاراق .. ومعنى قوله - إذا شبه النجم الصوار النوار - يعني في شدة البرد وقلب الشتاء لأن الثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كأنها صوار متفرق وهذا أيضاً أكثر من أن يحصى وإنما فضله الكلام الفصيح بعينه على بعض لقوة حفظه من إفادة المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة .. فأما قوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة) بعد ذكر الأسماء التي لا تليق بها هذه الكناية فللإيراد به عرض المسميات لأن الكناية لا تليق بالأسماء ولا بد من أن تكون تلك المسميات أو فيها ما يجوز أن يكنى عنه بهذه

حسان رضي الله عنه المشهورة التي مدح بها آل جفنة ومطلمها

أَسَأَلْتُ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلْ	بين الجوابي فالبيض خومل
وَمِنْهَا لَهَّ أَدْرَ عَصَابَةِ نَادِمَتِهِمْ	بوماً يَجَلِّقُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
وَمِنْهَا يَفْشَوْنَ بِحَقِّ مَا نَهَرَ كَلَامَهُمْ	لَا يَأْتُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ	يَرْدِي يَصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ
بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيْمَةِ أَحْبَابِهِمْ	نَمِ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
وَمِنْهَا وَلَقَدْ شَرِبْتَ الْخَمْرَ فِي حَانُوتِهَا	صَبَاءٌ صَالِيَةٌ كَطَمِ الْفَلَقْلِ
يَسِي عَلَى بَكَاسِهَا مَتَعَطَفٌ	فِيَعْلَقُ مِنْهَا وَلَوْ لَمْ أَهْلُ
إِنِّ الَّتِي نَاولْتَنِي فَرَدْتَنِي	قَتَلْتُ قَتَلْتُ فِهَانَهَا لَمْ تَقْتُلْ
كَلَامُهَا حَلَبُ الْعَصِيرِ فَعَاظَنِي	بِرَجَاجَةِ أَرْخَاهَا لِلْمَفْصَلِ

(١) - هكذا في الأصول التي بأيدينا ولم نقف عليه

الكناية لانها لا تستعمل إلا في العقلاء وما يجري مجراهم .. وقيل ان في قراءة أبي
ثم عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضها وعلى هاتين القراءتين يصلح أن
تكون عبارة عن الأسماء .. وقد يبقى في هذه الآية سؤال لم نجد أحداً ممن تكلم في تفسير
القرآن ولا في منشاؤه ومشكله تعرض له وهو من مهم ما سأل عنه .. وذلك أن يقال من
أين علمت الملائكة عليها السلام لما أخبرها آدم عليه الصلاة والسلام بتلك الأسماء صحة قوله
ومطابقة الأسماء للمسميات وهي لم تكن طائفة بذلك من قبله اذ لو كانت طائفة لأخبرت
بالأسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضيه لانهم لما أنبأهم آدم عليه الصلاة والسلام
علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لتوهمه تعالى (ألم أقل لكم إني أعلم
غيب السموات والأرض) معنى ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه
بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون غيره .. الجواب انه غير ممنوع أن
تكون الملائكة عليها السلام في الأول غير عارفين بتلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه
السلام بها فعله الله لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات لها أما عن
طريق أو ابتداء بلا طريق فعلوا بذلك تمييزه واختصاصه وليس لأحد أن يقول ان
ذلك يؤدي الى انهم علموا نبوته اضطراراً وفي هذا منافاة لطريق التكليف وذلك
انه ليس في علمهم بصحة ما أخبر به ضرورة ما يقتضي العلم بالنبوة ضرورة بل بعينه
درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى أن يخبر أحداً نبي بما
فعل على سبيل التفصيل على وجه تجري به العادة وهو وان كان طاملاً بصدق خبره ضرورة
لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته
لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب .. ووجه آخر وهو انه لا يتنع أن يكون للملائكة
لغات مختلفة لكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لفته دون لغة غيره إلا أن يكون
احاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما أراد تعالى التنبيه
على نبوة آدم عليه السلام علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق
مطابقة ما أخبر به من الأسماء للفته وهذا لا يحتاج فيه الى الرجوع الى غيره وعلم مطابقة
ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا بشيء

يجري هذا الجري علم صحة مخبرهم وإذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة غيره ما علمته من لفته وهذا الجواب يقتضى أن يكون قوله تعالى (أنبؤني بأسماء هؤلاء) أي ليخبرني كل قبيل منكم جميع الأسماء وهذا الجوابان جميعاً مبنيان على أن آدم عليه السلام لم يتقدم لهم العلم بنبوته وأن إخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته لأنه لو كان نبياً قبل ذلك وكانوا قد علموا بتقدم ظهور معجزاته على يده لم يحتج إلى هذين الجوابين معاً لأنهم يعلمون إذا كان الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن لم يعلموا ذلك بقوله الذي قد آمنوا به فيه غير الصدق وهذا لمن تأمله بين بحمد الله . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه رأيت قوماً ممن تكلم على معاني الشعر يذكرون في بيت حسان بن ثابت

لَمْ تَفْتَحْ شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ بِدُومٍ ^(١)

إن المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنّها فكانه قال - لم تفتح شمس النهار بشيء - أنها كبيرة طاعنة في السن وعذرها في ذلك أن الشباب ليس بدوم لأنثالها وهذا الذي

(١) البيت من قصيدته التي قالها بعد وقعة أحد يروي أنه دعا قومه ليلا فقال

لَمْ تَحْتَبِ أَنْ يَدْرِكَنِي أَجَلٌ قَبْلَ أَنْ أَصْبِحَ فَلَا تَرَوْهَا عَنِّي وَمَطْلَعَهَا

ضَعِ التَّوَمَ بِالْمَسَامِ الْمَدُومِ وَخِيَالٌ إِذَا تَفُورَ النُّجُومِ

مَنْ حَبِيبٌ أَصَابَ قَلْبَكَ مِنْهُ سَقَمٌ فَهُوَ دَاخِلٌ مَكْتُومِ

يَا لِقَوْمِي هَلْ يَمُتِلُ الْمَرْءُ مِثْلِي وَاهِنَ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْومِ

هَمُّهَا الْمَطَرُ وَالْفَرَّاشُ وَبِهِ لَوْ يَدِبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ

لَمْ تَفْتَحْ شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ بِدُومِ

أَنْ خَالِي خَطِيبٌ جَابِيَةُ الْجُورِ لِأَنَّ عِنْدَ النُّعْمَانِ حِينٌ يَرُومِ

وَأَبَى فِي سَبِيحَةِ الْقَائِلِ الْفَا وَأَنَا الصَّقَرُ عَذَابُ ابْنِ سَلَمِ

سَلَّمَ يَوْمَ التَّنْفِثِ عَلَيْهِ الْخُصُومِ يَوْمَ نَعْمَانَ فِي الْكَبُولِ مَقِيمِ

ذكروه ليس بشيء والأشبه والأولى أن يكون مراد حنان أن شمس النهار لم تفتها
بشيء غير أن شبابهما لا يدوم ولا يد من أن ياحقها الهرم الذي لا يلبق الشمس ولم
يدر أنها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله

يَا قَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْنِ وَالْعِظَامِ سَوْوَمُ
شَأْنُهَا الْمِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَبَيْتُهَا لَوْهَا لُجَيْنٌ وَلَوْ لَوْ مَنْظُومُ
لَوْ يَدِبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ رِعَالِهَا لِأَنْدَبَتِهَا الْكَلُومُ^(١)

وهذه الأوصاف لا تليق لمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بثقلها إلا الصبيان
والأحداث ومن المعجائب أن هذا الاستخراج على ركائحه مسند إلى الأسمي وما
أولى من يكون نتيجة تغلفه ونمرة توصله مثل هذه النمرة بالاضراب عن استخراج
المعاني والبحث عنها . . . وما فسر أصحاب المعاني على وجهه وهو بغيره أشبه وأقله الأحوال
أن يكون معتدلاً للأمرين ولا يقتصر على أحدهما قول الخنساء

يَا صَخْرُ وَرَادَ مَا قَدْ تَنَازَرَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ

وَأَيُّ وَاقِدٍ أَطْلَقَا لِي	حِينَ رَحْنَا وَكَبَلْنَاهُمْ مَحْطُوم
وَرَهَتْ الْيَدَيْنِ عَنْهُنَّ جَمِيعاً	كُلَّ كَفٍّ فِيهَا جَزْءٌ مَقْسُوم
وَسَطَتْ نَسَبِي الذَّوَابِ مِنْهُنَّ	كُلَّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيم
رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا	لِ وَجْهٍ غَطَا عَلَيْهِ التَّعِيم
مَا بَالِي أُنَبِّئُ بِالْحَزَنِ نَيْسَ	أُمِّ الْحَنَانِ بَطْنِ غَيْبٍ لَيْسَ
تِلْكَ أَفْعَالُنَا وَقَدْ لَزِمَ بَعْدِي	خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُوم
وَلِي الْبَأْسُ مِنْهُمْ إِذْ حَضَرْنَاهُمْ	أُسْرَةً مِنْ ذُرَى قَصِي صَبِيم
نَسْمَةُ نَحْمَلُ اللَّوَاءَ وَطَارَتْ	فِي رِطَاحٍ مِنَ الْقَتَا مَخْزُوم

(١) يقول لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لأثر فيه وجرحه ولم يرد
بالحولي ما أتى عليه حول ولكن جعله في صفره كالحولي من ولد الحافر والخلف

لأنهم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك ورده مار ويظنون أنه متى لم يحمل على ذلك لم يكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش

لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرْءِ مَا يَلْمُ^(١)

وليس الأمر كما ظنوه لأنه محتمل أن يريد أنه لا عار في ورده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لأن البيت وإن تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الأمور العظيمة الصعاب التي من جعلها لإيراد الماء غلبة وقهراً فكأنها قالت أنك تورده ماء قد تناذره الناس وتركب أمراً صعباً قد نكل عنه الخلق ولك بذلك حظ الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لأنه ربما فعل الإنسان فعلاً يحوز به أكثر الحظ من الشجاعة وإن لحقه بعض العار من قطيعة رحم أو نكث عهد أو ما جرى ذلك المجرى

(١) قوله - ليس على طول الحياة - الخ .. قال الأصمعي أراد ليس على فوت طول الحياة ندم .. وقوله - ومن وراء المرء ما يلم - يقول من عمل شيئاً وجده ووراء هنا امام من الاضداد قال الله جل ذكره (ومن وراءه عذاب غليظ) وقال الشاعر

أبرجو بنو مروان سمي وطاعق وقومى تميم والفلاة وراثيا

أي امامي .. قال أبو عبيدة ومنه قول الله عز وجل (وكان وراءهم ملك) أي امامهم هذا قول أبي بكرمة .. وقال غيره ومن وراء المرء ما يعلم أي الهرم والكبر والضعف وكثرة العلة .. والبيت للمرقش الأكبر واسمه عوف بن سعد وهو عم الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد وهو من قصيدة مطلعها

هل بالديار أن نجيب صمم	لو كانت رسم ناطقاً كلام
الدار قفر والرسوم كما	رقت في نلهر الأديم قلم
ديار أسماء التي نبت	قلبي فعنق ماؤها يسبحم
أضحت خلاه نبتاً ثد	نور فيها زهوها فاعثم
بل هل شجنتك الظمن بأكرة	كأنهن النخل من ملهم
النشر منك والوجوه دنا	نير وأطراف البنان عنم

فكانت نكت عن فعله وجوه العار وليس يجري هذا مجرى قول المرقش - ليس على طول الحياة ندم - لأن البيت متى لم يحمل على أن المراد به ليس على قوت طول الحياة ندم لم يقد شيئاً وقد بينا فائدة قول الخلاء إذا كان المراد ما ذكرناه

﴿ مجلس آخر ٥٦ ﴾

[تأويل آية ٥٥] إن سأل سائل عن قوله تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أن يجعلنا من دون الرحمن) الآية ٥٥ الجواب قد ذكر في هذه الآية وجوه ٥٥ أولها أن يكون المعنى واسأل أتباع من أرسلنا قبلك من رسلنا ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير يريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير وأقاموا حاتم مقام السخاء المضاف إليه وقوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله) ومثله قول الشاعر لهم مجلس صهب السبال أذلة سواسية أحرارها وعبيدها^(١)

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي عليه الصلاة والسلام وهو في المعنى لأمته لأنه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج إلى السؤال لكنه خوطب بخطاب أمته كما قال تعالى (المر كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه) فأفرد الله تعالى بالمخاطبة ثم رجع إلى خطاب أمته فقال (اتبعوا ما أنزل إليكم) (فلا يكن في صدرك حرج) وفي موضع آخر (يا أيها الذين اتقوا الله) الآية فخطبه عليه الصلاة والسلام والمعنى لأمته لأنه بين بقوله تعالى (أن الله كان بما تعملون خبيراً) ٥٥ وقال تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) فوحد وجمع في موضع واحد وذلك للمعنى الذي ذكرناه

(١) أي لهم أهل مجلس - وصهب - جمع أصهب أي في سبابهم صبهة وهي حمرة أو شقرة في الشعر - والسبال - بالكسر جمع سبلة بالتحريك وهي الدائرة في وسط الشفة العليا أو ماعلى الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين أو ماعلى الذقن إلى طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة ويقال للأعدهاء صهب السبال - وأذلة - جمع ذليل - وسواسية - مستوون

إلى السراج المنير أحمد لا تمذلني رغبة ولا رهب
 عنه إلى غيره ولو رفع الناس إلى العيوب وارتقبوا
 لو قيل أفرطت بل قصدت ولو عفتي القاتلوت أو تلبوا
 لي بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج واللجب
 أنت المصطفى المحض المذهب في التشبيه إن أنص قومك النسب

فظاهر الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمقصود به أهل بيته عليهم الصلاة والسلام
 لأن أحداً من المسلمين لا يمنع من تفضيله عليه الصلاة والسلام والاطناب في وصف
 فضائله ومناقبه ولا يعنف في ذلك أحد وإنما أراد الكعب أن أكثر في أهل بيته
 وذريت عليهم الصلاة والسلام الضجاج واللجب والتفريع والتنصيف فوجه القول إليه
 عليه الصلاة والسلام والمراد غيره وبذلك وجه صحيح وهو أن المراد بوالانهم الانحياز
 إليهم والانعطاف إلى حبيبنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقصود بجميع
 ذلك جاز أن يخرج الكعب الكلام هذا المنخرج ويضعه هذا الموضع ٠٠ وقد قيل أن
 المراد باتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أمر بسلامتهم أهل الكتاب كعبد الله
 ابن سلام ونظرائه ولا يمنع على هذا الجواب أن يكون هو عليه الصلاة والسلام الأمور
 بالنسبة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وإن لم يكن شاكاً في ذلك ولا مرتاباً به
 ويكون الوجه فيه تقرير أهل الكتاب به وإقامة الحجة عليهم باعترافهم أو لأن بعض
 مشركي العرب أنكروا أن تكون كتب الله المتقدمة وأنبأوه الآتون بها دعوا إلى التوحيد
 فأمر عليه الصلاة والسلام بتقرير أهل الكتاب بذلك لتزول الشبهة عن اعترضه الشبهة
 ٠٠ والجواب الثاني أن يكون السؤال متوجهاً إليه عليه الصلاة والسلام خاصة دون أمته
 والمعنى إذا لقيت النبيين في السماء فأعلمهم عن ذلك لأن الرواية قد وردت بأنه عليه الصلاة
 والسلام لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وأمرهم ولا يكون أمره تعالى بالسؤال لأنه كان

شاكاً لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض المصالح الراجعة الى الدين إما
لشيء يخصه عليه الصلاة والسلام أو يتعلق ببعض الملائكة الذين يستمعون ما يجري بينه
وبين النبيين من سؤال وجواب .. والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو ان المعنى
واسأل من أرسلنا اليه قبلك رسلاً من رسلنا يعني أهل الكتاب وهذا الجواب وإن كان
يوافق في المعنى الجواب الأول فيبينهما خلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلهاذا صاروا
مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه خطأ في الاهراب لان لفظة اليه
لا يصح اضارها في مثل هذا الموضع لانهم لا يجوزون الذي جلست عبد الله على معنى
الذي جلست اليه عبد الله لان اليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضر فلما
كان القائل اذا قال الذي أكرمت إياه عبد الله ولم يجوز أن يضر إياه لانفصاله من الفعل
كانت لفظة اليه بمنزلة وكذلك لا يجوز الذي رغب محمد بمعنى الذي رغبته فيه محمد
لان الاضمار انما يحسن في الهاء المنطوقة بالفعل كقولهم الذي أكلت طعامك والذي لقبته
صديقك معناها الذي أكلته ولفظته ^(١) وقال القراء انما حذف الهاء لدلالة الذي عليها

(١) هذا الكلام يحتاج الى تبين لعدم إيضاح ما تضمنته والحاصل أن العائد
المنصوب يجوز حذفه ان كان متصلاً وناصبه فعل أو وصفاً غير صلة الألف واللام
فالفعل نحو يعلم ما يسرون وما يعلنون ويجوز في ما هنا أن تكون موصولاً حرفياً قيل
وشرط جواز حذف العائد المنصوب أن يكون متعيناً للربط كما مثل فلو كان غير متعين
لم يجوز حذفه نحو جاء الذي أكرمته في داره فان العائد أحدهما لا يبينه وفيه نظر عند
صاحب التوضيح وشرط الفعل أن يكون تاماً فلا يجوز جاء الذي كانه زيد على الأصح
ومثال الوصف قوله

عالمه مولىك فضل فاحمدنه فالذي غيره نفع ولا ضرر

بخلاف جاء الذي إياه أكرمت لانه منفصل وحذفه يوقع في الإساءة بالمتصل ومفوت لما
قصد به من التخصيص وانما حذف منفصلاً من قوله سبحانه وتعالى (وما رزقناهم
ينفقون) والأصل رزقناهم إياه لان تقديره متصلاً يلزم منه اتحاد الظميرين المتحديين

وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا ليس مما تقدم في شيء فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد ما تقدم

آخر الجزء الثالث من كتاب أمالي السيد المرتضى .. ويليها
الجزء الرابع وأوله تأويل خبر .. والحمد لله أولاً وآخراً
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الرتبة في ضميري الغيبة وهو قليل وبخلاف جاء الذي انه فاضل أو كأنه أسد لان اسم
ان وكأن المشدودين لا يحذف الا شذوذاً وبخلاف جاء في الضاريه زيد لان الوصف صلة
الألف واللام واسية أل خفية والضمير اذا كان مذكوراً يدل على اسميتها نصاً فإذا
حذف فأت هذا المعنى وهم بصدد التنصيص على اسميتها

اعلان

عن كتب جديدة تطلب

(من محل محمد أمين الخفاجي الكنبى وشركاءه بالأستانة - ومصر)



كتاب [الايمان والاسلام] لشيخ الاسلام نقي الدين أحمد بن نبيه الحنبلى

» [اقتضاء الصراط المستقيم] » » » » »

» [شرح فقه الاكبر] لابي منصور المازدي مع شرحه لابي المنتهى الغياوى

» [مواقع النجوم او مطالع أهلة الاسرار والعلوم] للشيخ الاكبر محيى الدين ابن العربى

» [المجموع فى الفلسفة والحكمة] للفارابى مع لصوص الكلام شرح لصوص الحكم

للسيد بدر الدين النصافى

» [المجموع] للفرايى يشتمل على فيصل التفرقة : ومشكاة الانوار : ورسالة له فى

التوحيد والاخلاق : ورسالة له فى الوعظ : وتجريد التوحيد لاخته أحمد الفزائى

» [تفسير غريب القرآن] المسمى بترجمة القلوب لابي بكر الدجستانى على شكل قاموس

» [فقه اللغة وسر العربية] للتحالفى (طبعه ثانية) بقطع صغير يوضع فى الجيب

» [العمدة فى صناعة الشعر ونقده] لابن رشيق القيروانى جزء ٢

» [الطرف الاديب لطلاب العلوم العربية] يشتمل على فصيح ثعلب : وشرحه

للهروى : وذيل الفصيح البغدادى ، وكتاب فعلت وأفعلت للزجاج

» [مبادئ اللغة العربية] وشرح أبيات مبادئ اللغة لابن الاسكافى

» [شفاء الغليل فيما جاء فى كلام العرب من الدخيل] للشهاب الخفاجى

» [نواذر الحقى والمغفلين] لبعض أدباء العصر

﴿ فهرس الجزء الثالث من أمالي السيد المرتضى ﴾

بجانبه

(الجلس الواحد والاربعون)

- ٢ تأويل قوله تعالى: فأين يذهبون ان هو الا ذكر للعالمين الآية
 ٣ رد قول المعتزلة في مسألة ارادته تعالى القيام
 ٤ عود الى ذكر بعض محاسن شعر مروان بن أبي حفصة وغيره
 ٨ مفاكرة أدبية

(الجلس الثاني والاربعون الثالث)

- ١٤ تأويل قوله تعالى: أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض الآية
 ١٤ تأويل قوله تعالى: ما كانوا يستطيعون السمع الآية
 ١٦ استرواح بذكر شيء من شعر مروان بن أبي حفصة وغيره

(الجلس الثالث والاربعون)

- ٢٥ تأويل قوله تعالى: ما منعك ان لا تسجد اذا أمرتك الآية
 ٢٦ عود الى ذكر طرف من شعر مروان بن أبي حفصة أيضاً

(الجلس الرابع والاربعون)

- ٣٥ تأويل قوله تعالى: نحن أعلم ما يستمعون به الآية
 ٣٦ تأويل قوله تعالى: ان تبعون الا رجلاً مسحوراً
 ٣٨ استرواح بذكر بعض من المحاسن الشعرية

(الجلس الخامس والاربعون)

- ٤١ تأويل قوله تعالى: كل شيء هالك الا وجهه الآية
 ٥٠ تأويل قوله تعالى: انما نطعمكم لوجه الله الآية ونحوها
 ٥٠ استرواح بذكر حكاية أدبية لحد بن يحيى الصولي رثى من كلام البهاري
 ٥٢ مفاكرة المتكثف بالله مع الصولي في محاسن الشيب ومدحه
 ٥٣ واقعة امرئ القيس مع قبصر الروم

(الجلس السادس والاربعون)

- ٥٩ تأويل قوله تعالى: واذا شكك عبادي عني فاني قريب الآية
 ٦١ عود الى ذكر الشيب وما تقوله العرب في ذمه

محيته

٦٣ قصة اليبق مع الرشيد

٦٣ قصة العتافي معه أيضاً

(المجلس السابع والأربعون)

٧٠ تأويل قوله تعالى: هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب الآية

٧٢ عود الى ذم الشيب والتألم من فقد الشباب

٧٧ رد على الأمدى في انتقاده كلام البحري

٧٩ ذكر بعض مبتكرات من شعر ابن الرومي

(المجلس الثامن والأربعون)

٨٠ تأويل قوله تعالى: ليس لك من الاسم شيء الآية

٨٢ تأويل خبر لا تناجشوا ولا تدابروا الحديث

٨٤ ذكر ما ورد في اللغة العربية من معاني العرض

٨٨ استرواح بذكر شيء من شعر قطري بن النجاعة

(المجلس التاسع والأربعون)

٩١ تأويل قوله تعالى: وقالت اليهود يد الله مقلولة الآية

٩٣ تأويل خبر لعن الله السارق يسرق البيضة الحديث

٩٥ ذكر معاني البيضة في كلام العرب والاستشهاد عليها

٩٩ استرواح بذكر حكاية لطيفة للإصمعي مع الرشيد

(المجلس الخمسون)

١٠٠ تأويل قوله تعالى: والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور

١٠١ منادمة الشعبي والاختط في مجلس عبد الملك بن مروان

١٥ استطراد لذكر مرية أعشى باهلة وبلاغتها

١١٣ ذكر بعض كلام للاختط في امتداحه لمحاوية

(المجلس الواحد والخمسون)

١٢٤ تأويل قوله تعالى: ربنا لا تزع فلوبينا بعد اذ هدبتنا الآية

١١٦ استرواح بذكر قول الراعي في وصف الاناث والرمام

(المجلس الثاني والخمسون)

صيف

١٢٥ تأويل قوله تعالى: وأد قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية

١٢٨ استرواح بذكر بعض كلام المثلي وغيره

١٣١ ذكر طرف من محاسن شعر حمادة بن عقيل وغيره

(الجلس الثالث والخمسون)

١٣٤ تأويل قوله تعالى: لئن بسطت إلي يدك لتقتلي الآية

١٣٥ شواهد إضافة المصدر إلى فاعله ومفعوه

١٣٨ تأويل خبر لا يموت لمؤمن ثلاث من الأولاد الحديث

١٣٨ تشبيه العرب قلة مكث النعم بخلعة العيين والاستشهاد عليه بكلامهم

(الجلس الرابع والخمسون)

١٤٢ تأويل قوله تعالى: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الآية

١٤٩ استرواح بذكر ما يختار من شعر الأخوص الانصاري

(الجلس الخامس والخمسون)

١٥٥ تأويل قوله تعالى: وعلم آدم الاسماء كلها الآية

١٥٦ تخصيص الجواب في هذا الموضوع

١٦١ اشكال غريب في الآية المذكورة والجواب عنه

١٦٢ استرواح بذكر شيء من محاسن شعر حسان وغيره

(الجلس السادس والخمسون)

١٦٥ تأويل قوله تعالى: وأسأله من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية

١٦٥ استطراد لذكر ما غوطب به صلى الله عليه وسلم والمقصود به أمته

﴿تم الفهرس﴾



الجزء الرابع من كتاب

أما إلى السيد الميرزا

الشریف أبی القاسم علی بن الطاهر أبی أحمد الحسین المتوفى سنة ٤٣٦ هـ رضى الله عنه
في التفسير والحديث والادب

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٥ هـ د ١٩٠٧ م)
(عن نسخة أحمد ناجي الجلي وعبد أمين الخانجي وأخيه)

« حقوق الطبع محفوظة »

صححه وضبط الفاظ، وعلق حواشيه
حضرة الفاضل الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي تزييل القاهرة حالا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تأويل خبر] ٥٠ ان سأل سائل عن معنى ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ٥٠ الجواب أما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه قال في تأويل هذا الخبر سألت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال كان هذا في أول الإسلام قبل أن تنزل الفرائض ويؤمر المسلمون بالجهاد قال أبو عبيد كأنه يذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل أن ينصره أبواه ويهوداه ماورثناه وكذلك لو ماتا قبله ماورثهما لانه مسلم وهما كافران وما كان أيضاً يجوز أن يسي فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم انه يولد على دين أبيه ٥٠ قال أبو عبيد وأما عبد الله بن المبارك فإنه قال هذا بمنزلة الحديث الآخر الذي يتضمن انه عليه الصلاة والسلام سئل عن أطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين يذهب الى أنهم يولدون على ما يصيرون من اسلام أو كفر فن كان في علمه انه يصير مسلماً فإنه يولد على الفطرة ومن كان في علمه انه يموت كافراً ولد على ذلك ٥٠ قال أبو عبيد وبما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر انه قال يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي جميعاً فاجتأهم الشياطين عن دينهم وجعلت ما أحللت لهم حراماً ٥٠ قال أبو عبيد يريد بذلك التعارض والسوائب وغير ذلك لما أحله الله تعالى فجعلوه حراماً ٥٠ وأما ابن قتيبة فإنه قال وقد حكى ما ذكرناه عن أبي عبيد است أرى ما حكاه أبو عبيد عن عبد الله ابن المبارك ومحمد بن الحسن مقتنعاً أن أراد أن يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا على ان رداً على من قال من أهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على ان الحديث منسوخ والمنسوخ لا يكون في الاخبار وانما يكون في الأمر والنهي قال ولا يجوز أن يراد به على تأويل ابن المبارك بعض المولودين دون بعض لان مخرجه مخرج العموم

•• قال ولا أرى معنى الحديث لا ما ذهب إليه حماد بن سلمة فإنه قال فيه هذا عندما
 حيث أخذ العهد عليهم في أصاب آباؤهم يزيد حين مسح الله تعالى ظهر آدم فأخرج
 منه ذريته الى يوم القيامة أمثالهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنتهم بربكم قالوا بلى فأراد عليه
 الصلاة والسلام ان كل مولود يولد على الفطرة وعلى ذلك الاقرار الأول وهو
 الفطرة •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وهذا كله خبط ونخبط وبعد عن
 الجواب الصحيح والصحيح فيه ان قوله عليه الصلاة والسلام يولد على الفطرة يحتل
 أمرين •• أحدهما ان تكون الآلهة ههنا الدين وتكون على معنى اللام فكأنه عليه الصلاة
 والسلام قال كل مولود يولد للدين أحده الدين لان الله تعالى لم يخلق من يبالغ في
 المكلفين إلا ليعبد الله فينتفع بعبادته بذلك قوله تعالى (وما خافت الجن والانس إلا
 ليعبدون) والدليل على ان عام مقام اللام ما حكاه ابن السكيت عن أبي زيد عن
 العرب انهم يقولون صف على كذا حتى أعرفه بمعنى صف لي ويقولون ما أعطيتك
 علي يريدون ما أعطيتك لي والهم بعض الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل
 لوجهه يريدون على وجهه •• الطرماح

كَانَ مَعَهَا عَلَى مَعْرَسٍ خَمْسٍ وَقَعَتْ لِلْجَنَانِ (١)

وقال عنبرة

شَرِبْتُ مَاءَ الدَّحْرِ ضَيْقًا فَاصًّا ذَوْرًا تَفَرُّعًا عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ
 معناه شربت الناقة من ماء الدحر ضيقا فقال لأحمد ما وشيع والآخرة دحرض فجاب
 الأشور وهو الدحرض وإنما سأل عليه الصلاة والسلام بالفطرة التي هي الخلقة

(١) - نحوها - نجافها في وقتها - جمع فنة بكسر الفاء وهي ركبتها
 وما من الأرض من كركرتها وطسول أنفاذا - ومعرس خمس - موضع
 تمرسها أي نزولها آخر الليل للاستراحة من القتل - ووقفت - بركت -
 والجنان - عظام الصدر وقيل نوع وقيل أطراف الأضلاع بما يلي قوس
 الصدر وعظم الصلب الواحد جنين آخرها ويختصان وقيل واحدهما جنجون

في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد يجري على التقى اسم ماله به هذا
 الضرب من التناق والاختصاص وعلى هذا بتأويل قوله تعالى (فأقم وجهك للدين
 حنيفاً فطره الله التي) الآية أراد دين الله الذي خالق الخلق له وقوله (لا تبديل لخلق
 الله) المراد به أن ما خلقه العباد له من العبادة والطاعة ليس بما يتغير ويختلف حتى يخاف
 تعالى قوماً للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز أن يراد بذلك الأمر وأن كان ظاهره
 الخبر فكأنه تعالى قال ولا تبدلوا ما خلقكم الله لكم الدين والطاعة بأن تمسوا
 وتخالفوا . والوجه الآخر في تأويله قوله عليه الصلاة والسلام الفطرة أن يكون المراد
 بها الخلقة وتكون لفظة على ظاهرها لم يرد بها غيرها ويكون المعنى كل مولود يولد على
 الخلقة الدالة على وحدانيته تعالى وعبادته والإيمان لانه عن وجل قد صور الخلق
 وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والإيمان وأن لم ينظروا ولم يعرفوا فكانه
 قال كل مخلوق وولود فهو يدل بخلافته وصورته عزة الله تعالى وإن عدل بعضهم فصار
 يهودياً أو نصرانياً وهذا الوجه يحتمل أيضاً قولنا (فطرة الله التي فطر الناس
 عليها) وإذا ثبت ما ذكرناه في معنى الله فقوله عليه الصلاة والسلام حتى
 يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه يعني أن من كان يهودياً أو نصرانياً
 من خلقته لعبادتي ودينى فأنما جعله كذلك فمن جرائرهما عن يوقع له الشبهة
 وبقائه الضلال عن الدين وإنما خص عبادة والسلام الابوين لأن الأولاد في
 الأكثر ينشئون على مذهب آبائهم وبآلئهم ويحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيه
 الله عن الضلالة للعباد وكفرهم وأنه إنما لايمان فسددهم عنه آبؤهم ومن يجري
 مجراهم . والوجه الآخر أن يكون معنى ينصرانه أي باعته بأحكامهم لأن أطفال
 أهل الذمة قد ألحقوا باليهود والنصارى في أحكامهم . فكأنه قل عليه الصلاة والسلام لا تنوهموا
 من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى لهم أنهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا إلا
 للإيمان والدين الصحيح لكن آبؤهم أدخلوهم في أحكامهم وعبر عليه الصلاة
 والسلام عن إدخالهم في أحكامهم . وينصرانه وهذا واضح . فأما جواب أبي
 عبيد الله الذي حكاه عن محمد بن الحنفية فكأنه من حل الخبر على وجه نسلم

معه من النسخ لم نحتاج الى غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على الفطرة يمنع من الحاقهم بحكم آياتهم وذلك غير محتج . . . وأما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففاسد لان الله تعالى لا يجوز أن يخلق أحداً للكفر فكيف يخلق له وهو يأمره بالإيمان ويريد منه ويعاقبه ويذمه على خلافه . . . فأما ما روى عنه عليه الصلاة والسلام وقصدت عن أطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين فإنه يحتدل أن يكون عليه الصلاة والسلام سئل عن لم يبلغ من أطفال المشركين كيف صورته وإلى أي شيء انتهت عاقبته فقال عليه الصلاة والسلام الله أعلم بما كانوا عاملون فأراد أن ذلك مستور عنى ولو كانت المسألة عن اختارهم طفلاً لم يجز أن يكون الجواب ذلك وأما ابن قتيبة فإنه رد على أبي عبيد من غير وجه يقتضى الرد واعتراض جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص وكيف يليه على فساد من هذه الجهة وقد اختار في تأويل الخبر ما يجري في الفساد والاختلال مجرى تأويل ابن المبارك . . . فأما النسخ في الاخبار فحائز اذا تضمنت معنى الامر والنهي ويكون ما دل على جواز النسخ في الامر دالا على جواز ذلك فيها وهذا مثلى أن يقول عليه الصلاة والسلام الصلاة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست بواجبة فيستدل بالثاني على نسخ الحكم الاول كما لو قال عليه الصلاة والسلام صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهي الثاني ناسخاً للاول . . . فأما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد يئنا فساد ما تقدم من الأمالى عند تأويلنا قوله تعالى (واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) وأفسدنا قول من اعتقد أنه مسح ظهر آدم عليه السلام واستخرج منه الذرية وأشبهها على نفوسها وأخذ أقرارها بمعرفة بوجوه من الكلام ولا طائل في إعادة ذلك

مجلس آخر ٥٧

[تأويل آية] . . . ان سأل سائل من قوله تعالى (فأما الذين شقوا في النار لهم فيها) الآية

الى قوله تعالى (الا ماشاء ربك عطاه غير مجفوذ) فقال ما معنى الاستثناء هنا والمراد
 السوام والتأييد ثم ما معنى التثنية بثمة السموات والأرض التي تثنى وتتقطع .. الجواب
 قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه .. أولا أن تكون الا وإن كان ظاهرها الاستثناء
 فلما راد بها الزيادة فكانه تعالى قال (خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء
 ربك) من الزيادة لهم على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك ألف دينار الا
 الفين الذين اقرضتكها وقت كذا وكذا فالالفان زيادة على الالف بغير شك لان
 الكثير لا يستثنى من القليل وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين .. والوجه
 الثاني أن يكون المعنى الا ماشاء ربك من كونهم قبله دخول الجنة والتار في الدنيا وفي
 البرزخ الذي هو ما بين الحياة والموت وأحوال المحاسبة والعرض وغير ذلك لأنه تعالى
 لو قال خالدين فيها أبداً ولم يستثن لئولهم متوهم أنهم يكونون في الجنة والدار من لدن
 نزول الآية أو من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة معقولة .. والوجه
 الثالث أن تكون الا بمعنى الواو والتأويل فيها مادامت السموات والأرض وماشاء ربك
 من الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وكل أخ مفارقة أخوه لعمر أيبك إلا الفرقدان^(١)

(١) البيت من شواهد سيمويه والمغنى على أن إلا سفة لكل مع صيغة جعلها أداة
 استثناء ونصب الفرقدين على الاستثناء كما هو الشرط في وصفيته إلا .. قال ابن هشام في المغنى
 والوصف هنا غرض فان ما بعد الامطابق لما قبلها لأن المعنى كل أخوين غير هذين
 السكوكيين متفارقان وليست الاستثنائية والا لكان الا الفرقدين بالنصب لانه بعد كلام
 تام موجب كما هو الظاهر مع كونه مستغرق وهو كل أخ كما نصب الشاعر في هذا البيت
 وهو من أبيات مذكورة في مختار أشعار القبائل لأبي تمام صاحب الحاسة لأسعد
 الذهلي وهو

وكل أخ مفارقة أخوه لشعط الدار الا ابني شمام

وايضا شمام جيلان وما يفصح الشين انصحية وكسر الميم كندام وقيل ما جيلان في دار

معناه والفرقدان ويقول الآخر

وَأَرَىٰ لَهَا دَارًا بِأَغْدَرَةِ السَّيِّدَاتِ لَمْ يَدْرُسْ لَهَا رَسْمٌ
إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَنْتُ عَنْهُ الرِّيحَ خَوَالِدُ حَمَمٌ

والمراد بالا هنا الواو والا كان الكلام متناقضاً .. والوجه الرابع أن يكون الاستثناء الاول متصلاً بقوله تعالى (لهم فيها زفير وشهيق) وتقدير الكلام لهم في النار زفير وشهيق الامشاء ربك من أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود فان قيل فهو ان هذا أمكن في الاستثناء الاول كيف يمكن في الثاني
بني تميم محامل دار عمرو بن كلاب وقيل شام هوجلل وابناء رؤساء وعند ابن الحاجب في البيت الشاهد شذوذ من ثلاثة أوجه أحدها انه اشترط في وقوع الاصة تعذر الاستثناء وهنا يصح لو نصبه وثانيها وصف المضاف والمشهور وصف المضاف اليه وثالثها الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر وهو قليل والبيت جاء في شعرين لصحابيين أحدهما عمرو بن معد يكرب أنشدهما الجاحظ في البيان والتبيين وكذا نسب اليه المبرد في الكامل وصاحب جهرة الاشعار وغيرهم والثاني حضرمي بن عاصر الأسدي وهو القائل

أَلَا عَجِبْتَ عَمِيرَةَ أُمِّسَ لَمَّا رَأَتْ شَيْبَ الذَّوَابَةِ قَدْ عَلَانِي
تَقُولُ أَرَىٰ أَيُّ قَدْ شَابَ بَعْدِي وَأَقْصَرَ عَنِ مَطَالِبَةِ الْفَوَائِي

الى أن قال

وَذِي خَجَجٍ عَزَفَتْ النَّفْسُ عَنْهُ حَذَارُ الشَّامَتَيْنِ وَقَدْ شَجَانِي
أَخِي ثَمَّةً إِذَا مَا لَدَيْهِ أُنْفَىٰ إِلَىٰ يَمُودٍ مُّجَلَّىٰ حَكَمَانِي
قَطَعْتَ قَرِينَتِي عَنْهُ فَأَعْنَىٰ خَاءُ فَلَنْ أَرَاهُ وَلَنْ يَرَانِي
وَكُلَّ قَرِينَةٍ قَرَنْتُ بِأُخْرَىٰ وَلَوْ خَلْتُ بِهَا سِتْرَ قُرْآنِي
وَكُلَّ أَخٍ مَفَارَقَهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ
فَكَانَ اجَابَتِي إِيَّاهُ أَيُّ عَطَفْتُ عَلَيْهِ خَوَّارُ السَّنَانِ

وهذا البيت الاخير يروي لعنتره بن شمام العبسي

•• قلنا يحمل الثاني على استثناء المسك في المحاسبة والموقف أو غير ذلك مما تقدم ذكره •• والوجه الخامس أن يكون الاستثناء غير مؤثر في نقصان من الخلود وإنما الغرض فيه أنه لو شاء أن يخرجهم وأن لا يخلدهم في أن التخليد إنما يكون بمشيئته وإرادته كما يقول القائلون لغيره والله لأضربك إلا أن أرى غير ذلك وهو لا ينوي إلا ضربه ومعنا الاستثناء هنا أي لو شئت أن لأضربك لفعلت وتمكنت غير أنني بجمع على ضربك •• والوجه السادس أن يكون تطبيق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتبديد للخروج لأن الله تعالى لا يشاء إلا تخليدهم على ما حكم به ، دل عليه ويجري ذلك مجرى قول العرب والله لأهرك إلا أن يشأ الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك أني أهرك أبداً من حيث علق بشرط معلوم أنه لا يحصل وكذلك معنى الآيتين والمراد بهما أنهم خالدون أبداً لأن الله تعالى لا يشاء أن يقطع خلودهم •• والوجه السابع أن يكون المراد بالذين شقوا من أدخل النار من أهل الإيمان الذين ضموا إلى إيمانهم وطاعتهم المعاصي فقال الله تعالى أنهم معاقبون في النار إلا ما شاء ربك من إخراجهم إلى الجنة وإيسال ثواب طاعتهم إليهم •• ويجوز أيضاً أن يريد بأهل النقاء هنا جميع الداخلين إلى جهنم ثم استثنى تعالى بقوله إلا ما شاء ربك أهل الطاعات منهم ومن يستحق ثواباً لا بد أنه يصل إليه فقال تعالى إلا ما شاء ربك من إخراج بعضهم وهم أهل الثواب وأما الذين سعدوا فأنما استثنى تعالى من خلودهم أيضاً لما ذكرناه لأن من نقل من النار إلى الجنة وخلد فيها لا بد من الإخبار عنه بتأييد خلوده من استثناء ما تقدم فكأنه تعالى قال أنهم خالدون في الجنة مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من الوقت الذي أدخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم إلى الجنة والذين شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا وإنما أجري عليهم كل لفظ في الحال التي تليق بهم إذا أدخلوا النار وعوقبوا فيها من أهل النقاء وإذا نقلوا إلى الجنة من أهل الجنة والسعادة وقد ذهب إلى هذا الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله تعالى عليهم فيخرجهم من النار إلى الجنة فيكونون أشقياء في حال

سعداء في حال أخرى وأما تطبيق الخلود بدوام السموات والأرض فقد قيل فيه إن ذلك لم يجعل شرطاً في الدوام وإنما علق به حل سبيل التبعيد وتأكيده الدوام لأن الحرب في مثل هذا عادة معروفة خاطبهم الله تعالى عليها لأنهم يقولون لا أفصله كذا ما لاج كوكب وما أضاء الفجر وما اختلف الليل والنهار وما يله بحر صوفة وما تفتت حامة ونحو ذلك ومراهم التأيد والدوام ويجري كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا أهل كذا أبداً لأنهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه أنه لا يزول ولا يتغير وعباراتهم إنما يخرجونها بحسب اعتقاداتهم لا بحسب ما عليه النبي في نفسه ألا ترى أن بعضهم لما اعتقدوا في الاسنام أن العبادة تحقق لها سموها آلهة بحسب اعتقاداتهم وإن لم تكن في الحقيقة كذلك وما يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول أبي الجوزية العبدى

ذَهَبَ الْجُودُ وَالْجَنْدُ جَمِيعاً فَعَلِيَ الْجُودُ وَالْجَنْدُ السَّلَامُ
أَصْبَحَا ثَاوِيَيْنِ فِي قَمَرٍ مَرَّتْ مَا تَفَنَّتْ عَلَى الْفُصُونِ الْحَمَامُ

وقال الأعشى

أَلَسْتُ مُنْتَبِهاً مِنْ نَحْتِ أَثْلَتْنَا وَلَسْتُ ضَائِراً مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

وقال الآخر

لَا أَفْتَا الدَّهْرَ أَبْكِيهِمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا اجْتَرَّتِ النَّيْبُ أَوْحَنَتِ إِلَى بَلَدٍ

وقال زهير مبدئاً عن اعتقاده دوام الجبال وإنما لا تغنى ولا تنقير

أَلَا لَا أَرَى عَلَى الْحَوَادِثِ بَاقِياً وَلَا خَالِداً إِلَّا الْجِبَالُ الرُّوَاسِيا

(١) - السحت - البرى - والأند - بالفتح شجر معروف قبل هو الطرفاء وقيل السمير وأحدثه أئمة وجمعه أثلاث محرقة وأقول بالضم - وأطت - من أطيبت الأبد وهو تبيض جلودها عند الحكمة والتقيض بفتح التون وكسر القاف وفي آخره ضاد معجمة وهو صوت اللسع والرحل والمفاصل والاضلاع

فهذا وجه وقيل أيضاً في ذلك أنه أراد تعالى به الشرط وعلى الآية دوام السموات والأرض المبدئين لأنه تعالى قال (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فأعلمنا تعالى أنها تبدلان وقد يجوز أن يدعيهما بعد التعبير أبدأ بلا انقطاع وإنما المقطع هو دوام السموات والأرض قبل التبدل والفناء ويمكن أيضاً أن يكون المراد أنهم خالدون بمقدار مدة السموات والأرض التي يعلم الله تعالى انقطاعها ثم يزيدها الله تعالى على ذلك ويخلدهم ويؤيد مقامهم وهذا الوجه يليق بالاجوبة التي تتضمن أن الاستثناء أريد به الزيادة على المقدار المقدم لا النقصان * [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وجدت أبا القاسم الآمدي قد ظلم البعري في تفسير بيت له مضاف إليه مع ظلمه له في أشياء كثيرة تأولها على خلاف مراد البعري وحكي قوله

كالبدر إلا أنها لا تجلِي والشمس إلا أنها لا تقربُ

ثم قال وهذا فيه سؤال لانه لما قاله كالبدر إلا أنها لا تجلِي - فلفظ أن عيون الناس كلهم ترى البدر وتجلِيه وهي لا تراها العيون ولا تجلِي ثم قاله والشمس إلا أنها لا تقرب - وإنما قال لا تجلِي لأنها محبوبة فإذا كانت في حجاب فهي في غروب لان الشمس إذا غربت إنما تدخل تحت حجاب فظاهر المعنى كالبدر إلا أن العيون لا تراها والشمس إلا أن العيون لا تفقدها قال وهذا القول متنافض كما ترى قال وأظنه أراد أنها وإن كانت في حجاب فإنه لا يقال لها غربت تقرب كما يقال للشمس وإنما يقال لها إذا - افرقت بعدت وغربت إذا توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل أغرب عنا أي أبعد ولو استعار لها اسم الغروب للغروب عن الأرض التي تكون فيها إذا طغنت عنها إلى أرض أخرى كان ذلك حسناً جداً لا سباً وقد جعلها شمساً كما قال إبراهيم بن العباس الصولي

وَزَالَتْ زَوَالُ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا فَمَنْ مَجْبَرِي فِي أَمْرِ أَرْضٍ غُرُوبُهَا

قال وقد يجوز أن يقول قائل أنه أراد لا تقرب تحت الأرض كما تقرب الشمس وهذه معاذير شبيهة لابي عبادة فإن لم يكن قد أخطأ فقد أساء * [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وما الخطأ غير الآمدي ومراد البعري بقوله أوضح من أن يذهب على متاملة

لأنه أراد بقوله - والشمس ألا أنها لا تقرب - أي أنها لا تصير حيث يتعذر رؤيتها ويحتمل
 كما يتعذر رؤية الشمس على من غربت عن أفق بلد. والمرأة وإن احتجبت باختيارها
 فإن ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لأنها إذا شامت ظهرت وبرزت للعيون
 والشمس إذا غربت فرويتها غير ممكنة ولهذا لا يصح أن يقال فيمن استظل بدار أو جدار
 عن الشمس أنها غربت عنه وإن كان غير راء لها لأن رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع
 وكذلك القول في احتجاب المرأة فلا تنافض في بيت البحرى على ما ظنه الآمدى . . . ولربعضهم
 في هذا المعنى

قَدْ قُلْتُ لِلْبَدْرِ اسْتَعْبِرْتُ حِينَ بَدَأَ مَا فِيكَ يَا بَدْرُ لِي مِنْ وَجْهِهَا خَلْفُ
 تَبْدِي لَنَا كُلَّمَا شَتْنَا عَمَّا سَنَهَا وَأَنْتَ تَنْقُصُ أَحْيَانًا وَتَنْكُفُ

ففى قوله - فأنت تنقص وتنكف - جار مجرى غروب الشمس لأنه فضها على البدر من
 حيث كان يرونها لمبصرها موقوفا على اختيارها والبدر ينقص وينكف على وجه
 لا يمكن رؤيته كما فضها البحرى بأنها لا تقرب حتى تصير رؤيتها مستحيلة والشمس
 كذلك . . . وقد ظلم الآمدى البحرى في قوله

لَا الْعَذْلُ يَرُدُّعُهُ وَلَا التَّحْنِيفُ عَنْ كَرَمٍ يَصُدُّهُ

قال الآمدى وهذا عندى من أهمل ما مدح به خليفة وأقبحه ومن ذا يعنف الخليفة
 على الكرم أو يصد أن هذا بالهجو أولى منه بالمدح . . . [قال الشريف المرتضى] رضى
 الله عنه واللبهرى في هذا عذر من وجهين . . . أحدهما أن يكون الكلام خرج مخرج
 التقدير فكأنه قال لو عنف وعذل لما صد ذلك عن الكرم وإن كان من حق العذل
 والتعنيف أن يصد أو يمحجز عن الشيء وهذا له نظائر في القرآن وفي كلام العرب كثير
 مشهور وقد مضى فيما أُمليناه نفي ذلك . . . والوجه الآخر أن العذل والتعنيف
 وإن لم يتوجها إليه في نفسه فهما موجودان في الجملة على الاسراف في البذل والجود
 بنفائس الأموال ولم يقل البحرى إن عذله يردعه أو تعنيفه يصد. وإنما قال لا العذل
 يردعه ولا التعنيف يصد فكأنه أخبر بأن ما يسمعه من عذل العذال على الكرم

وتعنيهم على الجود وإن كان متوجهاً إلى غيره فهو غير صادقة لقوة عزيمته وشدة بصيرته
 ••• وما خطأ الآمدي البحتري به وإن كان له به عذر صحيح لم يهتد إليه قوله

ذَنْبٌ كَمَا سَجَبَ الرَّدَاءُ يَذْبُ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَالْفِتْنَةِ الْمُسْبِلِ

قال الآمدي وهذا خطأ من الرصف لأن ذنب الفرس إذا لمس الأرض كان عيباً فكيف
 إذا سحبه وإنما للمدح من الأذنب ما قرب من الأرض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس
 بِضَافٍ فَوْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزْلٍ ^(١)

قال وقد عيب امرؤ القيس بقوله

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُورٍ

قال وما أرى العيب يلحق امرؤ القيس لأن العروس وإن كانت تسحب أذيالها وكان
 ذنب الفرس إذا لمس الأرض عيباً فليس يندر أن يشبه به الذنب وإن لم يبلغ إلى أن يمس
 الأرض لأن الشيء إذا قاربه أو دنا من معناه فإذا أشبه بها أكثر أحواله فقد
 صح التشبيه ولا فـ ••• امرؤ القيس لم قصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس خط
 وإنما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا ترى أنه قال تسد به فرجها من دور ••• وقد
 يكون الذنب طويلاً يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفاً ولا يسد فرج الفرس فلما قال
 تسد به فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول فإذا أشبه الذنب الذيل من
 هذه الجهة كان في العلول قريباً منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب وإنما
 العيب في قول البحتري ••• ذنب كما سحب الرداء ••• فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه ••• ومثل
 قول امرؤ القيس قول خداس بن زهير

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْهَيْدِيِّ إِلَى جَوْجُوءٍ أَيْدٍ الزَّافِرِ

والهيدى العروس التي تهدي إلى زوجها ••• الأيدى الشديد ••• والزافر الصدور لأنها تفر منه

(١) وصلره ••• كيت إذا استقبلته سد فرجه ••• الخ ••• والأعزل من الخيل الذي يقع ذنبه

في جانب وهو طاعة لخالقة وهو عيب

قال فشبّه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدى وإن لم يبلغ في الطول الى أن يمس الأرض ..
 [قال الشريف] رضى الله عنه وللبحتري وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس
 في قوله مثل ذيل العروس غير أن الآمدى لم يفتن له وأول ما أقوله ان الشاعر لا يجب
 أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد فان ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه
 وكلام القوم مبنى على التجوز والتوسع والاشارات الخفية والايحاء على المعاني تارة من
 بعد وتارة من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق وانما خاطبوا
 من يعرف أوضاعهم ويغهم اغراضهم وانما أراد البحتري بقوله - ذنب كاسحب الرداء - المبالغة
 في وصفه بالطول والسبوغ وأنه قد قارب أن يسحب وكاد يمس الأرض ومن شأن العرب
 أن تجري على الشيء الوصف الذي كان قد يستعفه وقد قرب منه القرب الشديد فيقولون
 قتل فلاناً هوى فلانة ووله عقله وزال تمييزه وأخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما
 أرادوا المبالغة وإفادة المقاربة والمشاوكة ونظائر ذلك أكثر من أن نحصى ومن شأنهم
 أيضاً اذا أرادوا المبالغة التامة أن يستعملوا مثل هذا فيشبهون الكفيل بالكثير
 وبالدهس وبالنل ويشبهون الخمر بوسط الزنبور وبمقدار حلقة الخاتم ويمدون هذا غاية
 المدح وأحسن الوصف ونحن نعلم أننا لو رأينا من خصمه مقدار وسط الزنبور وكفله
 كالكتيب العظيم لاسبق مدناه واستهجننا صورته لنكارها وقبحها وانما أتوا بألفاظ المبالغة
 سعة وتأثقاً لا لتحمل على ظواهرها تحميداً وتحقيقاً بل ليفهم منها الغاية الحمودة والنهاية
 المستحسنة ويترك ما وراء ذلك فانهم - من قولهم خصرها كخصر الزنبور - انه في غاية
 الدقة المستحسنة في البشر ومن قولهم كفها كالكتيب انه في نهاية الوارة الحمودة
 المطلوبة لا أنه كاذل على التحقيق فهكذا لا ننكر أن يريد البحتري بقوله كاسحب الرداء
 أنه في غاية الطول المدح الحمود لانه يجز في الأرض على الحقيقة ووكلفنا في تخليص
 معناه وتفصيله الى العادة الجارية لنظرائه من الشعراء في استعمال مثل اللفظ الذي

استعمله .. قال بعضهم في مثل المجيزه

تَمْشِي فَتَقْطَعُهَا رَوَادِفُهَا فَيَكَاثِبُهَا تَمْشِي إِلَى خَلْفِهَا

وقال المزمّل

مَنْ رَأَى مِثْلَ حَبِّي نُشِبَةُ الْبَدْرِ إِذَا بَدَأَ
تَدْخُلُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَدْ خُلُ أَرْدَافُهَا غَدَاً

وقال ذو الرمة

وَرَمَلُ كَأُورَاكِ الْعَذَارَى قَطَعَتْهُ وَقَدْ جَلَّتْهُ الْمُظْلِمَاتُ الْحَنَادِسُ ^(١)

وكل هذا الكلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به في نهاية القبح لان من يشي الى خلف ومن يدخل كفته بعده لا يكون مستعصماً .. وقال بكر بن النطاح

فَرَعَاءُ تَسْعَبُ مِنْ قِيَامِ فَرَعَاهَا وَلَتَنْفِيبُ فِيهِ وَهَوَجْتُلُ اسْمُ
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَا طَعُ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلَمُ

لوصف شعرها بأنه يتسحب مع قيامها ونحن نعلم أن طول الشعر وإن كان مستعصماً فليس الى هذا الحد وإنما أراد بقوله تسحب شعرها ما أراد به العجزي بقوله كما سحب

(١) هذا البيت أوردته ابن جنى في الخصائص في باب غلبة الفروع للاصول فقال هذا فصل من العربية طريف فجمده في معاني العرب كما تجده في معاني الاهواب ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والفرض فيه المبالغة فدا جاء فيه ذلك للعرب قول ذي الرمة

ورمل كالوراك العذارى قطعت إذا ألبسته المظلمات الحنادس

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الاصل فرعا والفروع أصلاً وذلك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكتبان الاقواء الى أن قال فغلب ذو الرمة العادة والعرف في هذا فتشبه كتبان الاقواء بأعجاز النساء وهذا كأنه يخرج مخرج المبالغة أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لاجهاز النساء فصار كأنه الاصل فيه حتى شبه به كتبان الاقواء الى أن قال وآخر ما جاء به شاعرنا يعني المتلقي

نحن ركب ملجن في زى ناس فوق طير على شخوص الجبال

فجعل كونهم جنا أصلاً وجعل كونهم ناساً فرعاً وجعل كون مطايا طيراً أصلاً وكونها جبالاً فرعاً لتب الحقيقة بالجاز في المعنى الذي منه أفاد الجاز من الحقيقة ما أفاد

الرداء من المبالغة في الوصف بالطول المحمود دون المذموم

مجلس آخر ٥٨

[تأويل الآية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر^(١) يوم يأتوننا) الآية •• فقال متأويل هذه الآية فإن كان المراد التمتع من قوة أسماعهم وتأخذ أبصارهم فكيف يطابق ما خبر به عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب بأنهم لا يبصرون ولا يسمعون وأن على أسماعهم وأبصارهم غشاوة وما معنى قوله تعالى (أمكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أي يوم هو اليوم المشار إليه وما المراد بالضلال المذكور •• الجواب قلنا أما قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) فهو على مذهب العرب في التمتع ويجري مجرى قولهم ما أسمعه وما أبصرهم والمراد بذلك الإخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وأنهم عارفون به على وجه الاعتراض للتشبه عليه وهذا يدل على أن أهله الآخرة عارفون بالله تعالى ضرورة ولا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات التي أخبر تعالى

(١) قوله أسمع بهم وأبصر أي بهم وحذف التمتع منه هنا لدلالة بهم السابعة مع كونه فاعلاً لأن لزومه الجزم كسائر صوره الفضلة خلافاً للنفارسي وجاعة فاتهم ذهبوا إلى أنه لم يحذف ولكنه استتر في الفعل حين حذف الباء كما في قولك زيد كفى به كاتباً ورد ابن مالك بوجهين أحدهما لزوم إبرازه حينئذ في التثنية والجمع والثاني أن من الضمائر ما لا يقبل الاستتار كـنا من أكرم بنا فإن لم يدل عليه دليل لم يجوز حذفه أمافي ما أفضله فلعمروه إذ ذاك عن الفائدة فأنك لو قلت ما أحسن أو ما أجل لم يكن كلاماً لاني معناه أن شيئاً صير الحسن واقعا على مجهول وهذا مما لا ينكر وجوده ولا يفيد التعديت به وأما نحو أفضله فلا يحذف منه التمتع لغير دليل لانه فاعل وأما قول عمرو بن الورد فذلك أن يلقى التنية يلحقها حيداً وإن يستغن يوماً فأجدر

لحذف التمتع منه ولم يكن معطوفاً على مثله محذوف

عنهم فيها بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون وبأن على أبصارهم غشاوة لأن تلك الآيات تناوات
 أحوال التكليف وهي الأحوال التي كان الكفار فيها ضلالا عن الدين جاعلين بالله تعالى
 وصفاته وهذه الآية تناول يوم القيامة وهو المعنى بقوله تعالى يوم يأتوننا وأحوال
 القيامة لابد فيها من المعرفة الضرورية وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى (لقد كنت
 في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ٠٠ فأما قوله تعالى (لكن
 الظالمون اليوم في ضلال مبين) فيحتمل أن يريد تعالى بقوله اليوم الدنيا وأحوال
 التكليف ويكون الضلال المذكور إنما هو الذهاب عن الدين والمعدل عن الطريق
 فأراد تعالى أنهم في الدنيا جاعلون وفي الآخرة عارفون بحيث لا ينفعهم المعرفة ويحتمل
 أن يريد تعالى باليوم يوم القيامة ويعني تعالى بالضلال المعدول عن طريق الجنة ودار
 الثواب إلى دار العقاب فكأنه قال أسمعهم وأبصرهم يوم يأتوننا غير أنهم مع معرفتهم
 هذه وعلمهم يبصرون في هذا اليوم إلى العقاب ويمدل بهم عن طريق الثواب وقدروي
 معنى هذا التأويل عن جماعة من المفسرين فروي عن الحسري في قوله تعالى (أسمع
 بهم وأبصرهم يوم يأتوننا) قال يقول تعالى هم يوم القيامة سمعاء بصراء لكن الظالمون في
 الدنيا سمعاء وبصراء ولكنهم في ضلال عن الدين مبين ٠٠ وقال قتادة وابن زيد
 ذلك والله يوم القيامة سمعوا حين لم يشعهم السمع وأبصروا حين لم ينفعهم البصر ٠٠ وقال
 أبو مسلم بن جرير في تأويل هذه الآية كلاما جيدا فقال معنى أسمع بهم وأبصر ما أسمعهم
 وأبصرهم وهذا على طريق المبالغة في الوصف يقول فهم يوم يأتوننا يوم القيامة سمعاء
 بصراء أي عالمون وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين أي جهول واضح قال وهذه
 الآية تدل على أن قوله (سمع بكم عمى فهم لا يعقلون) ليس معناه الآفة في الأذن
 والعين والجوارح بل هو أنهم لا يسمعون عن قدرة ولا يتدبرون ما يسمعون ولا
 يتفكرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد روي أن الله تعالى جعل قوله تعالى
 (لكن الظالمون اليوم في ضلال) مقابلا لقوله تعالى أسمع بهم وأبصرهم يوم يأتوننا أي
 ما أسمعهم وما أبصرهم فأقام تعالى السمع والبصر مقام الهدى إذ جملة بأزاء الضلال
 المبين ٠٠ فأما أبو علي بن عبد الوهاب فإنه اختار في تأويل هذه الآية غير هذا الوجه

ونحن نمحكي كلامه على وجهه قد وعى بقوله اسمع بهم وابصر أى اسمعهم وابصرهم
 وبين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس الى موضع الجزاء سيكونون في ضلالٍ عن الجنة وعن
 الثواب الذي يناله المؤمنون .. والظالمون الذين ذكرهم الله تعالى هم هؤلاء توعدهم
 بالعذاب في ذلك اليوم .. ويجوز أيضاً ان يكون عنى بقوله اسمع بهم وابصر اى اسمع
 الناس هؤلاء الانبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم ويقتنوا
 بأعمالهم واراد بقوله تعالى لكن الظالمون لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو
 يعنى يوم القيمة في ضلالٍ عن الجنة وعن ثواب الجنة وبين هذا الموضع من جملة
 المواضع التي استدرك على ابي حنيفة وينسب فيها الى الزهري لأن الكلام وان كان محتملاً
 لما ذكره بعض الاحتمال من بُعد فان الاولى والاظهر في معنى ما تقدم ذكره من المبالغة
 في وصفهم وقوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلالٍ مبين) بعد ما تقدم لا يليق الا
 بالمعنى الذي ذكرناه لا سيما اذا حمل اليوم على ان المراد به يوم القيمة على ان ابا حنيفة
 جعل قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلالٍ مبين من صلة قوله تعالى اسمعهم
 وابصرهم وتأوله على ان المعنى به اعلمهم وابصرهم بأنهم يوم القيمة في ضلالٍ عن الجنة
 والكلام يشهد بان ذلك لا يكون من صلة الاول وان قوله تعالى لكن استئناف احكام
 ثان وما يحتاج ابو حنيفة الى هذا بل لو قل على ما اختاره من التأويل انه اراد تعالى
 اسمعهم وابصرهم يوم يأتوننا اى ذكرهم باحواله واعلمهم بما فيه ثم قال مستأنفاً لكن
 الظالمون اليوم في ضلالٍ مبين لم يحتاج الى ما ذكره وكان هذا اشبه بالصواب .. فاما
 الوجه الثاني الذي ذكره فبما ان لان قوله تعالى اسمع بهم وابصر اذا تعلق بالانبياء
 الذين ذكرهم الله تعالى اى قوله عز وجل يوم يأتوننا بلا علم ولا حال ان يكون نظرف
 لا حامله فالاقرب والاولى ان يكون على الوجه الاول مفعولاً .. ووجدت بعض من
 اعترض على ابي حنيفة يقول وادأ عليه لو كان الامر على ما ذهب اليه ابو حنيفة لوجب ان
 يقول تعالى اسمعهم وابصرهم بغيره وهذا الرد غير صحيح لأن الباء في مثل هذا الموضع
 غير منكرة زيادتها وذلك .. وجود كثير في القرآن والشعر وغيره قال الله تعالى (اقرأ
 باسم ربك الاعلى الذي .. وعينا يشرب بها عباد الله .. وهزى اليك بجذع الشجرة ..

وتلقون اليهم بالودة) ٠٠ وقال الاعشى

ضَمِنْتُ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا

وقال امرؤ القيس

هَضَرْتُ بِفُضْنِ ذِي شَارِيحٍ مِيَالٍ^(١)

والخن ابا على انما شبهت بهذا الجواب لانه وجد تاليا للآية لفظ امرؤ وهو قوله تعالى (واذروهم يوم الحسرة) فخذل الاول على الثاني والكلام لانشبه معانيه من حيث المجاورة بل الواجب ان يوضع كل منه حيث يقتضيه معناه ٠٠ قال المرتضى [رضى الله عنه وجدت جماعة من اهل الادب يستبعدون ان يرشح على انسان في خطبة وكلام قصد له فينبعث منه في تلك الحال كلام هو احسن مما قصد اليه وابلغ مما ارنج عليه دونه ويقولون ان اللسان لا يكون الا عن حيرة وضلالة فكيف تجتمع معهما البراعة الثاقبة والبلاغة الماثورة مع حاجتها الي اجتماع الفكرة وحضور الذكر وينسبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستغلب عن حصر في خطبة أو في منطلق الى انه موضوع ممنوع وليس الذي استبعدوه وانكروه بعيد ولا منكر لان السبان قد يخص شيئاً دون شيء ويتعلق بجهة دون جهة وهذا امر متعارف فلا ينكر ان ينسب الانسان شيئاً فقصده وعزم على الكلام فيه ، يكون مع ذلك ذاكرة لغيره متكلماً فيه بابلغ الكلام واحسنه بل رء كان الحصر والنهاب عن القصد بجميان التريجة ويوقدان الفكرة فيبعثان على احسن الكلام وابره ليكون ذلك حرباً من القوى واشتاء من المكنة ٠٠ ومن احسن ما روى من الكلام وابره في حال الحصر والاقطاع عن المقصود من الكلام ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد المرزباني قال حدثنا ابن دويد قال حدثنا ابو حاتم قال المرزباني واخبرنا ابن دويد مرة اخرى وقال حدثنا السكن ابن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلابي قال لا يصعد خالد بن عبد الله القسري

(١) وصلته ٠ فلما تزلعننا الحديث واسمعت ٠ فنى - اسمعت - سهلت

ولانت - وهضرت بفنن - ثبت فصرنا والباء زائدة

يوماً المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال أيها الناس ان الكلام وقال ابو حاتم ان هذا القول
يحيى احياناً ويذهب احياناً فيتسبب عند مجيئه سببه ويمز عند عزوه طلبه
وربما كور قاي وعولج فابطل وقال ابن السكيت ربما طلب قاي وعولج فقسا والتأني
لحيثه أصوب من التعاطي لأبيه ثم نزل فارؤى حصر ابلغ منه وقال ابو حاتم والترك لأبيه
أفضل من التعاطي لحيثه ونجاوزه عند تمذره أولى من طلبه عند شكره وقد يخرج من
الجرى جناحه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل . . . واخبرنا بهذا الخبير ابو عبيد الله المرزباني
على وجه آخر قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي قال كان خالد بن عبد
الله القسري حين ولاه هشام بن عبد الملك يكثر الخطب والتبليغ فقدم واسط فصعد
المنبر فاقول الخطبة فارتج عليه فقال أيها الناس ان هذا الكلام يحيى احياناً ويعزب
احياناً فيمز عند عزوه طلبه ويتسبب عند مجيئه سببه وربما كور قاي وعوسر
فقسا والتأني لحيثه أسهل من التعاطي لأبيه وتركه عند تمذره اهدم من طلبه عند
شكره وقد يرتج على اللسان لسانه ولا ينظره القول اذا اتسع ولا يتيسر اذا امتنع ومن
لم يتمكن له الخطوة فليبق ان تعن له النبوة .^(١) واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو
عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني ابو العباس المنصورى قال سعد ابو
العباس السفاح المبر فارتج عليه فقال أيها الناس ان اللسان بضعة من الانسان يكل اذا
كل وينشق بانفاسه اذا فصح ونحن امراء الكلام منا قترعت فروعه وعلينا تهدات
غصونه الا وانا لا نكلم هذراً ولا نسكت الا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال
قد هو لو خطب يمثلي ما احتذر لسان من اخطبت الناس وهذا السلام يروي لداود
ابن علي . . . وبهذا الاسناد عن محمد بن الصباح عن قثم بن جعفر بن سليمان عن ابيه
قال اراد ابو العباس السفاح يوماً ان ينكلم بالناس من الامور بعد ما افضت الخلافه اليه

(١) وروي ابو علي التالى قال حدثنا ابو بكر رحمه الله قال اخبرنا السكن بن
سعيد عن العباس بن هشام السكيتي قال سعد خالد بن عبد الله القسري يوماً المنبر بالبصرة
ليخطب فارتج عليه فقال أيها الناس ان الكلام ليحيى احياناً فيتسبب سببه ويعزب
احياناً فيمز مطلبه وربما طوب قاي وكور لعصى فالتأني لحيثه أصوب من التعاطي لأبيه

وكان فيه حياة مفرط فأخرج عليه فقال داود بن علي بعد ان حمد الله وأثنى عليه أيها الناس ان أمير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته عقل من أسأله عنه ما يعهد من بيانه ولكل مرقق يمر حتى نفسه العادات فابشروا بنعمة الله في سلاح دينكم وورعكم عيشكم .. واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن هرون قال حدثني عبد الله بن اسحق بن سلام قال سمع عثمان بن عفان رضي الله عنه المنذر فأخرج عليه فقال أيها الناس سبج على الله بعد عسر يسراً وبسدي نطقاً وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال .. وروى محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بيته عن يزيد بن ابي سفيان وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال من يخرجني من الشام استعصنا لكلامه .. وروى محمد بن يزيد النحوي قال بلغني ان رجلاً سمع المنذر ايام يزيد وكان والياً على قوم فقال لهم أيها الناس اني اني لم اكن ظالماً طلياً بهذا القرآن فان مئ من اشعار العرب ما ارجو ان يكون خلفاً منه وما اساء القائل اخو البراهم حيث قال

وما عا جلات الطير يذنين للفتى رشاداً ولا من ريشن ينجيب^(١)
 ورُبُّ أمور لا تضيرك ضيرة وللقلب من غشاشين وجيب
 ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين ثوب

(١) يقول اذا لم تجعل له طير ساحة فليس ذلك بمعدي خيراً له عنه ولا اذا ابطأت خاب فاجابها الاياه بخير وآجلها لا يدفع عنه اما له ما قدر له .. والعمر .. تزجر على الساع وتترك به وتكره البارج وتشام به ويعضهم بعكس والسبح ما ولاك مياسره فامكنك ربه والبارح ما ولاك ميامنه فلا يمكنك ربه الا ان تحرف له .. واطجلات الطير هي ان يخرج الانسان من منزله اذا اراد ان يزجر الطير فاصربه في اول ما يهصر فهو واجلات الطير وان ابطأت عنه وانظرها فقد رأت اي ابطأت والاول عندهم محمود والثاني مضموم يقول ليس التبعج بان يجعل الطائر الطير ان كما يقول الذين يزجرون الطير ولا الخيبة في ابطائها وهذا رد علي منسوب الاعراب والايات لابي بن الحارث

وفي الشكِّ نَفَرِيطُ وفي الحَزْمِ قُوَّةٌ وَيُخْطِئُ الْفَتَى فِي حَدِّهِ وَلُصِيبُ

فقال رجل من كلب ان هذا المنبر لم ينصب للشعر بل ليحمد الله تعالى ويصل على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام وللقراء فقال أملوا أنشدكم شعر رجل من كلب اسركم فكشبه الي يزيد بذلك لعزله وقال قد كذب أراك جاهلاً أحق ولم أحسب ان الحق بلغ بك الي هذا المبلغ فقال له أحق مني من ولاني ٥٥ وكان يزيد بن المهلب ولي ثابت قطنة بعض قرى خراسان فلما سجد المنبر حمر قنزن وهو يقول

فَالَا أَكُنْ أَفِيكُمْ خُطِيبًا فَإِنِّي بَسِيفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ لَخَطِيبُ

فقبل له اوقات هذا على المنبر لكنت أخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال

أَبَا الْعَلَاءِ لَقَدْ لَأَقَيْتَ مَفْضِلَةً يَوْمَ الْمَرْوَةِ مِنْ كَرْبٍ وَتَحْنِيقِ
أَمَّا الْقُرْآنُ فَلَا تَهْدِي لِمُحْكِمِهِ وَلَمْ تُسَلِّدْ مِنَ الدُّنْيَا بَتَوْفِيقِ
لَمَّا رَمَتْكَ عَيُونُ النَّاسِ هَبْتُمْ وَكَذْتَ تَشْرِقُ لِمَا قُمْتَ بِالرَّيْقِ
تَلَوِي الْأَسَانِ إِذَا رَمْتَ الْكَلَامَ بِهِ كَمَا هَوَى زَلَقٌ مِنْ جَانِبِ النَّيْقِ^(١)

(١) - وكان سبب عجز حاجب الفيل والفيل لقب لقيه به ثابت قطنة واسم أبيه

ذبيان المازني وقبل معدان وقبل انه الملقب بالفيل لأنه كان يروض فيلا للحجاج ٥٥

ان حاجباً دخله على يزيد بن المهلب فلما مثل بين يديه أنشده

أرجمي ندا كفيك يا ابن المهلب	اليك استطيت العيس نعين إيلة
على كل حي بين شرق ومغرب	وأنت امرؤ جادت سباه بينه
سالم الشظي عبل القوائم - اهـ	فجد لي بطرف أعوجي مشور
أمر كامرار الرشاء المشذب	سبح طموح الطرف يستمرح
عقاب تدان من شاربج كبكب	طوي الضمر منه البطن حتى كأنه
من الزاد من قدر من الأرض مجذب	فبادر جنح الليل فرخين أقويا
دلاء تهاوي مرقباً بمد مرقبة	فلما رأت سيداً تدان كأنها

•• وروى ان بعض خلفاء بنى العباس وأظنه الرشيد سعد النضر ليخطب فسلطت على وجهه ذبابة فطردها فرجعت فحصر وارنج عليه فقال أعوذ بالله السميع العليم يأيتها الناس ضرب مثلي فاستمعوا له الآية الى قوله خفف الطاب والمطلوب ثم نزل فاستحسن ذلك منه •• وما يشا كل هذه الحكاية ما حكاه عمر بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال له جسد الله بن سوار لم ير الناس ساء كما قط ولا زميناً ولا ركنياً ولا وقوراً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذى ضبط وملك وكان يصل القعدة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي يجلس فيجتي ولا يزال منتصباً لا يحرك له عضو ولا ياتف ولا يحل حبوته ولا يحرك رجلاً عن رجل ولا يعتمد على حل أحد شقيه حتى كأنه بناء مبنى أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة العصر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم الى المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه بل كثيراً ما يكون ذلك اذا بنى عليه من قراءة القعد والشروط والوفائق ثم يصل العشاء وينصرف لم يقم في

فشكت سواد القلب من ذنب قفرة طويل القري عارى العظام معصب
وسابغة قد اتقن التين صنعها وأسر خطي طويل مجرب
وأبيض من ماء الحديد كأنه شهاب متى يلق الضربة يقضب
وقلبي اذا عاشت في حومة الوغى تقدم أواركب حومة الموت أركب
فالى امرؤ من غصة لازية نفاى أب ضخم كريم الركب

فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس وقال له قد عرفت ماشرطت لنا على نفسك فقال اسلم الله الامير حجتى بينة وهي قول الله عز وجل (والشراء ببيعهم التاواون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون) فقال ثابت قطنة ما أعجب ما وفقت به من بلدك في تسعين ليلة مدحت الامير بيتين وسألته حوائجك في عشرة أبيات وخضعت شعرك في بيت تغفر عليه فيه حتى اذا أعطاك ما أردت حدثت ماشرطت له على نفسك فأكذبها حتى كأنك كنت تخدع فقال له يزيد ما يأتيت فانا لا نخدع ولكن نخادع وسوغه ما اعطاه وأمر له بألفي درهم ولح حاجب يهجو ثابتاً

طول تلك الولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب وكذلك كان شأنه في طوال الايام وفي قصرها وفي سبها وشتائها وكان مع ذلك لا يهرك بدأ ولا يشير برأسه وليس الا أن يشكلم ثم يوجز ويباع بالكلام اليسير المعاني الكثيرة فبينما هو كذلك ذات يوم وأصعابه حوالبه وفي الساجدين بين يديه اذ سقط على أنفه ذباب فأطال السكوت والمكث ثم تحول الى موق عينه فرام الصبر في سقوطه على الموق وعلى أعضته وخذ خرطومه كأوام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يقضي وجهه أو يذب بأصبعه فلما طل ذلك من الذباب وأوجمه وأحرقه وقصد الى مكان لا يجتلي التفاضل عنه أطبق جفنه الا على على جفنه الاسفل فلم ينهض فدهاه ذلك الى أن والى بين الاطباق والفتح فتحنى ريثما سكن ثم عاد الى موقه ثانياً أشد من مرته الاولى فغمس خرطومه في مكان قد كان أوهاه قبل ذلك وكان احتماله أضعف وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة في تتابع الفتح والاطباق فتحنى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد الى موضعه فا زال ملعاً عليه حتى استرخ صبره وباع مجهوده فلم يجد بدأ من أن يذب عن عينه بيده فقبل وعيون القوم اليه يرهقونه كأنهم لا يرونه فتحنى عنه بمقدار ما رديده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه فألجأ الى أن ذب عن وجهه بطرفه ثم ألجأ الى أن تابع بين ذلك وعلم أن ذلك كله بعين من حضر من أمانته وجلائه فلما نظروا اليه قال أشهد ان الذباب ألج من الخنفاء وأزمى من الغراب وأستغفر الله فأكثر من أعجبه نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت اني كنت عند الناس من أروى الناس وقد غابني وقضعتي أضعف خلق الله ثم تلاقوا الله تعالى (ضعف الطالب والمطلوب)

محـ مجلس آخر ٥٩ محـ

[تأويل آية] ٥٥ ان سأل سائل عن قوله تعالى (واذ نحيناكم من آل فرعون

يسومونكم سوء العذاب الى قوله تعالى بلاء من ربكم عظيم) فقال ما نسكروا أن يكون في هذه الآية دلالة على اضافة الالف التي تظهر من العباد الى الله تعالى من وجوب .. أجهدا أنه قال تعالى بعدما تقدم ذكره من أفعالهم وماصيبهم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم لاضافها الى نفسه .. والثاني أنه أضاف نجابهم من آل فرعون اليه فقال تعالى واذا أنجيناكم ومعلوم أنهم هم الذين ساروا حتى نجوا ليجب أن يكون ذلك السير من فعله على الحقيقة حتى تصح الاضافة حينئذ .. الجواب قلنا أما قوله تعالى وفي ذلكم فهو إشارة الى ما تقدم ذكره من أنجائهم لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم أنه معطوف على ما تقدم من قوله تعالى (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي) الآية والبلاء هنا الاحسان والنصرة ولا شك في أن تخليصه لهم من ضروب المكروه التي عددها الله نعمة عليهم واحسان اليهم .. والبلاء عند العرب قد يكون حسنا وقد يكون سيئاً قل الله تعالى (وليبلى المؤمنين منكم بلاءاً حسناً) ويقول الناس في الرجل اذا أحسن القتال والثبات في الحرب قد أبلى فلان وفلان بلاء وبلى أيضاً قد يستعمل في الخير والشر الا أن أكثر ما يستعملون البلاء للمدود في الجليل والخير والبلى المتصورة في سوء والشر فقال قوم أصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر لان الاختبار والامتحان قد يكون في الخير والشر جميعاً كما قال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) يعني اختبارناهم وكما قال تعالى (ولبلونكم بالخير والشر فتنة) فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير أن الأكثر في الشر أن يقال بلوته أبلوه بلاء وفي الخير أبلوته أبليه إبلاء وبلاء .. وقال زهير في البلاء الذي هو الخير

جزى الله بالإحسان ما فعلنا بكم وأبلاهما خيراً البلاء الذي يأتو

جميع بين المؤمنين لانه أراد أنعم الله عليهم ماخير النعمة التي يختبر بها عبادهم وكيف يجوز أن يضيف تعالى ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الإبناء وغيره الى نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو قد عدّ تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا أن يكون انما نجابهم من فعله تعالى بفعله وهذا مستحيل لا يعقل

ولا يحصل على أنه يمكن أن يرد قوله ذلك إلى ما جهك عن آل فرعون من الأفعال
 التيحة ويكون المعنى أن في تخليته بين هؤلاء وبينكم وتركه منهم من إغاث هذه الأفعال
 بكم بلا من ربكم عظيم أي عنة واختيار لكم والوجه الأول أقوى وأولى وعليه
 جماعة من المفسرين . . وروى أبو بكر الهذلي عن الحسن في قوله تعالى (وفي ذلك
 بلا من ربكم عظيم) قال نعمة عقابية إذ أنجأكم من ذلك وقد روى مثل ذلك عن
 ابن عباس والسدي ومجاهد وغيرهم . . فأما إضافة النجاة إليه وإن كانت واقعة بغيرهم
 وقعا فلم يدل على ما ظنوه لوجب إذا قلنا إن الرسول عليه الصلاة والسلام أتقنا من
 الشرك وأخرجنا من الضلالة إلى الهدى ونجائنا من الكفر أن يكون فعلا لأفعالنا وكذلك
 قد يقول أحدنا لغيره أنا نحيثك من كذا وكذا واستغفرك وخلصتك ولا يريد أنه فعل
 بنفسه فعله والمعنى في ذلك ظاهر لأن ما وقع بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونه
 وأعطائه قد أصبح اضافته إليه فعلي هذا صحت إضافة النجاة إليه تعالى . . ويمكن أيضاً
 أن يكون مضافاً لها إليه تعالى من حيث شبط عنهم الأعداء وشغلهم عن طلبهم وكل هذا
 يرجع إلى المعونة فتارة تكون بأمر يرجع إليهم وتارة بأمر يرجع إلى أعدائهم . . فإن
 قيل كيف يصح أن يقول (واذا أنجيناكم من آل فرعون) فيخطب بذلك من لم يدرك
 فرعون وأنجى من شره . . قلنا ذلك معروف مشهور في كلام العرب وله لظائر لأن
 العربي قد يقول مقتضراً على غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وإنما يريد أن قومي
 فعلوا ذلك بقومك . . وقال الأخطل بهجر جرير بن عطية

ولقد سألكم الهذيل فأنالكم بإرباب حيث قسم الأنفالا
 في فيلق يذعو الأراقم لم تكن فزسانه عزلا ولا أكفالا

ولم يالحق جرير الهذيل ولا أدرك اليوم الذي ذكره غيره أنه لما كان يوم من أيام قوم
 الأخطل على قوم جرير أنشأ الخطاب إليه وإلى قومه فكذلك خطاب الله تعالى
 بالآية إنما توجهت إلى أبناء من نجي من آل فرعون وأحلافهم والمعنى واذا أنجينا آبائكم
 وأحلافكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف . . [قال الشريف المرتضي] رضى الله

عنه ومن أحسن الشعر في تعود الضيافة والانس بها والاستمرار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي

إِذَا مَا بَجَلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلَابُهُ وَشَقَّ عَلَى الضَّيْفِ الْغَرِيبِ عَقُورُهَا
فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ بَيْنِي وَطِطًا جَوَادُ إِذَا مَا النَّفْسُ شَخَّ ضَمِيرُهَا
وَإِنِّي كِلَابِي مُذَاتُ تَرْتٍ وَعَوْدَتٍ قَلِيلٌ عَلَيَّ مِنْ يَغْتَرِبُنَا هَرِيرُهَا

أراد بقوله - على من يغتربنا هريرها - أنها لا تهر جلة ولذلك نفاثر كثيرة ^(١) ومثله قوله تعالى (قليل ما يؤمنون) ومثل قوله فاني جبان الكلب معناه ولفظاً قول الشاعر وما يك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصيل وإنما أراد أني أوتر الضيف بالالبان فصالي مهزول . . ومثل الانظ والمعنى قول أبي جرة

(١) قوله ولذلك نفاثر . . يريد ان قليلا وقليلة يردان للنفي وهما في ذلك تابعا لتل وأقل يقال قل رجل يقول ذلك الزيد بالضم وأقل رجل يقول ذلك الازيد مضاهما مارجل يقوله الاهرقالنية فيه لنفي المحض . . وقال ابن جني لما ضارع المبتدأ حرف النفي بقوا المبتدأ بلا خبر . . وقد عقد ابن مالك فصلا في التسهيل لهذه الكلمات ونصه فصل قد يقوم ما يغفل أحد أقل ملازما للإبتداء والاضافة الى نكرة موسوفة بصيغة معتبة عن الخبر لازم كونها فصلا أو ظرفا وقد تجعل خبراً ولا بد من مطابقة فاعلمها للنكرة المضاف اليها ويساوى أقل المذكور قل رافعا مثل الجرور ويتصل بقل ما كافة عن طلب الفاعل فيلزم في غير ضرورة مباشرتها الأفعال وقد يراد بها حيائذ الثقيل حبيبة وقد يدل على اتنى قليل وقليلة فقلوه ملازما للإبتداء أي فلا تقول كان أقل رجلا يقول ذلك لأنه لما تاب مناب النفي كان له المصدر كالنفي وشمل قوله نكرة ما يغفل أن كرجل وما لا يقبلها نحو أقل من يقول ذلك والجملة الواقعة بعد هذه النكرة صفة لها في موضع جر والخبر محذوف أي كائن وليست خبر لمطابقة النكرة نحو أقل امرأة تقول ذلك

وَأَلُّ الزُّبَيْرِ بَنُو حُرَّةٍ مَرَّوَابِ السُّيُوفِ الصُّدُورِ الْحَنَافِ
يَمُوتُونَ وَالْقَتْلُ مِنْ دَأْبِهِمْ وَيَنْشُونَ يَوْمَ السُّيُوفِ السَّيَافِ
وَأَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ كَلْبُهُمْ وَإِنْ قَذَفَتْهُ حَصَاةٌ أَضَافِ

يقول ادركوا بسيفهم نارهم فكانهم شقوا وعر قلوبهم وأزالوا ما كان فيها من الاحتاد ومعنى مروا - استخرجوا كما جرى الناقة إذا أردت أن تحمل التدر - والجائفت المائل . . ثم قال وإن مات بعضهم على فراشه فإن أكثرهم يموت مقتولا لشجاعتهم وأقدامهم فلذلك قال والقتل من دأبهم وجعل كلهم جباناً لكثرة من يشاهم ويطلقهم من الزنا والاضيف فقد ألفتهم كلابهم وأنست بهم لمي لا تبعهم وقيل أيضاً أنها لا تهر عليهم لأنها تصيب مما يخر لهم وتشاركهم فيه . . ومعنى - وإن قذفته حصاة أضاف - أى أشفق وهذا تأكيد لجبنه ويقال أضاف الرجل من الأمر إذا أشفق منه . . ومعنى - أجبن من صافر كلبهم - قد تقدم ذكره في الامالي . . ومثله في المعنى

يُنْفُسُونَ حَتَّى مَاتَهُ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(١)

[١] هذا البيت من قصيدة لحسان بن ثابت رضى الله عنه يمدح بها جيلة بن الابهيم الفسافي وقيل عمرو بن الحارث الاعرج ولكل من الروايتين قصة وعلى أنه عمرو قيل ان حسان لما قدم عليه اعتاس وصوله اليه ثم دخل عليه فوجد عنده النابغة الذبياني وعلقمة الفحل فقال له عمرو يابن الفريفة قد عرفت عيبك ونسبك في غسان فارجع فاني باعت اليك بصاله حلية ولا أحتاج الي الشعر فاني أخاف عليك هذين السبعين أن يفضحك وفضيحتك فضيحتي وأنت والله لأنحن أن نقول

دقاق النعال طيب حجرانهم يحبون بالريحان يوم السباب

فلما أنشده حسان لم يزل يزل عن موضعه سروراً وهو يقول هذا وأبيك الشعر لا ميعلا نبي به منذ اليوم هذه والله البشارة التي بترت المدايح هات له يا غلام ألف دينار مرجوحة وهي التي في كل دينار منها عشرة دنانير ثم قال لك على في كل سنة مثلها . . ومطلع القصيدة

وقال المراء بن المنفذ العدوي^١

أَفْرِفُ الْحَقَّ وَلَا تُنْكِرُهُ وَكِلَابِي أُنْسُ غَيْرُ عَقْرِ
لَا تَرَى كَلْبِي إِلَّا آتِئًا إِنْ أَتَى خَابِطُ لَيْلٍ لَمْ يَبْزِ
كَثُرَ النَّاسُ فَمَا يُنْكِرُهُمْ مِنْ أَسِيفٍ يَنْتَنِي الْخَيْرُ وَحُرُ

الاسيف - العبد هنا .. وقال آخر

إِلَى مَا جِدَ لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ ضَيْفَهُ وَلَا يَتَأَدَّاهُ احْتِمَالُ الْمَغَارِمِ

معنى يتأداه - يشقه وأراد أن يقول يتأدده فقلب .. وقال ابن حرملة

وَإِذَا أَنَا طَارِقٌ مُتَوَرِّ نَبَحَتْ فَدَلَّنَهُ عَلَى كِلَابِي

وَفَرَحَنَ إِذْ أَبْصَرَنَهُ فَلَقِينَهُ بِضَرْبَتِهِ بِشَرِّ الْأَذْنَابِ^(١)

وانما تفرح به لأنها قد تعودت اذا نزل الضيوف أن يغر لهم فتصيب من قراهم ومثله
وَمُسْتَنْبَحٌ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ نَوْبَهُ لَيْسَ تَقُطُّ عَنْهُ وَهُوَ بِالتَّوْبِ مُعْصِمُ
عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بِمَدِّ اعْتِسَافِهِ لَيْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمُ
فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْفَرَى لَهُ مَعَ إِيْتَابِ الْمُهَيَّنِ مَطْعَمُ
يَسْكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يُكَلِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ
أراد بقوله - لجأ به مستمع الصوت - أنه جأ به كالب - والمهون - الموقظون له ولا هه
وهم الاضياف وانما كان له معهم مطعم لأنه يغر لهم ما يصيب منه .. وأراد بقوله -

أَسَأَلْتُ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلْ بَيْنَ الْجَوَابِي فَالْبَضِيعِ غُفُولُ

ومنها لله در عصاية ناد منهم دهر الجملق في الزمان الاول

بينض الوجوه كريمة أحسابهم شم الانوف من الطراز الاول

(١) شر شر الكلب اذا ضرب بذنبه وحركة الاناس

يكلّمه من حبه وهو أعجم - بصبعته وتحريك ذنبه •• وأما قوله - ليغزع نوم - فاعلم
أراد ليغيث نوم يقال غزعت لفلان إذا أغثته •• ومعنى - عوي في سواد الليل - أن
العرب تزعم أن سائر الليل إذا أنطم عليهم وأدلم فلم يستن حجة ولم يدر أين الحى وضع
وجهه على الأرض وعوي عواء الكلب ليسمع ذلك الصوت الكلاب إن كان الحى قريباً
منه فتجيبه فيقصد الايات وهذا معنى قوله أيضاً ويستجيب أى ينجح نبح الكلاب ••
وقال الفرزاق

وَدَاعَ بِلَحْنِ الْكَلْبِ يَدْعُو وَدُونَهُ مِنْ اللَّيْلِ سَجَفًا ظُلْمَةً وَغَيُومًا
دَعَا وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَنْبَهُ إِذْ دَعَا فَنَى كَابِنِ لَيْلٍ حِينَ غَارَتْ نَجُومًا
- ابن ليل - يعنى أباه غالباً

بَعَثْتُ لَهُ دَهَاءَ لَيْسَتْ بِطَلْحَةٍ تَدُرُّ إِذَا مَا هَبَّ نَحْسًا عَقِيمًا
معنى - بعثت له دهاء - أى رفعها على أنافها ويعنى بالدهاء النذر - واللقعة - الناقة
وأراد أن قدره نذر إذا حبت الريح عقيم لا مطر فيها
كَأَنَّ الْحِجَالَ الْغُرَّ فِي حُجُرَاتِهَا عَذَارَى بَدَتْ لَمَاءً صِيبَ حَمِيمٍ
أراد أن قطع اللحم فيها لانتثر بشئ منها كالانتثر العذارى اللواتى أصيب حميمهن
ونظرن حواسر

عَضُوبًا كَحَبِزُومِ النَّعَامَةِ أَحْمَشَتْ بِأَجَوَازِ خُشْبٍ زَالَ عَنْهَا هَشِيمُهَا
- الاجواز - الاوساط وأوسط الخشب أصله وأبقى ناراً

مُحْضَرَّةً لَا يَجْعَلُ السَّيْرُ دُونَهَا إِذَا الْمَرْضَعُ الْمَوْجَاءُ جَالَ بِرِيْهَا
- البريم - الحفاب وانما يجول من الهزاع والجهد والطوي - والموجاء - التى قد
اعوجت من الطوى •• وقال الأخطل في الضيف

دَعَانِي بِصَوْتٍ وَاحِدٍ فَأَجَابُهُ مَنَادٍ بِلَا صَوْتٍ وَآخِرُ صَيْتٍ
ذكر ضيفاعوى باللبه والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله - بصوت واحد -

وقوله - فأجابه مناد - معنى نارا رفعها له فرأى سناها فقصدها - والآخر الصيت -
الكلب لانه أجاب دعواه... ومثله

وَسَارِي ظِلَامٍ مُفْقِعٍ وَهَبَوَةٍ دَعَوَتْ بِضَوْءٍ سَاطِعٍ فَاهْتَدَى لِيَا
يعنى نارا رفعها ليقصده طراق الليل - والمفقعل - المنقيض من شدة البرد... وأنشد محمد
ابن يزيد

وَمُسْتَنْبِحٌ تَهْوَى مَسَاقِطُ رَأْسِهِ إِلَى كُلِّ شَخْصٍ فَهَوَى لِلصُّوْتِ أَصْوَرُ
حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرَامِ مَنَاخُهُ بَغِيضٌ إِلَى الْكُومَاءِ وَالْكَأْبِ أَبْصَرُ
دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إِلَى الْتَرَى فَأَسْرَى يَبُوعُ الْأَرْضِ شَقْرَاءُ تَزْهَرُ^(١)
معنى - أصور - أى مائل أراد أنه يميل رأسه الى كل شخص فيخله له يظنه انسانا...

- (١) الايات من قطعة في غاية الحسن أردنا الاتيان بها مرتبة وهي
- | | |
|--|--------------------------------|
| وَمُسْتَنْبِحٌ تَهْوَى مَسَاقِطُ رَأْسِهِ | الى كل شخص فهو واسع أصور |
| بِصَفْقِهِ أَتَقَفَ مِنَ الرِّيحِ بَارِدٌ | ونكباء ليل من جادي وصرصر |
| حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرَامِ مَنَاخُهُ | بغيض الى الكوماء والكلب أبصر |
| حَفَافَاتُ لَه نَارِي فَأَبْصَرُ ضَوْءَهَا | وما كان لولا حفاة النار يبصر |
| دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إِلَى الْتَرَى | فأسرى يبيع الارض والنار تزهر |
| فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قَلْتُ مَرْحَبًا | هلم وللصالحين بالنار أبشروا |
| فَجَاءَ وَمَعْمُودُ الْتَرَى يَسْتَنْفِزُهُ | اليها وداعى المليل بالصبح يصفر |
| تَأَخَّرْتُ حَتَّى كُنْتُ لَمْ تَصْطَلِقِ الْتَرَى | على أهله والحق لا يتأخر |
| وَقَدْ بَصَلْتُ السِّيفَ وَالْبَرْكَ هَاجِدٌ | بهازره والموت بالسيف ينظر |
| فَأَعْيَضْتُهُ الطُّوْلِي سَنَا مَا وَخِيرَهَا | بلاء وخير الخير ما يخير |
| فَأَوْضَعْتُهَا وَهِيَ تَرْغُو حَشَاةً | بذى نفسها والسيف عريان أحر |
| فَبَاتَتْ رَحَابٌ جَوْنَةٌ مِنْ لَحْمِهَا | وفوها بما فى جوفها يستفرغ |

ومعنى - حبيب الى كلاب الكرام - المعنى الذي تقدم .. ومعنى - بغيش الى الكرماء - الى الذاقة لانها تحمله .. وقوله - دعت شقراء - بغير اسم يعنى نارا رأى ضوءها فقصدها فكأنها دعت .. وقال ابن هريرة وقد نزل به ضيف

فقلت لِقَيْنِي اَرْفَعُهَا وَحَرَقَا لَعَلَّ سَنَانِيرِي بِآخِرِ تَهْتِفُ

وفي معنى قوله بغيش الى الكرماء .. قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وَأَيْبِكَ خَيْرًا إِنَّ إِبِلَ مُحَمَّدٍ عَزَلُ تَنَاحٍ أَنْ تَهْبُ شَمَالُ

وَإِذَا رَأَيْتَ لَدَى الْفَنَاءِ غَرِيْبَةً ذَرَفَتْ لَهَا مِنْ الدُّمُوعِ سَجَالُ

وَتَرَى لَهَا زَمْنَ الشِّتَاءِ عَلَى التَّرَى رَحْمًا وَمَا بِجِبَالِهَا فَصَالُ

أراد وأيبك الخير فلما طرح الالف واللام نصب .. والعزل - الى لاسلاح معها وسلاح الابل سمها وأولادها وانما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها اذا رأى سمها وخسن حسنها ورأى أولادها تبعها نفس بها على الاضياف فامتنع من نحرها فلما كان ذلك صادراً عن الذبح وما لعل منه جرى مجرى السلاح لها فكأنه يقول هذه الابل وان كانت ذوات سلاح من حيث كانت سخيبة سمينة فهي كالعزل اذ كان سلاحها لا ينفى عنها شيئاً ولا يمنع من عقرها .. ومعنى - تناح - قابل بعضها بعضاً أى من مدقات بساتنها وأولادها لاتبالي بهبوب الشمال ولا يدخل بعضها في بعض من البرد .. وقوله - واذا رأيت لدى الفناء غريبة - أى اذا نزل ضيف فعقل ناقته التي جاء عليها وهي الغريبة علمن انه سينحر بعضهم لا محالة فذلك تذرف دموعهن .. وقوله - وترى لها زمن الشتاء على الترى رحماً - فقد قيل فيه انه أراد به أن يهب فصالحن لتبقي ألبانها على الارض كهيئة الرخم .. وحكي عن ابن عباس انه قال الرخم قطع العاق من الدم وعندى ان المعنى غير هذين جميعاً وانما أراد انهما نحر وتمقر فتسقط الرخم على موضع عقرها وبقياً دماً لها واسألها فماذا معنى قوله لا ما تقدم .. وقال آخر في معنى سلاح الابل يمدح بنى عوذ بن غالب بن عباس

جَزَى اللَّهُ عَنِّي غَايَا خَيْرَ مَا جَزَى ^(١) إِذَا أَحَدَتَانِ الدَّهْرُ نَابَتِ تَوَاتُبُهُ

إِذَا أَخَذَتْ بَزْلُ الْمَغَاضِ سِلَاحَهَا تَجَرَّدَ فِيهَا مُتَلَفُ الْمَالِ كَاسِبُهُ

أراد أن سمها وحدها وتماها لا يمتنع من عقرها للاضياف ٠٠ ومثله

إِذَا الْبَقْلُ فِي أَصْلَابِ شَوْلِ بْنِ مُسِيرٍ نَعَى لَمْ يَزِدْهُ الْبَقْلُ إِلَّا تَكْرُمًا

إِذَا أَخَذَتْ شَوْلُ الْبَحِيلِ رِمَاحَهَا وَحَى بِرِمَاحِ الشَّوْلِ حَتَّى تَحْطَأَ

وقوله - أخذت رماحها - من المعنى المتقدم ٠٠ وقال ابن مكين الدارمي

قَعَمْتُ وَلَمْ تَأْخُذْ إِلَيَّ رِمَاحَهَا عِشَارِي وَلَمْ أَرْجُبْ عَرَاقِبَهَا عَقْرًا

- أَرْجَب - أَكْبَرُ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْظَمْ عَلَى وَسْطِ رَجَبٍ رَجَبًا مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ شَهْرٌ مَعْظَمٌ

٠٠ وقالت لبلى الاخيلية

وَلَا تَأْخُذْ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا لِتَوْبَةٍ فِي قُرَى الشِّتَاءِ الصَّنَابِرِ

ومثله

لَا أَخُونُ الصَّدِيقَ مَا حَفِظَ الْعَمَلُ وَلَا تَأْخُذُ الْبَلَاحَ الْفَاحِي

وقال الفرزدق بن نوب

أَزْهَمَ أَنْ لَمْ تَأْخُذْ إِلَيَّ سِلَاحَهَا إِبْلِي بِجَلَّتْهَا وَلَا أَبْكَارَهَا

أَبْزَاهَا الْبَانَا وَلُحُومَهَا فَأَهَيْنَ ذَلِكَ لَضِيْفِهَا وَلِجَارِهَا

وقال المضر بن ربي الاسدي

وَمَا نَلَمْنُ الْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بِنَا وَلَا يَسْعُ الْكُومَاءُ مِنَّا نَصِيرُهَا

[١] ٠٠ ويروى جزي الله خيراً غالباً من عشرة الخ وبين البيتين بيتان وهما

فكم دافعو من كربة قد تلاحت على وموج قد علنى غواربه

إذا قلت عودوا عاد كل شمر دل أشم من الفيتان جزل مواهبه

ومعنى - لا تلزمهم - أي لا تبعدهم واللعين البعيد - ولميرها - هنا ما يمنع من عقرها من حسن وتماير وولد وما جرى ذلك المجري والتصير والسلاح في المعنى واحد

مجلس آخر ٦٠

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك فعداً [لأن يشاء الله] .. فقال ما تنكرون أن يكون ظاهر هذه الآية يقتضي أن يكون جميع ما تفعله يشاؤه ويربده لأنه تعالى لم يخص شيئاً من شيء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم أن تقولوا أنه خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام خاصة وهو لا يفعل إلا ما يشاء الله تعالى لأنه قد يفعل المباح بلا خلاف وفعل الصغار عند أكثركم فلا بد من أن يكون في أفعاله تعالى ما لا يشاؤه عندكم ولأنه أيضاً تأديب لنا كما أنه تعالى له عليه الصلاة والسلام ولذلك يحسن منا أن نقول ذلك فيما يفعله .. الجواب قلنا تأويل هذه الآية مبني على وجهين .. أحدهما أن يجعل حرف الشرط الذي هو إن متعلقاً بما يليه وبما هو متعلق به في الظاهر من غير تقدير محذوف ويكون التقدير ولا تقولن أنك تفعل إلا ما يريد الله تعالى وهذا الجواب ذكره الذراء وما رأيته إلا أنه من العجب تغافلوا إلى مثل هذا مع أنه لم يكن له تظاهراً بالقول بالعدل وعلى هذا الجواب لاشبهة في الآية ولا سؤال للقوم عليه وفي هذا الوجه ترجيح على غيره من حيث أيضاً في الظاهر ولم تقدر محذوفاً على كل جواب مطابق للظاهر ولم يبين على محذوف كان أولى .. والجواب الآخر أن نجعل أن متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك فعداً إلا أن نقول أن يشاء الله لأن من عادتهم إسماء القول في مثل هذا الموضع واختصار الكلام إذا طال وكان في الوجود منه دلالة على المنقود وعلى هذا الجواب يحتاج إلى الجواب عما سألنا عنه لقول هذا تأديب من الله تعالى لعباده وتعليم لهم أن يسلقوا ما ينبغي به هذه الفظة حتى يخرج من حد القطع ولا شبهة في أن ذلك مختص بالطامات وإن الأفعال (٥ - إلى رابع)

القيصة بخارجة عنه لأن أحداً من المسلمين لا يستحسن أن يقول أتى أذن غداً إن شاء الله أو أقله . وثمناً وكلهم يمنع من ذلك أشد المنع فلم سقوط شبهة من تلقاها الآية عامة في جميع الأطفال . . . وأما أبو علي محمد بن عبد الوهاب فإنه ذكر في تأويل هذه الآية ما نحن ذا كروه بعينه قال إنما عني بذلك أن من كان لا يعلم أنه يبتلى إلى غير حياء فلا يجوز أن يقول أتى سأفعل غداً كذا وكذا فيسلك الخبر بذلك وهو لا يدري لعله سيموت ولا يفعل ما أخبر به لأن هذا الخبر إذا لم يوجد خبره على ما أخبر به الخبر فهو كذب وإذا كان الخبر لا يأمّن أن لا يوجد خبره لحدوث أمر من فعل الله تعالى نحو الموت أو الجز أو بعض الأمراض أو لا يوجد ذلك بأن يبدو له في ذلك فلا يأمّن من أن يكون خبره كذباً في معلوم الله عز وجل وإذا لم يأمّن ذلك لم يحز أن يخبر به ولا يعلم خبره هذا من الكذب إلا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فإذا قل أتى سائر غداً إلى المسجد إن شاء الله فاستثنى في مصيره بمشبهة الله تعالى أمّن أن يكون خبره في هذا كذباً لأن الله تعالى إن شاء أن ياجئ إلى المصير إلى المسجد غداً أجزأه إلى ذلك وكان المصير منه لا محالة وإذا كان ذلك على ما وصفنا لم يكن خبره هذا كذباً وإن لم يوجد منه المصير إلى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناء في ذلك من مشبهة الله تعالى . . . قال ويذهب أن لا يستثنى مشبهة دون مشبهة لأنه إن استثنى في ذلك مشبهة الله بمصيره إلى المسجد على وجه التصديق فهو أيضاً لا يأمّن أن يكون خبره كذباً لأن الإنسان قد يترك كثيراً بما يشاؤه الله تعالى منه ويتصده به ولو كان استثناء مشبهة الله لأن يبقيه ويقدره ويرفع عنه الموانع كان أيضاً لا يأمّن أن يكون خبره كذباً لأنه قد يجوز أن لا يصير إلى المسجد مع تيقن الله تعالى له قادر مختاراً فلا يأمّن من الكذب في هذا الخبر دون أن يستثنى المشبهة العامة التي ذكرناها فإذا دخلت هذه المشبهة في الاستثناء فقد أمّن من أن يكون خبره كذباً إذا كانت هذه المشبهة متى وجدت وجب أن يدخل المسجد لا محالة قال وبذلك هذا الاستثناء يزول الحث من حالف فقال والله لأصبرن غداً إلى المسجد إن شاء الله تعالى لأنه إن استثنى على سبيله ما ينشأ أن يثبت في بينه ولو خص استثناءه بمشبهة بعينها ثم كانت ولم يدخل معها إلى المسجد حث في بينه . . . وقال غير أبي علي أن المشبهة المستثناء عنها هي مشبهة النعم والحيلة

فكانه قال ان شاء الله بخليفي ولا يعنى وفي الناس من قال اقصد بذلك أن يخف الكلام على جهة القطع وان لم يلزم به ما كان يلزم لولا الاستثناء ولا ينوي في ذلك الجاه ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن البصري . . . واعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوهاً مختلفة فقد يدخل على الايمان والطلاق والعناق وسائر العقود وما يجري مجراها من الاخبار فاذا دخل ذلك اقتضى التوقيف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به وازالته عن الوجه الذي وضع له ولذلك يصير ماتكم به كانه لاحكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثنى في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خيراً قاطعاً أو يلزمه حكم وانما لم يصح دخوله في الماضي على هذا الوجه لأن فيه اظهاراً للاقتطاع الى الله تعالى والمعامي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه أحد ما يحتمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام فيراد به التامع والتسهيل . . . وهذا الوجه يختص بالطاعات ولهذا الوجه جرى قول الثائل لافعين غداً ماعلى من الدين ولأصاين غداً ان شاء الله مجرى أن يقول انى أقبل ذلك ان لطف الله تعالى فيه وسهله فعمل ان المقصد واحد وانه متى قصد الحالف فيه هذا الوجه لم يجب اذا لم يقع منه هذا الفعل أن يكون حاثاً وكاذباً لأنه إن لم يقع علمنا انه لم يلفظ له فيه لانه لا لطف له وليس لأحد أن يمتنع هذا بأن يقول الطاعات لا بد فيها من لطف وذلك لان فيها مالا لطف فيه جهة فارتفاع ماهذه سبيله يكشف عنه انه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح أن يقال في الآية انه لا يختص الطاعات والآية تناول كلاماً يمكن قبيحاً بدلالة اجماع المسلمين على حسن الاستثناء متضمنة في كل فعل لم يكن قبيحاً وقد يدخل الاستثناء في الكلام فيراد به التسهيل والافقار والتخيلة والبقاء على مذهبي عليه من الاحوال وهذا هو المراد به اذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية الا أنه يمتنع ما ذكره أبو علي مما حكيناه من كلامه وقد يذكر استثناء المشبهة أيضاً في الكلام وان لم يرد به في شيء مما تقدم بل يكون الغرض اظهار الاقتطاع الى الله تعالى من غير أن يقصد الى شيء من الوجوه المقدمة وقد يكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذباً أو صادقاً لأنه في الحكم كانه قال لأفان كذا ان وصلت الى مرادى مع انقطاعي الى الله تعالى واظهارى

الحاجة إليه وهذا الوجه أيضاً مما يمكن أن تأويل الآية .. متى تؤمله جهة ما ذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسألة التي لا يزال يدأل عنها المخاضون من قولهم لو كان الله تعالى إنما يريد العبادات من الافعال دون المعاصي لوجب اذا قل من لغيره عليه دين طالبه به والله لا يعطيك حثك غداً ان شاء الله أن يكون كاذباً أو حاشا اذا لم يعطه لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم وان كان لم يقع فكان يجب أن تترك الكفارة وأن لا يؤثر هذا الاستثناء في بينه ولا يخرج منه كونه حاشا كما انه لو قال والله لا يعطيك حثك غداً ان قدم زيد لقدم ولم يعطه يكون حاشا وفي إزام هذا الحث خروج من إجماع المسلمين فصار ما أوردناه جامعاً لبيان تأويل الآية والجواب عن هذه المسئلة ونظائرهما من المسائل والحدثة وحده .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه تأملت ما اشتملت عليه تشبيهات الشعراء فوجدت أكثر ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد أو الشيئين بالشيئين وقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلاثة بثلاثة وأربعة بأربعة وهو قليل ولم أجد من تجاوز هذا القدر الا قطعة مرثى لابن المعتز قالها تضمنت تشبيه ستة بأشياء ستة أشياء .. فأما تشبيه الواحد بالواحد قول عنزة في وصف الذباب

هَرَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدْ حَ الْمُكِبِّ عَلَى الزَّ نَادِ الْأَجْدَمِ^(١)

(١) - المزج - تراكب الصوت ومعنى - يحك ذراعه بذراعه - ير احداهما على الاخرى - والاجنم بالمعجمتين صفة المكب وهو المقطوع اليد شبه الذباب اذا من احدهي ذراعيه بالاخرى بأجنم قدح نارا بذراعيه وهذا من عجيب التشبيه يقال انه لم يقل احد في معناه مثله وقد عده أرباب الادب من التشبيهات العظم وهي التي لم يسبق اليها ولا يقدر أحد عليها مشتق من الريح العقيم وهي التي لا تنفع شجرة ولا تنج ثمرة وقد شبه بعضهم من يترك يديه ندامة بفعل الذباب وزاد الاظم قول

فعل الأديب اذا خلا به ومه فعل الذباب يزن عند فراغه

فتراه يفرك راحتيه ندامة منها ويتبعها بلعلم دماغه

وتمرش حازم في مقصوده لتشبيه عنزة بقوله

أي الأسرع .. ومثله قول عدى بن الرقاع

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقَةٍ فَلَمْ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

ومثله قول امرئ القيس

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ قَبَائِنَا وَأَرْجُلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثْقَبِ^(١)

وقوله

إِذَا مَا الثَّرَيَا فِي السَّمَاءِ تَمَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءُ الْوِشَاحِ الْمُفْصَّلِ

ولذي الرمة

أَتَى ذِرَاعًا فَوْقَ أُخْرَى وَحَكَى تَكَلَّفَ الْإِجْدَمُ فِي قَطْعِ السَّنَا

كَمَا نَمَا النُّورُ الَّذِي يَفْرَعُهُ مَقْتَدِسًا لَزْدَهُ سَقَطَ وَرَى

لفصير عنه التقصير البين وأدخل بذكر الأكباب والحلك

(١) الرواية المعلومة خبائنا بدل قبائنا والمعنى متقارب .. قال الأصمعي الطيبي والبفرة إذا

كانا حيين فعيونهما كلها سود فإذا ماتا بدا بياضهما وإنما شبهما بالجزع وفي سواد وبياض

بعد ما موت والمراد كثرة الصيد يعني بما أكلناه كثرت العيون عندنا وبه يتبين بطلان ما قيل

أن المراد أنها قد أطالت مسيرهم حتى ألقت الوحوش رسالهم وأخبيتهم .. وقوله - الجزع -

هو بفتح الجيم وتكرر الحرز الثاني الصبغ فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش

لكنه أتى بقوله لم يشقب إيفالا وتحقيقاً للتشبيه لأن الجزع إذا كان غير مقبوع كان أشبه

بالعيون .. والبيت من قصيدته المشهورة التي قالها في معارضته لقصيدة علقمة الفحل ومطلعها

خَلِيلُ صِرَافِي عَلَى أُمِّ جَنْدَبٍ نَقَضَى لِبَائِنَاتِ الْفَوَادِ لِلْمَعْدَبِ

ومطالع قصيدة علقمة

ذَهَبْتُ مِنَ الْمَجْرَانِ فِي غَيْرِ هَذِهِ وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا النَّجَبِ

وتحكيمهما لام جندب امرأة امرئ القيس وحكمها لعلقمة وطلاق امرئ القيس أياها

وتزوج علقمة لها كله مشهور فلا تعابيل به

وَرَدَتْ أَهْنِسَافًا وَالثَّرِيًّا كَأَنَّهَا عَلَى تُمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُخْلَقٍ

وهذا الباب أكثر من أن يحصى .. فاما تشبيه شيبين بشيبين فمثل قول امرئ القيس
يصف عقابا

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(١)
وقوله

وَكَشَفَ لَطِيفَ كَالْجَدِيلِ مُخَصَّرٍ وَسَاقِ كَأُتُوبِ السَّقِيِّ الْمُدْلَلِ
ولبشار

كَأَنَّ مَنَارَ النَّفْعِ فَوْقَ دُوْنِسِنَا وَأَسْيَا فَنَالِلُ تَهَاوِي كَوَاكِبِهِ^(٢)

(١) البيت من شواهد التاميز والشاهد فيه التشبيه المكفوف وهو أن يؤتى على طريق المعطف أو غيره بلاشبات أو لاثم بالمشبه بها فنما شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف البالي إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة امتد بها وقصد تشبيهها ولذا قل الشيخ عبد القاهر أنه إنما يتضمن الفضية من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا إن للجمع فائدة في عين التشبيه .. والبيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها

أَلَا عَمَّ سَبَّاحُ أَبْهَى الظُّلَلِ الْبَالِي وَهَلْ يَعْنِي مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

(٢) - النفع - الفيار .. ومعنى تهاوى كواكب - يسافط بعضها في أثر بعض والاصل تهاوى فحذفت إحدى التامين والبيت من شواهد البيان والشاهد فيه التركيب الحسى في التشبيه الذي طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة القدار متفرقة في جوانب نوى .. ظلم فوجه التشبيه مركب كما نرى وكذا طرفاه كما في أسرار البلاغة يروي أنه قيل لبشار وقد أنشد هذا البيت ما قبل أحسن من هذا التشبيه فن أن لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيء منها فقال إن عدم النظر يهوي ذكاء القلب ويعلم منه الشغل بما ينتظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه ونذ كوقر عيته وأنشد هم قوله

ولآخر

كَأَنَّ شُمُو النَّعَمِ وَالْبَيْضِ حَوْلَهُ سَمَاوَةٌ لَيْلٍ اسْفَرَّتْ عَنْ كَوَاكِبِ

وقول أبي نواس

كَأَنَّ صَغُرَيَّ وَكُبْرَيَّ مِنْ قَفَايِمِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ ^(١)

ولآخر

عميت جنبتي والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم مؤثلاً
وغاض ضياء العين للعلم رافداً لقلب اذا ماضيع الناس حصلاً
وشعر كنوز الروض لامت بيته بقول اذا ما احزن الشعر اسماً
ويمكنى أنه قال لما ازل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيه شيتين بشيتين في بيت
واجد حيث يقول

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رُطْبًا وَيَابَسًا لذي وكرها الضاب والحشف البالي
أعمل نفسي في تشبيه شيتين بشيتين حتى قلت كأن مشار النعم البيت وهو من قصيدة
يمدح بها ابن هبيرة وأولها

جفادود فازراً وملٍ صاحبه وأزري به أن لا يزال يمانبه
ومنها اذا كنت في كل الامور معائباً صديقك لم تلق القذى لانعائبه
فعلش واحمداً وصل أخاك فانه مقارب ذنب مرة ومجانبه
وهي طويلة فوصله ابن هبيرة بمشرة آلاف درهم وكانت أول عملية سلية أعطاها بشار
بالشعر ورفعت من ذكره

(١) قوله كأن صغري وكبرى النخ • قد قيل انه لحن لأن اسم التفضيل اذا كان مجرداً
من آل والاخالة يجب أن يكون مفرداً مذكراً دائماً فتأنيث لحن كما في البيت المذكور
وقد اعتذروا عن هذا بأن أفعل العاري اذا كان مجرداً عن معنى التفضيل جاز جمعه
فاذا جاز جمعه جاز تأنيثه • والنقائض هي المناخات التي تملأ الماء أو الحرق وال بس المحفوظ
في البيت من فواقها بلواو قلت وفي ديوانه فواقها

إِنَّ الشَّمُولَ هِيَ الَّتِي جَمَعَتْ لِأَهْلِ الْوُدِّ شَمَلًا
شَبَّهَهَا وَجَبَّاهَا بِشَقَاتِنِ يَحْمِلْنَ حَلَاً

وَلَا أُخَر

أَبْصَرَتْهُ وَالْكَاسُ بَيْنَ فَمٍ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنَا مِلِّ خَمْسٍ
فَكَانَهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمَرٌ يُقْبَلُ هَارِضُ الشَّمْسِ

وَلَا أُخَر

حَتَّى إِذَا خَلَيْتُ فِي الْكَاسِ خَلْتُ بِهَا حَقِيقَةً جَلَيْتُ فِي فِشْرِ بَلُورٍ
تَمْلُ إِذَا مَزِجْتُ فِي كَاسِهَا حَيًّا كَأَنَّهُ عَرَقٌ فِي خَدِّ غَمُورٍ
وَقَالَ الْبَحْرِيُّ

شَقَاتِنُ يَحْمِلُنَ الَّذِي فَكَانَهُ دُمُوعُ النَّصَابِيِّ فِي خُدُودِ الْخَرَائِدِ

وَقَالَ آخَر

فَكَانَ الرَّيْسُ يَجْلُو عَرُوسًا وَكَأَنَا مِنْ قَطْرِهِ فِي نَارِ

وَلَا بِي الْعَبَّاسِ الدَّائِيءُ

كَأَنَّ الدُّمُوعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جِلْسَادِ

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ وَأَحْسَنُ

لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْفَرَاقِ حَاضِرًا وَهُنَّ يُطْفَنَنَّ غَلَّةُ الْوَجْدِ
لَمْ تَرَ إِلَّا الدُّمُوعَ سَافِحَةً تَسْفَعُ مِنْ مُقْلَةٍ عَلَى خَدِّ
كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدَى يَقَطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدِ

وَقَالَ جِرَانُ الْعَمُودِ

أَيُّتُ كَأَنَّ اللَّيْلَ أَفْنَانُ سِدْرَةٍ عَلَيْهَا سَقِيطٌ مِنْ نَدَى الطَّلِّ يَنْطِفُ

أَرَأَيْبُ لِمَا مِنْ سُبُلِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَأَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرِفُ
ولا بن المعتر

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا شَبِيهَةٌ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَامْسَيْتُ فِي أَيْمَنِ الشَّعْرِ وَالذَّجَى وَتَمَسَّيْتُ مِنْ خَيْرِ وَجْهِ حَبِيبٍ

وقال المتنبي

نَشَرْتُ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لِبَالِي أَرْبَمَا
وَأَسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا
فاما تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أدياء .. فقل قول ما في الموروس

نَشَرْتُ غَدَاثَ شَعْرِهَا لِتُظَانِّي خَوْفَ الْعَيُونِ مِنَ الْوُشَاةِ الرُّمَقِ
فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّنِي صُبْحَانِ بَاتَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ

ولبعضهم

رَوْضُ وَرْدٍ خِلَالَهُ نَزَجِسُ غَضُّ يَحْفَانٍ أَقْحُونَا نَضِيرَا
ذَا يَأْهِي لَنَا خُدُودًا وَذَا يَحْسِكِي عِيُونَا وَذَا يُضَاهِي نُورَا

ولا آخر في النرجس

مَدَاهِنْ تُبْرِينُ أَوْرَاقِ فِضَّةٍ لَهَا عَمْدٌ غُرُوطَةٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ

ولبحثري في وصف ضمير المطايا ونحوها

كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بَلِ الْأَسْنَمِ مَبْرِيَّةٌ بَلِ الْأَوْتَارِ^(١)

(١) البيت من شواهد التناخيم والشاهد فيه مراعاة النظم وسمى التناخيم والتوافق والاختلاف والمؤاخذة وهو جمع أمر وما يناسبه من الغناء التعداد لتخرج المطابقة فهو هنا قصد المناسبة بالاسم والأوتار لما تقدم من ذكر القسي وهذه المناسبة هنا معنوية لا لفظية

ولبعض الطالبيين

وَأَنَا بَيْنَ مُتَلَجِّ الْبَطَاحِ إِذَا غَدَا
غَيْرِي وَرَاحَ عَلَى مَتُونُ ظَوَاهِرٍ^(١)
يَهْتَرُ مِنِّي دُكْتُهَا وَحَطِيمُهَا
كَالْجَفْنِ يَفْتَحُ عَنْ سَوَادِ النَّاطِرِ
كَجِبَالِهَا شَرَفِي وَمِثْلُ سَهْوِهَا
خُلِقِي وَمِثْلُ ظِلَابِئِهَا عَجَاوِرِي
وَأَمَاتِيهِ أَرْبَعَةٌ بِأَرْبَعَةٍ، فَمَثَلُ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ

لَهُ أَبْطَلَا ظَلِي وَسَاقَا نَعَامَةٍ
وَأَرْخَاهُ سِرْحَانٍ وَتَقَرَّبْتُ تَقْلٍ
وَلَا آخِرَ

كَفْتُ نَاقُولُ رَاحَتَا بَرْجَاجَةٍ
خَضِرَاءُ تَقْدِفُ بِالْحَبَابِ وَتُزِيدُ
فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْحَبَابُ لَا يَلِي
وَالرَّاحُ تَبْدُ وَالْإِنَاءُ زَبْجَدُ

ولبعضهم وقد أهدى إليه نرجس وأفعوان وشقائق وآس فكتب إلى المهدي

لِللَّهِ مَا أَظْرَفَ أَخَا
لَا تَفْكُ يَا بَذَرَ الْكَرَمِ
أَهْدَيْتَ مَا نَاسَبَتْهَا
حُسْنًا وَظَرْفًا وَشِيمَ
فَمَا رَأَيْنَا مُهْدِيَا
قَبْلَكَ فِي كُلِّ الْأُمَمِ
أَهْدَى الْعَيُونِ وَالنُّعُورِ
رَ وَالْخُدُودِ وَاللِّمَمِ

وَلَا آخِرَ

(١) - متلج البطاح - بطن مكة يقول أنا من قریش البطاح إذا غدا غيري وراح على متون ظواهرها .. وقریش ثلاثة أقسام قسم ينزل بطاح مكة وهم أشرفهم منهم بنو هاشم وبنو أمية وغيرهم من سادات قریش وهم صميم قریش والقسم الثاني قریش الظواهر وهم الذين لم تنسبهم الا بطاح وقسم ثالث ليسوا من أهل الظواهر ولا الا بطاح والكل قبائل

أَقْدِمَ حَبِيبًا لَهُ بَدَائِعُ أَوْ صَافٍ تَمَاتَ عَنْ كُلِّ مَا أَصِفُ
كَالْبَذْرِ يَمْلُؤُ وَالشَّمْسِ تُشْرِقُ وَالْـ غَزَالِ يَمُطُّوا وَالنَّصْنُ يَنْعَطِفُ

المتنبي

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطُ بَانٍ وَفَاحَتْ عَنَبًا وَرَزَتْ غَزَالًا

ولآخر

سَفَرَنْ يُلَوِّدُونَ وَأَنْتَمِينَ أَهْلَةً وَمَسْنُ غُصُونًا وَالتَّقْنُ جَا ذَرًا^(١)

وأما تشبيه حبة بخمسة . . فقول الواو اللامتي وهو أبو الفرج
وَأَسْبَلَتْ لَوْلُوءٌ مِنْ نَوْجٍ وَسَقَتْ وَرْدًا وَعَصَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
وأما تشبيه ستة بستة فلم أجده إلا لابن المعتز في قوله

بَذْرٌ وَلَيْلٌ وَغُصْنٌ وَجَهٌ وَشَعْرٌ وَلَدٌ

خَمْرٌ وَدُرٌّ وَوَرْدٌ رَيْقٌ وَنَعْرٌ وَخُدٌ



مجلس آخر ٦١

[نأويل آخر] . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (وَبِنَا آلَهُمْ خَدْنًا) (١) . . فقال كيف يجوز أن يأمرنا على سبيل العبادة بالدعاء بذلك وعندكم أن اللسان من فعله تعالى فلا تكليف على الناس في حال نسيانه وهذا يقتضي أحد أمرين إما أن يكون اللسان من فعل المباد على ما يقوله كثير من الناس أو نكون متعبدين بذكره تعالى ما نعلم انه واقع حاصله لأن مؤاخذه الناس بأمره من الله تعالى والقول في الخطأ إذا أريد به ما وقع سهواً أو عن غير عمد يعبرى هذا الجرى . . الجواب قلنا قد قيل في هذه الآية المراد

(١) وقيل

وملتفات في الثواب كأنما هزرن سيوفاً وانتصين خناجرا

تسببنا تركنا قال أبو هل قطرب بن المستنير معنى التسبب هنا الترك كما قال تعالى (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى) أي ترك ولولا ذلك لم يكن له معصية وكقوله تعالى (نسوا الله فليسهم) أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنس من عطيتك أي لا تتركها منها والتدبير حرفة

ولم ألك عند الجود للجود قالياً ولا كنت يوم الرّوع للطنن ناسياً
 أي تاركاً • • • وما يمكن أن يكون هل ذلك شاهداً قوله تعالى (أنا أمرون الناس بالبر وتسنون أنكم) أي تتركون أنكم • • • ويمكن في الآية وجه آخر هل أن يحمل النسيان هل السهو وفقد المعلوم ويكون وجه الدعاء بذلك ما قد بيناه فيما تقدم من الامالى من أنه هل سبيل الانقطاع إلى الله تعالى واظهار الفقر إلى مسئلته والاستعانة به وإن كان ، أمونا منه المؤاخذه بمثله ويجرى مجرى قوله تعالى في تعالينا وتأديتنا (لا تعلمنا ملاطقة لنا به) (ومجرى قوله تعالى) قل رب احكم بالحق • • • ولا تخزني يوم يبعثون) وقوله تعالى حاكماً عن الملائكة (فاغفر للذين تابوا) الآية وهذا الوجه يمكن أيضاً في قوله تعالى أو أخطأنا إذا كان الخطأ ما وقع سهواً أو غير عمد فأما هل ما يوافق الوجه الاول فقد يجوز أن يريد تعالى بالخطأ ما يخل من المعاصي بالتأويل السيء وعن الجهل بأنها معاصي لأن من قصد شيئاً هل اعتقاد أنه بصفة فوق ما هو بخلاف معتقده يقال قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستغفروا عما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل وما أقدموا عليه مخطين متأولين • • • ويمكن أيضاً أن يريد بأخطأنا هنا أذنبنا أو فعلنا قبيحاً وإن كنا له متعمدين وبه عاين لأن جميع معاصينا لله تعالى قد توصف بأنها خطأ من حيث فارتت الصواب وإن كان فاعلم متعمداً فكأنه تعالى أمرهم بأن يستغفروا عما تركوه من الواجبات وما طلوه من المنبهات ليشتمل الكلام هل جهتي الذنوب والله أعلم بمراده • • • أخبرنا أبو عبيد الله الرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس قال قال رجل يوماً لأبي العباس محمد ابن يزيد النحوي ما أعرف شاذية أحسن من شاذية أبي الشيبان فقال له كم شاذية حسنة لا تعرفها ثم أشهد لبشار

غَمَضَ الْحَدِيدُ بِصَاحِيكَ فَنَمَضَا وَبَقِيَتْ تَطَلُّبُ فِي الْحَبَالَةِ مِنْهُضَا
 وَكَانَ قَلْبِي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ عَظُمَ تَكَرَّرَ صَدْعُهُ فَتَيَّضَا
 وَأَخْ سَلَوْتُ لَهُ فَاذْكُرْهُ أَخُ فَضَى وَتَذْكُرْكَ الْحَوَادِثُ مَا ضَى
 فَأَشْرَبَ عَلَى تَلَفِ الْأَحْيَةِ إِنَّا جَزَرُ النِّيَّةِ ظَاغِينِ وَخُفْضَا
 وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الصَّبَا ثُمَّ أَرْعَوَيْتُ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَرْكُضَا
 وَعَلِمْتُ مَا عَلِمَ أَمْرُو فِي دَهْرِهِ فَأَطَعْتُ عَذَابِي وَأَعْطَيْتُ الرِّضَا
 وَصَحَوْتُ مِنْ سُكْرِ وَكُنْتُ مُوَكَّلَا أَرْعَى الْحِمَامَةَ وَالنَّرَابَ الْإِيضَا

- الحمامة - المرأة - والنراب الأبيض - الشعر الشائب - فبقول كنت كثيراً أتعهد نفسي بالنظر في المرأة وترجيله الشعر - وقرله - والنراب الأبيض - لأن الشعر كان غريباً أسود من حيث كان شاباً ثم أبيض بالشيب

مَا كُلُّ بَارِقَةٍ تَجُودُ بِمَا هِيَ وَلِرُبَمَا صَدَقَ الرَّيِّعُ فَرَوْضَا

هكذا أنشد المبرد ومحي بن علي وأنشد ابن الأعرابي

مَا كُلُّ بَارِقَةٍ تَجُودُ بِمَا هِيَ وَكَذَلِكَ لَوْ صَدَقَ الرَّيِّعُ لَرَوْضَا

فَذُفْتُ الْفَتَّةُ وَذُفْتُ فِرَاقُهُ فَوَجَدْتُ ذَا عَسَلَاوَذَا جَمْرَ الْغَضَا

يَا لَيْتَ شِعْرِي فِيمَ كَانَ صَدُودُهُ هَاسَاتُ أُمِّ رَعْدِ السَّحَابِ وَأَوْضَا

وغير من ذكرنا برويه - أم أجم الخلال فاحضاً -

وَيَلِي عَلَيْهِ وَيَلْتِي مِنْ بَيْنِهِ مَا كَانَ إِلَّا كَالْخِضَابِ فَقَدْ نَضَا

سَبْحَانَ مَنْ كَتَبَ الشَّقَاءَ لِذِي الْهَوَى كَانَ الَّذِي قَدْ كَانَ حُكْمًا فَانْهَضَا

قال المبرد وهي طويلة - وذكر بورف بن علي بن يحيى عن أبيه أن أبا نواس أخذ قوله

جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَّقَ الْجَمُوحُ^(١)

من قول بشار

ولقد جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَّقَ الصَّبَا

[قال الشريف المرتضى] ٠٠ رضى الله عنه ولا يبي تمام والبحترى على هذا الوزن والقافية وحركة القافية قصيدتان ان لم يزيدا على ضاربة بشار التي استحسنها للمبرد لم يقصرا عنها وأول قصيدة أبي تمام

أَهْلُوكَ أَضْحُوا شَاخِصًا وَمَقْوَضًا	وَمَزَمًا يَصِفُ النَّوَى وَمُحَرِّضًا
إِنْ يَدْجُ لَيْلِكَ أَنْتُمْ أَمْوَا النَّوَى	فَبِمَا إِضَاؤُهُمْ عَلَى ذَاتِ الْإِضَا
بُدِّلَتْ مِنْ بَرَقِ الثُّغُورِ وَبَرَدِهَا	بَرَقًا إِذَا ظَنَنْ الْأَحْبَةَ أَوْ مَضَا

يقول فيها

مَا أَنْصَفَ الشَّرِخُ الَّذِي بَمَثَ الْهَوَى	قَفَضَى عَلَيْكَ بَلَوَةً ثُمَّ أَتَقَضَى
عِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَوْ أَنَّه	أَضْحَى بِشَارِبٍ مَرُّ قَدٍ مَا غَمَضَا

(١) هو أول أبيات ونمائه • وهان على مأنور القبيح •

ويعلمه	وجددت الدعارة الليالى	قران النغم بالوزر الفصيح
ومسحة اذا ما دنت غنت	مق كان الخيام بذى طلوح	
تمتع من شباب لبس يسقى	وصل بعري الصبوح عرى الصبح	
وخذها من معتقة كيت	تنزل درة الرجل الشحيح	
تخبرها لكسرى رائدوه	لما حطان من طم ورج	
ألم ترى أبعث الراح حرضى	وعض مرانشف الظبي الملبح	
واني عالم أن سوف تنأى	سافة بين جثماني وروحي	

وقال أبو العتاهية لقد جمع بين هذين البيتين يعنى قوله جرئت مع الصبا الخ وقوله واني عالم الخ خلاعة ومجوناً واحساناً وعظماً وكان أبو العتاهية أشدهما دون غيرهما

لَا تَطْلُبَنَّ الرِّزْقَ بَعْدَ شِمَاسِهِ قَتْرُومُهُ سَبَبًا إِذَا مَا غِيضَا
 مَا عَوْضَ الصَّبْرَ أَمْرُوا إِلَّا رَأَى مَا فَاتَهُ دُونَ الَّذِي قَدْ عَوْضَا
 يَا أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَوَادٍ دَعْوَةً ذَلَّتْ بِذِكْرِكَ لِي وَكَانَتْ رِيضَا
 لِمَا انْتَضَيْتُكَ لِلْخُطُوبِ كَفَيْتَهَا وَالسَّيْفُ لَا يُرْضِيكَ حَتَّى يَنْتَضَى
 قَدْ كَانَ صَوِّحَ نَبْتٍ كُلِّ فَرَارَةٍ حَتَّى تَرْوِّحَ فِي نَدَاكَ فَرَوْضَا
 أَوْزَدَتْنِي الْمَدَّ الْخَسِيفَ وَقَدْ أَرَى أَتَبَرَّضُ التَّمَدَّ الْبَكِيَّ تَبَرُّضَا

وَأَمَّا قَصِيدَةُ الْبَحْرِيِّ فَأَوَّلُهَا

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْأَبْسِيبِ وَيَبِيضَا وَتَضَا مِنْ السَّيْنِ عَنْهُ مَا نَضَا
 وَصَبَابَةٌ أُغْيِدُ فِي تَصَرُّفٍ لِحِظِهِ مَرَضٌ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبُ وَأَمْرَضَا
 وَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدُهُ دَيْنَا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يَقْضَى
 سَيَّانٌ أَثَرَى مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ وَأَسَافَ مَنْ وَصَلَ الْحِسَانَ وَأَنْفَضَا^(١)
 كَلَفٌ يُكَفِّفُ عِبْرَةَ مَهْرَاقَةٍ أَسْفَاعِي عَهْدِ الشَّبَابِ وَمَا أَنْقَضَى
 عَدَدُ تَكَامُلٍ لِلشَّبَابِ غَيْثُهُ وَإِذَا مَضَى الشَّيْءُ حَانَ قَعْدُ مَغْيَى

يقول فيها

قَعَقْتُ لِلْبُحْلَاءِ أَذْعَرَ جَأَشَهُنَّ وَنَذِيرُهُ مِنْ فَاضِلٍ أَنْ يَنْتَضَى

(١) - الجوى - الحزن والصبابة والشوق - وأساف - ذهب غرامه مأخوذ من قولهم أساف الرجل ذهب ماله والاسم السواف بالضم وقال أبو عمرو إنه بالفتح ولم يقع ذلك لغيره والصواب الاول لأن فعال بالضم مطرد فيما يدل على الداء كالرحاف والركام وانقض - خلا وهذا من علمك الشيء على مرادفه .. المعنى يستوى ان كثر غرامه وأخلاه منه

وَكَفَاكَ مِنْ حَنْشِ الصَّرِيمِ تَهْدُا
أَنْ مَدَّ فَضْلَ لِسَانِهِ أَوْ نَضَضَا

وفيها

لَا تَشْكُرُنْ مِنْ جَارِ يَتَنِكَ إِنْ طَوِي
أَطْنَابَ جَانِبِ يَتْنِهِ أَوْ قَوَضَا
فَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ لِنُقْلَةٍ رَاغِبٍ
عَمَّنْ نَقَلَ وَدُهُ وَتَنَقَّضَا
لَا تَبْتَلِ إِبْغَضَايَ إِمَّا كُنْتُ قَدْ
أَغْضَيْتُ مُشْتَمَلًا عَلَى جَمْرِ الْغَضَا
لَسْتُ الَّذِي إِنْ عَارَضَتْهُ مُلِمَةٌ
أَصْنَى إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَفَوَضَا
لَا يَسْتَحِرُّ بِي الطَّقِيفُ وَلَا أُرِي
تَبَعًا لِبَارِقِ خُلْبٍ إِنْ أَوْضَا
أَنَا مِنْ أَحَبِّ تَجَارِبَا وَكَأَنِّي
فِيمَا أَعَايَنُ مِنْكَ مِنْ أُنْضَا
أَغَيْتُ سَيِّئِكَ كَيْ يَجِمَّ وَإِنَّمَا
عُمِدَ الْحُصَامِ الْمَشْرِفِي لِيُنْتَضَى
وَسَكَتُ إِلَّا أَنْ أَعْرِضَ قَائِلًا
تَزَرَّا وَصَرَاحَ جَهْدُهُ مِنْ عَرَضَا

.. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى بن علي عن أبيه قال من

عُتِبَ شَرُّهُ بَشَارَ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ الزَّمَانِ

عَتَبْتُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَيُّ حَيٍّ
مِنْ الْأَحْيَاءِ اعْتَبَهُ الزَّمَانُ
وَأَسَنِي مِنَ الْحَدَثَانِ تَزْرِي
عَلَى وَلَيْسَ مِنْ حَدَثٍ أَمَانُ
وَلَيْسَ بِزَائِلٍ يَزِي وَيُزِي
مُعَانٌ مَرَّةً أَوْ مُسْتَعَانُ
مَتَى تَابَ الْكِرَامَةُ مِنْ كَرِيمٍ
فَمَا لَكَ عِنْدَهُ إِلَّا الْهَوَانُ

وله في نحوه

يَا خَلِيلِي أَصِيْبَا أَوْ ذَرَا
لَيْسَ كُلُّ الْبَرَقِ يَهْدِي الْمَطْرَا
لَا تَكُونَا كَأَمْرِي وَمَا حَبَّتْ
يَتْرُكُ الْمَيِّنَ وَيَبْنِي الْأَثَرَا

ذَهَبَ الْمَرْوُفُ إِلَّا ذِكْرَهُ رُبَّمَا أَبْكِي الْفَتَى مَا ذَكَرَا
وَبَقِينَا فِي زَمَانٍ مُفْضَلٍ بِشَرِّ الصُّغُورِ يُنْفِي الْكَدْرَا

قال وله

قَدْ أَذْرُكُ الْحَاجَةَ مَمْنُوعَةً وَتَوَلَّعُ النَّفْسُ بِمَا لَا تَنَالُ
وَالْهَيْمَ مَا امْسَكَتُهُ فِي الْحَشَا دَائِبَةً وَلَمْ يَمُضِ الدَّاءُ لَا يُسْتَقَالُ
فَاحْتَمِلِ الْهَيْمَ هَلِي عَاتِقٍ إِنْ لَمْ تُسَاعِفْكَ الْمَلَنَدَى الْجَلَالُ

قال يحيى قوله - عاتق - يعني الحر وهذا مثل قوله

لَمَّا رَأَيْتُ الْحِظَّ حِظَّ الْجَاهِلِ وَلَمْ أَرَ الْمَغْبُورَ غَيْرَ الْعَاقِلِ
رَحَلْتُ عَنَّا مِنْ شَرَابِ بَابِلٍ قَبِثَ مِنْ عَقْلِي هَلِي مَرَاخِلِ

[قال الشريف المرتضى رضي الله عنه هذا الذي ذكره بمنزلة البيت على استكراه ويحتمل أيضاً أن يريد بالعاتق الضم والضم يكون للمنى ان لم نجد من يحمل ذلك فهو منك ويقوم بانقلاك ويخفف عنك فتعدل ذلك أنت بنفسك واصبر عليه فكأنه يأمر نفسه بالتجمل والتصبر على البأس وهذا البيت له نظائر كثيرة في الشعر .. وأخبرنا الرزباني قال حدثنا علي بن هارون قال حدثني أبي قال من أبوع شعر بشار قوله بصف جارية مغنية قال علي وما في الدنيا شيء لقديم ولا عديم ولا حدث من منشور ولا منظوم في صفة الفناء واستعاضه مثل هذه الايات

وَرَائِحَةُ اللَّعِينِ فِيهَا مَخِيلَةٌ إِذَا بَرَقَتْ لَمْ تَسْقِ بَطْنَ صَعِيدٍ
مِنَ الْمُسْتَهْلَاتِ الْهُمُومِ هَلِي الْفَتَى خَفَا بَرْقُهَا فِي عَصْفَرٍ وَعَقُودٍ
جَسَدَتْ عَلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ يَسْمُهَا وَمَا كُنْتُ لَوْلَا حَبِيبُهَا بِمَسُودٍ
وَأَصْفَرَ مِثْلَ الزَّعْفَرَانِ شَرِبَتْهُ عَلَى صَوْتِ صَفَرَاءِ التَّرَائِبِ رُودٍ
كَأَنَّ أَمِيرًا جَالِسًا فِي ثِيَابِهَا تَوَمَّلْ رُؤْيَاهُ عَيُوبُ وَفُودٍ

مِنَ الْبَيْضِ لَمْ تَسْرَحْ عَلَى أَهْلِ ثَلَّةٍ
تَمِيتُ بِهِ الْبَابَا وَقُلُوبَنَا
إِذَا انْطَقَتْ صُحُنَا وَصَاحَ لَنَا الصَّدَى
ظَلَّلَانَا بِذَلِكَ اللَّيْلِ الْيَوْمَ كُلَّهُ
وَلَا بَاسَ إِلَّا أَنَّنَا عِنْدَ أَهْلِنَا
قَالَ وَأُنَشِدُنِي أَبِي لَهُ فِي وَصْفِ مَغْنَمَةٍ

لَمَعْرَأِي زَوَّارَهَا الصَّيْدُ إِنَّمَا
تَصَلِّي لَهَا آدَانَا وَعَيُونُنَا
وَصَفَرَاءُ مِثْلَ الْخَيْزُرَانَةِ لَمْ تَمُشْ
إِذَا قَلَّدَتْ أَطْرَافَهَا الْعُودَ زَلْزَلَتْ
كَأَنَّهُمْ فِي جَنَّةٍ قَدْ تَلَا حَقَّتْ
بِرُوحُونٍ مِنْ تَفْرِيدِهَا وَحَدِيدِهَا
لَعُوبٍ بِالْبَابِ الرِّجَالِ وَإِنْ دَنَتْ
أُطِيعُ النَّعْيَ وَالنَّعْيُ غَيْرُ مُطَاعٍ

قال حم بن هارون الصموع - المكبال يقول اذا غنت شربوا جزافا بلا كبل ولا وزن من حسن ما يسمعون .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه هذا خطأ منه وانما اراد انما غناؤها لفرط حزنه ومشقة اطرايه فسيان شدة الحزن وازالم يكن هناك شرب

(١) قوله - تميت به البابا وقلوبنا - الى آخره ظاهر القاموس ان مضارع مات ماثات وليس كذلك والضم انما هو في الواوي كقال يقول والكسر انما هو في الياء كبيع في باع وهي لغة مرجوحة آخرها جماعة والفتح انما هو في المكسور الماضي كعلم يعلم ولظنره من المعتل خاف بخاف خوقا

بصواع وهذا يجري مجرى قول الشاعر
 وَيَوْمَ ظَلَمْنَا عِندَ أُمِّ مُجَلِّمٍ فَنَاشَاوِي وَلَمْ نَشْرَبْ طِلَآءَ وَلَا خَمْرًا
 وما كان عندي أن أحدا يتوهم في معنى هذا البيت ما ظنّه هذا الرجل .. وأما قوله في
 القطعة الأولى

وَأَصْفَرَ مِثْلَ الزُّعْفَرَانِ شَرِبَتْهُ

البيت فيحمل وجوهاً ثلاثة أولها أن يكون أراد بصفرة ترابها الكناية عن كثرة تلطيها
 وتضعفها وإن ترابها صفر لذلك كما قل الأعشى

يَبْضَاءُ ضَحَوَاتِهَا وَصَفَا رَاءَ الشَّيْءِ كَالْمَرَارِ

والمرار - بهار البر وإنما أراد أنها تضعف بالمشى بالطيب فيصفرها ومثله لدى الرمة

يَبْضَاءُ فِي دَعَجٍ كَخَلَا فِي بَرَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبُ

وقبله في بيت قيس بن الخطيم

فَرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا فِي الْحُسْنِ أَوْ كَدُ نَوَّهَا لِفُرُوبِ

صَفَرَاءُ أَغْجَلَهَا الشَّبَابُ لِدَائِهَا مَوْسُومَةً بِالْحُسْنِ غَيْرَ قَطُوبِ

أي أنها سبقت أقرانها .. ومثله قول ابن الرقيات

لَمْ تَلْتَفِتْ لِلدَّائِيَا فَمَضَتْ عَلَيَّ غُلُوبًا^(١)

(١) - البيت من جملة أبيات بقولها في أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوج

الوليد بن عبد الملك وهي

أَصْحَابُ عَنْ أُمِّ الْبَنِينَ وَذَكَرَهَا وَعَنَّا

وَهَجَرْنَا هَجْرَ أَمْرِي لَمْ يَلْ صَفْوُ صَفَائِي

مِنْ خِيَفَةِ الْأَعْدَاءِ أَنْ يَوْهُوا أَدِيمَ صَفَائِي

قَرْنِيَةِ كَالشَّمْسِ أُنْ رَقَى نَوَّهَا بِهَائِي

وجهان .. أحدها أنه أراد أنها تطيب بالعنبر لتصفّر لأن الشمس تيب صفراء الوجه
 .. والآخر أراد اللبالة في الحسن لأن الشمس أحسن ما تكون في وقتها هذين
 ومن ذلك قول قيس بن الخطيم

صَفْرَاءُ أَغْجَلِي الشَّبَابُ لِدَائِيهَا

ومثله للأعشى

إِذَا جَرِدَتْ يَوْمًا حَبِيبَتْ خَمِيصَةٌ عَلَيْهَا وَجَرَّ يَالَ النَّصِيرِ الدَّلَامِصَا

— الخميصة — ثوب ناعم لين ناعم شبه به نموة جسمها — والنصير — الذهب — والجريال —
 كل صبغ أحمر وإنما يعني لون الطيب عليها — والدلامس — البراق لهذا وجه .. والوجه
 الثاني أن يكون أراد بوصفها بالصفرة رقة لونها فضعم ان المرأة اذا كانت صافية اللون
 رقيقة ضرب لونها بالنسي الى الصفرة .. قال علي بن .. هدى الاسنفاي قال لي أبي قال
 لي الجاحظ زعموا ان المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة الى البياض
 وبالنسي الى الصفرة واحتج في ذلك بقول الراجز

لَقَدْ عَلِمْتَ يَمَضَاءُ صَفْرَاءُ الْأَصْلُ

زادت على البيض الحما ن بحما وتقامها

لما أصبحرت للشبا ب وقعت بردياتها

لم تلتفت للسداها ومضت على غلواتها

لولا هدوي أم البنين وساجتي للقامها

قد قربت لي بهمة عبوسة لنجاها

ومعنى — مضت على غلواتها — أي مضت على أول شبابها يقال فعل ذلك في غلواء شبابه أي في أوله
 .. قال الأعشى

إلا كنا شره الذي ضيعهم كالفضن في غلوائه الملتبث

وقبل الغلواء سرعة الشباب وحقيقته من الفلو وهو الارتفاع والتحدد ويقال مضى
 الرجل على غلوائه اذا ركب أمره وبلغ به غايته

وزعم ان بيت ذى الرمة الذي أشدناه من هذا المعنى وكذلك بيت الاعشى الذي أشدناه والايات عتلة للأمرين فأما البيت الذي لا يمتثل الا وجهاً واحداً فهو قول الشاعر وقد خنقتها عبيرة فدموعها علي خدّها حمر وفي خمرها صفر

فأما لا تكون صفراً في خمرها الا لأجل الطيب .. فأما قوله - علي خدّها حمر - فأما أراد انها تصبغ بلون خدّها .. والوجه الثالث أن تكون المرأة كانت صفراء على الحقيقة فان بشاراً كثيراً ما يشبب بامرأة صفراء كقوله

أَصْفَرَاءُ لَا أَنْسَى هَوَاكَ وَلَا وَدَى وَلَا مَامِضِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ عَهْدٍ
لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنَهَا كَمَا كَانَ بَيْنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ

أي كما كان بين طيب المسك والعنبر وكقوله

أَصْفَرَاءُ كَانَ الْوُدُّ مِنْكَ مَبَاحًا لِيَالِي كَانَ الْهَجْرُ مِنْكَ مَزَاحًا
وَكَانَ جَوَارِي الْحَيِّ إِذْ كُنْتَ فِيهِمْ قَبَاحًا فَلَمَّا غَبَتْ صُرْنٌ مَلَاحًا
وقد روي - ملاحا فلما غبت صرن قباحا - وقوله قباحا فلما غبت يشبه قول السيد بن محمد الحميري

وَإِذَا حَضَرْنَ مَعَ الْمِلَاحِ يَجْلِسُ أَبْصَرْتُهُنَّ وَمَا قَبُضَ قَبَاحًا

فأما قوله من البيض لم تخرج سواما - فانه لا يكون مناقضا لقوله صفراء وان أراد بالصفرة لونها لأن البياض هنا ليس بعبارة عن اللون وانما هو عبارة عن تمام العرض وسلامته من الادناس والعرب لا تكاد تستعمل البياض الا في هذا المعنى دون اللون لأن البياض عندهم البرص ويقولون في الابيض الاحمر ومنه قول الشاعر

جَاءَتْ بِهِ بَيْضَاءُ تَحْمِلُهُ مِنْ عَيْدٍ شَمْسٍ صَلْتُهُ الْخَدَّ

ومثله ببيض الوجوه .. فأما قول بشار في القطعة الثانية - وصفراء - مثل الخيزرانة - فانه يمتثل ما تقدم من الوجوه وان كان اللون الحقيقي خضياً بقوله كالخيزرانة لأن الخيزران يضرب الى الصفرة ويحتمل أيضاً أن يريد بصفراء غير اللون الثابت ويكون قوله كالخيزرانة

انها مثلاً في الثني والتعطف... ولقد أحسن جرّان العمود في قوله في المعنى الذي تقدم
 كَانَ سَيْكَةً صَفَرَاءَ صَبَّاتٍ عَلَيْهَا ثُمَّ لَيْتَ بِهَا الْإِزَارُ
 بَرُودُ الْعَارِضِينَ كَانَ هَاهَا بُعِيدَ النُّومِ مَسْكٌ مُسْتَأَارُ

مجلس آخر ٦٢

[تأويل آية]... أن سأل سائل عن قوله تعالى (الله يستهزي بهم) الله يستهزي بهم وبمذهبهم في طغيانهم
 يسمهون... فقال كيف أضاف الاستهزاء إليه تعالى وهو مما لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف
 خبر بأنه يمدحهم في الطغيان والعمه وذلك بخلاف مذهبكم... الجواب قلنا في قوله تعالى
 (الله يستهزي بهم) وجوه... أوها أن يكون... إلى الاستهزاء الذي أخافه تعالى إلى نفسه
 فجيّله لهم ونخطئهم في إقامتهم على الكفر وأصرارهم على الضلال وسمى الله تعالى
 ذلك استهزاء مجازاً وإنشاعاً كما يقول الثعالبي أن فلاناً يستهزأ به منذ اليوم إذا فعل
 ما به الناس به وخطئوه فأقيم عيب الناس على ذلك الفعل وأزادهم على فاعله مقام
 الاستهزاء به وإنما أقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى لأن الاستهزاء الحقيقي هو ما قصد
 به إلى عيب المستهزأ به والأهزاء عليه وإذا تضاعفت النخطة والتجويل والتبكيك هذا
 المعنى جاز أن يجري اسم الاستهزاء عليه ويشهد بذلك قوله تعالى (وقد نزل عليكم في
 الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) ونحن نعلم أن الآيات لا يصح
 عليها الاستهزاء ولا السخرية في الحقيقة وإنما المعنى إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويرى
 عليها والعرب قد تقيم الشيء مقام مقاربه في معناه فجري عليه اسمه... قال الشاعر

كَمْ مِنْ أَنَاسٍ فِي نَمِيمٍ عَمِرُوا فِي ذُرِّي مَالِكٍ تَعَالَى فَبَسَقَ
 مَكَتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقَ

والسكوت والنطاق عن الحقيقة لا يجوز أن على الدهر وإنما شبه تركه الحال على ما هي
 عليه بالسكوت وشبه تغييره لها بالنطاق وأشد التراء

إِنْ دَهْرًا بَلُغْتُ شَمْلِي بِجُمْلٍ اِزْمَانٌ يَمُّ بِالْإِحْسَانِ

ومثل ذلك قوله في الاستعارة لتقارب المعنى

سَأَتْنِي عَنْ أَنْاسٍ هَلَسُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ

وانما أراد بالاكل والشرب الافساد لهم والتغيير لأحوالهم .. ومثله

يَقْرُءُ بَعْضِي أَنْ أَرَى بَابَ دَارِهَا وَإِنْ كَانَ بَابُ الدَّارِ يَخْسِنُنِي جَلْدًا

.. والجواب الثاني أن يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه تعالى أن يستدرجهم ويهاكم

من حيث لا يعلمون ولا يشعرون .. وبروى عن ابن عباس أنه قال في معنى استدراجه

ليأهم أنهم كانوا كلما أحدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما سمي هذا الفعل استهزاء من حيث

غيب تعالى عنهم من الاستدراج الى الهلاك غير ما ظهر لهم من النعم كما ان المستهزأ

منا المخادع لغيره يضر أمرأ ويظهر غيره .. فان قيل على هذا الجواب فالمستهزأ قائم

وأى وجه لأن يستدرجهم بالنعمة الى الهلاك .. قلنا ليس الهلاك ههنا هو الكفر وما أشبه

من المعاصي التي يستحق بها العقاب وانما استدرجهم الى الضرر والعقاب الذي استحقوه

بما تقدم من كفرهم والله تعالى أن يعاقب المستحق بما شاء أي وقت فلكأنه تعالى

قال كفرُوا وبدلُوا نعمة الله وعاندوا رسله لم يغير نعمه عليهم في الدنيا بل أبقاها لتكون

مق نزعها عنهم وأبدلهم بها فيما تكون الحسرة منهم أعظم والضرر عليهم أكثر .. فان قيل

فهذا يؤدي الى تجويز أن يكون بعض ما ظاهرها ظاهر النعمة على الكفار بما لا يستحق

الله به الشكر عليهم .. قلنا ليس ينتفع هذا فيمن استحق العقاب وانما المتكر أن تكون

النعم المبتدأة بهذه الصفة على ما يلزم مخالفينا ألا ترى أن الحياة وما جرى مجراها من

حفظ التركيب والصحة لا بعد على أهل النار نعمة وان كان على أهل الجنة نعمة من

حيث كان الفرض فيه ايصال العقاب اليهم .. والجواب الثالث أن يكون معنى استهزائه

تعالى بهم ان جعل لهم بما أنظروا من موافقة أهل الايمان ظاهر أحكامهم من نظره

ومناكمه وموارثه وموافقه وغير ذلك من الاحكام وان كان تعالى معدا لهم في الآخرة

أليم العقاب لما أبطنوه من النفاق واستهزؤا به من الكفر فلكأنه تعالى قال ان كنتم أيها

المذنبون بما تظهرونه لذنوبين من المنايعة والمواقفة وتبطنونه من التدفق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلونهم بهم تظنون انكم مستزؤون فاقه تعالى هو المستزير بكم من حيث جعل لكم أحكام المؤمنين ظاهراً حتى ظننتم ان لكم ما لم ثم ميز تعالى بينكم في الآخرة ودار الجزاء من حيث أناب المخلصين الذين يوافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثاني وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه .. والجواب الرابع أن يكون معنى ذلك ان الله هو الذي يراستزركم ومكرمكم عليكم وان ضرر ما فعلتوه لم يتحكم ولم يحل بدواكم ونظير ذلك قول القائل ان فلانا أراد أن ينجسني فغضته وقصد الى أن يكرهني فكرت به والذي ان ضرر خداعه ومكره ما دله ولم يضرنني به .. والجواب الخامس أن يكون المعنى أن مجازهم على استزائهم فدما الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال (فمن اعتدى عليكم فامتعوا عليه) الآية وقال (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) والمبتدأ ليس بمقوية .. وقال الشاعر

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(١)

ومن شأن العرب أن تسمى الشيء باسم ما يثابه ويصاحبه ويشتهر اختصاصه به وتعلقه به واذا انكشف المعنى وأمن الإبهام وربما غلبوا أيضاً اسم أحد الشئيين على الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص ليهيم فقال الاول قولهم للبعير الذي يحمل المزايدة راوية وقد زادة المحمولة على البعير رواية فدعوا البعير باسم ما يحمل عليه .. قال الشاعر

مَشَى الرَّوَايَا بِالزَّادِ الْأَثْقَلِ

أراد الروايا الابل ومن ذلك قولهم صرعه الكأس فاستلقت عقله .. قال الشاعر

وَمَا زَالَتِ الْكَاسُ تَمْتَانُنَا وَتَذَهَبُ بِالْأَوَّلِ فَلَا أَوَّلَ

والكأس هي ظرف الشراب والفعل الذي أضافوه اليها انما هو مضاف الى الشراب الذي يحمل فيها لأن العرب لا تقول الكأس الا بما فيه من الشراب فكان الاناء الفارغ لا يسمى

كأشاً وهل هذا القول يكون إضافة اختلاس العقل والتصريح وما يجري مجرى ذلك إلى الكأس على وجه الحقيقة لأن الكأس هل هذا القول اسم للإناء وما حل فيه من الشراب .. ومثل الوجه الثاني الذي ذكرناه عنهم من التقلب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالتَّجْوُمُ الطَّوَالِعُ

أراد لنا شمسها وقمرها فغلب .. ومنه قول الآخر

قُفُولًا لِأَهْلِ الْمَكَّةِ تَحَاشَدُوا وَسِيدُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ وَالتَّخَلُّ

أراد - بمكئين - مكة والمدينة ^(١) وقال الآخر

فَبَصْرَةَ الْأَزْدِ مِنَّا وَالْعِرَاقُ لَنَا وَالْمَوْصِلَانِ وَمِنَا مَصْرُ الْحَرَمِ

أراد - بالموصلين - الموصل والجزيرة .. وقال الآخر

نَحْنُ سَبِينَا أُمَّكُمْ مَقَرِّبَا يَوْمَ صَبَحْنَا الْحَبْرَتَيْنِ الْمَنُونِ

أراد - الحيرة والكوفة - وقال آخر

إِذَا اجْتَمَعَ الْعَمْرَانِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ وَبَدُو بْنُ عَمْرِو خَلَّتْ ذُبْيَانُ جُوعًا ^(٢)

(١) ويقال القريتان مكة والطائف وفسر به قوله تعالى (لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ

هَلْ رَجُلٌ مِنَ الْقَرِيَّتَيْنِ عَظِيمٌ) ويقال أيضاً الحرمان لمكة والمدينة والحيرتان البصرة والكوفة

(٢) قوله - إذا اجتمع العمران - الخ هما عمرو بن جابر بن هلال بن عتيق بن سمي

ابن مازن بن فزارة وبدر بن عمرو بن جؤبة بن لؤذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة

وهما روقا فزارة .. والبيتان أفراد بن حنش الصاردي من بني الصاردي بن مرة .. قلت

ومن هذا النوع قولهم سيرة الصبرين لأبي بكر وحمز رضي الله عنهما وقيل هما حمز بن

الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وهذا غلط قال معاذ الهراء لقد قيل سيرة

الصبرين قبل خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال سيويه أما قولهم أعطيتكم

سنة الصبرين فأنما أدخلوا الألف واللام عليهما وهما نكرة وكأنهما جمعا من أمة كل

وَالْقَوَا مَقَالِيدَ الْأُمُور إِلَيْهِمَا جَمِيعًا وَكَانُوا كَارِهِينَ وَطُوعًا
أَرَادَ بِالْعَمْرَيْنِ رَجُلَيْنِ يُقَالُ لَأَحَدِهِمَا عَمْرُو وَلِلْآخَرِ بَدْرٌ وَقَدْ فُسِّرَ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ
••• وَمِثْلَهُ

جَزَانِي الزَّهْدَ مَا نِ جَزَاءُ سُوءٍ وَكُنْتُ الْمَرْءَ يُجْزَى بِالْكَرَامَةِ^(١)

أَرَادَ بِالزَّهْدَيْنِ رَجُلَيْنِ يُقَالُ لَأَحَدِهِمَا زَهْدٌ وَلِلْآخَرِ كَرَمٌ فَغَلَبَ وَكَلَّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ
يَقْوَى هَذَا الْجَوَابُ مِنْ جَوَازِ تَسْمِيَةِ الْجَزَاءِ عَلَى الذَّنْبِ بِاسْمِهِ وَتَقْلِيهِ عَلَيْهِ لِلْمُقَارَبَةِ
وَالِاخْتِصَاصِ النَّامِ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْجَزَاءِ عَلَيْهِ ••• وَالْجَوَابُ السَّادِسُ مَارُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
أَنَّهُ قَالَ يَفْتَحُ لَهُمْ وَهْمٌ فِي النَّارِ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقْبَلُونَ إِلَيْهِ مَسْرِعِينَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَيْهِ
سَدَّ عَلَيْهِمْ فَيَضْحَكُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ إِذَا رَأَوْا الْأَبْوَابَ قَدْ أَغْلَقَتْ عَلَيْهِمْ وَلِلذَلِكَ قَالَ تَعَالَى
(قَالِیَوْمَ الَّذِینَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ یَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَامِكِ یَنْظُرُونَ) ••• فَإِنْ قِيلَ فَأَيُّ غَائِدَةٍ
فِي هَذَا الْوَجْهِ وَمَا وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِيهِ ••• قُلْنَا وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِيهِ ظَاهِرٌ لِأَنَّ ذَلِكَ أَغْلَظُ فِي
تُفْسِهِمْ وَأَعْلَمُ فِي مَكْرِهِمْ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْعِقَابِ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ بِالْعَاطِمِ الْقَبِيحَةِ
وَاحِدٍ مِنْهَا عَمْرٌ وَاخْتِصَاصًا كَمَا اخْتَصَّ النِّجْمُ بِهَذَا الْأِسْمِ فَصَارَ بِمِثْلَةِ الْبَدْرَيْنِ إِذَا كُنْتَ
تَعْنِي النِّجْمَيْنِ وَبِمِثْلَةِ الْفَرِیْدَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ بِالْكَوْفَةِ اهـ
(١) وَبَعْدَهُ

وَقَدْ دَاخَلْتُ قَدْ عَلِمْتُ مَعْدَ بَنِي قُرْطٍ وَمَعَهُمَا قَدَامَهُ

رَكِبْتُ بِهِمْ طَرِيقَ الْحَقِّ حَقِّ أَتَيْتُهُمْ بِهَا مَائَةَ تَلَامِيهِ

وَالْأَبْيَاتُ لَقَيْسِ بْنِ زَهْرٍ وَالزَّهْدَ مَا نِ هَذَا زَهْدٌ وَكَرَمٌ أَبْنَاهُ زَيْنُ الْعَبْدَانِ ••• وَهِيَ مَعْنَى جَزَائِهِمَا
لَقَيْسِ بْنِ زَهْرٍ أَتَيْتُهُمَا يَوْمَ شَعْبِ جَبَلَةٍ لَمَّا انْتَهَزَمَ حَاجِبُ بَنِ زُرَّادَةَ لِنَجَاعِ جَعْلَلٍ يَطْرُدَانَهُ
وَيَقُولَانِ لَهُ اسْتَأْذِنْ فَيَقُولُ مَنْ أَنَا فَيَقُولَانِ الزَّهْدَ مَا نِ فَيَقُولُ لَا اسْتَأْذِنُ لِمَوْلِيَيْنِ فَاسْتَأْذِنُ
لِللَّهِ ذِي الرِّقِيَّةِ فَاسْتَعَاثَا بِقَيْسِ بْنِ زَهْرٍ فَانْزَعَ ذَا الرِّقِيَّةِ حُكْمًا حَاجِبًا فَقَالَ أَمَّا مَنْ
رَدَّنِي عَنْ قَصْدِي فَالزَّهْدَ مَا نِ وَأَمَّا الَّذِي اسْتَأْذَنَ لَهُ فَهَاتَا حُكْمًا فَوَفِّي فِي نَدَى حُكْمِهِ
فَقَالَ أَمَّا مَا لَكَ فَلَهُ أَلْفُ نَاقَةٍ وَالزَّهْدَ مَا نِ مَائَةُ نَمْرٍ وَقَعَتْ بَيْنَ قَيْسِ وَالزَّهْدَيْنِ مُخَاضَةٌ
فَقَالَ الْأَبْيَاتُ

لان من طمع في الشهادة والخلاص من المكروه واشتد حرصه على ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج ورد الى المكروه يكون غذابه أصعب وأغلظ من عذاب ما لا طريق للطمع غايه .. فان قيل اهل هذا الجواب ما يفعل الذي هو الاستهزاء .. قلنا في تردادهم لم من باب الى آخر على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء من حيث كان اظهاراً لما المراد خلافه وان لم يكن من معنى الاستهزاء ما يقتضي قبضه من الامر واللعب وما يجري مجرى ذلك .. والجواب السابع أن يكون ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه سلام بذلك ليزدوج اللفظ ويخفف على اللسان ولا عيب في ذلك عادة معروفة في كلامها والشواهد عليه مذكورة ومشهورة وهذه الوجوه التي ذكرناها في الآية يمكن أن تذكر في قوله تعالى (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وفي قوله (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) فاي تأمل ذلك .. وأما قوله تعالى (ويعدهم في مغليانهم يصبون) فيجسد وجهين .. أحدهما أن يريد انى امل لهم في العمر وآملهم ليؤمنوا ويطيعوا وهم مع ذلك مستمسكون بطغيانهم وعمهم .. والوجه الآخر أن يريد يدهم أن يتركهم من فوائده ومنعه التي يؤمنها المؤمنون فوابطهم وينعمهم الكافرين عقاباً كشرحه صدورهم وتؤثره لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله .. [قال الشريف الرضي] رضى الله عنه واني لأستحسن لبعض الاعراب قوله

يَدُ وَذُرَى الْأَوْطَانِ لَا بَلَّ يَشْوُقُهَا	خَلِيلِي هَلْ يَشْفِي مِنَ الشَّوْقِ وَالْجَوَى
وَيَبْعُدُ مَنْ فَرَطَ اسْتِيقَاطِ طَرِيقُهَا	وَيَزْدَادُ فِي قُرْبِ إِلَيْهَا صَبَابَةٌ
حِيَاضُ الْفَرَى تَمْلُؤُهُ لَا يَدُوقُهَا	وَمَا يَنْفَعُ الْحَرَّانَ ذَا الْأَوْحِ أَنْ يَرَى
وَذَاتِ النَّصَاجَادِ عَلَيْكَ الْهَوَاضِبُ	وَلَا خَرَفِي تَذَكُّرِ الْأَوْطَانِ وَالْحَنِينِ إِلَيْهَا
ذُوْعُ أَضَاعَتِ مَا حَفِظْتَ سُوَاكِبُ	أَلَا قُلْ لِلدَّارِ بَيْنَ أَكْثَبَةِ الْحَيَى
وَطَاوَعَنِي فِيهَا الْهَوَى وَالْعَبَائِبُ	أَجْدُكَ لَا آتِيكَ إِلَّا تَقَلَّبَتْ
	دِيَارُ تَنَاسَلَتْ الْهَوَا بِجَوَاهَا

لِيَا لَيْلَا لَا الْمَجْرَانُ عُنْتُكُمْ بِهَا عَلَى وَصْلٍ مِنْ أَهْوَى وَلَا الظَّنُّ كَاذِبٌ

وَأَنشد أبو نصر صاحب الأسمي لأعرابي

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً
وَهَلْ أَتَرَبَّيْنَ الدَّهْرَ مِنْ مَاءٍ وَرَنَةٍ
بِلَادٍ بِهَا كُنَّا نَحُلُّ فَأَصْبَحَتْ
تَفْيَاتٌ فِيهَا بِالشَّبَابِ وَبِالصَّبِيِّ
بَاكِنَافٍ تَجِدُوهِي خَضِرُ مَتُونِهَا
بَجَرَّةٍ لِيْلِي حَيْثُ فَاضَ مَعِينِهَا
خِلَاءٌ وَتَرْجَاهَا مَعَ الْأَذْمِ عَيْنِهَا
تَمِيلُ عَمَّا أَهْوَى عَلَى غُصُونِهَا

وَأَنشد الاسمي لصدقة بن نافع الغنوي

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَحْنَنُ نَاقَتِي
فَتَلَاكِ بِلَادٍ حَبَّبَ اللَّهُ أَهْلَهَا
بِلَادٍ بِهَا أَتَمَبْتُ رَا حِلَّةَ الصَّبِيِّ
فَقَدْنَا بِهَا الْهَمَّ الْمَكْدَرُ شُرْبُهُ
بَيْضَاءُ تَجِدُ حَيْثُ كَانَ مَسِيرُهَا
إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ يُعْطِ نَصْفًا أَمِيرُهَا
وَلَا نَتَ لَنَا أَيَّامُهَا وَشُهُورُهَا
وَدَارَ عَلَيْنَا بِالنَّعِيمِ سُورُهَا

وَأَنشد أبو عمار لدار بن المنصور

سَقَى اللَّهُ الْيَمَامَةَ مِنْ بِلَادٍ
وَجَوْزَ زَاهِرٍ لِلرَّيْحِ فِيهِ
بِهَامَسَتْ الشَّبَابُ إِلَى مَشِيبِ
نَوَافِحُهَا كَأَزْوَاجِ الْغَوَافِ
نَسِيمٌ لَا يَرُوعُ التُّرْبَ وَإِنِّي
يُقْبِحُ قَدْنَا حُسْنَ الزَّمَانِ

وَأَنشد إبراهيم بن إسحق الموصلي

أَلَا يَا حَبْدًا جَنَاتُ سَلَمِي
خَلَعْتُ بِهَا الْعِدَارَ وَنَلْتُ فِيهَا
أَسْوَمُ يَأْطِي طَلَبَاتٍ لِهَوِي
وَجَادَ رِيَاضُهَا جَوْنُ السَّحَابِ
مُنَايَ بِطَاعَةٍ أَوْ بِإِغْصَابِ
وَيَعْذُرُنِي بِهَا عَصْرُ الشَّبَابِ

لكل هؤلاء على ما ترى قد ألقوا بأن سبب حنينهم الى الأوطان ما لبسوه فيها من ثياب الشباب واستغلوا من ظله وأنشؤه من راحله وأنه كان يعذرهم ويمسح قبائحهم فعمل أى شيء يغلو الناس في قول ابن الرومي

وَحَبِّبَ أَوْطَانُ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَا رَبُّ قَضَائِهَا الشَّبَابُ هُنَا لِكَا
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ هُمُودُ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُوا لِذَلِكََا

ويزعمون أنه سبق الى ما لم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مستورا ووسم غفلا وقوله وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على من تقدم ولا أبدع بل اتبع ولكن الجيد اذا ورد بمن يعهد منه الردي كثر استحسانه وزاد استطرافه . . . ولقد أحسن البحري في قوله في هذا المعنى

فَسَقَى النَّضِي وَالنَّازِلِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبَّوهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبٍ^(١)
وَقَصَارِ أَيَّامٍ بِهِ سُرِقَتْ لَنَا حَسَنَاتُهَا مِنْ كَاشِحٍ وَرَقِيبٍ
خُضِرْتُ سَا قَطْرَ الصَّبَا فَكَأَنَّهَا وَرَقٌ يُسَاقِطُهُ اعْتِزَازُ قَضِيبٍ
كَانَتْ فُتُونٌ بَطَالَةً فَتَقَطَّمَتْ عَنْ هَجَرٍ غَايَتِهِ وَوَصَلَ مَشِيبٍ

وأحسن في قوله

سَقَى اللَّهُ أَخْلَافًا مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً سَقَيْنَا الْجَوَى إِذَا بَرَقَ الْحَزَنُ أَبْرَقُ
لَيَالٍ سَرَقْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَ مَا أَضَاءَ بِاصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرِقُ

(١) - الفضا شجر معروف واحده غضاة وأرض غضيانة كثيرته . . . وفي البيت استعظام فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين الى الفضا وهو الجرور في الساكنية المكان وهو أرض لبني كلاب وواد نجد وبالأخر وهو المنسوب في شبوه النار أي أوقدوا في جوامعهم نار الفضا يعني نار الهوى التي تشبه نار الفضا وخص الفضا دون غيره لأن جره بطيء الانطفاء وفي بعض الروايات وخلوعي بدل وقلوب وهي غلط

تَدَاوَيْتُ مِنْ أَيْلَى بَيْلَى فَمَا اسْتَنْقَى
بِنَاءُ الرَّبِّي مَنْ بَاتَ بِالرِّيْقِ يَشْرُقُ
ولأبي تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن احسان وهو

سَلَامٌ تَرْجِفُ الْأَحْشَاءُ مِنْهُ عَلَى الْحَسَنِ ابْنِ وَهْبٍ وَالْعِرَاقِ
عَلَى الْبَلَدِ الْحَبِيبِ إِلَى غُورَا وَنَجْدَا وَالْأَخِ الْمَذْبِ الْمَذَاقِ
لِيَا لِي نَحْنُ فِي وَسَنَاتٍ عَيْشِي كَانَ اللَّهُرَ عَنَّا فِي وَثَاقِ
وَأَيَّامٍ لَهُ وَأَنَا لَدَاتُ عُفِينَا مِنْ حَوَاشِيهِ الرَّفَاقِ
كَأَنَّ الْمَهْدَ عَنْ عَقْرِ أَدِينَا وَإِنْ كَانَ التَّلَاقِي عَنْ تَلَاقِ

﴿ مجلس آخر ٦٣ ﴾

[تأويل آية] ٥٠. ان سأل سائل عن قوله تعالى (وقلنا اعبثوا ببعضكم لبعث عدو) الآية ٥٠ فقال كيف خاطب آدم وحواء عليهما السلام بمخاطب الجمع وهما اثنان وكيف نسب بينهما العداوة وأي عداوة كانت بينهما ٥٠ الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه ٥٥ أولها أن يكون الخطاب متوجهاً الى آدم وحواء وذريتهما لأن الوالد يزبدلان على الذرية ويتعاقبهما ويقوى ذلك قوله تعالى حاكياً عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) ٥٠ وثانيها أن يكون الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام ولا يبايس اللعين وأن يكون الجميع مشتركين في الامر بالمعصية وليس لأحد أن يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لا يبايس ذكر في قوله تعالى (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) لأنه وان لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى (فزلزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) فبأنه أن يكون

(١) وفي نسخة غنينا في حواشيها الرقاق وفي ديوانه عربينا من حواشيها الرقاق

الخطاب على الجميع .. وثالثها أن يكون الخطاب متوجهاً إلى آدم وحواء عليهما السلام والحلية التي كانت معهما على ما روى عن كثير من المفسرين في هذا الوجه بعد من قبل أن خطاب من لا ينهم الخطاب لا يحسن فلا بد من أن يكون قبيحاً اللهم إلا أن يقال أنه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وإنما كفى تعالى عن إبطاء لهم بالقول كما يقول أحدنا قالت فاقبت الأمير وقالت فضربت زيداً وإنما ينجر عن الفعل دون القول وهذا خلاف الظاهر وإن كان مستعملاً وفي هذا الوجه بعد من وجه آخر وهو أن لم يتقدم للحية ذكر في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لأنحسن إلا بحيث لا يقع ليس ولا يسبق وهم إلى تناق الكناية بغير مكف عنه حتى يكون ذكره كذلك ذكره في البيان عن المعنى المقصود مثل قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب .. وكل من عليها فان) ومثل قول الشاعر

أماوي ما ينني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر^(١)
فما بحيث لا يكون الحال على هذه الكناية عن غير مذكور فقيحة .. ورابعها أن يكون الخطاب يخص آدم وحواء عليهما السلام وخطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك

(١) - قوله - إذا حشرجت - الخ فاعل حشرجت ضمير يعود على النفس ولم يتقدم ذكرها وذلك جائز لعلم المعنى من السياق ومثله قوله تعالى (كلا إذا بلغت التراقي) فان النفس لم يتقدم لها ذكر ولكن المعنى واضح .. والبيت من قصيدة لحاتم الطائي يخاطب إسماعيل مارية ومطامها

وأماوي قد طال التجنب والهجر	وقد عذرتي في طلابكم المهجر
أماوي انت المسال غاد ورائع	ويبقى من المال الاحاديث والذكر
ومنها أماوي إن يصبح صداي بقفرة	من الارض لاماء لدي ولا خر
تري ان ما أفقت بك ضائري	وان يدي مما بخلت به صفر
أماوي اني ربة واحد أمه	أخزنت فلا قتل عليه ولا أسر
وقد علم الأفرام لو أن حائماً	أراد ثراء المسال كان له وفر

لأن الشاية أول الجمع قال الله تعالى (اذ نشت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين)
 أراد تعالى وكنا لحكم داود وسابان عليهما السلام وكان بعض أصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يتناول قوله تعالى (فان كان له إخوة) على معنى فان كان له أخوان .. قال الرازي
 أخليدُ إن أبالكِ صافٍ وسادهُ هَمَانِ باتا جنبَةً ودخيلاً

أى داخل في القلب

مَارَقًا فَلَيْتَ هَمَامِي أَفَرِيهِمَا قُلُوصَاوِ اقْح كَالنَّصِي وَحَوْلَا

فغير بالمهام وهي بمعنى المذموم وهما اثنان .. فان قيل فامعنى المبطوط الذي أمروا به .. قلنا
 أكثر المفسرين على أن المبطوط هو النزول من السماء الى الارض وليس في ظاهر
 القرآن ما يوجب ذلك لأن المبطوط كما يكون النزول من علو الى سفلى فقد يراد به الحلول
 في المكان والنزول به قال الله تعالى (اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم) ويقول القائل
 من العرب هبطنا بلد كذا وكذا يريد حللنا .. قال زهير

مَا زِلْتُ أُرْمِقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطْتُ أَيْدِي الرِّكَابِ بِهِمْ مِنْ رَأْسٍ فَلَقْنَا

قد يجوز على هذا أن يريد تعالى بالمبطوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحتمل
 أيضاً أن يريد بالمبطوط غير معنى المسافة بل الانعطاف من منزلة الى دونها كما يقولون قد
 هبط عن منزله ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة فانحط الى دونها .. فان قيل فامعنى
 قوله (يعضكم بعض عدو) .. قلنا أما عداوة إبليس لآدم وذريته فعروفة مشهورة
 وأما عداوة آدم عليه السلام والمؤمنين من ذريته لابليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين
 من معاداة الكفار أى المارقين عن طاعة الله تعالى المستحقين لقتله وعداوة وعداوة
 الحية على الوجه الذي تضمن ادخالها في الخطاب لبني آدم معروفة ولذلك يحذرهم منها
 ويمنعهم فلما على الوجه الذى يتضمن ان الخطاب يختص آدم وحواه دون غيرها فيجب
 أن يحمل قوله تعالى (يعضكم بعض عدو) على أن المراد به الذرية كأنه قال تعالى
 اهبطوا وقد علمت من حال ذريتهم ان بعضكم يعادي بعضاً وعلق الخطاب بهما

للاختصاص بين الذرية وبين أسلافها .. فان قيل أليس ظاهر القرآن إبطوا يقتضي الأمر بالمعاداة كما أنه أمر بالهبط وهذا يوجب أن يكون تعالى أمر بالتقيح على وجه لأن معاداة إبليس لا دم عليه السلام قبيحة ومعادات الكفار من ذريت المؤمنين منهم كذلك .. قلنا ليس يقتضي الظاهر ما انتسموه وإنما يقتضي أنه أمرهم بالهبط في حال عداوة بعضهم بعضاً فالأمر مختص بالهبط والعداوة تجري بحرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في كلام العرب ويجري هذه الآية في أن المراد بها الحال قوله (إنما يريد الله ليصديهم بها في الحياة الدنيا ويذهب أنفسهم وهو كفرون) وليس معنى ذلك أنه أراد كفرهم كما أراد تحذيرهم وإزهاق نفوسهم بل أراد أن تذهب أنفسهم في حال كفرهم وكذلك القول في الأمر بالهبط وهذا بين .. [قال الشريف] المراد رضي الله عنه ومن مستحسن تمدح السادات الكرام قول الشاعر

وَيْلٌ أَمْ قَوْمٌ غَدَا عَنْكُمْ لَطِيْفُهُمْ لَا يَكْتُونُ غَدَاةَ الْمَلِّ وَالنَّهْلِ
صَبْدُ السَّرايِلِ لَا تُوكِي مَقَانِيَهُمْ عَجْرُ الْبُطُونِ وَلَا تُطَوِي عَلَى الْفُضْلِ

قوله - وويل أَمْ قَوْمٌ - من الزجر الحمود الذي لا يقصد به الشر مثل قولهم قاتل الله فلانا ما أشجعهم وأبرحه ما أشجعهم .. وقد قيل في قول جميل

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُيُوتَهُ بِالْقَدَى وَفِي النُّرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالْقَوَادِحِ ^(١)

(١) قوله - رمى الله في عيني - بئنة بالقدي - الخ .. قيل معناه سبحانه الله ما أحسن عينها ومن ذلك قولهم قاتل الله فلانا ما أشجعهم - وأنياب القوم - ساداتهم أي رمى الله الفساد والهلاك في سادات قومها لأنهم حالوا بينها وبين زيارتي واستحسن بعضهم أن يقال أراد بالعينين رقيبها وبالنور من أنيابها كرام ذويها وعشيرتها والمعنى أفهام الله وأراهم لتفكرات فهو في الظاهر يشتمها وفي البينة يشتم من يتأذى به فيها ويقال لهم أنياب الخلقة لا مدافعين عنها .. وقيل أراد بأفهام الله أقصى غايات الضر حتى تبطل عوامها وحواسها فالمدافع على هذا لها لأعنيها .. وقوله - بالقدي - الباء زائدة والقدي كل ما وقع في العينين من

انه أراد هذا المعنى بعينه وقيل انه دعا لها بالهزم وعلو السن لأن الكبير يكثر قذري عليه
ونهم أسنانه .. وقبل انه أراد بملابسها وبقيدها وبشرائها سادات قومها ووجوههم والاول
أشبه بطريقة القوم وان كان القول عتملاً للكل .. فلما قوله .. لا يكتنون غداة العمل
والهمل - فاراد انهم ليسوا برعاة يستقون الابل بل لهم من يخدمهم ويكفيمهم ويرعى إبلهم
وانما يكتنن ويرعز على الدلو السقاء والرعاة وفيه وجه آخر قيل انهم يساعون شريهم
ويؤثرونه بالسقي قبل أموالهم ولا يسنون عليه ولا يكتنون وهذا من الكرم والتفضل
لامن الضعف .. وقيل أيضاً بل عن انهم أعزاء ذوو منعة اذا وردت إبلهم ماء أفرج
الناس لها عنه لأنها قد صرفت فليس يحتاج أربابها الى الاكثناء والتعريف وقال قوم
في قوله يكتنون انه أراد كنت يده تكتن اذا خشت من العمل فيقول لبسوا أهل
مهنة فتكتن أيديهم فتخش من العمل بل لهم عبيد يكفونهم ذلك .. وقوله - صدأ

شئ يؤذيها كالتراب والعود ونحوها .. وقوله - وفي الغر - الخ معطوف على قوله في
عيني وهو جمع أغر وغراء أراد رمي الله في أنيابها الحسان النقية البيضاء القوادح قاله
زائدة أيضاً وأنياب جمع ناب وهي السن - والقوادح - جمع قادح وهو السواد الذي
يظهر في الاسنان فالاسنان تشأ كل منه .. ويدفع في صدر ما تقدم ماروى ان جيلاً لقي
بنيئة بعد تهاجرهم ما طالت مدته فلهذا طابا طويلاً فقالت له ويحك يا جميل أنزعهم انك تهواني
وأنت الذي تقول رمي الله في عيني بنيئة بالفذى البيت فأطرق طويلاً يبكي ثم قال

ألا ليتني أعمى أمم تعودني بنيئة لا يخفى على كلامها
وروى أيضاً ان كثيراً قال وقتت على جماعة فيضون في وفي جميل أينا أصدق عشيقاً
ولم يكونوا يعرفون فيفضلوا جيلاً فقلت لهم فلهنم كثيراً كيف يكون جميل أصدق منه
وحين أتاه من بنيئة ما يكره قال رمي الله في عيني بنيئة بالفذى البيت وكثير حين أتاه
من عزة ما يكره قال

هنيئاً مرئياً غير داه مخامر اعزته من أصراضنا ما استعجلت

فما انصرفوا الا على تفضيل وهذا يدل على أن جيلاً دعا عليها حقيقة اه

الدرابيل - فانما أراد بهم طول حملهم للسلاح وليسهم له - والمقاب - هي الأوعية التي يكون فيها الزاد فكانه يقول اذا سافروا لم يشدوا الاوعية على ما فيها وأطعموا أهل الرقعة وهذه كناية عن الاطعام وبذل الزاد مليحة - وغير البطون - من صفات المناقب أراد انها لا توكل بحر البطون ولا تطوى على فضل الزاد • • • ولبعض شعراء بني أسد وأحسن غاية الاحسان

رَأَتْ صُرْمَةً لِابْنِي عَيْدٍ تَمَنَّتْ مِنْ الْحَقِّ لَمْ تُوزَلْ بِحَقِّ إِفَالِهَا
فَقَالَتْ أَلَا تَقْدُو فَصَالِكَ هَكَذَا فَقُلْتُ أَبْتَ ضِيْفَانَهَا وَعِيَالَهَا
فَمَا حُبَّتْ إِلَّا الثَّلَاثَةَ وَالْثَنِي وَلَا قِيلَتْ إِلَّا قَرِيْبًا مَقَالَهَا
حَدَايِيرُ مِنْ كُلِّ الْعِيَالِ كَانَهَا أَنَا ضِيٌّ شَقِيٌّ حُلٌّ عَنْهَا جَلَالَهَا

شكى هذا الشاعر من امرأته وحكى عنها أنها رأت إبلا لجيراتها لم تعط في حمالة ولم تعقر في حق ولم تحلب لضيف ولا جار فهي سمان • • • وقوله - لم توزل - إفالها - فالإفال الصغار وتوزل من الازل وهو الضيق في العيش والشدّة فيقول فصالح هؤلاء سمان لم تاق برساً لأن ألبان أمهاتها موفورة عليا • • • وحكى عن امرأته أنها تقول أغذات فصالك هكذا فقال لها تأبى ذلك الحقوق وعيالها وهم الجيران والضيّفان ثم أخبر أنه لم ياتفت الى لومها وان الابل ما حلبت بعد مةاتها الا مرتين أو ثلاث ولا قيات من القائلة الا بقرب البيوت حتى نحرها ووهبها - والحداير - المهازيل وانما يعنى فصالة وهزالها من أجل انها لا تنقى الالبان وتعقر أمهاتها - وأناضى - جمع ناض فشيبه فصالة من هزالها بانضاض خيل شقر • • • وقوله - حداير من كل العيال - فيه معنى حسن لأنه أراد انها من بين جميع العيال مهازيل وهذا تأكيد لأن سبب هزالها هو الايتار بألبانها واختصت بالهزال من بين كل العيال والعيال هنا هم الجيران والضيّفان وانما جعلهم عيالا لأن كرمه وجوده قد ألزمه موقفهم فصاروا كأخص عياله • • • ومثل ذلك قول الشاعر

تَمَيَّرْتُ فِي الْحُظْلَانِ أَمْ عِلْمٍ فَقُلْتُ لَهَا لِمَ تَقْدِرُ فِينِي بِدَايَا

فَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّامِرِينَ مَتَاعَهُمْ يَذْمُ وَيَفْنَى فَارْتَضَيْتُ مِنْ وَعَايَا^(١)

فَلَمْ تَجِدْنِي فِي الْمَعِيشَةِ عَاجِزًا وَلَا حَصْرًا خِشَايِدًا وَكَأَيًّا

— الحظلان — المسكون البخلاء والحظل الامساك — وأم محم — امرأته .. ومعنى قوله
نعيرني الحظلان أى بالحظلان تقول مالك لانكون مثل هؤلاء الذين يحفظون أموالهم
— والصامرون — أيضاً البخلاء فقال لما رأيت البخلاء يمتنون بما عندهم وهو يفتى
ويستق الأثم فارتضى من وعائى وهذا مثل أى أعطى الناس مما عندي وهو من قولك
رضخ له بنو من علمته .. والحصرم — المسك تحول العرب حصرم قوسك أى شدد
وترهاه .. وقوله — فلم تجدني في المعيشة عاجزاً — أى أنا صاحب غلات أفيد وأستفيد
وأنتف وأخلف للأخافى الفقر .. وقال مسكين الدارمي

أَصْبَحْتُ عَازِلَتِي مُعْتَلَةً قَرِمًا أَمْ هِيَ وَخَمِي لِلصَّخَبِ

أَصْبَحْتُ تَنْقُلُ فِي شَحْمِ الذَّرَى وَتَنْظُرُ الْيَوْمَ دُرًّا يَنْتَهَبِ

لَا تَلْمِهَا إِنَّمَا مِنْ نِسْوَةٍ مَلْحَمَاءَ وَضُوءَةٍ فَوْقَ الرِّكَبِ

يقول أنها تكثر لومي وكأنها قرمة إلى اليوم كقرم الإنسان إلى اللحم وهي وحى تشبه
الصخب — والرحم — شدة شهوة الطعام عند الحمل — وشحم الذرى — الاستمة وأراد
تنقل فيها أنها تعود إلى تربتها في عيني ولتظم قدرها فلا أحب منها ولا أعز ثم أخبر
أن أصلها من الزنج — والمشح — الشحم وشحم الزنج^(٢) يكون على أوراكم .. وأكفاهم
وأشد أبو العباس محمد بن يزيد

(١) قوله — فَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّامِرِينَ — الخ الصامرون الباخلون أراد الصامرين بمتاعهم

.. وروى يموت بدل يذم أى يموتون وهذا من إعادة ضمير المرد على الجمع .. وقال

يعقوب الحظلان منى الفضبان

(٢) قوله — وشحم الزنج — الخ هذا ضمير الأصمى .. وقال أبو عمرو الشيباني

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّعِيفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا فِي صِفَاتِي غَيْرَ هَاشِمٍ الْعَبْدِ
 قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ اسْتَفَى الْكُرَمَ مِنَ التَّعَمُّيِ الْبَعِيدِ وَلَمْ يَسْتَفِ مِنَ الْقَرِيبِ لِأَنَّ أَهْلَهُ جَمِيعًا
 عَنْهُمْ كَرَامٌ وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ ... عَبْدُ الضَّعِيفِ ... أَنَّ يَخْدُمَ الضَّعِيفَ هُوَ بِشَيْءٍ لَا يَرْضَى لَهُ بِخِدْمَةِ
 عَبْدِهِ ... [قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيَتَبَنَّى ذَلِكَ قَوْلُ الْمُنْتَقِ الْكِنْدِيِّ
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّعِيفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا لِي سِوَاهَا خَلَّةٌ تُشَبِّهُ الْعَبْدَ^(١)

هذا البيت يتان ومما

وكيف يسبح المرء زاداً وجاراً خفيف الما بادي الطماعة والجاهد
 وللموت خبير من زيارة باخل يلاحظ أطراف الأكمل على عمد
 .. وقيل إن هذه الآيات طائفة الطائفي والصحيح أنها لفدس بن عامر كما تقدم
 [٧] ... أول القطعة التي منها هذا البيت .

يعاني في الدين قومي وانما	ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
ألم ير قومي كيف أوسر مرة	وأعسر حتى تبلغ العسرة الجهدا
فما زادني إلا ساء ورفضة	وما زادني فضل الغنى منهم بعدا
أسد به ماقد أخلوا وضيحوا	تغور حقون ما أطافوا لها سدا
وفي جنة ما يذاق الباب دونها	مكحلة لحما مدفقة ثردا
وفي فرس نهدي عتيق جعلته	حججا ليقن ثم أخذت به جدا
وان الذي يسى وبين بني أبي	وبين بني عمي لختلف جددا
أراهم إلى نصرى بطاء وإنهم	دعوني إلى نصر آيتهم شدا
إذا أكلوا حتى وفرت لحوهم	وإن يهدوا عجمي بنيت لهم بعدا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم	وان هم هووا غيبي هويت لهم رشدا
وان زجروا طيرا بحس تمريري	زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم	وليس رئيس القوم من محلي الحقددا
لهم جل مالي ان تتابع لي غنى	وان قل مالي لا أكافهم رفدا

وانما اشترط في كونه عبداً للضيف في البيت الاول والثاني نوايه ونزوله مؤثراً له ليعلم ان الخدمة لم تكن لضعفه وصغر قدر بل انما يوجب الكرم من حق الاضياف وانه يخرج عن أن يكون مخدوماً بمخروجه من أن يكون ضيفاً ولو قال واني لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل



—*—*—*— مجلس آخر ٦٤ —*—*—*—

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل فقال هم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم أن المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه اذا تعاق بقوله تعالى (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً) وان الظاهر من هذه الآية يوجب اهم غير مستطيعين الأمر الذي هم غير فاعلين له وان القدرة مع الفعل واذا تعاق بقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام (انك ان تستطيع معي صبراً) وانه اني كونه قادراً على الصبر في حال هو فيها غير صابر وهذا يوجب ان القدرة مع الفعل وبقوله تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ٠٠ الجواب يقال له أول ما نقوله ان المخالف لنا في هذا الباب في الاستطاعة لا يصرح له فيه التعاق بالسمع لأن مذهبه لا يسمعه معه صحة السمع ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة السمع بأدله وانما قلنا ذلك لأن من جوز تكليف الله تعالى الكافر الايمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم نفي التبائع عن الله عز وجله واذا لم يمكنه ذلك فلا بد من أن يلزمه تجويز التبائع في أقواله تعالى وأخباره ولا يأمن أن يرسل كذاباً وأن يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك قاله ان كان كلامه قدح في حجته تجويز الكذب عليه وان كان كلام رسول الله عليه السلام قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذاب وانما طرق ذلك تجويز بعض التبائع عليه وليس لهم أن يقولوا ان أمره تعالى الكافر بالايمان وان لم يقدر عليه يحسن من حيث أني الكافر

واني لعبد الضيف مادام نازلاً وما شئمة لي غيرها تحبه العباد

فيه من قبل نفسه لأنه تشاغل بالكفر وترك الإيمان وإنما كان يبطل تعلقاته بالسمع لو
أخفنا ذلك إليه لكان على وجه يتبع وذلك لأننا قلناه إذا لم يؤثر في كونه ما ذكرناه
تقليداً لا لا يطلق لم يؤثر في نفي ما أئتمناه عنهم ولأنه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب
وسائر القبائح وتكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه لا يتبع منه وليس قوطم أنا لم
نصفه إليه من وجه يتبع بشيء يعتمد بل يجري مجرى قول من يجوز عليه تعالى
الكذب ويكون الكذب منه تعالى حسناً ويدعى مع ذلك صحة معرفة الدع بأن يقول
أني لم أضف إليه تعالى قبيحاً فيلزم في إفساد طريقة السمع لما كان من ذكرناه لا عدوله
في هذا الكلام لم يكن للتعاطف في الاستطاعة عذر بمثله .. ونعود إلى تأويل الآية
أما قوله تعالى (أنظر كيف ضربوا) الآية فليس فيه ذكر لشيء الذي لا يقدرون عليه
وبيناه وأما كان يصح ما قلناه لو بين تعالى أنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى أمر معين فاما
إذا لم يكن ذلك كذلك فلا متعلق لهم .. فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم
فيجب أن يكون المراد بقوله (فلا يستطيعون سبيلاً) إلى مفارقة الضلال .. قلنا انه تعالى
كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل منهم فيجوز أن يريد أنهم لا يستطيعون سبيلاً
إلى تحقيق ماضيوه من الامثال اذ ذلك غير مقدور على الحقيقة ولا استطاع والظاهر أن
هذا الوجه هو أولي لأنه عز وجل حكى أنهم ضربوا له الامثال وجعل ضلالهم وأنهم
لا يستطيعون السبيل متعلقاً بما تقدم ذكره وظاهر ذلك بوجوب رجوع الأمرين جميعاً
إليه وأنهم ضلوا بضرب المثل وأنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ماضيوه من المثل على
انه تعالى أخبرنا بأنهم ضلوا وظاهر ذلك الاخبار عن ماضى فعلهم فان كان قوله تعالى
(فلا يستطيعون سبيلاً) يرجع إليه فيجب أن يدل على أنهم لا يقدرون على ترك
الماضى وهذا مما لا تعالف فيه وليس فيه ما نأباه من أنهم لا يقدرون في المستقبل أوفى الخلق
على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذر تركه بد منه فإذا لم يكن للآية ظاهر فلم
صاروا بأن يحملوا نفي الاستطاعة على أمر كلفوه بلوي منا اذا حملنا ذلك على أمر لم
يكلفوه أو على انه أراد الاستئذال والخبر عن عظام المشقة عليهم ولو جرت عادة أهل
اللغة بأن يقولوا لمن يستعمل شيئاً انه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه ألا ترى

انهم يقولون ان فلاناً لا يستطيع أن يكلم فلاناً ولا ينظر اليه وما أشبه ذلك وانما هم
الاستقلال وشدة الكلفة والمشقة .. فان قيل فاذا كان لاظهار الآية يشهد بمذهب
المتخالف فما المراد بها عندهم .. قلنا قد ذكر أبو علي ان المراد انهم لا يستطيعون الى بيان
تكذيبه سبيلاً لانهم ضربوا الامثال ظناً منهم بأن ذلك يبين كذبه فآخبر تعالى أن ذلك
غير مستطاع لأنه تكذيب صادق وإبطال حق مما لا يتحقق به قدرة ولا يتأوله استطاعة
وقد ذكر أبو هاشم ان المراد بالآية انهم لأجل ضلالهم بضرب الأمثال وكفرهم
لا يستطيعون سبيلاً الى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب ..
وايس يمكن على هذا أن يقال كيف لا يستطيعون سبيلاً الى الخير والهدى وهم عندهم
قادرون على الايمان والثوبة متى فعلوا ذلك استحقوا الثواب لأن المراد انهم مع الضحك
بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم الى خير وهدى وانما يكون لهم سبيل الى ذلك
بان يوافقوا ما هم عليه .. وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ما تقدم ذكره من أن المراد
ينفي الاستطاعة عنهم انهم مستقنون للايمان وقد يجبر عن استنقل شيئاً بأنه لا يستطيع
على ما تقدم ذكره .. فاما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام (انك لن تستطيع
مع صبرا) فظاهره يقتضي انك لا تستطيع ذلك في المستقبل ولا يدل على أنه غير
مستطيع للصبر في الحال وأن يفعله في الثاني وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن
يستطيع ما هو في الحال مستطيع له غير أن الآية تقتضي خلاف ذلك لأنه قد صبر على
المسئلة أوقاتاً ولم يصبر عنها في جميع الاحوال فلم ينف الاستطاعة للصبر عنه في جميع
الافاقات المستقبلية هل أن المراد بذلك واضح وأنه خبر عن استنقال الصبر عن المسئلة
عمالاً يعرف ولا ينف عليه لأن مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا يجد أحدنا اذا وجد
بين يديه ما ينكره ويستبعده تنازعه نفسه الى المسئلة عنه والبحث عن حقيقته ويتقلى
عليه الكف عن التعمص عن أمره فلما حدثت من صاحب موسى عليه السلام ما يستنكر
ظاهره استنقل الصبر عن المسئلة عن ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى (وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبراً) فبين تعالى ان العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره ولو
كان على ما ظنوه لوجب أن يتول وكيف يصبر وأنت غير مطبق للصبر .. فاما قوله

تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع) فلا تعلق لهم بظواهره لأن السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً لأن الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ولو ثبت أنه معنى على ما قبله أبو علي لكان أيضاً غير مقدور للعبد من حيث اختص تعالى بالقدرة عليه هذا إن أريد بالسمع الإدراك وإن أريد به نفس الحاسة فهي أيضاً غير مقدورة للعباد لأن الجواهر وما تختص به الحواس من البنية والمعاني لا يسبح بها الإدراك فإنه مما ينفرد به التقديم تعالى في القدرة عليه فالظاهر لاحجة لهم فيه .. فان قالوا فاعلم المراد بالسمع كونهم سامعين كأنه تعالى اني عنهم استطاعة أن يسمعوا .. قلنا هذا خلاف الظاهر ولو ثبت ان المراد ذلك لحلتنا في الاستماع على ما تقدم ذكره من الاستقلال وشدة المشقة كما يقول الفاضل فلان لا يستطيع أن يرى ولا يقدر على أن يتكلم وما أشبه ذلك وهذا بين لمن تأمله [تأويل خبر] .. ان-أل سائل فقال ما تأويل ما رواه بشار عن معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله كانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد فذهب الذئب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم أسف كما يأسفون لكنني غضبت ففككتها صكة قال فعظم ذلك على الذي سأل الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال إئتني بها فأنت بها فقال عليه الصلاة والسلام أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعتقها فإنها مؤمنة .. الجواب أما قوله - أنا رجل من بني آدم أسف كما يأسفون - فعناء أغضب كما يقضون .. قال محمد بن الحبيب وأشد للراعي فَمَا لِحَقَّتْكَ الْعَيْسُ حَتَّى وَجَدْتَنِي أَسِيفًا عَلَى حَادِيهِمُ الْمُتَجَرِّدِ وَالْأَسَفُ أَيْضًا الْحَزَنُ .. قال ابن الأعرابي الأسف العزن والغضب قال كعب في كلِّ يَوْمٍ أَرَى فِيهِ نَبِيَّهُ يَكَاذُ يَسْقُطُ مِنِّي مَنَّةٌ أَسْفَا وقوله - ولكنني غضبت ففككتها - أراد لطمتها بقال صك وجهه إذا لطمها بيده قال الله تعالى (فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها) .. وقال بشر بن أبي خازم نصف حمار وحش وأنا

فِيصْلُكَ غَجْرَهُ إِذَا مَاسَافَهَا وَجَبِيْنَهُ بِمَوَافِرٍ لَمْ تُشْكَبِ

— سألها — اذا شئنا .. وقولها — في السماء — فالسما هي الارتفاع والعلو فعني ذلك انه تعالى عال في قدرته وعزيز في سلطانه لا يبلغ ولا يدرك وما قال سما فلان يسمو سموا اذا ارتفع شأنه وعلا أمره وقال تعالى (أمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الآية فآخبر تعالى بقدرته وسلطانه وعلو شأنه ونفاذ أمره .. وقد قيل في قوله تعالى (أمنتم من في السماء) غير هذا وان المراده أمنتم من في السماء أي أمره وآياته وقدرته ورزقه وما جرى مجرى ذلك .. وقال أمية بن أبي الصلت شاهداً لما تقدم

وأشهد أن الله لا شيء فوقه عالياً وأمنى ذكره متعالياً

وقال سليمان بن يزيد العدوي

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الطُّولِ وَالْمَالِكِ وَالْغَنِيِّ تَعَالَيْتَ مَعُوداً كَرِيماً وَجَازِيَا

عَلَوْتَ عَلَى قُرْبٍ بَعِزٍّ وَقُدْرَةً وَكُنْتَ قَرِيباً فِي ذُنُوكَ عَالِيَا

والسما أيضاً سقف البيت ومنه قوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله) الآية وقال ابن الاصرابي يقال لأعلى البيت سما البيت وسماواته وسراته ومهوته والسما أيضاً المطر قال الله تعالى (وأرسلنا السماء عليهم مدراراً) ومنه الحديث الذي رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فادخل عليه الصلاة والسلام يده فيها فقالت أصابعه بلالا فقال ما هذا يا صاحب البر قال أصابت السماء يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم أولاجملته فوق الطعام يراه الناس من غش فليس منا .. وقال مثقب العبدى

فَلَمَّا أَتَانِي وَالسَّمَاءُ تَبَلُّهُ فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

ويقال أيضاً لظاهر الفرس سما كما يقال لحوافر أرض .. وبعضهم في فرس

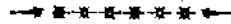
وَأَحْمَرُ كَالْبَيِّنَارِ أَمَّا سَمَاؤُهُ فَخِصْبٌ وَأَمَّا أَرْضُهُ فَمَحْجُولٌ^(١)

وانما أراد انه سمين الاعلى حين ان القوائم مشوقها وكل معاني السماء التي تنصرف وتنشوع

(١) — البيت لطيفيل القنوي .. وقال الراغب كل سماه بالاضافة الى مادونها فسما

وبالاضافة الى ما فوقها فارض الا السماء الدنيا فانها سما بلا أرض

ترجع الى معنى الارتفاع والعلو والسوء وان اختلفت المواضع التي أجريت هذه اللفظة فيها وأولى الله انى باظهر الذى سئلنا عنه ما تقدم من معنى العزة وعلو الشأن والسلطان وما عدا ذلك من المعاني لا يابق به تعالى وان العلو بالمسافة لا يجوز على التقديم تعالى الذى ليس بجسم ولا جوهر ولا حال فهما ولأن الخبر والآية التي تضمنت أيضاً ذكر السماء خرجت مخرج المدح ولا مدح في العلو بالمسافة وانما التمدح بالعلو في الشأن والسلطان ونفاذ الامر ولهذا لا نجد أحداً من العرب مدح غيره في شعر أو نثر بثل هذه اللفظة وأراد بها علو المسافة بل لا يريد إلا ما ذكرناه من معنى العلو في الشأن وانما يظن في هذه المواضع خلاف هذا من لافطة عنده ولا بصيرة له



—*—*—*—*—*— مجلس آخر ٦٥ —*—*—*—*—*—

[تأويل آية ٥٠] ان سأل سائل عن قوله تعالى (حتى إذا جاء أسرها وفار التنور) الآية ٥٠ الجواب قلنا اما التنور فقد ذكر في معناه وجوه ٥٠ أولها أنه تعالى أراد بالتنور وجه الارض وان الماء تبع وتلوه على وجه الارض وفار هذا قول عكرمة وقال ابن عباس رضي الله عنهما مثله والعرب تسمى وجه الارض تنوراً ٥٠ وثانيها أن يكون المراد ان الماء تبع من أعالي الارض وفار من الاماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة روي عنه في قوله تعالى (وفار التنور) قال ذكر لنا أنه أرفع الارض وأشرفها ٥٠ وثالثها أن يكون المراد بفار التنور أى برز التنور وظاهر الضوم وتكاثف حرارة دخول النهار وتقضى الليل وهذا القول يروى عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه ٥٠ ورابعها أن يكون المراد بالتنور الذى يختبئ فيه على الحقيقة وأنه تنور كان لآدم عليه السلام أبي البشر وقال قوم ان التنور كان في دار نوح عليه السلام يعين وردة من أرض الشام ٥٠ وقال آخرون بل كان التنور في ناحية الكوفة والذي روي عنه ان التنور هو تنور الخبز الحقيقى ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم ٥٠ وخامسها أن يكون معنى ذلك اشتد غضب الله تعالى عليهم وحل وقوع نعمتهم بهم وذكر تعالى التنور مثلاً لحضور

العذاب كما تقول العرب قد قارت قدر القوم اذا اشتد الحرب وعظم الخطب والوطيس هو الثور وتقول العرب أيضاً قد حمى الوطيس اذا اشتد بالقوم حرهم . . . قال الشاعر
 نَفُورُ عَلَيْنَا قَدَرُهُمْ فَتَدْبِعُهَا وَتَقْشُرُهَا عَنَّا إِذَا حَمِيَتْ غَلَاً^(١)

أراد بقدرهم - حرهم ومعنى - تدبعها - نكبتها ومن ذلك الحديث المروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه نهي عن البول في الماء الدائم يعني الساكن ويقال قد دؤم الطائر في الهوى اذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يفتق بهما وتقشورها - معناه نكبتها يقال فأت غضبه عن وقتئذ الحار بالبرد اذا كسرت به . . . وسانسها أن يكون الثور الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة على الأرض علماً على ما أنذر به من احلاك قومه وهذا القول يروي عن الحسن وأولى الأقوال بالصواب قول من حمل الكلام على الثور الحقيقي لانه الحقيقة وما سواء مجاز ولأن الروايات الظاهرة تشهد له وأضعفها وأبعدها من شهادة الأثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب واحتداد الأمر تخيلاً وتشبيهاً لأن حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها الرواية أولى من حمله على المجاز واتوسع مع فقد الرواية وأي المعاني أريد بالثور فان الله تعالى جعل فوران الماء علماً نبيه عليه السلام وأنه يدل على نزول العذاب بقومه ليتجسس بنفسه والمؤمنين . . . فلما قوله تعالى (من كل زوجين اثنين) فقد قيل ان المراد به إجماع كل ذكر وأني اثنين وأنه يقال لكل واحد من الذكر والانثى زوج . . . وقال آخرون الزوجان هنا الضربان وقال آخرون الزوج اللون وإن كل ضرب يسمى زوجاً واستشهدوا بيت الاعشى

في كل زوج من الذباج يلبسه أبو قدامة مجبوراً بذلك معاً

ومعنى (من سبق عليه القول) أي من أخبر الله تعالى بعذابه وحلول الملاك به والله أعلم بمراده [تأويل خبر] . . . إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه شريك عن عمار الذهبي عن أبي صالح الحنفي عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

(١) البيت للتأنيف الجعدي أبي ليلى رضي الله عنه وبعبارة

يعلمن كدشفاق الجعاش شريقه وضرب له ما كان من ساعد خلا

في المنام وأنا أشكو إليه ما لقيت من الآود والدد • • الجواب يقال له أما - الآود - فهو
 الميل قول العرب لأقمن ميلك وحفك وأودك وذراك وضلعك وصعرك وصدغك
 وظلعك بالظاء وصعوك وصدغك كل هذا المعنى واحد • • وقال ثعلب الآود إذا كان من
 الإنسان في كلامه ورأيه فهو عوج وإذا كان في الشيء المنصب مثل عصا وما أشبهها فهو
 عوج وهذا قول الناس كلهم إلا أبا عمرو والشيباني فإنه قال العوج بالكسر الاسم والعوج
 بالفتح المصدر وقال ثعلب كأنه مصدر عوج يعوج عوجاً ويقال عصاً معوجة وعود
 معوج وليس في كلامهم معوج • • وأما - الدد - فتبيل هو الخصومة وقال ثعلب يقال
 رجل ألد وقومٌ لُدٌّ إذا كانوا شديدى الخصومة ومنه قول الله تعالى (وهو ألد
 الخصام) • • وقال الاموى الدد الاعوجاج والالاد في الخصومة الذي ليس بمستقيم
 أي هو أعوج الخصومة يميل فلا يقوى عليه ولا يمكن منه ومن ذلك قولهم لد العبي
 وإنما يلد في شق فيه وليس يلد مستفها فهو يرجع الى معنى الميل والاعوجاج وقال فر
 لنا الحكم بن ظهير فقال ألد الخصام أي اعوج الخصام • • وأندأبو السمع لابن مقبل
 أَفَدَّ طَالَ مِنْ دَهَاءِ لَدِّي وَفَدَّرَ قِي وَكَثَمَانِهَا أ كُنِي بِأَمِّ فَلَانِ
 جَعَلْتُ لِحِمَالِ الرِّجَالِ غَضَاةً وَلَوْ شِئْتُ لَدَّ يَتْنَهَا بِلِسَانِي
 - الدد - الجدال والخصومة • • وقال أبو عمرو الألد الذي لا يقبل الحق ويطلب الظلم
 وقوله - غضاة - يقول أنهم يخوضون في شعري ويطلبون معانيه ولا يقفون عليها
 • • وأندأبو السمع

لَا تَقْتَرِ الكَذِبَ القَبِيحَ فَإِنَّهُ	لِلرَّءِ مَعْتَبَةٌ وَبَابٌ مَلَامٍ
وَاصْدُقْ بِقَوْلِكَ حِينَ تَنْطِقُ إِنَّهُ	لِلصِّدْقِ فَضْلٌ فَوْقَ كُلِّ كَلَامٍ
وَإِذَا صَدَقْتَ عَلَى الرِّجَالِ خَصَصْتَهُمْ	وَالصِّدْقُ مَقْطَعَةٌ عَلَى الظَّلَامِ
وَإِذَا رَمَاكَ غَشُومُ قَوْمٍ فَارْزَمْهُ	بِاللَّدِّ مُشْتَرِ الْمَدَى غَشَامٍ

لَا تَعْرِضْنَ عَلَى الْمَدْوِ وَ سِيلَةً وَاحْذَرِ عَدُوَّكَ عِنْدَ كُلِّ مَقَامٍ
وَأَعْلَمْ بِأَنْ قَدْ لَيْسَ يَوْمٌ أَنَا فَعْمًا عِنْدَ اللَّيْلِ وَسَائِلُ الْأَرْحَامِ
مَا لَمْ يَخْفُكَ وَيَلْقَ عِنْدَكَ جَانِبًا خَشِنًا وَتَضِيعُهُ بِكَأْسِ سَامِ
وَإِذَا حَلَلْتَ بِمَا زَقِيَ فَافْكَرْ بِهِ حَتَّى تَفْرَجَ حَلَبَةَ الظَّلَامِ
فَاصْبِرْ عَلَى كَرْبِ الْبَلَاءِ فَإِنَّهُ لَيْسَ الْبَلَاءُ عَلَى الْفَتَى بِزَامٍ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَيِّتٌ وَمُحَدَّثٌ عَمَّا فَطَلَتْ مَعَاشِرُ الْأَقْوَامِ

معنى قوله - مشفق المدي - أي تعبد المدي .. ومعنى قوله - لا تعرضن على المدو وسيلة - أي لا تخاريه ولا تصانعه ولا يكن بينك وبينه الا صدق المداوة .. وأنشد أيضاً شاعداً لما تقدم

يَا وَهْبُ أَشْبَهَ بِأَطْلِي وَجَدِّي أَشْبَهْتَ أَخْلَاقِي فَأَشْبَهْ عَجْدِي
وَجَدَ لِي عِنْدَ الْخُصُومِ اللَّذِي

.. [قل الشريف المرتضي] رضي الله عنه ومن أحسن ما وصف به النثر قول فضالة ابن وكيع البكري

تَبَسَّمُ عَنْ حُمِّ الْأَنْبَاتِ كَأَنَّهَا حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَفْخُوَانٍ كَتِيبٍ
إِذَا ارْتَفَعَتْ عَنْ مَرْقَدٍ عَلِمَتْ بِهِ مِنَ الْيَانِعِ الْقَوْدِيِّ فَرَعُ قَضِيبٍ
قَضِيبُ نَجَاهُ الرَّكْبِ أَيَّامَ عَرَفُوا لَهَا مِنْ ذُرَى مَا لِلْأَنْبَاتِ خَضِيبٍ

يعنى من يانع الاراك .. ومعنى - نجاه أي قطعه ومثله استجاء أيضاً وسما للنبات - أي ناعم وحسنه يقال عشب مال وماد سواء أي مباد ناعم .. ومعنى - أيام عرفوا - أي اجتمعوا من عرفات وذكر انه خضيب باطبيب الذي يبيدها لادمانها لاستعماله .. وقاله الاخطله يصف نعرأ

شَتَيْتَا يَزْتَوِي الظَّالِمُ مِنْهُ إِذَا الْجَوَزَاءُ أَحْبَبَتِ الصَّبَابَا ^(١)

– الشَّيْت – هو المنفرد المفاج الذي ليس يترآكب .. ومعنى قوله – إذا الجوزاء
أحبت الصبابا – فيه وجهان .. أحدهما أنه أراد سقوط الجوزاء وذلك في شدة البرد
وطول الليل إذا انجمعت الصباب من البرد وتغيرت الأفواء لطول ليل الشتاء يقول
قنرها حينئذ عذب غير متغير .. والوجه الثاني أنه أراد عند طلوع الجوزاء في شدة
الحر إذا انجمعت الصباب من شدة الحر والقبض فالظلمان حينئذ أشد عطشا وأحر غلة
فريقها برويه ويرد غلته .. وقال آخر

فَوَيْلٌ بِهَا لِمَنْ تَكُونُ ضَاحِكَةً إِذَا مَا التُّرْبَاءُ ذَبَذَبَتْ كُلَّ كَوْكَبٍ

قوله – فويل بها – من الزجر المحمود مثل قولهم ويل أمه ما أنشجعه فكأنه يقول نعم
الضاحك هي عند السحر إذا تحدثت النجوم للمعجب كما قال ذو الرمة

(١) – وفي رواية شليبا بدل شليبا والروايتان متنازعتان المعنى فإن الشليب كثير
الشاب وهو ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان وقيل حد فيها أو هو قط بيض فيها
أوحدة الانياب كالغرب تراها كالنشار .. والشَّيْت المفاج واليبت من قصيدة يمدح
بها عبد الله بن سعيد بن العاص ومطلمها

ألم تعرض قنائل آل طو وأروى والمدلة والربابا

بأيام خدوال صالحات ولذات تذكري الشبابا

نزلت بين فاستدكيت نارا قليلا ثم أسرع من الذهابا

وكن إذا بدون قبلي صيف ضرين بجانب الجفر القبابا

نواعم لم يغفلن بعد مقلد ولم يغفلن عن حفص غرابا

– الجذ – البئر – ومثل – أرض – والحفص – البعير يحمل متاع القوم إذا اشتغلوا ..
وقوله لم يغفلن عن حفص غرابا أي لم يغفلن أنفسهم وكأنه وصفهن بالخمر والسر
ومنها

ونفس لئلا ترصدها المنايا وتحذر صولة حتى يصابا

إذا حمرت به ألفت عليه أحده سلاحها ظفرا ونابا

وَأَيْدِي الثَّرَيَّا جَنَّحٌ فِي الْمَغَارِبِ

وقال الآخر

نَعَمْ شِعَارُ الْفَتَى إِذَا بَرَدَ اللَّيْلُ — لَمْ سَحِيرًا وَفَقَفَ الصَّرْدُ^(١)

وأما معنى أنها في ذلك الوقت الذي تتغير فيه الأفواء طيبة الريق مذنبه .. وأنشد أبو العباس
نعلب لأُم الهيثم

وَعَارِضِ كَجَانِبِ الْعِرَاقِ أَنْبَتَ بَرًا قَا مِنْ الْبَرَاقِ

يَذَاقُ مِثْلَ الْعَسَلِ الْمَذَاقِ

قال أبو العباس في هذا قولان .. أحدهما أنها وصفت نمرأ وعارضاهم جانباه والعراق —

ما بيني ثم يخرز كعراق القرية فآخبرت أنه ليس فيه أعرجاج ولا تراكب ولا نقص

.. وقولها — أنبت برًا قًا من البراق — أي ما نبتته الأرض إذا مطرت من التور .. قال

المبرد والقول الأول عندنا أسح لذكرها الفصل .. وأنشد أحمد بن يحيى لتأبط شراً

وَشِعْبُ كَشَكِ الثَّوْبِ شَكْسُ طَرِيقِهِ عَجَامِعُ ضَوْجِيهِ نَطَافُ مَخَاصِرُ

تَمَسَّتُهُ بِاللَّيْلِ لَمْ يَهْدِنِي لَهُ دَلِيلٌ وَلَمْ يُعْصِنْ لَهُ النَّعْتُ خَابِرُ^(٢)

قال يعني — بالشعب — قم جارية — كشك الثوب — يعني كفف الثوب إذا خاطه الخياط

— والشكس — الضيق يصنعها بصغر القم وحسنه ورقة الشفتين — وضوجه — جانباه

وضوح الوادي جانبه — والمخاصر — الباردة من الخمر ويمنى — بالنطاف — الريق

.. وقوله — لم يهدينى له دليل — أى لم يصله اليه غيري كما قال جرير

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ شَرِبْتَ بِشَرْبِ شَفَا الْقَيْمِ لَمْ يَشْرَبْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلِي

(١) — وبعبده .. زينها الله في الفؤاد كما زين في عين والدوله

(٢) وفسر ابن سيده هذين البيتين بما نصه .. قال فإنه غنى بالشعب هنا القم وجعله

كشك الثوب لاسطفاف ثوبه وتناسق بعضه في أثر بعض كالخياطة في الثوب وجعله جاني

القلم ضوجين

الغيم - والغين العطش وإنما يعنى ريق جارية .. قال أبو العباس وقال آخرون بل يعنى شعباً من الشعب غشوقاً خيفاً سلكه وحده قال أبو العباس إنما كنى بالشعب عن فم جارية ثم أخذ في وصف الشعب ليكون الامر أشد التباساً .. [قال الشريف المراضى] رضي الله عنه والاشبه أراد أن يكون شعباً حقيقياً لأن نأبط شراً لهما وصافاً للاهوال التي يعنى بها وبما فيها في تلصصه وكان كثيراً ما يصف تدليه من الجبال وتخلصه من المضائق وقطعه المغاوير وأشياء ذلك والقطعة التي فيها اليتان كأنها تشهد بأن الوصف لشعب لاقم جارية لأنه يقول بعد قوله كذلك التوب

لَدُنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ قَلِيلٍ أُنِيسُهُ كَأَنَّ الطُّغَا فِي جَانِبَيْهِ مَجَاجِرُ
يَهْ مِنْ نَجْمَاءِ الدَّلْوِ بَيْضُ أَقْرَاهَا خَبَارُ لَصْمِ الصَّخْرِ فِيهِ قَرَارُ
وَقَرَزَنْ حَتَّى كُنَّ لِلْمَاءِ مُتَعَى وَغَادَرَهُنَّ السَّيْلُ فِيمَا يُنَادِرُ
بِهِ نُطْفُ زُرْقٍ قَلِيلُ تَرَاهَا جَلَاءَ الْمَاءِ عَنْ أَرْجَائِهَا فَهِيَ حَائِرُ

.. وهذه الاوصاف كلها لا تليق الا بالشعب دون غيره وتأول ذلك على الغم تأول بعيد وقد أحسن كثير في قوله يصف نغراً

وَبِیَوْمِ الْخَيْلِ لَمْ تَسْفَرْتِ وَكُفْتُ وَدَاءَ الْمَصْبِ عَنْ رَتْلِ بُرَادٍ
وَعَنْ مَجَلَاءِ تَدْمَعٍ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ
وَعَنْ مُتَكَوِّسٍ فِي الْمَقْصِ جَثَلٍ أَيْتُ النَّبْتِ ذِي عُذْرِ جِمَادٍ^(١)

(١) - العصب - ضرب من البرود العجينة - والزلزال - بالفتح حسن التثنية - دمستوا النبات وقيل مفلج وربما قالوا رجل رتل الانسان مثله تصب اذا كان مفلجها - وبراد - كفراب بارد .. وقوله - عن متكوس - المتكوس هنا شعر رأسها أي كنيف مأخوذ من تكاوس التبت وهو التغالق وسقوط بعضه على بعض - وجثله - كثير ملتف أيضاً .. والبيت من

وقال أبو تمام في هذا المعنى

وَعَلَى الْمَيْسِ خُرْدٌ يَبْسَمُ عَنْ الْأَشْنَبِ الثَّنِيثِ الْبُرَادِ

قصيدة مشهورة له يتنزل بها في غاضرة جارية أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ثم رثي فيها صاحبه خندق الاسدي وخندق هذا هو الذي أدخل كثيراً في مذهب الخنثية وأول القصيدة

شجاً أطلعان غاضرة القوادى بغير مئبة غرضاً فؤادى
أغاضرو شهدت غداة يتم حنو المرضعات على وسادى
أويت لعاشق لم تشككم به توالفه تلدّع بالزناد *
ويوم الخليل .. الايات الثلاثة

وغاضرة الغداة وان نأثنا وأصبح دونها قطر البلاد
أحب ظعينة وبنات نفسى اليها لو بلن بها صوادى
ومن دون الذى أملت ودأ ولو طلبتها خرط القناد
وقال الناسحون نحل منها يبذل قبل شيمتها الجاد
وقد وعدتك لو أقبلت ودأ فالحج بك التندل في تعادى
فأسررت الندامة يوم نادى برد جمال غاضرة النادى
تمادى البعد دونهم فاست دموع العين لج بها الفخادى
لقد منع الرقاد قبيل ليلى تجالبنى المهوم عن الوساد
عداى أن أزورك غير بض مقامك أبين مصفحة شداد
واقى قائله انت لم أزره سقت ديم السوارى والقوادى
على أخى بنى أسد قنونا فسا والى الى برك القصاد
مقيم بالمجازة من قنونا وأهلك بالاجير والناد
فلا تبعد فكل فنى سيأتى عليه الموت يعارق أو يغادى
وكل ذخيرة لا بد يوماً ولو بقيت تصير الى نصاد
فلو فؤدت من حدث المنايا وقتك بالطريف وبالسلاد

كَانَ شَوْكَ السَّيَالِ حُسْنًا فَاضْنَى دُونَهُ لِلْعِرَاقِ شَوْكَ الْقَتَادِ^(١)

وقال البحتري

(١) - اليتان من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد وه مطلعها

سعدت غربة النوى بعداد فهي طوع الانعام والانجماد
 • فارقتنا للندامع أنوا مسوار على الحدود غوادى
 كل يوم يمنحن دمعاً طريفاً يمتري منزه بشوق تلاد
 واقع بالحدود والحر منه واقع بالقلوب والاكباد
 وعلى العيس البئين • • وخمسة أبيات تقدمت ثم قال

يا أبا عبد الله أوديت زنداً في بدي كان دائم الاسداد
 أنهت جيت الظلام عن صن الآمال اذ ضل كل هاد وحادى
 فكأن للغد فيا مقيم وكان السارى عليهم فادى
 وضياء الآمال أفتح في الطرف وفي القلب من ضياء البلاد
 ومنها بعد ما أسلت الوشاة سيوفاً قطعت في وهي غير حداد
 من أحاديث حين دوختها بالسرأي كانت ضعيفة الاستاد
 فنتى عنك زخرف القول سمع لم يكن فرصة لغير السداد
 ضرب الحلم والوقار عليه دون عور الكلام بالاسداد
 وحوان أبت عليها المعالي ان تسمى معطية الاحتاد
 ولعدي ان لو أصحت لا قدمت بحتقى صيلة الحداد •
 حمل العبد كاهل لك أمسى لخطوب الزمان بللرصاد
 طاق مضيق من الهون الا من مقاسة مفرم أو نجماد
 للمعالات والحوائل إليه كالحوب الموارد الاعداد
 ملكيتك الاحساب أي حياة وحيا أزمة وحيمة وادى •
 لو تراخت يذاك عنها فواقا أكلها الايام أكل الجراد

وَأَرْتَنَا خَدًّا يُرَاحُ لَهُ الْوَرْدُ دُوَيْشَتُهُ جَنَى التَّفَاحِ
وَشَفِيئاً يَنْقُضُ مِنْ أَوَّلِ الْوَرْدِ النَّظْمَ وَيُزْرِى عَلَى شَتَبِ الْأَفَاحِ
فَأَضَاءَتْ تَحْتَ الدُّجْنَةِ لِلشَّرِّ بِوَكَادَتْ تُضِيءُ لِلْمِصْبَاحِ^(١)

أنت ناضلت دونها ببطايا عائدات على العنقاة بوادى
* فإذا هامل التوال أننا ذات نيرين مطبقات الايادى
كل شيء غث إذا عاد والمعروف غث ما كان غير معاد
كادت المكرمات تنهد لولا انها أيدت بحى إباد *
عندهم فرجة الالهيف وأصديق ظنون الرواد والوراد
باحاطي الجدد ودلائل بوشكك الجدلا بل بسؤدد الاجداد
وكان الاعناق يوم الوغى أو لى بـسـيا فهم من الاغراد
فإذا ضلت اليوف غداة الرو ع صكانت هواديا للهوادي
قد يشتم غرس المودة والشحناء في قلب كل قار وبادى
أبغضوا عزكم وودوا نذاكم فقراكم من بغضة ووودادى
لاعدمتم غريب مجد ربكم فى عراه نوافر الاضداد

(١) والابيات من قصيدة بقولها فى أبى مسلم البصري ومطلعها

هين مايقول ليك اللاحى بعد اطفاء غاي والياحى
كنت أشكو شكوى المصرخ فالآن ألاقى الذوي بدمع صراح
هل الى ذى نجنب من سبيل أم على ذى صباية من جناح
فسقى جانب المناظر فالتمس هزيم الجاجـل السحاح
حين جاءت فوت الرياح لقلنا أى شمس نحى فوت الرياح
هزمتنا شرح الشباب فجذات فوق خصر كثير جول الوشاح
وأرشنا خدأ براح له الور دويشته جنى التفاح *
وشفياً ينقض من لؤاؤ النظم ويزرى على شتبت الافاحى

وقال أيضاً

سَفَرَتْ كَمَا سَفَرَ الرَّيِّحُ الْطَلْقُ عَنْ
وَبَسَمَتْ عَنْ لَوْلَاءِ فِي رَصْفِهِ
وَزِدْ بِرُفْرُفِهِ الضَّحَى مَصْقُولِ
بَرْدُ يَرُدُّ حُشَاشَةَ الْمَتَبُولِ
وقد جمع بكاء وصف به النفر في قوله
كَأَنَّمَا يَبْسُمُ عَنْ لَوْلَا

منضد أو برد أو أفاق

فأضاعت تحت الدجدة لاشز
وأشارت أعلى الفناء بالحما
فطربنا لمن قبله الثاني
قد تدير الجفون من عدم الا
يأبأ مسلم تلقت الي النمر
مستطيراً يقوم في جانب الليل على عرضه مقام الصباح
ومنبهاً يريك منبع لصال
وربما بين العبيد فالتصير فاعلى سمعان فالنراج
عمرات قد أبرحت حرق الشوق اليهن أيا ابراح
فاذا شئت فارفع العيس يحسن بحر الوجيف تحت القدياح
لنعمين السحاب ثم على إسفاه أرض غرب الفرات ابراح
لا تم السقيا بساحة قوم
ولعمري ان دعيتك للهجو
خلق حكاهم ليس له بر
ارثاسا للطلالين وبذ
أى جديك لم يفت وهو نان
وكلا جانيك سبط الطوائى
شرف بين مسلم مسلم الجلو
ب وكادت تضيء للصباح
ط مراض من التماهي صحاح
وسكرنا من قبله الراح
لباب مالا يدور في الاقداح
ق وأنشرف للبارق الهاح
وهي خضراء من جميع النواحي
فالمعسر فاعلى سمعان فالنراج
بحر الوجيف تحت القدياح
لنعمين السحاب ثم على إسفاه أرض غرب الفرات ابراح
لم يبيتوا في نازل وساح
دلقدماً ليتنى بالنجاح
قموى بشر وجهك الوضاح
لا للمعالي للباذل للمرتاح
من مساعيه الحن للمداح
حين تدم وأثبت ريش الجناح
د وعبد العزيز والصباح

﴿ مجلس آخر ٦٦ ﴾

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) الى آخر الآية .. فقال ما أنكرتم أن تكون هذه الآية دالة على أنه جعل الكافر كافراً لأنه أخير بأنه جعله منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنزير وليس بمجمله كافراً إلا بأن يخاف كفره .. الجواب يقال له قبل أن يشككم في تأويل الآية بما تضمنته من المعاني كيف يجوز أن يخبرنا تعالى بأنه يجعلهم كفاراً وخلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الإزراء عليهم وأي مدخل لكونه خالفاً لكفرهم في باب ذمهم وأي نسبة بينه وبينهم وبين ذلك بل لاشيء أتلف في عذرهم وبراءتهم من أن يكون خالفاً لآدمهم من أجله وهذا يقتضي أن يكون الكلام متشاقفاً مستحيل المعنى ونحن نعلم أن أحداً إذا أراد ذم غيره وتوبيخه وتجهينه بمثل هذا الضرب من الكلام إنما يقول ألا أخبركم بشر الناس وأحقهم بالذم والهم من فعل كذا وصنع كذا وكان على كذا وكذا فيعدد من الاحوال والافعال قبائحها ولا يجوز أن يدخل في جنبها ما ليس بقبيح ولا ما هو من فعل الذم أو من جهة حتى يقول في جملة ذلك ومن شاغل بالخدمة الفلانية التي أسلمها اليه وحمله عليها وان غفلاً يقبل هذه الشبهة لمقل ضعيف سخيف .. فان قيل أليس قد ذمهم في الكلام بأن جعله منهم القردة والخنزير ولا صنع لهم في ذلك فكذلك يجوز أن يذمهم ويجعلهم عابدين للطاغوت وان كان من فعله .. قلنا إنما جعلهم قردة وخنزير عقوبة لهم على أفعالهم وبأسخاقتهم لجري ذلك مجري أفعالهم كما ذمهم بأن لهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه تعالى بالعالم وعبادتهم للطاغوت فان كان هو خالقها فلا وجه لذمهم بها لأن ذلك مما لا يستحقونه بفعل متقدم كاللعن والسخط .. ثم نعود الى تأويل الآية فنقول لظاهر الآية يقتضي ما ظنوه وأكثر ما تضمنته الاخبار بأنه جعل وخلق من عبد الطاغوت كما جعله منهم القردة والخنزير ولا شبهة في أنه تعالى هو خالق الكافر وأنه لا خالق له سواء غيبر أن ذلك لا يرجب أنه خلق كفره وجعله كافراً وليس لهم أن يقولوا كما يستفيد من قوله

تعالى جعل منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك هكذا لتنفيذ من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه خالق ما به كان طابداً للطاغوت وذلك انما استفدنا ما ذكره من الأول لأن الدليل قد دل على أنما به يكون القرد قرداً والخنزير خنزيراً لا يكون الا من فعله تعالى وليس ما به يكون الكافر كافراً مقصوداً على فعله تعالى بل قد دل الدليل على أنه يتعالى عن فعل ذلك وخلقه فافترق الامران .. وفي الآية وجه آخر وهو أن لا يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفاً على القردة والخنازير بل معطوفاً على من لعنه الله ومن غضب عليه وتهدر الكلام من لعنه الله ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة والخنازير وهذا هو الواجب لان عبد فعل والنعل لا يعطف على الاسم فلو عطفنا على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا فعلاً على اسم فالاولى عطفه على ما تقدم من الافعال .. وقال قوم يجوز أن يعطف عبد الطاغوت على الماء والماء في منهم فكأنه تعالى جعل منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد يحذف من في الكلام قال الشاعر

أَمِنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ ^(١)

أراد ومن يمدحه وينصره .. فان قيل فهو هذا التأويل ساع في قراءة من قرأ بالفتح أين أنتم عن قراءة من قرأ وعبد بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت ومن قرأ عبد الطاغوت بضم العين والباء ومن قرأ وعبد الطاغوت بضم العين والتشديد

(١) قوله فمن يهجو رسول الله منكم الخ قيل ان فيه ثلاثة عشر مرفوعاً .. فنها قوله فمن يهجو فيها ثلاث مرفوعات المبتدأ والفعل المضارع والضمير المستكن .. ومنها المبتدأ المقدر في قوله ويمدحه والمضى ومن يمدحه فيكون هنا على حسب المثال الاول ثلاث مرفوعات أيضاً .. ومنها المرفوعان في قوله وينصرهما أحدهما الفعل المضارع والثاني الضمير المستكن فيه ومنها المرفوعات الاربعة في قوله سواه اثنان من حيث انه في مقام الخبرين المبتدأين واثنان آخران من حيث ان في كل واحد ضميراً راجعاً الى المبتدأ والباقي المبتدأ المحذوف المعطوف على قوله من في الاول في قوله فمن يهجو أى ومن يمدحه ومن ينصره

ومن قرأ وعبد الطاغوت .. قلنا المختار من هذه القراءة عند أهل العربية كلهم القراءة بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الاحزة فانه قرأ عبد يفتح العين وضم الباء وباقي القراءات شاذة غير مأخوذة بها .. قال أبو اسحاق الزجاج في كتابه في معاني القرآن عبد الطاغوت نسق على من لعنه الله قال وقد قرأت عبد الطاغوت والذي اختاره وعبد الطاغوت .. وروى عن ابن مسعود رحمه الله وعبدوا الطاغوت فلهذا يقوي وعبد الطاغوت قال ومن قرأ وعبد الطاغوت يضم الباء وخض الطاغوت فانه عند بعض أهل العربية ليس بالوجه من جهتين أحدهما ان عبد على وزن فعل وليس هذا من أمثلة الجمع لأنهم فسروه بختم الطاغوت والثاني أن يكون محمولا على وجعل منهم عبد الطاغوت ثم خرج الى من قرأ عبد وجهاً فقال ان الاسم نبي على فعل كما يقال رجل حنر أى مبالغ في الحنر فتأويل عبد انه بالغ الغاية في طاعة الشيطان وهذا كلام الزجاج .. وقال أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي محتجاً لقراءة حزة ليس عبد لفظ جمع ألا ترى انه ليس في أبنية الجمع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة ألا ترى ان في الاسماء المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وكذلك قوله وعبد الطاغوت جاء على فعل فاني هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يقط ونفس فهذا كله تقديره انه قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا لأن عبد في الاصل صفة وان كان قد استعمل استعمال الاسماء واستعمالهم اياه استعمالها لا يزيل عنه كونه صفة ألا ترى ان الأبرق والأبطح وان كانا قد استعملا استعمال الاسماء مع كسر أهل النحو عندهم من التكسير في قولهم في أبرق وأبطح فلم يزل عنه حكم الصفة بذلك على ذلك تركهم صرفه كتركهم صرف أحرر ولم يعملوا ذلك كاذكلاً وأبدع فكذلك عبد فان كان قد استعمل استعمال الاسماء فلم يخرج منه ذلك عن أن يكون صفة واذا لم يخرج عن أن يكون صفة لم يمتنع أن يبنى بناء الصفات على فعل وهذا كلام مفيد في الاحتجاج لحزة فلذا صحت قراءة حزة وعادلت قراءة الباقيين المختارة وصح أيضاً سائر ما روي من القراءات التي حكاهما السائل كان الوجه الاول الذي ذكرناه في الآية يزيل الشبهة فيها .. ويمكن (١٢ - املئ رابع)

في الآية وجه آخر على جميع القراءات المختلفة في عهد الطائفتين وهو أن يكون المراد أن يجعل منهم غداً الطائفتين أي نسب إليهم وشهد عليهما بكونه من جنسهم ويجعل في مواضع قد تكون بمعنى الخلق والخلق كقوله (وجعل الظلمات والنور) وكقوله تعالى (وجعل لكم من الجبال أكنافاً) وهي هنا تعدى إلى مفعول واحد وقد تكون أيضاً بمعنى النسبة والشهادة كقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً) وكقول القائل جعلت البصرة بغداد وجعلتني كافراً وجعلت حسنى قبيحاً وما أشبه ذلك فهي هنا تعدى إلى المفعولين ولجعل مواضع أخرى لاجتماعها إلى ذكرها فكانت تعدى إلى نسب عهد الطائفتين إليهم وشهد إليهم من جنسهم .. فان قيل لو كانت جعلاً ههنا على ما ذكرتم لوجب أن يكون متعدية إلى مفعولين لأنها إذا لم تعد إلا إلى مفعول واحد فلا معنى لها إلا الخلق .. قلنا هذا غلط من متوهمه لأن جعلها متعدية إلى مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم مقام المفعول الثاني ههنا جميع أهل العربية لأن كل جملة تقع في موضع خبر المبتدأ فهي تحسن أن تقع في موضع المفعول الثاني كجملت وظنات وما أشبههما .. وقال الشاعر

أَبَا لَأَرَجِيزٍ يَا بَيْنَ اللُّؤْمِ تُوْعِدُنِي وَفِي الْأَرَجِيزِ خَلْتُ اللُّؤْمَ وَالْخَوْرَ^(١)

(١) - الأراجيز - جمع أرجوزة بمعنى الرجز وهو اسم بحر من بحور الشعر ولكن أراد بها القصيد المرجوزة الجارية على هذا البحر .. وقوله - توعدتني - من الإيذاء لأن الوعد - والاثم - بضم اللام وسكون الهمزة وهو أن يجتمع في الإنسان الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء فهو من أثم ما يرجع به وقد بالغ بمجمل المجهو إنبأه إشارة إلى أن ذلك غريزة فيه .. وأما الاثم بفتح اللام وسكون الواو فهو العذل يقال لا .. على كذا لوما ولومة فهو ماثم .. وقوله - الخور - بفتح الخاء المعجمة وفتح الواو أيضاً وفي آخره راء وهو الضعف يقال رجل خوار ورجل خوار وأرض خواراة يقول النكرا جيز لا تحسن القصائد والشعر في أنواع الشعر فجعل ذلك دلالة على أن طبعه وضعفه .. فقوله إيا الأراجيز الهمزة للتوبيخ والإنكار والباء تعلق بقوله توعدتني وقوله يا بين الاثم منادى مضاف

وقد فسر هذا على وجهين أحدهما على الفاء خلت من حيث توسطت الكلام فيكون في الارجيز على هذا في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ • والوجه الثاني^(١) على إعمال خلت منصوب معترض بينهما وقوله المأم مرفوع بالابتداء والخور عطف عليه وخبره قوله في الارجيز وقوله خلت بينهما اعتراض ولو نصبها على المفعولية لجاز وكان الغارق حيكذا في محل نصب مفعولا ثانياً وملت بمعنى علمت • والبيت للعين المنقري واسمه منازل بن زمة من بني منقر بن عبيد بن الحارث بن نعيم يهجو به رؤبة بن العجاج كذا قال بعضهم • وقال النحاس يهجو العجاج وقال أبو العجاج بيت الأمين من كلمة رويها لام وقبله

أنا ابن جلا ان كنت تعرفني يارؤب والحية الصاه في الجبل
ما في الدواوين في رجل من عقل عند الرهان ولا أكرى من العقل
أبا لارجيز يابن اللؤم نوعدي وفي الارجيز خلت المأم والفشل

هكذا رواه الجاحظ في كتاب الحيوان على أن الأقواء في البيت الثالث وأثبت الإبيات الثلاثة في كتاب الوحي وليس فيها إقوال لأنه روي فيها وفي الارجيز رأس القول والفشل (١) قوله والوجه الثاني على أعمال خلت فيكون في الارجيز في موضع نصب الخ لم نر هذا التوجيه لغيره ونسب سيويه في كتابه ومن قال عبد الله ضربته نصب فقال عبد الله أظنه ذاهباً وتقول أظن ممرأ منطلقاً وبكرأ أظنه خارجاً كما قلت ضربت زيداً وممرأ كنية وإن شئت رفعت على الرفع في هذا فإن البيت قلت عبد الله أظن ذاهب وهذا إدخال أخوك وفيها أرى أبوك وكذا أردت الإفاء فالتأخير أقوى وكل عربي جيد قال الشاعر وهو المصنف • أبا لارجيز يابن اللؤم الخ • أنشد يونس مرفوعاً وإنما كان التأخير أقوى لأنه إنما يعي بالشك بعد ما مضى كلامه على اليقين أو بعد ما ابتدئ وهو يريد اليقين ثم يدركه الشك • وقال في التوضيح فصل لهذه الأفعال ثلاثة أحكام أحدها الإعمال وهو الأصل وهو واقع في الجميع والثاني الإفاء وهو إبطال العمل لظناً وعملًا لضعف العامل بتوسطه أو تأخيره كزيد ظننت قائم وزيد قائم ظننت • قال منازل بن ربيعة • أبا لارجيز الخ • قال يس قوله خلت اللؤم والخور قال المصنف في الحواشي قال

فيكون في الراجز في موضع نصب من حيث وقع موقع المفعول الثاني وهذا بين ان
تدبره . . [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه . . أنشد نعلب ابن الاعرابي
أما وأني للصبر في كل موطن
أقر لعيني من غنى رهن ذلتي
ويروي - من غنى رهن ذلتي

وإني لأختار الظما في موطن
على بارد مذب وأهيا يفتني
وأستزذب الدهر حتى كأنه
صديق ولا أغنايه عند ذلتي
ولست كمن كان ابن أبي مقبرا
فلما أفاد المال عاد ابن علة
فدأب رته حتى انقضي الوديننا
ولم أتعطى من ندام بيته
وكنت له عند الملمات عدة
أسد بمالي عنده كل خلة

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه الأولى في هذه القطعة إطلاقها - الخلة -
الحاجة والخلة أيضاً الخصلة والخلة بالضم المودة والخلة أيضاً بالضم من كان خـ لوأ من
الرعي والخلة بالكسر ما يخرج من الاستئان بالخلال والخليل الحبيب من المودة والحبة
والخليل أيضاً الغفير وكلا الوجهين قد ذكر في قوله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)
ومنه حديث ابن مسعود تعلموا القرآن فانه لا يدري أحدكم متى يحتل اليه . . قال أبو العباس
نعلب يكون من شيئين أحدهما من الخلة التي هي الحاجة أي متى يحتاج اليه ويكون من
الخلة وهي الثبات والخلود ويكون معناه متى تشبهى ما عبده يشبهه بالابل لانها رعي الخلة
فاذا ألتها عدلوا بها الى الحوض فاذا ألت الحوض اشتمت الخلة ومن ألتها جأوا مخابن
فلاقوا حوضاً أي جأوا مشربين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا والخلة أيضاً بنت الحاض والدكر
الحل ويقال جسم خل إذا كان مهزولاً . . قال الشاعر

أبو الفتح فيما قلل عنه عبد النعم الوجه الرفيع لأن الواو ليست للعطف لاختلاف الجملتين
طلباً وخبراً والعطف لظهير التنفية وواو الحال تطلب الابتداء فالطرف خبر والاوأم مبتدا
ولا يتنع النصب على أن يقدر مبتداً

فَأَسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ ابْنِ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَحُلٌّ^(١)

(١) - فاسقنيها - اطل اليك من قصيدة مشهورة من مختار أشعار القبائل لأبي تمام قيل إنها للشنفرى برثي خاله تأبط شرأ وذلك غلط لأن تأبط شرأ ليس خاله ولأن الشنفرى مات قبله وقيل إنها لابن أخت تأبط شرأ برثيه وقيل أنها من أوضاع خائف الأحمر وأولها

ان بالشعب الذي دون سلم	لقتيلا دمه ما يذل *
* قذف العبد على وولي	أنا بالبدن له مستقل *
ووراء النار منه ابن أخت	مصح عقده ما نمل *
مطرق برشح رما كما	أطرق أفمي يثقت السم على
خبر ما نابسا مصدمل	جل حتى دق فيه الأجل
برق الدهر وكان غشوما	بأبي جاره ما يذل *
شامس في القر حتى اذا ما	ذكت الشمري فبرد وظل
يايس الحنين من غير يؤس	وندى الحنينين شهم مدل
ظاعن بالظرم حتى اذا ما	حن حل الحزم حيث يحل
غيث مزن فامر حيث يجدي	واذا يسطلو قلبت أبل
مسبل في الحى أحوى رقل	واذا يغزرو فسمع أزل
وله طعمان أدري وشري	وكلا الطعين قد زاق كل
يركب الهول وجرداً ولا يد	حبه الا التبانى الأفسى
وفتو حجروا ثم أسروا	لياهم حتى اذا أعجاب حلوا
كل مض قد تردى بماض	كفنا البرق اذا ما يسلم
فاذركنا النار منهم وما	يشج ملحين الا الاقل
فاحسوا أنفاس نوم فلما	هوموا رعتهم قشعوا
فاسن قلت هذيل شياه	لما كان هذيل يذل

وقال فصيل غلول اذا شد لسانه حتى لا يرضع وقال خلقت لهو خايل ومخلول ومثله
أجرته .. قال الشاعر

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت^(١)

وبما أبركها في ضاح	جميع ينقب فيه الاطل
وبما سبغها في ذراعا	منه بعد القتل نهب وشل
سليت من هذيل بخرق	لا يمل الشر حتى يعلموا
يسهل الصعدة حتى اذا ما	نهلت كان لها منه على
حاتت الحر وكانت حراما	وبلاي ما ألت نحل •
فاسقنها ياسود بن عمرو	ان جسمي بعد خالي غل
تضعك الضبع لقتل هذيل	وتري الذئب لها يسئل
وعشاق الطير تنشى بطلاناً	تخطاهم فاستئل •

(١) قوله - فلو أن قومي - الخ يقول لوصبروا وطمعوا برماحهم أعدائهم لا يمكن
مدحهم ولكن فرارهم مبرق كالشقوق الاسان لاني ان مدحهم عالم يضعوا كذبت ورد
على يقال أجردت الفصيل اذا شقت لسانه لثلا يرضع أمه .. قال أبو القاسم الزجاجي في
أماله الوسطي أخبرنا ابن شقير قال حضرت للبرد وقد سأله رجل عن معنى قول الشاعر
- فلو أن قومي أنطقني رماحهم - البيت فقال هنا كقول الآخر

وقافية قلت فلم أستطع لها وقاما اذا لم تضربوا بالناصل
فادفع عن حق بحق ولم يكن ليدفع عنكم قالة الحق باطل

قال أبو القاسم معنى هذا ان الفصيل اذا طلع بالرضاع جعلوا في أخه خلافة محدودة فاذا
جاء يرضع أمه نخسته تلك الخلقة فنخسته من الرضاع فان كف والا أجروه والاجرار
أن ينشق لسان الفصيل أو يقطع طرفه فيستع حيث من الرضاع ضرورة فقال قائل
البيت الاول ان قومي لم يقاتلوا فانا نجرح عن مدحهم كما يجرح الفصيل عن الرضاع ففسره
أبو العباس باليتين الذين مضيا وللاجرار موضع آخر وهو أن يطمع الفارس الفارس

أى لم يعلموا فى الحرب شيئا فكننت أفقر بهم وقوله

أَفَرُّ لِمَعْنِي مِنْ غَنِيٍّ وَهَنْ ذِلَّتِي

يقول اختار الصيانة مع الفقر أحب الي من الفنى مع الذل ومثله

إِذَا كَانَ بَابُ الذَّلِّ مِنْ جَانِبِ الْفَنَاءِ سَمَوْتُ إِلَى الْعِلْيَاءِ مِنْ جَانِبِ الْفَقْرِ

صَبَرْتُ وَكَانَ الصَّبْرُ مِنِّي سَجِيَّةً وَحَسَبْتُ أَنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ

•• وقوله - واستر ذنب الدهر حتى كأنه صديق - أراد انى لا أشكو ما عسى به الدهر

فيمكن الرمح فيه ثم يتركه منهزما يعجز الرمح فذلك قاتل لاحتالة ومنه قول الشاعر

وَأَخْرَجْتَهُمْ أَجْرَرْتُ رِمَحِي وَفِي الْجَبَلِ مَعْبِلَةٌ وَقِيْعٌ

وقوله وتقى بالفضل ما كنا أحبابنا ونجرفى الهيجا الرماح وندى

قوله - وندى - أى تنسب فى الحرب كما ينسب الشجاع فى الحرب فيقول أنا فلان بن

فلان •• والبيت من أبيات لعمر بن معدى كرب الزبيدى رضى الله عنه وأولها

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَتْ

فَجَاسَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرَدَتْ عَلَى مَكْرُوهٍهَا فَاسْتَعْرَتْ

عَلِمْتُ يَقُولُ الرَّمْحُ يَنْقَلِبُ عَاتِقِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْلُعْ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتْ

لَهَا اللَّهُ جَرَمًا كَمَا ذَرَّ شَارِقُ وَجُوهَ كَلَابِ هَارِشَتْ فَازْبَارَتْ

فَلَمْ تَعْنِ جَرِمَ نَهْدِهَا إِذَا تَلَاقِيَا وَلَكِنْ جَرِمَا فِي الْإِقَاءِ أَبْذَهَرَتْ

خَلَّلَتْ كَأَنِّي لَمْ رِمَاحَ دَوْبِشَةٍ أَقَاتِلُهُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرِمٍ وَفَرَّتْ

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْنِي رِمَاحَهُمْ نَظَقْتُ وَلَكِنْ الرِمَاحُ أَجْرَتْ

وسبب هذه الايات ان جرما ونهدا وهما قبيلتان من قضاة كانا من بني الحارث بن

كعب فقتلت جرما رجلا من أشراف بني الحارث فارتحلت عنهم وتمحلت فى بني زبيد

فخرجت بنو الحارث يطلبون بدم أخيم فالتقوا فمرو جرما نهدا ونهى هو وقومه

لبني الحارث ففرت جرما واحلت بأنها كرهت دماء نهد فهزمت يومئذ بنو زبيد فقال

عمرو هذه الايات يلومها ثم غزاها بعد فالتصفت منهم

من خصاصة بل أسر ذلك وأظهر النجمل حتى لأسوء الصديق وأسوأ العدو وهذا المعنى أراد بقوله - ولا أغتابه عند زلتي - وقوله - فلما أفاد المال عاد ابن علة - والمرب يقول هم بنو أحيان إذا كان أبوهم واحداً وأمههم واحدة فإذا كان أبوهم واحداً وأمهاتهم شتى قيل أولاد علات ومنه الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاتيه أولاد علات أي أمهاتهم شتى وأبوهم واحد وكفى الشاعر بذلك عن التباعد والتقاطع والتفالي لأن الأكثر من نبي العلات ما ذكرناه .. وقوله - ودابرته - أي قاطعته .. وقوله - ولم أتطق من نداء بيلة - فلتطاق يكون بالشدتين والتلفظ يكون بالأسان وكفى بذلك عن أنه لم يصب من خبره شيئاً فصان نفسه عنه

مجلس آخر ٦٧

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشاً) الى قوله (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) .. فقال ما الذي أثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم بالعلم ههنا لوصفهم بالجهل في قوله تعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) .. الجواب قلنا هذه الآية معناها متعاقب بما قبلها لأنه تعالى أمرهم بعبادته والاعتراف بربوبيته ثم عدد عليهم صنوف الأمم التي ليست إلا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وأن العبادة إنما تجب لأجل النعم المخصوصة فقال جعل من قائل (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) الى آخر الآية ونسبه في آخرها على وجوب توحيد والاخلاص له وإن لا يشرك به شيئاً بقوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ومعنى قوله تعالى (جعل لكم الأرض فراشاً) أي يمكن أن تستقروا عليها وتقرشوها وتنصرفوا فيها وذلك لا يمكن إلا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائماً السكون وقد استدلل أبو على بذلك بقوله تعالى (وجعل لكم الأرض بساطاً) على بطلان ما تقولون النجوم من أن الأرض كرية الشكل وهذا القدر لا يدرك لأنه يكفي في النعمة علينا أن يكون فيها بساط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب أن يكون

جميعها كذلك ومعلوم ضرورة أن جميع الأرض ليس مسطوحاً بسيطاً وإن كان مواضع
التصرف منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدعون أن يكون في الأرض بسائط وسطوح
يتصرف عليها ويستقر فيها وإنما يذهبون إلى أن يجعلها شكل الكرة وليس له أن يقول
قوله تعالى (وجعل لكم الأرض فراشاً) يقتضي الإشارة إلى جميع الأرض وجعلها
لأولي مواضع منها لأن ذلك تدفعه الضرورة من حيث أنا نعلم بالمشاهدة أن فيها ليس
بساط ولا فراش ولا شبهة في أن جعله تعالى السماء على ما هي عليه من الصفة مما له تعلق
بما فوقنا ومصلحتنا وكذلك أنزله تعالى منها الماء الذي هو المطر الذي تظهر به الثمرات
فنستمتع بنيلها والاعتناء بها •• فاما قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً) فإن الند هو المثل^(١)
والعدل •• قل حسان بن ثابت

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنْدٍ فَشَرُّكُمْ لِيَخِيرَكُمُ الْفِدَاءُ^(٢)

(١) قوله - فإن الند هو المثل والعدل - قلت يكون الند للضد أيضاً وفسر الناس قول
الله عز وجل (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) علي جهنسين •• قال الكلبي عن
أبي صالح عن ابن عباس مناه فلا تجعلوا لله أعداء فلا تعدل جمع عدل والعدل المثل
وقال أبو العباس عن الأثرم عن أبي عبيدة (فلا تجعلوا لله أنداداً) أنداداً ويقال
فلان ندي ونديدي ونديتي فالكلمات الثلاث بمعنى واحد وإنما دخلت الهاء في نديدة
للمبالغة كما قالوا وجل علامة ونسابة وجاءني كريمة القوم يراد به البالغ في الكرم المشبه
بالدهاية ويقال في ثنية التندان وفي جمعه أنداد ومن العرب من لا يثنيه ولا يجمعه ولا
يؤنثه فيقول الرجلان ندي والرجال ندي والمرأة ندي والنساء ندي

(٢) البيت من قصيدته المشهورة التي يقال أنه قال بعضها في الجاهلية وبعضها في

الإسلام •• ومطامها

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها غلاء
ديار من بني الحسحاس قفر تعفها الروامس والسهاء
وكانت لا يزال بهما أنيس خلال مروجها أعم وشاء

وأما قوله تعالى (وأنتم تعلمون) فيحمل وجوهاً .. أولاً أن يريد أنكم تعلمون ان الانداد التي هي الاسنام وما جرى مجراها التي تعبدونها من دون الله تعالى لم تنم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا بانهاؤها وانها لا تضر ولا تنفع ولا تبسر ولا تعتقون ان الاسنام خلقت السماء والارض من دون الله تعالى ولا معه تعالى فالوصف لم يهنا بالعلم انما هو لنا كد الحجة عليهم وبصح لزومها لم لانهم من العلم بما ذكرناه ويكونون اضيق عذراً .. والوجه الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى (وأنتم تعلمون) أي تعلمون ويميزون وتعلمون ما يقولون وتعلمون وتأتون وتذرون لأن من كان بهذه الصفة فقد استوفى شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق عنده في التخلّف عن النظر واسابه الحق ونظير ذلك قوله تعالى (انما يسئلكم اولو الالباب .. وانما يخشى الله من عباده العلماء) .. والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين كجراحه وغيره ان المراد بذلك اهل الكتابين

- لشعائهم التي قد نجتهم
- فليس انقابه منها شفاء
- كأن سيئته من بيت رأس
- يكون مزاجها على وماء
- نولها للامه ان ألتنا
- اذا ما كان ممت أو لحاء
- ونشرها فتركنا ملوكا
- وأعداً ما بينهننا اللقاء
- •
- عدنا خيلنا ان لم تروها
- تثير التقع موعدها كداء
- على اكنالها الاسل الظباء
- وكان الفتح وانكشف الغطاء
- والا فاصبروا للجلاد يوم
- يعز الله فيه من يشاء
- وجبريله رسول الله فبنا
- وقال الله قد يبرت جنداً
- هم الانصار همضها اللقاء
- لنا في كل يوم من معد
- سباه أو قتال أو هجاء
- •
- ونحكم بالقواني من هجانا
- ولضرب حين تختلط الدماء
- ألا أبلغ أبا سفيان عني
- مغاضة فقد برج الخفاء
- •
- بأن سيوفنا تركتك عبداً
- وعبد الدار سادتها الاماء

التوراة والإنجيل خاصة ومعنى تعلمون أي أنكم تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل فعل الوجهين الاولين لاسفاني بين هذه الآية وبين قوله تعالى (قل أفتير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) لأن علمهم تعلق بشئ وجهلهم تعلق بغيره وعلى الوجه الثالث اذا جعلت الآية التي سألنا عنها عتصة بأهل الكتاب أمكن أن نجعل الآية التي وصفوا فيها بالجهل تتناول غير هؤلاء ممن لم يكن ذا كتاب يوجد فيه التوحيد وكل هذا واضح بمحمد الله . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وما يفسر من الشعر تفاسير مختلفة والقول محتمل لكل قول امرئ القيس

وَقَدْ أَغْتَدِي وَمَعِيَ الْقَائِمَانِ	وَكُلُّ بَرَبَاءَةٍ مُقْتَفِرٌ
فَيَذَرُكُنَا فَنَمُّ دَاجِبٌ	سَمِيعٌ بِصِيرٍ طَلُوبٌ نَكِرٌ
أَلَسَ الضُّرُوسُ حَيُّ الضَّلُوعِ	تَبَوَّعٌ أَرِيبٌ نَشِيطٌ أَثَرٌ
فَأَنْشَبَ أَظْفَارُهُ فِي النَّسَا	فَقُلْتُ هَبْلَتُ إِلَّا تَنْتَصِرُ
فَكَّرَ إِلَيْهِ بِمِزَاتِهِ	كَمَا خَلَّ ظَهَرَ اللِّسَانِ الْمُعْجَزِ
فَقَلَّ نَحْنُ فِي غَيْطَلٍ	كَمَا يَسْتَدِيرُ الْحَارُ النُّعْمُ ^(١)

• قال ابن السكيت - القائمان - المائدان - والمرباق - الموضع المرتفع رباقية - والافتقر -

(١) وروى سميع بصير - في البيت - الثالث بدل تبوع أريب ونعم الايات

وأركب في الروع خيافاة	كما وجهها - عقب منتثر
لها حافر مثل قصب الولي	يدرك فيه وتليف عجز
وساقان كباحما أصمعا	ن لم حاتيهما منبتر
لها عجز كصفاة المسبح	لها أبرز عنها حجاف مضر
لها منتشان خطانا كما	أكب على ساعديه النمر
وسالفة كحقوق الالباب	ن أضرم فيها القوي السمر
لها عذر كقرون الاسا	• وركب في يوم ربح وصر

الذي يقتصر آثار الوحش وينبعا ٠٠ وقال غيره - القاصدان - البازي والصقر - والنعم -
الكلب الحريس على الصيد يقال ما أشد قمه أي ما أشد حرصه ٠٠ قال الاعشى

يأثم ديارَ بني عامرٍ وأنتَ بآلِ عَقِيلٍ قَمَرٌ

أي مولع - والهاجن - الذي يألف الصيد - والسميع - الذي إذا سمع حساً لم يفته
- والبصير - الذي إذا رأى شيئاً من بهد لم يكذبه بصره - والنسوع - الذي إذا تبع
الصيد أدركه ولم يهجز عن طوقه - والتكر - المنكر الحاذق بالصيد وروى تكر
بالضم ٠٠ وقال ابن السكيت وغيره في قوله - قانتب اظفاره في النسا - أي أنشب
الكلب اظفاره في نسا الثور والنساعرق في النسخة معروف - فقلت هبنت أي فقلت للثور
هبنت - لا تقتصر - من الكلب قالوا وهذا نهكم منه بالثور واستزاه به والاصل في
النهكم الوقوع على الشيء قال نهكم تلبت إذا وقع بفضه على بعض ٠٠ ومعني - فكر اليه
ببراه ٠٠ قال ابن السكيت وغيره معناه فكر الثور الى الكلاب ببراه أي بقرنه
٠٠ ومعني - كما خل ظهر الانسان الحجر - أي طمته كما يحجر الرجل لسان الفصيل وهو
أن يقطع طرف لسانه أو يشقه حتى لا يقدر على الشرب من خلف أمه وذلك إذا كبر

لها جهة كسراه الجرس حذقه الصانع المقدر

لها منخر كوجار الضباب فقه تريح إذا تهب

لها ثمن ككوافي العقاب سود بغين إذا تربز

وعين لها حدود بدرة شقت ما قبلها من آخر

إذا أقبلت قات دبابة من الخضره مسمومة في القدر

وان أدبرت قلت أنفية ملهعة ليس فيها أثر

وان أعرضت قلت سرعوفة لها ذنب خافها مستبطر

ولاسوط فيها جمال كما تنزل ذو برد منهمر

وتعدو كعدو نجاة الظباء أخطأها الحاذق المقدر

لها وثبات كصوب السحاب فواد خطائه رواد مطر

واستقى من الشرب... ومعنى - فظل يرشح في غيبلك - أي ظل الكلب يرشح أي يميل
وعيد كالسكران - والفيطال - الشجر المثقف ويكون أيضاً الجلبة والصباح... وقوله -
كما يستدير الحمار النحر - والنحر الذي يدخل في رأسه ذباب أزرق أو أخضر^(١) يطمع
برأسه ويمزق فشب الكلب في اضطرابه ونزوه بالحمار النحر... قل ابن مقبل

تَرَى النُّعْرَاتِ الزُّرْقَ تَحْتَ لَبَانِهِ أَحَادَ وَمَنْعَى أَصْعَقْتُهَا صَوَاهِلَهُ

وقال أحمد بن عبيد - الفانسان - الفرس وصاحبه والحجة أن الفرس تسمى قانصاً... قول
عدي بن زيد

يُقْنِصُكَ الْخَيْلَ وَيَصْطَادُكَ الطَّيْرَ وَلَا يَبْلُغُ لَهْوَ الْقَيْصِ

أي لا يمنع منه قال وقوله - قانص أطفاره في النساء - معناه قانص الكلب أطفار في لسان
الثور فقلت لصاحب الفرس أو اغلامي الممسك بالفرس حبات الاندو الى الثور فطمنه
فقد أمسك عليك الكلب قال وعمل أن يكون امرؤ القيس أغصى الثور يقتل كلبه
لأن امرؤ القيس يفخر بالصيد ويصفه قرأ أكثر شعراء بأنه مرزوق منه مظفر كقوله
إذا ما خرجنا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب

وكقوله

(١) قوله - ذباب أخضر وأزرق - الخ قال ابن - بيده - النعرة ذبابة تسقط على الدواب
فتؤذيها حمار نحر وحكى سيويه نعر إلى اخواته من اللغات التي تعرّد فيها كان ثابته حرفاً
من حروف الحلق قدمت له نظائر قال أبو حنيفة هو ذباب أريد ومنه أخضر ويطمع نحر
قال ولا يضير هذا النحر الا الحمار فانه يأتي الحمار فيدخل في منخره فيسير به ويعلق
بجحفاته الارض وان سمعت الحمار يعلينه ربهت ود - من أنوفهم في الارض حذاره
واذا اعترى الحمار قبل حمار نحر... وقال مرة قد تعرض النحر للخيول وأنشد أبو علي في
تصديق ذلك لابن مقبل يصف فرساً

تَرَى النُّعْرَاتِ الْخَضِرَ تَحْتَ كَبَانِهِ أَحَادَ وَمَنْعَى أَصْعَقْتُهَا صَوَاهِلَهُ

مُطْعِمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهُ كَسْبٌ عَلَى كِبَرِ

ففعال على هذا أن يفرى الثور بتدل كلبه . . . قاله وتأويل . . . ألا تذوق من الثور
والدليل على أن تنصير بمعنى تذوق قول الراعي

وَأَفْرَعْنِي وَادِي جَلَامٍ مِيدَ بَعْدَمَا عَلا الْبَيْدَ سَأَفِي الْقَيْظَةَ التَّنَاصِرُ
أى المتداني . . . وقال مضرس بن ربيع بن أبي القاسم

فَأَنْتَ لَا تَعْطِي أَمْرًا حَظًّا غَيْرِهِ وَلَا تَمْلِكُ الشَّيْءَ الَّذِي الْغَيْثُ نَاصِرُهُ

أى دان منه . . . ومعنى . . . ألس الضروس . . . أى بعض أستانه تلتصق ببعض . . . وحى
الضلوع . . . أى مشرف الضلوع عليها ويروى حنى الضلوع بالنون أى منعنها ويقال إن
الضلوع إذا تقوست كان أوسع لجوفه وأقوى له ويروى أيضاً حنى الضلوع أى ضلوعه
سخنية داخلة فى جنبه . . . ومعنى . . . فظل يرنخ فى غيطل . . . فظل الثور يرنخ فى غيطل لما طعنه صاحب
الفرس وقد يجوز أيضاً أن يكون يرنخ الثور لظفر الكلب به ولأنه أنشب أظفاره فيه
وكل ذلك محتمل . . . وما يحتدل أيضاً على وجود مختلفة قول امرئ القيس

فَنَوَّضِحُ قَالِمُقَرَّاةٍ لَمْ يَلْعَفْ رَسْمَهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنْوَبٍ وَشَمَالٍ^(١)

(١) - توضح - كتيب أبيض من كتبان حر بالدنهان قرب الحيامة عن نصر . . .
وقيل توضح من قرى قرقرى بالجمامة وهي زروع ليس لها غل . . . وقال العسكري . . .
شيخ قديم عن مياه العرب قبل له هل وجدت توضح التى ذكرها امرؤ القيس فقال أما
والله لقد جئت فى ليلة مظلمة فوقفت على قم طوبها فلم توجد الى اليوم . . . والمقراة . . . بالسكر
ثم السكون وهو فى اللغة شبه حوش سخم يقرأ فيه من البئر أى يجيى اليه وجمعها المقاري
والمقاري أيضاً الجفان التى تقرأ فيها الاضياف . . . قال ياقوت والمقراة وتوضح فى قول
امرئ القيس قربتان من نواحي الجمامة . . . وقال السكري فى شرحه لبيت امرئ القيس
الدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع بين أمرة وأسود العين والبيت من معلقته
المشهورة ومطلعها

قَمَارُكَ مِنْ ذَكَرِي حَبِيبٌ وَمَنْزِلُ بَسْمِطِ الْوَاوِي بَيْنَ الدَّخُولِ وَالْمُزُولِ

قال قوم معناه لم يدرس رسمها للرجل هاتين الرمحين فقط بل لتتابع الرياح والامطار
والدليل على ذلك قوله في البيت الاخير

فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعُولٍ^(١)

وقال آخرون ومعنى لم يعف رسمها لم يدرس فالرسم على هذا القول باق غير دارس . ومعنى
قوله في البيت الاخير - رسم دارس - أي فهل عند رسم يندرس في المستقبل وان كان
الساعة موجوداً غير دارس . وقال آخرون في معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني أي
انه لم يدرس أثرها لما نسجها بل هي بواق توابت فتعفن تحزن لها وتحجز عند رؤيتها
ولو عفت وأمتحت لاسترحنا وهذا مثل قول ابن أحر

أَلَا لَيْتَ الْمَنَازِلَ قَدْ بَلَيْنَا فَلَا يَبْكِينَ ذَا حَزَنِ شَحِينَا

ومثله قول الآخر

لَيْتَ الدَّيَّارَ الَّتِي تَبْقَى لِتُحْزِنَنَا كَانَتْ تَبِينُ إِذَا مَا أَهْلَهَا بَانُوا

وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول نقباً لهذا انما هو كقولك درس كتابك

(١) قوله - فهل عند رسم دارس - الخ صدره . وإن شئت في عبارة مَهْرَاقَةٌ . ومعنى

من معول - من يبكي وقيل من مستغاث وقيل من يحل ومعتد وقيل في قوله
فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعُولٍ مذهبان أحدهما انه مصدر عولت عليه أي اتكملت
فلما قال ان شئت في عبارة مَهْرَاقَةٌ صار كأنه قال انما راحتي في البكاء فاما معنى اتكملت في
شفاء غليل في رسم دارس لاغناء عنده عني فببلي أن أقبل على بكائي . لا أعول في برد
غليل على ما لاغناء عنده وأدخل الفاء في قوله فهل عند لتربط آخر الكلام بأوله فكأنه
قال اذا كان شفاءً انما هو في فيض دمي فببلي أن لأعول على رسم دارس في دفع
حزني وببني أن آخذ في البكاء الذي هو سبب الشفاء والمذهب الآخر أن يكون معول
مصدر عولت بمعنى أعولت أي بكيت فيكون معناه فهل عند رسم دارس من أعوال
وبكاء وعلى أي الأسرين حمل المعول فدخل الفاء على حل حسن جبيل

أى ذهب بعضه وبقي بعض .. وقال أبو بكر العبدى معناه لم يعف رسماً من قاي وهو دارس من الموضع فلم يتناول قوله ولم يعف رسماً مثاوله قوله فهل عند رسم دارس من جميع وجوهه فيناقض الكلام .. وقال آخرون أراد بقوله لم يعف أى لم يدرس ثم أكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من .. محول كما قال زهير

قَفْ بِالذِّيارِ التي لم يَعْفُها القِدَمُ بلى وَغَبَّرَها الأَرْواحُ والذِّيرِمُ^(١)

وكما قال آخر

فَلَا تَبْعِدَنَّ يا خَيْرُ عَمْرٍو بنِ مالِكٍ بلى إِنَّ مَنْ زَارَ القُبُورَ لَيَبْعَدَا
أراد ليبعدن فأبدل الالف من التون الخفيفة وهذا وجه ضميم ويث زهير لا يجب فيه ما نوه من المناقضة والتكذيب لأنه يمكن أن يحمل على ما ذكرناه من أحد الوجوه المتقدمة من أنه أراد أن رسماً لم يعف ويبطل كله وإن كان قد غفرته الديم والارواح

(١) البيت مطلع قصيدة يمدح بها هرم بن سنان وهي إحدى حولياته وبعمده

لألدار غبرها بعدى الأيس وما	بالدار لو كنت ذا حاجة صم
دار لاساء بالفسرين مائدة	كالرحى ليس بها من أهلها أرم
وقد أراها حديثاً غير مقوية	السر منها فوادى الجفر فالهدم
فلا لكان إلى وادي النهار فلا	شرقى سلمى فلا فيد فلا هرم
شطت بهم قرقرى برك بائتهم	والعاريات ومن أياهم خيم
عوم السفين فلما حال دونهم	فقد القريرات فنضكان فالكرم
كان عبنى وقد سال السليل بهم	وعبرة ما هم لو أنهم أمم *
غرب على بكرة أو لؤلؤ فاق	فى السلك خان به وباه النظم
عهدى بهم يوم باب القرينين وقد	زال الهماليج بالفرسان فالجم
فاستبلمت بعدنا داراً يئانية	ترعى الخريف فادى دارها ظلم
ان البخيل ملوم حيث كان ول	مكن الجواد على علانه هرم
القائد الخيل منكوبا دوايرها	منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

بعضه وأثرت في بعض فاما البيت الثاني فلا حجة في حمله لأنه لم يتضمن اثباتاً وتقييداً وانما دعاه بان لا يبعد ثم رجع الى قوله بلى انه ليعبد من زار القبور وما يدعى به غير واجب عليه ولا ثابت فكيف به في البيت الثاني . . . وقد يمكن في البيت وجه آخر وهو أن يكون معنى لم يعقب رسمها أي لم يزد فيكثر فينظر حتى يعرفه المترسم ويتنبه المتأمل بل هو خاف غير لائح ولا ثم ظاهر قال من بعد فهل عند رسم دارس من معول فلم يتناقض الاول لأنه قد أثبت الدروس له في كلا الموضعين ولا شبهة في أن عفا من حروف الاضداد التي تستعمل ثارة في الدروس وثارة في الزيادة والكثرة قال الله تعالى (حق عفو) أي كثروا وبخال قد عفا الشعر أي كثر وقال الشاعر

ولَكِنَّا نَمِضُ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوَقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كَوْمِ

أراد كثيرات اللحم يقل قد عفا وير البعير اذا زاد ويقال أعفيت الشعر وعفوتها اذا كثرت وزدت فيه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تحفى الشوارب وتعفى الاخي أي توفر وهذا الوجه عندي أشبه مما تقدم



❦ مجلس آخر ٦٨ ❦

[تأويل آية] . . ان سأل سائل عن قوله تعالى (ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً) الآية فقال من هارون الذي نسبت مريم عليها السلام الى أنها أخته . . ومعلوم انها لم تكن أختاً لهارون أخى موسى عليهما السلام وما معنى (من كان في الله صيباً) ولغة كان تدل على ماضى من الزمان وعيدي عليه السلام في حال قولهم ذلك كان في المهد . . الجواب فانا أما هارون الذي نسبت اليه مريم عليها السلام فقد قيل فيه أقوال منها ان هارون المذكور في الآية كان رجلاً فاسقاً مشهوراً بالهرم والشرب وفساد الطريقة فلما أنكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هي مبرأة منه نسبوها الى هذا الرجل تشبهاً وتخيلاً وكان تدمير الكلام ياشبهة هارون في فسقه وقبح فعله وهذا القول يروى عن سعيد بن جبير . . ومنها ان هارون هذا كان أخوها لأبها دون أمها (١٤ - املى رابع)

وقيل انه كان أخاهم لأبها وأما وكان رجلاً معروفاً بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة
والثالثة ٠٠ وقيل انه لم يكن أخاهم على الحقيقة بل كان رجلاً صالحاً من قومها وانه لما
مات شيع جنازته أربعون ألف رجل كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل لما أنكروا
ماظهر من أمرها قالوا لها يا أخت هارون أى بالشبهة بالصلاح ما كان هذا معروفاً منك
ولا كان والله ممن بعمل التقيح ولا ينطرق عليه الرّيب ٠٠ وعلى قول من قال انه
كان أخاهم يكون معنى قولهم انك من أهل بيت الصلاح والساد لأن أبك لم يكن اسماً
سوء ولا كانت أمك نبياً وأنت مع ذلك أخت هارون المعروف بالصلاح والساد والعفة
فكيف أثبت بما لا يشبه لسبك ولا يعرف من مثلك ٠٠ وعوى هذا القول ما رواه المغيرة بن
شعبة ٠٠ قال لما أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران قال لي أهلها أليس
نبيكم يزعم ان هارون أخو موسى وقد علم الله تعالى ما كان بين موسى وعيسى من
التبيين فلم أدو ما أورد عليهم حتى رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك
فقال لي فهلا قلت انهم كانوا يدعون بأبيائهم والصالحين قبلهم ٠٠ ومنها أن يكون معنى
يا أخت هارون يا من هي من لسل هارون أخى موسى كما يقال للرجل يا أخا نعيم ويا أخا
بني فلان ٠٠ وذكر مقاتل بن سليمان في قوله تعالى يا أخت هارون قال روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال هارون الذي ذكروه هو هارون أخو موسى عليهما السلام
٠٠ قال مقاتل تأويل يا أخت هارون يا من هي من لسل هارون كما قال تعالى (والى ماد
أخاهم حرماً ٠٠ والى عود أخاهم صالحاً) يعنى بأخيم انه من نسلهم وجنسهم وكل
قول من هذه الأقوال قد اختاره قوم من المفسرين ٠٠ فاما قوله تعالى (من كان في
المهد ميماً) فهو كلام مبنى على الشرط والجزاء مقصود به اليهما والمعنى من يكن في
المهد ميماً فكيف نكلمه ووضع في ظاهر اللفظ الماضي موضع المستقبل لأن التارط
لا يشترط الا فيما يستقبل فيقول القائل ان زرتني زرتك يريد أن زرتني أزدك قال الله
تعالى (ان شاء جعل لك خيراً) يعنى ان يشأ يجعل وقال قطرب معنى كان ههنا معنى
صار فكان المعنى وكيف نكلم من صار في المهد ميماً ويشهد بذلك قول زهير

أَجَزْتُ إِلَيْهِ حُرَّةً أَرْحِيَّةً وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأَرَنْدَجِ

وقال غيره كان هنا معنى خافي ووجد كما قالت العرب كان الحر وكان البرد أي وجدنا
 وقال قوم لفظة كان وإن أريد بها الماضي فقد يراد بها الحال والاستقبال
 كقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أي أنتم كذلك وكذلك قوله تعالى
 (هذه كانت الآيات لرسول الله) وقول الله تعالى (وكان الله عليا حكما) وإن كان قد
 قيل في هذه الآية الأخيرة غير هذا . قيل إن القوم شاهدوا من آثار علمه وحكمته تعالى
 ما شاهدوا فآخبرهم تعالى أنه لم يزل عليا حكما أي فلا تظنوا أنه استفاد علما وحكمة
 لم يكن عليها . . . وما بقوى مذهب من وضع لفظة الماضي في موضع الحال والاستقبال
 قوله تعالى (واذ قل الله يا عيسى بن مريم) وقوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة
 أصحاب النار) وقولهم في الداء غفر الله لك وأطبل بك ما جرى مجرى ذلك
 ومعنى الكل بفعل الله ذلك بك إلا أنه لما أمن الابس وضع لفظ الماضي في موضع
 المستقبل . . . قال الشاعر

فَأَذْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْفَضَائِلِ مَقْعِدًا

أراد لمن يكون بعدى . . . وما جعلوا فيه المستقبل في موضع الماضي قول الصلтан العبدى
 يرفي للخيرة بن المهلب

قُلْ لِلْقَوَافِلِ وَالْغَزَاةِ إِذَا غَزَوْا وَالْبَاكِرِينَ وَالْمُجِدِّ الرَّائِحِ^(١)

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّامَحَةَ ضَمِنَا فَبَرِّئُوا عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ^(٢)

(١) قوله - قل للقوافل - الخ القوافل جمع قافلة وهي الرفقة الراجعة من سفرها
 الى وطنها - والغزاة - جمع غاز - والباكرين - جمع باكر يقال بكر بكورا من باب قعد
 أسرع في الذهاب من أول النهار - وأجد - في الامر اجتهد - والرائح - الراجع
 (٢) قوله - ان الشجاعة والسامحة - الخ هذا مقول القول . . . وروى أيضا أن

السامحة والمروءة - والسامحة - الجود والمطام والمروءة - آداب نصانية تجعل مراعاتها
 الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجيل العادات يقال مرؤ الانسان وهو مرهف
 كقرب فهو قريب أي ذو مروءة . . . قال الجوهري وقد تشدد في مروءة - وضمت

فَإِذَا مَرَزْتَ بَقِيرَهُ فَأَعْرِضْ بِهِ كَوْمَ الْمَطَى وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحٍ ^(١)
وَأَنْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ يَدْمَانِيهَا فَلَقَدْ يَسْكُونُ أَخَادِمَ وَذَبَابُحٍ ^(٢)

بالبناء للمفعول متعد للفعولين .. أحدهما نائب الفاعل وهو ضمير النذية .. والثاني قبرا وهو مقلوب لأنه يقال ضمنت الشيء كذا أى جعلته محتويا عليه وفي القلب هنا نكتة كأنهما لكثرةهما لا يسعهما القبر فهما اشتغلا على القبر وأحاطا بجوانبه - ومرو - هنا مرو الشاهجان لامرو الرود وكلاهما فى إقليم خراسان .. قال ابن خلكان ومن سراء أولاد المهلب أبو فراس الميمية وكان أبوه يقدمه فى قتال الطوارج وله معهم وقائع مشهورة أبان فيها عن نجدة وصرامة وكان مع أبيه فى خراسان واستنابه بمرو الشاهجان وتوفى فى حياة أبيه سنة اثنين وثمانين فى رجب وهذا البيت استشهد به البحرىون على أنه أماد الضمير الى المؤننين بضمير المذكورين وكان التباس أن يقول ضمنتا وعنده ابن عصفور من قبيل الضرورة

(١) قوله - فإذا مرزت بقيره - النخ - عقر البعير بالسيف من باب ضرب اذا ضرب قوائمه به لا يطلق العقر فى غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا فى المصباح - والكوم - بالضم جمع كوما بالفتح والمند وهي الناقه السنية العلى - ويروى - بدله الجلود بكسر الجيم جمع جلدة بفتحها وهي آدم الأبل لبنا - وبالطرف - بالكسر الاصيل من الخيل - والسابح - بالوحدة من سبع الفرس اذا جرى خال فرس سابح اذا جرى بقوة [٢] قوله - وأنضح جوانب قبره - انضح بالحاء المهملة ارض القابل وبالحاء المعجمة الأبل خال انضح ثوبه اذا بله فهو أياح من الاول .. واختاف فى سبب عقرهم الايل على القبور فقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك مكافاة للميت على ما كان يعقره من الايل فى حياته ويحرقه للاضياف واحتجوا بقول الشاعر وأنضح جوانب قبره النخ .. وقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك إعظاما للميت كما كانوا يذبحون للاصنام وقيل انما كانوا يفعلونه لأن الايل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فكانهم كانوا يشارون لهم فيها وقيل إن الايل أنسى أموالهم فكانوا يريدون بذلك أنها قد ماتت عليهم لعظم النسيبة .. والبيت

يستشهد به المحررون على أن المضارع وهو يكون مؤوّل بالماضي أى ولقد كان لأنه في
 صهيبة ميت وهو إخبار عن شيء وقع ومضى لا إخبار عما سيقع لأنه غير ممكن .. قال ابن
 النجاشي في أماليه قال أبو الفتح عثمان بن جني قال لى أبو على سألت يوماً أبا بكر بن
 السراج عن الأفعال فقال يقع بعضها موقع بعض فقال كان ينبغي للأفعال كلها أن تكون
 مثلاً واحداً لأنها بمعنى واحد ولكن خوام بين صيغها لاختلاف أحوال الزمان
 فإذا اقترن بالفعل ما يدل عليه من لفظ أو حال جاز وقوع بعضها موقع بعض .. قال
 أبو الفتح وهذا الكلام من أبي بكر نال سديد .. وهذه الآيات الصحيحة أنها لزيادة
 الإعجم يرتفع بها المقبرة بن المهلب وقيل المقبرة بن أبي صفرة أخا المهلب وهي من قصيدة
 أولها قل للنوافل الخ الآيات الأربعة وبعدها

واظهر بيزته وعقد لوائه	واهتف بدعوة مصلتين شرارح
آب الجنود معقلاً أو قاتلاً	وأقام وهن حفيرة وضرائح
وأوى المنكارم يوم قيل ينشئه	زالت بفضل فواضل ومدائح
رجفت لمصرعه البلاد وأصبحت	منا القلوب لذلك غير موحش
الآن لما كنت أكل من مشي	وافتر نايك عن شاة القارح
وتكاملت فيك المروءة كلها	وأعنت ذلك بالأفعال الصالح
فكفي لنا حزناً بيت حمله	إحمدي المنون فليس عند يبارح
فمفت منابرهم وحط سروجهم	عن كل طامعة وطرف طامع
وإذا يتاح على امرئ فتملئ	ان المقبرة فوق نوح التامع
نبكي المقبرة خيلنا ورماحنا	والباقيات برقة ونصايح
ماتت المقبرة بعد طول تعرض	للدوت بين أسنة وصافح
والقتل ليس الي القتال ولا أرى	سبياً يؤخر للشفيق الناصح
• لله در منية فانت به	فلقد أراه يرد ضرب الجالح

[تأويل خبر] ٥٠ إن سأل سائل فقال كيف يطابق ما روى عن النبي صلى عليه وسلم أنه قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة وأنه قيل له عليه الصلاة والسلام إن الثقبه تقع بمشفر البحر فتجرب لذلك الأبل فقل عليه الصلاة والسلام فن أعدى الأول لما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لا يوردن ذو طاعة على معص وقوله

ولقد أراء مجنبا أفراسه	يفشي الاسنة فوق نهد قارح
في جحفل لجب ترى أبطاله	منه تعضض بالقضاء الفاسخ
يقص الحزونة والسهولة إذغدى	بزهاء أرعن مثل ليل جاف
ولقد أراء مقدما أفراسه	يدني مراجع في الوغى لمراجع
فتيان مادية لدي مرسى الوغى	سنوا بسنة معلمين ججاجع
أبسا السوايق في الحروب كأنها	غدر تميز في بطون أباطع
وإذا الضراب عن الطعام بداهم	ضربوا برهفة الصلور جوارح
لوعند ذلك قارغته منية	قرع الحواء وضم سرح السارح
كنت الغيات لأرضنا فتركنا	قال يوم نصبر للزمان الكال
قالع المغيرة لا مغيرة إذ غمت	شعواء مشعرة لنبح الناج
صفان مختلفان حين تلاقيا	آبوا بوجه مطلق أو ناكح
ومسدجج كره الكماء نزاله	شاكي السلاح مايف أوراغ
قد زار كبش كشية بكتيبة	يژدي لكوكبا برأس طاع
غيرن دون نساؤه وبنائه	حامي الحقيقة للحرروب مكاح
سبقت بذلك له بها جل طعنة	شقت لمنفذها أصول جوانح
والخيل تضبح بالكفاءة وقد جرت	فوق النهور دماؤها برائح
يا لفتنا يا لفتنا لك صكاما	خفيف المغير على المدر الماسخ
تشي بملك لابن عمك جهله	وتذب عنه كفاح كل مكالح
وإذا يصول بك ابن عمك لم يصل	بمواكل وكل غداة تمالح
صل يموت سليبه قبل الرقي	وتخالف لعدوه بتصالح

فر من الاجذم فرارك من الاسد .. وان رجلا مجنونا أنه ليياحه بيعة الاسلام
 فارسل اليه بالبيعة وأمره بالانصراف ولم يأذن له عليه الصلاة والسلام .. وروي عنه
 عليه الصلاة والسلام أنه قال الشوم في المرأة والدار والذابة وظواهر هذه الاخبار
 متناقضة متنافية فبينوا وجه الجمع بينها .. الجواب قلنا ان ابن قتيبة قد سأل نفسه
 عن اختلاف هذه الاخبار وأجاب عن ذلك بما تذكره على وجهه ونذكر ما عندنا
 فيه فانه خلط وأتى بما ليس بمرضى .. قال ان لكل من هذه الاخبار معنى وموضعا
 فاذا وضع موضعه زال الاختلاف قال وللعدي معنىان .. أحدهما عدوي الجذام فان
 المجنوم تشدد رائحته حتى يسقم في الحال بحالسيه ومواكلية وكذلك المرأة تكون تحت
 المجنوم فتضاجعه في شمار واحد فيوصل اليها الأذى وربما جندمت وكذلك ولده
 يترعون في الكثير اليه وكذلك من كان به سل ودقة والاطباء تأمر بأن لا يجالس
 المسلول والمجنوم لا يريدون بذلك معنى العدوي وإنما يريدون بذلك تغير الرائحة وانها
 قد يسقم في الحال اشتامها والاطباء أبعد الناس من الايمان بين أو شوم .. وكذلك

واذا الامور على الرجال تشابهت	وتشذرت بمغاليق ومغاليق
قتل السحيل بعزم ذي مرة	دون الرجل بفضل عقل راجع
وأرى الصعاليك للمغيرة أم بعت	تبيكي على طلاق اليدين مساح
كان الربيع لهم اذا انجموا الذي	وخبث لوامع كل برق لائح
كان المهاب بالمغيرة ككاذبي	ألقى الدلاء الى قايب المسامح
فاصاب جة ما استقى فدى له	في حوضه بنوازع وموانع
أيام لو يمتلئ وسط مقازة	فاضت معاطشها بشرب سائح
إن المهاب لن يزال لها في	يمرى قوادم كل حرب لاقح
• بالمقربات لو ائحاً آطالها	تجتنب سهل سباب ومصاص
متلبياً نهو الكتائب حوله	ملاح المتنون من التغييح الراشح
ملك أغر متوَّج بسدوله	طرف المديق يفض طرف الكاشح
رفاع ألوية الحروب الى العدى	بسجود طير سائح وبوارح

التغية تكون بالبعير وهو جرب رطب فإذا خالط الأبل وسأكتها وسل إليها بالذئ الذي يسيله منه وتجرّب بمائه فهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوردن ذواتها على مصح قال وقد ذهب قوم إلى أنه أراد عليه الصلاة والسلام بذلك أن لا يظن أن الذي نال إبله من ذوات السباعه فيأثم قال وليس هذا عندي وجه لانا نجد الذي خبرك به عيانا . . . قل وأما المجلس الآخر من العدوي فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون . . . وحكى عن الأصمعي عن بعض البصريين أنه هرب من الطاعون فركب حماراً ومضى بأهله نحو سقوان فسمع نادياً يحدو خلقه فيقول

لَنْ يُسَبِّقَ اللَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مِيمَةٍ مَطَارٍ

أَوْ بَاقِيَ الْحَتَفُ عَلَى مَقْدَارٍ فَذِيُصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي

. . . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بالبلد الذي أنتم فيه فلا تخرجوا منه وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً إذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله عليه الصلاة والسلام لا تخرجوا من البلد إذا كان فيه كأنكم تظنون أن الفرار من قدر الله تعالى بغيركم يريد بقوله عليه الصلاة والسلام إذا كان ببلد فلا تدخلوه إن مقامكم بالموضع الذي لا طاعون فيه أسكن لأنفسكم وأطيب لعيشكم قال ومن ذلك المرأة تعرف بالشؤم والدار فيقال الرجل مكروهاً أو جافحاً فيقول أعدتي بشؤمها قال فهذا هو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام لا عدوي . . . فلما الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الشؤم في المرأة والدار والداية فان هذا يتوهم فيه العاطف على أبي هريرة وأنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فلم يمه . . . وروى ابن قتيبة خبراً ورفعه إلى أبي حسان الأحمري أن رجلاً دخل على عائشة فقالت إن أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهما الطيرة في المرأة والدار والداية فطارت شفقاً فقالت كذب والذي أنزل القرآن على أبي التماس من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما قال عليه الصلاة والسلام كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة في المرأة والدار والداية ثم قرأت (حاسب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم) الآية . . . وروى خبراً ورفعه إلى أنس بن مالك قال جاء

رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انزلنا داراً فكثرت فيها عددنا وكثرت بها أموالنا ثم تحولنا منها الى أخرى فقلت فيها أموالنا وقل عددنا فقال عليه الصلاة والسلام ذروها فهي ذبيحة قال ابن قتيبة وهذا ايسر ينقض الحديث الاول وانما أمرهم بالتحول منها لأنهم كانوا مقيمين فيها على استئصال ظلمها واستيعاضها لما نالهم فيها وأمرهم عليه الصلاة والسلام بالتحول منها وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استئصال ما ينالهم السوء فيه وان كان لاسبب له في ذلك وحسب من جرى على يده الخير لهم وان لم يردهم به وبغض من جرى على يده الشر لهم وان لم يردهم به ٥٥ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ما وجدنا ابن قتيبة عمل شيئاً أكثر من أنه لما أعجزه تأويل الاخبار التي سألت نفسه عنها والمطابقة بينها وبين قوله عليه الصلاة والسلام لا عدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيما ظاهره العدوم وخص العدوى بشئ دون آخر وكلاهما سواء فيه وأورد تأويلاً يدفعه نص قوله عليه الصلاة والسلام لأنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن النقة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل قال عليه الصلاة والسلام فما أعدي الاول تكذيباً بعدوى هذه النقة وتأثيرها فاطرح ابن قتيبة ذلك وزم ان الجرب يعدى ويؤثر في الخاط والمواكل وعول في ذلك على قول الاطباء وترك قول الرسول عليه الصلاة والسلام ٥٥ ومن ظريف أمره أنه قال إن الاطباء ينهون عن بحاسة المسلول والمجنون ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تفسير الرائحة وانما تعقم من آدمى اشتهاها وهذا غلط منه لأن الاطباء انما تنهى عن ذلك خرفان العدوى وسبب العدوى عندهم هو اشتها الرائحة وانفصال أجزاء من السقيم الى الصحيح وليس اذا كان غير هذا عدوى عند قوم ما يوجب أن لا يكون هذا أيضاً عدوى ٥٥ ولما حكى عن غيره تأويلاً صحيحاً في قوله عليه الصلاة والسلام لا يوردن ذو عاعة على مصع ادعى ان العيان يدفع وأي عيان معه ونحن نجد كثيراً من مخالط الجربى فلا يجرب ونجد ألباً صحاحاً مخالط ذوات العادات فلا يصبها شيء من أدوائها فكأنه انما يدعى ان العيان يدفع قول النبي صلى الله عليه وسلم فما أعدي الاول ٥٥ والوجه عندنا في قول النبي عليه الصلاة والسلام لا يوردن ذو عاعة على مصع أنه عليه الصلاة والسلام انما يصي

عن ذلك وإن لم يكن مؤثراً على الحقيقة لأن فاعله كالدخول الضرر على غيره لأن من
اعتقد أن ذلك يعدي ويؤثر فأورد على إله فلا بد من أن يلحقه لما تقدم من اعتقاده
ضرر وغم ولا بد من أن يذم من طاعه بذلك فكأنه عليه الصلاة والسلام سمى عن أذى
الناس والتعرض لذنوبهم وقد يجوز أيضاً فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره مما لم يرتضه من
أنهم متى ظنوا ذلك أنموا فسمي عليه الصلاة والسلام عن التعرض لما يؤثم .. ولو قتل
ابن قتيبة ما قاله عليه الصلاة والسلام في الطاعون إذا كان بيد فلا تدخلوه وأمره لمن
شكى إليه بالنحول عنها إلى هنا لكان قد أصاب لأنه حمله ذلك على أن تجنب البلد
أسكن للنفس وأطيب للمعيشة وكذلك الدار فهذا يمكن في قوله عليه الصلاة والسلام
لا يوردن ذواتهم على مصح بيته .. فأما قوله عليه الصلاة والسلام فر من الجندوم
فرارك من الأسد فليس فيه أن ذلك لأجل العدوى وقد يمكن أن يكون لأجل تن
ريحه واستقذاره وتغور النفس منه وإن ذلك ربما دعى إلى تعبده والازراء عليه وامتناعه
عليه الصلاة والسلام من ادخال الجندوم عليه لئلا يبعثه يجوز أيضاً أن يكون التعرض فيه
غير العدوي بل بعض الأسباب المانعة التي ذكرنا بعضها .. وأما حديث الطاعون
والقول فيه على ما قاله وقد كان سبيله لما عول في عدوى الجندوم والجرب على قول
الاطباء أن يرجع أيضاً إلى أقوالهم في الطاعون لأنهم يزعمون أن الطاعون الذي
يمرض من تغير الأهوية وما جرى مجراها بعددي كعدوى الجرب والجندوم والعيان
الذي ادعاء ليس هو أكثر من وجوده من يجرب أو يجثم للحلطة من كان بهذه الصفة
وهذا العيان موجود في الطاعون كما نرى عمومهم لمن يسكن البلد الذي يكون فيه وإطراً
إليه .. فأما الجرب الذي يتضمن أن الشؤم في المرأة والدار والذابة والذي ذكره من
الرواية في معناه يزيل الشبهة به على أنه لو لم يكن هنا رواية في تأويله جاز أن يحمل على
أن الذي يتطير به التطيرون ويذعنون الشؤم فيه هو المرأة والدار والذابة ولا يكون
ذلك أنبأنا للطيرة والشؤم في هذه الأشياء بل على طريق الاخبار بأن الطيرة الثابتة
إنما هي فيها لقوة أمرها عند أصحاب الطيرة .. وما ذكره بعد ذلك في الدار وأمره
عليه الصلاة والسلام بانقله عنها تأويل قريب وقد كان يجب أن يهتدى إليه مما تقدم

وما التوفيق الا من عند الله العزيز الحكيم

مجلس آخر ٦٩

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن تأويل قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب) الآية .. فقال أوليس ظاهر هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى وأنتم تمنعون من ذلك .. الجواب قلنا ليس في الآية أكثر من ذكر الحجاب وليس فيها أنه حجاب له تعالى ولحل كلامه أولم يكن يكلمه واذا لم يكن في الظاهر شيء من ذلك جاز صرف الحجاب الى غيره عن وجعل مما يجوز أن يكون محجوباً لقد يجوز أن يريد تعالى بقوله أو من وراء حجاب أنه يفعل كلاماً في جسم محتجب عن المتكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع مخاطب الكلام ولا يعرف محله على طريق التفصيل فيقال على هذا هو متكلم من وراء حجاب .. وروى عن مجاهد في قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً) قال هو داود عليه السلام أوحى في صدره فزبر الزبور أو من وراء حجاب وهو موسى عليه السلام أو ترسل رسولا وهو جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم .. فاما أبو علي الجبلي فإنه ذكر ان المراد بالآية (وما كان لبشر أن يكلمه الله) الا مثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعته والنهي لهم عن معاصيه وتنبه اياهم على ذلك من جهة الخاطر أو الدنام أو ما أشبه ذلك على سبيل الوحي .. قال وانما سمي الله ذلك وحياً لأنه خاطر وتنبه وليس هو كلاماً لهم على سبيل الافصاح كما يفصح الرجل منا لصاحبه اذا خاطبه والوحي في اللغة انما هو ما جرى مجرى الايام والتنبه على شيء من غير أن يفصح به فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى في الآية .. قال وعنى بقوله (أو من وراء حجاب) أى بحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى عليه السلام لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق الاموسى وحده في كلامه اياه أولاً فاما كلامه اياه في المرة الثانية فإنه انما أسمع ذلك موسى عليه السلام والسبعين الذين كانوا معه

وحجب عن جميع الخلق سواهم لهذا هو معنى قوله من وجل (أو من وراء حجاب) لأن الكلام هو الذى كان محبوباً عن الناس . . وقد يقال أنه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذى أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعون لأن الكلام مرض لا يقوم الا فى جسم ولا يجوز أن يكون أراد تعالى بقوله (أو من وراء حجاب) أن الله تعالى كان (من وراء حجاب) يكلم عباده لأن الحجاب لا يجوز إلا على الاجسام المحدودة . . قال وعنى بقوله (أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء) ارسله ملائكة بكتبه وكلامه الى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ليأخروا عنه ذلك عباده على سبيل ازاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وأزاله سائر الكتب على أنبياء عليهم الصلاة والسلام لهذا ضرب من الكلام الذى يكلم الله تعالى عباده ويأمرهم فيه بطاعت وبنهاهم عن معاصيه من غير أن يكلمهم على سبيل ما كالم به موسى عليه السلام وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذى ذكره الله تعالى فى أول الآية لأنه قد أفصح تعالى لهم فى هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه والوحي الذى ذكره تعالى فى أول الآية إنما هو تنبيه وخطر وليس إفصاح وهذا الذى ذكره أبو على أيضاً شديد والكلام محتمل لما ذكره . . ويمكن فى الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحجاب البعد والخفاء ونفى الظهور وقد تستعمل العرب لفظ الحجاب فيما ذكرناه فيقول أحدهم لغيره إذا استبعدت فية واستبعدت فطنته بيني وبينك حجاب وتقول للأمر الذى تستبعده وتستبعد طريقته بيني وبين هذا الأمر حجاب وموانع وسواتر وما جرى مجرى ذلك فيكون معنى الآية أنه تعالى لم يكلم البشر الا وحياً بأن يخطر فى قلوبهم أو بأن ينصب لهم أدلة تدلهم على ما يريد أو يكرهه منهم فيكون من حيث نصب للدلالة على ذلك والارشاد اليه غاطباً ومكلاً لمباد بما يدل عليه وجعل تعالى هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعاً كما يسمع الخاطر وقول الرسول ولا ظاهراً معلوماً لكل من أدركه كما أن أقوال الرسل المؤذين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة قصار الحجاب هناك كناية عن الخفاء وغيره مما يدل عليه الدلالة وليس لأحد أن يقول أن الذى يدل عليه الاجسام هو من صفاته تعالى وأحواله ومراده ولا يقال أنه تعالى متكلم لذاته وذلك أنه غير متع

على سبيل التجوز أن يقال أنه تعالى فيما يدل عليه الدليل الذي نصبه الله تعالى ليدل على مراده ويرشد إليه أنه مكلم لنا ومخاطب ولهذا لا يمتنع المسلمون من أن يقولوا أنه تعالى خاطبنا بما دلت عليه الأدلة العقلية وأمرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل ما أَرَادَهُ وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا يدل على أمر من الأمور قد خاطبنا فلان بما فعل كذا بكذا وكذا وقال لنا وأمرنا وزجرنا وما أشبه ذلك من الالفاظ التي يحبرونها على الكلام الحقيقي وهذا الاستعمال أكثر وأظهر من أن نورد أمثاله ونظائره [قال الشريف المرتضى] أَرْضَى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ مَسْتَحْسَن مَا قِيلَ فِي الذَّنْبِ قَوْلُ أَمْرَاءِ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ حَصْنِ الْفَرَازِیِ

وَلَقَدْ أَلَمَ بِنَا لِنَقْرِیْهِ	بَادِيَ الشَّقَاءِ عَارِفُ الْكَسْبِ
يَدْعُو النَّبَا أُنْ نَالَ عُلُقَتَهُ	مِنْ مَطْمٍ غَبَا إِلَى غَبٍ
وَحَاوَيْهِ ثَمَلَتَهُ وَالْحَقْمَا	بِالصُّلْبِ بَعْدَ لُدُونَةِ الصُّلْبِ
يَا ضَلَّ سَعْيُكَ مَا صُنِفَتْ بِهَا	جَمَعْتَ مِنْ شَبٍّ إِلَى دَبٍّ
لَوْ كُنْتَ ذَا ثَبٍّ تَمِشُ بِهِ	أَفْعَلْتَ فَعَلَ الدَّرَمِ ذِي اللَّبِّ
وَجَمَعْتَ صَالِحَ مَا احْتَرَفْتَ وَمَا	جَمَعْتَ مِنْ نَهَبٍ إِلَى نَهَبٍ
وَأَظْنُهُ شَغْبًا تَدُلُّ بِهِ	فَلَقَدْ مُنِيتَ بِنَایَةِ الشُّغْبِ
إِذْ كَانَ غَيْرَ مَنَاصِلٍ تُعْصَى بِهَا	مَشْحُودَةٌ وَرَكَابُ الرُّكْبِ
فَاغْنِمْ إِلَى أَهْلِ الْوَقْرِ فَمَا	يَحْشَاكَ غَيْرُ مَقْرَمٍ صِ الدَّرَبِ
أَحْسَبْنَا مِمَّنْ تَطِيفُ بِهِ	فَاخْتَرَبَهَا لِلْأَمْنِ وَالْغَضَبِ
وَيَفْسِرُ مَعْرِفَةً وَلَا سَبَبٍ	أَنْتِ وَشِعْبُكَ لَيْسَ مِنْ شِعْبِي
لَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ نَافِعُهُ	جَدُّ تَهَاوَنَ صَادِقِ الْأَرْبِ

والجَّ إلحاحاً لِجَاجَتِهِ شكوى الضَّربِ وَزَجَرَ الكُتْبِ
 بِأَيْ التَّكْلُفِ يَشْكِي سَبّاً وَأَنَا بَيْنَ قَاتِلِ شِدَّةِ السَّعْبِ
 فَرَأَيْتُ أَنْ قَدْ نَكَّهَ بِأَذَى مِنْ بَعْدِ مَثَلَةٍ وَمِنْ سَبِّ
 وَرَأَيْتُ حَقّاً أَنْ أَضِيفَهُ إِذْ أَمَّ سَلَمَى وَأَتَمَّى حَزْبِي
 فَوَقَّعْتُ مُنْشَأً أَزَاوِلَهَا بِمُهْنَدٍ ذِي رَوْنَقٍ هَضْبِ
 فَمَرَضَتْهُ فِي سَاقٍ أَسْنَهَا فَأَحْتَادَ بَيْنَ الْحَادِ وَالْكَعْبِ
 فَتَرَكْتُهَا لِمِيسَالِهِ جَزْراً عَمْدًا وَهَلَقَ رَحْلَهَا صَحْبِي

ذكر ذنباً طرقه ليلاً .. وقوله - عارف الكعب - مثل ضربه أى لا يبق له نسب الا
 شيء يكتبه .. وقوله - يدعو الغنا ان نال عاقبته أى ان وجد ما يطلق به من مطعم
 - غنيا الى غيب - أى من يومين فذلك عنده الغنا - والتمية - ما يبق في البطن من طعام
 أو علف .. وحتى طوي ثيابه ذهب بها وأراد انه لم يبق في بطنه مما يمك - واللهو -
 اللين فاراد انه ألحق بقية طعامه بصلبه بعد أن لان ما صاب منها ثم أقبل على الغيب
 كالعاذل له فقال ما صنعت بما جعت من شب الى دب وهذا ان إسان للشباب والمهرم
 لا يفردان ولا يلفظ بهما الا هكذا .. والمعنى فيما هو مذ كنت شابا الى أن دببت على
 العصا ثم قال له لو كنت ذالبا لجلعت ما نصيبه .. ومعنى - احترقت - ا كسبت .. ومعنى -
 من شب الى دب - أى من عدوتك على الغنم الى العدو الاخرى .. ثم قال ان كان
 تعرضك شعباً علينا فقد منبت بغاية الشعب أى اننا سنفرك ونفانك وليس هنا ما تقبر
 عليه وإنما هنا - مناصب - أى سيوف مشعورة وركابنا التى تمنطقها فاعد الى أهل الوقير
 - والوقير - القطيع من الغنم ولا يسمى وقيراً الا اذا كان فيه حمار يقول فملك بمواضع
 الغنم قائما يمشك الراعى - المقرم - الذى يتخذ القرموسة واصله المكان الضيق وهو
 هنا حفيرة يحفرها الراعى في الرمل من شدة الحر للشاة الكريمة الصنية حتى اذا بركت
 كان ضرعها فى القرموسة .. ومعنى - شعبك ليس من شعبي - أى لست من جنسى ولا

شكلى - والأرب - الخديعة عند الحاجة - وشكوى - الضرير الذى قد مسه الضر - ومزجر الكلب - أى هو منا قريب المكان بقدر مزجر الكلب اذا زجرته أى اذا غشاه لدى جنابة - والسَّب - الجوع •• وأراد بقوله - وأنا ابن قاتل شجرة السب - أى أنا ابن من كان يقري ويعلم •• ثم رجع فقال رأيت بعد ما سبته وغضفت بالأذى والعدم ان أضيقه وأقربه لأنه ضيف وان كان ذنباً فوقفت أنظر في ركابي وأختار أسـ منها والاعتيام الاختيار وأزاوها ألبسها - والحاذان - أحد الفخذين الذين يلبان الذئب وخبر أن رحله المطية الذى عقرها علقه بعض أصحابه على مطية أخرى •• وقال النجاشى يذ كر ذنباً

وَمَاءُ كُلِّ الْفَسْلِ قَدْ عَادَا آجِنَا قَلِيلٌ بِهِ الْأَصْوَاتُ فِي بَلَدٍ مَحَلٍّ ^(١)
وَجَدْتُ عَلَيْهِ الذَّئْبَ يَمْوِي كَأَنَّهُ خَلِيعٌ خَلَا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ ^(٢)
قُلْتُ لَهُ يَذْئِبُ هَلْ لَكَ فِي فِتْي يُوْاسَى بِلَا مِنْ عَلَيْكَ وَلَا يَجُلُّ ^(٣)
فَقَالَ هَذَاكَ اللَّهُ لِلرُّشْدِ إِنَّمَا دَعَوْتَ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبْعَ قَبْلِي ^(٤)

(١) قوله - وماء كلون الفسل - الخ الواو في وماء واو رب والفسل بكسر الفين المعجمة ما يفسله به الرأس من صدر وخطمى ونحو ذلك •• يريد أن ذلك الماء كان متغير اللون من طول المكث تخضراً ومصفراً ونحوهما - والآجن - بالمد وكسر الجيم الماء المتغير الطعم واللون •• وقوله - قليل به الاصوات - يريد انه قفر لحيوان فيه - والبلد - الارض والمكان - والحل - الجذب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلال

(٢) قوله - كأنه خليع - الخليع الذى خامه أهله لجناباته وتبرؤا منه

(٣) قوله - فقلت له ياذئب هل لك - الخ يقول هل لك فى أخ يعنى نفسه بواسيك من طعامة بغير من ولا يجل

(٤) قوله - فدل هذاك الله - أى فقل له الذئب قد دعوتنى الى شئ لم يفعله السباع قبل من مؤاكلة بنى آدم وهذا لا يمكننى فعله ولست بآتيه ولا أستطيعه ولكن ان كان فى مائك الذى معك فضل عما تحتاج اليه فاسقنى منه وهذا الكلام وشبه النجاشى حل

فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَا كِاسْفَنِي إِنْ كَانَ أَوَّلُكَ دَافِئِلِ^(١)
 قَلْتُ هَلِيكَ الْخَوْضُ إِنِّي تَرَكْتُهُ وَفِي صَنْوِهِ فَضْلُ الْقُلُوصِ مِنَ السَّجْلِ^(٢)
 فَطَرَبَ بَسْتَوِي ذُنَابًا كَثِيرَةً وَعَدْتُ وَكُلُّ مَنْ هَوَاهُ عَلَى شَغْلٍ

وروى أن الفرزدق نزل بالفريريين فعراه بأهل ناره ذنب فأبصره متعباً بصى ومع الفرزدق
 ملحوخة فرمى إليه يده فاكلها فرمى إليه بما بقي فأكله فلما شبع ولى عنه فقال

وَلَيْلَةً بَنَّا بِالْفَرِيرِيِّينَ ضَافِنَا عَلَى الزَّادِ مَوْثِي الدَّرَاعَيْنِ أَطْلُسُ
 تَلَمَّسْنَا حَتَّى أَتَانَا وَلَمْ يَزَلْ لَدُنْ فَطَمَتُهُ أُمُّهُ يَتَلَمَّسُ
 فَلَوْ أَنَّهُ إِذْ جَاءَنَا كَانَ دَانِيَا لِأَلْبَسْتُهُ لَوْ أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
 وَلَكِنْ تَنَحَّ جَنَّةً بَعْدَ مَا دَنَا فَكَانَ كَقَابِ الْقَوْسِ أَوْ هُوَ أَقْسُ

لأن الذئب كأنه اعتقد فيه أنه لو كان ممن يقتل أو يتكلم لقال هذا القول وأشار بهذا
 إلى نفسه لافلوات التي لأمه فيها فهتدى الذئب إلى مظهره فيها لاعتياده لها

[١] قوله - فلست بآتيه - التبع البيت يستشهد به النحويون على أن حذف النون من
 لكن لإلتقاء الساكنين ضرورة تنبيهاً بالتونين أو بحرف المد واللين من حيث كانت
 ساكنة وليباغضة وهي فضل صوت في الحرف كما أن حرف المد واللين ساكن والمد لفضل
 صوت وكذا أورد سيبويه في باب ضرورة الشعر من أول كتابه قال الاعلم حذف النون
 لإلتقاء الساكنين ضرورة لإقامة الوزن وكان وجه الكلام أن يكسر لإلتقاء الساكنين
 بما في الحذف بحرف المد واللين إذا سكنت وسكن ما بعدها نحو يفزو المدو ويقضي
 فاق ويقضي الله

[٢] قوله - فقلت عليك الخوض - ألغى عليك اسم فعل بمعنى ألزم والخوض مفعوله
 - والصغور - فتح الصاد المهمة وكسرها وسكون الفين المعجمة الجانب المائل - والسجل -
 فتح السين المهمة وسكون الجيم الملهو المعظمة - وطربب - في صوته بالتشديد رجحه ومده

فَقَاسَمْتُهُ نِصْفَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَقِيَّةَ زَادِي وَالرَّكَابِ نُفْسُ
وَكَاثِبُ ابْنِ لَيْلَى إِذْ قَرَى الذِّبْ زَادَهُ عَلَى طَارِقِ الظُّلَمَاءِ لَا تَعْبَسُ

ولا بن عتقاء الفزاري وادعه قيس بن نجدة وقيل نجدة بالضم الايات المشهورة في الذنب وهي

وَاغْوَجَ مِنْ آلِ الصَّرِيحِ كَأَنَّهُ بِذِي الشَّبْتِ سَيْدُ آخِرِ اللَّيْلِ جَانِعُ
بَنَى كِسْبَهُ أَطْرَافَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ وَلَيْسَ بِهِ ضَلْعٌ مِنَ النِّمَسِ ظَالِعُ
فَلَمَّا تَاهَ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ جَنُوبَ الْمَلَأِ وَأَيَّاسْتُهُ الْمَطَامِعُ
طَوَى نَفْسَهُ طَيِّ الْحَرِيرِ كَأَنَّهُ حَوَى حَيَّةً فِي رُبُوعِهِ هَاجِعُ
فَلَمَّا أَصَابَتْ مَنَّتُهُ الشَّمْسُ حُسْكَةً بَأَعْصَلَ فِي أُنْيَا بِهِ الشَّمُّ نَاقِعُ
وَفَكَكْتَ لِحْيَتَهُ فَلَمَّا تَمَادَا صَامَى ثُمَّ أَقْنَى وَالْبِلَادُ بِلَاقِعُ
وَهُمْ بِأَمْرِ ثُمَّ أَرْمَعَ غَيْرُهُ وَإِنْ ضَاقَ رِزْقٌ مَرَّةً فَهُوَ وَاسِعُ
وَعَارَضَ أَطْرَافَ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ رَجَاعُ غَدِيرِ هَزَّةِ الرِّيحِ رَائِعُ

وآخر في الذنب

فَقُلْتُ تَعْلَمُ أَتْنِي غَيْرُ نَائِمٍ إِلَى مُسْتَقَلٍّ بِالْحَبَابَةِ أَنْيَابُ
بَعِيدُ الدُّخَانِ لَا يُفِيدُ عَلَى الْغَنَاءِ وَلَا يَأْتِي مَا أَسْتَطَاعَ إِلَّا تَكْسِبُ

معنى - أنيب - غلبت الناب - لأنام اليه - أي لا أتني به من ذلك استندمت الى فلان
إذا اطمانت اليه .. ومعنى - لا يفيد على الغنا - أي لا يلدس مطعما وهو شعبان
.. ولحميد بن ثور في الذنب

فَظَلَّ بِرَأْيِ الْجَيْشِ حَتَّى تَغَيَّبَتْ خَبَائِثُ وَحَالَاتُ دُونَهُنَّ الْأَجَارِعُ
إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَيَابَهُ مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُونَ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ^(١)

[١] قوله - رأيت غيابه - الخ .. الغيابة بفتح الغين المعجمة وبيايين آخر الحروف

(١٦ - الى رابع)

خَفِيفُ الْعِمَا إِلَّا مَصِيرًا يَبْلُهُ دَمُ الْجَوْفِ أَوْ سُورٌ مِّنَ الْحَوْضِ نَاقِعٌ
هُوَ الْبَعْلُ الَّذِي مِنَ النَّاسِ كَالَّذِي لَهُ صُحْبَةٌ وَهُوَ الْمَدُّو الْمُنَازِعُ
يَنَامُ بِإِحْدَى مَقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي بِأُخْرَى الْمَنَافِقَ فَيَقْطَانُ هَاجِعٌ^(١)

مخففتين وهي كل شيء أظلم الإنسان فوق رأسه مثل السحابة والغبرة والظلمة ونحو ذلك
[١] قوله - ينام بإحدى مقلتيه - الخ ينام خبر مبتدأ محذوف أي هو ينام والباء
في بإحدى يتعلق به .. وقوله يتقى الخ ينام وبأخرى يتعلق به والمنافق معول
يتقى ويروى ويتقى بأخرى الأعادي .. وقوله فهو مبتدأ وقوله يقطان خبره وهاجع
خبر بعد خبر ويروى يقطان نائم لكنه يخالف أبيات القصيدة فالمنى هو حذر أو هو
هاجع بين البقلة والمجوع .. والابيات من قصيدة أولها

إذا نال من بهم النخيلة غرة	على غفلة لما يرى وهو طالع
تلوم ولو كان ابنها أفرحت به	إذا هب أرواح الشتاء الزارع
فقامت تمنى ساعة إمانطيتها	من الدهر قاتلها الكلاب الطوالع
رأته فشكت وهو أطحل مائل	إلى الأرض متى إليه الأكارع
طوي البطن الأمن مصير يبله	دم الجوف أو - وور من الحوض نافع
ترى طرفه يصلات كلالها	كما اهتز عود الشيعة المتتابع
إذا خاف جوراً من عدورمت به	قصائبه والجانب المتواسع
وان بات وحشاً لبله لم يتقى بها	ذراعاً ولم يصيح بها وهو خاشع
ويسرى لساعات من الليل قره	بهاب السرى فيها الخوض التوازع
وان حدثت أرض عليه قاته	بعزة أخرى طيب النفس قانع
ينام بإحدى مقلتيه ويتقى	بأخرى المنافق فهو يقطان هاجع
إذا قام أتى بولعه قدر طوله	ومدد منه صلبه وهو تابع
هـ وفكك لحية فلما تصاديا	سأى ثم أقفى والبلاد بلاقع
إذا ما غدي يوماً رأيت غيابة	من الطير ينظرن الذي هو صانع

هكذا أورد بعض الرواة هذه القصيدة بعضها مدرج في قصيدة ابن سناء الزاوي

وإن عفا متأخر عن حيد بن نور رضى الله عنه

وصف ذنباً يتبع الجيش طمعاً في أن يتخلف رجل يذب عليه لأنه من بين السباع لا يرغب في القتلى ولا يكاد يأكل إلا مفرسـه وخبائـه^(١) . وقال بعضهم وليس بمعروف أن خبائـه اسم من أسماء الشمس وأخبر أن الطير تبعه لتصيب بما يقتل . والمصر^(٢) المما^(٢) . والبلـ . اللهش



— مجاہدین آخر ۷۰ —

[تأويل آية] ٥٥ ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الى قوله (وأنا أول المؤمنين) ٥٥ وقال مفسرون من أن تكون هذه الآية دالة على جواز الرؤية عليه جل وعلا لأنها لو لم تجز لم يسألها موسى عليه السلام كما لا يجوز أن يسأل اتخاذ الصاحبة والولد ولو كانت الرؤية أيضاً مستحيلة لم يعلقها بأمر يصح أن يقع وهو استقرار الجبل وإذا علمنا صحة استقرار الجبل في موضعه فوجب أن تكون الرؤية أيضاً صحيحة في حكم ما علقته به ٥٥ وقوله تعالى (فلما نجي ربنا للجبل) يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى لأن النجى هو الظهور وما لا يكونان إلا بعد الاحتجاب والاستتار ٥٥ الجواب قلنا أول ما قلناه أنه ليس في مسألة الشيء دلالة على صحة وقوعه ولا جوازه لأن السائل قد يسأل عن الصحيح والحال مع العلم وفقد العلم

[١] قوله - وخباش اسم هضبة وليس بمعروف ان خباش اسم من أسماء الشمس . . قلت لم نقف على أحد هذين التفسيرين لغيره وذكر ياقوت في المعجم ان خباش بالحاء المهملة سوق من أسواق العرب في الجاهلية وفيه أيضاً في باب الحاء المعجمة خباش تحمل لبن يشكر بالجماعة

[٢] قوله - والمصير المعاد ووزنه فمیل والجمع مصران مثل رغيف ورغاف والمصارن جمع الجمع ومبمه أصلية .. وقال بعضهم مصير إنما هو مفعل من صار إليه الطعام وإنما قالوا مصران كما قالوا في ميل الماء ملان شبهوا مفعلا بفعيل .. وقوله - نافع - بالنون من قم الماء العطش فهو قم أى سكنه

والاعراض مختلفة فلا دلالة في ظاهر مسألة الرؤية على جوازها ولا استحبابها عن هذه المسئلة أجوبة ٠٠ منها وهو الأولى والأقوى أن يكون موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه وإنما سألها لقومه فقد روى أنهم طلبوا ذلك منه والعسوه فاجلبهم بها لا تجوز عليه تعالى فلم يقتض الجوابه وآثروا أن يرد الجواب من قبل ربه تعالى فوعدهم ذلك وغلب في ظنه أن الجواب إذا ورد من جهته جل وهن كان أحسن للشبهة وأبلغ في دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بمحضر منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسأل وأجيب بما يدل على أن الرؤية لا تجوز عليه تعالى وبضوء هذا الجواب أنشأ ٠٠ منها قوله تعالى (يذكركم الكتاب أن تزل عليهم كتاباً من السماء) الآية ٠٠ ومنها قوله تعالى (وإذا قلتم يا موسى إن تؤمن لك حتى ترى الله جهمرة) الآية ٠٠ ومنها قوله تعالى (لعلنا أخذهم الرجفة قال رب) الآية لأن إضافة ذلك إلى السفهاء يدل على أنه كان بينهم ومن أجهلهم ولا أنهم سألوا ما لا يجوز عليه تعالى ٠٠ ومنها ذكر الجهمرة في الرؤية وهي لا تليق إلا برؤية البصر دون العلم وهذا يعوي أن الطالب لم يكن للعلم الضروري على ما سنذكره في الجواب الثاني ٠٠ ومنها قوله (أنظر إليك) لأننا إذا حملنا الآية على طلب الرؤية لقومه أمكن أن يحمل قوله أنظر إليك على حقيقته وإنما حملت الآية على طلب العلم الضروري احتيج إلى حذف في الكلام ويصير تقديره أرني أنظر إلى الآيات التي عندها أهرقك ضرورة ٠٠ ويمكن في هذا الوجه الأخير خاصة أن يقال إذا كان المذهب الصحيح عنكم هو أن النظر على الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله تعالى أنظر إليك حقيقة في جواب من حمل الآية على طلب الرؤية لقومه ٠٠ فان قلتم لا يمنع أن يكونوا انصروا الرؤية التي يكون معها النظر والتعديق إلى الجهة فسأل عليه الصلاة والسلام على حسب ما طلبوا ٠٠ قبل لكم هذا ينتقض فرفقكم في هذا الجواب بين سؤال الرؤية وبين سؤال جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضى الجسمية بأن تقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من معرفة السمع والشك في جميع ما ذكر يمنع من ذلك لأن الشك الذي لا يمنع من معرفة السمع إنما هو في الرؤية التي لا يكون معها نظر فلا يقتضى التشبيه ٠٠ فان قلتم الذي يمنع من معرفة السمع إنما يحمل ذكر النظر

فيه على أن المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز لان من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه ودأبهم ٠٠ قلنا فكأنكم عدلتم من مجاز الى مجاز فلاقوة في هذا الوجه والوجوه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدمة أولى وليس لاحد أن يقول لو كان عليه الصلاة والسلام إنما سأل الرؤية لقومه لم يصف السؤال الى نفسه فيقول أرني أنظر اليك ولا كان الجواب مختصاً به وهو قوله تعالى (ان تراني) وذلك لأنه غير ممنوع وقوع الاضافة على هذا الوجه مع ان المسئلة كانت من أجل الغير إذ كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة ٠٠ فلهذا يقول أحدنا اذا شفع في حاجة غيره لا مشفوع اليه أسئلك أن تفعل بي كذا وكذا ونحیی الى كذا وكذا ويحسن أن يقول المشفوع اليه قد أجبتك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك وانما حسن هذا لأن للسائل في المسئلة اغراضاً وان رجعت الى الغير فتحقق بها وتكلفه كذلكه اذا اختصه ولم يبعده ٠٠ فان قيل كيف يجوز منه عليه الصلاة والسلام مع علمه باستعالة الرؤية عليه تعالى أن يسأل فيها لقومه وان جاز ذلك ليجوز أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه تعالى من كونه جسماً وما أشبهه متى شكوا فيه ٠٠ قلنا انما صح ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيها سأل عنه لأن مع الشك في جواز الرؤية التي لا يختص كونه جسماً يمكن معرفة السمع وانه تعالى حكيم صادق في اخباره فيصح أن يرفقوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استعالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسماً لا يصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم ٠٠ وقد قال بعض من تكلم في هذه الآية قد كان جائزاً أن يسأل موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استعالته عليه وان كانت دلالة السمع لا تثبت قبله معرفته متى كان المعلوم ان في ذلك صلاحاً للمكافئين في الدين وان ورود الجواب يكون لطفاً لهم في التغاضي الادلة وإصابة الحق منها غير أن من أجاب بذلك شرط أن يبين في مسئلة علمه باستعالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفاً ٠٠ والجواب الثاني في الآية أن يكون موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض أعلام الآخرة التي تضطره الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخفف الحنة عليه بذلك كما سأل

ابراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يره كيف يحيى الموتى طلباً لتخفيف عليه بذلك وإن
 كان قد صرف ذلك قبل أن يراه والدؤال أن وقع بلفظ الرؤية فإن الرؤية تعيد العلم
 كما يفيد الادراك بالبصر وذلك أظهر من أن يستدل عليه أو يستشهد به فقال له جبريل
 وعن (لن تراني) أي لن تدلني على هذا الوجه الذي النفس متى ثم أكد تعالى ذلك
 بأن أظهر في الجبل من آياته ومجائبه ما دل به على أن اظهار ما تقوم به المعرفة الضرورية
 في الدنيا مع التكليف وبيانها لا يجوز وأن الحكمة تمنع منه . . والوجه الأول أولها
 ذكرناه من الوجوه ولأنه لا يتخلو موسى عليه السلام من أن يكون شاكاً في أن المعرفة
 ضرورية لاتصح حصولها في الدنيا أو علماً بذلك فإن كان شاكاً فهذا مما لا يجوز على النبي
 صلى الله عليه وسلم لأن الشك فيها يرجع الى اصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز
 عليهم سلام الله عليهم لاسيما وقد يجوز أن يعلم ذلك على الحقيقة بعض أممهم فيزيد عليهم
 في المعرفة وهذا أبان في التفسير عنهم من كل شيء يمنع منه فهم وإن كان طاماً فلا وجه
 لسؤاله إلا أن يقال أنه سأل لقومه فيعود الى معنى الجواب الأول . . والجواب الثالث
 في الآية ما حكى عن بعض من تكلم في هذه الآية من أهل التوحيد وهو أن قال يجوز
 أن يكون موسى عليه السلام في وقت مسئلته ذلك كان شاكاً في جواز الرؤية على الله
 تعالى فسأل ذلك ليعلم هل يجوز عليه أم لا قال وليس شك في ذلك يمنع من أن يعرف
 الله تعالى بصفاته بل يجري مجرى شك في جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الأعراض
 في أنه غير محل بما يحتاج اليه في معرفته تعالى . . قال ولا يمنع أن يكون غاطه في
 ذلك ذنباً صغيراً وتكون الثوبة الواقعة منه لأجل ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل أن
 الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي تشبهاً وإن كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فإن
 الشك في ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث يجوز من بعض من بعثوا
 اليه أن يعرف ذلك على الحقيقة فيكون النبي صلى الله عليه وسلم شاكاً فيه وغيره طارفاً
 به مع رجوعه الى المعرفة بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه وهذا أقوى في
 التفسير وأزيد على كل ماوجب أن يحتجبه الأنبياء عليهم السلام . . فإن قيل فمن أي شيء
 كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين . . قلنا أما من ذهب الى أن

المسئلة كانت اقومه فانه يقول انما تاب لانه أقدم على أن سأل على لسان قومه ما لم يؤذن له فيه وليس للأنياء ذلك لانه لا يؤمن أن يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك اجابته اليه منفراً عنهم ومن ذهب الى أنه سأل المعرفة الضرورية يقول انه تاب من حيث سأل معرفة لا يقتضيها التكليف وعلى جميع الاحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب ولا الذم والأولى أن يقال في توبته عليه الصلاة والسلام انه ليس في الآية ما يقتضي أن تكون التوبة وقعت من المسئلة أو من أمر يرجع اليها وقد يجوز أن يكون ذلك منه اما لذنب صغير تقدم تلك الحال أو تقدم النبوة فلا يرجع الى سؤال الله تعالى الرؤيا أو ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع الى الله تعالى وإظهار الانقطاع اليه والتقرب منه وان لم يكن هناك ذنب صغير وقد يجوز أيضاً أن يكون الغرض في ذلك مضاعفاً الى ما قلناه تعالماً وتوقيفاً على ما استعمله وتدعو به عند الشدائد ونزول الاحوال وتنبية القوم الخطئين خاصة على التوبة بما الخسوف من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فان الانبياء عليهم السلام وان لم يقع منهم التوبخ عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج في رفع ذلك عنه الى التوبة من الاستقالة .. فاما قوله تعالى ﴿ فَاِذَا نَجَّيْنا رَبَّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ فان النجس هنا هو التعريف والاعلام والاطهار لما يقتضي المعرفة كونه هذا كلام جلي أي واضح ظاهر وكقول الشاعر

تَجَلَّى لَنَا بِالْمَشْرِفَةِ وَالْقَنَا وَقَدْ كَانَ عَنْ وَكْعِ الْأَسْنَةِ نَائِيَا

أراد ان تديره دل عليه حق علم انه المدبر له وان كان نائياً عن وقع الاسنة فأقامه أظهره من دلالة فعله على مقام مشاهدته وعبر عنه بأنه نجى منه .. وفي قوله تعالى للجبيل وجهان .. أحدهما أن يكون المراد لأهل الجبيل ومن كان عند الجبيل فحذف كما قال تعالى (واسأل القرية .. وما يكت عليهم السجاء والارض) وقد علمنا انه بما أظهره من الآيات انما دل من كان عند الجبيل على أن رؤيته تعالى غير جائزة .. والوجه الآخر أن يكون المعنى للجبيل أي بالجبيل فأقام اللام مقام الباء كما قال تعالى (آمَنتم له قبل أن آذن لكم) أي به وكما يقول أخذتك لجرمك أي بجرمك ولما كانت الآية الدالة على منع ما سئل فيه انما حلت الجبيل وظهرت فيه جاز أن يضاف التجلي اليه وقد استدل

بهذه الآية كثير من العلماء الموحدين على أنه تعالى لا يرى بالأبصار من حيث نفي الرؤية
نفيًا عامًا بقوله تعالى (لن تراه) ثم أكد ذلك بأن علق الرؤية باستقرار الجبل الذي
علينا أنه لم يستقر وهذه طريقة لأمر معروف في تبديد الشيء لأنهم يعلمونه بما يعلم
أنه لا يكون كقولهم لا كذلك ما شاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر

إِذَا شَابَ الْغُرَابُ رَجَوْتُ أَهْلِي وَصَارَ الْفَيْرُ كَاللَّابِنِ الْحَلِيبِ

• • • وما يجري هذا المجرى قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى باج الجبل في سم الخياط
وليس لأحد أن يقول إذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك في مقدوره تعالى
فيجب أن تكون الرؤية مطلقة أيضًا في مقدوره تعالى بأنه لو كان الفرض بذلك التبديد
لعلمته بأمر يستحيل كما علق دخولهم الجنة باسم يستحيل من ولوج الجبل في سم الخياط
وذلك أن تشبيه الشيء بغيره لا يجب أن يكون من جميع الوجوه ولما علق وقوع الرؤية
باستقرار الجبل وقد علم أنه لا يستقر علم نفي الرؤية وما عدا ذلك من صكون الرؤية
مستحيلة وغير مقدورة واستقرار الجبل بخلافها خارج عن ماهو الفرض في التشبيه
على أنه إنما علق تعالى جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعلها فيها دكا
وذلك محال لما فيه من اجتماع الصديق جري مجرى جواز الرؤية في الاستحالة وليس
يجب في كل ما علق بغيره أن يجري مجراه في سائر وجوهه حتى إذا كان أحدهما مع استقامته
مستحيلًا كان الآخر بمثابة مستحيلًا لأن تعاقب دخول الكفار الجنة إنما علق بولج
الجبل في سم الخياط ودخول الكفار الجنة لم يكن مستحيلًا بل معلوم أن الأول في
المقدور وإن كان لا يحسن والثاني ليس به المقدور وهذه الجملة كافية في تأويل هذه الآية
وبيان ما فيها والحمد لله وحده

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وأني لاستبعاد قول أبي العاص بن خزام

ابن عبد الله بن قتادة المازني

وَكَمْ مِنْ صَاحِبٍ قَدْ بَانَ عَنِّي رُمِيتُ بِفَقْدِهِ وَهُوَ الْحَبِيبُ
فَلَمْ أَبْدِ الَّذِي تَحْتُو ضُلُوعِي عَلَيْهِ وَإِنِّي لَأَنَا الْكَثِيبُ

خَافَةَ أَنْ يَرَانِي مُسْتَكِينًا عَدُوٌّ لَا يُشَابِهُهُ قَرِيبُ
فَيَشْتَمَ كَاشِحٌ وَيَظُنُّ أَنِّي جَزُوعٌ عِنْدَ نَائِبَةِ تَنُوبِ
فَبِعَدْلِكَ شَدَّتِ الْأَعْدَاءُ طَرَفًا إِلَيَّ وَرَأَيْتُ دَهْرًا مُرِيبُ
معنى - شدت الاعداء طرفاً - أى نظرت الى نظراً شديداً فظهر الغضب من عبودها
وَأُنْكَرْتُ الزَّمَانَ مِنْ كُلِّ أَمَلِي وَهَرَّتْنِي لِنَيْتِكَ الْكَلِيبُ

يقال كلب و كليب مثل عبد وعبيد

وَكُنْتُ تَقَطُّعُ الْأَبْصَارُ دُونِي وَإِنْ وَغَرَّتْ مِنَ الْعَيْظِ الْقُلُوبُ
وَيَمْنَعُنِي مِنَ الْأَعْدَاءِ أَنِّي وَإِنْ رَغَمُوا لِمَخْشِي مُهِيبُ
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ يَوْمِكَ كَانَ يَوْمًا بَدَتْ فِيهِ النُّجُومُ فَمَا تَغِيبُ
وَلَيْسَ مَا أَنَا بِ طَوِيلٍ كَأَنِّي لِلنُّجُومِ بِهِ رَقِيبُ
وَمَا يَكُ جَائِئًا لَا بُدَّ مِنْهُ إِلَيْكَ فَسَوْفَ تَجْلِبُهُ الْجَلُوبُ

— مجلس آخر ٧١ —

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (واذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها) الى قوله (تعتلون) .. فقال كيف ذكر تعالى هذا بعد ذكر البقرة والأمر بذبحها وقد كان ينبغي أن يتقدمه لأنه انما أمر الله تعالى بذبح البقرة لينكشف أمر القاتل فكيف آخر تعالى ذكر السبب عن المسبب وبني الكلام بناء يقتضى انه كان بعده ولم قال تعالى (واذ قتلتم نفساً) والرواية وردت بأن القاتل كان واحداً فكيف يجوز أن يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل بينها واحد والى أى شئ وقعت الاشارة بقوله تعالى (كذلك يحيى الله الموتى) .. الجواب قبله أما قوله تعالى (واذ قتلتم نفساً) ففيه وجهان .. أولهما أن تكون هذه الآية وان تأخرت فهمى مقدمة فى المعنى على الآية التى ذكرت فيها البقرة ويكون التأويل واذا قتلتم نفساً فادّارأتم فيها فسألتهم موسى عليه السلام فقال لكم ان الله (١٧ - املأى رابع)

يأسرهم أن تذبجوا بقرّة فاخر المقدم وقدم المؤخر ٠٠ ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير ٠٠ ومثله (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً فيها) ٠٠ وقال الشاعر

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ عَادِيَّةٌ طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالُ ^(١)

أراد طالت الاوعال فليس تنالها ٠٠ ومثله

طَافَ الْخَيْالُ وَأَيَّنَ مِنْكَ لِمَا مَا فَأَرْجَعَ لِزُورِكَ بِالسَّلَامِ سَلَامًا

أراد طاف الخيال لما وأيّن منك ٠٠ والوجه الثاني أن يكون وجه تأخير بقوله تعالى (واذ قتلتم نفساً) أنه معلق بما هو متأخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله

(١) قوله - طالت فليس تنالها الاوعال - أي طالت الاوعال بمعنى فاقتها في الطول

يقال طال فلان فهو طويل وفعله على وزن فعل بضم العين لحيي الوصف منه على فعيل وهو لازم ٠٠ وأما قولهم إن بشرأ قد طلع العين ورجبكم الدخول فاهما ضمنا معنى بلغ العين ووسعكم الدخول وأما طاله ففعل بالفتح ولا يكون بالضم لأن فعل لا يتعدى كما تقدم والبيت من هذا النوع قال سيبويه إنما سمعت الواو في طولها لأنه لم يحمي على الفعل لأنك لو بينته على الفعل قلت طائل وإنما هو كفعيل يعني به منقول وقد جاء على الأصل فاعتل فعله نحو تحيوط فمذا أجدر ٠٠ قال وإنما سمعت الواو في طولها لسمعتها في الواحد فطولها من طويل كقوار من حاورت والبيت لسبيح بن رباح

الزنجي وبقال رباح بن سبيح قاله حين غضب لما قال جرير في الفرزدق

لَا تَطْلُبْ بِنِ خُؤُولَةٍ مِنْ تَغْلِبْ فَارْزُخْ أَكْرَمَ مِنْهُمْ أَخْوَالًا

فقال سبيح أو رباح

الزنج لو لا فيهم في صفهم لاقيت ثم جعلا جعلا أبطالا

مابك كلب بنى كليب سبنا أن لم يوازن حاجباً وعقلا

• ان الفرزدق صخرة عادية الخ • ودمش الرواة ينسب للأخطل ويدخله في قصيدته

التي يهجو بها جريراً ومطلعها

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غاس الظلام من الرباب خيالا

وذلك غلط

البقرة إنما هو بقدر الفج فكأنه تعالى قال (فتدبحوها وما كادوا يفعلون) لانكم قتلتم نفساً فادارأتم فيها) فامرناكم بأن تضربوه ببعضها لينكشف أمره فاما إخراج الخطاب تعالى (قتلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) لأن الامر بضرب المقتول ببعض مخرج ما يتوجه الى الجميع مع أن القاتل واحد فعل عادة العرب في خطاب الأبناء بخطاب الآباء والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من أحدها فيقول أحدهم هلأت بنو نعيم كذا وقتل بنو فلان فلاناً وإن كان القاتل والفاعل واحداً من بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ (يجادلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) بتقديم المفعولين على الفاعلين وهو اختيار الكسائي وأبي العباس ثعلب فيقتل بعضهم ويقتلون وهو أبطل في وصفهم وأمدح لهم اذا قاتلوا وقتلوا بعد أن يقتل بعضهم كان ذلك أدل على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن سيرهم .. وقد قيل أنه كان القاتلان اثنين قتلا ابن عم لهما فان الخطاب جرى عليهما بلفظ الجمع كما قال تعالى (وكنا لحكمهم شاحدين) يريد داود وسليمان عليهما السلام والوجه الاول أولى وأقوى بشهادة الاستعمال الظاهر له ولأن أكثر أهل العلم أجمعوا على أن القاتل كان واحداً .. ومعنى (فادارأتم) فتدارأتم أي تدافعتم وألقى بعضكم القتلى على بعض يقال دارأت فلاناً اذا دافسته وداريته اذا لاينته ودريته اذا ختلته يقال أدرا القوم اذا تدافعوا والهاء في قوله فادارأتم فيها تعود الى النفس .. وقيل انها تعود على القتلة أي اختلفتم في القتلة لأن قتلتم تدل على المنصدر والقتلة من المصادر تدل عليها الافعال ورجوع الهاء الى النفس أولى وأشبه بالظاهر .. فاما قوله تعالى (كذلك يحيي الله الموتى) فالاشارة وقعت الى قيام المقتول عند ضربه ببعض أعضائه البقرة لأنه روي أنه قام حياً وأوداجه تشعب دما فقال قتلى فلان وثبة الله تعالى بهذا الكلام وبذكر هذه القصة علي جواز ما أنكره مشركو قريش واستبعدوه من البحث وقيام الاموات لانهم قالوا اذا كنا عظاما ورفقا الآية فآخبرهم الله تعالى بان الذي أنكروه واستبعدوه حق عليه غير متمذر في إتساع قدرته وكان بما ضرب تعالى لهم من الامثال ونبيهوم عليه من الادلة ذكر المقتول الذي ضرب ببعض البقرة فقام حياً وأراد تعالى اتي اذا كنت قد أحييت هذا المقتول بعد خروجه عن الحياة وبأس قومه من عوده وانطلوا خبر كريمة قتله عنهم وردته حياً مخاطباً

باسم قاتله فكذلك فاعلموا ان احياء جميع الاموات عند البعث لا يصعزني ولا يتعذر
علي وهذا بين لمن تأمله * [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن الشعر المشهور
بالجودة في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها قول نسي بن جري يري أخاه مالكا

ذُكِرْتُ أَخِي الْخَوَلُ بَعْدَ بَاسٍ فَهَاجَ عَلَيَّ ذِكْرَاهُ أَشْتِيَا قِي
فَلَا أَتَى أَخِي مَا دُمْتُ حَيًّا وَإِخْوَانِي بِأَقْرَبَةِ الْعَتَا قِي
يَجُزُّونَ الْفِصَالِ عَلَى النَّدَا قِي بُرُوقَ الْحُزْنِ مِنْ كَذْفِي إِيَا قِي
وَيَقْلِقُونَ السَّيَاءَ إِذَا أَتَوْهُ بِضُمِّ الْخَيْلِ وَالشُّوْلِ الْغِمَا قِي
إِذَا اتَّصَلُوا وَقَالُوا يَا آلَ غَوَاثٍ وَرَاحُوا فِي الْمَجْبَرَةِ الرَّفَا قِي
أَجَابَكَ كُلُّ أَرْوَعٍ شَمَرِي رَخِي الْبَالُ مُنْطَلِقِ الْخَنَا قِي
أَنَاسُ صَالِحُونَ نَشَأَتْ فِيهِمْ فَادُّوا بَعْدَ الْفَلْبِ وَاتَّسَا قِي
مَضَوْا السَّبِيلَ وَلَيْسَتْ عَنْهُمْ وَلَكِنْ لَا عَمَلَةٌ مِنْ لَعَا قِي
كَذَا الْإِلْفِ الَّذِي أَذْلَجَنَ عَنْهُ فَجِنُّ وَلَا يَتَوَقُّ إِلَى مَتَا قِي
أَرَى الدُّنْيَا وَمَحْنُ أَمِيشَ فِيهَا مُوَلِيَّةٌ نَهْيًا لِإِنْطِلَاقِ
أَعَاذِلُ قَدْ بَقِيتُ بَقَاءَ قَبَسٍ وَمَا حَيَّ عَلَى الدُّنْيَا يَبَا قِي
كَأَنَّ الشَّيْبَ وَالْأَحْدَاثَ تَجْرِي إِلَى نَفْسِ الْفَنَى فَرَسًا سَبَا قِي
فَأَمَّا الشَّيْبُ يُدْرِكُهُ وَإِمَا يَلَا قِي حَتْفُهُ فَيَسَا يَلَا قِي
فَإِنَّ نَفْسَ لَيْتَى بِالشَّيْبِ أَمْسَتْ شَمِيطَ اللَّوْنِ وَاصْحَةَ الْمَسَا قِي
فَقَدْ أَغْدُوْا بِدَاجِيَةٍ أَرَا قِي بِهَا الْمُتَطَاعَاتِ مِنَ الرُّوَا قِي
إِلَى كَأَنَّهُمْ ظِبْيَاءُ قَفَرٍ بَرَهْبِي أَوْ يَبَاعِجَتِي فَنَا قِي^(١)

(١) - رهبى - يفتح أوله وسكون ثانيه وبعد الهاء بلام واحدة خبراء في الصحان في ديار بني تميم

بُرَامِقُنَ الْجِبَالِ بِغَيْرِ وَصَلٍ وَلَيْسَ جِبَالُ وَصَلٍ بِالرِّمَاقِ
 وَعَهْدُ الْغَانِيَاتِ كَعَهْدِ قَيْنٍ وَفَتَّ عَنْهُ الْجَمَائِلُ مُسْتَدَاقِ
 كَجَلْبِ السُّوءِ يُغَيِّبُ مَنْ رَأَاهُ وَلَا يَشْفِي الْحَوَائِمَ مِنْ لَمَاقِ
 فَلَا يَبْعُدُ مُصَافِي فِي الْمَوَافِي وَإِشْرَافُ الْمَلَائِكَةِ وَأَنْصِفَاقِ
 وَغَيْرَاءُ الْقَتَامِ جَلَوْتُ عَنْهُ بِعَجَلِ الطَّرْفِ سَالِمَةُ الْمَاقِ
 وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى سَمِعْتُ النَّصْبَ بِالْقُلُوصِ الْعِتَاقِ
 وَكَمْ قَاسَيْتُ مِنْ سَنَةِ جَمَادٍ تَعَضُّ الْمَاحِمْ مَا دُونَ الْمَرَاقِ
 إِذَا أَفْنَيْتَهَا بَدَلْتُ أُخْرَى أَعْدُ شُهُورَهَا عَدُّ الْأَوَاقِ
 وَأَفْنَيْتَنِي الشُّهُورُ وَلَيْسَ تَفْنَى وَتَعْدَادُ الْأَهْلَةِ وَالْمُحَاقِ
 وَمَا سَبَقَ الْعَوَادِثُ لَيْثُ غَابِ يَجْرُ لِعِزِّهِ جُزُرُ الرِّفَاقِ
 وَلَا يَطْلُ لِمَادَى الْخَيْلِ مِنْهُ فِرَارُ الطَّيْرِ مِنْ بَرْدِ يَمَاقِ

وأحسن حارثة بن بدر القفداني في قوله

يَا بَكْرُ مَا رَاحَ مِنْ قَوْمٍ وَلَا أَتَكَرُّوا
 يَا كَتَبُ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ

ولأبي السَّعْدِ فِي هَذَا الْمَعْنَى

إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِّي مِنَ الْعَيْشِ مُدَّتِي
 سَيَعْرِضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى وَذُنِّي
 أَجَاكَ قَوْمٌ حِينَ صُرْتُ إِلَى الْفَنَاءِ

إِلَّا وَلِلْوَتِّ فِي آثَارِهِمْ حَادِي
 إِلَّا تُقَرَّبُ أَجَالًا لِعِمَادِ

فَإِنْ بُكَاهُ الْبَاكِاتِ قَلِيلُ
 وَيَحْدُثُ بِسَدْيِ الْخَلِيلِ خَلِيلُ
 وَكُلُّ غَنَى فِي الْعِيُونِ جَلِيلُ

وليس النسا إلا غي زين الفتى
عشية يقرى أو غداة ينيل
ولم يفتقر يوماً وإن كان معدداً
جواد ولم يستغن قط بجيل
إذا مالت الدنيا إلى المرء رغبته
إليه ومال الناس حيث يميل
أرى على الدنيا على كثرة
وصاحبها حتى المات حليل
وإني وإن أصبحت بالموت موقناً
فلى أمل دون اليقين طول

وقد أحسن البحري في قوله في هذا المعنى

أخي متى خاصمت نفسك فاحتشد
لها ومتى حدثت نفسك فأصدق
أرى على الأشياء شتى ولا أرى السجدة إلا علة للتفرق
أرى المبتس ظلاً توشك الشمس ثقلة

فكس في ابتداء البيت كينك أو من
أرى الدهر غولاً للنفوس وإنما
تبي الله في بعض المواطن من تبي
فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضي
وعرج على الباقي نسائه لم يهي
ولم أر كالذئب خليفة صاحب
عجب متى تحسن بعينه تطلق
تراها عنايباً وهي صنعة واحد
فتحسبها صنعا لطيف وأخرق

٠٠ وقد قيل إن السبب في خروج البحري من بغداد في آخر أيامه كان هذه الأبيات
لأن بعض أعدائه شنع عليه بأنه شوى من حيث قال فتحسبها صنعا لطيف وأخرق
وكانت العامة حينئذ غالباً على البلد فخاف على نفسه فقال لابن أبي الفوت قم ياتي حتى
فطاني عناهم النائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ولعود نخرج ولم يعد ٠٠ وأحسن
أيضاً غاية الاحسان في قوله

أغشى الخطوب فإمّا جئن ماربتي فيما أسير أو أحكمت نأديبي

إِنْ تَلْتَمِسْ ثَمَرِ أَخْلَافِ الْخُطُوبِ وَإِنْ

تَلْتَمِثْ مَعَ الدَّهْرِ تَسْمَعُ بِالْأَعَاجِيبِ^(١)

(١) الايات من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد الطائي ومطلعها

أُتَارِكِي أَنْتَ أَمْ مَغْرَى بِتَمْزِجِي وَلَا تَمْنِي فِي الْهَوَى إِنْ كَانَ يَزِيدِي
عمر الغواني لقد بين من كتب هضيمة في عب غير محبوب
إذا مددنا إلى أصراره سبياً وقين من كرهه الشبان بالشيب
أمنلت بك من زهد المهارب من مرهق بيوادى الشيب مقروب
يحتو به من أعاليه على أود حتوا الثقاف جرى فوق الانايب
أم هل مع الحب حلم لا تنفقه صباية أو عزاء غير مغلوب
قصيت من طلي للفانيات وقد شأوتني حاجة في نفس يعقوب
لم أر كالنفر الاغفال ساعة من الحبايق لم تحفظ من الذيب
وأريد القطار يلقاك السراب به بعد التريض مبيض الجلايب

أغشى الخطوب .. البيتان وبعدهما

ومنها إلى أبي جعفر خاضت ركائبنا
ننوط آمالنا مقه على ملك خطار كل مهول الخرق مرهوب
نحتضر الباب أما آذن التقري مردد في صريح الجهد ملسوب
خلائق كسوار المزن موفية أو فانت لعيون الوفد محبوب
بنهنن بالثقل لا تعطى النهوض به على البلاد بتمهيج وتأويب
في كل أرض وقوم من سحابة أعناق بحفرة الهوج المراجيب
لم يث في حاضر النهرين من نخل أسكوب عارفة من بعد أسكوب
يلا أقواء مداحيه من حسب على السماكين والسرير مسعوب ملقى على حاضر النهرين مصعوب
تأق إليه المعالي قصد أوجهها كاليت يقصد أماً بالمحارب
معطي من الجهد مزداداً برغبته يجري على سنن منه وأسلوب

وفى قوله

مَتَى تَسْأَرُ دَفْضًا مِّنَ الْعُمَرِ تَعْرِفُ
تَشِدُّ بِنَا الدُّنْيَا بِأَخْفَضِ سَمْعِهَا
يُسْرُ بِعُمَرَانِ الدِّيَارِ مُضَلَّلُ
وَلَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوْ أَنَّ عَيْشَهَا
أَقُولُ لِمَكْذُوبٍ مِّنَ الدَّهْرِ زَاغٌ عَنْ
سَبْرِ دِيكَ أَوْ يَتُوكَ أَنَّكَ مُخْلَسُ
وَهَلْ أَنْتَ مِنْ مَرْمُوسَةٍ طَالَ أَخْذُهَا
بِسَجَلِكَ مِّنْ شَهْدِ الْخُطُوبِ وَصَايَا
وَنَحْوُ الْأَفَاعِي لَهُ مِّنْ لُّعَابِهَا
وَعُمَرَانُ مُسْتَأْنَفٌ مِّنْ خَرَابِهَا
وَكَيْفَ ارْتَضَائِهَا أَوْ أَنَّ ذَهَابَهَا
تَحِيدُ آرَاءَ الْحِجَى وَاتِّخَابِهَا
إِلَى شَقَّةٍ يُبْكِيكَ مِّنْ بَمْدُمَائِهَا
مِنَ الْأَرْضِ الْأَخْفَنَةِ مِّنْ تَرَابِهَا^(١)

كالمعين منومة بالحسن تبعه
ما أنكفك منتبهاً بين قري ووعى
قد سرفني برعجل من عداوته
ساروا مع الناس حيث الناس أزلته
ولو تناهت بنو شيان عنه اذا
ما زادها الثفر عنه غير تعرية
والأفص يتبع أعلى منهى الطيب
على الكواهل ندمي والعراقيب
بعد الذي اختبعت من سخطه الموب
في جوده بين مرؤوس ومحبوب
لم يحشموا وقع ذي حدين مذروب
وبصدها من رشاه غير تيب

(١) الابيات من قصيدة يمدح بها ساعدا ومطاعها

معاد من الايام تعذينا بها
وما تملأ الآفاق من فيض عبرة
غوى رأى نفس لا ترى أن وجدها
وحظك من ليلي ولا حظ عندها
يفات من تأليف شعبي وشعبها
هي الشمس الا ان شمساً تكشف
وايمادها بالالف بعد اقترابها
وليس الهوى البادى لفيض السكابها
بتلك القواني شقة من عذابها
سوي صدها من غادة واجتبابها
تنامي شبابي وابتهاد شبابها
لبصرها وانما في ثيابها

.. وجدت الآمدى يروى هذا البيت أنك محبب بالباء .. وتفسير ذلك أن المعنى أنك موقوف إلى أن تصير إلى هذا من قولك أحببت فرساً في سبيل الله وأحببت دارى أى وقفها والرواية المشهورة أنك علس باللام^(١) .. والمعنى أنك متهم في الرحيل ومتخذ حلاً بوضع تحت الرجل وهذا أشبه بالمعنى الذى قصده البعترى وأولى بأن يختاره مع دقة طبعه وسلامة ألفاظه

مجلس آخر ٧٢

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل من أزواجها ليسكن اليها) الى قوله (تعالى الله عما يشركون) .. فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضى جواز الشرك بالله على الأنبياء عليهم السلام لأنه لم يتقدم الا ذكر آدم وحواء عليهما السلام ليجب أن يكون قوله تعالى (جعلناه شركاء لهما آتاهما) يرجع اليهما .. الجواب قلنا كما ان ذكر آدم وحواء عليهما السلام قد تقدم فقد تقدم أيضاً ذكر غيرهما في قوله تعالى (هو الذى خلقكم) ومعلوم ان المراد بذلك جميع ولد آدم عايه السلام في قوله (فلما آتاهما صالحاً) وأراد بالمصالح الاستواء في الاعضاء والتمنى فلما آتاهما ولداً صالحاً والمراد بهذا المجلس دون الواحد وان كان الانظر لنظر وحدة والمعنى فلما آتاهما جنساً من الاولاد صالحين .. واذا كان الامر على ما ذكرناه جاز أن يرجع قوله تعالى (جعلناه شركاء) الى ولدهما وقد تقدم ذكرهم .. فان قيل انما وجب رده الى آدم وحواء عليهما السلام لأجل التثنية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين الا ذكرهما عليهما السلام .. قلنا ان جملة هذا ترجيحاً في رجوعه اليهما جاز أيضاً أن يحمل قوله تعالى في آخر الآية (تعالى الله عما يشركون)

[١] - قلت والبيت في ديوان شعره

سبرديك أو ينويك أنك علس الى شقة يليك بعد ما بها

(١٨ - امالى رابع)

وجهاً مقرباً لرجوع الكلام الى جهة الاولاد ويجوز أيضاً أن يكون أشار في التثنية الى الذكور والاناث من ولد آدم عليه السلام والى جلسين منهم غفلت التثنية لذلك على أنه اذا تقدم في الكلام أمران ثم تلاهما حكم من الاحكام وعلم بالدليل استعالة تعلقه باحد الامرين وجب رده الى الآخر .. واذا علمنا أن آدم عليه السلام لا يجوز عليه الشرك لم يجوز عود الكلام اليه لوجوب عوده الى المذكورين من ولد آدم عليه السلام .. وذكر أبو علي الجبائي في هذا مانعاً نورد على وجهه .. قال انما هي بهذا ان الله تعالى خلق بني آدم من نفس واحدة لأن الاخبار في قوله تعالى خلقكم انما عني به بني آدم عليه السلام والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي آدم لأنه خلق حواء من آدم ويقال انه تعالى خلقها من ضلع من أضلاعه ويقال من طبعه لرجعوا جميعاً الى أنهم خلقوا من آدم عليه السلام .. وبين ذلك بقوله تعالى (وخلق منها زوجها) لأنه عني به انه خلق من هذا النفس زوجها وزوجها هي حواء عليهما السلام .. وعني بقوله تعالى (فلما تشاها حملت حملاً خفياً) وحملها هو حملها منه في ابتداء الحمل لأنه في ذلك الوقت خفيف عليها .. ومعنى قوله تعالى (فرئت به) ان مرورها بهذا الحمل في ذلك الوقت وتصرفها به كان عليها سهلاً خفت فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فهو معنى قوله تعالى (اتخلت دعوا الله) ثقل عليها عند ذلك المشي والحركة .. وعني بقوله تعالى (دعوا الله ربهما) انهما دعوا عند كبر الولد في بطنها فقالا ان آيتنا يارب نلنا صالحاً لنكون من الشاكرين لنعمتك علينا لأنهما أرادا أن يكون لهما أولاد تؤسسا في اللوح الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين اذا غاب أحدهما بقي الآخر مستوحشاً بلا مؤنس فلما آتاها نلنا صالحاً معاني وهم الأولاد الذين كانوا يولدون لها لأن حواء عليها السلام كانت تلد في كل بطن ذكر وأنثى فقال انما ولدت في خمائة بطن ألف ولد .. وعني بقوله تعالى (فلما آتاها صالحاً جعلناه شركاء فيها آتاها) أي إن هذا النسل الصالح الذي هم ذكر وأنثى جعلناه شركاء فيها آتاها من لذة وأضاف بعد تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الأصنام والاولئان ولم يمن بقوله تعالى جعلنا آدم وحواء عليهما السلام لأن آدم لا يجوز عليه

الشرك لأنه نبيٌّ من أنبياءه ولو جاز الشرك والكفر على الأنبياء لما جاز أن يتق أحدنا بما يؤدبه النبي عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى عز وجل لأن من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لا يؤخذ بإخباره فصح بهذا أن الاختيار في قوله تعالى (جعلناه شركاء) إنما يعني به السبل وإنما ذكر ذلك على سبيل التنبيه لأنهم كانوا ذكراً وأثي فلما كانوا صنفين جاز أن يجعل تعالى الأخبار ههنا كالأخبار عن الأنبياء اذ كانوا صنفين .. وقد دل على صحة تأويلنا هذا قوله تعالى في آخر الآية (تعالى الله عما يشركون) فبين عز وجل أن الذين جعلوا الله شركاءهم جماعة فلمذا جعل إظهارهم إظهار الجماعة فقال تعالى يشركون معني كلام أبي علي .. وقد قيل في قوله تعالى (فلما آتاهما صالحا) مضافا الى الوجه المتقدم الذي هو أنه أراد بالصلاح الاستواء في الخلقة والاعتدال في الاعضاء وجه آخر وهو أنه لو أراد بالصلاح في الدين لكان الكلام أيضاً مستقيماً لأن الصالح في الدين قد يجوز أن يكفر بعد صلاحه فيكون في حال صالحا وفي أخرى مشركا وهذا لا يتنافى .. وقد استشهد في جواز الانتقال من خطاب الي غيره ومن كناية عن مذكور الى مذكور سواء ليصبح ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم عليه السلام وحواء عليها السلام الى ولدهما بقوله تعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله) فانصرف عن مخاطبة الرسول الى مخاطبة المرسل اليهم ثم قال (وتزروه وتوقروه) يعني الرسول عليه الصلاة والسلام ثم قال (وتسبحوه) وهو يعني مرسل الرسول فالكلام واحد متصل بمعنى بعضه وبعض والخطاب منتقل من واحد الى غيره وبقوله الهدى

يَا لَيْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ وَيَا بَاضُ وَجْهِكَ لِاتِّرَابِ الْأَعْيُنِ

ولم يقل ويباض وجهه .. وقال كثير

أَسِيثِي بَنَاءُ أَوْ أَحْسَنِي لَامْلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ^(١)

(١) قوله - أسيثي - بنا أو أحسن - أورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى (أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم) على تساوي اللاحقين في عدم القبول كما

نخاطب ثم ترك الخطاب .. وقال آخر
فَدَيْ لِكَ يَافَتِي وَجَمِيعُ أَهْلِي وَمَا لِي إِنَّهُ مِنْهُ أَتَانِي

ساوى كثير بين الاحسان والاساءة في عدم اللوم والتكسفة في مثل ذلك اظهر اننى
تفاوت الحال بتفاوت لعل الخطاب كأنه يأمرها بذلك لتعقيق أمه على العمد ومقلية -
بمعنى مفضة من الغل وهو البنض .. والبيت من قصيدته المشهورة .. روي أن
عبد الملك سأله عن أعجب خبر له مع عزة فقال يأبى المؤمنين حججبت سنة وحج زوج
عزة معها ولم يعلم أحدنا بإصابه فلما كنا ببعض الطريق أسرها زوجها بإتباع سدن
أصلح به طعاما لرفقته فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت الى وهي لا تعلم أنها
خيمةي وكنت أرى سهما فلما رأيتها جعلت أبري لحى وأنظر اليها حتى برئت ذراعى
وأنا لأعلم به والدم يجرى فلما علمت ذلك دخلت الى فامسكت يدي وجعلت تمنع
الدم بثوبها وكان عندي نعى سمن خافت لتأخذه فأخذه وجاء زوجها فلما رأى الدم
سألها عن خبره فكأتمته حتى حاف عليها لتصدقته فصدقته فضرها وحلف عليها للتشمتى
في وجهي فوقفت على وقالت لى وهى تبكى يابن الزانية ومطلع القصيدة

خليل هذا ربيع عزة فاعقلا	قلوبكم كما ثم أبكيا حيث حلت
ومسأرا با كان قد من جلدها	وبينا وظلا حيث باتت وظلت
ولا تياسا أن يعمد والله عنكما	ذنوبيا اذا صليتها حيث صلت
وما كنت أدري قبل عزة ما البكي	ولا موجعات القلب حتى نولت
وقد حلفت جهدا بما نغررت له	قريش غداة المنازمين وصلت
أناديك ما حيج الحجاج وكبرت	بغيفا غزال رفقة وأهلت
وكانت لقطع العهد بيني وبينها	كناذرة نذرا فأولت وحلت
فقلت لها يا عزى صكلى مصيبة	اذا وطنت يوما لها النفس ذلت
ولم يلقى السان من الحب مبيعة	لعم ولا عبياء الا تجلت
كأنى أنادي صخرة حين أعرضت	من العم لو تمنى بها العمم زلت

ولم يقل منك أناني .. ووجدت أبا مسلم محمد بن بحر يحمل هذه الآية على أن الخطاب في جميعها غير متعلق بجواه وآدم عليه السلام ويجعل الهاء في تنشأها والكنية في دعوا

صفوحا فالتفكك الابخية
أباحته حتى لم يرعه الناس قبلها
فلت قلوصي عند غرة قيدت
وغودر في الحى للقيمين رحاها
وكنت كذى رجلين رجله صحيحة
وكنت كذات الظاع لما تحاملت
أريد الشواء عندها وأظنها
فا أنصفت أما النساء لبغضت
يكلفها الغيران شتى وما بها
هنيئاً مريضاً غير داء غصامر
ووالله ما قاربت إلا تباعدت
فان تكن العتي فاهلا ومرحبا
وان تكن الاخرى فان وراءنا
خليل انت الحاجة لمحت
للأبيعدن وصل لمرزة أصبحت
أسيرة بنا أو أحسن لاملومة
ولكن أميل واذكري من مودة
واني وان صدت اثن وصادق
فا أنا بالدهامى لمرزة بالجوى
فلا يحسب الواشون ان صبايتي
فاصبحت قد أبليت من دغيبها
ووالله ثم الله ما حل قبها

فن مل منها ذلك الوصل ملت
وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
بجمل ضعيف غر منها فضات
وكان لها باغ سواي فبات
ورجل رمى فيها الزمان فحلت
على ظلمها بعد العثار استقلت
اذا ما أطلنا عندها للمكث ملت
الينا وأما بالنوال فضلت •
هواني ولكن للمليك استذلت
لمرزة من أعراضنا ما استعالت
بصرم ولا أكرت إلا أقلت
وحقت لها العني لدينا وقلت
متاوح لو تسرى بها العيس كالت
قلوصيكما وناقى قد أكلت
بماقة أسباه قد تولت •
لدينا ولا مقالية ان قتات •
لناخلة كانت لديك فضلت
عليها بما سكات البنا أزلت
ولا شامت ان نطه غرة زلت
بمرزة سكات غمرة فتجالت
كما أدفقت هيام ثم استبكت
ولا بمداهم نخلة حيث حلت

الله ربهما وآتاهما صالحا راجعتين الى من أشرك ولم يتعلق بآدم وحواء عليهما السلام من الخطاب الا قوله (خلقكم من نفس واحدة) لأن الاشارة في قوله (خلقكم من نفس واحدة) الى الخلق عامة .. وكذلك قوله تعالى (وجعل منها زوجها) .. ثم خص منها بعضهم كقَالَ تعالى (هو الذي يستركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) فخطب الجماعة بالتسيير في البر والبحر ثم خص ركب البحر بقوله تعالى (وجرين بهم بريح طيبة) كذلك هذه الآية أخبرت عن جملة أمر البشر فأنهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها آدم وحواء عليهما السلام .. ثم دعى الذكر أي الذي سأل الله تعالى فلما أعطاه إياه ادعى الشركاء في عطية .. وقال جائز أن يكون معنى قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الشركاء في خصوصاً إذ كان كل بني آدم مخلوقاً من نفس واحدة .. ويجوز أن يكون المعنى في قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وهذا يحكى كثيراً في القرآن وفي كلام العرب قال الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والمعنى فاجلدوا كل واحد ثمانين جلدة وقال (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتكنوا إليها) فلكل نفس زوج وهو منها أي من جنسها فلما تقضي كل نفس زوجها حملت حملاً خفيفاً وهو ماء الرحم فرت به أي مارت والماء الزرد والمراد تردد هذا الماء في رحم هذه الحامل فلما أمضت

وما مر من يوم على كبومها	وان عظمت أيام أخرى وجلت
فاضحت بأعلى شاطئ من فؤاده	فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
فيا حباً للقلب كيف اعترافه	والنفس لما وطئت كيف ذات
واني وتيمامي بعزة بعدما	تخابت عما بيننا وتخت
لكا لمرجعي ظل الغمامة كما	نبوأ منها لا تقبل استعانت
صكائي وإياها سحابة محمل	رجاها فلما جاوزته استهلت
فان سأل الواشون فيها عجزتها	فقل نفس حر سابت قتلت

أى تقل حملها أى بمصير ذلك الماء طمأ ودماً وعظماً دعوا الله أى الرجل والمرأة لما
استبان حمل المرأة فلما لئن آتينا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاناها أى اعطاناها
مأسألاً من الولد الصالح لنبدأ ذلك الى شركاء معه فتعالى الله عما يشركون • وقال قوم معنى
جمالها شركاء أى طلباً من الله أمثالاً للولد الصالح فشركاء بين الطالبين وتكون الهامز
قوله تعالى له واجعة الى الصالح لا الى الله تعالى ويجرى مجرى قول القائل طلبت • نى
درهماً فلما أعطيتك أشركته بأخر أى طلبت آخر مضافاً اليه وعلى هذا الوجه لا يمنع
أن يكون قوله تعالى جملاً والخطاب كله متوجهاً الى آدم وحواء عليهما السلام

— ❦ — ❦ — ❦ — ❦ — ❦ — مجلس آخر ٧٣ ❦ — ❦ — ❦ — ❦ — ❦ —

[تأويل آية] • ان سأل سائل عن قوله تعالى (قال أتعبدون ما تخشون والله خلقكم
وما تعملون) • فقال ليس ظاهر هذا القول يقتضى انه خالق لا عمل العباد لان ما بهما بمعنى
الذى فكأنه قال خلقكم وخالق أعمالكم • الجواب قلنا قد حمل أهل الحق هذه الآية
على ان المراد بقوله تعالى وما تعملون أى وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما
بما كانوا يتخذونه أصناماً ويسجدونها • قالوا وغير منكر ان يريد بقوله تعالى وما تعملون ذلك
كما انه قد أراد ما ذكرناه بقوله تعالى وتعبدون ما تخشون لانه لم يرد تعالى انكم تعبدون
تحتكم الذى هو فعلكم بل أراد ما تعملون فيه التمتع وكما قال تعالى في عصى موسى عليه
السلام تلقف ما يافكون وتلقف ما صنعوا وانما أراد تعالى ان العمى تلقف الحبال التى
أظهروا سحرهم فيها وهى التى حملها صنعتهم وافكهم فقال تعالى ما صنعوا وما يافكون
وأراد تعالى ما صنعوا فيه وما يافكون فيه ومثله قوله تعالى (يعملون له ما يشاء من محاريب)
وانما أراد المعمول فيه دون العمل وهذا في الاستعمال أيضاً سائغ شائع لانهم يقولون هذا
الباب عمل العباد وفي الخيال هذا عمل المصانع وان كانت الاجسام التى أشير اليها ليست
أعمالاً لهم وانما عملوا فيها فحسن اجراء هذه العبارة • فان قيل كل الذى ذكرتموه وان
استعمل فعلي وجه المجاز والاتساع لان العمل في الحقيقة لا يجري الا على فعل الفاعل

دون ما فعله فيه وان استعير في بعض المواضع .. قلنا ليس نسلم لكم ان الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذي لا يستفاد سواء لان القائل اذا قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما رأينا أحداً قط يقول في الثوب بدلا من قوله هذا من عمل فلان هذا مما حله عمل فلان فالاول أولى بأن يكون حقيقة وليس ينكر أن يكون الاصل في الحقيقة ما ذكرناه ثم انتقل ذلك بصرف الاستعمال الى ما ذكرناه وصار أخص به وبما لا يستفاد من الكلام سواء كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحد والاعتبار في المفهوم من الالفاظ الا بما يستقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الاصل فوجب أن يكون للمفهوم .. والظاهر من الآية ما ذكرناه على أننا نسلطنا ان ذلك مجاز لوجب التصير اليه من وجوه .. منها ما يشهد به ظاهر الآية وبقتضيه ولا يسوغ سواه .. ومنها ما يقتضيه الأدلة القاطعة الخارجة عن الآية .. فن ذلك انه تعالى أخرج الكلام مخرج التجهين لم والتوبيخ لافعالهم والازراء على مذاهبهم .. فقال (أتعبدون ما تخلقون والله خلقكم وما تعملون) ومتى لم يكن قوله تعالى (وما تعملون) المراد به ما يعملون فيه لم يصير تقدير الكلام أتعبدون الاصنام التي تخلقونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التي تعملون بها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ وبصر على ما ذكره المخالف كأنه قال أتعبدون ما تخلقون والله خلقكم وخلق عبادتكم فأبى وجه للتقريع وهذا الى أن يكون عندي أقرب من يكون لوماً وتوبيخاً اذا خلق عبادتهم للأصنام فأبى وجه لومهم عابها وتقريعهم بها على أن قوله تعالى (خلقكم وما تعملون) بعد قوله تعالى (أتعبدون ما تخلقون) انما خرج مخرج التعليل لامتنع من عبادة غيره فلا أن يكون متعلقاً بما تقدم من قوله (أتعبدون ما تخلقون) وهو أثر في المنع من عبادة غيره فلو أفاد غير قوله ما تعملون نفس العمل الذي هو التبعث دون المصنوع فيه لكان له فائدة في الكلام لأن القوم لم يكونوا يعبدون التبعث وانما كانوا يعبدون عمل التبعث ولأنه كان لا حظ في الكلام لامتنع من عبادة الاصنام فكذلك لو حله قوله تعالى ما تعملون من أعمال آخر ليست نعمهم ولا هم ما عملوا فيه لكان أظهر في باب القفو والعبث والبعد عن التعلق بما تقدم فلم يبق الا أنه أراد تعالى به خلقكم

وما تعملون فيه التمتع فكيف تعبدون مخلوقاً مثلكم .. فان قيل لهم زعمتم انه لو كان الامر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثانى حظ فى باب المنع من عبادة الاصنام وما تشكرون أن يكون لما ذكرناه وجه فى المنع من ذلك وان كان ما ذكرتموه أيضاً لو أريد لكان وجهاً وهو ان من خلقنا وخلق الافعال فينا لا يكون الا الاله القديم الذى يحق له العبادة وغير القديم تعالى كما يستحيل أن يخلقنا يستحيل أن يخلق فينا الافعال على الوجه الذى يخلقها القديم عليه تعالى فصار لما ذكرناه تأثير .. قلنا معلوم ان الثانى اذا كان كالتعليل الاول والمؤثر فى المنع من العبادة فلأن يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدونه أولى من أن يتصرف الى ما ذكرتموه مما لا يقتضى أكثر من خلقهم دون خلق ما يعبدوه فانه لا شيء أدل على المنع من عبادة الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد لما ذكرناه أيضاً قوله تعالى فى موضع آخر (أيسركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون) فاحتج تعالى عليهم فى المنع من عبادة الآلهة دونه بانها مخلوقة لا تخلق شيئاً ولا تدفع عن نفسها ضرراً ولا عنهم وهذا واضح على أنه لو ساوى ما ذكروه ما ذكرناه فى التعلق بالأول لم يسغ حله على ما دعوه لأن فيه عنراً لهم فى العمل الذى عنفوا وقرعوا من أجله وقبيح أن يوجههم بما يحذرهم ويذمهم مما يبرهنهم على ما تقدم على أننا لانسلم ان من يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لأن من جملة أفعالهم القبيح ومن فعل القبيح لا يكون إلهاً ولا تحق له العبادة فخرج ما ذكروه من أن يكون مؤثراً بانفراده فى العبادة على أن إضافة العمل اليهم لقوله تعالى يبطل تأويلهم هذه الآية لأنه لو كان تعالى خالقاً لها لم يكن عملاً لهم لأن العمل انما يكون لمن يحمده ويوجده فكيف يكون عملاً لهم والله خلقهم وهذه مناقضة ثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا أيضاً على ان قوله تعالى (وما تعملون) يقتضى الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال أن يقول تعالى انى خالق للمعدوم .. فان قالوا اللفظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضى كأنه تعالى قال والله خلقكم وما عمتم .. قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذى ادعيت انكم متمسكون به وليس أنتم بأن تعدلوا عنه بأولى منا بل نحن أحق لأننا تعدل عنه بدلالة وأنتم تعدلون بشير حجة .. فان قيل فأنتم

أَيْضاً تَعْدِلُونَ عَنْ هَذَا الظَّاهِرِ بِعَيْنِهِ عَلَى تَأْوِيلِكُمْ وَتَحْمِلُونَ لَفْظَ الاسْتِثْنَاءِ عَلَى لَفْظِ
الْمَاضِي . . قُلْنَا لَا حَتَّاجَ نَحْنُ فِي تَأْوِيلِنَا إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّا إِذَا حَمَلْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى (وَمَا تَعْمَلُونَ)
عَلَى الْأَصْنَافِ الْمَعْمُولِ فِيهَا . . وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَصْنَافَ مَوْجُودَةَ قَبْلَ عَمَلِهِمْ لَهَا حَازَ أَنْ يَقُولَ
تَعَالَى إِنِّي خَلَقْتُهَا وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَلَقْتُ مَا سَبَقَ مِنَ الْعَمَلِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ عَلَى أَنَّهُ
تَعَالَى لَوْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَعْمَالَهُمْ لِأَمَّا عَمَلُوا فِيهِ عَلَى مَا دَعَوْهُ لَمْ يَكُنْ فِي الظَّاهِرِ حُجَّةٌ عَلَى مَا
يُرِيدُونَ لِأَنَّ الْخَلْقَ هُوَ التَّقْدِيرُ وَالتَّسْدِيرُ وَلَيْسَ يَمْتَنِعُ فِي اللَّفْظِ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ خَالِقًا
لِفِعْلٍ غَيْرِهِ إِذَا قَدَرَهُ وَدَبَّرَهُ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ خَلَقْتَ الْأَدِيمَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْأَدِيمُ فَعَلًا
إِنْ يَقُولُ ذَلِكَ لَهُ وَيَكُونُ مَعْنَى خَلْقِهِ لِأَفْعَالِ الْعِبَادِ أَنَّهُ مُقَدَّرٌ لَهَا وَمَعْرُوفٌ لَنَا مُقَادِيرُهَا
وَمُرَاتِبُهَا وَمَا هِيَ فَتَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا مِنَ الْجَزَاءِ وَلَيْسَ يَمْتَنِعُ أَنْ يُقَالَ أَنَّهُ خَالِقُ الْأَعْمَالِ عَلَى هَذَا
الْمَعْنَى إِذَا ارْتَفَعَ الْإِبْهَامُ وَلَهُمْ الْمُرَادُ مِنْ هَذَا كَلِمَةُ تَقْنِضِيهِ الْآيَةَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ شَيْءٌ كَمَا
ذَكَرْنَاهُ مِمَّا يَوْجِبُ الْعَدُولَ عَنْ حُلِّ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا تَعْمَلُونَ) عَلَى خَلْقِ نَفْسِ
الْأَعْمَالِ لَوَجِبَ أَنْ نَعْدِلَ بِهَا عَنْ ذَلِكَ وَنَحْمِلَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ بِالْأَدَلَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْأَدَلَةِ عَلَى
أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَالِقًا لِأَعْمَالِنَا وَإِنْ تَصَرَّفْنَا مَعَهُ مِنْهُ وَلَا قَاعِلَ لِهَوَانَا وَكُلِّ
هَذَا وَاضِحٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْمِنَّةُ . . [قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاتَى
لَا تَحْسَنَ لِبَعْضِ لِسَانِ بَنِي أَسَدٍ قَوْلَهَا

أَلَمْ تَرَنَا غُبَا مَاؤُنَا	زَمَانًا قَظَلْنَا نَكْثُ الْبَارَا
فَلَمَّا عَدَا الْمَاءُ أَوْطَانَهُ	وَجَفَّتِ الثَّمَادُ فَصَارَتْ حَرَارَا
وَضُبَّتْ إِلَى رَبِّهَا فِي السَّمَاءِ	رُؤُوسُ الْمُصَاوِ تُنَاجِي السَّرَارَا
وَفَتَحَتْ الْأَرْضُ أَفْوَاهَهَا	عَجِيجَ الْجِبَالِ وَرَدْنَ الْجِفَارَا
لَبِسْنَا لَدَى عَطَنِ لَيْلَةٍ	عَلَى الْيَاسِ أَثْيَابَنَا وَالْخِمَارَا
وَقُلْنَا أَعِيزُوا لِنَدَى حَقَّةٍ	وَسِيرُوا لِحِفَاظِ وَمُوتُوا حَرَارَا

فَإِنَّ النَّدَى لَمَيَّ مَرَّةً يَرِدُ إِلَى أَهْلِهِ مَا اسْتَعَاوَا
فَقَبِلْنَا نُوْطُنُ أَحْشَاءَنَا أَضَاءَ لَنَا عَارِضٌ فَاسْتَطَارَا
فَأَقْبَلَ يَرْحَفُ زَحْفَ الْكَسِيرِ سِيَاقَ الرِّعَاءِ الْبَطَاءِ الْعِشَارَا
تُغْنِي وَتَضْحَكُ حَافَاتُهُ خِلَالَ النَّعَامِ وَتَبْكِي مِرَارَا
كَأَنَّا تُضِيُّ لَنَا حُرَّةٌ تَشُدُّ إِزَارَا وَتُلْقِي إِزَارَا
فَلَمَّا خَشِينَا بَأْنَ لَا نَجِيَّ وَأَنَّ لَا يَكُونُ فِرَارُ فِرَارَا
أَشَارَ إِلَيْهِ أَمْرُو فَوْقَهُ هَلُمُّ فَاهْلُمُّ إِلَى مَا أَشَارَا

وَأَنشَدَ أَبُو هِنَانٍ لَوْلَادَةَ الْهَرَمِيَّةِ

لَوْلَا آتَقَاهُ اللَّهُ فَمَتُ بِمُفْخِرٍ لَا يَبْلُغُ الثَّمَلَانِ فِيهِ مَقَامِي
بِأُجُوءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَادَةٍ بَدَّوْا الْعُلَا أَمْرَاهُ فِي الْإِسْلَامِ
جَادُوا فَسَادُوا مَا نَعِمِينَ أَذَاهُمْ لِنَدَاهُمْ فَضْلٌ عَلَى الْأَقْوَامِ
لَعَدَانَجِبُوا فِي السُّودِّ دِينَ وَأَنْجَبُوا بِنَجَابَةِ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ
قَوْمٌ إِذَا سَكَنُوا تَكَلَّمُ بِمَجْدِهِمْ عَنْهُمْ فَأَخْرَسَ دُونَ كُلِّ كَلَامِ

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ

أَيَا أَخَوَيَّ الْمَلْزَمِيَّ مَلَامَةً أَعِنْدَكُمَا بِاللَّهِ مِنْ مِثْلِ مَايَا
سَأَلْتُكُمَا بِاللَّهِ إِلَّا جَعَلْتُمَا مَكَانَ الْأَذَى وَاللَّوْمِ أَنْ تَأْوِيَا
أَيَا أَمْتَا حُبُّ الْهَلَالِي قَاتِلِي شَطُونُ النَّوْمِيِّ يَحْتَلُّ عَرْضَا يَمَانِيَا
أَتَشْمُ كَفْصَنِ الْبَانِ جَمْعَهُ مُرْجَلٌ شَغِفْتُ بِهِ لَوْ كَانَ شَيْئًا مُدَانِيَا
فَلَوْ لَمْ أَوْسِدْ سَاعِدِي بِمَدِّهِجَةٍ غُلَامًا هَلَالِيَا فَشَلْتُ بَنَانِيَا

تَكَلَّتْ أُنَىٰ إِنْ كُنْتُ دُفْتُ كَرِيهِهِ سَلَفًا وَلَا مَاءَ الْغَمَامَةِ غَادِيَا
 أَلَمْ كَثِيرًا لَّهُ ثُمَّ شَرَّتْ بِهِ خَلَّةٌ يَطْلُبَنَّ بَرْقًا يَمَانِيَا
 ولصاحبة الهلالية أيضاً

وَلِمَنِّي لِأَهْوَى الْقَصْدِ ثُمَّ يَرُدُّنِي عَنْ الْقَصْدِ مِيلَاةُ الْهَوَىٰ فَأَمِيلُ
 فَمَا وَجَدْتُ مَسْجُونٍ بِصَنَاءِ مَوْثِقٍ بِسَاقِيهِ مِنْ حَبْسِ الْأَمِيرِ كَبُولُ
 وَمَا لَيْلُ مَوْلَى مُسْلَمٍ بِجَرِيرَةِ لَهُ بَعْدَ مَا نَأَمَ الْعِيُونُ عَوِيلُ
 بَأْكَثَرِ مَنِي لَوْعَةٍ يَوْمَ رَاغَنِي فَرِيقُ حَبِيبٍ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

ولعمرة بنت ^(١) المجلان أخت عمرو ذي الكلب بن عجلان الكامل ترى أختها عمرا وقد كان في بعض غزواته نائما فوثب إليه نمران فأكلاه فوجدت قيسلة فهم سلاحه فادعت قتله هي

سَأَلْتُ بِعَمْرٍو أَخِي صَحْبَهُ فَأَنْظَعَنِي حِينَ رَدُّوا السُّؤَالَ^(٢)
 وَقَالُوا أَيْتِجَ لَهُ نَائِمًا أَعْرَ السَّيَاحَ عَلَيْهِ أَحَالًا^(٣)

[١] قوله - ولعمرة بنت المجلان الخ - قلت نسبها غيره لاخته جنوب - وقوله فوثب إليه نمران فأكلاه - قال صاحب زهر الآداب قال عمر بن شبة كان عمرو هذا يفرزو فوما فيصيب منهم فوضعوا له رسدا على الماء فأخذوه فقتلوه ثم مروا بإخته جنوب فقالوا اطلبينا أخاك فقاتلنا طلبتموه لتجدنه متبعاً ولنا وصفتوه لتجدنه مريباً ولنا دعونهم لتجدنه سرياً والله لننسلبتموه لنجدون ثبته دامية ولا حجزه حامية ولرب قدى منكم قد افترشه ونهب قد احترشه وضب قد احترشه - ثم قلت هذه الابيات انتهى [٢] قولها - سألت بعمر - الباء بمعنى عن وأخي عطف بيان - وصحبه - مفعول سألت وهو مغاف الى ضمير عمرو وصحب جمع صاحب - وأنظعتني - هددني قبحه

وشدته - يقال أظفطع الامر افظطاعا وفضط فظاعة اذا جاوز الحد في التبعج [٣] قولها - أيتج له الخ - أيتج مجهول أتاح الله له بالثناء والثناء المفعلة بمعنى

أَتَيْحَ لَهُ نَمْرًا أَجْبَلٍ فَتَلَا لَعْمَرَكَ مِنْهُ مَنَالًا^(١)
 قَافَسَتْ بِأَعْمُرُو لَوْ نَبْهَكَ إِذَا نَبْهًا مِنْكَ أَمْرًا عُضَالًا^(٢)
 إِذَا نَبْهًا لَيْثَ عَرِيْسَةٍ مَفِيئًا مَفِيْدًا نَفُوسًا وَمَالًا^(٣)
 هَزَبْرًا فَرُوسًا لِأَعْدَائِهِ هَصُورًا إِذَا لَقِيَ الْقَرْنَ صَالًا^(٤)
 هُمَا مَعَ تَصَرَّفِ رَبِّبِ الْمَنُونِ مِنْ الْأَرْضِ رُكْنًا نَبِيئًا أَمَالًا^(٥)

قضى وقدر والماء فله لعمرو - ونأما حاله - وأمر السباع - نائب فاعله أتيسح وهو من العرارة بالعين والراء المهملتين وهو سوء الخلق - وأحال - بالحاء المهملة - قال السكري أى يركب عليه فقتله وأكله

[١] قولها - أتيسح له نمرًا أجبل - أى قدر له ونمرًا منى نمر مضاف الى أجبل جمع جبل وتصحفت هذه الكلمة على العين فقال قولها نمرًا جيئل - أى نمران من جيئل أى سبعان من جيئل والنمر السبع والجيئل يفتح الجيم وسكون الياء وفتح الهزرة وهو الضبع هذا كلامه وهو محريف قطعاً

[٢] قولها - قافست بأعمرو الخ - هذا التثاق من التبية الى الحضور وضهير المثنى في نبهك للتدوين .. وروى - داه عضالا - أى شديداً أعيا الاطباء

[٣] قولها - ليث عريسة - قال الجوهرى المريس والعريسة مأوى الأسد - والمفيد - معناه يعطى الفائدة كذا ورد بالمعنيين - ومفيت - بالناء .. قال السكري أى مهلك النفوس والمال وتصحفت هذه الكلمة على الصبي فرواها بالقاف .. وقال مقيئاً أى مقتندراً كالذى يعطى كل رجل قوته .. ويقال المقيت الحافظ لشيء والشاهد له وانفوس يرجع الى المقيت والمال يرجع الى المفيد هذا كلامه

[٤] وقولها - هزبراً فروساً الخ - الهزبر الاسد الضخم الشديد - والفروس - الكثير الاقتراس للمصيد - وهصوراً - من الحصر وهو الجذب والأخذ بقوة - والقرن - بالكسرة كذؤك فى الشجاعة أو عام - وصال على قرنه سطا

(٥) قولها - هما مع تصرف ربب المنون الخ - ربب المنون حوادث الدهر .. قال

هُمَا يَوْمَ حُمٍّ لَهُ يَوْمُهُ وَقَالَ أَخَوْفُهُمْ بَطَلًا وَقَالَ^(١)
 وَقَالُوا قَتَلْنَاهُ فِي غَارَةٍ بَأَيَّةٍ مَا إِنَّ وَرَثَتَا النَّبَالَا^(٢)
 فَهَلَا وَمَنْ قَبْلَ رَبِّ النَّونِ فَقَدْ كَانَ رَجُلًا وَكُنْتُمْ رِجَالًا
 وَقَدْ عَلِمْتُمْ فَمَنْ يَوْمَ اللِّقَاءِ بَأَنَّهُمْ لَكَ كَانُوا نَقَالَا
 كَأَنَّهُمْ لَمْ يَحْصُوا بِهِ فَيُخَلُّوا الذِّئَاءَ لَهُ وَالْحِجَالَا^(٣)
 وَلَمْ يَنْزِلُوا بِمُحُولِ السَّيْنِ بِهِ فَيَكُونُوا عَلَيْهِ عِيَالَا
 وَقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ وَالْمُجْتَدُونَ إِذَا غَبَرَ أَفْقٌ وَهَبَّتْ شَمَالَا^(٤)

السكري ثبت ثابت .. وروى غيره بدله شديداً

[١] قولها - هما يوم حم له يومه - الخ .. قال السكري هما تعني الثمرين - وحم -
 قضى وقدر - وقاله بالفاعل أى أخطأ رجله قائل الرأى وقيل أى ضعيف الرأى - وفهم -
 قبلة ولهذا منعه الصرف كذا قال عبد القادر .. والبيت لا يخفى أنه مكدر وهو
 ساقط من المعنى

[٢] قولها - وقالوا قتلناه - روى نحن بدل قالوا .. قال السكري نهزأ بهم - والآية
 العلامة - والتبال - السهام - ورجل - قال السكري هو الرجل يقال رجله ورجله أى
 يسكون الجليم وضموه .. وروى غيره قدأ بدل رجلا - والفذ - بالفاء والذال المعجمة هو
 الفرد - والثفال - الضنأ جمع ثفل بتحتين وهي الغنيمة

[٣] وقولها - كأنهم لم يحصوا به - الخ من حسبت بالخبر من باب تمب أى علمته
 وشعرت به - ويخولوا - من أخايته أى جعلته خاليًا والحجال - جمع عجلة بالحرىك
 وهو بيت يزين بالتياب والاسرة والنور

[٤] قولها - وقد علم الضيف والمجتدون - الخ المجتدون - هم الطالبون الجدا وهم
 المعطية .. وروى المرملون بدل قولها المجتدون - والمرملون - من أرمل القوم اذا فقد
 زادهم وفاعل هبت شمير الريح وان لم يجر لها ذكر لهنهما من قولها اذا غبر أفق فان

وَحَلَّتْ عَنْ أَوْلَادِهَا الْمَرْضِعَاتُ وَلَمْ تَرَ عَيْنٌ لِمَزْنٍ بِلَالاً^(١)
بَأَنَّكَ كُنْتَ الرَّبِيعَ الْمُفِيتَ لِمَنْ يَمْتَدِّيكَ وَكُنْتَ السَّحَابَ^(٢)

اغبراره انما يكون في الشتاء الكثرة الامطار واختلاف الرياح - والتملأ بالفتح وبكسر
ريح تهب من ناحية القطب وهو حال وانما خست هذا الوقت بالذكر لانه وقت تقل
فيه الأرزاق وتقطع السبل ويتقل فيه الصيف فالجود فيه غاية لا تدرك

[١] قولها - وحلت عن أولادها المرضعات الخ .. قال أبو حنيفة انما حلت
أولادها من الاعواز لم يجدن قوتا واغبرار الأفق من الجذب وأراد هبت الريح شمالا وهي
تضمر وان لم تذكر لكثرة ما ذكر انتهى - والمزن - السحاب والبلال - بالكسر البلال
[٢] قولها بأنك كنت الربيع - الخ الربيع متاويس الزمان .. قال ابن قتيبة في باب

ما يصح الناس غير موضعه وهو أول كتابه أدب الكتاب ومن ذلك الربيع يذهب الناس
الي أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه النور والتور ولا يعرفون الربيع غيره
والعرب مختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو
الحريف وفصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه
العامة الربيع ثم فصل القيظ الذي بعده وهو الذي تدعوه العامة الصيف ومن العرب
من يسمى الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الحريف الربيع الاول .. ويسمى الفصل
الذي يتلو الشتاء ويأتي فيه الكدأة والتور الربيع الثاني وكلهم مجمعون على أن الحريف
هو الربيع اه .. قال شارحه ابن السيد مذهب العامة في الربيع هو مذهب المتقدمين
لأنهم كانوا يجعلون حلول الشمس برأس الحن أول الزمان وشبابه وأما العرب فاتهم
جعلوا حلول الشمس برأس الميزان أول فصول السنة الاربعة وسموه الربيع .. وأما
حلول الشمس برأس الحلة فكان منهم من يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم
ربيعان وكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم ربيع واحد وأما
الربيعان من الشهور فلا خلاف بينهم انهما أشان ربيع الاول وربيع الآخر انتهى
- والقيظ - المطر والكلأ - يثبت بهاء السماء والمراد بهذا الوصف بالربيع وهو الحبيب فتح

وَحَرْقَ نَجَاوَزَتْ مَبْهُولُهُ بَوَجَاءِ حَرْفِ تَشْكِي الْكَلَالَا^(١)
 فَكُنْتُ النَّهَارَ بِهِ شَمْسُهُ وَكُنْتُ دُجِي اللَّيْلِ فِيهِ الْهَلَالَا
 وَخَيْلٍ تَمَّتْ لَكَ فُرْسَانُهَا فَوَلَّوْا وَلَمْ يَسْتَقِلُّوا قَبَالَا
 وَكُلُّ قَبِيلٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أُرْدَتْهُمْ مِنْكَ بِأَثْوَاوِ جَالَا^(٢)

اليم وضما في القاموس مرع الوادي مثله الراء مراعاة كلاً كما مرع - والنمل - بكسر
 المثناة - قال الدينوري هو الذعر وقال غيره هو الغيث - والمقيث - من الاغاث - وروى
 يعزيك - أي من يوصلك - وروى

بانك ربيع وغيث مرئ وأنت هناك تكون النخلا

والبيت يستشهد به المحررون في باب أن الخففة من الثقلية وهو من الضرورة لأن اسم
 ان الخففة شرطه أن يكون ضميراً محذوفاً - قال ابن هشام ورماعاً ثبت وأنشد البيت
 وهو مختص بالضرورة على الأسح وشرط خبرها أن يكون جملة ولا يجوز إفراده إلا
 إذا ذكر الاسم فيجوز الأمران وقد اجتمعا في البيت - وقال في التصريح ان البيت
 ضرورة من وجهين عند ابن الحاجب كونه غير ضمير الشأن وكونه مذكوراً وعند
 ابن مالك من وجه واحد وهو كونه مذكوراً - قلت وروى عن ابن مالك أنه
 قال إذا أمكن جعل الضمير المحذوف ضمير حاضر أو غائب غير الشأن فهو أولى -
 وعن أبي حيان أنه قال لا يلزم أن يكون ضمير الشأن كما زعم بعض أصحابنا بل إذا أمكن
 تقديره بغيره قدر

[١] قولها - وخرق - الراو فيه واو رب وهو بفتح الخاء المعجمة الفلاة الواسعة
 تخرق فيها الرياح وهو مجرور رب المضمرة أو الواو الموضوعة منها - ونحوه - الذي لا يسلك
 - والوجنام بالجم الناقة الشديدة - والحرف - الضامرة العلبة - وتشكي - مضارع أصله
 تشكى يتامين - والكلال - الأعياء

[٢] قولها - وكل قبيل وإن لم تكن الخ - وروى كم بدل كل والتبديل هنا جمع قبيلة
 - والوجل - جمع وجل - بفتح فكسر وهو الخائف من الوجع - فبشعين وهو الخوف

﴿ مجلس آخر ٧٤ ﴾

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم) ^(١) .. فقال أوليس ظاهراً

[١] قوله - تعالى (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم) الآية .. في هذه الآية خلاف في النحويين من جعل الشرط الثاني معترضاً بين الشرط الأول وجوابه المقدر ومنهم من قال ليست من هذا الباب .. قالوا وحججتنا على ذلك أنا نقدر جواب الشرط الأول تألياً له مدلولاً عليه بما تقدم عليه وجواب الثاني كذلك مدلولاً عليه بالشرط الأول وجوابه المتقدمين عليه فيكون التقدير ان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي .. واعلم ان الشرط اذا دخل على شرط فتارة يكون بمعطف وتارة يكون بغيره فاذا كان بمعطف فاطلق ابن مالك ان الجواب لأولها لسبقه ولصلته بغيره فقال ان كان المعطف بأو فالجواب لها لأن الأو للجمع نحو ان تأتي وان تحسن الى أحسن اليك وان كان المعطف بأو فالجواب لأحدهما لأن أو لأحد الشئين نحو ان جاء زيد أو إن جاءت هند فأكرمه أو فأكرمها وان كان المعطف بالفاء فالجواب للثاني والثاني وجوابه للجواب للأول وان كان بغير عطف فالجواب لأولها والشرط الثاني مقيد للأول كتنقيده بحال واقعة موقعه كقوله

ان تستغيثوا بنا ان تذرنا نجهدوا منا معا قبل عز زانها ككرم
لنجهدوا جواب ان تستغيثوا وان تذرنا بالبناء للمفعول مقيد للأول على معنى ان تستغيثوا بنا مدعورين نجهدوا .. ومن فروع المسئلة وهي اعتراض شرط في شرط ما اذا قال لامرأته ان أكلت إن شربت فأنت طالق فلا تطلق على الاصح الا اذا شربت ثم أكلت لأن التقدير عليه ان شربت فان أكلت فأنت طالق فالثاني أول والاو ثان وعلى مقابلة لا تطلق الا اذا أكلت ثم شربت لان التقدير عليه ان أكلت فان شربت فأنت طالق فالاول أول والثاني ثان .. واعلم ان تصحيح الاول هو على مذهب (٢٠ - امالي رابع)

هذه الآية يقتضي ان نصيح النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفع الكفار الذين أراد الله تعالى بهم الكفر والفجوة وهذا بخلاف مذهبكم . . قلنا ليس في ظاهر الآية ما يقتضيه خلاف مذهبنا لأنه تعالى انه لم يقل انه فضل الفجوة وأرادها وإنما أخبر أن نصيح النبي عليه الصلاة والسلام لا ينفع ان كان الله يريد غوايهم ووقوع الارادة لتلك أو جواز وقوعها لادالة عليه في الظاهر على أن للفجوة هنا الخلية وحرمان الثواب وبشهادة بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسَ أَمْرُهُ وَمَنْ يَنْوُلَا يَحْدُمُ عَلَى النَّبِيِّ لَا نِيَمًا^(١)

الشافعية والحنفية ووجه ابن الحاجب بأنه لا يصح أن يكون الجواب للشرطين معاً والا توارد معمولان على معمول واحد ولا لغيرهما والا لزم ذكر ما أدخل له في ربط الجزاء وترك ما له دخل ولا لثاني لأنه يلزم حينئذ أن يكون الثاني وجوابه جواب الأول فتجب الفاء ولا فاء وحذفها شاذ أو ضرورة فتعين أن يكون جواباً للأول والأول وجوابه دليل جواب الثاني . . قال الدهماني ومذهب مالك الطلاق سواء أتت بالشرطين مرتين كما في اللفظ أو عكست الترتيب . . قال وبعض أصحابنا يوجه ذلك بأنه على حذف واو المعطف كما في قول الشاعر

كيف أصبحت كيف أصبحت بما بفرس الود في قنود الغيب

. . ثم قال ولا أدري وجه اشتراط أهل المذهبين يعني مذهبي الشافعية والمالكية في وقوع الطلاق فعلمنا لمجموع الأمرين مع أنه يمكن أن يكون جواب الأول محذوفاً لدلالة جواب الثاني ولا محذور في حذف الجواب بل هو أسهل من تقديرهم لما فيه من الخلف والفصل بين الشرط الأول وجوابه بالشرط الثاني

(١) البيت - من قصيدة للرفقش الأصغر واسمه ربيعة بن سفيان والمرثى الأكبر عمه وهو عم طرفة بن العبد وهذه القصيدة يقولها في قصة جرت له مع معشوقته فاطمة بنت النذو ووليدتها بنت العجلان ومطلما

ألا يا يحيى لا سبرنى عنك قطما ولا أبداً ما دام وصلك دائماً

لَكَاهُ نَعَالِي قَالَ ان كَانَ اللهَ يَرِيدُ أَنْ يَصَاقِبَكُمْ بِسُوءِ أَعْمَالِكُمْ وَكَفَرِكُمْ وَيَجْزِمَكُمْ نَوَابِهِ
فَلَيْسَ يَنْفَعَكُمْ نَصِيحِي مَا دُمْتُمْ مُقِيمِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَطِيعُوا وَتَتُوبُوا وَقَدْ سَمِعَ
اللهُ تَعَالَى الْمُقَابِلَ غِيَا ٥٠ فَقَالَ تَعَالَى (لَسَوْفَ يَأْتُونَ غِيَا) وَمَا قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ بِشَهِيدٍ

وَمِنْكَ ابْنَةُ الْبَكْرِ عَنِ فَرْعِ ضَالَةٍ وَهِيَ بِنْتُ خُوصٍ يَخْلُفُ نَعَامًا

تَرَأَتْ لَنَا يَوْمَ الرَّحِيلِ بَوَارِدَ وَعَذِبَ الثَّنَائِيَا لَمْ يَكُنْ مَثَرَاكَا

سَقَاهُ حَبِي الْمَزْنُ مِنْ مَهَالٍ مِنَ الشَّمْسِ رَوَاهُ رَبَابَا سَوَاجَا

أَرْنَتْكَ يَذَاتَ الضَّالِّ مِنْهَا مَعَاصِمَا وَخَدَا أَسِيلَا كَاوِذِيَّةَ نَاعِمَا

صَحَابِلُهُ عَلَيْهَا عَلَى أَنْ ذِكْرَةَ إِذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ قَائِمَا

تَبْصِرُ خَلِيلِي عَلَى تَرَى مِنْ طَعَانٍ خَرَجْنَا سَرَاوَا وَقَعْمَدْنَا لِقَائِمَا

تَحْمِلُنْ مِنْ جَوِّ الْوَرِيْطَةِ بَعْدَمَا تَعَالَى النَّهَارُ وَاجْتَزَعْنَا الصَّرَاغَا

تَحْلِيْنُ يَاقُوْنَا وَشَذْرَا وَصِيْغَةَ وَجَزْمَا ظَفَارِيَا وَدَرَا قَوَائِمَا

سَلَكْنَا الْقَرَى وَالْجَزْعَ نَحْدَى جَاهِلْمَ وَوَرَكْنَا قَوْنَا وَاجْتَزَعْنَا الْخَارِمَا

أَلَا حَبْدَا وَجْهًا تَرَيْنَا بِيَاضَهُ وَمَنْسَدَلَاتٍ كَالثَّلَاثِي قَوَاحِمَا

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ جَانِعَا خَيْصَا وَأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ طَاعِمَا

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ وَالْخَرْقَ بَيْنَنَا مَخَالِفَةُ أَنْ تَلْقَى أَخَايَ سَارِمَا

وَإِنِّي رَأَيْتُ قُلُوصِي لِرَاجِمَ بِهَا وَبَنَفَى يَافُطِيمَ الْمَرَاجِمَا

أَلَا يَاسَلُمِي بِالْكَوْكَبِ الطَّلُوقِ فَاطِمَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَرْفُ الذَّوَى مَتَلَانِمَا

أَلَا يَاسَلُمِي ثُمَّ اسَلُمِي إِنْ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَرْدِي مِنْ نَوَاكٍ فَاطِمَا

أَفَاطِمُ لَوَأْنِ الْإِسَاءِ بِيَسْلَمَةِ وَأَنْتِ بَاخِرَى لَا تَبْعُدُكَ هَامِمَا

مَتَى مَا تَشَاوُذُ الْوَدَّ بِصَرْمِ خَلِيلِهِ وَيَعْبُدُ عَلَيْهِ لَأَعْمَالُهُ ظَالِمَا

وَأَلِي جَنَابُ حَلْفَةٍ فَاطِمَةُ فَتُفْسِكَ وَلِ الْقَوْمِ أَنْ كُنْتَ لَاغِمَا

فَنَ يَلْقَى خَيْرًا بِمُحَمَّدٍ النَّاسِ أَمْرُهُ وَمَنْ يَفُو لَا يَصْدُمُ عَلَى الْإِنِّي لَاغِمَا

أَلَمْ تَرِ أَنَّ الْمَرْهَ يَحْدُمُ صَكْفَهُ وَيَحْشُمُ مِنْ لَوْمِ الصَّدِيقِ الْجَانِمَا

أَمِنْ حَلْمٍ أَصْبَعَتْ تَتَكَّنْ وَاجِبَا وَقَدْ تَعْتَرِي الْأَحْلَامُ مَنْ كَانَ نَائِمَا

عنا ذكرناه وان القوم استعملوا عتاب الله تعالى { فقالوا يا نوح قد جدلتنا فأكثر
 جملتنا الى قوله (ولا ينفعكم نصحي) فاجبر ان الله لا ينفع من يريد الله تعالى أن ينزل
 به العذاب ولا يغني عنه شيئاً ٥٥ وقال جعفر بن حرب ان الآية تنافي بأنه كان في قوم
 نوح عليه السلام طاعة لقول بالجبر فذهبهم الله تعالى بهذا القول على فساد مذهبه وقال
 لهم على طريق الإنكار والتعجب من قولهم ان كان القول كما تقولون من أن الله يفعل
 بكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحاً وأنتم على ذلك لا تنفعون
 به وهذا جيد ٥٥ وروى عن الحسن البصري في هذه الآية وجه صالح وهو أنه قال
 المعنى فيها ان الله يريد أن يذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبله وه
 وأنتم به لأن من حكم الله تعالى أن لا قبل الايمان عند نزول العذاب وهذا كله واضح
 في زوال الشبهة بالآية ٥٥ [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن مستحسن ما قيل
 في صفة المصلوب قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها للمنعم وبذكر قبل الاثنين
 وحرقه وصلبه

ما زال سرُّ الكفر بين ضلوعه	حتى اضطلَّ سرُّ الزناد الواري
ناراً يساورُ جسده من حرِّها	لهبٌ كما عصفت شقُّ إزار
طارَتْ لها شعلٌ يدهمُ لفتحها	أزكأنه هتماً ينيرُ غبار
فصلن منه كلَّ مجمع مفصل	وقعلن فارقةً بكلِّ قفار
مشبوبة زفت لأعظم مشرك	ما كان يزفعُ ضوءها للساري
صلى لها حياً وكان وقودها	ميتاً ويدخلها مع الكفار
وكذلك أهل النار في الدنيا هم	يَوْمَ القيامةِ جلُّ أهل النار
يامشهداً صدرت بفرحته إلي	أمصارها القصوى بنو الأمصار
دموا أهالي جذعه فكانت	دموا الهلال عشيّة الإفطار

وَأَسْتَشْقُوا مِنْهُ قَنَازًا تَشْرُهُ
وَتَحَدِّثُونَ عَنْ هَٰلِكِهِ كَحَدِيثٍ مَنْ
قَدْ كَانَ بَوَّاهُ الْخَلِيفَةُ جَانِبًا
فَسَقَاهُ مَاءَ الْخَفَضِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ
وَلَقَدْ شَفَى الْأَحْشَاءَ مِنْ تَرْحَاتِهَا
ثَانِيهِ فِي كِبَدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
فَكَأَنَّمَا اتَّبَدَا لِكَيْمَا يَطْوِيَا
سُودُ اللَّبَاسِ كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ
بَكْرُواوَأَسْرَوَانِي مَتُونِ ضَوَامِرٍ
لَا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهُمْ
كَادُوا النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى فَتَقَطَّعَتْ

مِنْ عَنَبٍ دَفِيرٍ وَمِسْكِ دَارِي
بِالْبَدْوِ عَنْ مُتَابِعِ الْأَمْطَارِ
مِنْ قَلْبِهِ حَرَمًا عَلَى الْأَقْدَارِ
وَأَنَامَةٌ فِي الْأَمْنِ غَيْرَ غَرَارٍ
أَنْ صَوَّارَ بَابِكَ جَارِمًا زِيَارٍ
كَاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ (١)
عَنْ بَاطِسٍ خَبَرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
أَيْدِي السَّوْمِ مَدَارِعًا مِنْ قَارٍ
فَبَدَّتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ مَرَبِطِ النَّجَّارِ
أَبْدَاعًا عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ
أَعْنَاقَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِضْمَارِ

(١) قوله - ولم يكن كاثنين ثانٍ إلخ - قد غلط بعض الفضلاء بأتمام في هذا التركيب قال لأنه إنما يقال ثاني اثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة ولا يقال اثنين ثانٍ ولا ثلاثة ثالث ولا أربعة رابع . . وأجاب بعضهم بأن في الكلام تعديماً وتأخيراً وتعليقاً بالتركيب وتغييراً وهو أن التقدير ولم يكن كاثنين إذ هما في الفاران والمراد أنه لم يكن كهذه القضية قضية أخرى . . وقال بعضهم إن ثانيه خبر ثانٍ لفسار ولكن جعل من قبله أعطى القوس باريها في ترك النصب إذ هو خبر لمبتدأ محذوف ولم يكن بمعنى لم يصير لقريظة سياق أن سار وثان اسمه وتزويده عوض عن الضمير المضاف إليه وكاثنين خبره وفيه مضاف محذوف والمآل ولم يصير ثانيه كثنائي اثنين إذ هما في الفار لأنهما تجاورا في العلو لافي القور والغرض أن يصف مصلوبه بالارتفاع لكن في المصوب وهو من التكم الملبس

وله يذكر صلب بابك

لَمَّا أَقْضَى رَمَضَانُ مِنْهُ قَضَاءَهُ
مَازَالَ مَغْلُولَ الْعَزِيمَةِ سَادِرًا
مُسْتَسِيلًا لِلْمَوْتِ طَوْفًا مِنْ دَمٍ
أَهْدَى لِنَارِ الْجَذَعِ مَتْنِيَهُ كَذًا
مَنْ عَافَ مَتْنِ الْأَسْمَرِ الْمَسَالِ
مَعَ أَنَّهُ مِنْ كُلِّ كَتَبٍ عَالٍ
وَسُوءُهُ مِنْ ذَلَّةٍ وَسَفَالٍ
مَنْ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْأَشْغَالِ
مُتَفَرِّغٌ أَبَدًا وَلَيْسَ بِفَارِغٍ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه .. ومن عجيب الأمور أن أبا العباس أحمد ابن عبد الله بن عمار يشد هذه الأبيات المقرطة في الحسن في جملة مقام أبي تمام، وما خرج بزمعه من سقطه وغلطه ويقول في عقبها ولم لسمع في شعر وصف فيه مصلوب باغت من هذا الوصف وأين كان عن مثل إبراهيم بن المهدي يصف صلب بابك في قصيدة يمدح بها المصنم

مَازَالَ يَغْنَفُ بِالنَّعْمَى فَنَفَرَهَا
حَتَّى عَلَى حَيْثُ لَا يَنْحَطُّ مُجْتَمِعًا
بِأُفْعَةٍ ضَرَبَتْ فِيهَا عِلَاقَتُهُ
بُورِكَتِ أَرْضَاؤُهَا وَطَانَا مَبَارَكَةٌ
لَوْ تَقَدَّرَ الْأَرْضُ حُجَّتُكَ الْبِلَادُ فَلَا
لَمْ يَبْكُ إِلَّا حِينَ الْبَصَرَةِ
كَثَافَةِ النَّحْرِ تَزْهِي تَحْتَ زِينَتِهَا
عِنْدَ النُّمُوطِ وَوَأَفْتَهُ الْأَرَاصِيدُ
كَمَا عَلَا أَبَدًا مَا أَوْزَقَ الْعُودُ
وَعَنْقُهُ وَذَوَتْ أَغْصَانُهُ الْعِيدُ
مَاعْنِكَ فِي الْأَرْضِ لِلتَّقْدِيسِ تَعْمِيدُ
يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا حَجَّ جَلْمُودُ
فِي زِيهِ وَهُوَ فَوْقَ الْقَبِيلِ مَصْفُودُ
وَحَدُّ شَفَرَتِهَا لِلنَّحْرِ عُدُودُ

مَا كَانَ أَحْسَنَ قَوْلِ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ أَيُّومُ بَابِكَ هَذَا أَمْ هُوَ الْعِيْدُ
 صَبَّرْتَ جَنَّتُهُ جَيْدًا لِبَاسِقَةٍ جَرْدَاءُ وَالرَّأْسُ مِنْهُ مَالُهُ جَيْدُ
 فَاضٌ يَلْمَبُ هُوجُ الْمَاصِفَاتِ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ صَلِيْبًا طَرَفُهُ عُوْدُ
 كَأَنَّهُ شَلُو كَبَشٍ وَالْهَوِيُّ لَهُ تَنُوْرُ شَاوِيَةٍ وَالْجِدْعُ سَفُوْدُ

.. وكان لا ينبغي أن يطمعن على أبي تمام من يستجيد هذه الأبيات ويفرط في
 تعريضها وليت من جهل شيئاً عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك أسوأ
 عليه وأولى به وأبيات أبي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني والألفاظ وسلامة السبك
 والحراد اللسج .. وأبيات ابن المهدي مضطربة الألفاظ مختلفة اللسج متفاوتة الكلام
 وما فيها من يجوز أن يوضع اليد عليه إلا قوله

حَتَّى عَلَا حَيْثُ لَا يَنْحَطُّ مَجْتَمِعًا كَمَا عَلَا أَبْدًا مَا أَوْرَقَ الْعُوْدُ

وبعد البيت الأخير وإن كان بارد الألفاظ فقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله

مَا زَالَ يَصِفُ بِالنَّمْعِي وَيَقْطَعُهَا حَتَّى اسْتَقَلَّ بِهِ عُوْدُ عَلَى عُوْدِ
 نَصَبَتْهُ حَيْثُ تَرْتَابُ الظُّنُونُ بِهِ وَيَحْسَدُ الطَّيْرُ فِيهِ أَصْبَعُ الْبِيدِ

ولابحري في هذا المعنى من قصيدة يمدح بها أبا سعيد أولها

لَا دِمْنَةَ بُلُوِي حَبْتٍ وَلَا طَلْلُ يَرُدُّ قَوْلًا عَلَى ذِي لَوْعَةٍ يَسَلُ
 إِنْ مَرَدَّدَتْكَ فِي آيِ الرُّسُومِ فَلَمْ يَصُبْ عَلَيْهَا فَعِنْدِي أَدْمَعُ بَلَلُ
 هَلْ أَنْتَ يَوْمًا مُبِيرِي نَظْرَةٍ قَتَرِي فِي رَمَلٍ يَتَرَيْنَ عَيْرَ اسِيرٍ هَارِمَلُ
 حَمُوا النَّوِي بِجَدَاةٍ مَالِهَا وَطَانُ غَيْرَ النَّوِي وَجِمَالُ مَالِهَا عَقْلُ

يقول فيها

أَمْسَى يَرُدُّ حَرَبِي الشَّمْسِ جَانِبُهُ عَنْ بَابِكَ وَهِيَ فِي الْبَايِنِ تَشْتَعِلُ

بِجُمْلَةِ الْبُرْدِ مِنْ أَقْصَى الثُّغُورِ إِلَى أَذْنَى الْعِرَاقِ سِرَاعًا بِهَا عَجَلُ
 بَرٍّ مَنْ رَأَى مِنْكَ وَسًا تَجَاذَبُهُ أَيْدَى الشَّمَالِ فُضُولًا كُلُّهَا فُضْلُ
 نَقَاوَتُوا بَيْنَ مَرْفُوعٍ وَمُنْخَفِضٍ عَلَى مَرَاتِبٍ مَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا
 رَدَّ الْهَجِيرُ لِحَاظِهِمْ بَعْدَ شَطْنِهَا سُدَّ أَعْيَادُهَا بِأَشْبَابٍ بِإِدْمَامِ أَكْثَلِهَا
 سَمَاءُ لَهَا حَائِلُ الْآسَادِ فِي لَبِّهِ مِنَ الْمَنَآيَا فَأُمْنِي وَهوَ مُحْتَبَلُ
 حَالِي الذَّرَاعَيْنِ وَالسَّافِينِ لَوْ صَدَقَتْ لَهُ الْمُنَى لَتَمَنَّى أَنَّهَا عَطْلُ
 مِنْ تَحْتِ مَطْبَقِ أَرْضِ الشَّامِ فِي قَمَرٍ أَسْرَى يُودُّونَ وَدَا أَنَّهُمْ قَتَلُوا
 غَابُوا عَنْ الْأَرْضِ أَنَايَ غِيَّةٍ وَهُمْ فِيهَا فَلَا فَضْلَ إِلَّا السَّكْنُ وَالرُّسُلُ

وله في هذا المعنى

مَا زِلْتُ تَقْرَعُ بَابَ بَابِكَ بِالْقَنَى وَتَزْوُرُهُ فِي غَارَةِ شَعْوَاءَ
 حَتَّى أَخَذْتَ بِنَصْلِ سَيْفِكَ عَنُودَ مِنْهُ الَّذِي أَعْيَى عَلَى الْأَمْرَاءِ
 أَخْلَيْتَ مِنْهُ النَّدْوَى قَرَارُهُ وَنَصَبْتَهُ عَلَمًا بِأَسْمَاءِ
 لَمْ يَبْقَ فِيهِ خَوْفٌ بِأَسْكَ مَطْمَعًا لِلطَّيْرِ فِي عَوْدٍ وَلَا إِبْدَاءَ
 قَرَارُهُ مُطَرِّدًا عَلَى أَعْوَادِهِ مِثْلَ أَطْرَادِ كَوَاكِبِ الْجَوَازِ
 مُسْتَشْرِفًا لِلشَّمْسِ مُنْتَصِبًا لَهَا فِي أَخْرِيَاتِ الْجِدْعِ كَالْعِرْبَاءِ



﴿ مجلس آخر ٧٥ ﴾

[تأويل آية] ٥٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) الآية ٥٠ فقال كيف أخبر تعالى بأنه أنزل فيه القرآن وقد أنزله في غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية ٥٥ والظاهر يقتضي أنه أنزل الجميع فيه ٥٥ وما المانع في قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وهل أراد الاقامة والحضور الذين هما ضد النية أو أراد المشاهدة والادراك ٥٥ الجواب أما قوله تعالى (أنزل فيه القرآن) فقد قال قوم المراد به أنه تعالى أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا في شهر رمضان ثم فرق انزاله على نبيه عليه الصلاة والسلام بحسب ما تدعو الحاجة اليه ٥٥ وقال آخرون المراد بقوله تعالى (أنزل فيه القرآن) انه أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه كما يقول القائل أنزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد في فرضها وأنزل الله في الحرك كذا وكذا يريد في تحريمها ٥٥ وهذا الجواب انما هرب متكلفه من شيء وظن أنه قد اعتصم بحوايه عنه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لأن قوله تعالى القرآن اذا كان يقتضي ظاهره ازال جميع القرآن فيجب على هذا الجواب أن يكون قد أنزل في فرض الصيام جميع القرآن ونحن نعلم أن قليلا من القرآن يخص إيجاب الصوم لشهر رمضان وان أكثره خال من ذلك ٥٥ فان قيل المراد بذلك انه أنزل في فرضه شيئا من القرآن وبعضا منه ٥٥ قيل لملا اقتصر على هذا وحله الكلام على أنه تعالى أنزل شيء من القرآن في شهر رمضان ولم يخرج الى أن يحمله لفظة في بمعنى في فرضه وإيجاب صومه ٥٥ والجواب الصحيح أن قوله تعالى القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستفراق وانما يفيد الجلس من غير معنى الاستفراق فكأنه قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه) هذا الجلس من الكلام فأي شيء أنزل منه في الشهر فقد طابق الظاهر وليس لأحد أن يقول ان الالف واللام هنا لا يكونان الا للعموم والاستفراق لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة العموم والصورة المنبئة لاستفراق الجلس لم يجب أن يكون هنا بهذه الصفة لأن هذه اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة

من الكلام ولا يراد بها أكثر من الإشارة إلى المجلس والطبقة من غير استتراق وعموم
حتى يكون حمل كلام المتكلم بها على خصوص أو عموم كالناقض لفرقه والمتاني لمراده
ألا ترى أن القائل إذا قال فلان يأكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الأمير اليوم القصوص
وخاطب الجند لم يفهم من كلامه إلا معنى المجلس والطبقة من غير خصوص ولا عموم
حتى لو قيل له فلان يأكل جميع اللحم ويشرب جميع الخمر أو بعضها لكان جوابه أنني
لم أرد عموماً ولا خصوصاً وإنما أريد أنه يأكل هذا المجلس من الطعام ويشرب هذا
المجلس من الشراب فمن فهم من كلامي العموم والخصوص فهو بعينه من فهم مرادي
•• وأرى كثيراً من الناس يغلطون في هذا الموضع فيظنون أن الإشارة إلى المجلس
من غير إرادة العموم والاستتراق ليست مفهومة حتى يحملوا قول من قال أردت المجلس
في كل موضع وهذا بعيد بمن بظنه لأنه كما أن العموم والخصوص مفهومان في بعض
بهذه الالفاظ فكذلك الإشارة إلى المجلس والطبقة من غير إرادة عموم ولا خصوص
مفهومة مميزة وقد ذكرنا أمثلة ذلك •• فأما قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه)
فأكثر المفسرين حملوه على أن المراد بمن شهد منكم الشهر من كان مقياً في بلد غير
مسافر وأبو على حمله على أن المراد به من أدرك الشهر وشاهده وبلغ إليه وهو متكامل
الشروط فليصمه ذهب في معنى شهد إلى معنى الإدراك والمشاهدة •• وقد طعن قوم
على تأويل أبي على وقالوا ليس يحتل الكلام إلا الوجه الأول وليس الأمر على ما ظنوه
لأن الكلام يحتمل الوجهين معاً فإن كان للقول الأول ترجيح ومزية على الثاني من
حيث يحتاج في الثاني من الإضمار إلى أكثر مما يحتاج إليه في الأول لأن قول الأول
لا يحتاج إلى إضمار الإقامة وارتفاع السفر لأن قوله تعالى شهد يقتضي الإقامة وإنما يحتاج
إلى إضمار باقي الشروط من الإمكان والبلوغ وغير ذلك •• وفي القول الثاني يحتاج مع
كل ما أضمرناه في القول الأول إلى إضمار الإقامة ويكون التقدير فمن شهد الشهر وهو
مقيم مطبق بالغ إلى سائر الشروط فمن هذا الوجه كان الأول أقوى وليس لاحد أن
يقول أن شهد بنفسه من غير محذوف لا يدل على إقامة وذلك أن الظاهر من قولهم في
الليلة فلان شاهد إذا أطلق ولم يضاف أفاد الإقامة في البلد وهو عندهم ضد الغائب

والمسافر وإن كانوا ربما أضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا وشهد فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى في إطلاق شهد دلالة على الإقامة من غير تقدير محذوف وهذه جملة كافية بحمد الله . . [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا العباس بن عمار يعيب على أبي تمام في قوله

لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وَأَنْصَرَمَتْ أَوْ آخِرُ الصَّبْرِ وَلِي كَاطِمًا وَجِمًا
رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَرَيٍّ وَأَفْجَحَهُ مُسْتَجِمِعِينَ لِي التَّوْدِيعَ وَالْمُنْمَا^(١)
قال أبو العباس وهذا قد ذم مثله على شاعر متقدم وهو أن جمع بين كلمتين إحداهما لا تناسب الأخرى وهو قول الكهيت
وَقَدْ رَأَيْنَا بِهَا حُورًا مُنْعِمَةً رُودَاتٍ كَامِلَةٍ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ

[١] الأبيات من قصيدته يمدح بها اسحاق بن إبراهيم الصعبي ومطلعها
أَصْفَى إِلَى الْبَيْنِ مَقَرًّا فَلَاجِرْمَا إِنْ التَّوَيَّ أَسَارَتْ فِي عَقْلِهِ لَمَّا
أَصْحَى سِرْهَمَ أَيَّامِ فِرْقَتِهِمْ هَلْ كُنْتُ تَعْرِفُ سِرَّ أَبُورِثِ الصَّمَا
فَأَوَّا فُظِّلَتْ لَوْشُكُ الْبَيْنِ مَقْلَتَهُ تَنْدِي نَحِيحًا وَبَنْدِي جِسْمَهُ سَقْمَا
أَظْلَهُ الْبَيْنِ حَتَّى أَنَّهُ رَجُلٌ لَوَّمَاتٍ مِنْ شَقْلِهِ بِالْبَيْنِ مَاعِلْمَا
أَمَّا وَقَدْ كُنْتُمْ مِنَ الْخُدُورِ ضَحِي فَأَبْعَدَ اللَّهُ دَمْعًا بَعْدَهَا أَكْتُمَا
لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْبَيْنَيْنِ . . . وَمِنْهَا

لَمْ يَطْعَ قَوْمٌ وَإِنْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ إِلَّا رَأَى السَّيْفَ أَدْنَى مِنْهُمْ رَحِمَا
مَشَتْ قُلُوبُ أَنْاسٍ فِي صُدُورِهِمْ لَمَّا رَأَوْكَ تَمْنَى نَحْوَهُمْ قَدَمَا
أَطْرَقَتْهُمْ هَزَمَاتُ لُورِمَيْتِ بِهَا يَوْمَ الْكُرْبَةِ رَكْنَ الدَّهْرِ لَا نَرْمَا
إِذَا هُمْ نَكَمُوا كَانَتْ لَهُمْ عَقْلًا وَأَنْ هُمْ جَحُوا كَانَتْ لَهُمْ لَحْمَا
حَتَّى انْتَهَكَتْ بِحَدِّ الْخَيْفِ أَنْفُسُهُمْ جَزَاءَ مَا اسْتَهَكُوا مِنْ قَبْلِكَ الْحَرْمَا
زَالَتْ جِبَالُ شُرُورِي مِنْ كِتَابِهِمْ خَوْفًا وَمَا زَلَّتْ أَقْدَامَا وَلَا قَدَمَا
لَمَّا مَحَضَتْ الْأَمَانِي إِلَى احْتِلِبَا طَادَتْ هُمُومَا وَكَانَتْ قِبَلَهُمَ هَمَا

• • فقبل له أخطأت وبعدت بقولك - الدل والشب - أوقات كقول ذي الرمة

يَبْضَاءُ فِي شَفْتَيْهَا حَوَّةٌ لَمْ تُسْ وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أُنْيَاهَا شَبٌّ^(١)

قال قتال الطائي

• مُسْتَجْمِعِينَ لِي التَّوْدِيْعَ وَالْعَمَّا •

فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع لا يستقبح وإنما يستقبح ما قبله وهي الفراق
وجعل المنظر الحسن أسابعه عند الإشارة وشبه بالعم ولم يذكر الأامل المختصة
قال وإنما سمع قول المجنون

وَيُبْدِي الْحَصِيَّ مِنْهَا إِذَا قَدَفَتْ بِهِ مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ^(٢)

[١] قوله - يَبْضَاءُ يروي لياه في شفتيها الخ - ولياء فعلاء من اللى وهو سرة
في باطن الشفة وهو مستحسن يقال امرأة لياه وظلي الى كشف أسود • وقوله -
حوة - بضم الحاء المهمة وتشديد الواو وهي أيضاً حمرة في الشفتين تضرب الى
السواد • وقوله - لَمْ تُسْ - بفتح اللام والعين المهمة وفي آخره سين مهمة وهو أيضاً
سرة في باطن الشفة يقال امرأة لمساء • وقوله - وَفِي اللَّثَاتِ - بكسر اللام وتخفيف
الثاء المثناة جمع لثة وهي معروفة • وقوله - شَبٌّ - بفتح الشين المعجمة والنون •
قال الأصمعي الشب برد وعذوبة في الأسنان ويقال هو تحديد الأسنان ودقها والبيت
يستشهد به الجحوريون على أن لساء بدل غلط من حوة وهو حجة على المبرد حيث يدعي
أنه لا يوجد في كلام العرب بدل الغلط لافي النظم ولا في النثر وإنما يقع في لفظ الغلاة •
وأجاب بعضهم عن هذا بأن قوله لمس مصدر وصفت به الحوة تقديره حوة لمساء كما
يقال حكم على وقول فصل أي عادل وقاسم ويقال إن في البيت تقدماً وتأخيراً التقدير
لياء في شفتيها حوة وفي اللثات لمس وفي أنيائها شب • والبيت من قصيدته للشهورة التي أولها

ما بال عينك منها المساء ينسكب كأنه من كلى مغفرة سرب

وقد استشهد به همام بن عبد الملك فأنشده إياها فأمر بدحجه لأنه كان يمينه رمص

[٢] قوله - وَيُبْدِي الْحَصِيَّ مِنْهَا الخ • وقوله

قال وهذا الأصل اشتاره الناس من بعد .. قال الشاعر

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَا بَيْرٌ وَأَطَارِفُ الْأَكْفِ عَمَّ^(١)

ولم أر ليلي غير موقف ساعة بخيف مني ترمي جبار المحصب
وبعد .. ألا ان ما ترمين يأم مالك سدى أينما ذهب به الريح يذهب

[١] قوله - النشر مسك الخ .. البيت من قصيدة لمارقش الأكبر وتقدمت منها أبيات .. ومنها

• يهلك والد ويخلف مو لود وكل ذي أب يتم
والوالدات يستغدن غنى ثم على المقدار من تعقم
ما ذنبنا في أن غزا ملك من آل جفنة حازم مرغم
مقابل بين الموانك وال خائف لانكس ولا تؤام
حارب واستعوى قراضية ليس لهم مما يجاز نعم •
بيض مصاليت وجوههم ليست مياه بحارهم بهم
فاقتض مثل الصقر يقدمه جيش كفلان الشريف لهم
إن يفضحوا يفضب لذلك كما ينسل من خرشائه الأرقم
فدجن أخوالك عمرك والحا ل له معاطم وحرم •
أنا ككأقوام مطاعهم كسب الخنا ونهك الحرم
إن يفضحوا يعبوا بخصمهم أو يجحدوا فهم به الأم
علم ترى الطير دواخل في بيوتهم معهم ترم •
ويخرج الدخان من خلى السدة ركلون الكودن الأصم
حتى إذا ما الأرض زينها التبد ت وجن روضها وأصكم
ذاقوا ندامة فلو أكلوا الغما بان لم يوجد له عاقم
لكتنا قوم أهاب بنا في قومنا عفافه وكرم
أموالنا نقي النفوس بها من كل ما يدني إليه الدم

قال وأغرب أبو نواس في قوله

تَبَسَّكِي فَتَذَرِي الذُّرْمَنَ طَرَفَهَا وَتَلْطَمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ

قال فلم يحسن هذا الملمح أن يستعير شيئاً من محاسن القائلين .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وهذا غلط من ابن مزار وسفه على أبي تمام لأن الكسيت جمع بين شيئين متبايعين وهما الدال وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشلب وهو برد الاسنان فيطابق عليه بذلك بعض العيب وأبو تمام جمع بين شيئين غير متفرقين لان التوديع انما أشار به الي ما أشارت اليه بأصبعها من وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك أصابعها بالعلم والعلم بنت أعصانه غضة دقاق شبه الاصابع .. وقيل ان العلم واحدة عنمة وهي العصابة الصغيرة البيضاء وهي أشبه شيء بالاصابع البيضاء الغضة وهذا حكاه صاحب كتاب العين .. وقيل إن العلم بنت له نور أحمر تشبه به الاصابع المخضوية فوجه حسن قوله التوديع والعلم ان التوديع كان بالاصابع التي تشبه العلم فجمع بينهما بذلك ولا حاجة به الى ذكر الانامل المخضبة على ما ظن أبو العباس بل ذكر المشبه به أحسن وأفصح من أن يقول التوديع والانامل التي تشبه العلم .. فأما قوله ان التوديع لا يستبجح وانما يستبجح عاقبته خطأ ومطالبة الشاعر بالابطال بمثله الشعراء لان التوديع اذا كان منذراً بالفراق وبعده الدار وغيبة المحبوب لاعماله أنه مكروه مستبجح .. وقوله مستبجح عاقبته صحيح إلا أن ما يعقبه وبخراً لما كان عند حضوره متيقناً مذكوراً عاد الاكراه والاستبجاج اليه ونحن نعلم ان الناس يشكرون ويستبجون تناول الاشياء الممثلة من الاغذية وغيرها اذا علموا ما في عواقبها من المكروه فان من قدم اليه طعام مسموم وأعلم بذلك يشكره ويستبجح تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته وان كان ملذاً في الحال ولم تزل الشعراء تذكر كراهتها للوداع وهربها منه لما يتصور فيه من ألم الفارقة وغصص الوحشة وهذا

لا يبعد الله الشلب والفسا رات إذ قال الجليس دم
والصدوين الجالسين إذا ولي العشى وقد تنادى ألم
يأتي الشباب الاقورين ولا تعبط أخاك أن يقال حكم

معروف مشهور .. وقد قال فيه أبو تمام

ءَالِفَةُ الْحَبِيبِ كَمْ افْتَرَقَ أَظْلُ فَسْكَانَ دَاعِيَةِ اجْتِنَاعِ
وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحٍّ الْوَدَاعِ

فجعل للوداع ترحا يقابل فرح الایاب وهذا صحيح .. فأما قول جرير

أَتَنَسَّى إِذْ تَوَدَّعْنَا سُلَيْبِي بَقَرَعَ بَشَامَةً سَقَى الْبِشَامِ^(١)

وانه دعا للبشام وهو شجر بالقي لآلها ودعته عنده فسر بشوديها .. وقول الشاعر

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْوَدَاعَ فَانِي أَشْتَهِي لِمَوْضِعِ التَّسَامِ
إِنَّ فِيهِ إِعْتَانَةً لَوَدَاعٍ وَأَنْتَظَارَ اعْتَانَةٍ لِقُدُومِ

فن شأن الشعراء أن يتصرفوا في المعاني بحسب أغراضهم وقصودهم إذا رأى أحدهم

[١] قوله - أنهى الخ - هو من قصيدة طويلة يذم فيها قلب ويهجو الاخطل

.. وأولها قوله

مَنْ كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ	سَقَيْتَ الْغَيْثَ أَيْتَهَا الْخِيَامُ
وَمِنْهَا	بَنَسَى مِنْ نَحْبِهِ عَزِيزٌ
وَمِنْ أَمْسَى وَأَصْبَحٍ لَأَرَاهُ	وَمِنْ زِيَارَةِ نَسَامٍ
عَوِي الشَّعْرَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ	وَمِنْ إِذَا جَمَعَ النِّيَامُ
كَأَنَّهُمُ الثَّعَالِبُ حِينَ تَلْقَى	عَلَى فَقْدِ أَصَابِهِمُ انْتِقَامُ
إِذَا أَقْلَعَتْ سَاعَتُهُ عَلَيْهِمُ	هَزَبَ رَأْيَ الْعَرِينِ لَهُ انْتِخَامُ
فَعُطِمَ الْمَسَامُحُ أَوْ خُصِيَ	وَأَوَّاهُ الْخَرَى نَحْرَقَ فَاسْتَهَامُ
إِذَا شَاؤُوا مَذْدَتْ لَهُمْ حَضَارُ	وَأَخْرَ عَظَمَ هَامَتِهِ حَطَامُ
قَضَى أَنْ أَسْلَى خَنْدَقِي	وَقَرِيبًا مَخَالَطُهُ عَذَامُ
إِنَّمَا خَنْدَقُ زَحْرَتِ وَقَيْسٍ	وَعَضْبُ فِي عَوَاقِبِهِ الدَّمَامُ
هَمْ حُدِيدُوا عَلَيَّ وَمَكْدُونِي	فَإِنْ جَبَالَ عَزَى لَا تَرَامُ
	بِأَفْجَحٍ لَا يَزَالُ بِهِ الْمَقَامُ

مدح شيء قصد الى أحسن أوصافه فذكرها وأشار بها حتى كأنه لا وصف له الا ذلك
الوصف الحسن فإذا أراد ذمه قصد الى أقبح أحواله فذكرها حتى كأنه لا شيء فيه غير
ذلك وكل معيب بحسب قصده ولهذا ترى أحدهم يقصد الى مدح الشيء فيذكر
ماله من وقار وخشوع وان العمر منه أطول وما أشبه ذلك ويقصد الى ذمه فيصف
مافيه من الادماء الى الاجل وأنه أخذ الاثران وأبغضها الى النساء وما أشبه ذلك وهذه
سبلهم في كل شيء وصفوه ولدحهم موضعه ولتهم موضعه فن ذم الوداع لما فيه من
الانذار بالفراق وبعد الدار قد ذهب مذهباً صحيحاً كما إن من مدحه لما فيه من القرب
من المحبوب والسرور بالنظر اليه وإن كان يسيراً قد ذهب أيضاً مذهباً صحيحاً .. ومن
غلط ابن عمار القبيح قوله بعد أن أشد شعر الجنون وهذا هو الاصل ثم استعاره
الناس من بعده .. فقال الشاعر

الذَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَسَمٌ

وهذا الشعر لمرقس الاكبر وهو والمرقس الاسمر كانا جميعاً على عهد ربيعة وشهدا
حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقس الاكبر بعد قول الجنون لولا الغفلة



❦ مجلس آخر ٧٦ ❦

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) الآية .. فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القرآن ولم يؤت موسى القرآن وإنما اختص به محمد عليه الصلاة والسلام .. الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه .. أولاً أن يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو التوراة ولا يكون إسمها هنا لقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ويحسن نسقه على الكتاب لخالفته فقطه كما قال تعالى (الكتاب والحكمة) وإن كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب وكتب الله تعالى كلها فرقان تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام .. ويستشهد على هذا

الوجه بقول طرفة

فَمَالِي أَرَانِي وَأَبْنَى عَمِّي مَالِكًا مَتَى أَذُنُ مِنْهُ يَتَأَنَّ عَنِّي وَيَسْمَعُ

فلسق بعدد على بنا وهو بعينه وحسن ذلك اختلاف اللغتين .. وقال عدي بن زيد

وَقَدَّمَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَالْفَا قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا

والعين الكذب .. وثانيها أن يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين

موسى عليه السلام وأصحابه المؤمنين وبين فرعون وأصحابه الكافرين لأن الله تعالى قد

فرق بينهم في أمور كثيرة منها أنه نجي هؤلاء وغرق أولئك .. وثانيها أن يكون الكتاب

عبارة عن التوراة والإنجيل والفرقان الفراق البحر الذي أوتي موسى عليه السلام

.. ورابعها أن يكون الفرقان القرآن المنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام، ويكون المعنى في ذلك

وآتيناه موسى التوراة والتصديق والإيمان بالفرقان الذي هو القرآن لأن موسى عليه

السلام كان مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ومبشراً ببعثته وسأخ حذف

التوراة والإيمان والتصديق وما جرى مجراه وإقامة الفرقان مقامه كما سأخ في قوله تعالى

(واسأل القرية) وهو يريد أهل القرية .. وخامسها أن يكون المراد الفرقان ويكون

تقدير الكلام (واذا آتيناه موسى الكتاب) الذي هو التوراة وآتيناه محمد صلى الله عليه

وسلم الفرقان لحذف ما يقتضيه الكلام كما حذف الشاعر في قوله

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَفْئَةً وَعَيْنِيهِ إِنْ وَلَاهُ كَانَ لَهُ وَفَرٌ^(١)

[١] قوله - تراه كأن الله يجدع أفئه الخ - يجدع أفئه - أي يقطعه - والمولى - هنا

المراد به الجار أو صاحب - وكان - يروي بدله وثاب بالثالثة أي رجوع من بعد

ذهابه - والوفر - بفتح الواو وسكون الفاء وفي آخره راء مهملة وهو المال الكثير ..

ويروي دثر وهو بالمدنى الأول وهذا في ذم شخص ساعد محمد جاره إذا رجع من سفره

بمال كثير فبصير من شدة حسنه كأن الله يجدع أفئه ويقطع عينيه .. والبيت يستشهد به

الصحابة على حذف العال المعطوف وإبقاء معموله إذ التقدير ويقطع عينيه كما في قوله تعالى

(والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) أي واعتقدوا الإيمان والبيت لفرقان بن بدر

أراد وبقا عليه لأن الجذع لا يكون بالعين واكتفى بجمع عن بقا •• وقال الشاعر
تَسْمَعُ لِلْأَحْشَاءِ مِنْهُ لَهْطًا وَلِلْيَدَيْنِ حَشَاةٌ وَبَدَا

أي وتري اليدين لان الحشاة والبدد لا يسحان وانما يريان •• وقال الآخر
عَلَفَتْهَا تَبْنًا وَمَاءًا بَارِدًا حَتَّى شَتَّتْ هَمَالَةَ عَيْنَاهَا^(١)

أراد وسقيتها ماء بارداً فلدت عافت على سقيت •• وقال الآخر

بَالَيْتَ بِعَالِكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّداً سَيْفًا وَرُحَا

أراد حاملا رجلاً •• [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا بكر بن الانباري يقول إن الاستشهاد بهذه الآيات لا يجوز على هذا الوجه لأن الآيات اكتفى فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والآية اكتفى فيها باسم دون اسم •• والأشهر وان كان على منقاة رضي الله عنه ونسب الجاحظ لخالد بن الصائغان وقيله

ومولى كولى الزرقان ديبته كما دملت ساق يهاض بها كسر

إذا ما أملت والجبار فوقها مضى الحول لاربعةين ولا جبر

البيت •• وبعبارة ترى الشر قد أفنى دوائر وجهه كضرب الكدى أفنى برائته الجفر

[١] قوله - علفها تبناً إلخ •• هذا الرجز يستشهد به النحاة في باب المنعول معه ويقولون ان الماء معطوف على التبن فلا يصح أن الواو في قوله وماء للحمية والمصاحبة لانعدام معنى المصاحبة ولا يشارك قوله وماء فيها قبله فتعين أن ينصب بفعل مضمر يدل عليه سياق الكلام وهو أن يقال التقدير علفها تبناً وسقيتها ماء •• وقال ابن عصفور أنهم ذهبوا إلى أن الاسم الذى بعد الواو معطوف على الاسم الذى قبلها ويكون العامل فى الاسم الذى قبل الواو قد ضمن فى ذلك معنى يسلط على الاسمين فيضمن عافتها معنى أطعمتها لأنه إذا عافها فقد أطعمها فكأنه قال أطعمتها تبناً وماء ويقال أطعمته ماء •• قال الله تعالى (ومن لم يطعمه فانه منى) •• وروى

ابن جرير الطبري عن رجل عنها وأردا علفها تبناً وماء بارداً

ورواية الأصل أشهر ولا يعرف قائله ونسب بعضهم لذي الرمة وليس في ديوانه

في الاسم والفعل فان موضع الاستشهاد صحيح لأن الاكتفاء في الايات بقدر عن فعل
 انما حسن من حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر فاقضاه حذف تمويلا على أن
 المراد مفهوم غير ملتبس ولا مشتبها وهذا المعنى قائم في الآية وان كان المحذوف إسما لأن
 التباس قد زال والشبهة قد أمنت في المراد بهذا الحذف فحسن لأن الفرقان إذا كان إسما
 للقرآن وكان من العلوم ان القرآن انما أنزل على نبينا عليه الصلاة والسلامون موسى عليه
 السلام استغنى عن أن يقال وآتينا محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن كما استغنى الشاعر أن
 يقول وبقا عيليه ونرى للبيدين حشاة وبددا وما شاكل ذلك . . الا أنه يمكن أن يقال
 فيما استشهد به في جميع الأيات مما لا يمكن أن يقال مثله في الآية وهو أن يقال انه
 محذوف ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى ومعطوف
 عليه لانه لما قال - تراء كأن الله يجده - وكان معنى الجده هو الافساد للعضو والتشويه
 به عطف على المعنى فقال وعيليه فكأنه قال كأن الله يجده أي يفسده ويشوهه
 قال وعيليه وكذلك لما كان السامع للخط الاحشاء علما به عطف على المعنى فقال
 ولبيدين حشاة وبددا أي انه يعلم هذا وذلك مما وكذلك لما كان في قوله علفت معنى
 غذيت عطف عليه الماء لأنه مما يغتذى به وكذلك لما كان المتقصد للسيف حاملا له ^(١) جاز
 قوله [١] - لما كان المتقصد للسيف حاملا له الخ . . عبارة بعض العلماء لأن التقصد نوع
 من الحمل قال ولا أجل هذا الذي ذكرناه من حكم العطف بالواو قلنا في قوله تعالى
 (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين) في قراءة من خفض الأرجل إذا الأرجل
 تفصل والرؤوس تمسح ولم يوجب عطفا على الرؤوس أن تكون مسوحة كسج الرؤوس
 لأن الحرب استعمال المسح على معنيين أحدهما التضع والآخر التفصيل حتى روى
 أبو زيد تمسحت لاصلاة أي توضأت . . وقال الرازي . . أشليت عنزي ومسحت قعبي .
 أراد انه غلبه ليحلب فيه فلما كان المسح نوعين أوجبنا لكل عضو ما يليق به إذ كانت
 واو العطف كما قلنا إنما توجب الاشتراك في نوع الفعل وجلسه لافي كيته ولا في كيفيته
 فالتضع والمسح جيهما جنس الملهارة كما جمع قلند السيوف وحمل الرمح جنس التأهب
 للحرب والتسلح

أن يعطى عليه الرخ المحمول وهذا أولى في الطعن على الاستشهاد بهذه الآيات مما ذكره ابن الأنباري .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى العمولى قال أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المتبحر قال أخبرنا أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدي قال لما دخل خالد بن صفوان الأحمي على هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله القسري قال قاليت جالساً على كرسي في بركة ماؤها إلى الكهين فدعاني بكرسي فجلست عليه فقال يا خالد رب خالد جلس بجانبك كان الوط باني وأحب إلى فقلت يا أمير المؤمنين إن حملك لا يضيّق عنه فلو صنعت عن جرمه فقال ياخالد إن خلدأ أدلّ فأقول وأوجف فأحجف ولم يدع لأرجع مرجعاً ولا لعودة موضعاً ثم قال ألا أخبرك عنه يا بن صفوان قلت أعم قال إنه مبدئي بسؤال حاجة منه قدم العراق حتى أكون أنا الذي أبدأ بها قال خالد فذاك أخرى أن ترجع إليه .. فقال مثشلا

إِذَا أَصْرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تُقْبِلُ
ثم قال حاجتك يا بن صفوان قلت تزيدني في عطائي عشرة دنائير فاطرق ثم قال ولم وفيهم العبادة أحدثها فعبثتك عليها أم لبلاء حسن أبليت عند أمير المؤمنين أم لماذا يا بن صفوان إذا يكثر السؤال ولا يهتمل ذلك بيت المال قال فقلت يا أمير المؤمنين وفقك الله وسددك أنت والله كما قال أخو خزاعة

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ قَرَابَةُ قُرْبَى أَوْ صَدِيقٍ تَوَاقَفَهُ
مَنَعَتْ وَبَعْضُ الْمَنَعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقَهُ

فلما قدم خالد البصرة قبل له ماله الذي حملك على تزيع الامساك له قال أحيت أن يمنع غيري كما تمنى فيكثر من يلومه .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وكان خالد مشهوراً بالبلاغة وحسن العبارة .. وبالسناد المتقدم عن المدايني قال قال حفص ابن معاوية بن عمرو بن العلاء قلت لخالد يا أبا صفوان اني لا كره أن نموت وأنت من أيسر أهل البصرة فلا يبيحك إلا الامام قال فابنى امرأة فأت منها لي أطلبها لك قال بكرأ

كثيراً أو شيئاً كبر لا ضرراً صغيرة ولا مسنة كبيرة لم تقرأ فتجبن ولم تكن فتدجن قد نشأت في لعمة وأدركتها خسارة فأدبها الفتي وأدبها الفخر حتى من جهلها أن تكون قعدة من بعيد ما يبعد من قريب وحبي من حسنها أن تكون واسطة قومها ترضى مني بالسنة أن عشت أكرمها وإن مت ورثتها لا ترفع رأسها إلى السماء نظراً ولا تضعه إلى الأرض سقوطاً فنت يا أبا صفوان إن الناس في طلب هذه منذ زمان طويل فبما يقدرون عليها .. وكان يقول إن المرأة لو خفت محملها وقالت مؤثها مترك اللثام فبما للكرام بيتة ليلة ولكن فعل محملها وعظمت مؤثها فاجتباها الكرام وحاد عنها اللثام .. وكان خالد من أشج الناس وأجملهم كان إذا أخذ جائزة أو غيرها قال للدرهم أما والله لاطلما أغرت في البلاد وأنجبت والله لأطيلن ضجعتك ولأدين صرعتك .. قال وسأله رجل من بني تميم فأعطاه دنانيراً فقال يا سبحان الله أتعطي مثلي دنانيراً فقال له لو أعطاك كل رجل من بني تميم مثل ما أعطيتك لرحت بمال عظيم .. وسأله رجل فأعطاه درهماً فاستقبله فقال يا أحمق أما علمت إن الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الألف والألف عشر دية المسلم .. وكان يقول والله ما نطيط نفسي بإفراق درهم إلا درهماً قرعت به باب الجنة أو درهماً اشتريت به موزاً .. وقال لأن يكون لي ابن يحب الحر أحب إلي من أن يكون لي ابن يحب اللحم لأنه متى طلب اللحم رجده والحر يفقده أحياناً .. وكان يقول من كان ماله كفافاً فليس يفتى ولا فقير لأن الثابتة إذا نزلت به أجدت بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غنى .. وكان يقول لأن يكون لأحدكم جار يخاف أن ينقب عليه يشتر من أن يكون له جار من التجار لا يشاء أن يعطيه مالا ويكتب به عليه سكالاً فدل

محلى مجلس آخر ٧٧

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (انه ليعجزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) .. فقال كيف يخبر تعالى أنهم لا يكذبون

فيه عليه الصلاة والسلام ومعلوم منهم إظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة والتصديق وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول انهم بآيات الله يعبدون وهل الجحد بآيات الله الا تكذيب فيه عليه الصلاة والسلام .. الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه .. أولا أن يكون انما لنفي تكذيبهم بقلوبهم تدينا واعتقادا وان كانوا مظهرين بافواههم التكذيب لأننا نعلم انه كان في المخالفة له عليه الصلاة والسلام من يعلم صدقه ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك معاند فيظهر بخلاف ما يبطن .. وقال تعالى (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) .. وما يشهد لهذه الوجوه من طريق الرواية مارواه سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أبا جهل فصاغه أبو جهل فقبل له يأبأ الحكم أتصافح هذا الصابي فقال والله اني لا علم أنه نبي ولكن مني كتمان لئلا يبي حسد منساف فأنزل الله الآية .. وفي خبر آخر ان الاخنس بن شريق خلا بأبي جهل فقال له يأبأ الحكم أخبرني عن محمد صلى الله عليه وسلم أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال له أبو جهل ويحك والله ان محمداً صادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصى بالقوى والحجاية والسقاية والندوة والنبوة ماذا يكون لشار قريش .. وعلى الوجه الاول يسكون معنى فانهم لا يكذبونك أي لا يضعون ذلك بحجة ولا يتمكنون من إبطال ما جئت به ببرهان وانما يقتصرون على الدعوى الباطلة وهذا في الاستعمال معروف لأن القائل يقول فلان لا يستطيع أن يكذبني ولا يدفع قولي وانما يريد أنه لا يتمكن من إقامة دليل على كذبه ومن حجة على دفع قوله وان كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقلبه فيعبر ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتبه .. وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قرأ هذه الآية بالكذب فانهم لا يكذبونك على أن المراد بها انهم لا يأتون بحق هو أحق من حنك .. وقال محمد بن كعب القرظي معناها لا يبتلون ما في يدك وكل ذلك يقوي هذا الوجه وسليين ان معنى هذه اللفظة مشددة ترجع الى معناها مخففة .. والوجه الثاني أن يكون معنى الآية انهم لا يصدقونك ولا يلقونك متقولا كما يقولون فأنك فأن أجبتنه أي لم أجده جباناً

وحادث فإني كذبت أي لم أفقه كاذباً .. وقال الاعشى

أَثْوَى وَصَرَ لَيْلَهُ لِيُرْوَدَا فَمَضَى وَأَخْلَفَ بِنِ قُتَيْلَةَ وَعِدَا

أي سادف منها خالف المواعيد .. ومثله قولهم أصممت القوم إذا صادفهم صدأ وأخليت
الموضع إذا صادف خالياً .. وقال الشاعر

أَيُّتُ مَعَ الْحَدَاثِ لَيْلِي فَلَمْ أُبْنَ فَأَخْلَيْتُ فَاسْتَجَمَعْتُ عِنْدَ خَلَاثِيَا

أي أسبت مكاناً خالياً .. ومثله لميمان بن أبي خافة

لَيْسَ أَتِيَابًا لَهُ لَوْاعِجَا أَوْسَعَنَّ مِنْ أَشَدِّ قَهْرِ الضَّارِجَا

يعني بأوسعن - أصبى منابت واسعة فتبين فيها .. وقال عمرو بن بركة

تَحَالَفَ أَقْوَامٌ عَلَيَّ لِيُسْنِمُوا وَجَرُّوا عَلَيَّ الْحَرْبَ إِذْ أَنَا سَائِمٌ^(١)

[١] قوله - إذ أنا سائم - الرواية المشهورة سالم بدل سائم .. والبيت من قصيدة يقولها عمرو بن بركة أو بركة المذكور وكان أغار عليه رجل من مراد فأخذ خيله وابله فذهب بها فأتى عمرو سلمى وكانت بنت سيدهم وعين رأبها كانوا يصعدون فأخبرها أن حربما المرادى أغار على ابله وخيله فقالت والحمور والوبيض والشفق صكلا حريض والقلة والحضيض إن حربما لم يتبع الحيز سيد مزيز ذو معقل حربز غير أي أرى الجلة ستظفر منه بعثرة بطيئة الجيرة فأغمر ولا تشكع فأغار عمرو واستاق كل شيء له فأتى حريم بذلك يطلب إلى عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه فامتنع ورجع حريم أشمى .. وروي من غير هذا الوجه أن الذي أغار عليه حريم المداني وإن عمراً أتى امرأة كان يخدمها إليها يقول لها سلمى فأخبرها بالقصة وأنه يريد الغارة عليه فقال له وبذلك لا تعرض لتناجات حريم فأتى أخافه عليك نخالها وأغار عليه وهذا تقول الأخير أصوب ومطع القصيدة

تقول سلمى لا تعرض لتنفذ وليك عن ليل الصعاليك نائم

وكيف يتم الليل من جلي ماله حسام كلون الملح أبيض سارم

غموض إذا غاض الكريمة لم يدع لها طمعاً طوع العين ملازم

يقال - أسمع - ذو فلان إذا رعت إبلهم فصادفوا فيها سمناً • • وقال أبو الجهم • يقطن
قرائد أعشيت أنزل أي أصبت مكاناً معشياً • • وقال ذو الرمة

ثُوبِكَ بَيَاضٌ لَبَنُهَا وَوَجْهًا كَثَرَنَ الشَّمْسُ أَفْتَقَ ثُمَّ زَالَ^(١)

ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم	قليل إذا نام الخلى المسالم
إذا الليل أدجى وا كفه ظلامه	وصاح من الإفراط يوم جوام
ومال بأصحاب الكرى غالبانه	فاني على أمر العواوية حازم
كذبتم وبيت الله لا تأخزونها	مهاجمة مادام للسييف قائم
تحالف أفوام على ليسلوا	وجروا على الحرب إذ أنا سالم
أفا اليوم أدمى لاهوادة بعدما	أجبل على الخلى المنذكي الصلالم
فان حريماً إذ رجا أن أردھا	وبذهب مالي يابنة القيد حلم
متى تجمع القلب الذكي وصارما	وأخاً حياً تجتلبك المظالم
متى تطلب الدل المنع بالقنا	تمش ماجداً أو تحتزمك المخارم
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم	فهل أنا في ذايك همدان ظلم
فلا صاح حتى تفدع الخيل بالننا	وتضرب بالبيض الرقاني الجماح
ولأمن حتى تفلتم الحرب جهرة	عبيدة يوماً والحروب غواشم
أستبطئ عمرو بن لحيان فارقي	وما يشبه اليقظان من هو نام
إذا جر مولانا علينا جريرة	سسرنا لها إنا كرام دعائم
• • ونصره مولانا ونعلم أنه	كما الناس مجروم عليه وجارم

[١] أفثق قرن الشمس - أصاب فتقاً من السحاب فبدامنه • • والبيت من قصيدة

يمدح بها بلال بن أبي بردة وبهذه

أصاب خصاصة فبدأ كابلًا كلا وأفعل جانبه أنفلا

ومنها يعني لك أهل بيتك يا بن قيس • • وأنت تزيدهم شرقاً جلالاً

أى وجد فتناً من السحاب وليس لاحد أن يجعل هذا الوجه مخمساً بالفرأءة بالتخفيف دون التشديد لأن في الوجهين معاً يمكن هذا الجواب لأن أعلت وفلت يجوز أن في هذا الموضع وأعلت هو الأصل ثم شدتاً كيداً وإفدة لمعنى التكرار وهذا مثل أكرمت وكومت وأعظمت وعظمت وأوصيت ووصيت وأبانت وأبنت وهو كثير ٥٥ وقال الله تعالى (فمهل للكافرين أملهام رويدا) إلا أن التخفيف أشبه بهذا الوجه لأن استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى أكثر ٥٥ وأوجه الثالث ما حكى الكسائي من قوله ان المراد انهم لا ينسبوك الى الكذب فيما أثبت به لأنه كان أميناً صادقاً لم يجربوا عليه كذبا وإنما كانوا يدفعون ما أتى به ويدعون انه في نفسه كذب وفي الناس من يقوي هذا الوجه وان القوم كانوا يكذبون ما أتى به وان كانوا يصدقونه في نفسه بقوله تعالى (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقوله تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل وكذبك قومك وكان الكسائي يقرأ فأنهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع من بين سائر السبعة رايا القوم بالتشديد ويرغم ان ابن أ كذبه وكذبه فرقا وان معنى أ كذب الرجل انه جاء بكذب ومعنى كذبه انه كذاب في حديث وهذا غلط وليس بين فعلت وأفعلت في هذه الكلمة فرق من طريق المعنى أكثر مما ذكرناه من أن التشديد يقتضى التكرار والنا كيد ومع هذا لا يجوز أن يصدقوه في نفسه ويكذبوا بما أتى به لأن من المعلوم انه غلبه الصلاة والسلام كان يستشهد برحمة ما أتى به وصدقوه وأنه الدين القيم والحق الذي لا يجوز العدول عنه وكيف يجوز أن يكون صادقاً في خبره

مكارم ليس بمحصين مدح	ولا كذبا أقول ولا انحلا
أبو موسى لحسبك نعم جداً	وشيعن الركب خالك نعم خلا
كأن آتاس حين تمر حق	عوانق لم تكن تدع المحجلا
فيما ينثرون إلى بلال	رفاق الحج أبصرت الهلال
فقد رفع الاله بكل أفق	لضوءك يا بلال سناً طوالا
كدوه الشمس ليس به خفا	وأعطيت المسابة والجبالا
سمعت الناس يتنجعون غيثاً	فقات لصيدح أنجي بلالا

ومنها

وإن كان الذي أتى به فاسداً بل إن كان صادقاً فالذي أتى به حق صحيح وإن كان الذي أتى به فاسداً فلا بد من أن يكون في شيء من ذلك وهو تأويل من لا يحقق المعاني . .
والوجه الرابع أن يكون المعنى في قوله تعالى فاتهم لا يكذبونك أن تكذبك راجع
إلى وعائده على رسله الختم به لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كذبه فهو في
في الحقيقة مكذب لله تعالى ورائد عليه وهذا كما يقول أحدنا لرسوله أمض في كذا فن
كذبك فقد كذبتني ومن دلعك فقد دلعني وذلك من الله على سبيل التسلية لنبيه عليه
الصلاة والسلام والتعظيم والتعظيم لتكذيبه . . والوجه الخامس أن يريد فاتهم
لا يكذبونك في الأمر الذي يوافق فيه تكذيبهم وإن كذبوك في غيره . . ويمكن في
الآية وجه سادس وهو أن يريد تعالى أن جميعهم لا يكذبونك وإن كذبك بعضهم فهم
الظالمون الذين ذكروا في آخر الآية بأنهم يحسبون بآيات الله وأنما سأل نبيه عليه
الصلاة والسلام بهذا القول وعزاء فلا ينكر أن يكون عليه الصلاة والسلام المستوحش
من تكذيبهم له ونفقتهم إياه بالرد عليه وظن أنه لا منبغ له عليه الصلاة والسلام منهم ولا
ناصر لدينه فهم أخبره الله تعالى بأن البعض وإن كذبك فإن فهم من يصدقك، يصدق
ويستفيع بإرشادك وهدايتك وكل هذا واضح والمثله لله . . [قال الشريف المرتضى] رضى
الله عنه من جيد الشعر قول مطرود بن كعب الخزاعي

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ وَحَلَّةُ أَلَا تَزَلْتُ بِأَلِ عَبْدِ مَنْأَفٍ^(١)

هَبْلَتِكَ أَمَّكَ لَوْ تَزَلْتَ عَلَيْهِمْ ضَمِنُوكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ

[١] قوله - يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ - روى عن المطلب بن أبي وداعة عن جده قال
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله تعالى عنه عند باب في شعبة فر
رجل وهو يقول

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحَلَهُ أَلَا تَزَلْتُ بِأَلِ عَبْدِ الدَّارِ

هَبْلَتِكَ أَمَّكَ لَوْ تَزَلْتُ بِرَحْلِهِمْ مَنَعُوكَ مِنْ عَدَمٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ

. . قال فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فقال هكذا قال الشاعر قال
لأول الذي يبتك بالحق لكنه قال

الْآخِذُونَ الْمَهْدَ مِنْ آفَاقِهَا وَالرَّاحِلُونَ لِرَحْلَةِ الْإِبِلَافِ
وَالْمُطْعِمُونَ إِذَا الرِّبَاحُ تَنَاوَحَتْ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنُونَ عِمَافٍ
وَالْمُفْضِلُونَ إِذَا الْمُحُولُ تَرَادَفَتْ وَالْقَائِلُونَ هَامٌ لِلْأَضْيَافِ
وَالخَالِطُونَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَكُونُ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
كَانَتْ قُرْبَشُ بَيْضَةٍ فَمُنَاقَتْ فَالْمُحُ خَالِصَةٌ لِعَبْدٍ مُنَافٍ^(١)

•• أما قوله - والراحلون لرحلة الإبل - فكان هاشم صاحب إيلاف قريش الرحلتين وأول من سبها قالف الرحلتين^(٢) في الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف إلى الشام •• وفي ذلك يقول ابن الزبير

يأبها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد مناف

الخ كما في الأصل •• قال فديس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة يذمونه

[١] وقوله - قالف خالصة لعبد مناف - انحر والحق صفة البيض •• قال ابن سيدة انما يريدون فص البيضة لأن الملح جوهر والمفردة عرض ولا يعبرون بالعرض عن الجوهر المهم الا أن تكون العرب سمت مع البيضة صفة قال وهذا مالا أمره وان كانت العامة قد أولعت بذلك وقوله - خالصة - ووي أيضاً خالصة وخالصه ولا إشكال في الروايتين الأخيرتين •• قال ابن بري من قال خالصة بالياء فهو في الأصل مصدر كالصافية [٢] قوله - فألف الرحلتين - الخ كان هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل إخوة وأكبرهم عبد شمس وأسفرهم المطلب والثلاثة الساجعون لأب وأم ونوفل أخوهم لأبيهم وهم أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم أخذهم هاشم حبلا من ملوك الشام الروم وغسان وأخذهم عبد شمس حبلا من النجاشي الأكبر فاختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة وأخذهم نوفل حبلا من الأكرسة فاختلفوا بذلك السبب إلى اليمن فخير الله بهم قريشاً فدحوا المجيرين وأختلف في قائل هذه الأبيات ف قيل هي لمطروذ بن كعب الخزاعي وقيل لابن الزبير وهذا أصح ولم تر من فرقها

عَمْرُ الْمَلَأَ هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتَوْنَ عِجَافُ
وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرِّحْلَ لِقَوْمِهِ رِحْلَ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةَ الْأَصْيَافِ

.. فأما قوله - مستنتون - فهم الذين أساء بهم السنة المجذبة الشديدة .. وقوله -
والخالطون غنيمهم بفقرهم - من أحسن الكلام وأخصره إنما أراد أنهم يفضلون على الفقير
حتى يعود غنياً ذا ثروة .. ولأحمد بن يوسف آيات على هذا الوزن يمزج بهامج ولد
سعيد بن سلم الباهل وكان لهم مدبغاً

أَبْنَاءُ سَعْدٍ إِنْكُمْ مِنْ مَعْشَرٍ لَا يَعْرِفُونَ كَرَامَةَ الْأَصْيَافِ
قَوْمٌ لِبَاهِلَةٍ بَنٍ يَعْصُرُ إِنْهُمْ تُسَبُّوا حَسْبَئِهِمْ لِعَبْدٍ مَنَافٍ
قَرَّبُوا الْغَدَاءَ إِلَى الْعِشَاءِ وَقَرَّبُوا زَادَ الْعَمْرُ أَيْكَ لَيْسَ بِكَافٍ
وَكَأَنِّي لَمَّا حَطَطْتُ إِلَيْهِمْ رَحْلِي نَزَلْتُ بِأَبْرَقِ الْمَزَافِ

غير السيد المرتضى وسبب قول ابن الزبيري لها فيما قيل ان الناس أسهبوا يوماً بمكة
وعلى باب الندوة مكتوب

ألهي قصيا عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما روى السفاير
وأكلها الأحم بمنا لا خليط به وقولها رحلت عبر أنت غير

فذكر الناس ذلك وقالوا ما فعلنا إلا ابن الزبيري وأجمع على ذلك رأيهم فسوا إلى بني
سهم وكان مما تنكر قريش وتناصب عليه أن يهجو بعضها بعضاً فقتلوا إلى سهم ادفعوه
إلينا نحكم فيه بحكمنا قالوا وما الحكم فيه قالوا قطع لسانه قالوا فشانكم واعلوا والله
انه لا يهجوننا رجل منكم الا فعلنا به مثل ذلك والزبير بن عبد المطلب يومئذ غائب نحو
البن فأنجبت بنو قصي بينهم فقتلوا لأنهم الزبير اذا بلغه ما قال ابن الزبيري أن يقول
شيئاً فيؤتي إليه مثل ما نأتى إلى هذا وكانوا أهل تناصف فاجعوا على تخليته غلوه وقيل
لهم أسلموه إليهم ففرض يوم وحلقوا شعره وربطوه إلى سخرة بالحجون فاستغاث قومه
 فلم يفيشوه فجعل يمدح قصياً ويسترضيه فاطلقه بنو هبذ مناف منهم وأكرموه فدعهم
بهذا الشعر

بَيْنَا كَذَلِكَ إِذْ أَتَى كِبَرَاؤُهُمْ يَلْحَوْنَ فِي التَّبْذِيرِ وَالْإِسْرَافِ

أرادوا قرنوا الفداء الى العشاق من بخلهم واختصارهم في العلم . . . ويقول ان هذا الشعر حفظ وصار من أكثر ما يدبون به ويدب به قومهم ولرب مزح جر جداً وعثرة الشعر لا تستقال والشعر يسير بحسب جودته . . . ولقد أحسن دعبيل بن علي في قوله

نَعُونِي وَلَمَّا يَنْعَنِي غَيْرُ شَائِمٍ وَغَيْرُ عَدُوٍّ قَدْ أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ

يَقُولُونَ إِنْ ذَاكَ الرَّدَى مَاتَ شِعْرُهُ وَهَيَّاتَ عُمُرَ الشَّعْرِ طَالَتْ طَوَائِلُهُ

سَأَفْضِي بَيْتَ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرُهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرَّوَاةِ حَامِلُهُ

يَمُوتُ رَدَى الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِ وَجَيِّدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ

.. ولا آخر في هذا المعنى ^(١)

(١) قوله — ولا آخر في هذا المعنى . . . الأبيات من قصيدة لدعبيل أيضاً ومطامعها

إذا غزونا فغزانا بأقصره وأهل سلمي بسيف البحر من جرت

هيات هيات بين المنزلين لقد أنصبت شوق وقد طوارثه المنقني

أحببت أهلي ولم أظلم بحبهم قالوا انصبت جهلاً فويل فديهم

لم إسنائي بتقريظي ومحتاجي نعم وقابي وما نحوبه مقدرتي

دعني أصل رحى إن كنت قائلة لها لا بد للرحى من الدنيا من العسالة

فاحفظ عشيرتك الأذنين إن لهم حتماً يفرق بين الزوج والمرث

قومي بنو حمير والأزد إخوتهم وآل كندة والأحياء من عات

ثبت الخنوم فإن سات حناظهم سلوا الديوق فاردوا أكل ذي منبت

نفسى تشافقني في كل مكرمة إلى المعالي ولو خالها أبت

وكم زحمت طريق الموت معترضاً بالسيف ذيقاً فاداني إلى السعة

قال العواذل أودى المال قلت لهم ما بين أجر وغر لي ومحمدة

أفسدت مالك قلت المال يفسدني إذا بختت به والجود مساحتي

لَا تَعْرِضَنَّ بِمَرْحٍ لَامِرِيَّ نَظِيرٍ مَارَاضَةً قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّقَةِ
قَرُبٌ قَافِيَةٌ بِالْمَرْحِ جَاوِيَةٌ مَشْوُومَةٌ لَمْ يَرُدَّ إِنَّمَاؤُهَا نَمَتْ
إِنِّي إِذَا قُلْتُ يَتَنَّا مَاتَ قَائِلُهُ وَمَنْ يَقَالَ لَهُ وَالْيَتُّ لَمْ يَمُتْ

﴿ مجلس آخر ٧٨ ﴾

[تأويل آية أخرى] ٥٥ إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم لم تكن فتنةم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) الآية ٥٥ وعن قوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا رد ولا نكذب) الآية ٥٥ فقال كيف يقع من أهل الآخرة لقي الشرك عن أنفسهم والقسم بالله تعالى عليهم وهم كاذبون في ذلك مع أنهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة ولا منهم ما يجوز هناك إلى ترك جميع القبائح وكيف قال من بعد (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون) فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التفتي لأنهم تمنوا ولم يجبروا ٥٥ الجواب قلنا أول ما قلناه أنه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي أن قولهم ما كنا مشركين إنما وقع في الآخرة دون الدنيا وإذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز أن يكون الأخبار تتناول حال الدنيا وسقطت المسئلة وليس لأحد أن يتعلق في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاءكم الذين كنتم تزعمون) وأنه عقب ذلك بقوله تعالى (ثم لم تكن فتنةم) فيجب أن يكون الجميع مختصاً بحال الآخرة لأنه لا يمنع أن يكون الآية تتناول ما يجري في الآخرة ثم

لَا تَعْرِضَنَّ بِمَرْحٍ لَامِرِيَّ طَبِئٍ مَارَاضَةً قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّقَةِ
قَرُبٌ قَافِيَةٌ بِالْمَرْحِ قَائِلُهُ مَشْوُومَةٌ لَمْ يَرُدَّ إِنَّمَاؤُهَا نَمَتْ
رَدَ السَّلَى مَسْنَمًا بَعْدَ قَطْعَتِهِ كَرَدَ قَافِيَةٌ مِنْ بَعْدِ مَا مَضَتْ
إِنِّي إِذَا قُلْتُ يَتَنَّا مَاتَ قَائِلُهُ وَمَنْ يَقَالَ لَهُ وَالْيَتُّ لَمْ يَمُتْ

تتلوها آية تناول ما يجري في الدنيا لأن مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا غير واجبة .. وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) لادلل أيضاً على أن ذلك يكون واقعاً بعد ما خبر تعالى عنه في الآية الأولى فكانه تعالى قال على هذا الوجه أنا نمشهم في الآخرة ونقول أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم ما كان فتنتهم وسبب ضلالتهم في الدنيا الا قولهم والله ربنا ما كنا مشركين) .. وقد قيل في الآية على تسليم ان هذا القول يقع منهم في الآخرة ان المراد به انما كنا عند نفوسنا وفي اعتقادنا مشركين بل كنا لعقده أنا على الحق والهدى .. وقوله تعالى من بعد (أنظر كيف كذبوا على أنفسهم) لم يرد هذا الخبر الذي وقع منهم في الآخرة بل انه لم يرد كذبوا على أنفسهم في دار الدنيا باخبارهم انهم مصيبون محقون غير مشركين وليس في الظاهر الا أنهم كذبوا على أنفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يجعله على آخرة دون دنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضى وقوع ذلك في الآخرة لكان على الدنيا بدلالة ان أهل الآخرة لا يجوز أن يكذبوا لانهم ما يجوزون الى ترك القبيح .. فأما قوله تعالى حاكياً عنهم (باليتنازروا) .. وقوله تعالى (فاهم لكاذبون) فمن الناس من حمل الكلام كله على وجه المعنى فصرف قوله تعالى وانهم كاذبون الى غير الاسم الذي تنموه لأن المعنى لا يصح فيه معنى الصدق والكذب لانهما انما يدخلان في الاخبار المحضة لأن قول القائل ليت الله رزقي كذا وليت فلانا أعطاني مالا أهمل به كذا وكذا لا يكون كذباً ولا صدقاً وقع ما تنهوا أولم يقع فيجوز على هذا أن يكون قوله تعالى (وانهم لكاذبون) مصروفا الى حال الدنيا كأنه تعالى قال وهم كاذبون فيما يخبرون به عن أنفسهم في الدنيا من الاضافة واعتقاد الحق أو بريد انهم كاذبون ان خبروا عن أنفسهم أنهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وان كان ما كان مما حكى عنهم من الغنى ليس بخبر وقد يجوز أن يحل قوله تعالى (وانهم لكاذبون) على غير الكذب الحقيقي بل يكون المراد والمعنى انهم تمنوا مالا سبيل اليه فكذب أهلهم وتبينهم وهذا مشهور في الكلام لانهم يقولون لمن تمنى ما لا يدرك كذب الملك وأكدي رجاؤك وما جرى مجرى ذلك .. وقال الشاعر

كَذَبْتُمْ وَيَتَّ اللَّهُ لَا تَأْخُذُونَهَا مُرَاغِمَةً مَا دَامَ لِلسَّيْفِ قَائِمٌ

وَقَدْ وَقَفَ الْمَدِيحُ بِمُنْتَهَاهُ وَغَايَتِهِ وَصَارَ إِلَى الْمَصِيرِ

إِلَى مَنْ لَا يُشِيرُ إِلَى سِوَاهُ إِذَا ذُكِرَ النَّدَى كَفَّ الْمُشِيرِ

قال مروان فوددت انه قد أخذ جازئي وسكت وعجبت من غمائه الى تلك القوافي ثم ذكر ولد أمير المؤمنين علي عليه السلام لأحسن النخاس . . ورأيت هارون يعجب بذلك فقال

يَدْلُكَ فِي رِقَابِ بَنِي عَلِيٍّ وَمَنْ لَيْسَ بِاللَّنِّ الْبَسِيرِ

فَإِنْ شَكَرُوا فَقَدْ أُنْعِمْتَ فِيهِمْ وَإِلَّا فَالْندَامَةُ لِلْكَفُورِ ^(١)

مَنْنْتَ عَلِيَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْيَى وَكَانَ مِنَ الْحَتُوفِ عَلَى شَفِيرِ

وَقَدْ سَخَطْتَ لِسَخَطِكَ الْمَنَايَا عَلَيْهِ فَهِيَ خَاتِمَةُ النُّشُورِ

وَلَوْ كَافَأَتْ مَا اجْتَرَحَتْ يَدَاهُ دَأَفَتْ لَهُ بِقَاصِمَةِ الظُّهُورِ

وَلَكِنْ جَلَّ حِلْمُكَ فَاجْتَبَاهُ عَلَى الْمَقَوَاتِ هَوًى مِنْ قَدِيرِ

فَعَادَ كَأَنَّهُ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا وَقَدْ كَانَ اجْتَنَى حَسْلَكَ الصَّدُورِ

وَإِنَّكَ حِينَ تَبْلُغُهُ أَذَاهُ وَإِنْ ظَلَمُوا امْجُتَرِقُ الضَّمِيرِ

وإن الرشيد قال لما سمع هذا البيت هذا واقعه معي كان في نفسي وأدخله بيت المال وحكما فيه . . عدنا إلى الخبر قال مروان وكان هارون يتبسم ويكاد يضحك لاطلق ما سمع ثم أرمأ إلى أن أنشد فأنشده قصيدتي التي أقول فيها

[١] وزيد فيها

وإن قالوا بنو بنت خنق وردوا ما يناسب للذكور

وما لبني بنات من نرات مع الأعمام في ورق الزبور

بني حسن ورعط بني حين عليكم بالسداد من الأمور

فقد ذقم قراع بني أبيكم غداة الروع بالبيض الذكور

خَلُّوا الطَّرِيقَ لِمَعْتَرِ عَادَتُهُمْ حَطَمَ الْمَنَاقِبَ كُلَّ يَوْمٍ زِحَامٌ^(١)
 حتى أتيت على آخرها فوالله ما عاج ذلك الرجل يعني القميري بشعري ولا حفل به... ثم
 أنشد منصور يومئذ

إِنَّ هَارُونَ إِمَامَ الْهُدَى كَذِبِينَ مِنْ أَجْرٍ وَمِنْ بَرٍّ
 بَرِيضٌ مَا تَبْرَى اللَّيَالِي وَلَا تَرِيضُ أَيْدِيَهُنَّ مَا يَبْرِي
 كَأَنَّمَا الْبَدْرُ عَلَى رَحْلِهِ تَرْمِيكَ مِنْهُ مَقْلَتَا صَقَرٍ

وأنشد أيضاً

وَلَمَنْ أَضَاعَ لَقَدْ عَدَّتْكَ حَافِظًا لَوْصِيَةِ الْعَبَّاسِ بِالْأَخْوَالِ
 .. قال مهروان وأخلق به أن يغلبني وأن يغلبني على عنده فاني ما رأيت أحسن من غلبته
 الى ذكر الطالبين .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحسكي قال حدثني
 يعقوب بن الزرع قال حدثني أبو عثمان الجاحظ قال كان منصور التميمي يتناقق الرشيد
 ويذكر هارون في شعره ويريه أنه من وجوه شيعة وباطنة ومراحمه بذلك على بن أبي
 طالب عليه السلام لقول النبي عليه الصلاة والسلام أنت في بمنزلة هارون من موسى
 إذ ونى به عنده بعض أعدائه وهو العتابي فقال يا أبا عبد المؤمن هو الله الذي يقول
 مَتَى يَشْفِيكَ دَمْعُكَ، مَنْ هُمُولٍ وَيَبْرُدُ مَا بَقِيَتْكَ مِنْ غَلِيلٍ

وأنشد أيضاً

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعٌ عَامِلٌ يُمْلِكُونَ النَّفْسَ بِالْبَاطِلِ
 ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالمعجائب فوجه الرشيد برجل من فزارة وأسمه أن
 يضرب عنق منصور حيث قطع عنه عليه فقدم الرجل رأس عين من بعد موت منصور
 بأيام قلائل .. قال المرزباني ويصدق قول الجاحظ ان القميري كان يذكر هارون في

[١] .. وبمنده وأرضوا بما قسم الله لكم به ودعوا ورائه كل أسيد حرم
 أني يكون وليس ذلك بكائن لبي النسب ورائه الامام

شعره وهو يعني به أمير المؤمنين علياً عليه السلام ما أنشدناه محمد بن الحسن بن دريد النخعي

آلُ الرَّسُولِ خِيَارُ النَّاسِ كَأَنَّهُمْ وَخَيْرُ آلِ رَسُولِ اللَّهِ هَارُونَ

رَضِيتُ حُكْمَكَ لَا أَتَيْنِي بِهِ بَدَلًا لِأَنَّ حُكْمَكَ بِالتَّوْفِيقِ مَقْرُونُ

•• وروى أن أبا عتيبة الشيعي لما أوقع بأهل ديار ربيعة أولدت ربيعة وفداً إلى الرشيد

فهم منصور النخعي فلما صاروا بباب الرشيد أمرهم باختيار من يدخل عليه منهم

فاختاروا عدداً بعد عدد إلى أن اختاروا رجلا من أجداد النخعي ليدخلها ويسألها هوائيهما

وكان النخعي مؤدباً لم يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما مثل هو وصاحبه

بين يدي الرشيد قال لهما قولاً ما يردان فأنشد النخعي

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ

قال له الرشيد قل حاجتك وعد عن هذا •• فقال

إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ بِرُجُوعُ

وأنشد القصيدة حتى أتى إلى قوله

رَكِبْتُ مِنَ النَّعْرِ عَادُوا بِابْنِ عَمِّهِمْ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا لَجَّ الْأَزْلَمُ الْجَدْعُ

مَتَوَالِيكَ بِرُبِّي أَنْتَ تَعْرِفُهَا لَهْمُهَا فِي سَنَامِ الْمَجْدِ مُطْلَعُ

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَهُ أَحْلَاكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تُنْتَجِعُ

إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مَضْجِعُ

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْإِطَالُ مُطْلَمُهُ يَوْمَ الْوُغَى وَالْمَنَابِيئِ نَهْمُ قُرْعُ

حتى أتى إلى آخرها فقال له ويحك ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين أخبرني الديار وأخذت

الأموال وهناك الحرم فقال اكتبوا له بكل ما يريد وأمره بتلازين ألف درهم واحتبسه

عنده وشخص أصحابه بالكذب ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى استأذنه في الإصراف

فأذن له ثم اتصل بالرشيد قوله

مَا الشَّكُّ عِنْدِي فِي كُفْرَانِهِ لَكِنِّي قَدْ أَشَكُّ فِي الْخَادِلِ
شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعُ هَامِلٌ يُمْلِئُونَ النَّفُوسَ بِالْبَاطِلِ
وَتَرْجُونَ خُلُودَ الْجَنَانِ لِلْقَاتِلِ

الله) على طريق التوبيخ لقومه واقامة الحجة عليهم .. فان قبل على هذا الوجه كيف
 يجاوب ويسأل من لا عقل له ولا فهم .. فالجواب أن في الناس من زعم ان الغرض
 بهذا القول اذا كان تبكيت الفاعل وترجيئه وادخال الغم عليه في ذلك الوقت على سبيل
 العقاب لم يمتنع ان يقع وان لم يكن من المؤودة فهم له لأن الخطاب وان علق عليها وتوجه
 اليها فالغرض في الحقيقة به غيرها قالوا وهذا يجري مجرى من ضرب ظالم طفلا من ولده
 فأقبل على ولده يقول له ضربت ما ذنبك وبأى شيء استحل هذا منك فغرضه تبكيت
 الظالم لا خطاب الطفل والأولى ان يقال في هذا ان الاطفال وان كانوا من جهة العقول
 لا يجب في وصولهم الى الاغراض المستحقة ان يكونوا كالكلى العقول كما يجب مثله ذلك
 في الرسول الى اثواب فان كان الخبر متظاهراً والأمة متفقه على أنهم في الآخرة وعند
 دخولهم الجنان يكونون على أكل الهيات وأفضل الاحوال وان عقولهم تكون كاملة
 فعلى هذا يحسن توجه الخطاب الى المؤودة لأنها تكون في تلك الحال بمن فهم الخطاب
 وتقبله وان كان الغرض منه التبكيت للقاتل واقامة الحجة عليه .. وقد روى عن أمير
 المؤمنين عليه السلام وابن عباس ومحيي بن يعمر ومجاهد ومسلم بن سبيع وأبي الصفي
 وصروان وأبي صالح وجابر بن يزيد أنهم قرؤا سثل بفتح السين والهمزة واسكان التاء
 بأي ذنب قتلت .. وروى بإسكان اللام وضم التاء الثانية على أن المؤودة موصوفة
 بالسؤال والقول بأي ذنب قتلت .. وروى القطيعي عن مسلم والاعمش عن حفص عن
 عاصم قتلت بكسر التاء الثانية وفي سثل مثل قراءة الجمهور بضم السين .. وروى عن
 أبي جعفر المدني قتلت بالتشديد واسكان التاء الثانية .. وروى عن بعضهم اذا
 المؤودة سثل بفتح الميم والواو فأما من قرأ سثل بفتح السين فيمكن فيه الوجهان
 الاذان ذكرناهما من ان الله تعالى أكلها في تلك الحال وأقدها على النطق .. والوجه
 الثالث أن يكون معنى سثل أي سألها وطولب بحقها وانتمصف لها من ظالمها فكأنها هي
 السائلة تجوزاً واتساعاً ومن قرأ بفتح السين وضم التاء الثانية من قُتِلَتْ فعلى أنها هي
 المخاطبة بذلك ويجوز في هذا الوجه أيضاً قتلت بإسكان التاء الأخيرة كقراءة الجماعة لانه
 اختاره عنها كما يقال سثل زيد بأي ذنب ضرب وبأي ذنب ضربت وقاله يعقوب هذه

القراءة في سئل ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله يجرىء المقتول يوم
 القيامة وأوداجه تشخب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك متعاقباً بقوله يقول يارب
 سل هذا لم يمت قلنى فاما القراءة للمأثورة عن حفص عن عاصم في ضم التاء الاخيرة من
 قتلت وبضم السين سئلت فمتناها (وإذا المؤودة سئلت) مانبغي فقالت (بأني ذنب
 قتلت) فاضمر ما سئلت عنه واضمر قولها وقد تضرع العرب مثل هذا لدلالة الخطأ
 عليه وارتفاع الاشكال عنه مثله قوله تعالى (وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت
 وإسماعيل ربنا تقبل منا) أي ويقولان ربنا ونظائرهما في القرآن كثيرة جداً .. فاما
 قراءة من قرأ بالتشديد فلما ربه تكرار الفعل بالمؤودة ههنا وان كان لفظها لفظ واحد
 فلما ربه الجنس واردة التكرار جائزة .. فاما من قرأ المؤودة بفتح الميم والواو فعلى أن
 المراد الرحم والقراءة وانه بسأل عن سبب قطعها وتضييعها .. قال الله تعالى (قبل
 عيسى إن توليتم أن تفسدوا في الأرض) الآية .. فاما المؤودة فهي المقتولة صغيرة
 وكانت العرب في الجاهلية تند البنات بأن يدفنوهن أجباء وهو قوله تعالى (أيسر على
 هون أم يسه في الزاب) .. وقوله تعالى (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم)
 ويقال أنهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين .. أحدهما أنهم كانوا يقولون ان الاناث بنات الله فالحقوا
 البنات بالله فهو أحق بهما والامر الآخر أنهم كانوا يقتلونهن خشية الاملاق قال الله تعالى
 (ولا تقتلوا أولادكم من إِملاق) الآية .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه
 وجدت أبا علي الجبائي وغيره يقول أنا قبل لها مؤودة لأنها تفت بالزنا الذي طرح
 عليها حتى ماتت وفي هذا بعض النظر لأنهم يقولون من المؤودة وأديشد وأدا والفاعله
 وأد والفاعلة وأددة ومن الثملى يقولون أدنى الشيء يؤدني اذا أظلمت أوداً .. وروي
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن العزل فقال ذاك الواد الخنى وقد روي عن
 جماعة من الصحابة كراهية ذلك فقال قوم في الخبر الذي ذكرناه انه ماسوخ بما روي
 عنه عليه الصلاة والسلام أنه قيل له ان اليهود يقولون في العزل هو المؤودة الصغرى
 فقال عليه الصلاة والسلام كذبت اليهود لو أراد الله أن يخلقته لم يستلح أن يصرفه وقد
 يجوز أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام ذاك الواد الخنى على طريق التأكيد للترغيب

في طلب النسب وكرهية العزل لا على أنه محذور محرم .. وصمعة بن ناجية بن عقاب
 جد الفرزدق بن غالب وكان ممن فدى المؤذات في الجاهلية ونهى عن قتلهم وقيل أنه
 أحيا ألف مؤودة وقبل دون ذلك .. وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله
 وَمَنَا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَيْدِ فَلَمْ تَوَدِّ
 وفي قوله

وَمَنَا الَّذِي أَحْيَا الْوَيْدَ وَغَالِبٌ وَعَمَرُو وَمَنَا حَاجِبٌ وَالْأَفَارِغُ

.. وفي ذلك يقول أيضاً

أَنَا ابْنُ عِقَالٍ وَأَبْنُ لَيْلَى وَغَالِبٌ وَفَكَأَكُ أَغْلَالِ الْأُمِّ بِرِ الدُّكْنِ كَثِيرٍ
 - ليلي - أم غالب - وعقال - هو محمد بن سفيان بن بجاشع - وفكأك الأغلال - ناجية بن
 عقاب - والمكفر - هو الذي كفر وكبل بالحديد

وَكَانَ لَنَا شَيْخَانِ ذُو الْقَبْرِ مِنْهُمَا وَشَيْخُ أَجَارِ النَّاسِ مِنْ كُلِّ مَقْبَرٍ
 - ذو القبر - غالب وكان يستجار بقبره والذي أجار الناس من القبر وأحيى الويدة صمعة
 عَلِي حِينَ لَا تُحْيِي الْبَنَاتُ وَإِذْهُمْ عَكُوفٌ عَلَى الْأَصْنَامِ حَوْلَ الْمُدُورِ
 أَنَا ابْنُ الَّذِي رَدَّ الْمَنِيَّةَ فَضْلُهُ وَمَا حَسَبَ دَافَقَتْ عَنْهُ بِمَعُورِ
 أَبِي أَحَدُ النَّشِيبِ صَمْعُصَةُ الَّذِي مَنِي تَحْلَفُ الْجَوَزَاءُ وَالنَّجْمُ يَمُطِرُ
 أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ وَمَنْ يُحْرِزُ عَلَى الْقَبْرِ يُعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَحَقِّرِ
 وَفَارِقِ لَيْلٍ مِنْ نِسَاءِ أَتَتْ بِهِ يُعَالِجُ رِيحاً لِيَهَا غَيْرُ مُتَحَقِّرِ
 - فارق - يعني امرأة ما خضنا شبهها بالفارق من الأبل وهي الناقة التي يضرها الخاض

فتفارق الأبل وتضع على وجهها حتى تضع

فَقَالَتْ أَجْرِي مَا وَلَدْتُ فَإِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ هَزْلِ الْحَمُولَةِ مُتَرِّ
 رَأَى الْأَرْضَ مِنْهَا رَاحَةً فَرَمَى بِهَا إِلَى خَلْدٍ مِنْهَا وَفِي شَرِّ حَقَرِ

فَقَالَ لَهَا نَامِي فَأَنْتِ بِدِمَّتِي لِبَنِّكَ جَارٌ مِنْ أَيْهَا الْقَتَوْرِ

.. النثور - النبي الخلق .. قال وأخبرنا المروزي قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا القلابي عن العباس بن بكار الضبي عن أبي بكر الهنلي .. قال الصولي وحدثني القاسم بن إسماعيل عن أبي عثمان المازني عن أبي عبيدة بطرف منه قال وقد سمعته بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ولد بني تميم وكان صمصمة منع الوأد في الجماعية فلم يدع تيمنا ثم وهو يقدر على ذلك فجاء الإسلام وقد فدا في بعض الروايات أربع مائة مؤدة وفي أخرى ثلاثمائة فقال لقي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي أوسى فقال أوسيك بأملك وأبيك وأخذك وأخيك وأدانيك أدانيك فقال زدني فقال عليه الصلاة والسلام إن حفظ ما بين لحيك ورجليك ثم قال عليه الصلاة والسلام ما شيء باغى عنك فعلته فقال يا رسول الله رأيت الناس يمشون على غير وجه ولم أدر أين العوالب غير أنني علمت أنهم ليسوا عليه فرأيتهم يشدون بناتهم فعرفت أن ربهم هن وجل لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم ففديت ما قدرت عليه .. وفي رواية أخرى إن صمصمة لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال حسبي ما أبالي أن لأسمع من القرآن غير هذا .. ويقال أنه اجتزع جرير والفرزدق يوما عند سليمان بن عبد الملك فاقعرا فقال الفرزدق أنا ابن عبي الموفى فقال له سليمان أنت ابن عبي الموفى فقال إن جدي أحيا المؤدة وقد قال الله تعالى (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) وقد أحيا جدي اثنين وتسعين مؤدة فبسم سليمان وقال انك مع شرك لفتيه [تأويل خبر] .. إن سأل سائل عن معنى الخبر الذي يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يسلى الرجل وهو زناه .. الجواب قلنا الزناه هو الحافن الذي قد ضاق ذرا ببوله يقال أزان الرجل ببوله فهو يزنيه إزناه .. قال لا خطله فإذا دُفعت إلي زناه قمرها فبراء مظلمة من الأحفار^(١)

[١] البيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان وكان عبد الله هذا محمداً

يعنى شقيق القبر... ويقال لانات فلاناً فان منزله زناه فيجزز أن يكون شقيقاً ويجوز أن يكون
عسر المرتني وكلامها يؤل الى المعنى ويقال موضع زناه اذا كان شقيقاً سبياً... ومن
وأول القصيدة

صدع الخليط فشاقي أجواري وناولك بعد تشارب ومزار
وكأنما أنا شارب جادت له بصري بصفية الأديم عذار
سرف توارت الاماجم جنبها وحاه حائط عوسج بمحذار
من مسبل درجت اليه عيونه وسقاء عازب جدول مرار
حقى إذا ما أنضجت شمسه وأنا فليس عصاره كعمار
وقصدت من غير عش عوده بال وليس بمحصرم أبكار
ونجرت بعد الهجير وضرحت صباه تبدأ شربها بقثار
وجدت برملة يوم شرتق أهلها للغور أو لشقائق المذكار
وكان ظعن الحى حائش قرية داني الجناية موانع الأعمار
وإذا تكتفت الخدور بذالنا بقر كوانس في ظلال مزار
وإذا أطلع من الخدور الحاجة سدوا الخصاص بأوجه أحرار
ولقد حلفت برب موسى جاهداً والبيت ذي الحرمات والاستار
وبكل مهتل عليه مسوحة دون السماء مسبح جار
لاحرن لابن الخليفة مدحة ولا فذلن بها الى الامصار
قرم تمول في أمية لم يكن فيها بذى أين ولا خواار
نبت قتلك منهم في أسرة بيض الوجوه مصالت أخيار
جهراء للمعروف حين تراهم حلواء غير تنابل أشرار
قوم اذا بسط الاله ربيهم دارت رحاه بمسبل درار
وإذا أريد بهم عفوية فاجر مطرت صواعقهم عليه بنار
قوم هم نالوا الثمام وأزحفت عنه مذارع آخرين قصار
وأبوك صاحب يوم أذبح اذ أبى الحكمان غير تهاب وضرار

ذلك قول أبي زيد يصف أسداً

أَبْنُ عَرِيسَةٍ عَنَّا بِهَا أَشْبُ
وَدُونُ غَايَةِ مُسْتَوْدِدٍ شَرِعُ
شَاسِي الْمُبْطُوطِ نَاهِ الْعَامِ مِينَ مَتِي تَنْشَعُ بَوَادِرُهُ يَحْدُثُ لَهَا فَرَعٌ^(١)

لما نبعت الضفائر بينهم
وأهل آذ غنط العدو بغياق
حق رأوم يجنب مسكن معلماً
تسمو العيون الى عزيز بابه
وما
وتري عليه إذ العيون شزرنه
ولقد أناجي النفس لما شفا
بأبي سليمان الذي لولا يد
واذا دققت الى زناه بإيها
لولا فواضله غداة لقينه
من معشر حقيقين لولا أنهم
والشافعون مقيون وجوههم
[١] البتان من قصيدته التي أولها

من مباح قومنا الثائين اذ شحطوا
حال أفعال أهل الود آوة
أن الفؤاد اليهم شقيق ولع
أعطيهم الجهد متى بلة ما نسع

بروي أن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه قال له يوما يا أخا تبع المسيح أسمعنا
بعض قولك فقد أثبت أنك نجيد وكان أبو زيد الطائي هذا نصراًياً فأشده القميدة
ووصف الاسد فقال عثمان رضى الله عنه والله تغنؤ نذكر الاسد ما حيت والله اني
لا أحبك جباناً هراياً قال كلا يا أمير المؤمنين ولكني رأيت منه منظرأ وشهدت منه مشهداً
لا يبرح ذكره تجدد ويتردد في قلبي ومعذور أنا غير ملوم فقال له عثمان رضى الله عنه والى
كان ذلك قال خرجت في سبابة أشراف من أبناء قبائل العرب ذوى هيئة وشارة حسنة ترمى

يسى - بزناه الحاميين - انه سبق جاني الوادي .. وقوله - متى تنشع بواديه - أي يضيق
 بمجاعة عن برده وانما يحدث طافزع من الأسد - والشاس - الغليظ يقال مكان شاس اذا كان
 غليظاً ومن ذلك قولهم زنا فلان في الجبل اذا كابد الصعود فيه وهو بزنا في الجبل ..
 وروى ابن دريد ان قيس بن عاصم النخعي أخذ سبياً له يرقسه وأم ذلك الصبي منفوسة وهي

بنا المهارى باكائها ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام فاخروا بنا
 السير في حماره القبيظ حتى إذا عصبت الالفاء وذبلت الشفاء وشالت المياه وأذكت
 الجوزاء المعزاء وذاب المصنعد وصرت الجندب وأضاف العصفور الضب في وكره وجاوره
 في جحره قال قائل أيها الركب خوروا بنا في دوج هذا الوادي وإذا واد قد يدي لنا
 كثير الدغل دائم الغللى أشجاره مغننه وأطياره مهنه فخططنا رحالنا بأصول دوحات
 كنهلات فاصبنا من فضلات الزاد وأنبناها الماء البارد فانا لنصف حر يومنا ومماطلته
 اذ صر أقصى الخليل أذنيه وخص الأرض بيديه فواته مالبث أن جال ثم ححم فبال
 ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحداً فواحداً فتضعضت الخيل وتكلمت الابل
 وتقهقرت البغال فن نافر بشكاله وناهض بمقاله فملنا أنا قد أنينا وانه السبع ففرع
 كل واحد بنا إلى سيفه فاستله من جربانه ثم وقفنا زردقا أرسالا وأقبل أبو الحارث
 من أجمته يتظالم في مشيته كأنه مجنوب أو في مجار لصدوره نحيط ولبلاعمه غطيظ
 وأطره ومبيض ولأرسافه نقيض كأنما يحنط هشياً أو يطأ صرباً وإذا هامة كالجن وخذ
 كالسن وعينان سجران كأنهما سراجان يتقدان وقصرة ريلة ولهزمة رهلة وكند
 مضبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مقتول وكف شنة البرائن إلى مغالب
 كالحاجن فضرب بيديه فارهج وكشر فالرج عن أنياب كالعاول مصقولة غير مفولة
 وفم أشدق كالغار الأخرق ثم نمطي فأسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله
 مثليه ثم اقمي فافشع ثم مل فاكفهر ثم نجهم فازبار فلأوذو بيته في السماء ما اتيناه
 الاباخ لنا من فزاره كان ضخم الجزاره لوقسه ثم خضه خضه فقضض منيه فجعل يباغ
 في دمه لذمرت أحبابي فبعد لأي ما استقدموا فجهجهنا به فكر مقشراً بزره كأن به

بنت زيد الفوارس بن ضرار الضبي فجعله قيس يقول له
 أشبه أبا أمك أو أشبه عمل ولا تكون كهلوف وكل
 تريد عمل^(١) - الوكل - الجبان - والهلوف - الهرم المسن وهو أيضاً الكبير الاحية
 وانما أراد به هنا الاول

• وَأَرْقَ إِلَى الْخَيْرَاتِ زَنَّا فِي الْجَبَلِ •

فاخذته أمه وجعلت ترقصه .. وتقول

أشبه أخى أو أشبهن أباكا أما أبى فلن تنال ذاك

• تَقْصُرُ عَنْ مَنَالِهِ يَدَاكَ •

شما حولياً فاخناج رجلاً عجراً ذا حوايا فنفضه ففضة تزايلت منها مفاصله ثم مهمهم ففرق
 ثم زفر فبربر ثم زار فجرجر ثم لحظ فلو الله طلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن مناله
 ويمنه فارعت الأيدي واسطكت الأرجل وأملت الانشلاع وارنجت الاسماع وشغصت
 العيون وتحققت النظون وانغزلت الملتون فقال له عثمان رضى الله عنه أسكت قطع الله لسانك
 فقد أوجعت قلوب المسلمين

[١] قوله - يريد عمل .. قال في اللسان وعمل اسم رجل وأنشد الرجز .. وفي
 نوادر أبي زيد وزعموا أن قيس بن عاصم أخذ ابنه حكيماً وأمّه منقوسة بنت زيد الفوارس
 الضبي فرقصه وقال

أشبه أبا أمك أو أشبه عمل ولا تكون كهلوف وكل

بيت في مقعده قد آنجى دل وأرق إلى الخيرات زناً في الجبل

أبو حاتم وأبو عثمان - عمل - وهو اسم رجل فاخذته منقوسة منه .. ثم قالت

أشبه أخى أو أشبهن أباكا أما أبى فلن تنال ذاك

• تَقْصُرُ أَنْ تَنَالَهُ يَدَاكَ •

وبروي قصير عن مناله كذا أنشد أبو زيد

﴿ مجلس آخر ٨٠ ﴾

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وهديناه النجدين) الى آخر السورة .. فقال ما تأويل هذه الآية وما معنى ما تضمنته .. الجواب قلنا أما ابتداء الآية فتد كبر بنعم الله تعالى عليهم وما أزاح به عنهم في تكاليفهم وما تفضل به عليهم من الآلات التي يتوصلون بها الى منافعهم ويدفعون بها المضار عنهم لأن الحاجة الى أكثر المنافع الدنيوية والدنيوية ماسة فالحاجة الى العيين للرؤية والالسان للنطق والثنتين لحبس الطعام والشراب وأما كهما في القم والنطق أيضاً .. فلما التجهد في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الارض والنفور المطايط منها وأما سمي الموضع المرتفع من أرض العرب نجداً لارتفاحه .. واختلف أهل التأويل في المراد بالنجدين فذهب قوم الى أن المراد بهما طريقا الخير والشر وهذا الوجه روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام وابن مسعود والحسن وجماعة من المفسرين .. وروى أنه قيل لا مير المؤمنين على عليه السلام ان أناساً يقولون في قوله (وهديناه النجدين) انهما النجديان فقال عليه السلام لا إلهما الخير والشر .. وروى عن الحسن أنه قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس انهما نجدان نجد الخير ونجد الشر فاجعلوا نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير .. وروى عن قوم آخرين أن المراد بالنجدين نديا الام .. فان قيل كيف يكون طريق الشر مرتفعاً كطريق الخير ومعلوم أنه لا شرف ولا رفعة في الشر .. قلنا يجوز أن يكون انما سماه نجداً لظهوره وبروزه لمن كلف اجتنابه ومعلوم ان الطريقتين جميعاً باديان ظاهران ويجوز أيضاً أن يكون سمي طريق الشر نجداً من حيث يحصل في اجتناب سلوكه والمعدل عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثل ذلك في سلوك طريق الخير لأن الثواب الحاصل في اجتناب طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير .. وقال قوم انما أراد بالنجدين انابصرناه وهرقناه ماله وعابه وهديناه الى طريق استحقاق الثواب ونهي النجدين على طريق عادة العرب في تلبية الأمرين اذا اتفقا في بعض الوجوه وأجرى لفظة أحدهما على الآخر كما قيل في الشمس والقمر القمران .. قال الفرزدق

• لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ^(١)

لذلك لظائر كثيرة .. فأما قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) ففيه وجهان .. أحدهما
 أن يكون فلا بمعنى الجحود وبمعزلة لم أي فلم يقتحم العقبة وأكثر ما يستعمل هذا الوجه
 شكر لفظ لا كما قال سبحانه (فلا صدق ولا صل) أي لم يصدق ولم يصل .. وكما
 قال الجلبشة

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا^(٢)

[١] صدره .. أخفنا بأفاق السماء عليكم

[٢] البيت من قصيدة يمدح بها آل شهاب بن لؤي ومطلعها

ألا طرقتنا بعد ما جئت هند	وقد سرق خساً وأتلاب بنا نجد
ألا حيناً هند وأرض بها هند	وهند أتي من دونها الثأى والبعد
وهند أتي من دونها ذو غوارب	يقصم بالبوسي معروف ورد
وان التي تكبتها عن معاشر	على غضاب أن سددت كما سدوا
أنت آل شهاب بن لؤي وإنما	أنهم بها الإحلام والحسب العد
فإن الشقي من ثمادي صدورهم	وذو الجحود من لئو اليه ومن ودوا
يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها	وان غضبوا جاء الحفظة والجند
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم	من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا	وان ما هدوا أو فوا وان عقدوا شدوا
فإن كانت النعمى عليهم جزوا بها	وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جبل حادث	من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
وان غاب عن لؤي بغيض كفتهم	نواشئ لم تطرز شواربهم بعد
وصيف ولم أعلمهم خذلوكم	على مظلم وإن أديكم قدوا
مطاعين في الوجامكا شيف للدهج	بني لهم آبلؤهم وبني الجند
فإن مبلغ أبناء سعد فقد سي	إلى السورة العليا لهم حازم جلد

وقله ما يستعمل هذا المعنى من غير تكرار لفظاً لأنهم يقولون لاجثنى ولا زرتنى يريدون
ما جئتنى وان قالوا لاجثنى صلح الا أن في هذه الآية ما ينوب مناب التكرار ويغنى عنه
وهو قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) فكأنه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن فعني
التكرار حاصل .. والوجه الآخر أن يكون لاجارية مجرى الدعاء كتقولك لانجاو لاسلم
ونحو ذلك .. وقال قوم فلا اقتحم العقبة أي فملاً اقتحم العقبة أو أفلاً اقتحم العقبة قالوا
ويدل على ذلك قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر) ولو كان أراد النبي
لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جداً لأن قوله تعالى فلا خال من لفظ الاستفهام
وقبح حذف حرف الاستفهام في مثله هذا الموضع .. وقد عيب على عمر بن أبي ربيعة قوله
ثُمَّ قَالُوا تَحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ^(١)

رأى مجد أقوام أشيع غنم على مجدهم لما رأى انه الجهد

وتعدلى أبناء سعد عليهم وعاطلت الا بالذي علمت سعد

[١] قوله - ثم قالوا تحبها - الخ .. البيت يشهد به النحويون على حذف عزم الاستفهام
والاصل آتجها وقوله - بهراً - أي غيباً وجزم به ابن مالا في شرح التوسيل وأورد
البيت شاهداً على نصبه بعامل لازم الاضمار .. وقيل التقدير أحبها حباً بهراً أي
غلبى غلبة وأورد الزبير بن بكار البيت بلفظ قلت ضعى عدد الرمل الخ .. وقال
ابن الاعرابي في نوادره المهور للكروب وأنشد البيت وقيل معناه جهراً لا أكنم من
قولهم القمر الباهر أي الظاهر شوؤه وقيل معناه نبأ كأنه قال نبأ لم لا أنكروا عليها
حبها لان قوله تحبها على الانكار .. والبيت من قصيدة له يقولها في معشوقته الثريا بنت
عبد الله بن الحارث لما صرته ومطلعها

قال لي صاحبي ليحلم ما بي

قلت وجددي بها كوجدك بالعبد

أزهدت أم نوفل إذ دعها

حين قالت لها أجري فداها

أحب القنول أخت الرباب

ب اذا مامنعت برد الشراب

مهم حتى ما لفتا من متاب

من دعاني قالت أبو الخطاب

فاما الترجيح بان الكلام لو اريد به النبي لم يتصل وقد ثبت انه متصل مع ان المراد به النبي لأن قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) ملطف على قوله فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا قلعتي انه ما اقتحم العقبة ولا آمن على ما بيناه. فاما المراد بالعقبة فاختلف فيه فقال قوم هي عقبة ملساء في جهنم واقتحمها فك رقبة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أمامكم عقبة كؤود لا يجوزها المتقفلون وأنا أريد أن أعقف لذلك العقبة. وروي عن ابن عباس انه قال هي عقبة كؤود في جهنم وروي أيضاً انه قال العقبة هي النار نفسها فلي الوجه الاول يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدي الى اقتحام هذه العقبة ويكون سبباً لجوازها والنجاة منها لأن فك رقبة وما أتى بعد ذلك ليس هو النار نفسها ولا موضعها. وقال آخرون بل العقبة ما ورد مفسراً لها من فك الرقبة والاطعام في يوم المسغبة وانما سمي ذلك عقبة لصعوبته على النفوس ومشتته عليها وليس يليق بهذا الوجه الجواب الذي ذكرناه في معنى قوله (فلا اقتحم العقبة) وانه على وجه الدعاء لأن الدعاء لا يحسن الا بالمستحق له ولا يجوز أن تدعي على أحد بان لا يقع منه ما كلف وقوعه وفك الرقبة والاطعام المذكور من الطاعات فكيف يدعى على أحد بأن لا يقع منه فهذا الوجه يطابق أن يكون العقبة هي النار نفسها أو عقبة فيها. وقد اختلف الناس في قوله فك رقبة فقرأ على عليه السلام وبجاهد وأهل مكة والحسن وأبو رجا العطاردي وأبو عمرو بن العلاء والكشاف فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقرأوا وأطعم على الفعل دون الاسم وقرأ أهل المدينة وأهل الشام وعاصم وحزة ويحيى بن وثاب ويعقوب الحضرمي فك بضم الكاف وخفض رقبة واطعام على المصدر وتثنية الميم وضمها. فنقرأ على الاسم ذهب الى أن جواب الاسم

فاجابت عند الدعاء كالب	في رجال يرجون حسن الثواب
أبرزوها مثل المهاء تهادي	بين خمس كواكب أتراب
فبذلت حتى اذا جن قلبي	حال دوني ولائد بالثياب
وهي مكتونة تحبير منها	في أديم الخدين ماء الشباب
سلبتني بحاجة المسك عقل	فلوها ماذا أحل اغتصابي

بالاسم أكثر في الكلام وأحسن من جوابه بالفعل ألا ترى أن المعنى ما أدرك ما اقتضاه
 العقبة هو فك رقبة وإطعام ذلك أحسن من أن يقال هو فك رقبة أو أطعم ومال القراء
 إلى القراءة بلفظ الفعل ورجحها بقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) لأنه فعل
 فالاولى أن يتبع فعلا وليس يتمتع أن نخس اقتحام العقبة وإن كان إسما فهو فعل يدل
 على الاسم مثل قول القائل ما أدرك ما يزيد يقول مفسراً يصنع الخير وبفعله المعروف
 وما أشبه ذلك فيأتي بالأفعال والنسب - الجوع وإنما أراد أنه يعلم في يوم ذي جماعة
 لأن الإطعام فيه أفضل وأكرم . . . فاما مقربة فمنها يتبادر قربي من قرابة اللب والرحم
 وهذا حض على تقديم ذى النسب والقربي الخارجين على الجانب في الافضل والمسكين -
 الفقير الشديد الفقر - والمقربة منعلة من التراب أي هو لاصق بالارض من ضره وحاجته
 ويجري مجرى قولهم في المقبر مدقع وهو مأخوذ من الدقع وهو الارض التي لا شيء
 فيها . . . وقال قوم ذا مقربة أي ذاعيل والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل أنه من الرحم وقد
 يمكن في مقربة أن يكون غير مأخوذ من القرابة والقربى بل من القرب الذي هو من
 الخاصرة فكأن المعنى أنه يعلم من خاسرته لصقت من شدة الجوع والضر وهذا أهم في
 المعنى من الاول وأشبه بقوله تعالى (ذامرية) لأن كل ذلك مبالغة في وصفه بالضر
 وليس من المبالغة في الوصف بالضر أن يكون قريب النسب والله أعلم بمراده . . . قال
 الشريف المرتضى [رضي الله عنه ومن طريق المدح ومليحه قول الشاعر

وَكَأَنَّهُ مِنْ وَفْدِهِ عِنْدَ الْقَرَا أَوَّلًا مَقَامَ الْمَادِحِ الْمُتَكَلِّمِ
 وَكَأَنَّهُ أَخَذَ الدَّاءَ بِبَيَّابِهِ لَوْلَا مَقَاتِلُهُ أَطِيبَ لِلْمُؤَدِّمِ

ويقارب ذلك قول محمد بن خارجة في المعنى

سَهْلُ الْفَنَاءِ إِذَا حَلَمْتَ بِبَيَّابِهِ طَلَقُ الْيَدَيْنِ . . . وَوَدَّ الْخُدَّامِ
 وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَذَرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ^(١)

[١] وقبلهما نعم الفتى فجئت به اخوانه يوم البقيع حوادث الايام
 والابيات لسبها أبو تمام في غنثار شعر القبائل لمحمد بن بشير الطارقي
 (٢٦ - رابع امالي)

ومثله لأبي الهادي

تَرَكْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَانِيَا غَرِيْبَاعِنَ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ عَمَلٍ
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ وَإِنْعَامُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي

ولأئمة بن القراعى عديح عقبة بن سنان الحارثي

أَلَمْ تَرَنِي شَكَرْتُ أَبَا سَعِيدٍ بِنِعْمَاهُ وَقَدْ كَفَرَ الْمَوَالِي
وَلَمْ أَكْفُرْ سَحَابَةُ اللَّوَاتِي مَطْرَنَ عَلِيٍّ وَاهِيَةَ الْغَزَالِي
فَمَنْ يَكُ كَافِرًا نِعْمَاهُ يَوْمًا فَإِنِّي شَاكِرٌ أُخْرَى اللَّيَالِي
فَتَى لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْعَرَى بِأُفُقِي وَلَمْ تَعْرِضْ لِيْنِ أَوْ شِمَالِي
عَلَى نِدَى لَهُ ابْنُ عَبْدِ مَجْدٍ وَمَكْرُمَةٌ وَإِتْلَافٌ لِمَالِي
وَأَصْبِرْ فِي الْحَوَادِثِ إِنِ أَلَمْتَ وَأَسْعَى لِمَحَامِدِ وَالْعَمَالِي
فَتَى عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْعَطَايَا فَقَدْ صَارُوا لَهُ أَذْنَى الْعِيَالِي

•• فأما قول جرير

لَمْ أَفْضِ مِنْ صُحْبَةِ زَيْدٍ أَرِي فَتَى إِذَا أَغْضَبْتُهُ لَمْ يَغْضَبِ
مَوْكُلُ الْعَيْنِ بِحِفْظِ النَّيْبِ أَفْضَى الْفَرِيقَيْنِ لَهُ كَالْأَقْرَبِ

فانه لم يرد إن الضعيف السبب في المودة كالقوى السبب وانما أراد أنه يرى من غيب
الرفيق البعيد الغائب حقه ما يراه من حق الشاهد الحاضر وانه يستوى عنده لكرمه
وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت منازلها وهذا بخلاف ما عليه أكثر الناس من
مراعاة الحاضر القريب وإهمال حق البعيد •• هذا آخر مجلس أملاء الشريف المرتضى
علم الهدى ذو الجدين أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي رضي الله عنه ثم تشاغل
بأمور الحج

﴿ فهرس الجزء الرابع من أمالي السيد المرتضى ﴾

- ٥٧ تأويل خبر كل مولود يولد على الفطرة الحديث
- ٥٤ تأويل قوله تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفا الآية
- ٥٥ تأويل قوله صلى الله عليه وسلم في أطفال المشركين الله أعلم بما كانوا عاملين
- ٥٥ مسألة جواز السخ في الاخبار
- (المجلس السابع والخمسون)
- ٥٥ تأويل قوله تعالى : فأما الذين شقوا في النار الآية
- ٥٩ استرواح بذكر نورك الآمدى على البعثرى في بعض أشعاره
- ١٠ تقرير لطيف في الاعتذار للبعثرى وفيما يجب أن يعمل عليه كلام الشاعر في المبالغات
- (المجلس الثامن والخمسون)
- ١٥ تأويل قوله تعالى : اسمع هم وابصر الآية
- ١٥ تأويل قوله تعالى : صم بكم عمي فهم لا يعقلون
- ١٨ مسألة في أن ارتباط الخطيب قد يكون سببا لاتباع قريحت وتوقد فكره وانتقاله الى ما هو أروع في الكلام وذكر أحسن ما ورد في ذلك
- ٢٢ استطراد لذكر حكاية لطيفة فيما وقع لعبد الله بن سوار بسبب الغياب
- ٢٣ تأويل قوله تعالى : واذا نجبناكم من آل فرعون الآية
- ٢٤ مسألة في أن البلاء يستعمل في الخير كما يستعمل في الشر
- ٢٥ مسألة في أن العرب قد تخاطب الشخص بما لغيره لئلا تفسد
- ٢٦ استرواح بذكر شيء من المحاسن الشعرية في الكرم وحب الضيافة والانس بهما وغير ذلك
- (المجلس الستون)
- ٣٣ تأويل قوله تعالى : ولا تقولن شيء أنى فاعل ذلك غدا الآية
- ٣٦ التشبيه في اللغة العربية وغاية ما ورد فيه
- ٣٦ شواهد تشبيه الواحد بالواحد
- ٣٨ شواهد تشبيه شيئين بشيئين
- ٤١ شواهد تشبيه ثلاثة بثلاثة

- ٤٢ شواهد تشبيه أربعة بأربعة
 ٤٣ شواهد تشبيه خمسة بخمسة
 ٤٣ شواهد تشبيه ستة بستة وهو غاية ما ورد
 (الجلس الواحد والستون)
 ٤٣ تأويل قوله تعالى : ربنا لا تؤاخذنا إن لبينا الآية
 ٤٤ استرواح بذكر أشعار مستحسنة
 ٤٤ ضادية بشار
 ٤٦ ضادية أبي تمام
 ٤٧ ضادية البحتري
 ٤٨ مختارات شعر بشار في وصف الزمان
 ٤٩ مختارات من شعره في وصف القواني والغناء والطرب
 (الجلس الثاني والستون)
 ٥٤ تأويل قوله تعالى : الله يسترزيهم ويعدهم الآية
 ٥٦ استطراد لذكر أن العرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه تظليفاً
 ٥٦ تسميتهم الله باسم شيء آخر لتعلق بينهما
 ٥٨ عود لتأويل الآية السابقة
 ٥٩ تأويل قوله تعالى : ويعدهم في طغيانهم يعمهون
 ٥٩ استرواح لذكر ما يستحسن مما ورد في ذكر الاوطان والحنين اليها
 (الجلس الثالث والستون)
 ٦٢ تأويل قوله تعالى : وقتلنا ابطالوا بعضكم لبعض عدوا الآية
 ٦٣ شواهد خطاب الاثنين بخطاب الجمع
 ٦٥ ذكر بعض ما يستحسن في المدائح الشهيرة
 (الجلس الرابع والستون)
 ٧١ تأويل قوله تعالى : ألقظ كيف ضربوا لك الامثال الآية
 ٧١ بحث دقيق في أن القدرة على مع الفعل أولا
 ٧٤ تأويل خبر معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله الحديث
 ٧٥ ذكر جملة من معاني السماء والاستشهاد عليها

(المجلس الخامس والستون)

- ٧٦ تأويل قوله تعالى : إذا جاء أمرنا وفار التنوير
 ٧٧ تأويل خبر على رضى الله تعالى عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم الحديث
 ٧٩ استرواح بذكر أحسن ما قيل في وصف الثغر

(المجلس السادس والستون)

- ٨٧ تأويل قوله تعالى : قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة الآية
 (المجلس السابع والستون)

- ٩٦ تأويل قوله تعالى : الذى جعل لكم الأرض فراشاً الآية
 ٩٦ بحث في الاستدلال بهذه الآية على أن الأرض بسيطة
 ٩٩ ذكر جملة من المحاسن الشعرية فسرت بتفسير مختلفة وهى عمدلة للكل
 (المجلس الثامن والستون)

- ١٠٥ تأويل قوله تعالى : يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء الآية
 ١٠٥ مسألة في أن هارون هل كان أخاً مريم حقيقة أم لا
 ١٠٧ شواهد وضع الماضى موضع الحال والاستقبال وعكسه
 ١١٠ تأويل قوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ونحوه
 ١١٣ تحقيق في مسألة العدوى

(المجلس التاسع والستون)

- ١١٥ تأويل قوله تعالى : ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً الآية
 ١١٧ استرواح بذكر ما قاله أسماه بنت خازجة بن حصن الفرزاري في الذئب
 ١١٩ ما قاله النجاشي في ذلك
 ١٢٠ ما قاله الفرزدق فيه أيضاً
 ١٢١ ما قاله قيس الفرزاري وحيد بن ثور في ذلك

(المجلس السبعون)

- ١٢٣ تأويل قوله تعالى : ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه الآية
 ١٢٤ تحقيق مسألة رؤيته تعالى وسؤال سيدنا موسى عليه السلام لما وبسط الكلام على ذلك
 ١٢٨ استرواح بذكر ما استجد من قول أبي العاص المازني
 (المجلس الواحد والسبعون)

صحيحة

- ١٢٩ تأويل قوله تعالى : واذا قلتم نفساً فادارأتم فيها الآية
 ١٣٠ مسألة تأخير المقدم وتقديم المؤخر في كلام العرب والاستشهاد على ذلك
 ١٣٢ استرواح بذكر ما يستجد من الشعر في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها
 ١٣٢ من ذلك مرثية نرشل بن جري لاختيه مالك
 ١٣٣ ومنه قول حارثة بن بدر العدائي
 ١٣٣ ومنه قول أبي الضاحية
 ١٣٤ ومنه قول البحتري
 (الجلس الثاني والسبعون)
 ١٣٧ تأويل قوله تعالى : هو الذي خلقكم من نفس واحدة الآية
 (الجلس الثالث والسبعون)
 ١٤٣ تأويل قوله تعالى : أتعبدون ما تحتون الآية
 ١٤٥ مسألة في تحقيق خالق أفعال العباد
 ١٤٦ استرواح بذكر ما يستحسن من كلام بعض نساء بني أسد
 ١٤٧ ما يستحسن من كلام ولادة الهرمية
 ١٤٧ ما يستحسن من كلام امرأة من بني سعد
 ١٤٨ مرثية عمرة بنت العجلان لاختها عمرو
 (الجلس الرابع والسبعون)
 ١٥٣ تأويل قوله تعالى : ولا يفتنكم بهن حتى ان أردت أن أنصح لكم الآية
 ١٥٦ قصيدة أبي تمام في مدح المعتصم
 (الجلس الخامس والسبعون)
 ١٦١ تأويل قوله تعالى : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الآية
 ١٦٢ بحث في الإشارة الى الجلس من غير ارادة العموم
 ١٦٢ في نورك أبي العباس بن عمار على بعض أقوال أبي تمام
 ١٦٦ مناقشة المؤلف في نورك ابن عمار المذكور
 (الجلس السادس والسبعون)
 ١٦٧ تأويل قوله تعالى : واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان الآية
 ١٧٢ ذكر ترجمة خالد بن صفوان وثمنه من أخباره

(المجلس السابع والسبعون)

- ١٧٣ تأويل قوله تعالى : أنه ليحزنك الذي تقولن الآية
 ١٧٤ مطلب علم أبي جهل بنبرة النبي صلى الله عليه وسلم وجمعه ذلك عناءاً
 ١٧٥ قصيدة لمرو بن براقه وواقعة ذلك
 ١٧٧ مطلب اختلاف القراء في قرائته لا يكذبونك وتأويله بحسب القراءة
 ١٧٨ قصيدة لمارود بن كعب الخزاعي وشرحها
 ١٨١ أبيات لدعبل في تفضيل الشعر وبقائه ما بقي الدهر

[المجلس الثامن والسبعون]

- ١٨٢ تأويل قوله تعالى : ثم لم تكن فتانهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا شركين
 ١٨٤ ترجمة منصور بن سلمة الغيري وأخباره مع الرشيد وقطع من عتار شعره

(المجلس التاسع والسبعون)

- ١٨٨ تأويل قوله تعالى : وإذا الموءدة سئلت بأي ذنب قتلت
 ١٨٩ مطلب عزيز في اختلاف تأويل الآية بحسب اختلاف القراء
 ١٩٠ مطلب في تأويل أبي علي الجبائي لهذه الآية
 ١٩١ أخبار سمعة بن ناجية جد النضر في فدية الموءدات واختلاف النضر في ذلك
 ١٩٢ خبر وقود مصعفة المذكور على النبي صلى الله عليه وسلم ووصيته له
 ١٩٣ تأويل خبر أنه نهي صلى الله عليه وسلم أن يسل الرجل وهو زناه
 ١٩٣ قصيدة لإخطل في مدح عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان
 ١٩٣ قصة أبي زيد الطائي في وصفه الأسد لعمان بن عثان رضي الله عنه
 ١٩٥ خبر قيس بن عاصم الثفري وترقيصه صبياً له

(المجلس الثمانون)

- ١٩٧ تأويل قوله تعالى : وهديتاه الذبيحين
 ١٩٨ قصيدة لعدليمة يندح بها آل شماس بن لأي
 ١٩٩ شرح بيت عمر بن أبي ربيعة : ثم قالوا نحن وأهلات بهرا
 ٢٠٠ تأويل قوله تعالى : ثم اقتحم القبة إلى آخر الآيات
 ٢٠١ خاتمة الجليل في ذكر مقطعات من طريف المدح

